

المجلة

مجلة السبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

1939

Volume 1

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57_298** DU **11** MARS **1957**)

PROVENANCE DE LA COLLECTION

INSTITUT DU MONDE
ARABE

Cote: 833 (051) RIW

MICROFILM ÉTABLI

PAR

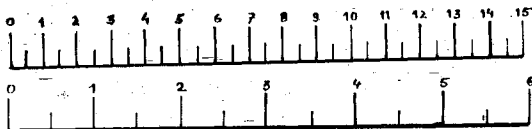
**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE
DE LA PRESSE**

PARIS

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.
La Reproduction totale ou partielle est soumise à
l'autorisation préalable des ayants droit et à
celle de l'A.C.R.P.P. qui conserve un exemplaire
du microfilm négatif.*

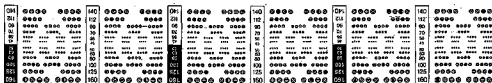
© 1998 A.C.R.P.P.

ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx9

A.C.R.P.P



MIRE ISO N° 1

NF Z 43-007

AFNOR

Cedex 7 - 92080 PARIS-LA-DÉFENSE

528 57 70
graphicom

2017-11-14 16:53



الحرورية

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

صاحبة المجلة ومدبرها
ورئيس تحريرها المستقر
احمد حسن الزيات

برل الاشراف على
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

ادارة

دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٤
كاين - القاهرة
تليفون ٢٣٩٠

العدد ٤٨

٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ - ١٥ يناير سنة ١٩٣٩

السنة الثالثة

وأخذته الحيرة وهو يدنو
منها ماذا عساه أن يقول بمد
هذا الذباب ؟ وجمل بدور يمينه
لتبين ما إذا كان أحد براه من
أهل القرية ... ولكنه حين
أصبح منها على خطوات وحين
وقفت على عجايبها عيناها أحس
من نظراتها كأنها أساب قلبه

من حضور الرفيف
جذيلة
أقصوصة مضمرة
يقلم الأستاذ محمد الخفيف

سهم مسموم ...

ومررت به الفتاة مصفاة الوجه لا تكاد تنفرج
شفاتها على رغبتها عن بسمة كالشمع الخافت ، حتى
تطبقهما كأنما تدارك أنها تأتي شيئاً محرماً ،
وتتجهج للفق وتنفكر كأنه بات من عدوها ؟ ثم
تدور بوجهها متفاهرة أنها ترجع بقرتها فتجذب
جلها وتستقبل الطريق حتى تقوته
بخطوات .

وأما أول مرة بمد عودته ، ولم يبق من الشمس
إلا حرة طفيفة في أطراف السقف ؛ وكانت كمادتها
كل مساء قافلة إلى القرية بمد أن سقت بقرتها من
قناة قرية
أخذتها عيناها مقبلة فصار لقاؤها وإنه من فرحه
ليطفر كما يطفر المصفور ، وإن قلبه ليخفق خفقات
يكاد لا يقوى عليها جسده ، فلقد ارتبكت مفاصله
حتى ما يحمل رجلاه بدنه إلا في مشقة



يرى في لون الشفق مثل حمرة الجنون قرصاً للتحبيب
والسهر ...

وصلت جليطة إلى دارها فربطت بقرنها وأثقت
أمامها بعض الملف، ثم تناولت جرتها من فوق
الصعلبة القاعة في مدخل الدار وخرجت لتألفها
من الساقية، وسارت ثقيلة الخطى كأنها تنقض
ظهرها عب ... وجلست عند الساقية حتى يأتي
دورها، وصاحباتها يتساحكن ويتمايبن، وهي عنهن
في شغل بما يتقل فؤادهن، ومن لا يدري ماذا يكرهها
وكانت من قبل يئنهن أسرعهن إلى الزلاخ وأسرعهن
عند المداعبة، كما كانت تفوقهن جميعاً على كثير من
عذوبة روح وخفة حركة ..

وعادت تحمل الجرة فوق أنفها، فوضعتها حيث
كانت ثم صمدت إلى سطح الدار فجلست على التراب
شاخصة إلى القمر وبوجهها مثل ما بوجهه من
شجوب ومثل ما به من ملاحه

ودخل على القرية في نور القمر وإنه ليتوارى
من الأعين في ظلال النخيل والشجر، ولا يدري
لماذا يحس في نفسه الرغبة ألا يراه الناس؛ ولا بلغ
منزله وهو في القرية أول ما تقع عليه عين القادم من
الحقول، صمد إلى حجرته ونادى الخادمة فأشعلت
له المصباح؛ ثم صرختها مشدداً عليها أنه متعب فلا يجب
أن يرى أحداً وأنه عما قليل سيأوى إلى مضجعه
وأخذ الفتى يفكر وقد طافت برأسه الإوسوس
وأخذته الحيرة من أمر تلك الفتاة التي طالما كانت
تبتني إلى قلبه الوسيلة ويحده في استرضائه ونحصر
على مودته، والتي بازم من سرورها بقلقه في العام
الماضي أنها لم تقو وهي في سرب من صاحباتها على
كتمان ما بها حتى لقد سقطت جرتها فتحطمت
وبللت ملابسها وزادت بها ربكة على ربكة

وكيف يحمل على الصبر نفسه، وهو يرى في
هذا الجفاء إهانة له، وأي إهانة أشد وقماً على نفسه

ويقف هو كالنثال لا يبي ولا يتحرك، وقد
جف ريقه وتصبب بالرق جبينه، ويظل على تلك
الحال الأليمة حتى ينتبه بمد لحظات على صوت رجل
يحبه وقد مر به مسرعاً على ظهر دابته ... فيمد
عينيه ويرسل بعصره فلا يراها تلتفت وراءها مرة
حتى تنيب عنه. فيكاد يأكل التيق قلبه ويود لو أنه
استطاع أن يسحقها أو يسحق ذلك القلب. ثم إنه
يجر رجليه بمد ذلك جراً لا يدري أين يذهب؛ فهو
مأخوذ عن نفسه كمن نزع من الشيطان نزعاً

كان ذلك أول الصيف وقد عاد على إلى القرية
يلتمس في مساوحيها الراحة بمد المنام، ويقضى
لبانة نفسه وأرب مشاعره من فنون السحر وضروب
الجمال في مجالها؛ وإنه ليحمل للقرية كل عام أجازته
الطويلة الهم خلا أيام مغنودات يقضها غريباً على
بعض السواحل ... وإنه ليحس كلما عاد إلى منبته
ومنتج أرومته مثل إحساس النبات بجى به إلى يئنه
وترته فتزهرج واستنظف واستوى على سوقه ...

الساء حال النسب تبتن أنفاسه الرخية في غير
انقطاع ولا وناه والأفق للترن يارح الزواء تطرز
حواشي ظلال الغروب وتتجمع في جوانبه ألوان
الشفق، والحقول منبسطة أمامه إلى آخر ما يمتد إليه
بعصره، وهي بين خالية تنثر فيها بقايا عيدان القمح
بعد الحصاد، وحالية ترينها شجيرات القطن النالية
التي تقرأ العين في سطورها مبلغ عناء الزارع وكده،
وشجيرات السرو والصفصاف والجوز على جوانب
الغدران موزقة فينبأه تباعد حيناً وتتقارب أحياناً
ف تكون منها خائيل بهيجة لا تل الأعين من النظر إليها
ولكن عليها يحس أن هذا الجميل الساحر قد شملته
في تلك الساعة كآبة قابضة فلم يمد يرى شيئاً من
روائه، وإنه ليخيل إليه كأنه من بعيداً غريباً من الوجوم
والوحشة بات يشقى الفضاء من حوله وأن الشجر
مثل ما به من فنى تبايل من فنود ومسكنة، ثم إنه

وسهما يكن من الأمر فهو لن يحفل بمديحها كان أو يلتفت إليه .

كانت جليبة في الثامنة عشرة من عمرها بمسحدها صبيا القربة على ما توافى لها من أسباب الجمال . وكان اسمها على ألسنة الشباب كلما هبهم إلى الحب والجمال ذكر ... وكانت تعرف ذلك فتدب به وترمي ولا تزاد بالدلال إلا ملاحه وقتنة

وماذا عسى أن تبلغ للكلمات من هذا الجمال وفي مقدمة خصائصه الأحجاز ؟ وما كان النظر إليه إلا ليشر الناظر لأول وهلة بالتحدي ، تحدى الريف أنه قد ينبت من الجمال نوعا تنفاصر عنه المدن ... وتحدي الطبيعة أنها تأتي إذا أرادت بما لا يحسن أن يأتي بمثل فيهما تأتي له من قوة التخيل وعمق التأمل وبراعة الابتكار ... وتحدي الفقر أنه قد يبلغ على ضمت منزلة يتحرق النسي أن يلغها ولو يطلع رداءه والهبوط من سماه ، ثم من وراء هذا كله يرى الناظر ذلك السحر الذي يحس ولا يفهم ويعجب ولا يوصف ، ذلك السحر الذي يكون قصارى أمرنا فيه هتافنا به وأجنادنا إليه وإذعاننا له ولقد أحس على حينها وقت عيانه على هذا الجمال أول ما وقتنا كما نَحْنُ نَحْنُ له طيف أحلامه مكيلا يمشي على الأرض ، وهو لا يدري لها تعة على هذا الجمال سببا غير هذا السبب ، وكثيرا ما حده خياله للشاعر أن هذه الفتاة القروية من السحر ما لم ير في غيرها من بنات الريف أو بنات المدن

كان يحيل إليه أن هذه القسامة لن توجد في وجه غير هذا الوجه ، وكان إذا تأمل في تكوينه يحار أي أجزاءه بث فيه تلك الفتنة الأخاذة وهاتيك الطلاقة الرائعة ، أما هاتيك العيان الساحبتان الدججوان ، أم هو ذلك النغم اللطيف الذي ترف عليه أحلام الصبا ويحتلج في بساتنه عذاب التي .. أم هو ذلك الأنف الذي يراه وكأنما صيغ لينسحق في هذا

من أن يتقدم بالزنى إلى فتاة لا يحسبها تزيد في المرتبة عن خدمته ، فتشيع بوجهها عنه ولا ترضى له مقاماً ، ثم إنها تظهر الجفاء على غرة فلا تحفظ الجليل ولا تذكر ما كان بينهما من مودة ولا ما كان منه على بد ما بينهما في الدرجة من ملاطفة وإحسان و زين له شيطانها أن بعض الحاقدين قد سى بينها وبينه ، فود لو يعرفه ليدقه من بأسه وليرى عاقبة نطاوله ثم ليربها معه ، يبلغ ماله من جاه وسطوة وليفهمها أنه إن عفا عنها فما ذلك إلا لضعفها وهوان شأنها عنده

وتطوف برأسه فكرة تمديه وترميه فهي قد آثرت عليه غيره ؟ وهذا الذي باتت تؤثره قد أخذ عليها العهد ألا تكلم الناس وعلى الأخص لا تكلمه هو ، وإلا فهو لن يعرفها إن فعلت ... وهي إنما تنفذ الآن ما أمرها به لا تهاون فيه ، وما أشد ما يبقظه منها هذا الاذعان لصاحبها وهو لا يراها . أفا كان منها كلمة ثم تطلق في سبيلها ولا تفجأ هذه المراجعة الشنيعة الوقة ؟

ثم إن الفتى يفرغ إلى النوم من هذه السواس فيطفيء المصباح ، ولكنه قبل أن يذهب إلى سريره يطل من النافذة على القرية المراجعة ، وقد غاب القمر ، وما يلبث أن يتسمر كأنما هو يسخر من نفسه ويضحك من أوهامه ، وكأنما يلقى بأفكاره في هذا الفضاء المنبسط أمامه والذي تكتنفه الظلمة فلا يراه وإن كان يعرفه ...

سخر من نفسه أن كان يحمل كل هذا المم من أجل فتاة قروية ساذجة فقيرة ؟ ورأي المسألة أهون من أن تكدر عليه صفو أجازته ، فانه إلى الراحة في هذا الصيف أشد حاجة منه في كل ما سلف من الأعوام ، لما كان من نصيبه في الاستعداد لامتحان . ولن يفرج الأمر فيما يظن من أن يكون أبواها قد شحما عليها التنظيم أو طبع غيره من شباب أسرته

نظرات التاشات في الحرير والورد ، بل لتكون
أكثر عزة لأن فيها عفة هي مع الفقر غاية اللبل
هكذا كان نصيب جارية من الحسن ، بحيث
لو جعلوا في الريف ملكة للجمال لاستويت هي على
عرشه ، ولكانت وهي في عرشها المتخذ من
الصفصاف والسعف والكافور والسعد ، أسمى منزلة
في الجمال من كثيرات تربين على عروش الذهب
والدمقس

وكان على يستشرف للحادية والمشرين وهو
في القرية سيد ابن سيد ، لأسرته الرياسة والحكم
فيها منذ أكثر من مائة عام ، وقد انحصرت الرياسة
في هذا البيت لا عن جيروت وبطش كما هو الشأن
في كثير من البيوت في الريف ، ولكن عن كرم
محدد وطيب عنصر وسماحة

ولئن لم تكن تلك الأسرة بذات ثروة واسعة
كثيرها من الأسرى في القرى المجاورة ، فلقد كان لها
من حسن سمعتها وعراقة أسهلها ما رفع قدرها في
أعين الأحياء والخصوص على السواء

وكان على يحب الفلاحين ويمظف عليهم ،
وكثيراً ما كان يجلس إلى جماعتهم يتفأون ظلال
الأشجار في أوقات الحجير وينمون بالهواء الرخي
على شفاف الترع في ساعات الأسيل ويسمرون على
جوانب البيادر في ليالي القمر ؛ ولقد أحبه هؤلاء
الفلاحون وأكبروه ، وما لبثت أن ارتفعت بينه
وبينهم الكلفة فصار كأنه أحدكم ؛ وهو في القرية
يحبس كأنما انقطعت الصلة بينه وبين المدينة حتى
كأنه ما خرج منها قطه ، وكثيراً ما كان يضحك بينه
وبين نفسه ، إذا تصور ما عسى أن يقوله شاب من
خلائه من أهل المدينة إذا هبط القرية وراه في جيلابه
الفضفاض جالساً في ذروة كومة من الرماد تحت
سرحة أو على بقايا حصير في معلى على شفة قناة ؛
ولكنه لن يعبأ بذلك ولن يرى شيئاً أحب إليه من

الجمال ... أم تري هو ذلك الخلد الأسيل للشرب
الصفحة من حرة الشفق ووضاء البدر ؟
الحق لقد كان مراد ذلك الجمال إلى هذا كله ،
وقد اختلف على صورة معينة اهتزت لها نفسه وجاوبها
روحه ، بحيث لو جاء على نسق آخر ما كان له
في قلبه ذلك السحر الموجب ... أضف إلى ذلك
سماحة ونضارة كانت منهما الروعة وكان فيهما السر
وأنما أرادت الطبيعة ألا يكون في هذا الجمال
نقص ، فأودعت فيها سر الأنوثة كأنهم ما تكون
الأنوثة وسوت هيكلها بحيث يكون بهجة في منظره
ثم هو في حركته نوع عجيب من الألحان الصامتة
التي تحبس النفس فيها وإن لم تقصد معاني الالتفاف
والتناسق والنظرف . ولقد كان على يشبه حركاتها
والتفافاتها بما يكون من حركات المهر الكريمة التي
لم تعلم شيئاً مما تبديه من رشاقها فهي تأتي به لأنها
هكذا خلقت ... وإنه ليراه من يمد بين صوبها
فيميزها منهن بمحركة أو التفتاة قبل أن تتحقق من
شخصها عيناه

وكان لها صوت تجمعت فيه كل معاني أنوثتها
وكل خصائص جمالها ، حتى لو قدر للمرء أن يسمع
ذلك الصوت دون أن يرى صاحبة لادل عليها دلالة
الصورة أو دلالة الوصف ... صوت كأنما يعلن
به الحب عن نفسه ثم هو يسوقه بعد دليل على سلطانه
وكان في سجاياها شيء من الكبر فوق ما كان
فيها من الدلال ... ولكنه كان كبراً تحبه النفوس
إذ تشمر أن مبته الاحساس بالتفوق والميل إلى
التساعى ، وما كان التبذل ليتفق وهذا الجمال ،
بل ما كان التواضع إلا لينال من عتفوانه وينتقص
من سلطانه ؛ وكثيراً ما استمتع على بهذا التكبر
لأنه كان يكبر فيه معنى السمو ، وإنه ليجب
ويطرب لتلك النظرات التي كانت تنبئ من عينها
وهي في أعمالها ، فلا تكون أقل أنفة واعتزازاً من

يسطف على أخبها، وهو نقي في مثل سنه، وكان أخوها يثنى عليه إذا جاء ذكره ويصف لأبيه وأمه طيب قلبه وتواضعه وسخاء يده. وعرفت جلية هذا السخاء بعد حين فيها كانت تبسبه له من الخضر التي كان يشتريها ولا حاجة به إليها فيقدها أضعاف ثمنها وهو مقتضب بهذه الوسيلة التي بها يستطيع أن يعطيها من ماله دون مخرج أو استحياء، وإنه ليدكر ما عراه من الاضطراب وعراها من الحياء يوم غير طريقته في السطاء لأول مرة فقال لها: « خذي هذا ثمنًا لتلك الخضر وهذا لك أنت »

واطأنت الفتاة إليه وصارت تحرص على لقائه على علم من أمها إذ كان يسرها سخاؤه؛ وما كان على يقين يده عنها قط وما كانت هي تردد أن تمد يدها لتتال ما يمنحها حتى لقد دعاه ذلك أن يحمل إليها من القاهرة بعض الهدايا كما آت إلى القرية، وإنها لتفرح بذلك أشد الفرح وما كان أشد غبطته وابتهاجه حين كانت تتقبل هداياه بقولها: « كثر خيرك يا سيدي. ربنا يجزيك لنا »

ذكر على ذلك حين رأى من الفتاة ما رأى من إعراض وسد؛ وأخذته حال عجبية من الحيرة والألم مما؛ وصار إذا انجم فكره إليها يفتازعه صريح من الصمغ والنضيب والمم والتأسي، وكثيراً ما كان يسخر من حاله ويرد ما هوفيه إلى الوم والخيال... ولكنه يعود فيسأل نفسه أهو يجب تلك الفتاة؟ فإذا أجابته نفسه بالنفي تساءل فيم إذا هذا المم ظه من أجلها؟ وماذا يهيم من إعراضها عنه وهي تهيم تطاولت لا تزيد حريته على خدمته؟ وإذا أجابته نفسه أنه يجبها ازدادت حيرة وراح يتساءل ماغرضه من هذا الحب؟ إنه لا يعرف السوء ولا يطبق حتى مجرد ذكره، وهو يسمر بروحه عن مواطن التواهي، ويقوي على عصيان الشيطان قوة قلما تتاح لمن كان في مثل سنه، كما أنه من خياله وحسه يسبح أبداً

أن يطلق نفسه على سجيبتها وكان لا يثيب عن القرية إلا ازداد حباً لها وتعلقاً بكل ما فيها، فإذا آت راح يتلى كل شيء حسنه لا يستثنى منظرهما هان أضره، وبخاصة تلك اللالاب التي كان لا يفتأ وهو غلام يثب في أنحائها ويرف كما يرف الفراش... تلك المسارح الخضراء في ظلال النخيل وحول أشجار الليمون والتاريخ في بستان أسرته... وهاتيك الظلال الواردة التي تبسطها خائل التوت على ضفة التربة الكبيرة في الحقل البعيد...

وكان على يستعجب معه بعض الكتب كل عام وكان أكثرها دواوين شعر وقصص، وما كان أعجب أسر هذا الفلاح الشاعر حين يقلب صفحات الشعر يقرأ نارة الفتي والتارة ليبرون في تلك القرية فيرى في كل شيء لمة واختلاجة تصور ما تنطوي عليه نفسه... إذ كانت متناظر قريته أعز عنده وأحب إلى قواده من كل ما عجب به الكتب

في وسط هذا الكون الذي ينسج بروائح الحنة وفي ميمة هذا الشباب التوثب المنفني، وفي نشوة هذا الخيال الشاعر، رأى على جلية وكان ذلك منذ عامين حين كانت في السادسة عشرة تسوسها يد الطبيعة وتفيض عليها من رونقها، وتبرز محاسنها وتوضح مفاتها

رأها الفتى فيجب كيف لم يرها من قبل، وما أسرع ما ناسى ما بينها وبينه من الفوارق، فصار يرى فيها خلاصة ما في القرية من سحر، وكأن جمال تلك القرية بكل ما يسع من المال قد تجسم فكان هاتيك الفتاة. بل لقد غدت عنده هي التي ثبت في تلك البقعة من الوجود كل ما يحبها إلى نفسه ويربطها بعشاهره

وحادثها فلم تمرض عنه أو تهيب من مودته. فكانت لا تزال غريبة لاهية، ثم إنها كانت تراه

ولكن ذلك كان قصاراه منها ؛ كان حسبه أن يتم بالجمال في صورة من سورة وفي نبط من أنماطه وأن يستمتع به استمتاع صاحب الفن بمثال من تمايله ، فما كان يرى فيها أكثر مما يراه في دمية من الدمى إلا أنها تتحرك وتنطق وتبتسم !

والآن تبتسم دميته وتغر به كأن لم يكن بينها وبينه شيء ! وما كان ذلك منها عن غضب فكثيراً ما رآها من قبل غائبة ، ولكنه يكن لم يري في ملاحظها وعينها من الماضي مثل ما يرى اليوم ؛ إنه يرى القطيعة سافرة جليلة بحيث لا يتجلبج فيها شك ؛ وهذا المم الذي ترسم على عيائها وتلك الصغرة التي بانت تغشاه وهذا السكون الذي حل محل الجذل والرح في طبعها ، إنما هي دلائل لا يغفل عنها إلاغراً وأحق . ولكن لتفضل جليلة كما تشاء أو كما يشاء لها صاحبها فهو لن يشغل بها نفسه بعد اليوم . ذلك ما وطد عليه الرزم

تجنب على طريقها فلم يمد يراها ، وأعرض عن أنحتها فلم يمد يدها إليه ، وخاصم أنها فلم يمد يدها عليها بحبايتها إلا بقدر ؛ ورأى أبوها أنه لا يتحرك للدفاع عنه إذ اشكاه إلى عمه المدة شك من المائتين أو إذا اعتدى عليه معتد من الفلاحين ؛ وحارت تلك الأسرة في ذلك أول الأمر ولكنهم ردوه إلى ما استقر في نفوسهم من ممان وما علن بحياهم من صفات ينمت بها كثير من الفلاحين في قرى مصر فوى الجاه والنقوذ فهم ، هما يتبين لهم عما ينهض دليلاً على عكس ما يعتقدون ؛ وإنهم يؤمنون بتلك الأفكار إيماناً كونه فهم ما تعودوا أن يدوقوه من البطش والجورم وأسلافهم طوال القرون وهم يملكون على تلك التربة لياً كانوا ويتنفسوا ولو كما تأكل وتنفس الدواب !

ومضى شهر من الأجازة وعلى لا يرى جليلة ، ولكنه لم يعلق أن يبقى حيث هو طول هذا الشهر ،

في عالم من الشمر والسحر لا يري فيه الجمال إلا على أنه وسيلة تتخلص بها النفس من هذا الطين وتتطلع بوحيه صوب السماء ، ولكن كان له في هذا الجمال الذي أسبغته الطبيعة على تلك الفتاة ، من ضروب الرحي وصنوف الالهام

وإذا كان هذا أمره فلم يبق من غاية إلا الزواج ، ولكنها غاية أبعد من السنتجيل ، فما زال سلطان العرف في مصر يضع بين الطبقات من الحوائل والمعوقات ما لا تكسره إلا ثورة جافة أو حطب قد تمدد حتى تبلغ القرون . وهل يجوز في عقل أن يقدم شاب من أسرة كآسره ، له مثل ثقافته ونظرة إلى الحياة ، فيمد يده إلى فتاة كنتك الفتاة التي ما عرفت سوى دارها وحقلها والتي ما رأت غير أهل قريتها من الناس إلا من يجيئون إليها من الباعة والشترين يوم السوق من كل أسبوع ؟ إنه لكي يفعل هذا لا بد له من أحد أمرين : السر ، وهذا غير مقبول ولا مقبول ولاطم له ، أو اللعن ، وهذا منناه في رأي الناس الجنون

وإذا كان هذا موقفه من جليلة ففيم إذا كان انصاه بها مدة عابدين ؟ وكيف يفسر تلك الصلة ؟ ألم يك يحرض على لقائهما فيجلس وإياها إذا جهما الليل وسترهما عن أعين الرقباء ويتم بمجدبها الساذج ساعة أو بعض ساعة ؟ ألم يك يمدد إلى المرور بحقلها الصغير مرتين أو ثلاثاً في اليوم الواحد كلما علم أنها هناك في بعض شأنا ؟ ثم ألم يك يحمل منبهره عصر كل يوم في طريقها إلى التربة لكي يراها تحضر بين أترابها من حاملات الجرار فلا يتحول بصره عن صدرها للناهد وعن قوامها المرفف الرشيق حتى تنيب عنه ، وفي نفسه نشوة قوية تهزه إثر نظرتها من نظراتها أو إثر إقسامه خفية لا تلبث حتى تطفئها وقد أطلع فؤادها أنه رآها ؟

ذلك كله حتى لا مهرب فيه ولا أثر لخيال أو دم ؟

وأقبل الليل فأقبلت عائشة فأشارت إليه بيدها وهو جالس أمام داره ، نفث إليها فأسرت في أذنه كلات ثم انصرفت مسرعة وجلس هو يفكر ، وفي نفسه نشوة كنشوة النصر

أمام دار من تلك الدور المتواضعة ، في دوزخ من الدروب الضيقة خلف « دوار » المدة ، اجتمع لعيف من الشبان لسباع « المواويل » يتنقن بها في سكوت الليل لإبراهيم ، ذلك الذي يقيم شباب القرية أبنا سار ويتحلفون حوله في كل سامر ، يتمنون أنفسهم تلك الأمان الحلو التي يرتجلها في يسر عجيب وفي رشاقة تسحر الأبواب ويدبرها على كل معنى يحظره أو يقترح عليه . وكان إبراهيم في تلك الليلة في حال من التجلي ارتفع بها عن مستواه ؛ فأقد كانت ليلة من ليالي عرس صاحبه حسن ، ولذلك اكتظمت الحارة بالجالسين حتى لم يبق فيها إلا ممر ضيق يسلكه القادمون في عسر شديد ؛ وكان أمام دار حسن في تلك الليلة « كلوب » وهاج يشيع الضوء في الحارة كلها ، لذلك لم تجلس الفتيات كأنموذج أن يجلسن إلى جوانب الحيطان فأوئن إلى سطوح الدور ليستمنن مسجورات طروب... وعلى سطح إحدى الدور الملاسقة « الدوار » المدة جلست عائشة وجليلة ؛ وكانت عائشة قد أغلقت باب دارها حتى لا يصمد إلى سطحها أحد من البنات .

جلست البناتان على حافة السطح ، أما إحداها فكانت مقبلة على إبراهيم تى مواويله بسمها وقلها وأما الأخرى فهي جليلة فلم تكن تسمع شيئاً وما هي إلا برهة حتى نزل شبح على سلم كانت وضته عائشة على جدار « الدوار » ، وغرقت عائشة صاحبها بأصبعها فأفاقت مرثاعة ونظرت فإذا هو على ...

ونفضتا للقائه فسار تابضع خطوات على استحياء

كما أنه لم يستطع أن يسافر فيميد كل البلد ، ولذلك آثر أن يذهب إلى حيث يقم جماعة من البدو في حقل لأسرته بميد فأقام هناك في شبه عزلة ، وهو يتسلل بحاجته إلى الهدوء والراحة والهواء النقي

وخطر له ذات صباح أن يعود إلى القرية فولي وجهه شطرها ، وسار حتى أصبح منها غير بعيد فلمحت عيناه سرباً من البنات كن عائدات من التربة ورأى فيهن جليلة فأثر أن يمشى على سهل حتى لا يدركهن ، ثم رأى إحداهن تتأخر عنهن فكاد يدخل في روعه أنها هي لولا أنه تبين أنها عائشة ، ومن عجيب أسره في تلك اللحظة أنه تأهب ليحذنها كأنما نسي غضبه وترفعه . ثم إنه أدرك عائشة فجثته بأصمته وحياها ، فرأى في وجهها وعينها أنها تود أن تقول شيئاً ولكنها تحار كيف تبدأ الحديث فبدأ هو يسؤالها لم تخلفت عن صاحبها ، وكأنما فتح لها هذا السؤال باب الحديث على مصراعيه فأجابت في خفة وفي خبث :

— عازله أقول لك كله يا سيدي

— قولي

— رأيك من بعد فأجبت أن أكلك فأنا من

أيام أريد ذلك

— وهل رأيته وحدك ؟

— لا . رأيته كنا وجليلة في الأول

— لا . لا أحب أن أسمع اسمها أو سيرتها

— كيف وهي دائماً تذكرك وتشكر

— كاذبة .. كاذبة ؛ قائليني فيما بعد ... قائليني

فيا بعد

وأسرع على في مشيته وترك عائشة في حيرة شديدة واضطراب ؛ ولم يتوقف أو يعطى حتى يبلغ القرية فأسرع فدخل منزله ، وصرحت عائشة بعد برهة وفي وجهها كبرة من أثر الخيبة ، وذهول مما فعلت به الدهشة

ياكية وهو يصدها، وأما من قريب تدعو عليه دعوة
ارتاح لها فؤاده ...

وأخذت الأيام تنصرم، وكان على ربي صاحبته
من بعد إذا ساقته إليها المصادفة، وكانت إذا أمنت
الريب تدنو منه فتحييه باسمه وبجيبها ... ولكنه
لم يمد ربي في وجهها شيئاً من تلك المعاني التي
يفهمها العاشقون باللمحة الخاطفة دون حاجة منهم
إلى لغة الكلام ... واكتفى على بذلك، وكأنما هان
أمر تلك الفتاة عنده، فلقد استثمر الراحة بعد
تضرعها إليه وبكائها بين يديه في تلك الليلة التي
لا ينساها؛ وكان إذا لمس يدها في نفسه هاجس
أنها تحده، وأنها تحب فتي من طبقها حاول أن
يرضى بذلك، بل لقد سوره قلبه أن يكون قصارى
حبه لها العمل على إسماعها ما وسهه الاسماء، وكان
يسأل نفسه كلما ذبت الليرة إلى قلبه: ماذا يريد منها؟
وماذا ينتظر سوى أن تحب فتي على شاكلها تأمل
من وراء حبه ما تأمله فتاة في مثل عمرها؟

وأوشكت أجازته أن تنتهي فلم يبق منها إلا شهر
أو نحوه. وأقبل الخريف السمع على القرية يمسح
عليها بكفه وينفضها بأنفاسه، وغصت الطرقات بين
الزارع في البكر والأصاال بالبنات والعصبة يسرون
جماعات إلى الحقول ويمودون منها بعد جمع تلك الثمرة
البيضاء الناعلة التي ما زال الفلاحون يلقون عليها
الآمال كل عام على رغم ما لحق بها من كساد وما
أصابها من بوار. والمزارعون يمودون بالقطن في
الأعدال فيكون في منظره وهم يدخلون به القرية
فرحة السمة ويشير الخبير، وإن كان منهم من ينسئ
على القطن وسينيه «الل يفت زى الوقت»

وكان بمحمد من أبناء القرية وبناتها عدد كبير
لجمع قطن الممدة وأسرته، فبذل على كل ما في وسمه
لكي تكون جليته بين هؤلاء فيحشدونها وتحده
ولو مرة قبل أن يسافر، وما لبث أن تذكر أن أباهما

قد يده دون أن يتكلم وأخذتها عائشة فقبلتها،
وأبحت جليته تلثمها ولكنه شدما سريعاً وجلس
فجلسنا أمامه ...

ولم يدر أول الأمر ماذا يقول، ولكنه داعبهما
مشيراً إلى ما يسمع من معاني الحب ترخر بها
أغنيات إبراهيم. ثم أشار إلى عائشة من طرف
حتى فطلبت إلى جليته أن تنتظرها برهة ريثما تعود
وتزلت إلى فناء الدار ... فلما انفردا قال لفتاته:

— أهكذا يصير ما بيننا؟

— لا شيء يا سيدي، أنا خادمك، وسأبقى
خادمك. أنا «غلبانة» والناس يهيموني إذا ...
أعني أخاف أن «يميل بختي» .. وأنا أحلف لهم فلا
يصدقوني، أبداً لا يمكن أن أرى مثلك وسأبقى
طول عمري أحلف بميثاكتك. بس أنا خائفة من
«ميلة البخت»

— وماذا أردت من مقابلي؟

— أردت أن أعير إليك وأرجوك أن تنساني
فأنا خادمك يا سيدي فلا أستحق أن يهتم بي مثلك
إني لن أنساك أبداً ... أبداً ولي عندك يا سيدي
مسألة: ابن عمك سيدي محمد يريد أن يحجز على
الجاموسة في نظير الإيجار المتأخر فمن أجل خاطري
قل له ينتظر حتى يفرجها ربنا الله بحملك لنا يارب.
وأجهشت للفتاة، ولكنها كتمت بكاءها
خشية أن يسمعا أحد، واستجمع على قوته وأخذها
بين ذراعيه لأول مرة منذ رآها وضماها إلى صدره
وأحس بدموعها تبلل شفتيه، ثم همس في أذنها
قائلاً: «لا تخافي فلي يحجز عليك أحد وأنا
موجود ...» وهم فصمدا على السلم وتركها وحدها
في حال أشبه بالانغماء، وأوى إلى مضجعه وهو
لا يدرى إن كان موقوع حقيقة أم كان في حلم؛ ورأى
تلك الليلة فيما يرى النائم أن جليته أمامه تتوسل إليه

ربيعهما لولا بقاها من فتور ذاتها ملاحه وسحراً ؛
وقام بنو الأعمام متظاهرين أنهم يقتشون وراء
الخلوى وأعوانه ... وكان يذهب كل منهم إلى حيث
كانت جليلة يجمع القطن فيحيبها ويلاطفها وهي
لا يجيب إلا بإبتسامة هادئة ... أما محمد فربها وفي
عينيه شر وفي وجهه عبوس وحزن

وحاول على أن يذهب كما ذهبوا ولكنه بقي
مكانه متردداً ؛ ولقد كان يخيل إليه أن الأنظار جميعاً
لا بدأت تنجس إليه إن هو فعل وهو لأقبل بالتميزات
تبادلهما الخبيثات من اللبثات ؛ وعلى الرغم من أنه كان
يدرك أن موسم جمع القطن موسم تطلق فيه الحرية
بعض الناس ، فقد بقي مكانه لا يتحرك ؛ وكان يكتفي
بنظرة من عيني صاحبه كما جاءت إلى « الفرش »
على رأس الحقل لتضع فوق كومتها ما جمعت ...
على أنه كان يتدبر أحياناً لندرة عيبتها ، ولأنها لا تأتي
إلى التزعة لتسرب كما يقبل غيرها كأنها لا يحب أن
تبادلها النظرات ، وكأنها إنما تأتي لتضع القطن
حسب ...

وجاء في من القرية يدعى أحمد طويل القامة
أبلج الجبين ، طلق الحيا ، في عينيه خيث وفي نظره
جراة وذكاء ؛ ودخل بين الخدم ولم يدعه أحد وراح
يجيب « الطليات » في خفة وسرعة ويؤدي ما يطلب
منه في لباقة عجيبة ، حتى لقد سار لا ينادي غيره ،
فهو طوراً ينقل الفرش إلى الظل ، وطوراً يصنع
الشاي ويدبر كؤوسه ، وطوراً يشغل نفسه بأعداده
الطعام ...

وفي الظهيرة خرجت العاملات بطمن ويتلمسن
في ظلال الشجر مقبلات ؛ وبسعت كل منهن خرقه
فيها طامعا ، وجلسن يأكلن على ضفة التزعة وقام
على فرهن ، ونظر ماذا تأكل جليلة ، فلم يجد على
خرقتها غير الخبز المتخذ من الدرة ؛ وقطعة من الجبن
وبعض الملح ، وراعه سفرة قائمة تمشت في وجهها ،

مدن لأن عمه فلتممل أياماً نظير جزء من هذا
الدين وليضعف هو لها الأجر سراً ، ولجا إلى
صاحباتها فحين إليها ذلك كأنه من مدين حتى قبلته
من أجل أبيها ؛ وسر على بذلك وأخذ يتقرب في شوق
شديد ...

وحان يوم الجمع في حقول الأسرة وخرجت
جليلة مع « القافة » كما يسميها الفلاحون في هذه
القرية ، ولقد جرت المادة أن تكون على رأس كل
قافة امرأة تتمهد يجمع البنات تسمى « شيخه »
القافة ، وقابل على « الشيخة » في الليلة السالفة
وأوصاها بمجيلة وشدد عليها أن تتأكد من
حضورها كل يوم

ولم يشأ أن يذهب على أول يوم إلى الحقل إلا عند
الأمصيل ؛ ولقد استطاع أن يحمل على الصبر نفسه
طول النهار ، ولما ذهب وجد عمداً زين للبنات لكل
ما جمعت ويكتب ذلك ابن عم أخرق كراسة ، ووقف
على ينظر فلما جاء دور جليلة أبصر عمداً يداعبها
ويطيل في مداعبتها ولكنها لا ترد إلا بإبتسامة خفيفة
ثم تدير وجهها عنه ؛ ورأى على أن ذلك يؤله وإن
كان يخفى ذلك الألم ، فأوجس في نفسه خيفة عليها
فما كان محمد بالذي يرعى أن تتكبر عليه فلاحه وهو
الذي يخشى الرجال والشباب بأسه ويتوقون جرائه
وبطشه به النساء والبنات

وفي اليوم الثاني بكر على إلى الحقل في رفقة من
بنى أعمامه فسبقوا إليه القافة ، وقد حل الحادون
لهم سجادة ووسائد فرشوها تحت شجرة ؛ ولم تك
ترتفع الشمس على الأفق حتى أقبلت العاملات ،
وزلت كل واحدة في خطها ، وبمد ساعة أو نحوها
خرجن بـ « الرش » الأول ووضعت كل فتاة قطنها
في كومة ...

وكانت جليلة في ذلك اليوم فتنة الحقل وبهجته ،
عادت إلى وجهها نضرة وبشاشته ، وعاد إلى عينيها

مقربة منهما رجال لهم الظلام وقد هجعت القرية ،
وتقدم أحد الرجال فهمس في أذن محمد وعاد إلى
موضعه ، وغمر محمد الخفير ، فسحب حماراً ومشي
به خطوات وقد أقبل نحوه شيخ فلما سار أمامه
أسكس به وتنفخ في « سفارة » ويجمع الرجال
وقد هب بعضهم من النوم ، وجاؤا يستفهمون
فوجدوا أحمد يساق إلى « دوار » الممدة لأنه
سرق حماراً من زريبة البستاني

وشهد الشهود وكتب المخضر وسبق السكين
إلى « نقطة البوليس » ، وأصبح حديث القرية
كلها في اليوم التالي . وراحت جلييلة تبكي حظها
الماثر فلا أقل من ستة أشهر يقضيها قناها في
السجن كما يخبرها بذلك المارفون ...

وعرف المدة حقيقة الأمر ، فداها أبا الفتاة
وأما ، وأسرهما في لمحة سارمة أن زوجها من
ابن خالتها إسماعيل خشية أن يفتضح أسرهما وأن
يتقول عليها الناس الأفاويل ... وحينئذ بالآذون بند
ساعة وأرغمت البنت إرغاماً على القبول فأعطت
« التوكيل » وإنها لنوشك أن تموت من التقيظ
والحسرة ...

وسافر على بعد أيام ولو أنه بقي لرأى مكان
جلييلة فتاة غير فتاته التي أحبها . لو أنه بقي لرأى
بقايا هيكل من جمال وسحر ، ييمت منظره اليوم في
النفوس من حسرة وألم يقدر ما كان ييمت فيها
أمن من نشوة وثقون ، وهل كان يقوى على رؤية
جسمها الناحل المزيبل ووجهها الذي يلوح عليه
شيخ الموت ، وعينها اللتين أصبحتا تبران عن
الألم والوعدة ؟ حسبه ما يؤرقه إذا أراد النوم ،
وما يشغل باله من ثم كلما ذكر ذلك الحلم الذي أفاق
منه على توسل جلييلة ودعوة أمها

الخفير

ومضج من الدهشة والخوف يتخلج في مجيها . . .
وكانت قد بسطت مائدة الطعام وباحت حول
الصينية النحاسية الكبيرة بنو الأحماس ، فنادوا
عليها جلوس وأخذ من الطعام جزءاً بيده وندى
إحدى الخادومات فأمرها أن تذهب به إلى جلييلة ،
ولم يبال في تلك اللحظة ما ارتسم على وجوه الجميع
من دهشة وسخريّة ، وتلفت فلماذا رأى ؟ أيمكن ذلك ؟
ها هي ذي جلييلة تريد أن ترفض ممتددة ! ولا حظ
عليها أنها تعد بها تارة وتستردها نظرة إلى أحد
وهو يحجبها حجب اللامة ، ولكنها لم تستطع آخر
الأمر إلا أن تأخذ الطعام فتضمه أمامها . وصربها
أحد بمد برمة وقد جل إليها بعض الحلوى مما بقي
على المائدة فأخفها مطرقة وفي وجهها ووجهه من
الماني ما لا يخفى على أحد

إذا لقد انكشف الأمر ؛ ولكن ليتها ما انكشف !
لقد تزد وجهه على وأظلمت في عينيه الدنيا ، وصارت
تأكل الفتنة قلبه ، وعبثا حاول أن يهدي نفسه ،
فلقد غابت عنه فلسفته ؛ وذهل منطقته وتبدد حلمه ،
أوتبيمه هذه الفتاة من أجل أحد ؟ وكيف اجترأت
على خداعه والمكر به ؟ ألا إنه لمدود فرغم إنه
لماحق أحق . ذلك ما كانت تحدسه به نفسه ؛ وفي تلك
اللحظة التي يعمى الحقد فيها البصائر ، حدث على
محمد حديثاً ، بأشؤمه من حديث !

انقضى اليوم ، وسار البنات تلقاء القرية ،
وركب على دابة لتعود به فلما كان مما به من ثم يقوى
على المشي ، وكانما أرادت الظروف أن تكيد له كل
الكيد فيها هو ذا يرى جلييلة وأحمد تحت شجرة
يتناجيان ، ولما رآه الفتى من بعد أسرع الخطى
واخترق ... واخترقت جلييلة ولم تعد بمد بلج القطن
أهضت أيام وفرغت القرية من جمع القطن ،
وشغلتها فتور الحريف وطافت بها طيوفه .. وفي ذات
ليلة كان يقف محمد وإلى جانبه أحد الحفراء وعلى

عروس الماء

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْإِسْتَاذِ دُرِّي خَشَبَةِ

وكان النسيم يذأب شعرها
الأسود الفاحم المتدودن ليسرق
عطره، وينشره في ذلك الكون
المظلم أرجاً يمتش النفوس
بالأمل، أو يكون للضالين قبسة
من سيناء !
تري لماذا أرسلت هذا
الهدار الأسود الحزين، فوق تلك

كانت تجلس وحدها على سخرة فريدة من تلك
المخور الوردية التي تشرف على هذا البحر القديم
الكرام المقدس، بحر اللزيم كما كان يسميه العرب،
أو البحر الأحمر كما تسميه الطبيعة وللشعر، لأنه بحر
الزبرجد والمعتيق والمرجان، وبحر الجبال والدكريات
والجوارى اللنشآت !

الشفوف البيض الحمرية ؟
تري لماذا جلست وحدها فوق تلك الصخرة
الفريدة النائية من السويس، في تلك الساعة التي
توشك أن تنام فيها الطبيعة ؟
كل شيء ساكن هادي، إلا خور الماء
ورشا للثجج

وكانت الشمس تهبط إلى الأفق، متأججة في
السحاب النثرة في سماء السويس الساحرة، فتوش
أدغالها بالشقق، وتثر في اللجة دناير الذهب،
وتسكب في حواشها ذوب اللجين ... ثم محور
الطبيعة كلها هيكل تلك الزاهية الصامتة، الجالسة
فوق الصخرة الفريدة تفكر ساعمة، وتعلل من
جمال الله ووحدانيته، وتبده في هذه الآثار الجليبة
الجليبة السكالة التي أبدعتها يده، ورأها قدرته،
فهي عندها الدليل عليه، والوسيلة إليه ...

الشمس تلج أبواب المغرب، والبدريذ من
يبين المشرق ...
الشمس تنعم كتاب النهار ... والبدريذ
أنشودة الليل ...

فيا ترى لم جلست هذه الحساء وحدها
هناك ... فوق تلك الصخرة الفريدة ؟
فهم تفكر ؟
أوه ! إنها تبكي !!

يا الله ! ألا ما أجمل الدموع في عيون المنذاري ؟
ألا ما أجمل المنراء تبكي وحدها في دنيا جميلة كهذه
من شفق وينفجج ونسيم وبر وبحر وأرض وسما
وليل مقبل ونهار مول ؟

فهم تبكي يا ترى ! ألا أغلى هذه الدموع التي
تنسكب من هذه العيون !؟

إسمى يا طنبية ! إن عذراءك تنفي :

وكان النسيم الرخي يهب في أنفاس الغرب كأنما
عمره هزة من ذكريات موسى حينما لج العصرة الجميلة
الرائحة تشرف على بحره القديم الكريم المقدس فيكاد
يكون فرقيق ليعوض بينهما قلب بمصباء دره،
وتلمو بمكنون مرجاه ...

كانت تنظر بعينها التجلاوين في الوج المضطرب

وجه حزین، ید أنه جمیل فتان رائع .. وجسم
شفه الوجد وأضنته الأحزان، ید أنه أهیف مشوق
یتلی ... وثوبان، أما أحدها فأیض كالنهار
وأما الآخر فأسود كاللیل، یتبدل فوفعهما شعر فاحم
خلق الحب ولم یخاف للأحزان !

وعجب علوی لثناء الفتاة، لأنه كان یتشقق عن
نفس باکیة، وروح وفیة، فی صوت بللته الدموع،
وأفاس صهرتها نیران الألم، وعاطفة مكبوة محبوسة
لا یتفرج عنها الشدو إلا قلیلاً

ثم صممت الفتاة فجأة، لأن القرص المذهب أخذ
یستتر رویداً وراء الأفق؛ ونفت ثوبها الأسود
فی هدوء وتؤدة، وترعت حذاءها، وكشفت عن
ساقها، فاختلط بیاض الحریر ببیاض اللحم الوردی
وقبل أن یمتیق القرص المذهب كله ... أو حین
لم یتبق منه إلا هذه البضیة التي تمسك الجرح فی كف
الأفق ... تجمدت الفتاة من ثوبها الأبيض كذلك
ثم وقفت هزولاً من عرائس الماء مادة ذراعها نحو
البحر ... وهبطت إلى الماء فجأة فناحت فیهِ

وأفاق علوی من الطسم الذي سحر قلبه حینما
شهد الفتاة تتجرد من ثوبها، وذكر أن هذا الجزء
من الشاطئ هو أخطر الجهات للاستحمام، لكثرة
ماه من الصخور المؤذیة، وما بأوی إليه عادة من
حیوان هذا البحر لیستخفی فیهِ ... وإن تكن تلك
خرافة انتشرت بین أهل السويس، لم تؤیدها
حجة، ولم یتم علی حجتها برهان.

ذكر ذلك علوی فبرز من غبته علی مجل ...
ونضائیاه علی مجل كذلك، وكانت فكرة جدیدة
من ألوف الأفكار التي ترد فی الخاطر فی مثل تلك
اللحظة تزيد فی مجلته، وتضاعف نشاطه، حتی

«ما أقسامك أبها البحر، لم قتلت حبیبی؟»
إنها تسرد مأساة غرامها، وها هي ذی تنغم من
بحر موسی ما أطیق موجة علی ابن فرعون !
مسکينة أبیها العذراء، لقد تخضب مرجان
البحر بدماء حبیبك، وتفتحت أسدافه تتلقف
أفاسه لیکتسب الدر سنامها !

كان علوی یدرع رمال الشاطئ فی هذه الهدأة
الرائحة من مغرب السويس، حینما لح الفتاة الباکية
تجلس وحدها فوق الصخرة الفريدة، ترسل فی أطباق
الوج نظراتها المندأة

لقد أحس للشباب باطافة قوة تجذبه إلى حین
جلست الفتاة، فهول كالشبح بین الکتابان الناعمة
حتى كان قلب قوسین من صخرتها، تجلس فی کن
یسلم إلى بكاها وغنائها، فاذا البكاء والثناء قصة
حب دامية، وإذا الفتاة قد أقبلت من جهة بیدة
نالیة تصلی من أجل حبیبها، وتذرف الدموع حارة
سخینة علی ذکراه !

ولقد كان علوی ینظر إلى الفتاة من کنهه،
فیراها ملاکاً نورانیاً صورته ید القدرة فی نسیم
البحر الأحمر، أو طیفته فی أدم سماءه؛ وكانت
جلستها جلسة شمسیة، لأنها لم تكن تلفت حولها
یمنة أو یسرة، بل كانت تثبت عینها فی لجة واحدة ..
وتبکی ! وبكاء عذراء تجلس وحدها فوق صخرة
موحشة من صخور هذا البحر، فیء یتیر الفضول
فی قواد العابر، وخاصة إذا كان فی مثل شباب
علوی للشبوب

لقد لح علوی جمالاً یتیر الألم فی النفس ...
جلالاً غامضاً من ذاك الجمال النادر الذي یخلق الله
كما یخلق المعجزات

قرية من سطح الماء، قوف فوقها مهبو كما مكدوداً،
لا يكاد يسلك نفسه من التعب
وكان القمر الصرعى الجليل قد أخذ يسكب قننه
فوق الكون المهاد إلا من جرجرة اللوح حول
الصخرة التي وقف فوقها علوى الحائر ...
فيأترى؟ هل يسخر القمر بملوى، كما سخر
به البحر؟!

أين الفتاة يا ترى؟

لقد راح للسكن يبحث عنها بينيه الرمشيتين
في آفاق الماء ... لكنه لم يجد شيئاً، غير لجة عند
لجة عند أخرى ... !!

هل غرقت؟

ولم لا يكون ذلك؟

إن هذا بحر تترق فيه الجن، فما بال فتاة طرية
حزينة كمود القصب الرقيق؟

أخذ علوى طائف من الجزن والوجوم وأخذت
الوساوس تمصف في قلبه، وشعر كأن كزراً بأكله
من السمادة والمناة قد أغلت من يديه .. وراح وهو
فوق الصخرة، وحوله هذا اللوح المفترس، يستعيد
رجع التناهد الذي ملا أذنيه فوق الشاطئ، فلا يذكر
أنه سمع مثله فيما حاش حلاوة وطلاوة ولا سحراً ..
ولا إجماعاً كذلك!

وطفق يتحدث نفسه حديثاً طويلاً مؤسياً ...
« وأأسفا عليك يا فتاة؟ ليتك عشت لي؟ ليتك
عرفتني قبل أن تاتي بنفسك في هذا اللج الصخاب
هل حسبت أن الدنيا أقفرت من القلوب بعد
حبيبك؟ أي قلوب العالم لا تنتفض كالهمر لتنتشق
أنفاسك؟ هللى إلى من الماء يا عروس الماء! عودي
إلى الحياة فعي أحفل من قاع البحر بحبيبك

لأوشك أن يرتبك وهو يخلع ثيابه، فكان لا يبالي
تقطيع أزراره أو تمزيق إزاره ... ذلك أنه حسب
أن الفتاة قد فلتت فملها لتنتصر، وقد كان غناؤها
الحزين يعني ذلك، لأنها ذكرت أن تلك اللجة في
ذلك المكان عند هذه الصخرة، كانت قبر حبيبها
الذي غيبه البحر في أحشائه، غير راحم شيا به ...
لذلك ارتبك علوى ارتباكاً شديداً قبل أن يقذف
بنفسه في اليم لينفذ الفتاة الجيلة الباردة التي ضاقت
بها الحياة بعد حبيبها، فبادرت إلى الانتحار في
السكان نفسه، وفي البحر نفسه، وفي هذه الهدأة
الرائمة من مغرب السويس نفسها

وسبح علوى ...

ثم سبح ... بيد أن البحر الذي يخضع للشد
الحسان النوام، هو البحر نفسه الذي يأتي أن
يقهره أحد من ذكران البشر، ولو كان فرعون
ومن وراء فرعون جنوده! لذلك لم يدر علوى لم
نار اللباب حوله وقار، وأصطخب اللوح وأرغى الربد
وهزى الشاب الفتى أول الأمر، ثم مضى في
سباحته قدما، غير أن البحر هزى هو أيضاً،
ثم جرجرت حول علوى أمواجه، وأزبدت من
فوقه أنباجه، حتى غدا الليل في عينيه ليلين،
وإن كان للبدل السافر قد سار هو الآخر في روعة
بدرين، بدرأ في السماء وبدرأ في الماء!

وحجب علوى لطيفان البحر وشدة مراسه،
ورجع بذكرته إلى ألوف المرات التي خاض فيها
عبابه، فلم يذكر أنه عتا مثل هذه المرة، ومثل ذلك
المتو ...

ثم سبح ولم يبالي ...

وبان بعد إعياء وبعد جهد، جزيرة من الصخر

— أنا ... أنا ... علوى ؟ وأنت ؟
 — علوى ؟ ... من علوى ؟
 — أجل ... أنا علوى ... أنا والله علوى الذى
 كاد يهلك فى هذا الباب من أجلك ! ألا تريد
 أن تذكري اسمك ؟ إذن لماذا كنت تكيين ؟
 وبرزت الفتاة من الماء فوقفت فوق الصخرة ،
 وراحت تقلب فى وجه علوى عينيها الحاليتين ...
 ثم أشاحت فجأة ، وصرخت قائلة :
 — كلا ... لست أنت علوى ... هلم حلم ...
 هذا ... باطل !
 ثم أهرعت إلى اليم فأحملت فيه ذراعها
 ولم يتوان علوى ، بل قذف بنفسه فى اللجة ،
 وانطلق يسابق الفتاة إلى الشاطئ ... وقد نشط
 هذه المرة ، وندقت القوة كالحديد فى أعصابه ،
 وأحس كأن الماء الذى كان كالناجى قبل لحظة ،
 قد صار حزاماً ساخناً
 وبالزهر مما عراه من جأ وتلف ، فقد ذهب
 بأكل هذا الجمال المأمم بينيه الجائعتين ، وبغلا
 رقبته بذاك الأرج الذى أخذ يتضوع بالحب فوق
 البحر ونحت للقمر ...
 وكان علوى أسبق من الفتاة إلى الشاطئ ،
 فوقف عنده ينتظرها ...
 وقالت له وهى فى الماء
 — إذا أنت ظلت واقفاً هكذا فساعود !
 — تبودين ؟ وإلى أين ؟
 — إذهب أرجوك !
 — بل اخرجى وأنا غداك ... إلى أهيك
 حيانى تدير فى كباك حتى تبائى بأمن المدينة !
 — أشكرك ... لا حاجة بي إلى أحد !

والفرحين بك ، وعباد جمالك ! إن حبيك الذى
 تحسبته قد نوى كالمز فى أسداف هذا اليم ، هو
 هنا ! هنا ، فوق هذه الصخرة ، وهو يكلمك الآن ،
 إنه ليس هناك فى القاع يا فتاة فعودى إلى
 الذى لا يعرف اسمك ، وإن كان قد انطبع فى فؤاده
 رسمك ! عودى فإن فى قلبك جنة موشاة بأزاهير
 حبك ، وهى فى حاجة إلى الأنفاس البقية التى ردها
 فك الجليل للشاوى ! لم كرهت الدنيا وشيكاً هكذا ؟
 ألا أن قلباً واحداً من ملايين القلوب التى تخفق
 بحبك قد أودى ، فانك تهجرين الدنيا من أجله ؟
 أو قد كنت تخلصين له إلى هذا الحد ؟ ما أسعد
 حياً وميتاً ؟ ترى من هو يا فتاة ؟ أو هكذا تحسبن
 حلاً فى خلدي بمد إذ كنت حقيقة ملء ناظري ؟
 وكان الريح قد هدأ ، والوج قد تظامن إلا قليلا
 والبرد قد ارتفع بضمة أمتار فوق الأفق ، وكان
 علوى قد بنس من المشور على الفتاة ولو جثة هامدة
 تغفو على اليم ... وكان قد سرى فى كيانه رعشة
 من البرد والحزن والخوف ، فاعترم أن يعود إلى الشاطئ
 وقبل أن يخوض الماء ، سمع خلفه هاتفاً
 يقول : « هل السيد فى حاجة إلى معاونة ؟ »
 وتلفت علوى مذهولاً ، فرأى الفتاة مسقة
 بنتوء من صخرته ، وجسمها الجليل يلعب فى فضاء
 القمر ، تخفق قلبه خفقة شديدة لهذه المفاجأة ثم قال :
 — أهى أنت ؟
 — ... ؟ ...
 — ألم تفرق ؟ أما ترأين حية ؟ ما أسعدنى !
 — ماذا ؟
 — لقد كنت أهيئ قبل لحظة من أجلك !
 — من أجل أنا ؟ ... من أنت ؟

كالجملة من فوق صخرتها واقتربت حتى كانت تلقاه
ثم وقفت صامتة ساكنة ولم تحرك ...
ومد علوى يديه للتداعيتين بالفوطة آخر الأسم
ثم قال :

— أشكرك !

— وأين ثيابك ؟

— وراء الصخرة السميدة !

— الصخرة السميدة ؟ ماذا تعني ؟

— الصخرة السميدة التي كانت تحملك إذ أنت

تبيكين وتشتين !

— أوه !

ونهدت الفتاة فكانت فوق الصخرة ، ثم
استدارت حولها . فاكشفت للكن الساكن
حيث ملابس الشاب ، وحيث كان يجثي ويسترق
السمع . والأنين . والبكاء . والسر !

وعادت تحمل ملاسه جيما فوضتها على الرمال
تلقاه ثم قالت له : « هذه ملابسك فينبي أن
تلبسها وإلا عرشت نفسك لظلم البرد . أما فوطتي . »
ولم تكمل عبارتها ، بل أطلقت ساقها لتسم
البحر فكانت فوق الصخرة ، وحات حقيبتها
وانطلقت لا تلوى على شيء ...

وجفف علوى ما تبقى على بدنه من قطر ، ثم هرول
فوق الشاطئ وملابسه في يده ، وانطلق يبدو
في إثر الفتاة ... وكان مع ذلك يدس إحدى ساقيه
في جزء من سرواله — أي يتناول — ثم يخطو
فيتنقر ، ويقف فيدس الأخرى في مكانها الآخر
من السروال ، ثم يبدو ... ويدس ذراعه في كم
القميص ، ويهبط ، ثم يدس الذراع الثانية في الكم

— وكيف ؟ إن هذا مكان موحش ، وإن
الطريق لفقر ، ولا بد أن أحبك إلى الدينة ...
أو إلى حدودها على الأقل ! أنرفين لم تزل وراك
إلى البحر ؟

— لتشرق ؟ أليس كذلك ؟

— بلى ! لقد كدت أعرق والله !

— لقد رأيتك تجاهد الوج ، ولولا أنك كنت
قريباً من الصخرة لأتخذتك ... فاذهب مشكوراً
إذن !

— ولكنك تضرين نفسك بالبقاء هكذا

في الماء . فلم لا تخرجين ؟

وبرزت الفتاة من الماء فاززل فؤاد علوى ...
ثم توابت كالقطاة فوق رمال الشاطئ حتى كانت
دون الصخرة ، قفزت قفزتين أو ثلاثاً فكانت
فوقها ...

وانتدت تفتح حقيبتها فأخذت فوطة فمسحت
بها جسمها البض الرقيق ... وهنا ... نظر إليها
علوى وهو فوق رمال الشاطئ ينتفض من برد
الليل ، ففهمت سؤله ، وقذفته بالفوطة فتلقفها
باسم ، وبدلاً من أن يحفف بها جسمه الرقيق ،
دس فيها وجهه ، ولا يعلم إلا الله ماذا كان يصنع ،
وأى أنفاس حار كان يردد ، ولا أى دموع كان
يذرى ويسكب !

ولبت الفتاة ثوبها الأبيض الناصع الذي زاده
أشمة القمر بهاء وسناء وجاذبية ، ثم أضفت عليها
من ثوبها الأسود ، واستدارت لترى هل انتهى
علوى ... فلما رآه واقفاً تحت هذا الليل القضي
والراح تساوره ، وقطرات الماء تداوره ، هبطت

- الآخر، وهكذا. حتى لم يبق في يده إلا حذاءه !
ضحك علوى حين رأى نفسه يقفنى أثر مبعودة
المفاجئة وفي يده حذاءه ! فتركه على الصخر
وانطلق كالظلم وراءها .
— ما هذا ؟
إن الفتاة تقفز في سيارة كانت تنتظرها عند
هامش الصحراء في أول الطريق الوصول إلى طريق
القاهرة ...
ولم يعلو ذلك ، فكاد بصمق وتتخشب ساقه ،
فلا يستطيع عدوا بل لا يستطيع حرا كما ...
لكنه سم على أن يلحق بها . لأنه أحسن بشيء
غريب يخرج بدمه ، ويجرى دقاقا في عروقه ...
وأحسن أيضا أنت القدرة التي حرمته كل
هذه السنين الطوال نعمة الحب ، قد فتحت له
جنة الحب فجأة بنفيا منها حيث يشاء فإذا
هربت هذه الفتاة فسنطلق أبواب الجنة ، ونظل
إلى الأبد طريقا منها ، بطوف بأعراقها ، ولا يناله
من نصيبها شيء ... جري ، ثم جري ، وظل يجري
كالجنون ، وكان يسب الأرض لأنها لا تنطوى
بسهولة تحت قدميه ، وظل يدعو الله أن ينبت له في
ظهره جناحين أو ثلاثة أو أربعة ... أو أجنحة
لا تعد لها ، ليبلغ السيارة قبل أن تهتم ...
ولم يقل الله دعاه طيبا ... فلم تنبت له أجنحة
بيد أنه مع ذلك قد بلغ حاله ... وقيل أن تتحرك
السيارة ، استطاع أن ينطرح أمامها لتقف ...
أو لتقتله ... وهل أشقى في هذه الدنيا من قتلة
سيارة تحمل حبيبا كهذا الحبيب !
وتبسمت الفتاة ... وأوقفت الماكينة ... ثم
- زلت لثرى ما خطب هذا الشاب !
— أوه ؟ ماذا تريد ؟
— أريد أشياء كثيرة .
— أريد أن أعرف
— قبل كل شيء أحب ألا تمسسى هكذا ؟ هل
أنت غصبي ؟
— وكيف لا أغضب وقد حصل منك كل
ما حصل ؟
— وماذا حصل متى جمعت فذاك ؟
— ألم تخشى 'للسرق سرقة ؟
— الصدقة والله فملت هذا ؟
— ولماذا زلت البحر وأنت لا تحسن السباحة ؟
— أنا أحسن السباحة جدا ، وقد فملت فماتى
هذه لأتأكد ؟
— لتتقذنى ؟ وماذا ظننتى أصنع ؟
— حببتك ...
— حببت ماذا ؟
— حببتك عولت على الانتحار ؟
— وماذا يجعلنى أنتحر ؟
— ألم تكونى تقنين وتبكين وتذكرين حبيبا
لك ... أوه ؟ ممطرة ؟ ...
— آه ! إنها أغنية يا هذا ؟
— آه ! لست (هنا) .. أرجوك .. لقد ذكرت
لك اسمي ؟
— آه ! اسمك ... علوى ... أليس كذلك ؟
— هو ذاك ... ويقينى أنه كان يسمى
علوى^(١) أيضا
— كان يسمى علوى ؟ ومن هو يا ترى ؟

(١) نقتل عن منح الأعلام من الصرف في كل قصتنا

- الشاب السعيد الذي غرق في البحر
— لقد بدأت تمزح !
— كلا والله ، إنى ما إلى المزاح أردت !
— إذن كيف يكون سعيداً من يفرق ؟
— أى مخلوق يرزقه الله نعمة ... حبك ...
— يكون أسعد خلق الله ولو غرق ؟
— حقاً إنك شاب جرى ...
— لست جريئاً ولكنى ...
— ولكنك ماذا ؟
— ولكنى أقول الحق !
— إرض ... لقد أرويت الرمال بالدم للتصيب
من قديمك ؟
— دم ؟ ... أوه ؟ ... ليتنى سفكت دى كله
تحت قدميك !
— ما شاء الله ؟ كيف تستبيح لنفسك أن
تخطبني هكذا ؟
— وكيف أخطبك إذن ؟
— كما يخاطب الناس أناساً لا يعرفونهم ؟
— غير أننى أعرفك !
— تعرفنى ؟
— ولم لا ... لقد كان غناؤك وحياً تنزل على
نؤادى غفطته عن ظهر قلب ... لقد حفظت قصتك
كلها ... أناذين بسامعها ؟
— وهل تؤمن أن ما غنيت قصة ؟
— بل أومن أنها حقيقة لا ريب فيها !
— فلم إذن لا نحترم قدس الموت ؟
— قدس الموت ! أوه ! ما أبشع أن يذكر
اسم الموت ههنا ؟
— لأنك رجل أنانى !
- لا والله يا أختاه ، لكنى أشفق على شبابك
وجالك أن يستسلموا ليد القبول فتندوى زهرتك وهي
أعبر ماتكون ، ويصوح ريميك وهو يند في إياه !
— أشكرك ... ألا تتركنى أنصرف إذن ؟
— تنصرفين ... وأنا ؟
— وأنت ماذا ؟
— أين أذهب ؟
— إلى بيتك !
— ليس لى بيت ... لقد خرجت اليوم من صدفة !
— أرجوك ... أنا لا أحتمل الدعاية !
— دعابة ؟ أية دعابة يا ... يا عجب ! ألا أعرف
اسمك ؟
— هذا مستحيل !
— وله ؟
— لأنى أقمت ألا أخونه !
— أقمت ألا تخونى من ؟
— لقد عرفته ...
— ألم أقل لك ؟
— ألم تقل لى ماذا ؟
— ألم أقل لك إن اسمه علوى !
— حقاً ، لقد كان اسمه علوى ...
— ولماذا غرق إذن ؟
— كما أوشكت أنت أن تغرق !
— ليتنى غرقت ... ليتنى غرقت !
— ولم تتمنى ذلك ؟
— لأنى أوشك أن أنقض من ...
— م ؟
— من إقناعك !
— إقناعى بماذا ؟

- بجمال هذه الدنيا وكثرة مباحيها ...
- فأذا غاب منها شخص لم تندرج له كما تحسب ...
- هذا وهم ، ويجب أن تماجليه بالذسيان !
- أجل ، سأعاطله بأن أنسى كل شيء ...
- إلا ذكره ! آه يا علوى ! آه يا حبيبي ! تعال الآن من قاع هذا البحر المغترس فانظر كيف يريد الناس أن ينسخوك من ذا كرتي ! الناس الأمانيون الذين لا يحترمون قدس الموت ، ولا تقشمر فلورهم فرقا لذكره ! لقد صارت الدنيا بليدة من بدمك يا حبيبي ما هو ذا رجل ... لا يريد أن يخلص فتاة لالهها الذي أخلص لها حتى الموت ... الذي ضحى نفسه وشبابه من أجلها ... ما أفبحك أيها الدنيا ! لقد شوهتك أمانة الانسان ! لقد كنت قبل آدم جميلة ساذجة طهوراً ففالج وجهك بأوجاله
- تمتع أيها الشاب ! لقد كنت أحسب دماءك هذه دماء نقية ... لقد كنت أرى لك والبحر يلتفك ... لقد خدعت في دموعك التي ذرفت من أجلى فوق رمال الشاطئ ، وكنت أرجو أن أعثر في روحك على صديق ، فإذا للشيطان القدر يتحدر في صلبك من أيام آدم
- أخشاه ... أرجوك ؟
- علام تساومني ؟ على قلبي ؟
- بل أذ خيبة أخرى من ضحاك
- أسكتك فاني ليس لي ضحاي ... إنك تدنس دمك ودموعك بهذا الهراء ! كيف تستبيح لنفسك التلصص على خائض القلوب
- اللعص ! أوه ! إنك تهينني !
- وأنت أهنت ذكرى حبيبي ، وألثت روحه !
- إذن ، فانا أعتذر
- إذن ، تمح ، قد طال حوارنا ، وأريد أن
- أبأن القاهرة في ميعاد لا أحب أن أعدهو
- وتنحى علوى ... وقفزت الفتاة في السيارة ..
- وقبل أن تنلق بابها نظرت إلى الشاب نظرات غامضة لم يفهم منها إلا أنها تدعوه . فتقدم خطوات ووقف كالشبح ... فدت إليه يدها الناعمة الخضبة ، فتناولها في يديه جيئاً ، ثم أهوى عليها بفمه الرتوش يطبع فوقها عشرات القبل ، وينثر عليها قلبه وروحه ودموعه ...
- ثم مدت يدها الأخرى فريقت بها على شعره الأشعث ، وخدبه البليلين ، وجذته إلى جانبها في السيارة .
- آه يا قاسية !
- لننسى !
- وما اسمك إذن ؟
- اسمي ... ستمرفه في القاهرة !
- في القاهرة ؟
- أجل ... هناك !
- لقد تركت هنا ...
- طربوشك وحذاءك ؟ أليس كذلك ؟
- بلى !
- نشترى غيرها من هناك ؟
-
- وأقيم في السويس سراق غم حاشد ، وأقبل الناس من كل فج يمزون والده علوى ... أليس قد غرق ؟ أليس هذا طربوشه وهذا حذاءه ، وهذه فوطة ملقاة على الرمال !
- وكان من بين المزين علوى نفسه !
- لقد أقبل هو وأسماء في الليلة التالية ليزفا إلى أبيه للبشرى السعيدة ... لقد خطبها !
- دمري مشبه

الرسالة في عامها السابع

المجلة التي أحدثت في الأدب الحديث مدرسة خاصة

المجلة التي ثبتت على مكاره الجهاد والانتقاد والزمن

المجلة التي تنسج بأريج الاسلام والعروبة والشرق

المجلة التي لا تتخلف ولا تتوقف ولا تهين

ستخطو هذا العام أوسع خطواتها وأجرأها

أدب ، علم ، فن ، فلسفة ، اجتماع ، سياسة ، اقتصاد ، قصص ، شعر

نقد ، محادثات ، مبررات ، مبررات ، مختارات ، أفيار ، مسرح ، سينما

أسرة الرسالة في سذتها الجديدة

الأستاذ المقاد ، الأستاذ المازني ، الأستاذ توفيق الحكيم ، الأستاذ عبد الرحمن شكري ، الأستاذ اسماعيل
الذشاشبي ، الأستاذ ساطع بك الحصري ، الدكتور محمود عزبي ، الدكتور عبد الوهاب عزام ، الدكتور زكي
مبارك ، الدكتور محمد محمود غالي ، الدكتور أحمد موسى ، الدكتور يوسف هيكيل ، الأستاذ محمد أحمد
النصراني ، الأستاذ سميد المريان ، الأستاذ دروي خشيبة ، الأستاذ عبد الزم خلاص ، الأستاذ محمود الخفيف ،
الأستاذ عمر الدسوقي ، الأستاذ محمد حسن ظاظا ، الأستاذ أحمد خاكي ، الأستاذ علي الطنطاوي ،
الأستاذ أنور المطار ، الأستاذ أحمد الطرابلسي ، الأستاذ الحوامي ، الأئمة أسماء فهمي ، الأئمة زينب
الحكيم ، الأئمة الزهرة ، الأئمة فلاك طرزي ، الأستاذ محمد لطفي جمعة ، الأستاذ فليكس فارس ،
الدكتور بشر فارس ، الأستاذ محمود غنيم ، الأستاذ محمود حسن إسماعيل ، الأستاذ أحمد حسن الزيات .

إدفع من الآن لغاية آخر يناير ستين قرشاً

تكسب مجلة الرواية ومعهما كتاب متوسط الحجم ، أو كتاب كبير بالتخفيض ، أو مجموعة السنة الأولى
أو الثانية من مجلة الرواية بحيث يصبح اشتراك الرسالة مع هذه الهدايا عشرين قرشاً . والاشتراك في الخارج
هو مثله في الداخل ، ويزاد عليه ثلاثون قرشاً مصرياً فرق أجور البريد . وسنعلن عن كتب الهدايا في
الرسالة خلال شهر يناير — أما الاشتراك بمدد للتخفيض فهو ستون قرشاً للرسالة وثلاثون للرواية
في الداخل ، ومائة قرش للرسالة وخمسون في الخارج للرواية ويخصم في كل منها للطلاب ٢٥ ٪

تظهر في توبها الجديدة : بحروف جديدة ، وطبع منقح

كَيْدُهُنَّ

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ نَجِيبٍ مَحْفُوظٍ

القليلين الذين يصادفهم أجل
التوفيق وأسعد في دنيا النساء
فمشق عدداً وافرأ من المثلثات
والراقصات وريث القصور
المصونات غير متردد ولا متحرج
ورشف من كؤوس الموى خراً
سافية ، أحمت نشوتها عن طي
الأحوام ، فايدري يوماً إلا وهو

يصحو على خاذل يقول : « أتابع الخامسة والأربعين
ولما تنزوج ؟ » الخامسة والأربعون ... أحقاً ذهب
الشباب الناضر وولى ؟ أحقاً تسم ذروة الكهولة ؟
ووجد نفسه يفكر في مسألة الزواج تفكير
شاب يهدف للثلاثين ، ويكاد الزواج أن يكون
كالوت نهاية كل رجل ، وإلا فلن يترك هذه الثروة
الطائلة التي يمتلكها ؟ ومن يؤنس وحشته إذا احتجزه
البيت يوماً ؟ ومن يسيته على متاعب الشيخوخة
وأهوال الكبر إذا تألبت عليه عوامل الفناء ؟

ولكنه لم يفتل عن طبعه وأنه مناصر عشاق ،
ومثله يستطيع أن يقرأ قلب المرأة كما يقرأ الكتاب
الفتوح ، ويعرف طبيعتها مرفقة لبدنهيات الحساب
لذلك رأى أن الحكمة تلي عليه ألا يختار زوجة
شابة تفصل بينها وبينه عشرات الأعوام ، وصحت
حزنته على الزواج من أرملة أو مطلقة في الثلاثين
على أدنى تقدير ، حذراً من أن يقضى عليه بما قضى
به على ضحايا الكثرين ...

ولكنه شاء غير ما شامت الأقدار ، وما حيلته
في ذلك ؟ لم يكن هو الذي يبرم الأنداد حين دعى
يوماً إلى حفلة زفاف فراح مالكا لنفواده وعاد مسلوب
النفاد والارادة ، ولم يكن هو الذي يخلف الأحمار

هل يتمنى الانسان على الله أكثر من أن يهبه
زوجة حسنة وثررة طائلة ، ويمتته بصحة سافئة
وبنين ، ويؤتمه صريراً اجنبياً فذاً ، وقد فاز حضرة
صاحب العزة جمال بك ذهبي بأولئك جيماً ؟ كانت
له زوجة شابة حسنة يرمى النظر إلى وجهها الحسن
عن أحزان الدنيا جيماً ، ووجهه الله أربعة من الأبناء
كالورد سحة وجمالاً ، وترقى في مراتب الكهولة حتى
تولى كرسي الاستشارة في أكبر هيئة قضائية ،
وورث عن والديه ثروة طائلة ما بين عقار ومزارع ،
ومع ذلك فمن كان يطلع على وجهه ذلك اليوم إذ هو
جالس في شرفة قصره الطالة على شارع السرايات
ياخذ المصباح لهذا الكهفهر الذي يظله وتلك
النظرة اللقطة التي تحار في عينيه منذرة الشقاء !

ولا سبيل إلى إبطال هذا المصباح ما لم تلزم بماضيه
لأن حاضر الانسان يقع غالباً من ماضيه موقع النتيجة
من القدمات وإن كانت لا تدعم العلاقة بينهما
في الحياة بما تقدم به في المنطق من الضرورة والأحكام ،
ومهما يكن من الأمر فقد كان ماضى صاحب العزة
حافلاً بالشباب المرح السعيد والعمل اللذيذ والدكاء
الوقد والمناصحات التي تجعل من الشباب ديوان
شمر غنياً بالذكريات المذبة ، لأنه كان من الرجال

في هذه الفيليا يرى منذ زمن بعيد؟ وهل هو متزوج أم أعزب؟ وكان يستطيع أن يسأل زوجه عما يحيرة ولكنه نفر من هذا نفورا حبيبا وآثر عليه الجهل والحيرة.

وكان قلقه غريبا لدرجة أنه ود لو يستطيع أن يحمل زوجه على نقل حجرة النوم إلى الجهة الأخرى من القصر المظلة على شارع القشلاق وإحلال المكتبة محله، ولكنه لم يدر كيف يمل طلبه وأبت كبريؤه عليه أن يقامحها بشأنه.

ووجد في حياة الفراع الجديدة فرصة طيبة لمراقبة «عمره» في سميت وحذر، فلاحظ أنه يتناول اللشاي كل صباح في شرقه وأنه يهود فيجلس بها عند الأسفل ساعة أو نحو ذلك، وفي تلك الأثناء يصادف أن تدخل زوجه إلى الشرفة فيديم الشاب النظر إليها، وخيل إليه أن بصراها يتجه أحيانا إلى شرفته، ثم يحتمل ألا يكون وراء هذه النظرات أي معنى سوء ولكن يتمنر عليه أن يتصور أنه من الممكن أن ينظر شاب إلى مثل زوجه الحسنة نظرة رقيقة لا يشوبها طمع.

وشاق بسمته المرح فآشأر يوما إلى شرفة الضابط وسألها:

— من يقيم في هذه الفيليا؟

قالت:

— جار جديد، أظنه مفتشاً في الداخلية

فسألها بلا أكثرات في الظاهر:

— ومن الضابط الذي يظهر أحيانا كثيرة

في هذه الشرفة؟

— أي ضابط؟ ... لا أدري ... لمه ابن الفتنش

فوقع تجاهلها من نفسه موقفاً أليماً؛ واشتد

إذا كانت التي سلبته فؤاده في المشرب من عمرها، ربما قلت إنه كان ينبغي له أن يطلب الحكمة والعقل على الموى، ولكن وأسفاه كان هذا القول وأمثاله لا يجدي فيمن تسيطر عليهم للشهوات، فجميعهم — أيا كانت الشهوة التي تتحكم فيهم — لا يرون في العقل إلا وسيلة لتحقيق شهواتهم، يستوى في ذلك منهم من يعبد الله أو يعبد المال أو يعبد النساء، فلو يتروى جمال بك عن سلوك سيئه المحنوم وخطب الآنسة حياة إلى والدها الأستاذ محمد عويس الخبير بالمجلس المحسى وتمت الزيجة وأتمرت على الأيام أربعة من الأبناء أكبرهم في المدرسة الثانوية وأصغرهم في الروضة ...

ولكن للزمن حكمة الصارم كذلك، فقد أحيل المستشار في هذا الأسبوع إلى الماش وأذن النذير بحجى الخامسة والستين بكوارثها للمهودة من نضوب الأعصاب وبرودة الأمشاحل وتنكر معالم الدنيا وتآلب أمراضها، وما كان به من ظلم ولا جوع فقد ارتوت نفسه من لئاذ الدنيا وأخذ نصيبه كاملا من متاعها الفزور، ولكن دب بقلبه ديب القلق الذي تمود بواعثه التي تلك الزوجة الحسنة التي يسطها الزمن — الآخذ منه — نضجاً وكالا وزيدها كل يوم حسناً على حسن، وما كانت تخافه أوهاما ولا محض حذر تخليه مناسراته الماضية، ولكنه شاهد هذا الصباح في شرفة الفيليا التي تواجه قصره ضابط بوليس شاباً، يتألق جماله في بذلته الرسمية المزينة بالنجوم الذهبية، وتنفخ صدره قوة الشباب وغروره، وتمتبت أمامه بشاويه الأنيق الصغير فاقبض صدره لراه وتوجس منه خيفة لنير سبب بين، ويجب كيف أنه لم يره قبل اليوم، وهل يقيم

وكان يهدى في زوجه البرود والزناة والسيطرة
على الأعصاب وكانت كهمده بها فلم تنفجأ بحضوره
وسأته بانكار :

— خير ... ما الذى أنى بك قبل مباداك ؟
فانفجر غائبا وسألها بنيط وحق :

— قولى لى أنت ما الذى أنى بك إلى هذه الشرقة ؟
فقات بضبط وإياء :

— إنك تهينى يا بك إهانة لا تحتمل

فاشتد به الذنب والتعيط وقال بمناف :

— أنت تحاولين تضليلى بإسقاط هذا الإباء
الكاذب

— عهدى بك أعظم أدبا من هذا

— ما شاء الله ، وددت لو يستمع إليك أبناؤنا
إذ تملين أيام الأدب

— أما أنا فلا أود أن يستمعوا إلى أبيهم وهو
يكيل التهم لشرف أهم

فنظر إليها نظرة حميقة وهو يضرع إلى الله أن
يطامه على خبيثة نفسها وجعل يتساءل في حيرة :
ترى هل هى صادقة في غضبها ؟ هل هى حقاً بريئة
مما رامها به ، وتهد حزينا شقيا وقال وكأنه يحدث
نفسه :

— حقاً إن الشك مس من الجنون -

فقات باستياء :

ألا ترى أنك تترقب بأنك شككت في ؟

فماودة الضبط وقال لها بحرارة :

— لماذا تمودين إلى الظهور بهذه الشرقة ؟
هذه الساعة للمهودة ؟ اسنى إلى يا هاتم ، أألا أسمع
لامرأة بأن تنفلى أبداً ...

— هذا كلام لا يليق برجل له مكاتك

غضبه اشتداداً لا يستند إلى أسباب مقولة فقال :

— لا أشك في أنه ضابط أحق وقع

فبدت الدهشة على وجهها وسأته :

— ما الذى يضربك عليه ؟

فقال بجمدة :

— رأيته مراراً ينظر إليك نظرات وقعة
ساقلة ، جعلتنى أفكر جذبا في قل حجرة النوم

إلى الجهة الأخرى

فقات بلهجة استياء :

— ولكنه تب لا مبرر له ، وأرى أنه يتضمن
إهانة قاسية لى يا بك

— كلا يا هاتم ، ما أردت هذا قط ولكنى أحب
أن تتمنى بحريتك بعيداً عن تطفل العيون

فهازت منكبيها استهانة وقالت : « افعل
ما بدالك »

وتحقت مشيئة ، ولكن آلتها استهانتها واعتقد
أنه تسرع تسرعاً مميهاً ورطه فيه الضبط وأحس
من تصرفه مجزى الألم وكبر عليه أن يتلى رعباً
من نظرة يرسلها هذا الشاب الزور ، وما عسى
أن يفيدته قل حجرة من مكان إلى مكان ؟ وهل
يسى هذا زحزحة الحب من موضعه إذا كان أنشب
أظافره في لحم قلبها الطرى ؟ ... هيات ...

ولم تهاده شكوكه وخاوفه ، وقد ثقلت عليه
وطائها يوماً وكان يجلس في قهوة لوتبارك مع عام
كبير فاستأذن بئنة وقام إلى سيارته التى انطلقت به
إلى قصره وبلت شارع السرايات وكان الوقت
أصيلاً ونظر خلل زجاج النافذة فرأى زوجته فى
شرفة المكتبة ونظر إلى الناحية الأخرى فرأى
الشيطان ...

وأخلاقك ويجد ربك أن تنادى عقلك الذى عذب به
الغضب ، فإذا انقمصك إغلاق الأبواب والتوافد إذا
أنا نيت التندز ؟ ... وما يضربك ظهورى بكل مكان
إذا اضلوى قلبى على الاخلاص والأمانة ؟
فقال بذهول :

— الاخلاص ... الأمانة ... ما عدت أفقه
معنى هذه الكلمات لأن عقلى تسم فينبئنى أن تفهمى
ذلك جيداً ، قد يكون الرضى لمة ، وقد يكون
لغير علة إلا الوهم ، فاعمل على إعادة العالمة إلى
نفسى ، ودعى الوعيد جانباً ... فأنا رجل لا يمكن
أن تتغفله امرأة مهما أوتيت من المكر والدهاء
— أهلكنا تشير بيد العشرة الطويلة وتقلب
إنساناً غير الانسان لأنك رأيت شاباً ينظر إلى من
بيد ؟

وأى امرأة لا تلهمها السيون كلابدت للناظرين ؟
نظرة من بعيد . كلا ليس الأمر كذلك ، إنها
تكذب وتجد فى الكذب وهى تعلم بما يمدبه ويشقيه
إنها تتجاهل الحقيقة وأليس لتجاهلها إلامعنى واحد
إنها تتغفله ولكنها لن تغوز بباطل ...

— اسئلى إلى يا هام لا بد من وضع حد
لسكل هذا

فنظرت إليه بارتياح وقالت :

— يا له من قول خطير . فقال :

— لا خطورة هناك ، إلى أفر بأنى أخطأت
فما صنعت من تشير ترتيب بيتنا ، وأفر بأنى ليس
لى الحق فى الجبر عليك لأنه يبنى أن أكون أرفع
من العوام ، فاذهبى إلى حيث تشاءين وتنقلى كما
تشهين ولكنى لن أفرقك وأظن أن هذا حتى أيضاً
فلم تنالك نفسها من الضحك وسأته :

— أبدأ ؟

فقال يهدوء :

— سألزمك كذلك

— يا له من أسر مرهق !

— لك ؟

— كلا ... فانه يسمدن ولا شك أن يظل
زوجى إلى جانبى ، ولكن كيف لك أنت بالصبر على
هجر لولبارك وسنت جيمس ؟

— هذا شأن يعينى وحدى

فلم ترد على أن قالت : افضل ما فيه راحتك
ومضى البك يحقق وعده أو وعيده دون إسهال
نفلع نيساه وارندى الليجاما والروب دى شامير
وجلس إلى جانبها . وتسلت الأيام على منوال
واحد ، فكانا يقطعان النهار معاً يتجادلان حيناً
ويطالمان حيناً آخر ، فإذا شئت من جالسها وقامت
إلى الشرفة أخذ مقعداً إلى جانبها ، أو نزلت إلى
حديقة القصر تريض فى مماشيا واقفا إليها حتى
إذا ولى النهار وجاء الليل وحانت ساعة النوم أو أوما
إلى غدعهما فقام ملء جفنيه ...

وكانا يخرجان كثيراً لزيارة الأصدقاء والأقارب ،
أو لنشيان اللاب واللامهى والسينات فلا يفترقان
دقيقة . وتأبر على حياته الجديدة مثابة الصابرين
ولازمها حقاً كظلمها ، وحافظ على كفته أن يتركها
تفعل كما تشاء على أن تتركه بفعل ما يشاء كذلك ،
ولم تظهر الميدة أى تذمر وقضت أيامها مرحلة
ضاحكة كأنها أسمد الأزواج حقاً . وفى يوم من
الأيام اقترحت عليه أن يذهب إلى شيكوديل لشراء
حاجياتها وحاجيات الأولاد ، فذهب معاً ودخلا
الحل الشهير ، ودارت به على الأقسام المختلفة تشاهد

إلى المحل ، ويحث عن زوجه بينيه ، ومضى يسير هنا وهناك ولكن الظاهر أنها كانت بالطابق العلوي فصعد الأدراج على مهل وقطع المكان ذهاباً وإياباً ولكنه لم يثر لها على أثر ، فساد أدرجه ولم بالبحث مرة أخرى في الطابق الأول ولكنه رآها مقبلة من أقصى المحل والندام يتبعها حاملاً المشتريات فلم يرد أن يظهر لها نفسه وسبقها إلى السيارة ... وتساءل في صمته كيف لم يثر بها مع أن المحل لم يكن مزدحماً ؟ هل لأنه لم يحسن البحث ياترى ؟ ... ولقدعه الشك ... هل من الممكن ... ! ولكن هذا بعيد عن التصور

وجاءت معه في غداة اليوم التالي ودخلت المحل ولبت هو في السيارة كما فعلت بالأمس ولكنه لم يبهما إلا دقيقة ثم تبعها على الأثر ورآها تسرع انطلا متعطلة إلى معين الداخل فظن أنها قاصدة إلى المصعد ولكنها واصلت السير إلى باب المحل الجانبي وخرجت منه ، تخفق قلبه بشدة وتبعها بخبطي سريعة ، وبلغ الباب ، ثم نظر إلى الطريق فرآها تدخل إلى عمارة « لاكبير » المواجهة لباب المحل وشاهدها تدخل إلى المصعد ثم صعد بها ، فاجتاز الطريق ودخل إلى المارة وانتظر هبوط المصعد وسأل البواب عن الطابق الذي صعد إليه فرفع الرجل بصره وقال :

« الطابق الرابع » فدخل المصعد وضغط أزر رقمه وخرج منه فوجد نفسه في دعدة تواجهه ثلاثة أبواب فأتى عليها نظرة هائلة وهو يقول : تري في أيها دخلت ، واقترب من أولها فقرأ عليه اسم السيو فالهيمير كراوس الحائز بالمحكمة المختلطة ، وقرأ على الباب الثاني اسم ه . ليني متعهد راديو تلفنكن وكتب على الثالث « مدموازيل فلورا خياطة

البضائع وتساءل البائعين وصعدا إلى الطابق الثاني وجالا هنا وهناك ، وهو يتبعها صامتاً يقف حيث تقف ويسير حيث تسير ، قرر على نحوها ساعتان أو يزيد لم يسترح الشيخ فيهما دقيقة واحدة حتى لثت من شدة التئب وعلا صدره وانخفض ، وسال عرقه بارداً ، واشترت ذلك اليوم شريطاً من المانيتلا ثم عادا إلى السيارة فارتى الرجل على مقدمه منهوك القوى وقال لها :

— لم تشتري شيئاً ذا بال

فقلت :

— يفي الترتيب في الشراء ، سنموذ غداً

وعادا في الند ودارت به كافات بالأمس ولكنه لم يحمل المشى والوقوف ولغعه الاعياء فقال لها :

— سأنتظر في السيارة

وانتظراها ساعة أو يزيد ، ثم حضرت بينهما غلام يحمل المشتريات ، فسألها البك :

— هل انتهيت والحمد لله ؟

فقلت بهدوء :

— هذه كسوة حسنى

فقال الرجل دهشاً :

— حسنى فقط ؟ ... وإخوته ... وأنت ؟

فقلت :

— له يابك ... له ... أرجو ألا تنكر

على تباطئي فهذه عاتق في الشراء وإن كنت تطلع عليها لأول مرة ...

وجاءا معا في اليوم التالي ودخلت الزوجة إلى المحل وانتظر البك في السيارة وفات على دخولها ساعة ثم ساعة أخرى فتتململ البك في جلسته وأحسن برغبته في الحركة فغادر السيارة ودخل

البواب حسبانه ؟ أم أن الشيطانة موجودة بداخل شقة الخياطة ؟ ولماذا حرخت الفتاة للموتة بهذا الصوت المزعج وهي تنادى مدام جمال ذهني ؟ ألا يجوز أنها فلتت ذلك لتحذر النافلين ؟ وهل يجوز أن يبقى في مكانه لا يحرك ساكنا وزوجه في داخل الشقة في خلوة غرامية ؟ فاعسى أن يفعل وكيف يضبط الآتمة متلبسة بجريعتها ؟ ...

وعند ذاك فتح الباب ، فتهقر خطوتين ، وخرجت سيدة ، وأوصلها الفتاة الأفرنجية وقد رآه ولكنها لم تباه ، وأغلقت الباب مرة أخرى .

فضى بروج ويحيى في خيرة شديدة . من المؤكد أنها في هذه المارة ، فقد رآها وهي تدخل ورآها وهي تندس في المصمد ، وأكد البواب أنها سمعت إلى الطابق الرابع ورآها هوذا الطابق الرابع ، ولا مكان يصح افتراض دخولها إليه إلا شقة الخياطة . فالشيطانة لا شك في الداخل ، ولكن ما عسى أن يفعل ؟ هل يظل بروج ويحيى ؟ أم هل ينتظر إلى ما شاء الله ؟ وما يزيد ارتياكه أن وقوفه هكذا قد يربب للصاعدين والمهابطين وتيارم لا ينقطع . وصرت عليه ساعة كاملة كانت أقصى ساعات حياته جيما ونال منه التعب والقهر كل مثال ، فاضطر إلى مغادرة مكانه وفي نيته أن ينتظرها لدى الباب الخارجي ولكن خطر له خاطر أزعجه فقال البواب : « هل للمارة مدخل آخر؟ » فأجابه الرجل بلهجة البربرية بأن للمارة ثلاثة أبواب ، فأحس بالياس وذاق مرارة الخيبة وعض شفته من الحزن والنيظ ، وكبر عليه أن تتغله الشيطانة وتمثل بهذا التمثيل للزرى . وكان ما عناه عقله وجسمه فوق ما يحتمله شيخ في

السيدات « ووقف أمام الباب الأخير لا يرم ، وقد انحصر فيه ارتياجه ، وضغط على الجرس ففتح الباب ، ودخل قبل أن يؤذن له بالدخول فتراجعت أمامه التي فتحت الباب دهشة مستاءة ، وألتي نفسه في ردة متوسطة الحجم تحيط بها حجرات أربع ، منها ثلاث مثقلة الأبواب وواحدة مفتوح بابها على مصراعيه ويرى بداخلها بعض السيدات والأوانس منهن من تلمعن إلى مقدمها ومنهن من تقف أمام المرآة لتلقى النظرة الأولى على فستانها الجديد . وانتهى إلى الفتاة الواقعة أمامه يبدو على وجهها الانكار وسحما تساله : « هل اللدام مع اليك ؟ » فالتفت إلى منزى السؤال وتغير كيف يجيب أو كيف يستدر عن وجوده ، لأنه اندفع تحت تأثير الغضب والحزن اندفاعا فلم يتدبر أمره ، وألتي على الأبواب المثقلة نظرة ارتياح وقهر ، وود لو يستطيع أن يتفتحها ليرى ما بداخلها ولكنه لم يفعل شيئا لأنه لم يكن فقد عقله ، ولأنه وهو رجل القانون - لم تكن تخفى عليه منية عمله فبا أخطأ تقديره وحسابه . وكأنه أراد أن يقاسر بما تبقى لديه فسألها « أليست هذه شقة مدموازيل فلورا ؟ » فقالت الخبيثة : « بلى ، ألم تقرأ الالفة ياسيسو ؟ » فقال : « إن زوجتي سبقتني إلى هنا » فسألته : ما اسمك ياسيدي ؟ فقال : جمال ذهني . فصاحت بصوت عال لدرجة مزعجة : مدام جمال ذهني . ولكن سيدة من الوجودات لم تلب النداء ، فقالت : اللدام غير موجودة بلا شك . قالت ذلك بلهجة من ترى وجوب انتهاء المقابلة عند هذا الحد ، فلم يردا من الخروج ، وأغلقت الباب خلفه ، ولكنه لم يتحرك من مكانه ولبت يرمق الباب بعين متتقدة . ترى هل أخطأ

إلى القبر وهو كظم . وكيف بفعل غير ذلك وهو
القاضي الذي قضى حياته في خدمة القانون ؟
ولاحظت منه التفاتة إلى الطريق فرأى بعض
المارين يمدجون السيارة بنظراتهم للتطفلة ، فسأل
نفسه ترى هل ينفسون عليه السيارة الفخمة
والزوجة الحسنة ؟

حقاً إنه يستحق الرناء ، وسيكون أحق بالرناء
في مستقبله حين يخلو بيته منها — وهو ما صدقت
نيتته عليه — فكيف تكون حياته بلازوجة ؟ وكيف
تكون حياة أبنائه بلا أم ؟

وهل تروج يوم تزوج لإشفاقاً من أن يلحقه
الكبر وهو وحيد فيماني مرارة الشيخوخة ووحشة
الوحدة ...

يجب تحفظ

آلام فرتر

للساهر الفيلسوف هورن الألماني

مترجمة غلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة طالبة تمد بحقي من آثار للفن الخلاق

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ومنها ١٥ قرشاً

سنه ، فماد غائر القوى إلى سيارته . وكل كانت دهشته
عظيمة حين م بال دخول فرأى زوجه جالسة آمنة
مطمئنة تنتظر أوبته منذ زمن غير يسير وقد نظرت
إليه بإنكار وسأله :

— أين كنت يا بك ؟

فأنسم في وجهها النظر فرأها تنسم ابتسامتها
المألوفة ، ولكن لم يخف على عينه الثاقبة شعوب
لونها ونظرتها المذلة على الانم بقدر دلالتها على
الطهارة المصطنعة ، فعى شيطانة بلا ريب ولكنها
لم تعود الاجرام بمد

وجلس إلى جانبها صامتاً وانطلقت بهما السيارة
وكان مقهوراً مغلوباً على أمره ، يمانى مرارة
المزمنة ويحس كأن بدأ تخنق كبريائه خنقاً . وكان
يسوؤه أن يجلس هكذا إلى جانب المرأة التي تنفثته
وهزأت بكرامته ولوثت عرضه ، ولم ترتب قط في
أنها تعلم بأمر مطاردته الفاشلة لها . ومن يعلم ؟ فلعلها
تضحك في سرها الآن من خبيثته وهزيمته . ياله من
نصور لا يحتمل !

لقد أئذرها بأنه لن يتركها لحظة ، ثم اضطر
إلى تركها أو هي اضطرته إلى ذلك ، ولكن لم يخنطر
له على بال أن تتخذ من زيارتها لشيكوريل سبيلا
إلى مقابلة عشيقها

واستسلم للتفكير الحزين ، وذكر طريقة عامة
الشعب في الانتقام من الخائنات فوجد نفسه — في
محنته — يقرها ، وهل تستحق الأذى إلا تهيم
رأسها ؟ ... أما هو البك الوجيه اللثقف فيجلس
إلى جانب معذبة يمانى آلامه في صمت ، ويشيح كبريائه

انْتِقَامُ الْأَمِيرَالِ

لِلْقَصَصِيِّ الْفَرَنْسِيِّ أُرِسْتُ دُودِيَّةَ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْفَتَّاحِ مُحَمَّدٍ

تصطدم بصخرة القصر المائلة
وتتصرع منها فيسمع لها زفير
كزفير الأسد وهزم كهمزم
الرعد

في تلك الأثناء كان الأميرال
المركب « دى بك هيلون »
جالساً إلى نضد صغير وضع عليه
بضغ رسائل عني على لونها الزمن

فأسفر وحال ، وبضع زهور زاوية ونوط قلادة
وشريط من الحرير الأزرق ، وبجوار هذه الأشياء
سندوق صغير مفتوح من خشب الأنبوس اللطم
بالباج ، كان ولايب يضم تلك الآثار الثمينة للتناثرة
على النضد . وتجلت أمارات الحزن المسبق على وجه
الأميرال بينما لمت عيناه فجأة يبريق للفضب المسجوز
وكان الأميرال رجلاً رقيق السن وأهن اللطم
له وجه منضن بارز العظام ، وعينان غائرتان قد
قد انطفأ فيهما التناثق والبريق ، وبدان مبروكتان
عاريتا الأشاجع . وعلى الجملة كان يده الهوك قد
ذبل بفصل المرض الذي يفتك به فتكا ذوياً
ولقد فقد أميرال البحر العظيم قوة العزم التي
كانت تسمع نارة في دمه وتقع من عينيه .
وخفت فيه ذلك الصوت الجهودي اللئ الذي
كان يمزق المواسف ويطن عليها . ولم تبق
فيه ذرة من القوة التي طالما أعجب بها رجال أسطوله
وبجارته من قبل . وأبت الجرأة والبساة أن تسكتا
ذلك الجسم المهدم اللئلي ففارقاه بعد إذ كانتا تفوران
فيه فوراناً حيناً كان يزخر بقوة الشباب وبموج
بفتوة الرجولة . واشتد به السقام حتى صيره هزلاً
ناحلاً . ولم يبق عليه المرض الجاثم فوق صدره إلا
ليعالج هذه الجرعة للتكرار التي اكتشف الآن فقط

كان القصر العتيق يجم كالحصن الجبار فوق
صخرة عظيمة هائلة على سيف البحر . وكانت الشمس
حينذاك تضيئ للغروب وتنعذر رويداً من شارف
السما ، إلى ما بين الأفق والماء . وقد سالت حولها
أطباع الدم ، وارتسم على جبينها الكلال والأثين .
ويشرف القصر أيضاً على الطريق المتبد إلى « برست »
وعلى قاعة هذا الطريق تقع الميناء وقد أطلت من
ورائها سوارى السفن ومداخنها مصبوعة بألوان
الشقق الزاهي الجليل ... ومن نوافذ القصر الضيقة
بان للبحر كأنه بساط من سندس واستبرق تجري
عليه السفن بقلاعها التي يهددها نسيم الأسيل
فتتموج ، وتداعبها الرياح الخفيفة فتخرج ...
وتلوح من القصر النيف قباب وأبراج شائعة في
القضاء تتعدى الزوايح المائية والمواسف الهوجاء ..
وتحف أنصان الأشجار اللغاء الوارفة بمجدران
تحرکہا الرياح المواتي فتبدو كصفائر جافة خشنة
لطيف امرأة تقرب فزماً في الليل اللطم ...
وعند ما غسق الليل وأجن الكون في مسوحه
الطابخ الأسحر ، أزعجت السماء سحباً فقال منشآت
تحرکہا المواسف الموج في شدة وعنف . وغب
عباب الرياح فهاجرت الأمواج للصاخبة الزبدة فراح

من عنائته ، وغمره بفيض من صداقته ... يا للمصار
ويا للدرن ! أنسى هذا السائل الخثون ، هذا الجاحد
الكنود ... أنسى كيف كان يرعاه كابنه وزيادة ؟
وهذه الشقية زوجه ؟ لا نكران أنه اقترن بها
والفرق بين عمرهما جد كبير . إذ كانت في العشرين
وهو في الخمسين ... بيد أنه ليس نعمة من ينكر أيضاً
أنه انتشلها من وهددة اليم والسفينة ، وأضفى عليها
لقبه المجيد التاد وقلها في ثرائه الواسع ، وضمن
لها الحماية والرعاية في حياته ، وسيخلع عليها من
ترانه دوعاً يقبها من بعده عدوان الناس وغدرات
الزمن . أيداً ما أرغها امرؤ على الزواج منه ، بل كان
هذا عن اختيار منها ورغبة ... ولم يكن يوماً ابني
عن تلبية رغبة لها مهما صعبت وشقت . فالسيف
في الريف الجميل الساحر ، والشتاء في أرغ فنادق
بأريس الفواخر . أو إذا شادت في قصره العظيم
في « نيس » . في كل حفل كانت تبدو زينة الأتراب
والصواحب . في كل جمع كان يملو بها اسم زوجها
إلى أرغ مكان وأسمى منزلة بين سائر اللعنات والمقاتل .
وبينا كان يثني في وفائها وإخلاصها ويجب بجمالها
وفتنها وبقية لسحرها وأنوثتها ، إذا هي تخونه
وهو لا يدري

لقد خدم بلاده أربعين سنة سويكاً . حارب في
أفريقيا وفي المكسيك ، وحاز أرغ القلائد والأوسمة -
وجلب المجد والفخار لابنه ... ثم ماذا بعد كل تلك
الحياة الحافلة بجماليات الأعمال وطيب السائر ؟ حار
تجلبه عليه هذه الخلقة الشقية وهو من الموت على
شفا جرف هار

وليت الأمر قاصر على هذا غضب ، بل جرت
إلى شك مظلم يتخبط فيه حتى ليكاد يذهب عقله
فيغمض إلى ومنه مخبولاً . ابنه « باريك » زهرة

دليلها الحاسم ، ولا يرى مدي قدرته على التناز وهو
من الموت قاب قوسين أو أدنى

لقد تسلع صباح اليوم رسالة من (نيس) حيث
اعتاد أن يقضي فصل الشتاء من كل سنة ، يقول
فيها كاتبها : « لقد خلت أربع عشرة سنة وزوجك
معمنة في خيانتك ، دائبة على البعث بشرفك ؛ ولملك
وحدهك الشخص الذي لا يمل شيئاً عن علاقتها الآتمة
بمساعذك السابق الكاتبين « فوشيرون » . وإذا
أردت على ما أقول شاهداً ودليلاً فاذهب إلى خندق
الركيزة ، فهناك من ناحية رأس السرير تري تحت
إحدى الصور المعلقة خزانة في الحائط ، بها صندوق
صغير . افتح هذا الصندوق وقرأ ما فيه ، فستنتشع
النشأة في عينيك ، وتبين يوضوح ما غاب عن
بصيرتك كل تلك السنين الموحى »

وعزا المركز هذه السعاية إلى خادم مطرود . لذلك
قضي سريعاً على ما أثاره الخطاب في نفسه من
شكوك وأوهام ، وفرك الرسالة في يمانه وهم يمزقها
لولا أن حاك الشك في صدره فأرجع الكتاب يتلوه
مرة أخرى ... للمرة الأولى في كل حياته مع زوجه
تساوره الخثون والريب . وتعامل على نفسه وغادر
مضججه ، ثم راح يجر نفسه جراً ، وفي الحزر الممين
في للكتاب أنني أدلة الانهزام السود

وراح يثمل ويجب كيف حمرت عليه هذه
الستون العوال وهو غارق في لجج هذا الرجل دون أن
يدري ... ها هو ذا يقضي إلى متواه الأخير تكتنفه
قرائن الجريمة الدسنة التي اكتشفها اليوم فقط هازئة
ساحرة ... فكيف إذن يتسنى له التناز لنفسه من هذين
الجرمين قبل أن يتطلى سراج حياته الخافت التليل
يا للخيانة ويا للندم ! أزوجه التي شملها بحبه
ووهب لها كل قلبه ؟ امرؤ وسه الذي أمطره بوابل

— قل إني انتهيت يا دكتور
 — لم يضع الأمل بمدى سيدي ... إنك في
 حال سيئة ولكن ...
 — لا تراوغي . لقد صمدت للوت مراراً ،
 ولا أود أن يأخذني هذه المرة على حين غرة . قل الحق
 إني أمرك ...
 فظل الطبيب سامتاً لا يبتس دقيقتين قال بعدها:
 — سيختارك الله هذا المساء على الأكثر
 يا سيدي إن لم تحدث معجزة
 وتلقى الأميرال الصدمة بكل ثبات ... قال
 — حسن ... وستعود طبيعاً مرة أخرى ...
 أليس كذلك ؟
 — بالتأكيد يا سيدي الأميرال . ألا تحب أن
 تخطر سبيلى الركيزة
 — وأى جدوى في ذلك وهي في نيس . ثم
 إني لا أود أن أحملها الجزن فجأة . إنها تعلم أن
 مريض . وستمر على كل حال أنها ترملت . ولكن
 يجب أن يكون هذا بعد أن أموت
 فانسحب الطبيب
 وقابله باريك لدى الباب فقال له :
 كيف أبي ؟
 فلم يبتس الطبيب بل أجابت عنه عينا . فأسرع
 الصبي نحو أبيه بقلب جزوع . فنهض الأميرال
 بجهد جهيد على مرققه وقال :
 — اذن منى يا بى . إن لى حديثاً منك ...
 إنك في الثانية عشرة من عمرك بباريك . ولكنى
 مضطر أن أحدثك كأحدث رجال
 ولم يأخذ منهما الحديث طويلاً . ولكن حينما
 انتهى ومضت عينا الصبي يريق من نار ، وتلج بدنه
 حتى كأنما انتقلت برودة الاحتضار من بدن أبيه

آماله ومجره الثانى ... آيته هو ، أم ابن خرمه
 فوشيريون ؟ باريك . لقد شب ونما في قصره المتيد
 حيث تقضى أمه كل شتاء وحيث كان يذهب هو
 ليحافقه ويتجلى من رؤيته . إنه يبدو قوياً كفنصن
 شاهق فتى ، ويمتلئ الزهو والكبرياء في نظراته ،
 ويبدو الصلف والخيلاء في لفتاته ، وتنطق ملايح
 وجهه بقوة العزم وشدة المراس . ياله من إله صغير
 من آلهة القوة والجمال ، خير خلف لأشرف سلف .
 وما زاد الرجل تعلقاً بابنه وحباً له أنه ورث عنه
 قوة العزم وصلاية الرأى وثبات الجنان
 والآن تقضى هذه الجريعة التى اقترعتها زوجة
 على كل تلك الذكريات السامية حول ابنه وذلك
 الاحجاب الذى يحنه الرجل لوحيد
 وأمسك الرجل لنفسه رأسه اللائر بين كفيه
 كأنه يمنه من الانفجار ، وسرت حى القضب في دمه
 ففتمم وهو في تلك الحال من اليأس والضعف والمرض
 — سأنتقم لنفسي ... سوف أثار لشرفى ...
 ولكن كيف ؟ أيقفل ذينك اللذين لوأا اسمه
 واطلعا شرفه ، وكيف السبيل إليهما وهذه الفراسخ
 العديدة تفصلهما عنه . فلا هو بمستطيع أن يبلثهما .
 ولا مما يبالنيه قبل أن يموت ... وأوغل في سبل
 الانتقام الكثيرة للثشبة ... وأعطش الليل والمهتد
 فكره إلى سبيل يبلثه طيته فيشئ غليله ... واستلقى
 على الفراش بقلب مزمق وأصمغ تكتنز نازاً تكاد تانى
 على بقايا جسمه المظم
 وعند ما انصدع عامود الفجر أقبل طبيب
 الطوافة « المنيد » الذى اغتلاهما علم الأميرال طويلاً ،
 ليمود رئيسه الليل وذعر لدى رؤيته وجه رئيسه
 الشاحب المتقع ودهش لتقدم المرض السريع في
 يوم وليلة ... وتم وجهه عن ذعره ودهشته فقال
 الأميرال :

فاستدار نحو باريك وقال :

— إن اللياقة تقضى بدق الباب قبل الدخول
— إنه يبقى ياسيدى . ومن حق أن أدخل
أية غرفة فيه بدون دق ولا استئذان . ثم إن
لى حديثك ممك

— لك حديث ملى ... تكلم
— إلى أعلى سبب وجودك هنا . وإن ما تنفيه
لا يمكن أن يتم . ويجب أن ترحل الليلة على ألا تعود
أبداً . إننى أضمنك من الزواج بأى
— إنك مجنون ولا ريب أبها الطفل
— من الخير لك أن تطيعنى

فشعب وجه فوشيريون من شدة الغضب .
وومضت عيناه من فرط الغيظ . قال :

— أخرج أبها للفرير وإلا عرمت أذنك
واتجه نحو باريك رافعا يده . فترجع الغلام
عنه ثم وأخرج من جيبه شيئا كان يحفبه ، مسدسا
ورفع به يده . ضغط الزناد ، فانطلق

فانشق صدر فوشيريون عن صرخة هائلة دوت
فى سكوت القصر العميق . وترج ثم سقط جثة
هامدة وقد اخترقت الرصاصة جبينه ...

وأقبلت المركبة على جبل ورأت كل شيء ...
ثم صرخت تقول : بعد أن ألقت بنفسها على ابنتها
وجردته من سلاحه .

— ماذا فعلت أبها الشقى ؟
وتركها باريك تأخذ منه السلاح ثم قال : وقد
رأها ترعى على الجثة تبكيها وتندبها :

— لقد أنبأنى أبى قبيل وفاته أن هذا الرجل
عدولى وعدوك ، وأوسانى بمحابتك من شره وغدره
حتى ولو أدت الحال إلى قتله . ولقد نفذت وصية أبى .
ثم أشتيع بين الناس أن الكابتن فوشيريون
مات منتحرا محمد عبد الفتاح محمد

إلى يده . وفى أثناء هذا الوقت القصير انتقل فجأة
من طور الطفولة إلى طور الرجولة وما يحمل من
متاعب وأعباء

وفى السنة التى تلت ذلك . أى بعد موت الأميرال
بشرة أشهر أو تقل راح الناس يلطون بقرب
زواج أرملة من الشاب الوسيم القسيم فوشيريون .
تناقلا ذلك فبا بينهم فى غمز ولز كما كان ذلك
مين ما يتوقمون . ويبدو أن الماشقين قد آثرا بعد
علاقتهما الفسنة الآتمة أن يرتبطا بملاقة يقرها
العرف والدين

ووصل الكابتن فوشيريون ذات صباح إلى القصر
الشديد حيث تنتظره المركبة مع ابنتها بعد إذ قضى
زوجها محبة

وعند ما متع النهار وارتفعت الشمس دخل
باريك على أمه يحمل من الأعباء ما ينوء به عمره
الصغير . قال لها :

— أحقا أنك تمدين العدة للزواج من الكابتن
فوشيريون يا أماء ؟

فأجابته بصوت مضطرب :

— من أين لك هذا ؟
لم ينس الغلام . فاستطردت المرأة
— على كل يجب ألا يستجوب الغلام أمه
— إنى لا أنبل مها يكن الأسر أن يشغل
الكابتن فوشيريون مكان أبى

— لا تقبل ! ماذا قصد بهذا الهراء ؟
ثم أشارت إلى الباب غاضبة واستأنفت
— أخرج من هنا حالا يا سيدى

فانصرف من لهنها إلى غرفته ، ثم غادرها بعد
بضع دقائق إلى غرفة فوشيريون واقترعتهما دون
استئذان . وأمسأ إحدى يديه فى جيب ينطلونه
وكان فوشيريون يحن لحبته أمام امرأة ،

الغلاف بطليمة كونه مسجلاً ألف
مثل هذه الأحوال فعباً على عينيه
منظاره، وقرأ في صوت أجش
جبل على تفصيل المقود :

يا ابني ، يا ابني العزيزين ،
إني لا أستطيع أن أنام قريراً
في شجتي الأبدية ما لم أبت

إليكما من رجاء القبر باعتراف ، باعتراف بجمرة مرقّت
حياتي بالندم . أجل ، لقد أقررت جرمًا ، جرمًا
غريبًا شنيعًا
كنت إذذاك في السادسة والعشرين من عمري ،
أمارس الحماة في باريس ، وأعيش في تلك المدينة
عيشة الشبان الثراء ، بغير مآرف ولا أسدقاء
ولا آباء .

فأخذت خلية . وكمن الناس من يشورون
لهذا اللفظ وحده : « خلية » ولكن بعض الخلق
لا يستطيع أن يعيش فريداً ، وأنا من بين هؤلاء ؛
فإن الوحدة تملأني باستيحاش خفيف ، وحدة المأوى ،
قرب المصطفى ، في المساء . حينئذ ينجح لي أن أعيش
على ظهر الأرض وسعيداً ، تحديقاً بأخطارهممة ،
وتكنفي أشياء مجهولة وغريبة . حينئذ ينجح لي
أن الحماز الذي يفصلني عن جاري ، جاري الذي
لا أعرفه ، يمدني عنه بمد التمتع التي أنا لها من
نافذتي ؟ فتنروني حتى من الجزع والخوف ، ويربني
صمت الجدران . ما أبلغ الحزن وما أجمع الصمت
في غرفة الرجل الوحيد ! أنت هناك لا بأخذك
الرب إذا رنق الصمت قدر ما يحتويك إذا اختلط
ستر أو قرقرت قطعة من أثاث . لأنك في مأواك

الإعتراف

للقصص الفرنسي جي دي موباسان
بقلم الأديب شكري محمد عيسى

أقبل قرية « فزير لوريتيل » من بكرة أبيها تشيع
جنائز السيد « إدون ليرنتيه » وتشهد رمسه .
وانطيمت في كل ذهن كانت نائب الولاية في تأليته :
« إن أقل ما يقال فيه إنه رجل شريف ! »

لقد كان رجلاً شريفاً بكل ما قدم من عمل مجيد ،
بأقواله ومثله ، بسلوكة ومعاملاته ، بسباه وشارته ،
بهبة لحينه ووضع قبضته . ما قال يوماً كلمة إلا ضمنها
حكمة ، ولا جاد يوماً بصدقة إلا شفعها بنصيحة ،
ولا بسط يوماً يده إلا كان كمن يزل حسنة

ولقد خلف ودين : ذكراً وأنثى . أما الابن
فقد كان على وشك أن يمين قائداً في الجيش ؛ وكانت
الابنة من عقائل فزير ، فقد كانت زوجة للسجل
السيد بوارل دلا فولت

وكانا موت أبيهما آسبين لا يميزان ، فقد كانا
يصداقاه الحب ويخلصان له الولاء

وما انتهت مراسم الدفن حتى آيا إلى المنزل ،
واختارا ثلاثتهم : الابن والابنة وزوجها ، ففوضوا
الوصية التي كان عليهم أن يتولوها وحدهم بمد أن يقر
في الأرض تابوت القعيد . وكانت على الظروف
إشارة تمين هذه الرغبة ، وتحم هذا الشرط
كان السيد بوارل دلا فولت هو الذي فض

ينشأ ويحفظ دون أن يعرفى ، ودون أن يعرفه الناس . ذهلت لهذا الخبر وامتلكتنى فكرة مبهمة ما كنت لأجتليها ، ولكنى أحسستها فى قلبى على أهبة للبروز ، كأولئك القوم التوارين وراء السدل ينتظرون إشارة بالظهور . كانت تدور فى أعماق تفكيرى رغبة فائكة : لو حدث حادث ! إنه كثيراً ما يقع لتلك الكائنات الصغيرة ، التى تموت قبل أن تولد !

أوه ! ما كنت أريد أن تموت عشيقتى ، فقد كنت أحبها حقاً تلك الفتاة المسكينة ؟ ولكن لى كنت أؤمل أن يموت الآخر من قبل أن أراه بيد أنه برز إلى الوجود برهقنا بالفتكات وبطالبا بالنعاية ؛ لقد كان يشبه كل الأطفال وما كنت لأحبه . والآباء لا يحبون إلا متأخرين فليس لهم مثل ما للأهبات من حنان تطرى وحذب مكتسب وحسب سريع . لكن يشيقظ عطفهم شيئاً فشيئاً ، ويرتبط قلوبهم بتلك الرشيجة التى تؤلف بين التمايشين وتربد على الأيام توثقاً وامصاراً .

وأدبر حول جديد فإذا أنا أفر من مسكنى الصغير وقد انتشرت فيه ثياب ولقائف وجوارب كالفافيز ، وألف شيء من كل نوع ماقى فى كل مكان : على قطعة من أمات أو على ذراع من مقبض . ولقد كنت أفر حتى لا أسمع صياحه ، فقد كان يصبح دائماً ويصرخ بنير انقطاع : إن بلدنا مكانه أو نطفنا جسده ، أو لسانه أو أرقده أو حملناه .

وعقدت مع بعض الأسرات أوامر المعرفة ، فقلت فى أحد الأهباء تلك التى عدت أمكاً ، فشفت بها حباً واستيقظت فى نفسى رغبة أن أتزوج منها .

الكتيب لا تنتظر صوتاً ولا تتوقع نامة وكم من مرة أزعجنى السكون الأخرس فطقت أنكلم ، أموه بالفاط لا رابطة بينها ولا معنى لها لأحدث صوتاً . حينئذ يلوح لى صوتى من القراءة بحيث أخافه هو أيضاً . وهل أبست على الرعب من أن تنكلم وحيداً فى منزل خال ؟ إن صوتك ليأرج لك حينئذ كأنه صوت سواك ، صوت مجهول يتكلم لغير سبب ولغير أحد ، ويشق جوف الهواء لثير أذن تسمعه . ذلك بأننا نعرف قبل التلفظ ما نوشك أن نقول ، فإذا أذن الصوت الحزين فى الصمت الجاثم لم يبد إلا تشبيه الصدى ، صدى عجيب خلفت ضليل حس به الدهن الكليل .

اتخذت خلية : فتاة ككل أولئك اللغنيات اللاتى يشن فى باريس من حمل لا يقيتهن . كانت حلوة ناعمة صمحة بسيطة ؛ وكان أبواها يستوطنان واس ، فكانت تذهب إليهما من حين إلى حين فتعشى بينهما بضمه أيام .

قضيت معها حولاً فى عشرة هادئة ، وأنا ثابت العزم على هجرها متى وجدت الفتاة التى أرتضيها زوجة . وكنت أهبها أجرها قدرأ صغيراً من المال ، فقد جرى اللرب فى مجتمعتنا على أن الحب يجب أن يشرى من المحبوب بالمال إن كان فقيراً وبالمهدايا إن كان غنياً .

ولكن هاهى ذى تفتش ذات يوم أنها حبلى . فذهرت ولحت فى لحظة كارثة وجودى . وبدا لى للث الذى سوف أرسف فيه دائماً : فى أسرتى المستقبلة ، فى شيخوختى ، حتى أموت . غل المرأة التى ارتبطت بى بوليد ، غل الطفل الذى يجب أن

أن أذوده ، وبأن أنتج ذهني لأفكار بيده وأمال جديدة ، كما تفتح النافذة لتسبح الصباح البكر فيزيح هواء الليل السم ، ولكني لم أستطع أن أبينه من ذهني لحظة واحدة . لست أدري كيف أصف هذا الغراب . لقد كان يقضم روعي ، فأحس لجذ استانه أنا هائلا ، أنا حقيقيا يلعب الجسد والروح جميعا .

لقد قضيت نحي ، فكيف أخلص من هذا الكلام ؟ كيف أرد التهمة ثم أثبت الاعتراف ؟ لقد كنت أحب تلك التي غدت أملي حب الجنون . وكنت أقول إن الحجر الكئود سوف يسد طريقها أيضا ، وسوف يملأ قلبها شجي ولوعة وأمتلكني غضب خفيف ، غضب سد حنجرتي ودفعني نحو الجنون ... نحو الجنون ... ! يقينا لقد كنت مجنونا ذاك المساء البعيد ؟

كان الصغير بنام . قمت ونظرت إليه وهو نائم . إنه هو ذلك السقط ، تلك الدودة ، ذلك اللاشيء الذي يلزمي شقاء مبرما لا يرجع ! كان بنام مفتوح للفم ، ومدرجا في لفائفه ، ناعما في مهد ، قرب فراشي الذي لم أكن أنا أستطيع عليه نوماً !

كيف فعلت ما فعلت ؟ هل أعلم أنا ؟ أي قوة دفعتني ؟ أي شيطان استبطنني ؟ لقد كانت الجريمة تحتدبني فينير وهي مني . لست أذكر إلا أن قلبي كان يدق ، وكان في رأسي منحب عجيب كأنما غادده كل تفكير وكل هدوء . كنت في ساعة من ساعات الدحول حيث لا يقدر المرء ما يرى ، ولا يدري ما يفعل ولا يقرر ما يريد

رفعت الأغنية التي كانت تستر جسد ولدي ،

(٤)

وعينت في القضاء فطلبت يدها وأجيت إلى ماطلبت . وأسميت من أسري في رفق شديد . أأبني بشك التي أعينها ولي ذاك الولد ، أم أصرح بالحق فأفقدتها وأفقد السعادة والمستقبل وكل شيء ؟ لقد كان أبواها من الصارمين الزميتين ولو علما الحقيقة ما أسلمها إلى .

قضيت شهراً في أنون من المم والالم ، تموج في ذهني آلاف من الأفكار الخفية ، فتثير في بقصى البيض والدماء نحو ابني ، نحو هذه القطعة الوجلة من اللحم الحلي ، نحو هذه النطفة التي تسد طريق ، وتسلي إلى وجود لا رجاء فيه ، ولا أمنية تملأ الشباب حياة وجمالاً .

ولكن ها هي ذي خليتي يعتريها المرض فأبقي والطفل وحدي .

كنا في ديسمبر ، وكان الطقس فراقاً شديداً . يا لها من ليلة ! لقد يارحتني خليتي قمشيت في قاعتي الضيقة وحدي ، ودلفت إلى غرفة الصغير للنائم . جلست على مقعد إلى المصطل ، وكانت الريح تمصق فيفرقع لها الزجاج ، وكنت أبصر النجوم من نافذتي تلعب لمها الحاد في ليالي الصقيع .

إذ ذاك سمعت إلى رأسي للكرة الذي احتواني شهراً ، وماكدت أجلس ساكناً حتى هبط على ونفذ إلى وتا كل قلبي . وإذا هو في رأسي كالكرة الراسخة يتنخر فيه نخر السرطان في اللحم للرنين . كان يخيل إلى أنه يدب في الرأس والقلب والجسد ، ويحس من الأطراف والشفاف والسامع ، ويتلنى كأنه الوحش الجائع المهروم . فأردت أن أطرده ،

رأيت يتنفس في هدوء فطأنت نفسي ، بيد أنه سعل
مرة ثالثة فأحسنت مثل وقع الصاعقة ، ونكمت
على عقبى كرن رأى شيئاً أربعه فسقطت الشمة
من يدي

ولما التقطتها واستويت واقفاً إذا بخدي مبلان
بالمرق ، بذلك المرق الذي تحببه النفس ساعة ثورتها
لأهباً مثلجاً في وقت ممك ، وكأنما تنقست بين العظم
والخناج نفحة من ذلك العذاب القليظ ، الفارس
كالثالج ، اللانج كالنار

ظلمت حتى الصباح عافياً على ولدي ، أسرى
عن نفسي ألم كلاً رأيت هدأ وسفا ، ويمزقني الألم
كلما انبثت من فمه الصغير سملة خافتة
واسقية ظ وقد اجحرت عيناه ، واضطرب حلقه
وبأن عليه الألم

وعند ما أقبلت غادني أرسلت في طلب طبيب ،
فجاء بعد ساعة ، وقال بعد أن فحص الصغير :
— ألم يصبه برد ؟
فطقت أرتعد كارتعاد الشيوخ الطاعنين
وعتمت :

— كلا ، لا أظن

فأجاب :

— أنا لا أعرف شيئاً غير هذا . سأعود هنا
الساء

وعد في المساء . وكان ولدي قد قضى جل النهار
مبتكلاً لا يفتق ، ساعداً بين الحين والحين

ودامت تلك الحال عشرة أيام ، ولست بقادر
على أن أسف ما عاصت في تلك الساعات اللطال التي

وألقيتها تحت الهد ، ف رأيته عارياً تماماً . ولم يستيقظ
فنهبت إلى النافذة في هدوء وفتحتها
واندفت هبة من الهواء كأنها الجرم الأثيم ،
نكمت لبردها ، وخفق لصفها نور الشمعتين .
وظلمت بجوار النافذة قائماً ، لا أجسر على الارتداد
حتى لا أرى ما يجري خلقي ، وأنا أحس على يدي
وخدي وجيبي برد الريح الميتة لا تفتأ ما كفة
على المبوب . وبقيت كذلك طويلاً

لم أفكر قط ولم أندبر شيئاً ، حتى ضمت سملة
صغيرة أرسلت في رعدة بلشت منبت الشعر أحسها
اللحظة مرة أخرى ، وفي حركة هنيئة مجنونة أوصدت
مصراتي النافذة ، ثم عدت فمدوت إلى الهد
كان ما يزال قائماً ، مفتوح الفم ، عارياً تماماً .
فلست قدسيه فاذا ما بارد كان كالثالج ؟ فردت
عليهما النظار

ورق قلبي فجأة وأعطط ، وامتلاً حناناً وعطفاً
وحبا لتلك الخلق البريء المسكين الذي أردت قتله
قتلته طويلاً في شعره الرقيق ، وعدت فجلست
إلى المصطل

تدبرت في ذهول ورعب ما قبلت . وساءت
نفسى من أن تمصف بالإنسان هذه الفكر التي يفقد
مها كل تقدير للأشياء وكل سلطان على نفسه ،
ويسمل في مثل نشوة السكران أو ذهول الأخرق
بغير عالم ما يفعل ولا حاسب حساباً لما سيكون ،
فكانه زورق وسط إعصار شديد

سئل الطفل ثانية ، وأحسنت كأن قلبي يمزق .
أه لومات إياه ، إياه ، ومن أغدو أنا ؟
نهضت كي أراه ، وحنوت عليه وفي يدي شمة

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الطنب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريفته،
وفي أسلوبه، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
نأقندو أبي السلاء إنه عارض به القرآن . ظل
طول هذه القرون مقفوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زغاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجره البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن إدارة « الرسالة »
الرقم ١٣ قرشاً

تفصل بين كل صباح ومساء ، وكل مساء وصباح
لقد مات ...

ومنذ تلك اللحظة لم أعرف ساعة واحدة
تعميق من شناعة هذا الجرم ، أو تخميين من لميب
هذه الذكرى التي تعد الحشا وترمض الجوانح ،
وتدور في النفس كوحش مميت ، حبيس في أعماق
هذه الروح
آه ! لو استطعت أن أغدو مجنوناً !

خلق السيد بوارل دلائل منظاره في حركة
مأثرة لديه عند فراقه من قراءة عقد ، وتبادل الورقة
الثلاثة النظرات دون أن ينبسوا بكلمة ، فقد كانوا
شاحجين سامعين لا يتحركون
وبعد دقيقة قال المسجل :
— يجب أن نمدد هذه

ونخفض الآخرين رأسهما إشارة الاقرار ،
فأوقد السيد شمعة ، وفي عناية واحتراس فصل
الأوراق الحامية الاعتراف الخوف عن تلك اللشامة
توزيع المال ، ثم قدسها إلى النار وقذفها في المدخنة
وراقبوا الأوراق البيضاء وهي تحترق ، فلم تمد
بعد قليل غير كومة صغيرة سوداء . ورأت الابنة
أجزاء من الورق لا تزال بيضاء تحمل حروفاً قليلة
خطمتها بضربات صغيرة من كعب حذائها وخلطتها
بالرماد القديم

وفي ثلاثتهم زمناً يشهدون هذا الرماد ، كأنما
خشوا أن يفر من المدخنة السر المحرق
شكري محمد عياد

وفي مقصورة - وقتئذ -

من مقاصير الجراء ، المقمة
بأريج المسك ، وشذى المنبر ،
كان أبو عبد الله آخر ملوك
بنى الأحمر جالساً للفرصاء في
حرايب من محاريب الصلاة ،
يميد الله ويندب حظه ، ويودع

نَفْسُهُ الْعَبْدِي
أَقْصُوصُهُ شَرْقِيَّة
يَقْلَمُ الْأَسْتَاذَ مُحَمَّدَ عَبْدَ اللَّهِ الْعُودِي

(إلى غرناطة ...)

لله ... يا زهرة مدائن الأندلس أجيلة ؛
يا موطن النور والحب والأزهار !
أين ذهبت السعادة التي كان يرقل في أنوارها
سأدلك الأجداد ؟ أين فصوصك الصيفية العريقة
البدية ذات النائر الطاعنة في أجواز الفضاء ؟
ما الذي حدث يا غرناطة حتى قطعت عن الوجود
لحنك المربوب ، وأغانيك الشجية ؟
(الفرناطى : جوزى زورلا)

في صباح مكفهر الوجه ، صرهد الأفق ، وفي
ساعة مشثومة من ساعات الدنيا الفاصلة لجمال التاريخ
وقمت أبجع فاجعة دامية حملها تاريخ الاسلام ،
وطويت آخر صفحة من صفحات النبوغ العربي
في بلاد الأيبان !

كان ذلك في صباح ١٠ يناير من سنة ١٤٩٢
ميلادية عند مادوت في سهل الفيجيا Vega الفسيح
ضربتان من مدفع نصب على أعلى برج من أبراج
الجراء ، غطرة ملك إسبانيا الجديد فرناند للتحصن
بمدينة سانتافي Santeff^(١) التي لا تبعد كثيراً عن
غرناطة ، أن يتحرك ليتسلم زمام الأمر ومقاليد
الحكم في حمراء غرناطة !

(١) مدينة في الفيجيا بناها الكاثوليك أثناء حصار
لغرناطة

أيامه المطرلة للسابعة على أمواج الماضي في آخر
ليلة من ليالى الجراء العاصية !
وتولت الطلقات تدمدم في آفاق غرناطة ،
فلم أن الساعة قد أزفت ، وأمر الله قد وقع ، فقام
من فوره متثاقلاً وأحبط على شرفة من شرفات
الجراء قترأته جبال سيرانافادا Sierranevada^(٢)
وقد تجمعت بركام من الثلج القضى الذى يلعب في
أعطاف الفجر ؛ وإنه لكذلك وإذا بنسبات الفجر
الرفيقة قد هبت من أطال هذه الجبال حاملة معها
أنفاس الروج ، وعطر الأحراج ، إلى غرناطة
وجرائها !

ثم أخفض عينيه ، ووضع رأسه بين يديه ،
واستسلم لتفكير عميق ممض ، وراحت مواكب
الذكريات تنزاح على نفسه ، وتثقل صدره ، ولم تدم
طويلاً لأن غنمة الأحراج ، وهجمة الجداول
للساجية التي تنشق دوهات الجراء قطعت عليه سلسلة
تفكيره فرفع رأسه للثقل ورى بطرفه ثانياً في ضوء
الفجر فرأى غرناطة ، غرناطة حبيبتة التي صب
عليها أجداده من قبل أنوار العظمة والجمال ،
غارقة في أمواج من الخضرة والنضرة والسكون
المعيق ...

(٢) معناها سلسلة جبال الثلج

شوارع غرناطة وقد أقفرت من كل شيء تحف
به كوكبة من رجاله المخلصين وبلغ آخر المار فاحتضنه
سهل النيجا، فلاحت خلال أعصاب النار الخلود
اللامعة، والرياح التالفة، ودمدمة الجيش الاسبان
المتصر يشق طريقه إلى غرناطة ...

وهناك في مكان معين قابلته أولى طلائع الجنود
الاسبانية وقد نسجت في الجو من غيرها رداء
عكراً حجب قرص الشمس، وقد ملأ هزوها
الآفاق وفي مقدمتها ذلك اللعج الأساني
(يدرو فازالو دي متدوزا) الذي يمتد التارخ
أعظم موقد لنار الحرب على غرناطة. ونظر هذا
إلى أبي عبد الله نظرة الشبهة، أتبعها بتحية مقراء
مزقت أحشاء الأمير العرب التمس

وتنايبت مواكب الأسبانيول تملأ السهل
والوهر، وهي تصب في سهل النيجا أروع حماسيات
قتالا، وأعذب الحان أراغونيا، وابن الأحمر
سام واجم تفتسه الآلام، وتتنوشه الموم من كل
جانب، ولكنه أبدى من رباطة الجأش، ومناة
الرجولة، ما بهر أنظار الفرسان وهم يرون به سرياً.
وبينا طرفه بموج في هذه الأمواج إذ لاح
له كوكبة من الفرسان تتوسطها مركبة مرصعة
بكرات الفضة، وعلى واجهتها الخلفية المرتفعة
يتذبذب في وهج الشمس صليب ضخّم الحجم هائل
النظر، من تحته يجلس الزوجان السعيدان فرداند
وإزابلا ومن حولها صفوة ختارة من الفرسان
شاكى السلاح !

وطبقاً للشروط القياسية التي تمهد بتنفيذها هذا
الأمير التمس فقد انحط من على فرسه بسرعة البرق

وسمعت من صدره زفرة أرسلها في جوف
الفجر إزاء هذه المناظر الساحرة التي حركت
إحساسه، وألميت عواطفه، وهزت أسلاك قلبه،
وأكثرت كامن شجونه ! ثم فطرت من عينيّه دميّتان
ساخنتان، وعيناه شديتان يمثل هذا الماء في جميع
الأدوار القياسية التي مرّت به، ولكن الرجال
ساعات تتلاشى فيها رجولتهم وكبرياؤهم

وراح صدره ينلر ويهبط، وعيناه عمدتان
إلى غرناطة وقد بلتها السموم ونسجت عليها ثوباً
شفافاً ترامت له هذه المدينة الساحرة من خلاله
وهي مضطجعة في هذا السهل اللرع الخفض،
كأنها قطعة من سحب ناصع ضارب في سما
صافية !

وغرق ابن الأحمر في بحار التأمّلات، وما أفانق
إلا على قول الحارث بن حازم:

أهجموا أسرمهم عشاء فلما

أصبحوا أصبحت لهم فوضاء

من مناد ومن عيب ومن تصها

ل خيل، خلال ذاك رغاء

فأطل من شرفته ليرى ما الخبر، فإذا بمجاشيته
تضطرب في فناء السباع، وقد أعدت كل معدّات
السفر، ولم يبق إلا نزول للسلطان ليأخذ طريقه
إلى منقاه !

غامت مقاصير الحمراء في عينيّه، وقد كانت
بهجة النفوس، ومثمة الخواطر، ونزل ابن الأحمر
يجرأ ذبال الحمية وتقل الزمن، وحساب التارخ،
متناقل من هالك يتربح في مشيته كالمثل، واخترق
الفناء فامتطى صهوة جواده الأدم فاندفع به في

أبواب غرناطة بينا الأهازيج تجلجل في أجواء الفيجا
ووقف سيد الأسى وطريد اليوم ، يندب حظه
وملوكه المضاع ، ثم زفر زفرة عرقة مرقرت أحشائه
وسقط منشياً عليه ، وما أفاق إلا على طلقة مدفع
أحدثت دوياً شديداً في سهل الفيجا ...

نهض وقد علت بوجهه الشاحب حبيبات من
الرمل ، أبعدتها برده ثم أقبل على جواده فرأى هناك
بسيداً على قبة برج من أبراج الحمراء سلياً من الفضة
الصالفة مؤذناً بأفول الهلال ، وعلى برج آخر حلت
عمل راية القرآن الزاية القشتالية تملج في الرياح !
ومن هذا اليوم انقطع ذلك اللحن السارى
الحنون الذى ينصب في أذن الفجر هاتفاً : الله أكبر ...
الله أكبر ... ! وارتفعت غريات النوافيس ، ودق
الطبول ، وترانيم القسوس ، وسقطت غرناطة في
أحضان المسيحية !

تحرك ابن الأحمر من مكانه ، وامتطى صهوة
جواده ، ولحق به أصحابه ، فلفهم الأفق برداه
وهناك تحت أقدام جبال الثلج انضطجت قرية
صغيرة على سفح من سفوحه قد لفها الضباب برده
تسكها بضع عائلات عربية رفيقة الحال ، تشتغل
بالزراعة

فزل ابن الأحمر على عين من عيونها يقضى
(سواد) نهاره هناك ، وعلت بقدمه جوع
العرب فتوافدت إليه تسكب بين يديه العبرات
الحرار ، وتندب ملكاً مرقته المصيبة ، وتترنم
الشهوات والأهواء !

عند ما اقتربت منه المركبة اللوكية ، واخترق
الصقوف ، ووقف في قلب الموكب والحزن يحز قلبه
حزراً ، وشاهده في هذه الأثناء فردناذ بعامته العربية
البيضاء المتأزفة قترت قليلاً في سيره ليسلب ثمره
هاتيكاً ويحطم كبرياء العربي ، ونظر إلى أبى عبد الله
نظرة فهم مضمونها فأحسنى له هذا ، وقد أغمض
عينيه ، انحناء ماهرقتها ملوك العرب منذ الأزل ،
انحناء كان كابوسها الرهيب يمثل له في لياليه
الأخيرة حتى أجهز عليه !

وتأذنت أنظار الجمهور من هذه النهاية المؤلمة التي
جلت بأبصار المؤمنين سلطان غرناطة ومالقة والرية
أبى عبد الله سليل بنى الخوارج !

ثم رفع السلطان رأسه وقد احترت عيناه وأدلى
بيده على جبيه وأخرج مفاتيح المدينة وقدها
لفردناذ قائلاً :

« أبها السيد ! هذه غرناطة ملكاً لك ، وما قدر
الله كان ، فهاأنذا أشع مفاتيح هذا الفردوس بين
يديك وأفوض إلى رحمتك وسدق إخلاصك حقوق
أبنائى (١) »

ثم أشاح بوجهه وقد تقصد جبينه حرماً ،
وظن الجمهور أن الاسيان قد أخذته نشوة
النصر ، وتفتحت له جنان غرناطة ، ستأخذ حنوة
على هذا الأمير الشكود فيفيض على قلبه المسحوق
اللطيف وحسن الماملة ، ولكن المرة الكاذبة ،
سلبنا منه مميزات النفس البشرية فاستلم الغاليد
ونابج سيره في جموع المسيحية التي قاربت طلائعها

(1) Luisa banal : gli ultimi signori dell'al-hambra

فترامت لهم آفاق الأندلس في ضوء الفجر تيمت
 سماء الليل والتسبيح في النفوس... هذه رحاب
 الأندلس كلها قد بدت كالسباط المدور حالة غارقة
 في أمواج الخضرة، ضاحكة بمفاتيح الطبيعة؛ وهذه
 خيالات القرى البيضاء قد لاحت من خلال أشجار
 السرو والصفصاف كاللؤلؤ المنثورا وتقد ابن الأحمر
 مدينة أحلامه، ليودعها آخر نظرة، وأخر زفرة،
 إلى الأبد! فرأها غارقة في سبات عميق وقد غسلت
 أمواج القمر أرجاءها المشمخة ومناظرها السامقة،
 فبدت تتلأل في ضمير الفجر كشبح من قصة
 تهطل من أجفان السماء!

أثر هذا المنظر الساحر في نفسه فزفر زفرة
 حيقة سجلها التاريخ في مطاويه ثم هتف هتافاً
 عالياً:

الله أكبر... الله أكبر...

غرناطة... غرناطة!

وسقط تخنقه العبرات في بحبب طويل!

في هذه الأثناء كان قرص الشمس المذهب قد برز
 من خلال الجبال مهباً تلك النائم الرقيقة الساجدة
 في هذه الأجواء. وأفاق ابن الأحمر على قبيلات
 الشمس المائلة وقد تفرحت أجفانه من فرط النجيب
 بينا كان أحماجه ينشجون نشيجاً مؤلماً يفتت الأكياد
 ويذيب الجداد، وتشتجع أحدهم وقد ألتته هذه
 المواقف التي تدعى الفؤاد فتقدم نحو السلطان وعلى
 شفثته بضع كلمات تقال في مثل هذه المناسبات
 الموجهة تخفيفاً لكرب وترهيباً لاخاطر الشر:
 — صبراً يا عظيم الروح صبراً... فلبعض

لم يمس على وصوله ساعات حتى أقبلت أمه
 عائشة، المرأة التي كان لها اللدح الملل في هذه
 الفاجعة، تحف بها جوع الحدم والحشم وقد جلت
 من أسوأ الجراء كل ما خف حله، وغلامه!
 وأذنت الشمس بالنسب، وقبل أن تختبي وراء
 خرب الأبدة، وقبل أن تمانق فلولها هامات الجبال
 المسكلة بمصابب الثلج، أوى أبو عبد الله إلى مخدعه
 يائساً وقد هد الحزن أركان قلبه، وأكأت نار
 المذاب فؤاده، وانطرح على فراشه وعيونه تنفجر
 بالأم أعظم فاجعة عرفها تاريخ البشر!

كان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر يناير
 سنة ١٤٩٢، قبل أن تنفض ذاك أشمها المائلة
 على أعالي جبال البشرات Alpuxarrat أخذ
 أبو عبد الله طريقه إلى إفريقيا في غلس الفجر قبل
 انبثاق النور...

ولفهم مهمل النجيبا بصمته الرهيب، فلم يحس
 لهم حساً ولا جرساً، اللهم إلا حوافر الخيل توقع
 اللحن للوجع في سمع الطبيعة، وتعل على الوجود
 سورة الخلود العربي المخلف في بلاد الأسيان
 ونجاة، كانت الخيل قد وصلت إلى أعقاب
 جبال الثلج، فافتحمت مسخورها، وتتلذت
 في أحشائها ترهاها مرتعشاتها الفاجعة صمداً إلى
 أعنان السماء!

وهنا بلغوا الدروة القصوى لهذه الجبال،
 وهنا نفت العربي الخرزجي زفرته الأخيرة كأفاس
 الصيف...
 وأجال الفرسان أنظارهم من على هذا التهم،

وقفته الأخيرة ، وزفر فيها زفرة الشهيرة فلا تزال
حتى هذه الساعة تؤلف ضرباً من الخرافة والتاريخ
في سدور الأسبانول

يعربها السائر فيجبها فتحتدم في نفسه ذكريات
الماضي المعطر ، ويرنو إليها البعاب الأسباني وهو
معلق بسارية سفينته في عرض البحر المتوسط فيطرق
مليا مشغول البال ، ميليل الخطاط ، ثم يترنم بأغاني
شجيرة ومقاطع رومانسية تتلح بأخبار العرب
وآثارهم ... هذه الربوة مشهورة في الفناء والتاريخ !
هذه *il sospiro del moro* « زفرة العربي »^(١)

محمد عبد الله العمري
دبلوم دار المعلمين

(القاهرة)

المصائب عن ... ولها فوائد فعالة عند ما تتموج
ذكرائها في أذهان الأحفاد ... !

ولكن أباً عبد الله لم يمس بهذا ، بل أشار بيده
وقد خفضها قليلاً إلى غرناطة الساحرة وهي تضحك
في نور الشمس وأجاب بكلام رقيق كنوم السحر :
— أواه ! أي نكبة تماذل نكبتى هذه ؟

ثم همز جواده الطعم ، فابتلته أحشاء الجبال ،
وغابت عن عينيه غرناطة ... إلى الأبد !
وركب البحر إلى (مليللا) على الشاطئ الأفريقي
وشخص نحو (فاس) حاسمة الأيالة المراكشية وبقيت
روحه منشجة بوشاح الحزن والكتابة طيلة حياته

(1) Yoseph moccabe : the splendour of moorish
spain

أما الربوة العالية التي وقف عليها أبو عبد الله

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية الجميلة على اختلاف أنواعها

معتدلة في أثمانها ...

رائعة في ألوانها ...

فبادروا باخذ طلباتكم

حاجي بابا اصيفهانى

لكاين الانجيلي نبي جهنم نور
بقلم الأديب الأستاذ عبد الطيف اللشار

الفصل الخامس والثلاثون

الحظ يتسم في دهر حاجي بابا بك

كانت الهدية الوحيدة التي عدنا بها إلى رئيسنا هي كبشين سميين، فلما وصلنا إلى مسكرنا قدمنا نفسيهما إلى النائب الذي قدمنا إلى «النازا كشي باشا» وكان إذ ذاك جالساً في خيمته يتحدث مع بعض أصدقائه

قال لشعير بك : « هل جئت بالضريرة أم بالعمدة ؟ ما الذي فلت ؟ »

قال شعير بك بهجة عجيبة من التملق لم أتصور أنه قادر على مثلها : « كلا يا سيدي الرئيس لم أجيء بهذا ولا بذلك، ولكن للعمدة أرسل كبشين ليذبها عند بابك، ولم يكن عنده غيرهما حتى ولا القوت، وإذا لم تنجد الحكومة الإيرانية هذه القرية بما يكفيها من الطعام فإن أهلها سيموتون جوعاً أو سياً كل بعضهم بضعاً »

فصاح الجلال : « أ هذا هو الصدق ؟ إذا كان عندهم خراف فهل يعقل أنه ليس عندهم نجاج ؟ هل هذا القول معقول ؟ »

قال شعير بك : « إن ظنك سائب يا سيدي الرئيس ولكننا لسنا نتكلم عن النجم بل عن القمح » قال الجلال : « ولكن لماذا لم تتبع الأوامر

الصادرة إليك فتأتي بالعمدة وكبار أهل المدينة ؟ أنا لو كنت هناك لأخرقت جثث هؤلاء الأوغاد أو لأذقتهم أنواع التعذيب حتى يعرفوا بأن لديهم ثروة غبوة »

وقال شعير بك بعد أن نظر إلى مستنجداً : « لقد كنا نريد أن تأتي بهم وعدنا ونأقهم وعربناهم وعنفناهم وحاجي بابا يعرف كل شيء فقد طلب إليهم أن يدفعوا الضريبة نقداً وإلا فأنهم لن يجدوا منا رحمة لأن الرحلة ليست من أخلاقنا، وحذرنا من سطوتك يا سيدي الرئيس قائلاً إن شجاعتك لا تعرف التردد، وقوتك لا تعرف الهين، ولم يزل يصفك أمامهم حتى أغضى عليهم من الخوف »

قال لي الجلال : « ما الذي أجابوك به يا حاجي بابا ؟ إنني لم أفهم لماذا لم يأت هؤلاء القوم أمامي كما أمرت » فقلت بمتنى الخسوع : « وأنا لم أفهم كذلك فإن شعير بك هو الذي كان ينوب عنك في هذه المهمة، وقد تولى الأمر كله بنفسه وقد ذهبت في خدمته فلم يمهّد لي بشيء »

عند ذلك ثارت ثائرة الجلال وخطبنا بأشد ألفاظ الاحتقار ونظر إلى أصدقائه وقال : « من الواضح أن هذين الوغدین قد لبسا لبة هناك . قل لي يا شعير بك بحق للملح والنجز الذي أكلته في خدمة الشاه، كم طوماناً أخذت في هذه الصفقة ؟ » ثم نظر إلى وقال : « وأنت يا حاجي لم يعض عليك أكثر من شهر واحد في الخدمة فكيف طوماناً ربحتم ؟ »

حاولنا عبثاً أن نبري أنفسنا وأقمنا أغلظ الايمان فلم تقابل بغير التكذيب. ثم استدعى الجلال

زملائى ينظرون إلى نظرتهم إلى رجل زيه لانه تخفه الطامع وقال أحدم : « إن ذلك يرجع إلى كونه طبيباً والأطباء يعرفون الحكمة وهى أعلى من كنوز الأرض »

وقال آخر : « إنه رجل يقدر المواقف فلا يضع رجله حيث ينبغي أن تضع رأسه »

وصفة القول أنى اشتهرت بأنى رجل حريص حذروانى — بالرغم من كل ما رأته من المصائب — رجل حسن الطالع موفق الحظ

وكانت نتيجة هذه الشهرة أنى عينت مساعداً لرئيس الجلادين، وهذا منصب كبير الأهمية كما سيتضح للقراء .

الفصل السادس والثلاثون

رثر القاب لا تغيرها طبيعة المنصب

فى ذلك الوقت نشبت الحرب بين حكومة الشاه وبين السكوف الذين اعتدوا على الحدود الإيرانية فى المقاطعة الواقعة بين نهري خور وأراس، وهى مقاطعة يحكمها قائد من خاصة أتباع الشاه، ورتبته فى الجيش رتبة « سردار » فصد هذا الحاكم الجنود الروسية التى اخترقت حدود بلاده، ولكنه لم يكف بذلك بل طارد الأعداء فى بلاده رغباً فى تحقيق أمل قديم عند الإيرانيين وهو الاستيلاء على البلاد الجنوبية من القوزاق حتى مدينة تفليس

وكانت الأخبار تصل يوماً إلى الشاه فى قصر السليمانية كما كانت تصله بين حين وحين رؤوس الضباط الروسين الذين يقتلهم الجيش الإيراني، فكانت تقابل بمخفلات عسكرية لأن استمرار إرسالها كان دليلاً على النصر

ثابته وأصره أن يسجننا حتى باتى المدة ورجال المدينة فيواجهون بنا

ولما صرت أنا وشعير بك وحدنا عرض على نصف ما أخذه قائلا : إنه لم يرد حرمانى ولكنه كان ينتظر غودتنا ثم تقسم الهدية

فقلت له : « كلا أيها الصديق . لقد جاء هذا الجود بعد فوات الوقت وإذا كنت قد شربت من الخمر الحمراء فأصيب رأسك بالصداع فلماذا تطالب إلى أن أصدق رأسى وأنا لم أشاركك فى شربها؟ حسبي من هذه الرحلة أننى تملت درساً وفنت به، وشكراً لأنك أنت الذى علمتنى هذا الدرس »

فأول بعد ذلك أن يقال منى وعداً بمساعدته عندما تواجه بالمدة وأن أقسم على صحة ما سوف يدعيه . وبالرغم من تشده تارة ولينه طوراً فأنى لم أأنه هذا الوعد . وقال لى إنه إذا جلد قلن يمينى لأنه اشتهر بالقسوة الشديدة فى جلد المحكوم عليهم وأنه لذلك لا يرجو من الجلادين شيئاً من الرحمة، وأقسم أنه يفضل أن يسكب بأية نكبة على أن يحكم عليه بالجلد

ولما اقرب الوقت الذى سندعى فيه إلى « التازا كشي باشى » لم يوجد شعير بك . وسئلت عنه فقلت : إنه خاف أن يحكم عليه بالجلد ، ولذلك لا يزال الفرار

ولما جئى بالمدة وأصحابه شهدوا بأنى لم أخذ منهم أى شئ . وأنى على التفتيش من ذلك كنت أتهم على تقديم هدية تمينة للتازا كشي باشى وشهدوا ضد شعير بك بأنه ساومهم وقبل رشوتهم وقد أثرت شهادتهم هذه أثراً حسناً فى نفس التازا كشي باشى . وتداولت حديث الألسن فأخذ

ولى المهدي إلى مدينة جانجا التي حاصرها العدو
ولما تداول السردار مع نازا كشي باشي يوم
وصول الأخير اتفق وأبهما على بث الجواسيس في
الجهات القريبة من الميدان لتقرب حركات الروس
وجعلت رئيساً للجواسيس المينين من قبل
نازا كشي باشي وجعل رجل آخر رئيساً للجواسيس
المينين من قبل السردار ولكن القسم الأخير لم يكن
له مثل درايقتنا بهذه البلاد فكفوا باستشارتي وجعلت
في الواقع رئيساً على الفرقتين، قيمت الرؤساء حولي
بعد صلاة المشاء وألقيت عليهم أوامري ثم مررت
بهم إلى قرية « اشتارك » ومررتا في أثناء الطريق
إليها بقرية ايشمبارك وهي قاعدة البطرك الأرمينية
وكان وصولنا إلى جسر اشتارك قبيل الفجر
وكننا نسير على الشاطئ الصخري للنهر بين المرتفعات
العالية . وكانت القرية واقعة خلف تلك المرتفعات .
وبالرغم من أن نور الفجر لم يكن قد سطع في هذا
الحين فقد كان من في القرية يستطيون رؤيتنا بين
الأكام المتخلفة عن بقايا الكنائس الأرمينية الكثيرة
في هذه البقعة من إيران

وقد نهت حوافر الجياد في عدوها كلاب
القرية فأخذت تنبح ونحن لا نزال ببدين ، فلما
ازددنا من القرية دوأ سمنا رجلاً يقول للآخر :
« يا على ! يا على ! ألا ترى شبحاً أبيض بالقرب من
الكنيسة ؟ »

وأشار إلى مكاننا
فأجابه الآخر : « نعم هذا هو النول الذي
اعتدنا رؤيته في هذه الساعة . إنه يبحث من جهة
ليأكلها »
سرنا في الطريق ونحن نسمع هذين الرجلين

وأمر للشاه حاكم مقاطعة أذربيجان بأن يعد
السردار بقوة عظيمة من جيشه ليستم في غزواته
للبلاد الروسية

وفي يوم من الأيام جاء رسول من السردار
يقود خمسة جال بحملة برؤوس الروسين، ولكن يظهر
أنه جاء في الوقت نفسه بأخبار مقلقة لأن الشاه
أمر بإرسال حملة يقودها النازا كشي باشي وعدد
جنودها مائة ألف ومعه ضباط برتبة بكباشي
« قائد ألف » و « يوزباشي » « قائد مائة » وأونباشي
« قائد عشرة »

في ذلك اليوم أنسم على كثيرين من الجلادين
ببعض هذه الرتب واكتظت الطرق المؤدية إلى خيمة
القائد بالضباط الرأخين والنادين على جبل لتلقى الأوامر
الخاصة بنظام هذا الجيش

وكانت مهمتي من أصعب المهمات لأنني كانت
بقيادة فرقة من الجنود والرو بها على القرى لتجند
الشبان من أهلها وتدريبهم على القتال
وكانت هذه المهمة تستلزم نشاطاً شديداً وحركة
دائمة ولكن فيها من جهة أخرى نفماً كبيراً لأنه
كان من السهل على فيها أن أحصل على ثروة كبيرة
لو أردت ذلك . لكن الموعظة التي استفدتها من حادثة
شعير على بك لم تنب عن ذهني، فمزمت على أن ألقى
نار الطمع بماء الصبر وعلى أن أبقي يدي طاهرة من
أموال الناس

وصلت بفرقتي إلى مدينة أريفان قبل وصول
الجيش بثمانية أيام . وهناك وجدت السردار وكان
قد وصل إلى مدينة جافيشلار ولكنه عاد فتقهقر
إلى أريفان منتظراً وصول المدد . وفي هذا الوقت
وصلت فرقة أخرى من الجيش الفارسي بقيادة

شيئا بشأناك . من أين جئت ؟ وإلى أين تريد الذهاب ؟

فقال لي الشاب : « إن قصتي طويلة محزنة ، فإذا ساعدت علي نقل هذه الفتاة السكينة إلى حيث تأمن ويمنى بأمرها فسأقص عليك قصتي . وهي مصابة بجراح شديدة ولكنها ستشفى منها إذا سادفت عناية . أحمده الله على أنك لم تكن من جنود السردار وأرجو أن تطف على لأنك ستجد بعد أن تسمع قصتي ما يحملك على مساعدتي وإزقاذي .

لم أكن في حاجة إلى استجدائه رحمتي لأنني أشقت عليه وعلى المرأة التي معه ساعة وقع نظري عليهما وقتلت له إنني أجبب مطلبه فبا يتصل بالفتاة وإني سأخبره عن رأيي فيه بعد أن أسمع قصته

ثم ساعدته على تضميد جراح الفتاة وأصرت واحداً من جنودي بأن يترجل عن جواده وحملناها عليه وأخذناهما إلى القرية ثم دنا على منازل أهلها حتى توخنا في أحدم الروء والانسانية فهدنا إليهما بملاجعنا ووجدنا من الرجل قبولاً حسناً وشهامة ، وقابلتنا زوجته فقالت لهما تسر من أداء هذه الخدمة في علاج المريضة ، وعلمت من ذلك الشاب أن صاحبي اللزل أرميتان مثله ومثل المريضة التي معه وأنه مسرور لذلك فهو لم يكن يتوقع أحسن منه

الفصل السابع والثلاثون

يوسف الأرميني وزوجه مريم

كان في عزمي الذهاب إلى مرتفعات أبيران حيث الهواء بارد طلق وجئت المرعى مشعب خصب صالح للحياد ، ولكنني علمت أن قبائل الرحل التي كنت أحسبها معسكرة في مكان معين قد انتقلت

وغيرها يستعيذون بالحسين والأئمة وبالنبي وبيل . وعلمهم أحد الموجودين آية ، قال : إنهم إذا نلوا هرب للتول . فتولوا ولكنهم ما زالوا يرون شعباً غامضاً ، فأكد ذلك الرجل أن الشبح لو كان قولاً لاختفى بعد تلاوة الآية الشريفة ، وقال وهو يبدو بجواده : انتظروني حتى أراه وأخبركم بحقيقته

وجري في غير اتجاهنا ثم عاد يقول : إن الذي كانوا يحسبونه غولاً لم يكن إلا امرأة على وجهها نقاب أبيض وهي تحاول الاختفاء في أنقاض كنيسة أرمينية

عرفت أنهم لم يكونوا خاطرين إلينا . وذهبت إلى المكان الذي أشار إليه لأرى تلك المرأة ذات النقاب الأبيض لعلها ذات صلة بالهمة التي نيطت بنا وأصرت رجال أن يقيموني عن بعد

وجدت في ركن بين جدارين مهدمين من هذه الأنقاض امرأة تظهر من اصفرار وجهها أنها مريضة وكان معها رجل ، وكلاهما في ميمة الشباب ، والفتاة جميلة فائنة والفتى قوى تبدو عليه غايل القوة والنشاط والرجولة ، وهو يحمل إلى جنبه سيفاً ولاحظت أن ثياب الفتاة وبديها غضبة بالدم ، وعرفت أن الرجل ليس عدواً لها لأنه كان يضمدهم جراحها ويواسيها . وبالرغم من أن حملي ومهمتي كانا يستلزمان قسوة في القلب فقد أخذتني رحمة بهما واحترمت حزنهما وقلت : « ما الذي تفعلانه هنا ؟ وإذا كنتم عرييين فلماذا لا تذهبان إلى القرية ؟ »

فقال لي الشاب : « إن كنت رجلاً ذا قلب فاحم هذه الفتاة ؛ وإذا كنت مسلماً من قبل السردار لاحتقالي فاني لن أقاوم ولكن الفتاة تحتضر فارحمها » قلت له : « من أنت ؟ إن السردار لم يقل لنا

وهو قيس القريه ، ومن أجل ذلك أرادوا الهادي أن يبعث قيساً

ولا بلنت العاشرة من العمر أرسلت إلى الكنيسة لأتمم الكتابة والقراءة وأصول الدين وكان في الكنيسة كتب كثيرة أخذت أقرؤها واحداً بعد واحد حتى أصبحت القراءة أحب طعاني وأزهيء؛ وصرت أشتري كتباً من أنواع مختلفة فلا أسترخ منذ يصل إلى كتاب حتى آتي على آخره

وكانت أكثر هذه الكتب دينية، ولكنني قرأت بعض كتب التاريخ الأرميني فتنبه إحساسي بماطفة الوطنية وعرفت أن بلادى كانت أمة وكان لها ملوك اضطروا العالم إلى احترامهم؛ وتاملت في حالتنا اليوم فحزنت ووددت أن يتاح لنا من بيت بيتنا الدعوة ويجمع ثملنا للتخلص من نير الحكم الأجنبي وشتملى العزم على أن أعمل نحو هذه الغاية عن الواجبات الدينية التي كرسيت حياتى لها باعتبارى قيساً

وفي هذه الأثناء نشبت الحرب بين روسيا وبين فارس وكانت بلادنا في وسط ميدان القتال لوقعها على الحدود فانتقلت من الكنيسة إلى قرىي لأكون بين أهلى الدين وجندهم شديدى الخوف والقلق بسبب هذه الحروب لأن كلا الفريقين التعارفين (فارس وروسيا) جدير بأن يخاف

ولم تكن نتيجة الحرب لتفيد إحدى الدولتين فائدة كبرى ولكنها كانت شديدة الضرر علينا، لا لخوفنا من القتل فقط بل لأن الجيوش الحاربة من الجانبين كانت تفسد علينا زراعتنا وتغلب الناسج من الجيوب وتطمع جيادها بما لم ينضج بعد

وكان الفلاحون مرضعين دائماً للاعتقال والأسر؛ ولما خشينا أن نغوت من الجوع بسبب هذا الاحتذاء

إلى تلك المرتفعات وما يليها من الجبال خوفاً من الحرب الناشبة، فزمت على أن أغل في أشارك حتى تخف حرارة النهار

وانقسم رجالى فذهبوا إلى أجزاء مختلفة في المدينة فذهب البعض إلى جهة الجسر ليطمعوا جياهم من الحشائش الطويلة النابتة على الشاطئ، وذهب فريق آخر إلى طاحون بجانب النهر ليستظلوا وللغرض السالف أيضاً . وجلست في غرقة من أنقاض إحدى الكنائس قائمة على قمة عالية لأشرف على المنظر كله ولأرى أى شبح يبدو من جهة الحدود الروسية وقد أثر الهواء الطلق في نفسى فتمت ساعتين ثم قت فاستدعيت الشاب الأرميني وظللت إليه أن يقص على قصته خصوصاً ما كان متعلقاً بمحبته مع السيدة إلى هذا المكان الذى قابلتهما فيه

وكانت القوة والحياة قد طهرتا على وجهه وتبينت من مخالب النبل البادية عليه أنه لم يقل غير الصدق وهذا هو مجل القصة على لسانه :

« أنا أرميني الولد مسيحي الدين واسمى يوسف وكان أبى رئيساً لمدينة جافيشلو التى أ كثر سكانها من الأرمن وهى قرية من مجرى نهر « مجياكي » وتبعد عن هذا المكان ستة فراسخ وحول هذه المدينة أراض خصبة مزروعة وهى غنية بمحصولاتها جميلة للناخ هادئة السكان

وكنا كسائر أهلها سمداء على فقرنا بما رزقناه من جودة الصعرة ومنا فريق يسكن في الجبال خوفاً من مظالم الحكام الذين لا ينجو من بطش أيديهم كل أهل المدن

وعادتنا كلها بسيطة ونظام حياتنا دبنى بمحت ولى عم من الأساقفة في بطريركية إيشميازير، وخال

المر . وإذا نسيت شيئاً فلن أنسى شعوري بالحب
وبالسرور وبالشفقة ساعة أبصرتها وأحسست بأن
مشاعري في هذا الحين جديدة كلها ونسيت كل ما كان
لي في الحياة من غايه أو غرض إلا السهر على ما فيه
خير هذه الفتاة ورضاها

وجرت أول كلمات قالتها الفتاة في مجري دى
من المروق ثم بكت بكاء شديداً أخذت بعده تنالك
نفسها شيئاً فشيئاً

ولما علمت أننى من أبناء جنسها وأبناء دينها
وذكرت أننى متقدها أخذت تشرى بحوى شعوراً
مختلفاً، وأملى على غرورى أن إحساسها بحوى كان
مثل إحساسى بحوها

وشجمنى هذا الضرور على أن أكشف النقاب
عن وجهها وكان ذلك منى جريئة لم تنفجرها الفتاة
لأن اللتيات الأمريات يحفظن به كل الاحتفاظ
أمام الأجانب عنهن ويسدون السفور فضيحة مذكرة
ولما رأيت غضبها وقتت أمامها وقوف المجرم
ولكننى اعتذرت بأن وقوعها عن ظهر الجواد
قد حبس أنفاسها وبأنه لولا نزاع هذا النقاب عن فها
وأنها لا تخشع، لكن هذا الاعتذار لم يصادف
قبولاً عندها . ولم يكن في استطاعتي إقناعها بأن
رؤيتى وجهها كله أمام هذه الضرورة لا تخشع
ولا تلحق بها عاراً لأن ذهنها كان مثلكا بهذه الفكرة،
ثم أقسمت لها بأن رؤيتى لإياها ستبقى سرّاً أكنمه
ما دمت على قيد الحياة، فأطمانت وتمزت ثم طليت
إليها أن تقص قصتها على وتخبرنى عن الرجل الذي
كان من حسن حظى أننى ألقيتها من بين يديه
فقلت : « إن كل ما أعرفه عن الرجل أنه فارسى

على المزارع وصلنا الليل بالهنا في خدمة الأرض
لنموض ما تقدناه، ولكن فلاحينا كانوا يخرجون
إلى الحقول والقفوس في أيديهم والسيوف إلى جنوبهم
والبنادق محشوة بالبارود معلقة على ظهورهم، وكنا
كلاً رأينا أجناب مقبلين نحونا يجمعنا وأظهروا
استعداداً للدفاع

وبقيت على هذه الحال عدة أعوام استطعنا فيها
أن نحفظ بالقوت بالرغم من القليل الذى كان يؤخذ
على الرغم منا

ومنذ ما عشرين ذهبت في جملة من ذهب إلى الحقول
من أبناء قريتي لمراقبة الحصاد عند جنبه كالمادة
حاملًا بنديقتي وسبني فرأيت جواداً يبدو وعلى ظهره
رجل فارسى ووراءه فتاة أسيرة

وعند ما وقع نظر الفتاة على صاحبة مستجيبة
مستجيبة فركبت جوادى وركعت نحو الفارسى
شاهراً أسبق في وجهه فلم يستطع الرجل بالنظر لوجود
المرأة خلفه أن يجرّد سيفه ويهاجمي فاختار أن يسرع
حتى يفر منى، ولكننى أسرعت فأطلقت من بنديقتي
رصاصة في الهواء ففزع جواده لأن الرصاصة كانت
قريبة من عينيه وشب فصرخت الفتاة المردفة خلف
الفارسى وسقطت عن الجواد

وكان الرجل في هذه الحالة يستطيع أن يقاتلى
إما بالسيف أو بالبنديقة ولكنه وجد بنديقتي مصوبة
نحو رأسه فرأى الفرار أسلم ونجا بنفسه، وذهبت
إلى تلك الفتاة التى كانت متعبة فساعدتها على الوقوف
ووجدتها جريئة لسقوطها من الجواد

وبعد إساقى لها وتأكدى من أنها لم تصب بكسر
أورض تبينت أنها أرمينية مثلى ووجدتها أجمل شيء
وقع نظري عليه وحى لا تتجاوز الخامسة عشرة من

ولما دنوا أمرهم لما عن ذمهم لاعدوا أخر
اختطافها وقالوا إنهم يحمون الله إذ لم يضلوا الطريق
وبعد أن وصفت لهم كيفية اختطافها قالت في
حياء واضطراب إن الفضل في نجاتها يرجع إلى
فانجحت إلى عيونهم وبدأ عليهم الاهتمام بمعرفة حقيقى
وقال لى أبوها : « من أين أنت يا بى ؟ »

قلت : « أنا ابن رئيس قرية جافيلشو »

فأجابنى : « أنت إذن ابن صديقى وجارى ولكننى
لم أرك من قبل . لملك الطالب الذى كان يتلم فى
الكنيسة ثم عاد بعد نشوب الحرب لمساعدة أهله ؟ »
قلت : « نعم أنا هذا الطالب » فرحب بى ودعا
لى وقال إنه وأسرته مدينون لى بالشئ . الكثير ، وأمر
على أن أذهب معه لآكون فى شباقته ، وقال : إن
أبناء أسرته يسرون بأن يحملونى على رؤوسهم
ويقبلوا قدى لانتقاى صريم من البيع فى سوق اريق
فتصبح طول عمرها فى أسر المسلمين »

ثم حيانى أحماسها بكلمات رقيقة وألحوا على أن
أرافهم إلى القرية فلم أستطع مقاومتهم لشدة تأثرى
بما أبدوه من اللطف ولأننى كنت أريد أن أرى
صريم فى دارها فقبلت الدعوة وسرنا جميعاً إلى قريتهم
ولما وصلنا إلى تلك القرية وجدنا النساء والأطفال
عند بابها منتظرين عودة صريم مع من ذهبوا للبحث
عنها . ولما رأوها تود معهم أبداً من مظاهر الفرح
ما ليس فى وسع كاتب أن يوفيه حقه من الوصف .
وأعيدت على مسمهم قصة اختطافها وإنتاذا

ويمثل سرعة البرق انتقلت القصة من فم إلى
فم وزيد عليها من اللبائث ما لا بد منه فى مثل
هذه الحالة ، وكان مجل القصة كما رويت للمرة
الأخيرة : أن شيطاناً ذا رأس من الحديد وحوافر

ولم أره قط قبل هذه المرة ولم يختلفنى إلا لى
ببعضى فى سوق الرقيق .

ومنذ أيام قليلة حدثت موقعة بين الفارسيين
وبين القوزاق ، فطرد الفارسيون القوزاق من قرية
أرنيان وهي القرية التى أنا منها وابتهجوا بذلك
أبها جاعظياً ، وصار الفرس يتقلون النساء القوزاقيات
ويرسلونهن إلى البلاد الأخرى لبيعن فى أسواق
الرقيق . ويظهر أن الوغد الذى اختطفنى أراد بى
على أنى قوزاقيه

ذهبت فى الصباح كالعادة لأملاً إناء من البئر
فلظننى وشرع فى وجعنى سيفاً وهددنى بالقتل إذا لم
أتمه حيث شاء دون أن أحدث شجة فاطسته
مكرهه وأركبني جواده .

وكان الفتيات فى ذلك الوقت يصيرننا فذهبن
إلى المدينة ركساً واتعمدت على الضجة التى سيعدها
هؤلاء الفتيات بعد عودتهن . ولكنه لم تمض بضع
دقائق حتى كنا ببدين عن المدينة بسرعة الجواد
بين التجاد والوهاد التى يقل فيها سرور الناس ، وكنت
أنت أول إنسان رأيته واستنجدت به على الرغم من
طول المسافة التى قطعناها »

لم تكن الفتاة تصل إلى هذا الحد من قولها
حتى بدا لنا عدة أشخاص أحدم على ظهر جواد
والباقون مشاة ، وكانوا مقبلين نحونا على جناح السرعة
وقد عرفتهم الفتاة عند ما رأتهم فتهلل وجهها
استبشاراً وصاحت : « هذا أبى وإخوتى أوفان
وأغوب وأرتوان ومعهم أحمى أيضاً »

وكنت أخشى أن يكون فى الأشخاص المقبلين
أحد يستميل عطفها عني ولكننى حمدت الله إذ لم
يكن فيهم غير الأقارب .

الحديث الذي دار بين عيني وعينها طويلا متمما يدل على أن شعورها نحوى مثل شعورى نحوها . وبلغ بي الزهو إلى حد تخيلت معه لو أن الفارسي الذي اختطفها وأتخذها منه كان عشرين فارسا ليكون لي حق المفاخرة والتباهي ، ولكنني عدت فذكرت أنني لست إلا أرمنيا حقيرا من شعب فقير وأنني لست من النوة بحيث يحق لي أن أنعمي هذا النعمي . وحسبي أن أطرد القتب عن أغنابي

أضيت طول هذا اليوم في قرية « جلكو » وهي القرية التي فيها أهل مريم . وأقيمت لي وليمة فزع فيها كبش سين ودعي كثيرون من الأصدقاء والأهل . .

وفي اليوم التالي عدت إلى أبوي الذين أزعجتهما غيابي عنهما والذين أنصتا إلى قصتي بكل ما كنت أرجوه من الاهتمام ، وكان اشتغالي بهذا الحب أكبر من أن يسمح لي بالتفكير في أي شأن آخر وقلت لهما : « إنني بفضل الله وفضلكما أصبحت قوی الدراعين وبلغت من العمر ما يحق لي معه أن أنفرد بالنظر في أمر نفسي وأريد أن أزوج وقد هيات لي العناية الإلهية طريق الزواج »

ثم طلبت إليهما أن يكتبيا مريم من أبوها ثم قبلت يدي والدي والوالدة ، وكان جوابهما أن الزواج أمر كبير الأهمية خصوصا في هذا الزمن الصعب ، وأن الأسرة فقيرة لا تستطيع القيام بنفقات الزواج ، وأنه من الضروري شراء ثياب وخاتم وشع وحلوى وفراش وأغطية للفراش واستئجار مننين والدعوة إلى وليمة ، وأن كل ذلك يتطلب من المال مالا يوجد منه شيء . .

قلت : إن هذا كله صحيح ؛ فالأمر غير موجود

كخوافر الخليل وغالب كغالب الأسد اختطف الفتاة فوضعها على جواد من جواد النار ينهب الأرض في قفزه ، ويكاد يبلغ السماء بوثبه ، وجري بها فراسخ وأمبالا ، فهبط من السماء ملاك من ملائكة الرحمة وأمرن الشيطان لئلا حاق به ، فقلت يده وأخرست لسانه وأتخذت الفتاة من غلبه بمد أن أحالته رمادا . ومازال هذا الملاك الحارس يحمي الفتاة حتى وصلت إلى أهلها . ثم أشير إلى وقيل : إنني هذا الملاك . فاتجهت إلى عيون أهل القرية جميعا . ولكن حدث لسوء الحظ أن فتي من المزارعين كنت أراه كثيرا في الحقل نظر إلى وقال لأهل القرية : إنني لست ملاكا ، ولكنني يوسف بن رئيس قرية جافاشيلو ، فعدت في نظرم إنسانا هالكا كما كنت . ولكنني مع ذلك ظلت أحامل ممامة ممتازة عن التي ياملها سائر الناس خصوصا من أهل مريم الذين لم يتركوا وسيلة إلا أحزبوا بها عن شكرهم وعن عجزهم عن إظهار كل ما تكتنه جواهرهم نحوى من الشكر وعرفان الجليل

ولكنني لم أعد أبصر مريم مرفوعة النقاب ، فقد مضت تلك اللحظات الحنية التي ملبت فيها بحسنا ، ولكنني قلت في نفسي إن هذه الصلة لن تنقطع بل ستعود وسيتقوى مستمرة طول الحياة ، ولن تكون في الحياة قوة تستطيع الفصل بيني وبينها . إنني لم أكن أحرمها ولم يكن بيني وبينها أية علاقة ؛ فالقوة التي ساقنت إليها وساقنتها إلى قوة مريدة رأت جمع حظي وحظها والثائق ما بين نفسي ونفسها . ولأن هذه النوة كانت تريد غير ذلك تركت الفارسي الذي اختطفها يذهب بها إلى حيث شاء . وبالرغم من أن حديثي مع مريم كان قصيرا فقد كان

وكذا من المصوغات ومتاديل اللبد وأخرى للرأس وجوارب وحذاءين وسلسلة ذهبية للعتق وخمسين قرشاً فارسياً للمصاريف الثرية وأن يكون سلسلة اللعق طومان فارسى .

وبعد أن استشار أهل المروس بعض سواحبن قبلن ما عرضته أى ، ولكن عجوزاً فبين كانت خادمة فى بيت من البيوت الإيرانية اقترحت اقتراحاً أثار المناقشة وهو أن أقدم مقداراً من المال لا يتفق على تحديده وإنما يترك لاختيارى جرباً على العادة الإيرانية

فقال أى : إن هذه العادة ليست من عوائد الأرمن ولا يحسن بنا اتباعها . وقد أدت المناقشة إلى ارتفاع الصوت فى المخاطبة من الجانبين بالرغم من تأكيدى على والذى ألا توجد أو تمنع على وجود شيء من المصاعب . ثم وقف البحث فى ذلك إلى مقابلة أخرى مع الرجال

ودعيت وخالى فذهبت، وقد نسح لى الأصدقاء ألا أنحك أو أبتم فى أثناء الحديث لأن ذلك يعتبر عند الأرمن فالاً سيئاً على الحياة المقبلة

ذهبت فوجدت أى ومن معها وأمامهن أم المروس إلى جانبها سواحبا . ودخلت حريم فى اللحظة التى دخلت فيها فقدمت أى لها خاتماً (وكان لسوء حظى من النحاس) فوضعت فى أصبعها وقدم النبيذ إلى القسيس فشرب جرعة منه وقال : إن الخطبة أصبحت معقودة بين حريم وبينى وهنأا الحاضرون فكان سرورى عظيماً يقول هذه التهنة . ورأيت على وجه خطيبى كل علامات السرور والفرح وربما كنا أسعد المتزوجين فى هذه الساعة التى تم فيها عقد الخطبة

والزواج لا يحسن أن يتم بنير هذه التكاليف عافطة على كرامة أسرني وإظهاراً لتقديرى أسرة المروس . ولكن فى وسى أنت أقترض لأن لى أصدقاء فى الكنيسة وسأعمل بجهد مضاعف حتى أعكس من الوفاء ولن أعيش عيشة السرفين حتى لا يصبح وفاء دبنى مستحيلاً .

وقلت لهما إن فى عزى الاشتغال فى خدمة واحد من التجار والسفر معه أو عنه إلى الاستانة أو استرخان، وفى كسب هذا العمل ما يقوم بتفقاتى ويبنى ديونى .

وبجل القول أننى أقنعت والذى بمقدرتي على الكسب وعلى تحمل مسئوليات الزواج وقد وعدنا بأن نخطباً حريم من أبويها . وتحديد يوم قريب لسفر أبى وحى القسيس ورجل من المتقدمين فى السن من أهل القرية — إلى قرية « جوكلى »

وفى نفس هذا اليوم ذهبت إلى تلك القرية منتحلاً سبياً من الأسباب حتى لا تفاجئى هي وأهلها بهذه الخطبة

وقد استقبلت أسرة الفتاة رجال أسرة أحسن استقبال، وفتح باب الكلام فى هذا الموضوع فأبدى أهلها رضى واعتباطاً، وانتهزوا هذه الفرصة فقدموا لضيوفهم أكثر مما اعتادوا شربه من المرق ، وهو للشراب المفضل عند الأرمن؛ وتم الاتفاق على إتمام المراسيم الشرعية للزواج بعد أن يتم الجهاز

وبعد ثلاثة أيام ذهبت أى وثلاث من نساء القرية وخالى القسيس إلى جوكلى فكان استقبالهم أحسن من الاستقبال الأول وتم الاتفاق معهم على جانب آخر من التفاصيل وعرضت أى بالنيابة على أن أقدم للمروس كيت وكيت من الثياب وكذا

في أثناء الطريق بعض رجال القبائل الراحلة فتنام في خيامهم وقد اشتهرت هذه القبائل بكرم الضيافة على الرغم مما هو معروف عنها من الشر والبلب إلى الثلب والسلب سافرت وكانت أمى على ظهر الحار وكنت أسير على قدمى والبندقية على ظهري والسيف إلى جنبي فلما وصلنا إلى مرتفعات أيران وجدنا خياماً كثيرة بيضاء وفي وسطها خيمة كبيرة حسنة الشكل هي خيمة الزعيم . وأخيراً فارسي قابله في الطريق أن هذه خيام سردار إيفان وجنوده وقد عسكروا هنا استمداداً للحرب مع الروس

أزعجتنا هذا الخبر ورأت أمى أن تعود إلى قريبنا وأن تؤجل الزواج الآن . ولكن حبي كان أكبر من أن يسمح لي بالانضمام إلى مثل هذا الرأي فغفرتها على الإسراع حتى تتمكن من العودة سريعاً . وأسرعنا في اليوم الأول حتى بلغنا في نهاية هذا اليوم دخان إيفان

وقضينا الليلة تحت سخرة بارزة واستأنفنا السير في فجر الند فوصلنا إلى إيفان آمنين وذهبت أمى لشراء الملابس في يوم وصولنا؛ أما أنا فتجولت في الأسواق مصنيماً لأحداث الدين يسرون فيها فسمعت إشاعات كثيرة عن الحرب وعن الواقع التي ينوي السردار أن يقوم بها ضد الروس . وظهر لي أن هذه الحرب ستكون من أشد الحروب التي اشتراك فيها فارس لأن عمال الدخيرة كانوا يواصلون الليل بالنهار في صنع قتال من نوع لم يسبق سمنه في البلاد الفارسية

وخطرتي خاطر كدت أبداً في تنفيذه وهو أن أطلب بواسطة الكنيسة من السردار أن يحمي قروانا

ثم عادت أمى ومن معها إلى القرية ، وبقيت للاتفاق على سائر المسائل التي لم يكن تم الاتفاق عليها . وعزمت على أن أجيب بالقبول على كل ما يطلب مني مهما كان الثلو فيه والسرور ولا تكلمنا عن المال وجدت مجلة ما يطلب مني على أجزاء قد بلغت مبلغاً معضلاً فوافقت وأنا أفكر في اقتراض البقية من شخص آخر غير الذي أزمعت الاقتراض منه إلى حد معين

ولكنني دهشت عند ما رأيت أبي يخرج من حبيبه كيساً من النقود ويقدمه لأهل المروس ويناولني عشرة طومات وهو يقول لي : « إن رئيس قرية جاليلو لا يرضى على ابنه ينشئ في يوم غرسه . خذ هذا يا يوسف وقدمه لزوجتك زيادة على ما اتفقتم عليه »

عند ذلك لم يسعني إلا السجود وتقبيل يديه وتأثر عمي من موقف أبي وموقفني فباركني وقال لي : « إن الكنيسة الأرمنية فقيرة وإن رجالها أشد فقراً؛ ولكن خذ هذا واشتر به شماً لمراك » وأعطاني عشرين عباسية فضية

وكذلك فعل سائر أقربائي حتى لم تعد ضرورة ندمي إلى الاقتراض ؛ وزاد عندي من المال ما يكفي للاتفاق مدة بعد القيام بكل النفقات المطلوبة . فشكرت لم وعزمت على السفر إلى إيفان وهو المركز الذي تنبئه القرية لكي أشتري منه الثياب اللازمة

لكنني كنت أجهل في البيع والشراء خصوصاً ما كان متعلقاً بتياب النساء ، فمزمت على أن أخذ من أمى وأن أركبها حاراً وأن أسير على قدمي . ولكن المسافة كانت بعيدة ولا بد من النوم ليلاً في أثناء الطريق فاعتمدت على أن أجيد مصادفة

قريبين . وكان من المنتظر أن تدوزحى الحرب فوق رؤوسنا

وكان صبرى يقل في كل يوم وحسب زبادا ولكنه كان من الحال إتمام الزواج في هذه الظروف ولذلك كان على أن أصبر على كرههما كلفني الصبر مضى أسبوعان من يوم عودتنا ولم يحدث حادث جديد وكانت علاقتنا بضيوفنا الروسين خسنة جداً . وكانت الروابط التي تربطنا بهم كثيرة فهم مسيحيون مثلنا ينادون عند الفزع الإله الذي تعبده ويشكرون عند النصر الذي نشكره ويصلون في الكنائس التي نصل فيها ويشربون معنا الخمر وعجاسها كما يعلم شاربوها تقوى الروابط

وكان قائد الفرقة الروسية شاباً حسن الأخلاق شديد الرغبة في معرفة أحوالنا وعوادنا كثير الليل إلى محادثتنا في كل موضوع نحب أن نتحدث فيه . وقد كلفته في موضوع زواجي فأسنى إلى إيمانهم شديد ووجدت فيه صديقاً صادقاً . وكان مما قاله لي : « ولماذا تؤخر الزواج ؟ اقبل نصيحتي وتزوج الآن فاننا إنما جئنا لنصحبك ولم يظهر الفارسيون إلى الآن ما يدل على أنهم سيقدّمون خطوة واحدة

ووعدني فضلاً عن ذلك بأن يقدم لمروسي هدية هي عقد من الذهب الروسي . وبأن يبريني جواده لأركبه في يوم الزفاف ولم يكف بمجديته من بل حدث أهل المروس في هذا الموضوع فأنتمهم بتجميل الزواج ومحدد يومه بواسطته . ولقد كان اهتمامه الشخصي بإتمام هذا الأمر يكاد يثير ربيتي ويحمل على التبرية منه لولا أنه كان قبيح الوجه إلى درجة عظيمة فلا خوف من أن يغيب مرصم إليه لأنه خير لها أن تحب قرصاً بدلاً من أن تحب ضابطاً كهذا

الأرمينية . ولكن قليلاً من التفكير حلني على المدول عن هذا الخطار وقلت إن حماية الله وسيوفنا خير من حماية السردار وجنوده

وعدت أنا وأمي من نفس الطريق الذي ذهبنا منه ولكننا كنا أبداً في السير لعدم الحاجة إلى السرعة ولأنني كنت أحمل عبثاً ثقبلاً من الثياب . ولم يحدث لنا أي حادث يستحق الذكر حتى وصلنا إلى مرتفعات جافيشلو قرأت أي خيمة فأشارت إليها وسألني عنها ولم أكن إذ ذاك أفكر في أي شيء غير المرس ومعداته فكان جوابي لها : « لعل أهل المروس سيقبضون لنا مادية في هذا المكان »

قالت : « ما هذا القول يا يوسف ؟ هل جنت ؟ يظهر أن الروسين قد احتلوا قريتنا » فلم أجبها ولما وصلنا إلى القرية وجدت ظننا كان صائباً فان فرقة صغيرة من الجنود الروسية قد احتلها وأزمت كل أسرة في المدينة أن تقدم الطعام لواحد من الجنود . ولما كانت أسرتنا أسرة الرئيس فقد كان ضيفنا هو قائد الفرقة ؛ ولقد كان من سوء حظي حدوث ذلك في وقت المرس ، وقد شكوت أمرى إلى بعض أصحابي في جو كلي التي لم يكن الروسين قد احتلوا ولكن أهلها شاركوا خوفنا لما علوا بما حدث عندها

وقابلت مرصم بالرغم من أن عوادنا لم تكن تسمح بالتحدث معها في الفترة ما بين الخطبة والزفاف ، ولكن الحب ينال كل عادة وينتبل على كل المصائب قابلتها وتحادثت معها سرا وأكنت على وشك الجنون من حدوث هذه الحوادث التي من شأنها تأخير زواجنا . وكانت القرائن كلها تدل على قرب حدوث نكبة عظيمة لأن الجيشين المتحاربين كاد

أصحابي من الأرمن والضابط الروسي، وكانت الموسيقى
أماننا تمزق بالحناء الجميلة . ولما وصلنا إلى منزل
المروس أدبرت علينا الرطبات ووفد علينا أهل
القرية جميعاً لتهنئتنا

ولما حان وقت عودتنا مع المروس إلى قرية
أبن ألبست المروس ثياباً حراء من مفرق الرأس
إلى القدم . وأركبت جواد أبيها وسارحوها إخوتها
وأحمامها ووضعوا في يدها طرفاً من حبل أمسكت
أنا بطرفه الآخر وأنا على جوادى وقتاً للمادة حتى
وصلنا إلى الكنيسة

وصحب الوكب كل من له علاقة به من قريب
أو صهر أو صديق وكان بعضهم مشاة والبعض على
ظهور الخيل وكانوا يهتفون ساعة وينفون ساعة
وكان عمى يقود هذا الوكب . ولما وصلنا
إلى القرية وجدنا فرقة من الجنود الروسية في انتظارنا
كما أحمرها الضابط التتوي قيادتها وهو صديقي الذي
رافقتي في الوكب ومشت أماننا هذه الفرقة
إلى الكنيسة فزادت موكنا جلالاً وهيبة .

وكننت والمروس لاززال مسكين بطرف الخيل
حتى بعد أن ترجلنا عن الجوادين . وأتت علينا
الأصدقاء الزهور والورد .

ثم ، وقفت أمام مريم وضعت يدها في يدي
وضعت الكتاب المقدس فجعل بين رأسي ورأسها
ثم جاء القسيس وسألها وسألني هل يريد كل منا
أن يتزوج من الآخر، فأجبنا إجابة القبول ثم أخذ
القسيس يرتل وأقيمت صلاة العرس .

ولما انتهت هذه الصلاة علا الهتاف والانشاد
ودقت الطبول وصعدت الموسيقى . وكان ضوء
النهار في هذه الساعة قد تلاشى وبدأت العاصفة

وذا وجه كبير المظالم وحجرتين عظيمتين في مكان
عينيه ، كبير الأنف أنفاه ، هيئة وجهه كهيئة
البومة ، وكانت شفته العليا غليظة وفكها الأسفل
منقباً وذقنه رفيعة عذبة

قلت في نفسي : « حال أن تحب مريم مثل
هذا الوجه وهي أشبه بأن تحب عملاً فارسياً من
حبها مثل هذا الروسي

ثم وازنت بينهما وبين نفسي فأرضيت غرورى
بأن قلت إنني أحمل منهما وإنها لن تحب غيري

قبل الزفاف بليلة أرسلت الثياب وغيرها من
الهدايا إلى قرية المروس في موكب يتقدمه الموسيقيون
وهم يكتفون في كل مدينة وكل قرية ، وقد أعارنا
الضابط الروسي طيلة من طيول الجيش زيادة
في إكرامنا

وبعد إرسال الهدية بساعات قليلة ذهبت إلى
تلك القرية لكي آخذ الهدية التي تهديها المروس
وفقاً لمواثيقنا

وكانت هديتها لي مسدسين مصنوعين في الفولاذ
وقد كانا مملوكن من قبل لأحد أحمامها وهو ضابط
في جيش الرائي الفارسي لتلك الولاية قبل أن يستولى
عليها الروس

وفي اليوم التالي وهو الذي كنت أعدّه أسعد
ألم حياتي وكننت أنتظره بصبر فأنه استيقظ كل
أعزبي مبكرين . وكان الجو يندثر بهبوب عاصفة
والسما مليئة بالغيوم ، ولكن الهواء كان مستديلاً نقياً
لأن المطر الذي هطل في الليلة السابقة نقاه وطمهه .

وأرسل إلى صاحبي الضابط جواده في ذلك اليوم
وابست ثيابي الجديدة وتخلت بكل ما أملك من
الخنجر والبنساعات وعلب انطرطوش وسار معي

وسمنا أسواناً عتيقة وخبيجا غسبنا ذلك من مزيم
الرعد . ولكننا عرفنا بعد قليل أنها أسوات آدمية
وسمنا وقع حوافر الخيل تندو في الطريق
وكانت الكوة مسدودة سداً محكماً خوفاً من
الطر ولم أجسر على فتحها خوفاً من تسرب الماء
إلى الغرف ولكن سرعاناً سمعنا وقوع شيء ثقيل
فوق سقف الغرفة ووجدنا جانباً منه يسقط بجانب
الفرش ورأينا نور السماء يتخلل الغرفة فصحت
بزوجتي: إن هذه ساقطة. وأمرتها بالفرار من الغرفة
لتنجو ، ولكن قبل انقضاء لحظة واحدة حدث
انفجار في الغرفة فذهلت وحسبت أنني نقلت إلى
الجحيم ووقعت على الأرض في حالة إغماء ، وكل
الذي أذكره عن تلك اللحظة أنني رأيت نوراً يتفجر
وشمت رائحة كبريتية ثم ساد سكوت عميق

لا أعرف كم انقضى وأنا غائب عن الحس؛ ولما
عاد إلى الشموخ عاد بالتدريج . ولما انتهت وجدت
أنني لم أصب بجرح أو كسر وراجعت ذاكرتي في
الحوادث الغريبة فذكرت زواجي كأنه حلم رأيته
في النوم أو قصة سمعتها ، وأسفيت فسمعت حركة
عظيمة اختلط فيها الأنين بأصوات الفرقعات
وصليل السلاح بالأصوات التي تحدث من تهديم
للتنازل . ولم أزل أحسب نفسي في عالم آخر حتى
ذكرني بالحقيقة صوت امرأة تصرخ وكان هذا
الصوت هو صوت مريم وقت لأري مصدر الصوت
فوجدت تراباً كثيراً قطعاً شتيرة من الأحجار
ملقاة فوق جسمى فنفضتها وقت فرأيت في الطريق
منظراً لا أستطيع وصفه لوهو

وجدت رجلاً فارسياً يجري وفي يمينه سيف
مجرد مخضب بالدم وفي يساره رأس مقطوعة ، وكان

التي كانت منذ الصباح تنذر بالمحسوب فتساقطت
الأمطار الباردة وهبت الرياح الموحية وأرعد الرعد
وأبرق البرق ، ومن أجل ذلك انتهت سرياً الحفلة
التي أقامها أبي للضيوف . وبعد انصرافهم قابلت
المروس فكنت بهذه المقابلة أسعد إنسان في الوجود
لست أعرف هل تحب أن أقف عند هذا الحد
من قصتي المزعجة الرهيبة أم تريد أن أسمع ما حل
بنا بعد ذلك من التكبكات .

أريد قبل كل شيء أن تعلم أن عروسي كانت
جميلة مشرقة مثل كوكب الصباح طاهرة ، بريئة مثل
اللائكة ، وكانت تحبني أخلص حب وأتقاً وأظنك
تقدر موقفني في هذه الساعة بعد إذ علمت أنني كنت
شديد الغلق من تأخر يوم الزواج ، وبعد إذ علمت
مقدار حبي لها ورغبتي في الزواج منها ، وبمدا عتباري
هذه الليلة أسعد ليلة في الحياة

ولكني نفهم حقيقة الحال يجب أن تعرف أولاً
أن البيوت في القوزاق وفي هذا الجزء من البلاد
الأرمينية يحمل جزء منها تحت الأرض لأنه ينمت
في بطنها بحثاً بحيث أن الساترين في الطرقات يعرفون
أن تحت الطبقة الأرضية التي يعيشون فوقها غرقاً
من البيوت القائمة على الجانبين . وفي هذه الغرف
يقم أهل تلك البيوت . وكانت غرفتي في بيت أبي
إحدى تلك الغرف الأرضية وبها كوة على الطريق
تصلح باباً وتقوم مقام النافذة .

وكان من عادات الأرمينيين أن يدخل الزوج
غرفته قبل عروسه وتتولى المروس زرع حذابه
وجوريه ثم تعطي النور قبل أن تزعم نقابها
وفي هذه اللحظة كانت الرعد تهزم في السماء
وتحدث أسواناً خفيفة مزعجة ، وكان الشتاء يتدفق.

من الافتراضات التي أهل نفسي بها غير أنني قد جنت
وعند ذلك فانت من عيني المموم التي كانت
لا تزال محبوسة ، وقت أمشي على سهل نحو المنزل
ورأيت الفلاحين في أثناء الطريق مجتمعين ذراعات
وهم يتحدثون همساً عما جرى بالأس والخوف
بكاد يقضى عليهم جيماً . وكان كل منهم ينتظر أن
تحل به نكبة من النكبات

أما أنا فلم أكن أعتقد شيئاً منها لاعتقادي أنه
لم يبق في الدنيا نكبة لم تحل في وأنا لم أجد أحداً
من أهلي يأتينا على قيد الحياة فلا زوجة لي ولا أب
ولا أم ولا إخوة ولا قريب أو صاحب، وأن المنزل
الذي أسير نحوه قد أصبح أقباضاً مهدمة . لكن
خيالي كان مغالياً في تصوير الواقع فاني لم أكد أقرب
من المنزل حتى رأيت أي مقبلة نحوي وعاققتني
وقبيلتي وهي تبكي

ثم لا هدا روحمها وروعي أخبرني أن أبي أصيب
في جسمه ورأسه بجراح من انفجار الفرقعات وأن
منزلنا قد هدم بفضه خصوصاً غرفة المروس فانه
لم يبق بها شيء وأن الضابط الروسي الذي كان ضيقاً
لدينا قد خرج عند ما حدث الانفجار الأول
فاختطفه جنديان فارساني وأن أهل منزلنا غيبا عدا
ذلك لم يصابوا بسوء

قالت ذلك ثم أدخلتني المنزل فقدمت لي ثوباً
من ثياب أبي . وبعد أن عدت أبي عزمت على أن
أبدأ في الحال بالبحث عن زوجتي واقتنمت بأن بعض
الجنود الذين هاجروا المدينة قد اختطفوها وأنها لا بد
أن تكون الآن في مدينة أربكان لأنها أقرب سوق
للقريق وأخذت سبي ومسدساتي وبنديقي
ووضعت في جيبتي بعض النقود الفضية وودعت

بشير الظلام بين لحظة ولحظة وميض البرق وتمكنت
بواسطته من رؤية ما يجري في الطريق من مطاردة
الجنود الفارسية لجنود الروس ومن كان يؤويهم
من الأرمن

ولم أعرف كيف ولا أين أبحث عن زوجتي
وكنت لا أزال أسمع بكاءها، وعمرت جسمي رعدة
لما خفت أن يكون أيتها هو أئين الاحتضار، وبالرغم
من أنني كنت في ثياب النوم فقد خرجت إلى
الطريق بحالة أشبه بحالات الجنائز فرأيت على وميض
البرق فارسين يجران ومعهما امرأة قُبِمتها ركضاً
لأنني لم أكن أبالي بشيء غير زوجتي

ولما كان اتجاهاهما ساعة رأيتهما نحو الجبل فقد
سرت في هذا الاتجاه وأنا لا أراهما، وكنت حافياً
والأرض كثيرة الأحجار والصخور . وكنت عارياً
والبرد شديد والطر ينهمل ، وكنت متمب الجسم من
شدة البرد ، ولكنني لم أزل أجري على غير هدى
حتى رأيت نفسي على قمة الجبل، ثم أدركني الكلال
واشتدت الجراح فلم أعد أستطيع الاستمرار في
الجرى الذي رأيت أنه غير مجد، فجلست باكياً منتجعاً ولم
أفنى حتى سمعت في الصباح تغريد المصافير وفتحت
عيني فرأيت الشمس مسفرة

وقلت في نفسي : « أين أنا ؟ ومن الذي جاء
بي إلى هذا المكان ؟ »

وكان الجو في ذلك اليوم جليداً، وليس بالساء
ما يدل على حاسة الأمس ، فلم أستطع تحليل الحالة
التي كنت فيها إلا بأنها حلم من أحلام الشيطان
لكن إذا كان كل ما رأيته حلماً فإني زوجتي
المحبوبة ؟ هل هي لا تزال بالمنزل وهل تركتها فيه
وجئت إلى الجبل حافياً بثياب النوم ؟ إذن فلم يبق

وأنا لا أعلم شيئاً عن مريم ولكنني كنت أعتقد أنها في قصره هناك وكان ذلك القصر مبنياً على صخرة عظيمة تحتهها حاوية فاصل بين ذلك القصر وبين مجرى النهر

وكان على هذا النهر جسر وهذا الجسر هو الذي يصل البلاد التركية على أحد الشاطئين بمجران على الشاطئ الآخر

وكان القسم المخصص للسيدات في هذا القصر مطاوعاً على النهر وهو مميز عن غيره بما على نوافذه من المحاور؛ وكنت لا أشك أن مريم موجودة وراء تلك النوافذ فوقت على الجسر أنتظر أن تطل فأراها. وكنت أقول في نفسي: « ماذا أستفيد إن أطلت على ؟ إني لا أزداد بذلك إلا بأساً وحسرة » وكان مما يشبه السطح أن تجو من هذا السجن أو تبق على قيد الحياة إننا ألتقت بنفسها من إحدى النوافذ المعلقة على الحافة سوى أن تحت نافذة واحدة من تلك النوافذ شجرة يمكن أن تكون وسيلة للقرار ظلت في مكاني أنظر إلى النوافذ وأطيل التفكير والتأمل وكنت أخشى أن يراني أحد فتقع على شبه فشبعت على أن أعود عند انتهاء النهار

استمرت مراقبتي للنوافذ أسبوعين كاملين ، وفي آخر يوم من هذه المدة رأيت نافذة مغلقة ، وقد رفع الحاجز الذي عليها ورأيت امرأة تطل منها فاشتبهت في أنها هي واقطعت أنفاسي حتى ظهر لي أن التي تطل من النافذة قد عرضني ودنوت من المنزل فإذا هي مريم ، وكنت إذ ذاك بالشاطئ الآخر . ولما مدت يديها نحوي لم أفكر في المواقب بل ألقيت بنفسي في النهر وسبحت إلى الشاطئ

قريب من مذراة ألا أعود إليها حتى أجد زوجتي وسافرت بخطى سرية إلى أديفان سالكا إليها أنصر طريق . وفي أثناء الطريق وجدت فارسين فاستوقفتني وسألاني عن غايي فلم أردت في إخبارها بالحقيقة عليهما يساعداًني على البحث عن زوجتي وقد جرحنا على هذه المساعدة ولكن بأخشن لهجة مما دعاني إلى الشك والريبة

وكانا لقوتهما يضحكان من حزني ويسخران من شدة اهتمامي وأفعاني أنها إن كانت الآن في منزل السردار بين الجوارى التي أسرن فإن كل جهد أبذه سيذهب سدى

حمدت الله إذ سمح لي هذان الشريدان باللهاب وحدي فذهبت وكللي أمل في الله الذي ابتلاني بهذه التكبلة أن يجد لي مخرجاً منها أو يلهم قلبي صبراً وسلاواتاً

ولما اقتربت من المسكر الذي كنت قد رأيته أثناء ذهابي مع أي إلى أرتيان علمت أن السردار كان لا يزال في هذا المسكر وأنه أرسل رؤوس الروسين الذين قتلوا في قريتنا إلى الشام لأن جلالتهم لا يقتنع بنصر جنوده إلا إذا رأى هذا الهائل المادي وعلمت أن في المسكر حركة تدل على شدة السرور بما فعلوه في قريتنا كأنما كانوا يظنون أنه ختام للحرب أو أن هجومهم في الليل على قرية صغيرة يد موقعة حاسمة . ولكن سرعان ما تغيرت الحال فإن هذا المسكر التقطى بنشوة السرور قد أعد المدة للتهقر وجلا عن موقعه في أقل من ساعتين حيث ظهر الجيش الروسي من جهة الحدود رحل السردار ببجسته إلى أديفان وتبعته إليها

الدهاب بها إلى قريتي ولكنني عدت فذكرت
أه لا بد لنا من عبور النهر أو الانتظار إلى الغد
حيث يباد الجسر الذي يرفع في المساء عادة لنهر
السنن . لكنه ما كان في وسعنا الانتظار حيث
كنا . وكذلك رأيت أن تقضي الليل في أنقاض
الكنيسة الأرمنية وهناك أفنا حتى جثت ووجدتنا .
ولقد كان أملي كبيراً في عطفك ولست أستطيع
وسفك بمد الذي وجدته من رأفتك إلا بأنك
حامينا ومنقذنا فشكل لك من القلوب التمسة التي
تنتظر عودتنا . ومهما كانت مهمتك والفرص الذي
جئت من أجله فانك كبير الرجولة وسندعوك
بالرغم من كوننا على غير دينك دعوة يستجيبها الله
الذي يثيب على عمل الخير

« يسع » عبر اللطيف النشار

الذي هي فيه ووقفت على حافة الهاوية تحت النافذة
التي تطل منها زوجتي الحبيوة

وتكرر مدها ذراعها نحوي كأنما كانت
تهم بأن تلقى بنفسها من النافذة فأشرت إليها
بالأ تفعل وكدت أرفع صوتي بتنبيهها إلى ذلك
خوفاً عليها

وكان كلانا ينظر إلى الآخر نظرة شوق وقد
منعنا الخوف أن نتكلم وأن نهرب عما يجيش في
سودرنا من الشوق

وأخيراً رأيتها على حين غاءة ترفع بقية الحاجز
وتفتح الصراع الآخر من النافذة فبقيت في مكان
أنتظر النهاية ثم رأيتها تلقى بنفسها من النافذة فهت
ولم تقو رجلاي على حلي وشردت نظراتي ودارت
عيناى في وجهي ثم رأيت جسمها معلقاً على الشجرة
التي تحت هذه النافذة فصمدت على الشجرة مدفوعاً
بدافع الغريزة لأنه لم يكن لدى مجال للتفكير . ولو
أن حيواناً في مكانى لما فعل غير ما فعلت ، وبذلك
أقنعت أمز غلوق لدى

ولما أزلتها عن الشجرة جلست وإياها على
جانب حائط مهدم ، وكان كلانا مسلوب القوة ولكنهما
كانت مشخنة بالجراح من أثر الصدمة التي اصطدمتا
بفروع الشجرة . وبالرغم من أنه لم ينكسر شيء
من عظامها فقد كانت جراحها بالغة لأن بعض
فروع الشجرة قد شق ثيابها وجعلها في مواضع
متصدعة وأضعفاً ما ناز من دمها ضعفاً شديداً وكانت
مفقودة الرشد من الخوف والاعياء

وأخيراً أتفت ونادت بأسمى فكدت في هذه
اللحظة أن أجن من الفرع وعانقتها وقت أريد

مجموعات الرسائل

نباع مجموعات الرسائل مجلدة بألوانها الزائفة

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

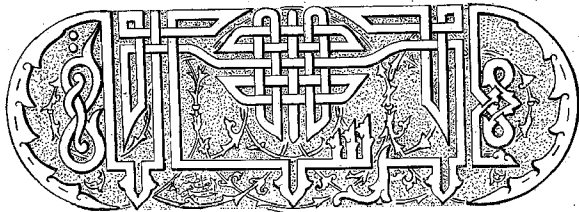
٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش
في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

« طبع بمطبعة الرسالة بشارع المبرورى - عابدية »

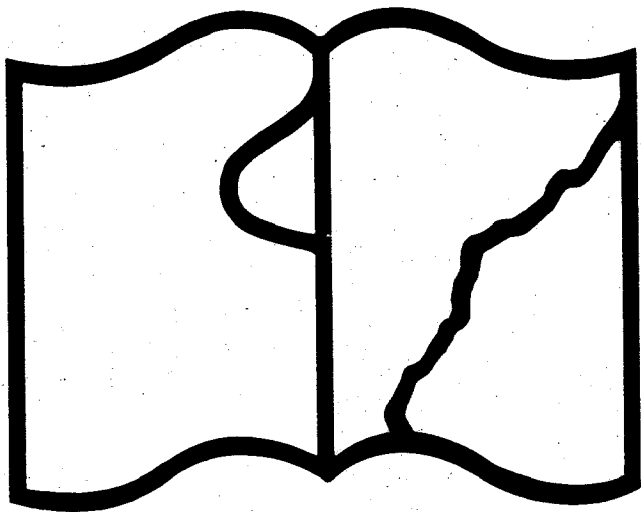


مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالْثَقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النِّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ اسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّظُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجْلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفَ عَامَّةِ

الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ سَوْنًا ، وَالْحَاضِرِ مَابَسَارَى جَنِينِهَا وَمِصْرِيَاءَ ، وَلِلْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَجْمَعِ ٢٠٪



Texte détérioré — reliure défectueuse

NF Z 43-120-11



صاحب المجلة ومديرها:
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

برل الامتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الوزارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
مابدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الهرولية

مجلة أسبوعية للفصحى والتاريخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٢ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ - أول فبراير سنة ١٩٣٩

العدد ٤٩



فهرس العدد



صفحة

٥٨	قصصية جديدة	أقصصة مصرية	يقل الأستاذ دريق خشية
٦٩	النافذة المفتوحة	عن الانجليزية	يقل الأستاذ عبد اللطيف النشار
٧٢	الأراجوز الحزن	أقصصة مصرية	يقل الأديب نجيب محفوظ
٧٩	غزوة الجزائر البريطانية	للكاتب الانجليزي آرثر كونان دويل	يقل الأستاذ محمد لطفي جمعة
٨٥	الأب الساك	أقصصة مصرية	يقل الأديب محمد عبد الفتاح محمد
٩٢	مذ هبط من سمائه	أقصصة مصرية	يقل الأديب محمد طه الساجري
٩٧	حاج بابا أسفهانى	للكاتب الانجليزي « جيمز مور »	يقل الأستاذ عبد اللطيف النشار

— لست أفهم ! جمال
الظاهر كأي شيء ؟
— كالسحر الذي ملأ به
عيونهم ، وجمرة الورد التي
موت بها خدودهن
— وكأي شيء أيضاً ؟
— القوام الرشيق !
— وماذا أيضاً ؟

صوفية جلدية

أَقْصُوصُ قِصَصِيَّة
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ دُرَيْشِ خَشَبَةِ

— والسيفان الخلدجلة والأذرع التي تكاد
تنمقد من لين وطراوة ؟
— ثم ماذا يا شيخ عبد القوي ؟
— أسكت لحالك الله ... وماذا بعد هذا ؟
— بعد هذا ما بعده يا شيخ عبد القوي ...
أيها الصديق الصوق !
— ماذا الله أن أكون قد ضللت !
— أنت . ومن زعم لك أنك ضللت ؟
— حسبك ظننت هذا !
— كلا أيها الصديق ... لكني أطمح في أن
تكلمني بأمرح مما فعلت ... أفي الحق أن الله
قد خلق أكثر جمال الظاهر كما تزعمون فتنة لعباده

المتقين !

— أنا أعتقد هذا
— إذن أنتم تؤمنون أن الله يريد الفتنة ؟
— ماذا الله أن يريد شرّاً بالباد ؟
— أليس قد خلق أكثر جمال الظاهر فتنة لنا ؟
— هو بلاء غصب !
— إذن نحن خيرون
— الله خلقنا وما نصنع ؟
— من خير أو شر !

— آه يا صديق الشيخ عبد القوي لو رأيتهن
مرة واحدة ! مرة واحدة يا صديق الشيخ
عبد القوي ثم تنسى هذه الصوفية وذاك النقشف !
— ذاك لأنني إن فعلت ألقى بزماي للشياطين
أمثالك !
— أأستطيع أن تمحس لم خلق الله النساء ؟
— خلقهن لعمار هذه الدنيا يا صالح !
— ولم خلقهن جيلات واثمات فائنات ؟
— ليلبو عباده ، فمن سلم منهن سلم في دينه
ودنياه ، ومن أغويتهن خسر الدنيا والآخرة
— إذن أنتم يا معاشر المتصوفة تزعمون أن الله
خلق الجمال للنواية !

— ليس الجمال كله ... أرجوك !
— جمال النساء غصب !
— وليس جمال النساء كله !
— جزء من جالهن فقط ؟
— هو ذاك
— وهذا الجزء ، أكثر الجمال هو أم أقله ؟
— أكثر جمال الظاهر
— جمال الظاهر ؟
— أجل ...

- قل كل من عند الله !
— هذا هو الذى لا تفهمونه من كلام الله ...
— لنترك هذا ... وجمال الباطن ، ماذا تصعدون به ؟
— جمال الروح
— وكيف تكون الروح جملة ؟
— الروح التى تنزع من الانم
— هذا هو الجانب السلبى ...
— وتصدر عنها المكورات
— أحسنت ! والروح التى تنزع من الانم ،
هل تحسبونها تنزع من جمال المرأة ؟
— قل جمالها الظاهر أرجوكم ! أجل ، إنها
تنزع من هذا الجمال الخبيث فزعمًا شديدًا
— ألا تتفق معي أن مثل هذه الروح تكون
روحًا شريرة ناقصة ؟
— ولماذا تكون كذلك ؟
— لأنها كلما رأت جمال المرأة الظاهر نفرت
وقرنته بالشر ؛ ولو أنها قرنته بالخير ، ومجدت الله
الذى خلقه ، لكان خيرًا لها وأكثر إيمانًا بالله !
— .. ؟ ..
— أراك لا تستطيع أن تتكلم ، وأنت تريد
أن تفعل ؟ !
— ولماذا هذا الحوار الطويل عن المرأة ،
ألا يوجد في الدنيا غيرها ؟
— بل يوجد غيرها كثير ... فيم تريدنى
أن أناقشك ؟
— أنا لم أعترض على مخلوقات الله مثلك ،
تفكلم أنت !
— وهل حسبته اعترضت على مخلوقات الله
يا صديقى ؟
- وهل تريد أن تشكر ذلك ؟
— إلى أنكره لأنى لم أفعله !
— ألم تفترض على الصوفية والنصوفة ؟
— لقد سألتك عن أشياء فلم تستطع أن تفرع
حجتي ، أفيتكون ذلك اعتراضًا منى ؟
— إنا يا صديقى قد طلقنا هذه الدنيا ثلاثًا ،
ونحن أحرار نصنع ما نشاء
— وكيف تطلقونها وقد اعترفت أن الله أراد
عمارها ؟
— أنا اعترفت بهذا !
— ألم تعترف ؟
— أبدًا ، أبدًا ...
— إذن يريد الله خراب الدنيا !
— أليست الساعة مقبوم ؟
— سوف تقوم ما في ذلك ريب !
— أليس في قيامها خراب الدنيا ؟
— إنها تكون قد انتهت إلى الأجل الذى
أجلها الله إليه ، وإلى أن يجيء سوف تظل حاضرة
جميلة ناضرة !
— آه من عمارها وجمالها ونضرتها !
— وما عليك من ذاك يا عبد القوى ؟
— طوبى لمن يخلع عنه بردها الزائف بإسالم !
— وكيف يخلع بردها ولماذا ؟
— إنها دار القنوط يأخى !
— أنا أسألك كيف يخلع الرء بردها ولماذا
يخلعه ؟
— يخلعه هكذا ... إليس كما أليس أنا ...
ذاك الصوف الخشن وتلك النمل المحصورة ، وهذا
الطروش الذى ليس له زر ... و... و...

— ما ضر الدنيا من عبادة الأصنام !

انصرف صالح لشأنه ، وأقام عبد القوى ،
أو الشيخ عبد القوى زعيم متصوفة القرية ، يفكر
في هذا الحديث الطويل الذي جرى بينه وبين صديقه
عن ظاهر الجلال وباطنه ، وعن المرأة من وجهة
نظر المتصوفة ، وعن الدنيا ... والتششف ...
والشعر المرسل واللبس الخشن ... والتعل
المنصورة ... ثم هذه السكحة وتلك المذبة التي
هي فضل مندبل العامة ...

ولكنه كان يهود من كل أفكاره إلى التفكير
في المرأة ، فما كانت أفكاره فياعداها إلا كما يخطف البرق
لقد نهي عليه صالح أن المتصوفة يمدون المرأة
عدوم الأكبر لأنهم يزعمون أن الشياطين تتخذ
من مفاتها سوماً تصيد فرائسها ... وصالح يقول
إن هذا زعم خاطئ ، لأنه يقرن جمال المرأة بالشر ،
ولو قرنوه بالخير لكان أصلح لأرواح الناس ،
ولقربت الدنيا أن تكون جنة ، ولهربت الأبالسة
من حياتنا ...

فكرة طيبة ، وهي أقرب إلى حكمة الله من
هذا النظر الأسود إلى أحسن مخلوقاته التي اختصها
بالجمال ، واستودعها الرقة والمذوبة والطلاوة والبهجة
ووفر في قلب الشيخ أنه لم يستطع أن يدفع
حجة صديقه صالح في فساد رأى المتصوفة في المرأة ..
وكان مجزء ذلك أول إحساسه الخلق بالهزيمة ، وقد
رأى يميني تصوره كيف أخذت هذه القصور المعجبة
التي شادها الوم في وجدانه الصوفي تنهار وتنقض
وتتطمح وتصير ركناً

— وماذا أيضاً يابعد القوى ؟

— وترسل لحيتك وشمر رأسك حتى تكون لك

وفرة ولة وذوائب

— ثم ماذا ؟

— وتكون لك سبعة كبيرة ومكحلة

— ولماذا المكحلة ؟

— لا تكون صوفياً إلا بها !

— لقد جعلت المكحلة للتجمل والزينة ، أليس

كذلك ياصديقي الشيخ ؟

— كلا ... كلا ... إنها تقاليد ياصالح !

— لا ... لا بد أن تفسر لي اتخاذكم المكحلة

وتشبيك بها !

— وهل ذلك في استطاعة أحد ؟

— ليس في استطاعة أحد أن يفسر

اتخاذكم المكحلة ؟

— هذا محال ياصديقي !

— ولماذا يكون محالاً ؟

— مثل المكحلة مثل هذه المذبة التي ترى !

— لقد كدت أسألك عن أمر هذه المذبة

لماذا ترسلونها على أفتيتكم هكذا ؟

— هي أيضاً من تقاليدنا بمباشر المتصوفة

— ما أحسبها إلا من بقايا الوثنية التي تندس

في طبائع الناس دون أن يشعروا ...

— وثنية ! نحن لسنا وثنيين ياصديقي !

— ومن قال إنني وثنيون يا عبد القوى !

— وما بقايا الوثنية التي اندست في طبائنا إذن ؟

— هذه المكحلة التي تأخذون بها أنفسكم

وتلك المذبة ، والتمل المنصورة

— وماذا ضرك من ذلك ؟

- واقي بمد ذلك شيخاً من أجل مشايخ الطرق
فأعتم أن أثار المسئلة بمخافيرها ... وكان قد نسي
الوقار الذي لم يكن منه بد في تناول هذه المسائل ،
والتي يزعم التصوفة أن الخوض فيها كالخوض في
حديث اللغز ، والقدر ، لا بد فيه من الاحتراز
والاحتباس إن لم يفضل فيه التسليم كل التسليم
ولحظ الشيخ الجليل في محله هذا التبذل الذي
يخرج بالصوفي عن أصول المذهب ، فشده أول
الأمر ... ثم علم أنه الشيطان قائله الله قد استطاع
أن ينفذ إلى قلبه ، وأن يسيل من هناك على لسانه ،
فقال له :
- أي حبيبي عبد القوي ، ماذا دهالك ؟ إنك
تحدث بما لم تهده فيك !
- عمرك الله ما دهاني شيء ... إنما هو حديث
جري بيني وبين صديق صالح ، لم أستطع أن أرد
عليه شيئاً مما قال
- لا بد أنه كلك في المرأة وفي الدنيا وفي الذي
يحاربهما من الجفوة والتكشف !
- أوه ... لقد حصل كل هذا ، فهل حدثك
مثل ذلك الحديث ؟
- كلا ولكني فهمت ذلك من سياق حديثك
وماذا ترى إذن في الذي حدث ؟
- أرى أنه حق يؤدي إلى باطل
- حق يؤدي إلى باطل ؟
- أجل يا أخي !
- وكيف أيها السيد ؟
- أتسألني كيف ؟
- إي والله إنني أسألك
- قل لي أولاً ماذا حل من حديثه في قلبك !
- حل من حديثه في قلبي أنه يعبرني بأننا
معاشر التصوفة نقرن نظرنا إلى ما ظهر من جمال
المرأة بالشر ، ولو أننا قرنا هذه النظرة بالخير لكان
خيراً لأرواحنا ، ولطردنا الأبالسة من حياتنا وبذلك
تصبح الدنيا جنتنا الأولى ...
- كلام جميل ، بيد أنه خطب ... أو ...
ممسول !
- أما إنه جميل فهذا رأيي فيه ... ولست أدري
كيف يكون خطباً
- إن الذي قال صالح هو ما تقول يا أخي
- نحن نقول بالذي يقول به صالح أيها الشيخ
- هو هو !
- هذا عجيب !
- وما عجيبه ؟
- وأي خير نقرن به جمال المرأة ؟ ألم تخلق
عدة للشيطان ؟
- مماذا أنه أن يكون ذلك ؟
- إنك تعبرني يا سيدي الشيخ !
- وكيف ؟
- أليس أول ما يأخذ به الصوفي نفسه هو
الحذر من المرأة ومن الدنيا ؟
- هذا حق !
- إذن فلم تخف ما ظهر من جمال المرأة ؟
- نحن لا نخف جمالها ما ظهر منه وما بطن !
- يا سيدي وأنت مع ذلك كبير من مشايخ
الصوفية ؟
- بل أنا أكبر مشايخها قاطبة ! ! إسمع
يا عبد القوي ، إننا معاشر التصوفة نحب الجمال
ونهم به ونفنى فيه ، وجمال المرأة هو أبرز صورة من

- جمال الدنيا ... لكن نظرنا إلى جمالها غير نظرة
سواء من الناس ... إن الناس ينظرون إلى المرأة
بين تنقذ شهوة وفسوقاً ، أما نحن فننظر إليها
لنسبدها لله ونقدس أسماؤه . ونحن حين نخشى المرأة
لا نخشاهم لأنها عدوة لنا ، بل نخشى أن نفتن
ونزل ونقع في حائل الشيطان الذي أقسم لنا أن
يقدم لبياده طريقهم المستقيم ... فتحن نستعبد
بالله من الشيطان إذا وقع بصرنا على المرأة ، ليس
لأنها عدوة لنا ولكن لأن الشيطان هو عدو لنا ...
ونحن نعلم المرأة كأننا نعلم الدنيا التي نغلاها بالفساد
والماسي ، ولو قتل بنو آدم للمأوها بالطاعات
والخيرات فكأنهم جنهم الأولى كما زعم لك صديقك
صالح ... ولكن ...
- ولكن ماذا يا سيدي الشيخ !
— ولكن ... لي ملك كلمة بعد الذي قلته لك !
— تفضل !
— أستطيع يا عبد القوي إذا أنت نظرت إلى
المرأة — غير حاق طبعاً — أن تجعل نظرتك للخير
لا للشر ؟
- وكيف لا أستطيع ؟
— هذا ما أشك فيه !
— وهل تستطيع أنت يا شيخنا الجليل !
— أنا دائماً أجاهد نفسي
— ولماذا لا أجاهد نفسي أنا أيضاً ؟
— هنا تتفاوت نفوس الصالحين ... ولذلك
قلت لك إن كلمة صالح حق يؤدي إلى باطل يا صديقي !
— وكيف أيها الشيخ ؟
— لأننا لا نستطيع دائماً أن نفرق نظرنا
إلى المرأة بالخير ... هذه حربة اللائكة التي أعيت
أكثر البشر
- لذلك ...
— لذلك ينبغي أن نحارب في نفوسنا الهيام
بالمرأة ...
— ولذلك ...
— ولذلك أرسلنا شعورنا وأعطينا لحنا وآثرنا
لبوس الصوف الخشن والنمل المحصورة والهندام
الجاني ...
— ليتك جادلت صالحاً ... ليتك جادلت صالحاً

لم يمد عبد القوي هذا الرجل التصوف المتكشف
الزاهد يمد ... لقد تبدلت حاله ، وصار كلما تذكر
المكحلة والنمل المحصورة والسبعة والوفرة والدواب
يلمن هذه الأيام التي حرم نفسه فيها من مباحج الحياة
أقد شك أول الأمر في قيمة هذه الأسلحة
التي يتخذها المتصوفة لظهورها في ذلك المظهر الخشن
الجاني بحجة أن هذه أحسن وسيلة لاذلال النفس
وقهر الشيطان ... ويجب أساساً لا تكون الأثابة
والمظهر المحتشم والنظافة معواناً للمرء على ضبط
النفس وإكمال أديها ...
- لا ... لن تكون لي هذه المعية الكثرة ،
ولا ذاك المظهر الزري ... لتذهب المكحلة والسبعة
إلى الشيطان ... لماذا أعد سلواتي وتديبعتاني ؟
أأفعل ذلك لأحاسب دني ؟ أم أخضع السبعة شعاراً
ومظهراً ورمزاً للناس ؟ لن ينفعني ظاهري إن لم يكن
لي وازع من باطني ... إن هذا الطربوش الذي
ليس له زر تدجيل وشموذة ، إن لم يكن على الناس
فملي نفسي ... لقد خلق الله الدنيا وجعل فيها من
كل شيء ، فلنملأها بشراً وخيراً ولنملأها سلاماً
وإنساناً ... ليكن كل ما فيها جيلاً فقد خلقها الله

جيلة ... لماذا تبدو في هذا المظهر الأشعث الأفير
لنقل أنفسنا وتؤذيها بالقرع ، وكان خيراً لنا أن
نأخذها بالكرمت وحيد الخصال ... إن السبع
لا يزداد بالمقاومة إلا شراسة وشماساً ... وهو باللين
والمروعة يسلس وينقاد ويطأطيء لروضه ... إنما
يبنى أن أذكر دائماً أنني في نضال مع نفسي ...
لن أتركها تقتصر على ... لن أدع زمامها للشيطان
ولكني لن أأخذها بالخشونة والقرع مع ذلك ... كلما
لقيت امرأة قلبي أنظر إليها باشتهاه ولا فسوق ...
إن المرأة الجميلة تحفة راقصة من صنع الله فينبغي
ألا ندنسها بأنظارنا الشريرة ... والدنيا مثل المرأة
فيجب أن نغلاها بهجة ... إن اشتهاها للمرأة هو
مثل اشتهاها للدنيا ... الأول يدل على نقص في
طبائعنا كلما حاولنا إرواءه من النساء تضاعف ثم

تضاعف حتى يجرئنا ... والثاني يدل على طائفة من
عيوبنا من أبرزها الجشع والطمع والافتناء والذل
المقيم لطالب الجسد من طعام وشراب وكساء ...
ونحن أمام هذين نتحط إلى مراتب الحيوان الأجم
ونفس فضائلنا ...

واستوى الشيخ عبد القوي أن يزور هذا الرجل
الصالح عسى أن ينفعه الله ببقائه ، أو أن يقف منه
على سر عزله واستيحاشه ... ولم يشأ أن يصحب
أحدًا ممن همضوا أن يذهبوا معه إلى الشيخ الصالح
بل شكرهم وآثر أن يذهب إليه وحده ... لأنه

يعرف من تجاربه أن الوحدة هي الطريق إلى البوح ،
ثم هو يعلم أن النأمل والاتحاد بالمال لا ينقذهما
إلا فضول الناس والثرثرة التي هي فطرة في ألسنتهم
فا يقلعون عنها إلا قليلاً

وخرج الشيخ عبد القوي من مسجد القرية
بعد صلاة المشاء ، وتسلل من الناس ثم اتخذ سبيلاً
إلى شاطئ النهر

وكان الليل قد نشر طيلسانه فوق الكائنات ،
والقرية توشك أن تهجم إلا من نباح السكلاب ،

وهكذا استطاع الشيخ عبد القوي أن يرسم
هذه الصوفية الجديدة ... وهي صوفية مبنوية سامية
لم تزخر على نفسه ليلوغها ببدائر الشعر وفوائده ،
ولا بهذه الباءة القضاة من الصوف الحسن ،
ولا بتلك النمل المخصوفة والسجدة الهائلة
وصرت الأيام ...

وبدا عبد القوي بين الناس في أتيق البرة .
رشيقي الهندام نظيفاً ، لا يحمل ذقنه إلا شمرات ،
ويثبت من عينيه هذا البريق المريب الجليل الذي

يضى فى سمواتهم بهذه العبارة ، وهم يرددونها بعده
لكذلك كلما سمعوها ،

وبرز رجل من كهف فجأة ، وأخذ هو أيضاً
بقول فى إرتسيح الكروان : « اللهم مالك الملك .
لك الملك .. وأنت صاحب الملك .. »

وتلفت عبد القوي فاذا حياله رجل أشعث أغبر
قد أرسل لحيته حتى تهدت فوق بطنه ، واشترت
فوق ظهره ذوائب بيض كالنصف ، وهو مع ذلك
أصلع عريض النكين ، ويده هراوة كبيرة كأنها
هراوة نوح أو عصا موسى

ثم صرخ الرجل صرخة مدوية ، وأخذ يترنح
بعنه ويسرة وهو يقول :

« الله - حى - الله - حى - الله - حى - الله - حى »
وكان يقولها فى تلك النغمة الموسيقية المروفة
التي وقع بها المنشدون أذكارهم ، ويرتلون
على جرسها أورادهم ...

ووقف عبد القوي مكانه باهتا صامتا مسبوها
لهذا الشيخ المتمرد الذى انشق عنه بطن الأرض
فبرز يشوه جمال الطبيعة بصوته الأجش ويحته
النكرة ، وإنشاده الخففتق ؛ ويكسب بصدأ حشرجته
موسيقى القمر وغناء الكروان

- السلام عليك أيها الزمن !
- حى - الله - حى - الله - حى - الله !
- اللهم لا حول ولا قوة إلا بك !
- الله - حى - الله - حى - الله - حى !
- الله لا إله إلا هو الحى القيوم ... رويدك
يا أخى وترفق بنفسك
- حى حى ... حى حى ... حى حى ...

وإلا من فاك الضوء المريض المنيث من دكان البقال
الذى يبيع للناس ألف صنف مما يحتاجون
ما أشد رهبة الليل فى صراج الريف ؟

لقد كان خربير الماء المتدفق فى التيل يبعث
الربح فى قلب الشيخ عبد القوي حتى لقد فكر
فى أن ينشئ إلى بيت مضيقه ، ويقذف إلى الشيطان
زيارة هذا الشيخ الصالح الذى أنزل العالم تحت تلك
الصفصافة البعيدة كأنها فى عالم وحدها ...

وكان الغلام الخامس يرسل عقارته فى الهواء
الطيب فلا تفتأ ترقص فوق أكوام السباح وشواخص
القبور القرية .. لكن عبد القوي استماد بالله وتعم
بآيات من القرآن .. ثم ذهب لا ياب به أو يبل الليل
واقترب من الجزيرة ... فأرهف أذنيه عسى
أن يسمع تسبيح الشيخ الصالح المتكف نعمة ...
بيد أنه لم يسمع شيئاً

وكان القمر قد أخذ يرسل أذخته الدواكن
فى الأفق الشرق ، فيختلط الضوء النحاسى بفحمة
الليل ...

ومن وراء أحراج النخل البعيدة ، ظهر البدر
الشاحب فاهترت للسكانات خاشمة لهذه الآية من
آيات الله القدير ... ووقف الشيخ عبد القوي هو
أيضاً يفكر فى خالق الأرض والسماوات ، ويرمق
النهر الجبار الأبدى يجرى كأنه نهر الزمن لا ياب
للتواتى والذهاب والساعات .. بل الأيام والدمهور .
وأرسل الكروان المصرى الجليل شدوه فى هدأة
الليل السامى ، فقال الشيخ عبد القوي مبه « اللهم
مالك الملك . لك الملك وأنت صاحب الملك ... »
والفلاحون فى ريف مصر يزعمون أن الكروان

- أجل ... أما أعرفك ... أعرفك من زمن طويل !
 — ومتى عرفتني وأين ؟
 — قل لي أولاً ... لن أجبك حتى تقول لي :
 — أقول لك ماذا ؟
 — أين لحيتك الضافية السابقة ؟
 — لحيتي ؟
 — أجل ... لحيتك التي كانت أطول من هذه !
 — حلقها !
 — وله ؟
 — لقد كانت تضيقني !
 — والكحلة ؟
 — استنيت عنها
 — والسحبة ؟
 — فرطت عقدا !
 — ولماذا آثرت هذا الهندام الأنيق ؟ هل صيأت ؟
 — معاذ الله أن أقبل ! ألا تخبرني من أنت إذن ؟
 — أنا ؟ ... أنا عبد الله !
 — عبد الله من ؟
 — ولماذا تلحف ؟
 — أحب أن أعرفك ...
 — لا حول ولا قوة إلا بالله ! سبحان الذي بدلنا يا عبد القوي !
 — سبحان من بدلنا كيف ؟
 — إذن ... فاعلم أنني ... رعدن شبائك ورفيق صباك ... صالح !
 — تعرفني ؟
- وخطا عبد القوي نحو الرجل خطوات ثم أخذ يربت على كفه يمينه ، والرجل مع ذلك كأنه يندول الساعة يطع هنا ثم يطع هناك
 ثم جذبه عبد القوي جذبة قوية فتوقف الرجل ثم حدث فيه بصره وقال :
 — إني الله ... لماذا تجذبني هكذا ؟
 — أعتذر إليك إن أكن قد أسأتك
 — ولماذا آيت إلا أن تقطع عليّ تأملاتي ؟
 — أنا ؟ أنا قطعت عليك .. ؟ أي تأملات يا صاحبي ؟
 — تأملاتي في خلق الله ؟
 — لقد كنت تتأرجح وتبجد وتهتز ، أهذه تأملات ؟
 — أسكت ... هناك الله أيها الشيطان !
 — من ؟ أنا ؟ ... أنا شيطان ؟
 — أنت أكبر الأبالسة !
 — معاذ الله يا صاحبي ... ليس هكذا يكون خلق الرجل الذي انقطع لعبادة الرحمن
 — من أنت ؟ هه !
 — أنا ... أنا عبد من عباد الله سميت إليك لأزورك
 — ما اسمك ؟
 — ولماذا تريد أن تعرف اسمي ؟
 — أنت عبد القوي ؟
 — هل تتبنا ، أم أنك تطلع النيب ؟
 — لا هذا ولا ذاك ... لكني أعرفك !
 — تعرفني ؟

- قال ذلك وكأنما ساخت قدماء في الأرض ، ثم
نشج نشيجاً مؤلماً ... واستمرت عيناه ... ثم
استخرط في البكاء ...
- ماذا ؟ هل تبكي ؟ ... وبك ... ؟ أنت
حقاً صالح ؟
- ... !
- لا حول ولا قوة إلا بالله !
- أجل يا عبد القوى ... أنا صالح يا صديق !
وهذا حال !
- مسكين أيها الرفيق !
- أين أنت أيها الأخ طيلة هذه السنين ؟
ليبقى ... ولكن ...
- ليتك ماذا ؟ ... لماذا قطعت كلامك ...
قل ...
- لا أجسر !
- لا تجسر ؟ ولماذا يا أخي ؟
- أخشى أن تنخسف الأرض تحتي !
- أترك يا صديق هذه الهواجس التي تستمر
في قلبك فإله وليتنا ...
- ليبقى يا أخي سرت في الحياة سيرتك ...
- أية سيرة يا صالح ؟ ...
- سيرتك الأولى التي كنت أعجبها عليك !
- سيرتي الأولى ؟
- أجل ... سيرتك الأولى التي كنت تستمع
عليها بلحيتك وسبحتك ومكحلتك وهراوتك
وسوفك الجاني الخشن ونمك المصوفة الغليظة !
- أنت تبهمني يا صالح ...
- لا ... لست أحيرك ... أنظر يا أخي ماذا
أصابني !
- إن كنت تشتهي أن تكون مثلي في الأيام
الخلو ، فإني الآن أشد رهبانة وأكثر تشقفاً ...
فم تشكو ؟
- أشكو أنني لم أكن كذلك قبل أن أعترض
عليك !
- لقد كنت تسبب هذا المظهر على ، فما الذي
جعلك تؤثره على ما أحل لنا الله من زينة هذه
الحياة الدنيا ؟
- أوه ! ... لا أستطيع ... لا أستطيع !
- لا تستطيع ماذا ؟
- لا أستطيع أن أحرك بذلك لساني !
- هو سر رهيب إذن ؟
- رهيب جداً يا صديق !
- مسكين !
- مسكين جداً !
- لكنك تمذهب نفسك بالكتمان أضماغ
ما تمذهبها بالروح ... تكلم ...
- هذا حق ... لكنني لا أستطيع ...
- يحبل لي أنك عصبت الله مصيبة كبيرة !
- أوه ...
- ولذلك فانت تجبل من الكلام !
- كل ما تقول ...
- صحيح ! أليس كذلك ؟
- أجل يا صديق !
- لكني أعددك أن أكتب ما تقول ، وأن

أعينك على بلواك إذا استطعت !
 — أقسم لي ؟
 — أقسم لك
 — إذن ... لقد قلت ... ؟
 — قلت ؟
 — أجل يا عبد القوي ! أجل يا صديق !
 — قلت من ؟
 — ولدي ... ؟ ... ولدي ...
 — ولماذا أيها الرجل تقتل ولدك !
 — ألا تعرف لماذا ؟ لقد أنيت به من سفاح
 يا أخي !
 — آه ... جريعة نلذ جريعة ...
 — لقد خدعتني نظرياتى فى الحياة يا أخى !
 — كلا ... لقد كنت أنت السبب فى اعتناقى
 هذه الصوفية الجديدة المذهبة يوم عنيت بالرد عليك .
 لقد كنت على حق يا صالح ، ولم تكن قط على ضلال
 ولكن حلم خدفتى كيف سقطت هذا السقوط !
 — أوه ؟ هذا خديث شاق يا أخى !
 — ليس شاقاً كما تتصور ... أوه ... لقد تبيت
 على ما يبدو ... حلم إلى كهفك السحيق نسترح به
 وكان القمر قد أطل وارتنق ، وأرسل أضواءه
 ملء الكون ... وكانت البرايا كلها قد أرهقت
 آذانها تسمى للحديث وتلقفه ... أليست هذه
 مأساة الجميع ؟ أليس ييب الانسان أمراً ثم يتردى
 فيها هو شر منه ! ؟
 — عرقها يا أخى واية الاهداب موفورة
 الشباب ... لقد كانت قبانة كالزهرة تبقي بالحلب
 فى فؤاد كل من نزار .. حيناً رنت إلى قلبت كيانى ..

جعلنى شيئاً آخر ... لقد ساءت كل نظرياتى التى
 كنت أبدهك بها فلا تستطيع لها رداً ... لقد
 كنت أقول لك ، لم لا تترن نظرتنا إلى المرأة بالخير ؟
 لم لا ننظر إليها فنميد الله وتقدس أسماده ؟ لماذا يجمل
 من جمالها شر أستطيع آتجنبه وتوقاه ؟ لم تستمينون
 يا معاشر المتصوفة على إذلال أنفسكم بإرسال شهوركم
 وإعفاء لحاكم والصوف الحشن والتعل المتصوفة ؟
 إنكم تشوهون خلق الله الذى شاء أن يجمله جيلا
 موثقاً وتأبون أنتم إلا أن تجلوه بشما كريهاً ...
 هكذا كنت أقول لك .. وهكذا كنت أنى عليك !
 وأسفاه ! ليتى كنت مثلك يا عبد القوي ... ليتى
 أرسلت لحيتى وأعفيت شمري وأذلت نفسى بما أذلتكم
 به نفوسكم .. لا .. لقد ذهبت أدل بشبابى وأنيه ..
 وأتشدق بنظريات فارغة ما جعل الله لها سنداً من
 الحق ، وإن جعل لها رداء وإن جعل فيها طلاوة !
 لم أستطع يا أخى أن أسبر على حبها الذى غمزا
 قلبى وعصف بنفسى ، وزلزل وجدانى ... إذن ،
 لقد غاظتها ... ولم تستصن طويلا على ... فقد
 سدتها فى شراك محكة من كلات الفزل الممول
 وآهات الهوى المشتتة ...
 وسهرنا الليالى ...
 وتبادلتا القبل ...
 ثم .. سقطنا !
 وضقت بها ونفسى حينما جاءها الخاض ... ماذا
 أسمع !؟ عاونتها ... لكن ، لأنجو من جرمي ...
 لأفقت من الجريرة ...
 ثم فررنا إلى جهة نائية . وفى الطريق . تحت جنح
 الليل ، جلسنا تحت صفصافة حيث وضعت !

- بالله ... ربي ؟ لقد وسعت رحمتك كل شيء ... مسكين يا بني ؟ ... ليتني أبقيت عليك واعترفت بك وذهبت فداك ... لقد خفت يا بني أن تقضحني حينما سمعت أول سباحتك في هذه الدنيا المنكودة فتر أبال أن أقضي على رقتك وأخفك !
- لماذا يا ربي لم أمت قبل أن أفضل هذا ؟
- مسكين يا صالح . والفتاة ؟ ماذا صنعت ؟
- لقد كانت تبكي على ولدها
- أهذا كل شيء ... ؟
- لا إنها طلبت إلى أن أختلها
- هل قتلت ؟
- أجل يا صديقي
- وواريت سوء تيهما ؟
- بل ألقيتهما في ...
- أين !!
- في هذا النهر ... آه ... آه ... إنه ينظر إلى ... إحدى يا عبد الفتوى إحدى يا صديقي ... إن الليل يغفر غاه ليتلنى ! إني أسمع صباح ابني وآلام حبيبتى ...
- مسكين ! ومن يدري !
- ومن يدري ماذا يا أخى ؟
- لا شيء ... ولكن ... خبرنى يا صالح ...
- ماذا ترجو بعد ذلك من الله ؟
- أرجو مغفرة يا أخى ! إني أسوم الدهر وأقوم الليل ولا يفتر لسانى عن ذكر الله !
- وهل ذلك يكفي لو فعلته ألف سنة ؟
- وماذا أصنع ؟ لقد عجزت من حرب نفسى
- وما حصل منها شيء مما يروى الآن
- إن كنت تطمع في مغفرة الله
- فاذا أصنع يا أخى
- فلا يكن أن نجا حياتك هذه
- وكيف ؟
- يجب أن يقع عليك القصاص الذى أمر الله أن يقع على أمثالك !
- أوه ! لقد فكرت في ذلك ... !
- وما الذى عاقل أن تفعل ؟
- خفت أن أقتل نفسى !
- لو قتلت نفسك لكنت جريعة رابعة !
- إذن ...
- تسلّم نفسك لولى الأمر !!
- دبرنى فضيلة

الأمم فترت

للشاعر الفيلسوف جوتة الأوّلانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة طالبة تمد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وعنها ١٥ قرشا

النافذة المفتوحة

عن الأنيبيزية
بقلم الأستاذ الدكتور لطيف النشار

كنت من الذين تصاب أوتار الصوت عتدم بالشلل عند رؤية رجال البوليس

وكان هذا الجندي طويلاً جداً عريض الأكتاف قوى الجسم والنظرات أحر الشعر مهيب الطلعة في نظري على الأقل ، وكان ينظر إلى

القضاء كأكثر رجال البوليس حينها يرون سارقاً أو قاتلاً لا يستحق التشريف بنظرهم إليه

فلما اقتربت منه رمقني بنظرة كنظرة علماء الحشرات تحت المجهر فلاحظت زرقة عينيه واتساع ذقنه وبروزها

ولم يكن من عادي دعوة رجال البوليس إلى الاشتراك في حديث : أولاً لأنني أخشاهم ، وثانياً لأن قصير القامة نحيل وأعد من الأمور المهيبة لي أن أقف ثانياً وأرأس إلى الراء لأنهم من عادة المرافقة الطوال، لكنني الآن تحت تأثير الخمر وجدت في نفسي ميلاً إلى تحية هذا الجندي لا لأحده ، ولكن لأنني عليه السلام ثم أستمتر في طريق . وقد يكون هذا الميل من جانبي مظهراً واضحاً من مظاهر الخوف .

قلت : « سمد صباحك ! » فأجابني الجندي وقد سر من تحيتي بإيه سروراً كان يحاول كتمانها : « سمد صباحك ! »

قلت وكنت لا أريد أن أحدث ولا أن أقاخر ، ولكن لأشرح علة وجودي في الطريق في مثل هذه الساعة : « لقد كنت مدعواً إلى وليمة فتأخرت للآن » فنظر إلى الجندي نظرة طويلة وقال :

« وهل أنت من سكان هذا الشارع ؟ »

قلت : « نعم في المنزل رقم ٢٨ » فأشار لي الجندي

وقفت لحظة في منطف من شارع « كريكت جراوند » لأشمل غليوني وأشكر نعمة الله علي أنني غير متزوج ، لأنني في حياة الزوجة استطلعت أن أقضي هذه الليلة السارة ساهراً إلى منتصف الساعة الخامسة صباحاً فأشهد طلعة الفجر في اليوم المقبل الجليل من أيام شهر يونيو . وكنت إذ ذاك في طريقي إلى المنزل بعد وليمة دعيت إليها في بداية الليل فتمتعت بالطعام الشهى وبالشراب اللذيذ . وكنت رجلاً كسائر الرجال غير خال من المم ، فني ليلة كهذه فترج عن النفس وسرور ومثمة فلما ينسيان بعد عدة أعوام . وفضلاً عن مسرات هذه الليلة فقد اشتركت فيها في لعب القمار فكان حظي حسناً وفوق الحسن

ثم مشيت وأنا أتفنى طروباً ومرحاً ولكن لا تحسب أنني كنت أرفع صوتي بالثناء في مثل هذه الساعة فأقلني راحة التائبين لأنني كنت أوفر أدباً من ذلك بل كنت أغني بصوت رقيق لأرضي طاعفي التي بمشيتها في نفسي نشوة الخمر ونشوة الكسب في القاذرة . وإنني لأعترف بأن تأثير الخمر في نفسي كان شديداً جداً وإن كان لم ينسني إلى ذلك الوقت طريقي إلى منزلي ولم يسلبني قوة التفكير

ولما وصلت إلى شارع « لا بورن » رأيت جندياً من جنود البوليس فاحتبست الأغنية في حلق لأنني

النافذة في هذا الوقت. فلما وقف الجندي أمام الباب قلت له : « إذا كان بالزلزل لص واحد ساعدتك عليه؟ وإن كان به لسان قبضت على واحد وأنت على الآخر وإن كانوا عدة لصوص استمعت في على الاستنجاد بمجنود أخرى »

فلم يجيبني الجندي ولكنه دفع الباب فوجده مفتوحاً ودخل فدخلت وراءه بشير دعوة . وكنت في أثناء سيرى أراقب الأثاث وقد أعجبني بناء المنزل ولم يعجبني أثاثه فقلت للجندي : « هذا فراشي رث وإن منزل إحدى الخدم لأفضل . . . » فلم يدعي الجندي أنم جلتي بل زجرني بلفظة حادة ونظرة أشد إزعاجاً لنفسي ، فلزمت الصمت وتيمت إلى الغرفة التي رأيتها فيها النافذة المفتوحة ، فانا بها مكتب المستر تول ؟ ولحت أدراج مكتبه مفتوحة وأمرني الجندي بالوقوف في مكاني وتقدم هو :

وكانت هذه أول مرة خالفت فيها أوامر البوليس لأنني لو بقيت حيث كنت لما تمكنت من رؤية الجسم الممدد على الأرض ، وتيمت الجندي فرأيته

قال الجندي : « أهذا هو المستر تول ؟ »

قلت : « نعم هو وأري رأسه ماثلاً بشكل غير طبيعي . فقال الجندي : « إن رقبته مكسورة ولا يد أن يكون الذي لواها قد فعل ذلك من وقت قريب » قلت : « إن الذي فعل ذلك قد أراح الدنيا من شر كبير ، ولا شك أن كثيرين سيفرحون عند ما يصل إليهم هذا الخبر »

وقلت : « نعم فقد كان الرجل حرايياً يترق وقت عمله أموال الساكنين ويتجر بالفضائح ليحاول الكسب أيضاً عن طريق التنهير بالناس وإذاعة أسرارهم » فقال الجندي : « هل كان الرجل سيئاً إلى هذا الحد ؟ »

إلى المنزل الذي أمامه وقال : « وهل تعرف اللقيم في هذا المنزل ؟ » فظننت إلى منزل جميل منير المساحة له حديقة أنيقة وقلت : « نعم هذا المنزل رقم ٤ يقيم فيه المستر « ألدريك تول » هل تحب أن تعرف به ؟ » فقال الجندي : « هل هو صديقك ؟ »

قلت : « إنه ليس صديقاً لأي إنسان » فتأمل الجندي في المنزل لحظة ثم قال : « إنني أستغرب بقاء هذه النافذة مفتوحة في مثل هذه الساعة » وأشار إلى نافذة فقلت : « إن نظارك كنظر الصقر ولكن لا أظن أن من حق أحد أن يسأل المستر تول عن فتح نافذته »

قال الجندي : « هذا صحيح ولكن هذا وقت غير مناسب لفتح النوافذ وأظن أني رأيت النافذة مثقلة ساعة صهرت بالزلزل منذ عشرين دقيقة »

فقلت : « إن المستر تول رجل شاذ ولا يمد أن يكون قد تمد فتح النافذة الآن ليستنشق نسيم الفجر في هذا اليوم الجميل »

فتأمل الجندي في وجهي لحظة وقال : « يظهر أنك تعرف الشيء الكثير عن هذا الرجل فكيف مع ذلك تقول إنك لست صديقه ؟ »

فقلت : « لقد أخبرتك بأن لست صديقه وبأن لا أظن له صديقاً في العالم ولو أنني خيرت بينه وبين كلب أعور أهرج لهبيت في الحال لأشتري طوقاً للكلب . إنني لست صديقه ولكني أعرفه كما يعرفه عدد كبير من الناس »

قال الجندي : « أهذا وصفه ؟ إنني على كل أرى فتح النافذة الآن أصراً غريباً » ثم عاد إلى النظر نحو النافذة ومشى مسرعاً نحو منزل المستر تول مشيت وراءه لأنني لم أكن متجلاً في الذهاب إلى منزلي ، ولأنني كنت مثل الجندي أستغرب فتح

السري وقدمت لي ابنتها فوجت ساعة رأيتها وصاحته دون أن يفوه كالنار بحرف وانتهزت فرصة غفلت به فقال : « لا تذكر شيئاً لأني عن سابقة لغائك لي فأني لم أخبرها » وكان ابن خالتي هذا هو الجندی الذي اجتمعت به في منزل القتيل

ثم صارحته فقلت : « لقد عثرت ساعة كنت تتسكك في التلفون على زر من أزرد ستره عسكرية تحت ذراع القتيل فوضعت في جيبى وهذا هو » ثم أردته إياه

وقلت : « وقد نسيت به بعد ذلك نظراً لحالة السكر التي كنت فيها . ولكنني تنهيت له بعد انتهاء القضية . وأظني فهمت بعض الشيء »

فانقسم ابن خالتي وقال : « هو زر سترى وأنا الذي قتله ثم عدت إلى الوقوف في الطريق متربحاً رؤية سكران مثلك برى لأستشبه به على ملاحظتي رؤية النافذة المفتوحة واستكشاف الجريمة . ولكنني لم أكن أريد قتل هذا الرجل بل أخذ أوراق عنده لأنه كان يهدد أباي بالتشهير بها لأن لديه خطابات منها . وكانت أباي تسكنه بالمال حتى لم يبق لبسها شيء منه فذهبت لأحصل على تلك الخطابات ولكن الرجل كان ضيقاً فلم يتحمل تهديدي ومات بين يدي ، وأندكر أنك حدثتني عن قريب لك اضطر إلى الاستدانة منه ثم سرق بسببه ليوفى بأبي الرب المضاف منها . أنا هذا القريب . وقد تطوعت في خدمة البوليس من أجل هذا الغرض .

وعلى الرغم من أني لم أكن أميل إلى الاجرام فلم يسمني إلا تهنة ابن خالتي على قتله هذا الشرير وطهده على بقاء سره مكتوماً . وقد كتمته حتى مات ابن خالتي بعد عدة أعوام

عبد اللطيف النشأ

قلت : « نعم ولو لم يقتله قاتله الليلة فأني أحرف نحو خمسين من غير المجرمين يودون لو يقتلونه ، ثم هم مستعدون بعد ذلك لتحمل جزاء القتل لكي يريحوا العالم منه . وقد علمت أن شاباً من أقاربي اضطر إلى الاستدانة منه وكان هذا الشاب لا يزال صغيراً جداً فلم يزل يدفع من أقساط الدين ما بلغت جلته ضعف ما استدانه ، ولكنه ظل مدنياً بعد ذلك بجزء كبير من الزمان . وضايقه « ترول » ليضطره إلى الوفاء فاضطر هذا اللطائف إلى سرقة مال من المصنع الذي كان يشتغل به ووفى دينه ، ثم هرب لا وقت عليه للشبهة ولا يزال أهله يبحثون عنه فلا يجدونه من نحو عشرين عاماً

وكان الجندی يصنى إلى قصتي باهتمام ثم خطر ببالي خاطر فقلت : « لعلنا بالتحدث الآن عن حياة هذا الرغد نفعل غير الذي ينظره القانون من رجلين استكشفا جريمة في الساعة الخامسة . ألا نستدعي الطبيب ؟ » فقال الجندی : « هل تعرف مكان التلفون ؟ » فأشرت إلى غرفة الجلوس وذهب وأمرني بالبقاء حيث أنا حتى يعود .

أخذت القضية مجراها فلم تهتد النياية إلى شيء وقضت بأن القاتل مجبول

وبعد بضعة أسابيع وصل إلي كتاب من خالتي في بلدة قريبة في الريف تدعوني فيه إلى مأدبة ، فصارفت وكنت قد علمت قبل ذلك أن ابنتها الغائب منذ عشرين عاماً قد عاد من أمريكا فجئت غرضي من إجابة الدعوة أن أهنئها وأرى ابن خالتي الذي أوقمه سوء الحظ في شبابه في نكته تلك التي اضطرته إلى الفرار

وتلقيت خالتي بالمناق وعرفتني بسائر المدعوين وكلهم من عليا القوم الذين كانوا أصدقاء زوجها

البراجون المحزن

أَقْصَوْصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ نَجِيبٍ مَحْفُوظٍ

ولكن مبهات أن تكفي هذه
الكلمة للدلالة على ثروته، فهو
يملك خمسة آلاف فدان في النيا
ونصف مليون من الجنبات
تقدأ في البك الأهل، وجماعة
النياوى الشهيرة بشارع الملكة
تأزى بالقاهرة. هذا غير أنهم

والسندات عمالا يعلم عده إلا الله

فصاح الشاب وقد تملكته الدهشة :

— يا سلام سلم

فقال الشيخ مبتدأ :

ألا تعلم أنه الآن حميد أعمق أسرة النيا ؟ ...

هو الابن الوحيد للعفوره على باشا النياوى الذى
كان وزيراً للأوقاف، وحفيد محمد باشا النياوى أحد
النظار في نظارة نوبار باشا

فصفا الشاب عن عمدته لحظة ثم قال متسائلاً :

— والظاهر من خطايته أنه متعلم

فأمن الرجل على قوله قائلاً :

— إنه حاصل على شهادة الحقوق المصرية .

وعلى أعلى شهادات فرنسا في القانون . والحق أن العلم

والمال من بعض ثرات أسرته المرموقة ...

وانتهى عند ذلك الحديث وودعه الشيخ وذهب

إلى حال سبيله . وأجس الشاب رغبة في الشئ بمد

طول الجلوس في السراى المكتظ ، فسار إلى غير

وجهة معلومة ينتقل من طريق إلى طريق كيما

اتفق، وخواطره تحوم حول الشاب السيد وما قاله

عنه الشيخ إبراهيم . وانتهت به قدماء إلى محطة

النيا . وعند اقترابه من بابها الخارجى وقفت أمامه

سيارة فخمة ، وفتح بابها وإذا بالخارج منها الوجه

كانت المرة الأولى التى رأى فيها عبد الرحيم
افندى جاد الكاتب بناية النيا الأهلية الوجه السرى
محمد بك النياوى فى الاجتماع الانتخابى الذى أقيم
للدعوة لبك الوجه . رآه واقفاً على منصة الخطابة
بأقى الخطاب الخندى فأثنى على من تقدمه من الخطباء
والشمراد الذين أخرجوا تواضعه ، وشرح برنامج
الانتخابى الحرى بأن يصلح أماً برمتها شرعاً مسهباً
فى أسلوب خطابى رائع قوبل من ألوف الحاضرين
بالتصفيق الحاد والهمات المتواصل ، ولكن عبد الرحيم
افندى لم يؤخذ بمنطقه قدر ما أخذ بجمال وجهه
الفنان ، ولم يتحمس لبرنامج الانتخابى بمضى بحمسه
لشبابه النض وقلته الكاملة وقوته البادية . وانفض
الاجتماع وغادر السكان وخياله لا ينى يقشبت بصورة
الشاب الجليل ، الذى لم تقع عينه قط على إنسان يماثله
حسناً وشباباً وقوة . وكان يدير إلى جانبه الشيخ
إبراهيم سليم المعلم بالدرسة الازمية وهو شيخ
مقدم فى السن قضى من عمره سنين طويلة فى النيا
فقال له :

— مرشح دأرتنا عظيم لا نظير له بين الشباب ،

وتبدو عليه النعمة ... هل هو غنى ؟

فقال الشيخ إبراهيم :

— غنى ! ... نعم يا بنى غنى وما غنى إلا الله .

لحوم وطيور وقاكة . وإن أراد شرباً فله ما يشاء
من ماء اللبل وماء فيثي والكونياك والشمبانيا .
وإن أتى إلى مشاهدة فالأرض جميعاً من الأسكندرية
إلى البندقية ، ومن سويسرا إلى اسكتلندا تفتح
له ذراعها وتنمناه ... فيا للقوة ... ويا للعزبة ...
ويا للسعادة ... !

رباه ... وما نصيبه هو من الدنيا ؟ ...
وحين خطر له هذا السؤال علت شفثته ابتسامة
ساخرة مريرة .

ما هو إلا هيكل جميل ، شاحب اللون ، غائر
العينين ، يبرز الفكين ، متهافت البنيان ، يستقبل
الفصول الأربعة بيذلة واحدة لا تبدل حتى يئأس
منها الرءاء يتكش فيها شتاء كمتفوق يتيق البرد
تحت غصن شجرة عار ، ويشوي فيها صيفاً في جو
الصعيد الحاقق ... وهو ابن جادرشوان البائع البائس
بمحل عطارة المارودي بالنورية ، والله وحده يعلم من
هو رشوان جده ، فلو كان شيئاً يذكر ما أتى أبوه
على ذكره استداراً من الصمت الألم . وأما ثروته
فهي ستة جنيهاً شهريه يرسل منها لوالده ثلاثة
لتنينه على معاش أسرته المكونة من عشر أخوات
وعثنين . فهو على يؤسه فقره ليس الابن الوحيد
لجادرشوان ، وإن كان محمد بك النياوي الابن الوحيد
للى باشا النياوي . وبقى له ثلاثة جنيات يدربها
حياته من مسكن ومأكل وملبس . وإن كان يدين
لشئ غير هذا فهو القبول الدمس والطعمية والطعام
والجين الروى ، فهي غذاؤه طول أيام الأسبوع
إلا يوم الجمعة جله عياداً بهيجاً فيذهب فيه إلى
« لوكاندة الأصماء » ويطلب أرزاً ونصف رطل
كباب ونصفاً من الحضر تشتد حيرته عادة قبل
(٢)

محمد بك النياوي وفي صحبته عادة هيقا مياسة
القد ، بادية الفتنة ، وهما الله عنيين صاحبين جمع
فيهما ما وزعه على عيون الحسان النوانى من الفتنة
والروعة . وكانت تردى مطلقاً أسود ويزين وجهها
البرقع الأبيض الشفاف الذى تتمسك به سيدات
الأسر للتركة النبيلة ؛ فأحس بقلبه يكاد يقفز من
سدره ، ولبت مكانه واقفاً ذاهلاً غافلاً عما حوله
حتى غيبهما عن عينييه الساهيتين باب الحطة . ثم مضى
ثانية في سيره وهو لا يشك في أنه رأى الوجيه
مع زوجة

وشعر عبد الرحيم بقهر غريب لا يجده
إلا الظالمون المألوفون على أصرهم . وقال الدنيا عدو
يتهمك به ويتشفى منه . فأحس نحوه بكراهية مريرة
وتغرد مكتوم لا يجد منفذاً بنفسه منه عن كربه .
وانطوى على نفسه كأنه يرغب في مقاطعتها تعالياً
عليها . والحق أنه يسجز كل العجز أن يصلها صلة تجعل
له فيها قيمة أو شأناً . وتساءل متكرراً غاضباً : كيف
أمكن أن يوجد السكال على الأرض ؟ ... كيف
غفل الدهر عن هذه السعادة المتناهية ؟ وكيف
جهلت الأحزان الطريق إلى هذه الجنة الآمنة ؟ ...
ألا من عيب يشينه ؟ ... ألا من نقص يستوره ؟ ...
جمال لم يكتس بثله وجه رجل من قبل ، وصحة لم يتمتع
بثلاثها جسم إنسان ، ونسب ردد نغراً وتبهاً كلاً
أوغل في اللامى المجيد ، وثروة لا يحيط بها حصر
ولا يفنها الدهر ، وزوجة تسير السعادة بين يديها
سير الشمام النير بين يدي الشمس السافرة . ومستقبل
باسم مشرق بالأمال يبشر اليوم بالنيابة وغداً بالوزارة
والدنيا جميعاً طوع إشارة من يده . تعطيه ما يشاء
حين يشاء ، فإذا اشتغى طاماً قدونه وما يجب من

وتساءل : ترى هل يوجد في هذه الخليقة من يشمر
بالألى ... ؟

ولكن كانت السماء جامدة متعالية ، والأرض
صلبة خرساء ، والناس منشغلين بهمومهم . فأحس
بمزلة قلبية موحشة . وغال نفسه ميتاً في قبر مظلم ،
وعاد إلى حجرته المكتيبة كاسف اللبال ، تنطوى نفسه
على غيظ قاتل وثورة جامحة وحسد أليم ضاحف
أقوال حياته ، وجعلها سلسلة متصلة من الغضب
والسخط والتبرم

والواقع أنه كان مقدراً له أن يرى من عتائق
الدنيا أعجب مما رأى . واستطاع وهو جالس إلى
مكتبته المحقر أن يطلع على أسرار حسنها عقلة الشارد
للتائه أعجب ما في الدنيا من عجائب ...

أند كحادثة الصراف حسين عارف الذي اختلس
عشرة آلاف من الجنيهاً منذ مشهور ؟ لقد اتضح
للمحققين أن التهم يمت بصلة القربى إلى الوجهه
محمد بك النياوى ، فطلبوا إلى نيابة النيا إجراء
اللازم للاطلاع سراً على الخطابات الواردة للبك من
جميع أنحاء القطر لمل وعسى أن يمتروا بينها على
خطاب من الصالح المارب . يمتدون إلى المنطقة
التي يلوذ بها . وكانوا قد شدوا الرقابة على الحدود
فتداه الصالح محصوراً داخل القطر حرسة لقيده
البوليس في أى وقت . وظنوا لذلك أنه ربما دفنه
الخوف واليأس إلى الاستغناء بقريه ذى النفوذ ...
وكان الأمر خطيراً ، لأن أنباءك حرمة
الخطابات إجراء لايبلغاً إليه المحققون إلا في ظروف
قاسية دقيقة ، وزاد من خطورة ما يتمتع به البك
من منزلة سامية في البيئات العالية والأوساط
السياسية . وعرضت النيابة السألة على القاضي ،

اختياره ... ومن الغريب أن نفسه كانت تهوى
الحركة والتنقل والمغامرات البعيدة ، وتبرم بالقيود
والجمود ولون الحياة الدنى لا يتغير ولا يتبدل ،
ولكنه لم يعلم بمواقع البلدان إلا في كتاب الجغرافيا .
وأنى له أن يراها واكماله بنوء بالفقر وسلاسل الوظيفة
الرهقة التي تسلبه وقته كله وتحتم عليه أن يكون
رهن إشارتها آتاء الليل وأطراف النهار ... ولشد
ما يبعذه الحرمان ويقتله التبرم . ولشد ما تتوزع
قلبه للشهوات وتشتبه بالأحلام والأخيلة : وكم من
مرة يكون جالساً إلى مكتبته بدار النياية ، ثم يشرد
عقله فتتبع عن عينية الأوراق والدفاتر ، ويخال
المكتبة مأثرة طعام حفلت بما له وطاب من فراخ
محمرة ولحم مشوى وفريك والحمام والبطاطس والرز
والهلبية والبقلاوة والكفاية . أو يستحضر له خياله
صوراً فائتة مما علق به في الطريق فيرى صدرها ناعداً
أورداً تقيلاً أو لحظاً كخيلاً أو ساقاً ممتلئة . وربما
جذبت الأوهام إلى وديان بعيدة فيخلت لنفسه دنيا
على هواه ويندمج فيها أندماجاً كاملاً ويستسلم
لأحلامها السعيدة ويظل كالنائم حتى يستيقظ على
نداء زميل أو لدعة جوع ...

ولكنه كان على كل حال يسلم - في أوقات
يقظاته - أنها دنيا خيال لا تتحقق على الأرض
أبداً ، حتى رأى النياوى بك ، فأمن بأن تلك الدنيا
التي حلم بها لنفسه تحققت في عالم الحقائق لثيرة .
ووقع ما كان يظنه ممجزة

وحين انتهى من هذه الموازنة التمتعه بينه وبين
الشاب الوجهه تهد من صدر ثقيل ، ونظر فيها حوله
إلى السماء والأرض والبيوت والداكين والسابلة ،

وأما الخطاب الثاني فكان مختصراً لا يشق غلة
 الطفل ويدل على مخرج كاتبه ولكنه كان عظيم
 الدلالة وقد جاء فيه ما يلي « ... لذا تشكو دائماً
 يا بني العزيز .. لذا تكتب إلي دائماً هذه الكلمة التي
 ينفر منها قلبي أشد انفور: (ليت الله بأخذ ثروتي
 ويهني السمادة) والحق أقول لك أن قلبي لا يسلم
 بوجهة نظرك . وأنا على كل حال أمك ، ويحق لي
 أن أقول إنني في هذا الشأن على الأقل أعظم منك تجربة
 ومعرفة ، لذلك نلهمي نفسي بأن التوفيق بينك وبين
 قرينتك ليس أمراً مستحيلاً كما تقول وتؤكد .
 فأرجو أن تثبت قبل أن تخطو تلك الخطوة الأثيمة
 التي لم تنكب بها أسرتنا من قبل . وإنني أقترح عليك
 أن تنفصلاً مؤقتاً عسى أن يبوب كل منكما إلى رشده
 ويدير أمره بما يصون كرامته ويحقق له السعادة . »
 وابت عبد الرحيم زمناً لا يدري كيف يصدق
 ما طالت عيناه ، ولا كيف يفيق من الدهشة والحيرة
 اللتين استولتا على عقله . ومضى يتسائل تساؤل
 الحيران هل حقاً أن ذلك الشاب الذي رآه منتصباً
 كالطود على منصة الخطابة عليل سقيم ؟ وهل حقاً
 أن مرضين وبيلين يهددان شبابه النض بالذبول
 والنعاء ؟ وهل حقاً أنه مضطر إلى الزهد الأبدي
 في أطيب الطعام والشراب ليدفع عن نفسه غائلة
 الهلاك ولا ضمهلال ؟ ولن خلق نعيم الدنيا إذن مادام
 يمز على الفقر ويؤذي النفي القادر ؟ ... أليكون
 وهو الضيف الهالك الذي لا يستطيع أن يتقى
 شراً أو يدفع بلية أسح منه بذناً وأكل عاقبة
 وأهناً حياة .

إنه على أي حال لا يشكو مرضاً ولا يعاني من
 الدواء وألم الحقن . نعم إنه لا يستطيع أن يأكل

وأذن القامى للنيابة بفحص الخطابات بعد اقتناعه
 بوجهة نظر المحققين ...

وكان عبد الرحيم يتتبع سير التحقيق بإهتمام
 شديد . فلما انتهى إلى تلك النهاية نهَّد ارتياحاً
 وأحس بفرح أقيم أن تتاح له فرصة الاطلاع على
 خطابات محمد بك الخصوصية . أليس هذا انتقاماً
 شافياً من الذي خلقته الدنيا عدواً له وغريباً ... ؟
 واستطاع بالفعل أن يطلع على الخطابات التي وردت
 اليك في فترة التحقيق ، وكان مرسلوها إما من
 الأصدقاء أو التجار أو بعض شباب الحزب الوطني
 ولم تكن تحوي شيئاً ذا بال ، ولكن أرادت المصادفات
 أن تكتب إلي اليك أمه في تلك الفترة خطابين
 غريبين قد ينسى عبد الرحيم افندي ماضيه وحاضره
 قبل أن ينسى مدلولهما . وقد جاء في الخطاب الأول
 بعد القدمات الممهدة مايلي « ... أخبرني الدكتور
 بأنك لا تعني باتباع نصائحهم وتعاليمه العناية المرجوة ،
 وأنت تنهون أحياناً كثيرة فتأكل ما تشتهي
 نفسك وربما تباطل عن تجديد الأدوية ؛ وقد يبلغ بك
 الاستهتار ألا تتماطلى الحفن في مواعيدها المقررة .
 والله وحده يعلم بما أحدثه كلام الدكتور في نفسي
 من الحزن والأسف . لأنني أدري خطورة السكر
 وضغط الدم وخاصة إذا اجتمعا . نخذ حذرنا يا بني
 العزيز ولا تهمل صحتك واتبع بدقة تاليم الطبيب
 مهما كانت قاسية ، فلا تنق اللحوم ولا الصلصة
 ولا المواد الدهمة ، وامتنع بتاتاً عن تناول النقشويات
 والحلوى ، وواظب دائماً على تماطلي الدواء عسى الله
 أن يفيك شر المرض ويصون لي ولك شبابك .
 واذكر دائماً أن أي إهمال لتاليم الدكتور هو بمثابة
 قضاء أبدي على الحزن والألم »

شكوى البك أن الزوجة هي التجنية عليه ؟.. فهل جنت هذه الشابة الحسناء فهي لا تبصر ولا تغفل ؟ كيف لا تحب هذا الشاب الكامل ؟ .. وإذا لم تحب محم بك النياوى فمن عسى أن تحب من الرجال ؟ .. وبدت له هذه الأسئلة التي يراها الجربون غاية في التفاهة والابتذال ألغازاً مستمصة على كل حل ومحاجبات خارقة تمدل للمسجرات ، وتوم عقله المريض الذى أنهكه الحرمان أن هذه الحقائق دليل على الانتقام الإلهي من الأغنياء . فالدينا تعطيهم مالا وجاهاً والله يسومهم سوء المذاب والمرض ، ولكن لماذا لم ينف الفقراء من ضريبة الشقاء والمذاب ؟ ومهما يكن من الأمر فإن عبد الرحيم لم يشمر نحو غريبه بشيء من الرحمة أو الزملاء ، وعلى العكس من هذا وجد في شقاءه شقاء لحقه وسخيمته وعزاه عن حرمانه وقهره ...

وقد التقى في ذلك الوقت الشيخ إبراهيم سليم فألقى إليه بالسر الرهيب وقال له دهشاً وهو يضرب كفاً بكف :

— أنظر يا أستاذ إلى عجائب الدنيا ! ولكن الشيخ إبراهيم هز رأسه استهانة وقال برزائته الموهودة :

— ألم تسمع يا بني بالقول الحكيم : (لو اطلمت على النيب لاخترتم الواقع) وهأنذا تطلع على خبيثة أكبر الناس خطئاً من حسد الناس فكيف نجده أحق بالزنا مني ومنك ... أليس كذلك ؟ فتقلب طبع الشاب المريض عليه وقال بمحمة :

— كلا يا شيخ إبراهيم . لست أقل منه شكوى أو شقاء . بل إن شقاءه يهونه المسال أما شقاى فلا يهونه شيء ، أتقول اخترتم الواقع ؟ ... كيف

ما تشبهه نفسه ولكنه يتناول يوم الجمعة مالا يستطيع أن يذوقه البك الرجيبة إلا ويمرض نفسه لشر المرض وغدره . وقد نتاح له فرص سميدة فيدعى مع موظفي النيابة إلى ولائم فاخرة لمناسبات الترقى والملاوات فيأكل كل بشهوة شهمة ويشرب بشراهة مفترسة غير متحرج ولا خائف حتى ينتفخ بطنه ويفقد النطق والقدرة على الحركة .

بمحبا ! فما فائدة المال ؟ .. كيف لا يبق صاحبه شر المرض والخاوف ؟ ... وكيف لا يشفيه إذا أسابه سوء ؟ .. كيف ينسل حزن من أحزان الدنيا إلى بيت تتمر خزائنه الذهب والفضة ؟ ...

على أن ذلك حبه بدا لتناظره فانها إلى جانب المعجبة الأخرى التي يدل عليها الخطاب الثاني وتعامل في تهيب وخوف وعدم تصديق

تري هل يفرق شقاق بين قلبى الوجه الثرى والنادة الحسناء التي رأها تخطر إلى جانبه كلاك كرم ؟ .. ياله من تساؤل سخيف بعيد عن التصور . ومع ذلك

فما الذى يدل عليه خطاب الأم الثاني ؟ ... رياه .. أى شيطان ما كراستطاع أن يسمى بالفساد بين هذين المخلوقين الجليين ؟ ... أطلع البك في امرأة تفوق

زوجيه حسناً وجمالاً ؟ أم توهم الزوجة أنه يوجد بين الرجال من يفوق زوجها شباباً وثرأ ومكانة ؟ ..

فما الذى عكر صفوحيهما وجعل البك يجار بالشكوى ويصرح أنه بأن التوفيق أصبح مستحيل ؟ ما الذى جعل البك المجنون يمتنى للفقر الذى لا يفقه

معناه وزهد في ماله وجاهه ؟ .. واشتدت به الحيرة وغلبه القهر ومضى يضرب أخماساً لأسداس ... تري أيهما المستول عن هذا الشقاء الزوج أم الزوجة ؟ ... أليس الظاهر من

وقلت لنفسي جاداً: حري بمن كان حاله كحال أبا كل
إلا كذا من الطعام وألا يرتدي إلا كيت وكيت
من الثياب وأن تقتصر ملاعبه على هذا وذلك من
اللاهي للبرية . وابتعت نظاماً دقيقاً لا أحمده
ولا أنطلع إلى سواء حتى أنه لا يوجد من الطعام
في الدنيا إلا ما آكله ، ولا من الثياب إلا ما أرتديه
ولا من اللاهي إلا ما أنلني به . فلم أرمق بعين الحسد
من فضلهم الله على بالآلاء والنعم وتمزيت بذكر من
فضلني الله عليهم فقددر لهم حظاً دون حظي وعشت
حياتي قائماً سعيداً لا يني لساني عن الشكر والحمد .
ولكل حياة سعادة توافعها يستطيع الإنسان أن يفوز
بها إذا راض نفسه على الرضا والقنوع وسداد
النظر . ولو أني تركت نفسي بهم في وديان الأمانى
والأحلام الخلب لأضلتي شقاء وشكوى ولم تجدني
شكوى شيئاً ... فقال عبد الرحيم بتمرد جامع :
« إذا كانت هذه هي القناعة فعي الموت . وأنا
لا أدري ماذا كان يكون حال الدنيا لو آمنت بممكنك
هذه . هل كانت تكتشف أمريكا ؟ هل كانت تستغل
الناسج وتستثمر الأراضي ؟ ... هل كانت تقوم
الثورات وتخلق البادي والأنظمة ؟ .. هل أستطيع
بالقناعة أن آكل ما تشبه نفسي ، وأن أسعد
أخواتي وأني ، وأن أشتي في أسوان وأصطاف في
الاسكندرية ... وأن أزوج امرأة حسناء وأخلف
بين وبينات .. ؟ هل السعادة أن أفنع نفسي بأنه
لا يوجد طعام في الدنيا سوى الطعمية والقول
الدمس ... وأنه لا توجد بها ثياب إلا هذه البذة
للقدرة الهلهلة ... وأنه لم ترفها نساء قط ؟ ... »
فضحك للشيخ إبراهيم وقال :
« المسألة قناعة أو لا قناعة . والذي لا يقنع

أختار الواقع إذا كان بسيطاً أماني مستقبلاً مظلماً
تافهاً وقرأ مدمقاً وضيع على عاتق أبا شيخاً وعشر
أخوات وعنتين ؟
فقال الشيخ :

— إن الله لا ينسئ مخلوقاته : ألا ترى أنه يرزق
الطير على غصون الشجر ويظم الخمل في مراديب
الأرض ؟
— أرى حقاً أن الخمل يجد رزقه سائماً ،
أما عبد الرحيم جاد الكاتب بتيابة الدنيا الأهلية
فلا يذوق اللحم إلا يوماً واحداً في الأسبوع ،
وأصبحت الطعمية تأكل كل معدني وليس معدني
التي تأكلها

فقال الشيخ بلهجته الهادئة :

— القناعة ملاذ المؤمنين

— إننا جميعاً مؤمنون ولكننا لا نفي عن الشكوى .
الكل يشكو ويشكو . والظاهر أن الدنيا هي أصل
البلاء . وكأنني بها تطرب لأنات الشكوى والألم
فهو الشيخ سليم رأسه بقوة وقال بمحبة :

— من أخطر الأخطاء التي ترتكبها أن نطل
الشيء بغير أسبابه الحقيقية فنخلق لأنفسنا مشكلاً
غير قابل للحل ومستعصياً على العلاج ، ومثل إهمامك
الساذج هذا للدنيا مثل إهمام العوام للشيطان أو الدين
الحاسدة أو لتناول الدين والسلم يوم الأرباء .
ما ذنب الدنيا ؟ هل الدنيا هي التي جعلت للتياوي بك
يفرط في الأكل والشراب والاستهتر حتى وقع
فريسة للأمراض ؟ أم هي نفسه الأمانة بالسوء ؟
الإنسان هو السبب الجوهرى في إسعاد نفسه
أو شقاءها ... أنظر إلى "ياخي . أنا إنسان سعيد
لا يعرف الشكوى ، وقديماً خبرت حال بعين فاحصة

الفصول والغايات

للخبير الساهر الطاهر

أبي العلا المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقداً أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل
طول هذه القرون مقفوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زياتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لاهرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

لا يفتنح ولولاك الدنيا . فكما يشكو عبد الرحيم أفندي
يشكو محمد بك النياوى . وإذا كان ذلك كذلك
فما جدوى التفتير ؟ ... أراك تهم بالاعتراض على ...
مهلاً فقد وجدت صلاة العصر وليس لدى من مع
من الوقت ولن أقول لك إلا كلمة واحدة : إذا
استطعت أن تحول التراب إلى ذهب كأبناء أمريكا
فافعل .. وإلا فافزع . هل تجد سبيلاً غير هذين ؟ ..
ولكنه لا يستطيع أن يحول التراب إلى ذهب ،
ولا يستطيع أن يفتن ويرضى . وهل كان محمد بك
النياوى حول التراب إلى ذهب ؟ وهل في مصر
كلها من حول تراباً إلى ذهب ؟ ... ومع هذا فيها
من يتقلب على الذهب وأغلبها يبرغ في التراب .
ما ذنبه أن يكون هذا نصيبه من الدنيا ؟ ...

وانتهى التحقيق في جريدة المصراع بالقبض
عليه كما يذكر للقراء . واستدعى رئيس نيابة
النيا حضرة صاحب العزة محمد بك النياوى ليخبره
بما اتهمته النيابة بمحوه من الاجرامات السرية ،
وحضر الوجهه إلى دار النيابة فرآه عبد الرحيم للمرة
الثالثة ؛ ولكنه لم ينظر إليه هذه المرة بالعين التي
نظر إليه بها في الرتين السابقتين . نعم لم يزل يمدد
عدواً له ، ولكنه عدو حقيق بالراء على أية حال .
وقد انبسم لمرآه ابتسامة ساخرة كأنه يقول له لانتبه
عجباً ، ولا تنس في الأرض مرحباً ، فأنا أعلم بما
وراء هذا الحسن والشباب من البلاء والشقاء
آه لو يتكاشف الناس ! ... آه لو تطن سرائرهم
للأعين كوجوههم وثيابهم ! ... ألا يبدون حينذاك
كأنوبة بائسة ؟ ...

ولكن ما عسى أن تكون اليد التي تلعب بهم
على هذا الوجه المزرى ؟ من الذي يحمل تيمة هذا
السيف الحزن .. الدنيا كما ظن هو ، أم الانسان نفسه
كما يظن الشيخ إبراهيم ؟ ... يجب محفوظ

من مضاجعته . ولما فاحت
زوجتي في الأمر تهلل وجهها
وقالت :

— يا لها من فرصة سائحة

تجمع بيني وبين مستر هولز
وما أطيب الأيام تقضيها في كنفه
على شاطئ البحر . وفي الساعة

الثامنة من صباح السبت التاسع

من شهر فبراير سنة ١٨٩٠ قصدت إلى مكتب
شركة الأسفار في بوند ستريت تقاضينا التذاكر
وأجازات الرحيل لمركبة لنوم والطعام . وبعد الظهر
بساعة واحدة تحرك بنا القطار من محطة تشايج
كروس . وعند الساعة الرابعة انتقلنا إلى باخرة
الغزال الانجليزي فتناولنا الشاي قبل أن نطأ أقدامنا
أرض فرنسا في ميناء بولوني ، وكان القطار السريع
ينتظر الزاكبين على إفريز الميناء فتبونا مقاعدنا في
عربة عريضة مديدة مكتوب عليها بالخط الكبير
بولوني سيرمير — نيس ومونت كارلو . فصرخت
زوجتي صرخة صغيرة تدل على الفرح وقالت : هالو
يا زوجي العزيز ! قد آن الأوان أن نقضى أجازة
تموض علينا شهر العسل الذي لم نتح لنا الأيام فرصته
فابتسم هولز وقال : ويل للشجي من الخلى !
ما أسهل ما تلتمس المرأة أسباب السعادة وقال :
الناية الأولى الاستراحة والاستجمام وشهر العسل
يأتي مؤجلا . بيد أنني لا أرى لذة في شهر العسل
بعد مولد الطفل الأول ، إنما تكون لذة للروسين
خاليي الليل

فضحكت وقالت له :

— من يسمك تحكي هذا القول يعتقد أنك

غزوة الجزائر البيطانية

للكاتب الإنجليزي سبزارث كواندويل
عقل الأستاذ محمد الطنجي

روى الدكتور وطسن قال :

كان لحادث الهندي أثر عميق في نفس هولز
فقد ساق رجلا وامرأة إلى المشقة على أهون سبيل ،
ولم نمد زى الوالد الشكول بمد تأدية شهادته في
محكمة أولد بيل . وقد طلب هولز من القضاة أن
يقبلوا الرض لانه بمجرى الكاف والهاء أمام الجمهور
وأن يكتبوا بقرار كتاب بدل الشهادة للشقوة
المسبوقة بالقسم التي يحتمها القانون ، ولكن عجز
المصحف لم تفهم حقيقة الأمر ولم تحف عنهم خافية ،
فذكروا في جرائدهم أن بطل هذه المأساة هو مستر
شرلوك هولز نفسه كالمادة ؛ وقد يز رجال الشرطة
الرسمية ولكنهم في النهاية يحصدون ثمرات جهوده ،
لأنه يجب الاستخفاء كثيره من الهواة . فقال لي
هولز : خير لنا أن نقضى بضعة أيام في رميميرا ،
وهو شاطئ الذهب ومشتى الأعيان والسرعة في
جنوب فرنسا ، استجماما وفرارا من هجوم جيش
من طالبي للفتيا وهواة الاستشارة . فأبديت له
مماذيري وتلكأت في إجابته متلذذا بزوجتي وطفلي
الذي ما زال في المهد رضيعا ، ولكنه لم يابه لقولي
وقدم لي شيكا دسما قائلا : « هذا لتوظيف طبيب
يمتاز يحمل عمالك في عيادتك » فملت أن لا مناص

السبعين إلى وقتنا هذا ، فان الحرب الحاضرة بين مولداتيا وزبندافيا مقدمة لحروب أخرى سيراها العالم ويخوض غمارها وهذه الحروب كلها ستكون أسلحتها الماضية وسائل التجسس

قلت : مصلحة الأخيار (١)

فضحك هولز وأشار زوجتي وخادمتي بالانصراف بعد أن شربتا الشاي وأكنا الكمك وانجزر للتعدد الموء بالزبدة والزري

وقال لي : سما ما شئت ، ولكن اعمل أنتي أنا الذي أسست هذا العمل الضخم ورسمت خططه ، فأخذوا في تنفيذه بمخافته دون أن يستشيروني في وسائل التنفيذ . ومن هنا

فبتت على علامة الدهشة ، لأنني لم ألحظ في أثناء احتكاكي به أنه تدخل في النشاط السياسي ، ولم يكن يميز حرب مولوفيا ضد زبندافيا أقل اهتمام فقال لي :

— أيدعشك ذلك يا وطنون ؟

قلت : لا ، ليس ثمة ما يدعو إلى العجب من ذلك ، فان من له ذاك وخبرته يستطيع أن يفعل ما فعلت دون عناء أو مشقة . ولكن أين الشخص الذي تتوافر له اللفظة والخبرة . فان رجالاً مثل أشندون وكروويل وجراسقارم جديرون بأن يكونوا تلاميذك ، والأآن فقط أدركت سر عنجيتهم وانتفاخ أوداجهم فاتهم يسرحون ويمرحون على شهرة خطة أنت مدبرها وسبيل مبدئها لهم . فقال هولز :

— الواقع أن شيئاً لم يستص على في بلوغ غايتي ... وأنثناء دراستي صككت أجمع المعلومات الخاصة بوسائل التجسس المولوفي والمجروسوفاني

Intelligence deahment (١)

خير بنظم الزواج وطبائع النساء . وكنتا قد اتخذنا مقامدنا في مركبة اللأمة ، بعد أن كافنا حارس القطار بتصفيف أمتنتا في أماكنها . وطلب هولز إلى النادل أن يحضر قناني المياه المعدنية التي يشربها ثم أمر لنا بالشاي ، وكان شديد العناية بمس جولدن هامر مربية طفلي الصغير . وكانت اللأمة غضة بضة حمراء الوجنتين كأنها تحمل على خديها وردتين من ورود الربيع فأطلق عليها هولز اسماً جديداً يداعبها به وهو :

« فراولابن بروز » فسرت بهذا الاسم كثيراً وسأته إن كان يشكك الألمانية ، وكانت خادى هذه من البساطة بمكان عظيم ، فقال هولز لها وهو يتسم :

« بضع كلات لتقنها من أفواء الناطقين بها » ثم سكت برهة وقال لي :

— أذكركها يا وطن ؟

وكان لا يذكر ضمير المؤنث الغائب إلا وهو يقصد إليها : إلى السيدة جوز بند أدلر ، بطلة تلك الغامرة العريقة وهي فضيحة في بوهيميا . وعند ما نطق باسمها لحت في عينيها بريقاً عجيباً ، حتى لقد سألت نفسي : هل تركت تلك المرأة في نفسه أثرًا . وهل كان يحبالو أن الحب مما قسم له في هذه الدنيا ؟ هذا ما لم أستطع الجواب عليه . كان هولز يبدو لي ذا شخصية غامضة كل التموض ولا يظهر منه إلا ذكاءه الخارق كأنه مصباح نافذ الضوء في وسط الضباب . فقلت له : نعم ومن ينس تلك المرأة ، يحرم نفسه أجل ذكرى وأوقها وأبقاها

فقال هولز : إن فضلاي على في هوايتي أحسن أترأ من جمالها أو حنكها أو سمة حيلها أو دقيق فكرها ، فلا لها لم أكن لأنسل بتلك الدوائر السياسية التي كان لها الشأن الأول منذ حرب

وكان القطار السريع يطوى سهول فرنسا وديانها ويمتدق الحقول والبساتين ويصعد في الجبال ويعرج خلال الأنفاق وينساب نارة كالأنفوان وطورا يندفع كالسيل النهر . ونحن من هذه الركبات الفسيحة في نمرة لا يقدرها إلا القليل من أهل الفطنة ، فهنا مجلسك ومطعمك ومنعمك ومشارك ومشارك على عجل يتحرك ويدور بسرعة ثمانين ميلا في الساعة الواحدة

وكان القطار يقف في المحطات الكبرى دقائق مدودة . وعند ما يبلغ محطة كبرى مثل ديجون أوليون يترى هولز فلا يبدو لأحد ، ثم أراه يصعد فجأة قبيل تحرك القطار بقليل ولا أسأله عن مكانه أو مسرحة أثناء وقفة القطار . ولما كانت الساعة التاسعة تناولنا طعام المشاء وعلمنا أن القطار يبلغ نتر مرسيليا عند الفجر ثم يبرج على نتر طولون الحربي ، وكان هذا الحصن البحري منفكاً من الجانب الشمالي فلا تغط قدم المدنيين بسبب الأعمال الحربية القائمة على ساق وقدم .

ولم يكن نتر طولون أو مرناً بونابرت أو حياض الاسلح والتمويم الهولة التي بناها مهندسون بحريون من فرنسا وانجلترا هي التي تهمني في تلك اللحظة ، ولكن الذي كان يهمني زيارة مونتكارلو وكان أنيس في صحبة امرأتى ونجاتنا نحن وطفلتنا الصغير من أهوال البرد القارس في انجلترا أثناء هذا الفصل الشديد الرطوبة والضباب ...

وأيضاً ... وهذه مسألة أخجل من ذكرها ، فضلاً عن تدوينها ... تجربت حظي على مائدة اللعب في مونتكارلو ... فنحن الأطباء نعلم أن القمامة أظهر معالم الحظ في الحياة . وهي تتفق (٤)

ووجدت السبل إلى إحاطة إدارة الخازنات في لندن وباريس ببعض المعلومات المهمة في أوقات متعاقبة فقلت : أ. كبر الظن أن فرنسا وانجلترا والجمهورية الأمريكية أعادتا من وسائلك قال هولز : نعم ، ولكن ليس هذا الذي يكرهني ويكرهني في الوقت الحاضر ، وإنما الذي يكرهني انتقال ذلك الداهية للشديد الخطر ، الذي يعتبر الحياة رقعة شطرنج يادتها وقلاعها وفيها ملوك الأرض وسواس الدول

قلت : أتقصده إلى البروفسور موريارتي ؟ قال : هو بنفسه فإن هذا الرجل لا وطن له ولا دين ولا ملة ولا عقيدة ولا ضمير وقد باع نفسه لأعدائنا بنصف مليون جنيه ذهباً تسلمها عدداً ونقداً وسمح له بأجازه حتى تمكن من إخفاها في مكان مجهول ، ثم عاد واتصل إلى محاربتنا بقله قلت لهولز : وعلام استقر رأيك ؟

قال : لقد استقر رأيي على إحباط مناوخته مهما كلفني ذلك من جهد . غير أنني أدركت أنه لكي أتنبه إلى بلاد الأعداء يجب على أن أخترق فرنسا من شمالها إلى جنوبها

قلت : إن هذه المطاردة هي الأولى من نوعها ، لأنيك خيرتني من قبل أنك لن تمكن هذا الوغد من مقارنة مواهبه بمواهبك

فقال هولز : صدقت يا وطني ولكن هذا الشيطان ضرود بأوراق تكفل له خادعة رجال الخبايا السرية الإنجليزية والفرنسية وقد وفق في اختيار الاسم الذي انتحله لشخصيته الجديدة فضلاً عن أنه يبدو للناس متواضعاً ، رضى الخلق ، مثقفاً لا تفارق الانبساط شفتيه الدقيقتين حتى في أخرج الواقف ...

التي يتألف عليها، تلك الساعة التي يقضى فيها على الرجل الذي باع دينه وشرفه وعقله ليبيع وطنه للأعداء . لقد خيل إلى أن هذا كل ما يطلبه هولاز من الحياة ، فإذا تحقق هذا المطلب فليكن بعد ما هو كائن . لم يكن حب الوطن وحده ، أو مقاومة الشر أو رغبة الانتصار على خصم قوى عنيد هي التي تحركه ، بقدر ما كان هواه في تخليص الانسانية من ذلك العقل المجرد الذي يلبس الشر ثوباً محكاً على أجزائه .

وفي صباح اليوم التالي قامت مستر هولاز في رغبتى ، ولشد ما دهشت عندما علمت أنه هو أيضاً يرغب في مشاهدة موتكارلو وذلك «للازيتو» الفخم الذي يزينها . وكانت الشقة بين أنتيب وعاصمة موناكو ضيقة . وكان هولاز قد احتجز لنا بالتلفون مائدة في البهو البورى الذي نسقته يد الأمانة والبذخ أجل تنسيق . وكان هولاز بعد الفراغ من الشاء يجوس خلال الطافات الارجوانية الفخمة التي مدت فيها موائد اللب الخضراء . وللمرة الأولى وجدته مستخفياً في زى كونت إيطالي بلحية كثة مستطيلة وسرطان ما تلف حوله فريق من بنى جلده المزعومة كان يتحدث إليهم بلتهم بقصاحة نادرة . وكانت زوجتى قد أقتت تلك اللثة في أوقات الفراغ .. ولجأ شق تلك الصقوف رجل قصير القامة عريض النكين وأخذ يتكلم بالفرنسية الفصحى اللغيف من السيدات والفتيان الذين جاؤا ليقضوا إجازة آخر العام وقد أسننت إليه وتحليت عن الحقبة التي كان يقف حولها هولاز فقال :

« إذا حدثتك أنفك باستغلال شهرتك أو روثك والتوسل بها لأغراضك الشخصية وشهواتك البدنية

وصمتنا اتفاقاً تاماً . فان صمتنا حظ وحذر وكذلك القامرة . ولكن مالى أراى قد اندفعت في تسجيل خواطرى ؟

عند الفجر بلقنا مرسيليا وعند الظهر كنا في مرقاً أنتيب وهو ركن من جنة الفردوس في وسط الشتاء . واتخذنا موطناً مؤقتاً ، وموتلا في فندق « جرانداوتيل ريش » وفي الحق أننى شديد الدهر من أسماء هذه الفنادق التي تدور على العظمة والأثراء وتبعد عن البساطة التي تليها في تسمية فنادقنا الطيبة المأدبة . وكانت شرافت ذلك الفندق للفخم الذي تطل على البحر بطبيعة الحال ، كما أن له بستاناً نخا في جنوب اللناء فيه لغائف الأشجار وبذائع الأزهار ولذاذ النار .

وفي الليلة الثانية استأذنته في السفر إلى موتكارلو فاستمهلنى يوماً وليلة .

وقد لقيتى في إحدى شرافت الفندق المطل على البحر وكان متكئاً بمرفقيه على حاجز الشرفة وقد تجلت في عيني نظرة لامة وإن كانت ساعمة بما دلى على أنه مستغرق التفكير ، وظل ينقل بصره بين صفحة الساء ووجه السماء الذي زيفته العناية بأضواء ومصابيح كأنه يريد أن يستشف ما وراء الحبج .

وقد هالنى وآلى أن يقضى هذا الرجل العجيب حياته بعيداً من عواطف الحنان والرحمة التي يمكن أن تسبها على قلبه الكبير امرأة مخلصه ودود ، ولكن أنى لى أن أعبر له عن إخلاصى وحي إياه ورغبتى في إسماده ؟ لقد خيل إلى أنه يشمر بالخوف ، لا من الموت ولا من الرضى أو اللقافة ، ولكن خشية أن يدمه القدر قبل أن يحين الساعة الوهية

ليس في اللب. ليس من أسوله. وآخر يقول: عليك أن تطير وتنفضي! ليس من شأنك أو شأني أن نجادل

ورأيت الكونت كاسيانو يشق الصفوف ويهمس في أذني: خذ حذرك من الظلام. ولم يكده ينطق بهذه الألفاظ حتى أطفئت الأنوار فجأة ولم يبق في الغرفة ضوء تقاب، وساد المرحرغ تغلوط إلى الجحيم خطوة وقبضت على يد زوجتي وسحبته متقهقراً وإذا بصوت يدوي كالرعد:

— لقد خاطرت بحياتك يا موريارتي وخلطت بين الخيانة في السياسة وبين سرقة قطاع الطريق. هل قبضت عليه يا جريفي؟ لقد سهلت الأمر لك. واختلطت أصوات النساء بأصوات الرجال وسمنا طلاقات الرصاص في الظلام وتحطيم امرأة كبري، واستفانة وسفيراً، وقد أخذت حذري كأنهيت منذ هنية وقادتي الفرزة وزوجتي إلى باب الخروج بمد أن اسطدنا مرتين أو ثلاثاً في عمود من الرصاص الوردي أو في مقعد مقلوب كدنا تشتر فيه، لولا أن الله سلم. وكانت ساحة الكازينو الكبير هي الأخرى مظلمة، ولكن نجدة المشاغل قد وصلت إلينا فخرجنا جميعاً صاخبين صارخين وقد سلبت النساء حلين والرجال تقودهم وبعض أسلحتهم، وكان بودي أن أؤدي هولاً بحياتي لو أمكنني الاهتمام إليه وقد تبيئت كل ذوى اللهى فلم ألهه بينهم ولم يكن يخفي شيء عليه بقدر الندرة. فان موريارتي وأعوانه لا يترددون في أن يوردوه الردي بمنجبر خائن أو وخزة دبوس مسموم، وقد حشدنا جميعاً في بهو المطعم الكبير ولم نستطع حركة وبقينا ذهن تحقيق البوليس

المادية، فالويل للإنسانية منك والويل للحقيقة من شموذتك والويل لأبطال الأفة والرحمة والمعدل والخلق الكريم من خيانتك ونكرانك وجعودك. ستكون أحسابك وأنسابك وأماؤكم أكبر مساعد لكم على خداع السخف ومضاغة الأغالل في أعناقهم. لقد أدركتم أن تجردوا الناس والمجتمعات تسير على نظم تخالف ما تفرسه الفضيلة فلا يأخذكم العجب لأن السلطان لا يزال بأيدي الشموذين والبدعاليين. وفي الوقت الذي يسيطر العلماء التخصصيون على القوى التي تدبر للعالم ستحل مشاكل كثيرة.

ستجدون أناساً يصفون الأبيض بالسواد والأسود بالبياض وآخرين يمجدون الجبروت والظلمة ويحتقرون من غلا قلوبهم عواطف الرحمة والحنان وينتمونهم بأهل الخيال والسخف. ستجدون لصوصاً ينحني الناس أمامهم لخوف لا لاحترام، وقد يقدمون شرفهم وضباطهم وكرامتهم لنداس بالأقدام، ومثل هؤلاء كتل الجندي الذي يتسلم السلاح والعتاد للدفاع عن وطنه فإذا ما نفي كفة المدو هي الراجحة انضم إلى المتصرين وسدد نار سلاحه إلى قلوب بني وطنه وأهل جنسه

وفي تلك اللحظة كان الكونت كاسيانو أو كاسيني يقرب من حلقنا شيئاً فشيئاً وهو يصني إلى كلام الرجل.

ثم استدرت لحظة واتجهت نحو المائدة الوسطى المستطيلة وهي التي عليها لعبة الروليت الشهيرة وكان «الكروبييه» وهو الموظف الوكول إليه حصاد المال وتوزيعه بين اللاعبين يقول: لا شيء ينزل إلى المائدة، لقد تمت الصفقة. ادفعوا تقودكم ورسوها رسماً قبل الختام. فسمت خلق صوتاً ناعماً يقول:

زدهى في « ثوب النساء » المحكم التطريز ، المحبوك
الأطراف

ولم تكده عينه تنقع على حتى قال :
لقد كانت غزوة موقفة ، فقد البنك أثناءها
مليونى فرنك ، وقد النساء نصف حلين ، والرجال
بمض أموالهم . ثم ضحك ضحكة عالية . أما نحن فقد
خسرنا مودراتي ، ولم تمكن من القبض عليه ، وإن
كننا قد سمعنا صوته واعطأ .

فقلت : وماذا تكسب إذا خسرنا مودراتي ؟
أجاب وهو يتسم ابتسامة عريضة حلوة :
لقد كسبنا غزو بلاد إنجلترا واسكونلاندا
وإرلاندا بلاد الغال . وأخرج من جيبه خريطة
ملونة ونشرها على المائدة . وقال :

والذي يفرحني وأتعبط له أن هذه الخريطة مفردة
وقد احتوت على مفتاح الشفرة ، فلانحتاج لئلاء حل
رموزها ، لقد أعدنا مودراتي فهي خلاصة دراسة
عشرين عاماً وتجسس لخمس أعوام . خذها يا وطني
وسافر فوراً إلى لندن . إن لورد كراوبروك أوف
كاتوردراج ينتظرك في دوننج ستريت وأبني زوجتك
مع وخادماتها كذلك ، وفي أثناء غيابك ... سيقبض
على أيما معدودة ، ولم يكده ينتهي من حديثه
وأفرغ من طي الخريطة ووضعها في أخفى مكان
في ثيابه حتى تقدم إلينا أربعة من الشرطة وقال
أحدهم بلقصة موتكافيني : سنيورى أينا سنيور
سارلوك هولمز أفأشار هولمز إلى وقال : أما أفأصاحبه
دكتور واطسن ، نغلق سبيل وألقوا القبض عليه
وبسعد عشرين ساعة كانت خريطة التزوة
البريطانية في إحدى خزائن وزارة الحربية وقد
اجتمع الوزراء لدراستها وخضعها .
محمد لطفي صمعة

وفي الصباح خرجنا من البهو مبشرين
مهلين ، ومشينا إلى فناء الكازينو بجملتي متناقلة .
وكان الفناء ينص زائري الكازينو الذين أطفئت
عليهم الأنوار وسلبت تقودهم ورأيت ضباط البوليس
السرى وهم يستجوبونهم فرداً فرداً بينما كان مدير
الكازينو وحصاد المال « كروبيه » عند الباب
الكبير ينتظرون الأوامر

وكان من البش أن يرفض أحد اللاعبين الاجابة
عما يلقى إليه من الأسئلة أو الامتناع عن تقديم
« جيبه » أو حقيبة اليد للتفتيش والفحص الدقيق
وإبراز الوثائق الخاصة بتحقيق شخصيته ومركزه
الاجتماعي وماضيه وعمله في الحاضر وما يترجم القيام
به في المستقبل ، وكان أى تردد أو تلمس أو ارتباك
كافياً لأن يبدأ أحدنا إلى اللطم مقبوساً عليه . لم أندم
في حياتي على شيء ندى على موافقتي على اقتراح
هولز في مصاحبته إلى شاطئ ريشيرا . وكان القدي
يهمني أكثر من كل شيء خوفى على أعصاب
زوجتي من الاختلال فقد تزعج نياط قلبي من الظلام
والخوف . وقلقى الببال على هولز الذي اختفده ...
وقبل الظاهر وصلنا إلى الفندق ونحن بحال من
الاعياء لا مثيل لها . ولكن كان همى الأول أن
أعلم ماذا حل بهولز الذي سمعت صوته بلا ريب
وكأنه متزيك بزي الكونت كادياني .

أما زوجتي فقد لثمت الفراش عليه مما أصابها
من الانزعاج وبيلة الخاطر .

وفي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم دق
تليفون الغرفة التي تقطنها زوجتي وأنا ، وإذا بهولز
يستبطن حركتنا في مؤاكنه على مائدة الشاء .
فلينا دعوتيه مبتهجين . فألقينا حليقاً سطرّاً متظلاً

الآبِ الشَّاكِلِ

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

مسحة من الشقاء والبؤس
لأنها غصفي في سبيل حياتها دون
أمل أو رجاء . ولكن صرحت له
أنها على استعداد للتنازل عن أعز
ما تملك مقابل أن تنجب طفلا ..
ولكن الأبناء — وبالأسف —
لا يشترطون بالمال ، وإلا لما استطاع

العامل الفقير أن يرى حوله عدداً كبيراً من الأبناء .
إنهم هبة الله ونعمته يوليها من يشاء من عباده
ثم رفع فتحي وجهه إلى أعلى وتمتم في حواره
وإخلاص :

— اللهم هب لها من لنتك طفلا

وظل ينظر إلى أعلى فترة طويلة كأنما أحس
الراحة في الأجناب إلى الله في هذا المطلب الذي خرج
تحقيقه عن طوقه وقوته . ثم أخذ يخفض بصره
رويداً رويداً حتى وقع على زوجته ، فلعن الدموع
تساقط من عينيها ، ففاض قلبه بين حبيبه وهتف
وهو ينادو مكانه إليها :

— سميرة !

وجثا تحت قدميها ثم رفع وجهها المخضل
بالدموع وقال :

— أتبيكين يا سميرة ... ؟ أنت مجنونة ؟

خولت وجهها عنه كأنما أخجلها تساقط دموعها
ثم مسحت عينيها بتدليلها الوشوي الصغير وقالت :

— لا شيء ... دعني ... دعني بربك

— إنني أعرف لماذا تبكين ، ولكن ماذا نفعل
ولا حيلة لنا في الأمر ؟

فالتفتت إليه بسرعة وأتممت فيه النظر لحظة
قصيرة ، ثم ابتسمت في تهكم وقالت :

... ومضى فتحي ينظر إلى زوجته نظرات
تفيض بالحنو والاشفاق وهي تجلس قبالة مطرقة
واجبة ... كأنها تحلق بروحها في أجواء هموم
وأشجان طونها فجأة فأنستها زوجها الذي كان
يحادثها منذ لحظة ... وكانت في وضعا هذا برأسها
الستقر بين كفيها ، وشعرها الوحف المرسل ،
وجسدها اللدن الملاء ، تبدو عند أهل الفن وحياً
ساذجاً للجمال الحزين

كانت سميرة — وهذا اسمها — هي التي كتبت
عن الحديث فجأة عند ما عرض اسم نبيل ابن
جيرانهم ، واسترسلت في أفكار تملكها فوراً ،
فتقلعت ملامح وجهها الساحر وارتسمت عليه علام
اليأس الشديد

وقد احترق فتحي صمت زوجته إذ كان يدرى
الواقع القاسي الذي زوجها فيه . كان يعلم أنه نكاح
الجرح الذي في صدرها يذكره اسم نبيل ابن
جيرانهم ، فقد لوح لها بشيء هي محرومة منه ،
ونحس للشقاء والبؤس في هذا الحبرمان

لقد كانت أمانيها الوحيدة عقب أن ينيها هي
أن تزكو طفلا ؛ أما وقد انصرفت ثماني سنوات
على زواجها منه ولم تنسل ، فقد ضاعت آمالها
وانهارت أمانيها ، لذلك كان ينشئ وجهها الجميل

منها ؛ غير أنها تحس نقصاً هائلاً يتضاد إحساسها بالنعيم الذى هي فيه بجانب إحساسها بئذابه وآلامه .
 لشد ما تمنى أن يهوى بها الله من حائق هذا النعيم
 الزائل إلى حياة الفقر والعوز على أن ينهبها نيباً غلداً ،
 ابناً تتركه في هذه الحياة الدنيا قطعة منها بخلداه
 على مر الأجيال والزمن ، ابناً يشع النور من بسعته
 ويفيض الحنان من نظره ... ماذا تقيد تلك الفرش
 الثمينة والرياش الغالية وهذا البيت الجليل وتلك الحديقة
 اللينة التى تكتنفه ؟ ماذا يفيد كل ما هي فيه من
 متاع مع هذا النقص الذى يحسه ؟ إنها تشمر
 كأنها تمش وسط صحراء قاحلة تضرب الظلمات
 في جنباتها ، وأنها بعيدة عن عالم الحياة والنور .
 إنها لا تدخل غرفة من غرف المنزل إلا تراها
 قابضة موحشة خالية من الحياة والروح ، فتراها
 تثلث بمنة ويسرة كأنها تبحث عن شيء تفقده
 بجوارها ... ولا تسير في الحديقة حتى يتولاما
 السام والعنجر ... ولا تقف أمام المرأة حتى ترى
 جمالها الذى طالما غرها ، مجرداً من الروح كأنه
 تتخلل من الحجر الأسم . وأين روحها وهو علق
 في شرود وراء أمنيته البعيدة ؟ بل إنها ترى أن
 جمالها إن هو إلا كأموال البخيل التى يسره أن ينظر
 إليها كل يوم دون أن يستمرها وينهبها ... قص
 وحرمان يقضان مضجعا ويذهلان عقلها ويستبها
 سوء الأفكار السود للدمية

كانت بجياتها هذه تمش مسلوقة للعقل عازية
 اللب ، تمش بجسدها الكلى كأنيمس الذى والألاميب
 وما كانت بتنفذها من عذاب هذا التفكير
 إلا التريض سائرة إلى بيت صديقها (زاهية) تبها
 شجبتها وتنفذ إليها خبيثة نفسها ... وقد تسكب

— ماذا تفعل ... ؟ أجل ماذا تفعل
 كانت تعلم أنه فكر كافكرت هي في أن يستند
 الأسر إلى طبيب ليرى أهبما العقيم ، بيد أنه لم يفعل
 غافة المزيمة . لقد استشفنت منه هذا الاحساس
 من حديث لها في هذا الأسر . ولا ريب أنه عمن في
 خوفه ، لأنها تحس إحساساً صادقاً بأنها كاية
 امرأة أخرى فيها الاستعداد للانسال ... ولانفتت
 إليه فجأة وقالت :

— ومع ذلك في وسعنا أن نصنع شيئاً
 — ماذا ؟

— لماذا لا أذهب إلى طبيب ليفحصنى ، ومن
 ثم يماجنى إذا كان العقم منى ؟
 وكان في جلستها تريض بفتحنى ، بيد أنه لم يتبته
 إليه إذ قال :

أخشى أن تذهب هذه المحاولة سدى . فأتى أعلم
 أن الأطباء لا يملكون — على رغم نهويلهم —
 في ذلك الأمر شيئاً
 وتوقف قليلاً ثم استطرد :

— وما يدريك ؟ لعل أنا السبب
 فمادت سميرة إلى إطرانها ولم يجيب

كانت سميرة تحس في نفسها فراغاً كبيراً لا يملأه
 إلا وجود طفل لها يقضى حياتها المظلمة . أجل ،
 لقد أحمت فجأة وعقب أن هدأت نشوة حبها
 وخذت شملة غرامها — بجياتها يتكاثف فيها الظلام
 ويتوالد حتى أضحت قائمة مدطمة تتخبط فيها يائسة
 القلب ، مفرحة الجفن . لقد أولاه الله من نعمته
 كثيراً ، ولكنه حرصها النسل والولد . ها هي ذى
 توغل في كل أسباب المتع والذائد لا ينقصها شيء

وبترت جلثا إذ لحت ملايح صديقتها تنقلص
ويتشاشا الحزن العميق . فأدركت خطأها في الانفعال
لها بالخبر على هذه الصوزة السارة البهيجة .. وأحست
سميرة بألم هائل يحز في نفسها ... بيد أنها تعالكت
نفسها بمجد واسطنعت الابتسام ثم سارت بمجوار
زاهية إلى غرفة الاستقبال لتتسبها المواجه
والأفكار .. لقد جاءت لتتسبها المواجه
عرك قاس أثار عواصف قلبها المواجه ... وقالت
في نفسها : « لم يارب هذا المذاب ؟ .. لم خصصتني
بهذا الحرمان القاسي الشديد ؟ .. كل من حولي من
النساء ينتجين قرة أعين ... أما أنا ... آه ... »
وكانت زفرة حارة انشقت عنها صدرها الجياش لم تخف
على زاهية فأطرقت خجل من تصرفها إزاء صديقتها
المحرومة

وأحست سميرة بالجلسة يسودها التكلف البغيض
حيناً والصلمت الثقيل حيناً ، فاستأذنت ثم غادرت
دار صديقتها ، وسارت تضرّب في الطرقات ذاهلة
على غير هدى ، وراحت تتفكر في حياتها المحرومة
وهي في سيرها البطيء للتشد
وانتهت من أفكارها الطاغية المستبدة على
صوت يهيم في أذنها كأنها لم تنبئها فاستدارت
إلى التكلم فآلفته شاباً غريباً عنها ، لخدجته بنظرة
قاسية وقالت له :

— ماذا تبني ؟

— ماذا أبني ؟ لا شيء ... غابة الأسر أني
وأنتك تسيرين ذاهلة عن الطريق فأترت أن أحاذنك
قليلاً لأسترحي انبامك الشارد وأعيد عليك ذهنك
المالذب

لم تجب سميرة وإنما أنصت إليه النظر فوجدته

أناسها السمع فيفرج عنها عقب هذا البكاء الهادي ،
وتنسى همومها قليلاً فتطلق هي والصديقة تتجاذبان
أطراف الحديث في غنفل الشئون

وكانت زاهية فتاة في ميمة الصبا وشرح
الشباب ، وقد تزوجت منذ بضعة شهور ، وكانت
في غمرة الحب الأولى ، لذلك كانت تسرى عن نفس
سميرة ما هي فيه من عذاب وشجن وتبجح لها ما وراء
تربية الأطفال من تعب وإرهاق ، وتعرض على نفسها
صوراً عديدة من تفرغ الزوجين لإشباع مواطنهما
الجياشة الثائرة بعبدين عن جليلة الأبناء وهموم
تربيتهم ... وما كان مثل هذا الحديث ليلقي أذناً من
سميرة ، بل كانت تستمع إليه في ذهول وشروع ...
ثم تنخرط فجأة في البكاء

وعابت سميرة على نفسها أن تحمل زاهية همومها
وأشجعائها وهي من نصيبها وحدها .. ومن يدريها ؟
لعلها هي الأخرى لا تنجب بين فيكون بها الحزن
والهم لإعلاء لها بالإقبال في الحزن والهم ... لذلك
راحت تقلل من زيارتها ، بل آلت على نفسها
ألا تزورها إلا إذا وثقت أنها تحررت من همومها
وأفكارها بعض التحرر ، أو أن في وسعها أن تتلم
بقناع صفيق من البشاشة والرح

وخرجت سميرة إلى صديقتها بعد أن غابت عنها
شهوراً برمتها فتلقتها زاهية بفرح عنيف تجل في
حركاتها العصبية وخمكاتها المضطربة . ودهشت
سميرة لحال صاحبها فقالت تتكلم بالبشاشة والروح :
— ما كل هذا الفرح يآري ؟ خير إن شاء الله
فأجابتها زاهية بين الضحك والتثني :

— آه يا سميرة آه ... إن في أحشائي جنبك ،

وعما قريب سأفقدو ...

شاباً طويل القامة عريض المنكبين جبيل الوجه ،
كان في مكتبته أن يفخر برجولة زاخرة لو لم يصف
عليها رداء من النخعت والتأنيق . ولم يخف على سميرة
صري الشاب من ذلك التطفل ، إذ أدركت أنه من
أولئك الشبان المتأليف الذين يتسكمون في الطرقات
ابتغاء إيقاع الفتيات في حبالهم ... قالت :

— أشكرك .. إني أفضل أن أسير وحدي

فابتسم الفتى ابتسامة أقرت سميرة بينها وبين
نفسها أنها فائنة خليفة بأن تجذب القلوب
حقاً . وقال :

— ولكنني أخشى على هذا الجبال الساحران
يتعرض للخطر وهو يعيش هكذا ذاهلاً عما حوله

ولم تدر سميرة ما الذي منمها أن تصفع الشاب
على هذا الواحة ؛ كأنه دافئاً خفياً يدفعها إلى الصبر .
فوقفت عن السير ونظرت إليه نظرات لاهي بالناضبة
ولا بالشجعة . كانت نظرات حيرى زائفة ، وأيقن
الشباب إزاء حيرتها أنها غدت في قبضة يده فاستدعى
سيارة كانت مارة ودعاها إلى الركوب

وارتفعت سميرة لجرأة الشاب وتلفتت بمنته
وبسيرة ثم قفزت إلى السيارة مبهورة الأنفاس
وأرغمت على القصد وهي ترتعد ارتعاداً

وأحست هول ما أبليت عليه . وراحت تغلب
في رأسها الأفكار . لقد حادثها الشاب وسار
إلى جوارها كأنه يبرفها . ثم توقفت عن السير
فاستدعى السيارة . أكان في مكتبته يبدئ أن تنضب
وترفض الركوب ؟ . أبداً ما كان لما أن تفعل ذلك
إذا أحست أن كل الناس عيون تنظر إليها ، وأنهم
أدركوا أنها على معرفة سابقة بالشاب . ومع كل
فاناً في ذلك ؟ ستطلب إليه النزول فتضفي إلى حال
سبيلها ...

وأبقتها من أفكارها يد الشاب وهي توضع
في رفق على ركبته فأجفلت إجملاً ، وانقبضت
في ركن العربة وهي تنزع يدها عنها ، فالتصق بها وراح
يقرع في أذنها آياته التي يحفظها عن ظهر قلب ..
ثم طوق خصرها بذراعه وهوى على شفتيها
لثماً وتقبيلاً

أوه ... ماذا تصنع ؟ ماذا تصنع ؟ أيمكنها
أن تترض ؟ إذن فلماذا ركبت معه ؟ لا ... إنها
لا تستطيع أن تترض ... ولكنها جريئة تلك
التي تأتيها . يجب أن تبذل الشاب عنها وتطلب إليه
النزول .. ولتصرخ إن أرى .. ولكن من ذا الذي
سيستمع إلى صراخها وما هي ذي العربة تطوي
الأرض طياً ؟

وأحست بالضعف بين هذين الماملين اللذين
يتجاوزها فانشأت تبكي في بأس صرير

ومضي الشاب يسرى عنها بقبلاته النهمة الجائفة
ويهدئها بكلماته المنقمة المسمولة حتى وقفت السيارة
فأسك يدها ودعاها إلى النزول ... ثم سدد بها
بمد أن نقد السائق أجبره إلى أحد طوابق المبنى
الذي وقفت أمامه السيارة

بعد ساعتين من ذلك كانت سميرة تدخل منزلها
وهي تكاد لرزوحها تحت عبء الاتم الذي اقترفت
أن تلطم خدماً وتجذب شعرها ... كانت في حالة
يأس هائل فأتجهت قدماً إلى غرفتها وهي تتمتم :

« أواه ... لقد عرفت ... »

لقد أدركت الآن فقط الدافع الذي دفعها في
عنف إلى اقتراف ذلك الجرم الشنيع ... هو رغبها
في إيجاب ولد

وزوجها — بل لأنه طفلها هي غصب ، فذا كانت
لتلقى بالا إلى شهور زوجها الذي كان سيكاً في حرمانها
تلك النعمة طوال تلك السنوات الماضية ... لقد
ارتكبت إنكاً زرياً ... ولكنه أيضاً إنم بمحمل .
ألم يمنحها ما يحجز زوجها عن منحها لاه ... إنها
مجرمة في نظر المجتمع وفي نظر الناس ، ولكن
أيدري المجتمع عن إنمها شيئاً ؟ ما من أحد يعلم ،
حتى زوجها لا يدري من الأمر شيئاً ، وخير له
ألا يعلم . ولكن أبلغ بها التندر والحياة أن تخدعه
هذه الخديعة ؟ لم لا تصارحه بالحقيقة وتفضي إليه بالسر
وليكن بمدد ما يكون . وما الذي تراه سيكون ؟
سينكرها ؟ سيطردها ؟ أجل ، فذا في وسع من يقبل غير
هذا . حسن او ما ذاق ذلك ؟ حسنها إذا طردها أن يكون
لها دائل . ذلك النور الذي أشرق في أفق حياتها الظلم .
ذلك الأمل الذي أجرت لتحقيقه وأتمت لتبته .
أجرت ؟ أتمت ؟ إنها لم تجرم ولم تأثم . إن المرأة لتزخر
بماتفة أخرى غير ماتفة الحب ... ماتفة الأمومة
ويجب أن تشبها كما تشبع ماتفة الحب ... فهي
لا تستطيع أن تمش على الحب غصب .. وها هو ذا
زوجها قد قصر عن إشباع تلك الماتفة المكبوتة
فالتفت إشباعها عند رجل غيره ، فهل في هذا
إجرام ؟ .. خليك بل رجل قبل أن يتزوج أن يلس
في نفسه كل ما بمحق أماني المرأة ... وإلا فليتنج
عن الطريق لنيره ... إذن فالدب ذبه لا ذنبها .

وهكذا أخذت سميرة تلتمس لنفسها الماذير
وتبرز الحجج حتى أنزوى ضميرها وطفن عليه ذلك
الحب الوليد الذي نشأ بين جوانمها نحو طفلها العزيز
وتصرمت بضمة أشهر كبر فيها الطفل واستطاع
(٥)

وتفضى شهران شموت سميرة بمدما بشنير
نام في حالتها . إذ أسابها بحول خفيف وامتنع لونها
فليلاً وسدفت عن الطعام وأخذ الاغماء بماودها
من حين إلى حين فارتاع زوجها من تلك الأعراض
وظن أن بها داء فاستدعى الطبيب بنفس خائفة
جزعة .

والفت الطبيب إلى فتحي باسم ثم سحبه من
ذراعها إلى خارج الغرفة وحس في أذنه يقول :

— أبشريا سيدي ... إن زوجك حامل

عقلت الدهشة اسان فتحي فظل برهة ينظر
إلى الطبيب في ذهول ، ثم انبته أخيراً إلى نفسه
وقال بصوت بهدج من شدة الفرح :

— آه ... أشكرك يا سيدي ... أشكرك

ثم تركه وهروا مسرعاً إلى خدع زوجها
ووقف بإلأب لحظة قصيرة ينظر إليها وتنتظر إليه
وكانت نظراتها مزيجاً من الحدة والحجل ... والحوف
غير أنه لم ينتبه إلى تلك النظرات الناطقة بل أسرع
إليها وهو بهت :

— سميرة ! أعلمت يا سميرة ؟ إنك حامل .

هكذا قال الطبيب ... وافرحتي وافرحتي ...
فأسبلت سميرة عينها وقالت في نفسها : « نعم ...
كنت أعرف . كنت أعرف . لك الله أيها الرجل »
ومندت تلك اللحظة أحمت سميرة بأن هذا الرجل
الجامي بجوارها غريب عنها

اكتملت أشهر الحمل وأنجبت سميرة طفلاً فرح
به فتحي فرحاً شديداً وأطلق عليه اسم دائل ...
وفرحت سميرة بالطفل ، لا لأنه طفلها — هي

وما كان يشيط سميرة ويقسد عليها سمادتها إلا رؤيتها
زوجها متملقاً بابنها كل هذا التعلق

وكان يسيراً أن تترى الحياة على هذا النسق ،
ولم يحدث ذلك الحادث الجلل الجسيم ، إذ سقط
عادل مريضاً محموراً فأضى على البيت رداء حالكا
كثيلاً . . . وجزع فتحنى لمرض صغيره ودعاه
الأطباء فكانوا يخرجون بنتيجة واحدة ، هي أنه
مريض بحمى مموية ، إن ينج منها فكامناً ولد
من جديد

وكاد فتحنى يمين من هول الصدمة ... فأضحى
لا ينادر غرفة عادل ، بل راح يمضى إليه ونهاره على
مقعد بجوار فراشه لا تفارق عيناه وجهه المتعجل
المصفر ، وإذا أضناه المنهر أو أنهكه التعب تراه يغفو
قليلاً في جلسته ثم ينبته من غفوة فجأة على عجب
زوجته ونشيجها

ومضى يومان أوغل فيهما المرض في بدن الصغير
فصيره كالخيال ، ورسم اللوت على وجهه علامة الفناء ،
وارتاع فتحنى لتقدم المرض السريع فراح يذرع
أرض التفرقة في عصبية واحتياج وهو بين الفينة
والفينة يمسح الدمع السخين وزفر الزفرات الحارر ،
يننا جثت سميره بجوار الفراش تتطلع إليه ببيتين
شمتا كل ممانى الجزع والاهمة والباس

لم تكن تبكي فقد استنمى عليها البكاء ، إنما
كان قلبها يتقطع ويقتطع أسمى وحزناً ...

وكان الطفل راقداً في فراشه كالخيال يملو صدره
ويهبط اضطراب وحشرجة وتجه عيناه الطفلاً كان
إلى سقف الحجرة كأنها ثمة شيء فيه يستريح النظر

أن يبتسم لرأى فتحنى ، فكاد هذا بطير من الفرح ..
وراح يحمل بين ذراعيه ويهدده في حنان ويمحاه
بلهجة مكسرة إعزازاً وتديلاً ويخرج من الأصوات
ما يحيل الطفل بمحذ في ويبتسم في سداجة الطفولة
البريئة ...

وكانت سميرة إبان ذلك تنظر إلى زوجها نظرات
جامدة لا ترسم على وجهها تلك البسمة التي تبدو
على وجه الأم حين يداعب الأب طفله ... بل كثيراً
ما كانت نظراتها تقسو حتى تخرج بالهمز والأزدراء
وتكاد أن تهم بأن تنزعزعه منه قائلة : « دعه ...
دعه أبها الرجل فإنه ليس ابنك »

وباغ الطفل السامعين من حمرة فكان فتحنى
لا تسمه الدنيا حين يناديه بلفظة « بابا » أو يحتلى
لغذبه ويداعب شاربه بأفامه الصغيرة البيضاء في رامة
وطهر ... بل كان يشمر بالزهو والخيلاء حين يسير
في الطرقات الموحنا وبجانبه عادل يمشى في مشيته
وهو يحسك يده

واستقرت سميرة وهذأت نفسها وظنت أنها
أوتيت خزان الدنيا في شخص صغيرها المقدى ...
وكانت تنظر إلى وجهه الأبيض للشرق فتحس الحنين
يطغى عليها وتشمر بلهايا بمحقق بلحب الكبير ...
وكثيراً ما عاودتها ذكريات قديمة وهي تنظر إلى
وجه ابنها ، فقد كانت ترى في وجهه ملامح نجم
أشرق في أفق حياتها ساعة ثم خبا ... كانت ترى
في وجهه وجه أبيه فترتمد وتهتز كأنما مسها تيار
من الكهرباء عفيف

ملأ الطفل البيت حياة وسمجة ، فأضحى كدنيته
مأهولة صاخبة بمد إذ كان كصحرَاء مجدبة قاحلة .

كوباً من الماء وأدنته من فم الصغير وما كاد الماء يلمس
شفتيه حتى لفظ للنفس الأخير

صرخت سميرة في جنون وراحت تلطم خدها
وتقتلع شعرها ففاض قلب فتحي وجزع. وكأخاف
الحقيقة فوقف ينظر إلى الطفل الليث نظرات فاهلة برهة
قصيرة.. ثم أدركته الحقيقة القاسية فاندفع إلى الجلفة
يمطرها وابلا من قبلاه وهو يزأر زئير أسد جريح
وانتهت سميرة من حزنها على صراخ زوجها
وعويله ونظرت إليه وهو متكب على الجلفة يقبلها في
كل أجزاء الوجه المتنع ... نظرت إليه في ذهول
ودهشة ... ثم تولاه الحنق والغيظ ... وتحتمت
وعلى وجهها ابتسامة ساخرة :

— يا لفر الأبله ! ماذا يفعل إذن لو كان يعلم !؟

محمد عبد الفتاح محمد

وانشق صدر سميرة عن صرخة هائلة دوت في
سكون الترفة الرهيب ، ثم وأتاهما الصع فأنفجرت
تبيكي بكاء صراخاً فارتاع فتحي وأسرع إلى الطفل
فألقاه بتنفس يبطء وصعوبة فمأوده الأمل ، وأدرك
أنها تكاد تبكي من شدة الحزن وأن منظر الطفل
المنجي قد بسث في نفوسها اليأس قتلاً مميئاً

والواقع أن سميرة أنكرت على القدر أن ينتقم
منها هذا الانتقام الرهيب فيسلب منها طفلها ...
ماذا عليه لو ترك لها ويفعل فيها هي يمدد ما يشاء ؟
إنه انتقام ... أجل إنه انتقام . فيا القسوة المنتقم !
والنفت الطفل برأس أثقلته الحلى القاتلة إلى أمه
وقال بصوت تمشى فيه الفناء :

— أشرب ... طووز أشرب

فاندفعت أمه تتمثر في دموعها الفزار وأحضرت

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية الجميلة على اختلاف أنواعها

معتدلة في أثمانها ...

رائعة في ألوانها ...

فبادروا باخذ طلباتكم

مَذْهَبُ طَائِفَةِ سَمَاءٍ

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مُحَمَّدِ طَهْ الْحَاجِرِيِّ

إلا عطر الأحاديث . إذ كان رجلا كامل الرجولة ، فاضلا على أعمامه الفتيحة ، لا يستهويه من تزق الشباب ونزوات الفتوة ومغريات البيئة ما تهافت عليه أهل المصراعمة إلا من عصم الله .

فعممت به خبر ما ينعم حبيب بحبيبه ، وحمدت الله على هذا التوفيق الذي أنشأني هموم الحياة وغمرني بالثمة الحقة ، وأوجد حولي جوامع الواقع يتسق مع ما كان يقوم في نفسي من أحلام لئلا العليا التي أنشأتها في نفسي تلك البيئة الدينية الخاصة في اقتباسها وتزمتها ، وزينتها في صدري غضارة القلب النافس . السلام . . .

ولكني لا أكتفك أني كنت أحس في بعض الأحيان أنه قد احتجز لدي من أسرار سرأ يطويه عني ، ويصطنع الحيلة والحذر في كنهانه وإخفائه بواذره ، فكان يحبك لهذا في صدري شيء من التيرة والألم ، ولكن ما كان أسرع ما يتلانى في غمرة النسيم الروحي الذي يملأ قلبي ، فلا أرى أمي إلا ذلك الرجل الفاضل المهذب ، وتلك الروح اللطيفة الصافية ، وذلك الضوء الساطع الذي يمتد فها بيننا ويشمر ما حولنا ، وهكذا مضينا أعواماً خمسة لم يتل من هذه الصداقة شيء . ولا تقير في عيني شيء من معاني الكمال الخلقى الذي كانت تتألق في نفسه ، ولم أعد أعبا بذلك للسر الذي كان في قرارة صدره وكان يحيل إلى أحيانا أنه سر امرأة ، إذ كنت أشم منه عبير الحب ، فلم أحاول مطلقاً أن أسأله منه وما ندمت على شيء فها بعد ندي على اغتفالي هذا

حدثني صاحبي ، قال :

كان فيمن صحبت من الناس في أوائل الشباب شاب في عصفوان السن ، وكان من أهل اليسار والنعمة ، أتيق الياسة ، متدفق الفتوة ، كثير للرح ، ولكنه مع هذا على خيرا يكون عليه الرجل السميد ، فها أحرف أنا من كلمة السعادة ، سلامة صدر ، وطهارة قلب ، ومثانة خلق ، وبمدا عن مفاسف الحياة وسنائر الشباب .

وكان أول أمرى . منه أني لم أكد أحرفه معرفة السمع والبصر ، حتى أحبيته حب الرأي والمأطفة ، كما ما كان بين روحينا منذ البدء أسرة ، كما يقول علماء الروح ، وإن فرقت من بعد بيننا شق الفوارق الاجتماعية ، حتى ما كان لئلا أن يصحب مثله . ولكننا ما إن تراءينا حتى تمارقنا فتألفنا فحضر كل صاحبه وده وخلق به نفسه ، فكان عيبة سره ومستقر أسرته وراحة صدره . وذهبتا تساقا كدوس الصداقة الصادقة ، لا يشوبها شائبة غرض ، ولا يسيبها ما تخضع له علاقات الناس من أهواء النفوس المختلفة ، وعلالات الحياة المادية العنيفة . ومضينا على ذلك عهدا طويلا لا أجد له في قلبي إلا كل محمدا ، ولا أنسم عنه بين الناس

الروحي الذي فقدته فقدت معه حظاً غير قليل من
الثمة الصادقة والروح النقي
وسارعت إليه ، فغش لي ، ونحني لي ، وأجل
نحيتي ، وبالح في تكرمي . ولكني كنت أشعر بذلك
كله في دخيلة نفسي أفاطاً لا معنى لها ، وصورة
للصادقة لا روح فيها ، وأنكرت من شخصه
ما أنكرت بالأمن من رسائله ، وكان لم يتغير شيء
في رأي قلمي . وحسبت هذا صنع الزمن ، فرجوت
منه تجديد ما أدخله
ولكن هيهات ... !

فلقد ترامت إلى الأخبار من كل وجه أن صاحبي
قد حال أمره ، وتغير عهده ، وانقضت عهده ،
فأصبح من ذوي الجأنة والمهر والتبطل ، وجعل
حياته كلها في أعقاب كل فاجرة ، وإبقاء كل
مستهتر ، واقتناص كل ساذجة . وجعل يبدل لهذا
عن سمة من نفسه وماه لا يبالي ما أنفق منهما ،
ولا يأبه لمصيبته فيما ، ولا يراجع في ذلك رأياً ،
ولا يسيا بعبرة مطوية أو مكشوفة . وذهب عنه كل
ما عهده الناس فيه من رأي مترن وبصيرة نافذة ،
فطوى كل قواء الفكرية ومواهبه النفسية فيما زين
له من شهوة عاتية وزروة طائشة

قيل لي هذا ورويت لي النواذر المجيئة والمصور
الطريفة من حياة هذه ، وأنا لا أكاد أصدق ما يرويه
الناس ويؤكدونه ويتواترون عليه . فقد حسبت تلك
اللدة المديدة ، وخالفته غلظة الأخ الأدنى ، كما سبق
لي القول ، فأنا أنكرت عليه شيئاً يحزني منه الغيبة ،
ولا أخذت عليه ما يقدم في خلقه أو مردوده ،
ولقد أثبت أمره فأنه هو بقي الدخلة قد تشابه مظاهره
وباطنه واستوى سره وعلنه ، فما جال اليوم ؟

الأمر ، وإغضائي عن هذا السر ، وعدم احتيالي
لمرخته فربما كان في ملكي أن أحمل شيئاً أخذه
قريباً للحب والصادقة والفضيلة ، وما أجعلها قربة ،
ولكن الله غالب على أمره

ثم ضرب بيننا المهر فطرحني بعض شؤون
الحياة الماتية مطرحاً بعيداً ، فكنا نراسل بما يقوم
بحق الصداقة بمد أن حاول الزمن أن ينال منها ،
وكانت تأتيني رسائله فيفتح لها قلبي ، وتسقط أفاطها
بمانيها سطوعاً روحياً باهرراً ، فأجد لها نشوة
أى نشوة ، وأسشعر منها لذة لا تمدها لذة ثم ...

ثم أخذ شعوري بهذه اللذة يضمف ويتضاد ، ثم
إذا بي لا أرى ذلك النور الذي كان يتألق في كلاته
وعدت من بعد لا أقرأ في رسائله إلا أحرقاً محترمة
وعبارات مصطنعة ، لا أكاد أحرف لها معنى ،
وأخذتني لها غاشية من الألم والحيرة ، وأهمت
نفسى بالنسيان ، ودميت قلبي بالليل ، وطلجته الملاج
الشديد أن يعود إلى عهده من إدراك معنى الصداقة .
ثم لم أدر بمد إن كان قد صدق فلم تمد تلك للماني
تتجلى فيه وتنمكس عنه ، أو أن في الأمر شيئاً وراء
هذا يرجع إلى أن الصداقة قد فقدت قوتها الروحية
وخلت من ممانها التي قامت عليها وشدت منها
وحاطتها بأبلغ الحياطة . وما زالت الحيرة ترددني
بين شقي الفروض ولكن الرسائل كانت ما تزال
تروح وتقدو فيها بيننا تحمل ما يتراسل به عامة للناس
من كلام لا طعم له ولا روح فيه

ثم أتيت لي العودة إلى مسارح ودي القديم
بمد عام وبعض العام ، فصدت وأنا أشد ما أكون
شوقاً إلى مطالعة صاحبي وتجديد المهد بذلك الجال

روح المكان ، وفنتنا في جلاله كرى وأحسست في قرارة قلبي بالضوء الجليل الذي كان يشرقنا حين كنا يجلس هذا المجلس من قبل . ثم بدأ صاحبي يتحدث أجهل حديث وأروحه على قلبي حتى كدت أنسي تمامًا انقلابه الأخير ، ولا أرى إلا عهداً من الود الصادق موصولاً .

وبينا نحن كذلك لاح لنا ضوء سيارة على الطريق الزرعي تتوجه شطرنا ، حتى إذا حاذتنا أو كادت وقفت لتعود . وكان بها شاب حسن البنية ، متألق الشباب ، وإلى جانبه فتاة بدية اللوام مشرقة الوجه ، وقد أتى القمر عليها أشمته فبدت في أبهى منظر وأروع مجلى . ورأيت صاحبي قد أتى نحوها نظرة ثابتة مبهوتة لم يرجعها حتى دارت للسيارة ورجعت أدراجها ، فزفر زفرة حري والتفت إلى يقول :

— رأيت هذه الفتاة ؟

— أجل ! وماذا تريد ؟ أطريدة جديدة تنصب لها شباكك ، وعند لها أشراكك ؟

— ماذا الله ! بل مبدع روحي وعمراب قلبي :

حيل بيني وبينه ، فأندقت في الطرقات اندفاع الهم الجماعية

فسكت برهة أنأمل قوله ، فلم يكشف لي عن وجهه ، فاستوضحته مناه ، فأطرق لحظة حسبته بمالج فيها نقشه أشد الملاج ، وبرأوده من سر قامت دونه المحب والأعلاق ، ولبت أنظر وأناهب لسباع قصة ممتعة تكشف لي عن ناحية من حياته . ثم التفت إلى يقول :

— أعني أنها كانت حبيبتي التي سيطرت على قلبي ، ثم ...

أنى الممكن أن تشتر الأخلاق وتحول الطبائع وتحول الشخصيات بهذه السهولة ، وفي عدة من الشهور قليلة ؟ أم كنت غدوفاً في أمره ، مصوب البتين تجاهه ، وأنا أحسبني بصيراً به ، مثبِتاً من حقيقته ؟ أنى الممكن هذا ؟ ذلك سر من أسرار النفس ، ولنزمن أنالار الحياة الانسانية ، وما أكثرها وأخطرها !

لقد ذهبت أنفس التفسير من كل مظاهه ، وأقبلت أحدث إلى هذا وذلك من أقرانه الأديين في خاصة أمره ، وما عساه قد داخل حياته ولايس نفسه ، فأعيان أن أجد تفسيراً بظمن إلى عقل ، ويطرد مع ما أمره عنه ، فامسرت عن هذا وفي نفسى من الحيرة بقدار ما أجد من الألم له ، والفجينة فيه ، والوعدة لمصابه ، وترجت على عهد كانت صدافتنا فيه كالندبر الصافي تنمكس عليه أشمة السماء

وافيته أصيل يوم من الأيام في طريق إلى صرناضى بظاهر المدينة ، وكنا نتشاده معاً من قبل . فاستصحبته فصحبني إليه ، حتى إذا غشيناه كانت الشمس قد غربت بمنربها ، وطلع البدر من مشرقه . وصرناضنا هذا هو روضة على جانب طريق زراعى ، تقوم بها أشجار متشابهة الأغصان ، ونحفها شجيرات ملتفة الأنفان ، وتنتثر على أرضها أزهار مختلفة الألوان ، وقد جرى إلى جانبها غدير صاف يتألق في ضوء القمر وقد سطع علينا من ضائه ، فاجتمع لهذه الروضة جال الأرض وجمال السماء ، وكانت تساهبنا تثارج بذكريات الود القديم ، فاجتمعت لنا منها مئة الحس ومئة الروح . فجلسنا على مقعد وضع هناك ، وقد تركنا أنفسنا لذكريات تنانجى وتجاوب ، حتى غمرتنا

غروراً . ولكنى كنت مغفوكاً بروحها اللاتكنية ،
محسوراً في فلكها الدائري ، مملوءاً بممانيتها الجليّة ،
ولهاذا حبها للبرى .

لقد كانت ملاك رومى ومساك فضيلتى وشمس
حياتى ، سواء في ذلك شهودها وغيباتها وجلوتها
وحجابها ، إذ كنت أحبها في شمورى بها وإحساسى
بحبها . ولكنى لا أذكر يوماً من أيام حبنا مضى
دون أن أجلس إليها ، وأتمتع بظلمتها ، وأملأ قلبى
بجمالها ونضرتها ، فكنت أرى هالة من النور تحيط
بوجهها ، وعالم من الفضل والشرف والجمال والكمال
يقوم حولها ، فكنت أنظر إليها نظرة حب وإجلال معاً
وكنت أقرأ معها أحياناً بعض كتب الأدب
فأشهد ما عرفت أستاذاً يشرح دقائق الفن كما كانت
تشرحها هى في نظرة أو لمحة تحيط بالمعنى النفيسة
البعيدة ، فتجولها أمام عيني كأنها صورها مصور
صناع ملهم . والله ! لقد كانت تحدثنى بألفاظها ،
حديثاً فيه منة القلب والأذن ، وفيه جمال التفتحة
والمنى ، وفيه الجليّة بكل مظاهرها وممانيتها . أواه
أواه من ألم الذكرى ولجينة المصاب فيها !

لندأبها على القدر فرماني بذلك الشاب الذى
رأيتُه إلى جوارها : ساقه إلى خطبتها ، وزينه لأعيني
أهلها . قالى لجالس ذات يوم وإفاها مقبلة على ،
وفي عينها آثار البكاء .

لجزعت وأخذتني اللوعة ، وأقبلت عليها أسألها
فقصت على القصّة ، وطلبت إلى أن أقدم لطلب يدها
عساى بذلك أبعد الخطر الداهم وعرفت حين ذاك
أن ذلك للشاب موظف بوزارة الداخلية ، من أسرة
متوسطة الحال ، يتقاضى مرتباً لا يتجاوز خمسة
عشر جنياً . وقد رآها مرة في طريقه ، ثم ذكرت

ولكنى لم أدعه بكل حديثه فقلت له :

— أبهن ؟ فمن كثر

فنظر إلى نظرة فيها معنى الألم والتوسل وقال لى :
« ناشدتك الله دعنى من هذا التهمك والتأنيب
وحسبى ما أشعر به في قلبى من قبح كلذخ الجمر ،
فإن روح هذا المكان قد ليست ضيعرى فنفتحت
فيه الحياة ، ولا والله ما أحببت إلا هذه الفتاة التى
رأيتها ، والتى أنا محدثك عن أسرى معها :

لقد عرفتها في مبة السن ، وأحببتها في مطالع
الشباب . ولست أذكر الأسباب التى وصلت بينى
وبينها ، وهيات لى سبيل حبها ؛ ولكنى أذكر أنها
مازلت تكبر في عيني وتمطر ، وما زالت تتحد معانيها
وتتبع ملء الأذن ، حتى تألفت في رأى قلبى ،
وغرقتى بأشعتها الساحرة فأحسست كأن نفسى
مشتقة منها ، وكأن وجودى مدمج في وجودها .
وجعلت لا أراها بعد إلا معنى متسقاً من الجلال
والطهر والمظلة ، يمت في نفسى معنى الحب
والفضيلة والخضوع

وجعلت أدور في فلكها الساحر الجليل اللئالى
وما شمرت قط بالفتيق به والرغبة عنه والتفت منه ،
إذ كان على الذى لا أعرف عالماً سواء ، والذى
اجتمعت لى فيه كل أسباب الثمة ومعانى اللذة
ومظاهر الكمال

ولقد كنت فنى تتلأ الفتوة هروقى وتهز
أعصابى ، وكان جديراً بها أن تقبل بي فملها الطبيعى ،
فتوجهنى تلك الرجعة التى يتجهها الشبان ، وتهوى
بى ذلك الهوى الآخر بشقى اللذائذ الجسمية ،
وتتدفنى إلى تلك السباحة التى يحف بها شياطين
الانس والجن بوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول

الشهوة في مذاهبه، بعد أن كانت عبوسة من حب فتاني في مكان سحيق .

ويلاه ! لقد كنت وجدت في حبها سبباً يصلني بالباء وما تزخر به من اللاتسكة، فلما انبت السبب هويت إلى الأرض أنمرض لئلا تغتال الشياطين والآباسة .

لقد كنت من حبها في فك سحري جميل ، أدور به أينما درت في حدود جاذبيتها تمسكني أن أهوى أو أنحرف ، فلما ذهبت تلك الجاذبية عني جلست أتطلوح هنا وهناك لا بمصنعي عاصم ولا بمنعني شيء .

كنت معها ملكاً فأصبحت بدونها شيطاناً
كان قلبي منها في محيط نوواني مشرق ،
فأصبح من يدها في ظلمات بعضها فوق بعض «
وهنا أخذته الذكرى وبلغ به التأثير ، فلم يملك نفسه من البكاء ، وجعل ينشج نشيجاً صراً ، وأنا أحاول تهدئته والتخفيف عنه ، حتى سكنت عنه البكاء فأخذت بيده ، وأخذنا طريقنا إلى المدينة ، وسرنا في صمت ظاهر، تنكسر من تحته الخواطر ، وتنقلب فيه الصور والمآني ، وجعلت قصة حبه تتردد في خاطري مختلطة بقصة صداقته وعودوده . فذكرت ذلك للسر الذي كان يحاول كتمان ، وقد صدق فيه حدسي : إنه سر الحب الذي أترع له ككؤوسه في عالم اللاتسكة المقربين ، ثم تركه يهوى بين المردة والشياطين « وندمت أشد الندم على إغفال هذا الأمر ، وإغضائي عن هذا السر ، وعدم احتيالي لمعرفته ، فربما كان في ملكي أن أحمل شيئاً أتخذه قرباناً للحب والصداقة والفضيلة ، وما أجلها قربة ، ولكن الله غالب على أمره » محمد طه الغامدي

له فتقدم إلى أبها - وهو رجل ساذج غفل - وحوله حاشية كبيرة من هيبة الوظيفة ، وما يبته الوم من حولها ، وما يخله الدباسة عليها ، من الأسواء الساطمة والألوان الرائحة .

وتقدمت إلى الخطبة وأنا لا أكاد أشك في اللطبة والظفر، إذ كنت أحسبني معتصماً بأقوى الأسباب في مثل هذه الأموز، من مجد الأسرة واتساع الثروة وشرف الاسم . وأما منافسي فما يملك إلا الوظيفة وأهون بها . ولكن خاب ظني ، فان الوظيفة التي طنت على شقي نواحي الخير في مصر ، وهزمت صفات الرجولة والشعم والإياد في نفوس الناس ، قد أحلت بالوازين المتبرة في تقدير الرجال ، فشالت كفتي ، ورجحت كفة صاحبي ، فتسلت لي أهلها بأن فلاناً سبقني إلى خطبتها ، وما هي والله إلا الوظيفة ومصيتها وسوء أثرها في أنظار الناس . فانصرفت وأنا أراي قد أصبت في قلبي بما حطمه تحطياً وتركه هشياً .

... وانتقلت صاحبي إلى بيت زوجها ، ولم يلبث أن سافر بها إلى مقر وظيفته ، فانقطع ما بيننا تماماً ، ووجدت هي في بيتها وأسرتها ما يستأثر بروحها ونشاطها النفسي ، وأما أنا فإذا لقيت ؟

لقيت شر ما يلقاه امرؤ ما يسمونه برد القمل لقد طوحت بي تلك الصدمة العنيفة إلى الجملة المقابلة لما كنت فيه مما أحسبه أسمي حالات الخير والفضيلة ، فانكسرت فيما ترائي فيه ، وتذكرك على ، من الخلامة والتبطل ، والجري وراء كل بني طموح ، وكل طائفة مرمية ، وانطلقت غريزتي الجنسية في كل طريق يفسح الهوى من جوانبه ، وتريد

حَلَجِي نَبَا اَصْفَهَا نِي

لِكَلْبَانَا لِاَلْبَانِيَنِي "جهن مؤبر"
بقلم الأرسنآذ عَجَبَا الطيفين النَشَارَ

الفصل الثامن والثلاثون

بينه الرابع والخميس

أم الشاب الأرمي قصته وتركني بين أشد عوامل المعشة من غربة قصته والاحباب بحسن صفاته . ثم أذنت له بالذهاب مع بعض جنودي لرؤية زوجته في المنزل الذي وضعتها فيه لكي تسترخ، وقلت في نفسي يستحيل أن تكون هذه القصة الطويلة التي قصها عليّ خترة كما لها لأنني قد رأيت بنفسى المرأة التي يتكلم عنها وجودها أقوى دليل على صحة الرواية التي رواها . ولكن إذا تركتهما وعلم السردار ذلك فلا شك أنني سأفقد وظيفتي وربما فقدت أذني أيضاً . إن الرحمة لا تلائم مصلحتي مادمت أريد البقاء في هذه الوظيفة ؛ ولأن أكون حكيمًا كما يقولون حتى إذا لم أنبغ حكمة لثمان الذي يقول فيها : « ما ينبغي للنمر أن يظهر بمظهر الحمار كيلا يجمع بين الشراسة وبين الخداع . فمن كان يشبه النمر قليلا يظهر بين الناس شرًا كطبيعته لأن ذلك أقرب إلى الفضيلة . وما ينبغي للحمار أن يظهر بمظهر النمر ، فان العالم يكون أشد قسوة عليه منه على سائر الحمار . فمن يشبه الحمار قليلا يظهر بين الناس حمارة ، فان ذلك أقرب أيضاً إلى الفضيلة »

بقيت متردداً فيما يجب عليّ عمله نحو يوسف

هل أطلق سراحه أم أنوده إلى الأسر ؛
وبالتالي هل أكون غمراً أم خماراً
وبينا كنت أفكر في ذلك عاد يوسف
الأرمي وأخبرني أن حمة زوجته تحببت
بمد أن استراحت في ذلك المنزل ، ولكن
الصف الناشئ عن الزيف كان لا يزال
مانعاً لها من الانتقال إلا إذا طاردها السردار
فاضطرت إلى الفرار من وجهه ، وأنها أخبرته بقصتها
منذ اختطفها الفارسان إلى أن وجدها يوسف

قال : إن اللذين اختطفها ذهباها في الحال
إلى بيت السردار فأمر بوضعها في منزل الحرم بين
جواريه وأجازها على اختطافها وإن السردار لما رأى
صف بنيتها وهزال جسمها أهملها فجاءت بين
الخدمات للماديات فخدمت الله على ذلك . وكانت
تتجنب الظهور بأى مظهر لكي تبقى هامة . وقد نجحت
في ذلك أول الأمر ولكن سوء الحظ سلط عليها
ميجوزاً من جوارى القصر تظاهرت بوجهها وأهملتها
أنها تريد مساعدتها على استرداد حريتها
فلما أصغت صرير إليها واعترفت لها برغبتها
في الفرار ظهر غدر المجوز وتقلت الحديث إلى
السردار

قال صرير : « فلما سمع ذلك اغتاض غيظاً
شديداً وأمر بإحضاري وأمنني ما أكره سماعه من
الوعيد والتأنيب وهددني بالوث إذا حاولت الفرار
وأمرني بأن أبرهن على إخلاصي بالاستعداد لمقابلته
في تلك الليلة فصمتت على أن أهرب بمجرد جودي
باللقاء نفسي من النافذة فاما أن أتمكن من النجاة
وإما أن أتخلص من الحياة

ووافق على ما عرضته عليه، فأذنته بأن يعود مرة أخرى إلى زوجته ليودعها وليخبرها بما قلته له فشكرني مرة أخرى وسار مع واحد من جنودي

الفصل التاسع والثلاثون

يوسف الأرمي يبرهن على أنه أهل الثقة جايي بابا سرنا متجهين نحو الحدود القوزاقية، وكان يوسف خير دليل عرفناه لمعرفة هذه الجهات معرفة دقيقة أدهشنا ولم يبد منه أي ميل لزيارة قريته وقال لي إنه لن يستطيع الذهاب إلى تلك القرية حتى ولو أمرته بذلك لأنه أندر ألا يعود إليها إلا مسحوباً بزوجه

لقد اتضح أن الخبر الذي بلغ مسع السردار من تقدم الجيش الروسي غير صحيح لأن الروس كانوا لا يزالون صراطين على شاطئ نهر بياكي وقد احتلوا قرية «جاملر» ونحسنا في «قرقليسه» وكنا قريبين من هذين المكانين وأردت أن أحرف عدد الجيش الروسي فيهما وحالته الحربية فخطر لي خاطر يتعلق بذلك ويوسف الأرمي، قلت في نفسي: «إن بقاءه على الحالة التي هو عليها لا يشرفنا ظاهراً أن نفقده وإما أن نحمله وعزمت على إرساله ليتجسس على الجيش الروسي فإن أدى مهمته استحق العفو عنه وإن ذهب ولم يبد عدنا إلى القرية التي تركنا فيها زوجته وأخذناها إلى السردار ولنا مكافأة

ولما طلبت الأرمي وقامته في الأمر أدرك مقصدي وغابني بمثل سرعة البرق وقبل المهمة التي عرضتها عليه، وما هو إلا أن أذنت له حتى وضع بندقيته على ظهره وسار نحو القرية

ولما فتحت النافذة كنت أريد إلقاء نفسي منها ولكنني رأيتك يا يوسف فحذت الله

وكان بعض الجوارى قد جئن قبل ذلك بلحظة فأمرني بالاستعداد لدخول الحمام فصرقتهن عن بحيلة وأغلقت باب الغرفة قبل أن أفتح النافذة مصممة على اللحاق بك أو على الموت محاولة ذلك

بعد أن أسمعني يوسف تلك القصة التي رواها له زوجته أظهر اهتماماً شديداً بمعرفة رأيي في أمره ونفوس إلى أن أعده يئذ لمساعدتي له ومنحه صداقتي، وكان جنودي قد عادوا في ذلك الوقت من الأماكن التي كانوا متفرقين فيها وأعدوا حبيادهم وجوارى لاستئناف سيرنا، وكان رأيي قد استقر بعد تردد في شأن الأرمي وزوجه فتأديته وقلت له:

«بعد القصة التي سمعتها منك يا يوسف صار محالاً علي أن أطلق سراحك لأنك قد اعترفت بأخذ صيدة من قصر السردار، وذلك ذنب قد تعاقب عليه بالموت، وقد كان واجباً علي ألا أمهلك وتلك الصيدة إلى الآن بل أبيت بكاً إلى أربغان ساعة اعترفت لي بهذا الاعتراف. ولكن إذا قبلت ما سأعرضه عليك فاني لن أقبل هذا»

ثم أخبرته عن وظيفتي وعن المهمة التي أرسلت لأدائها وعرضت عليه أن يرافقتني في تلك المهمة فيكون دليلاً لنا في البلاد التي يمر فيها أكثر منا وقلت: «إذا رأيت منك إخلاصاً في خدمتنا فاني أعذك بأن أدايم عنك عند السردار وأتوسط عند رئيسي وأحصل بأذن الله على أمر بإطلاق سراحك وفي هذا الحين تبق زوجتك بالزل الذي هي فيه الآن حتى تعود إليها سالماً»

لما سمع يوسف قول دنا مني فقبل يدي شاكرًا

قال إنه لما وصل إلى مدينة « حامو » هرفه
بعض الجنود الروسين الذين كانوا في قريته الفارسية
فأحسنوا استقباله وأخذوه إلى قائم الذي سأل
عن النرض من مجيئه فلم يجد خيراً من الإجابة بأنه
جاء للبحث عن زوجته وقد كان له من التكتبات التي
حلت بقريته وشردت أهلها ما جعله قادراً على الكلام
دون أن يثير شبهة حول نفسه، ثم سمح له بالبقاء في
القلمة ويمكن بإبدائه ملاحظات يظهر فيها إخلاسه.
وبسؤاله مع للتظاهر بمدى الاهتمام — تمكن بذلك
من معرفة ما ذهب ليعرفه وليختبر به من عدد
الجنود ومقدار السلاح وما يمكن معرفته عن خطتهم
في الحرب

أمرت بتقديم الطعام إلى يوسف وأذنته بأن
ينام ليسترخ وتأمّل فيها سمته فلم أجد فيه شبهة
الكذب. وفي الصباح أمرت جنودى بالاستعداد
للمودة نحو أريخان وجعلنا الطريق إليها من جهة
أشتارك، وهناك علمنا بعض الشيء عن حركات
السرदार وقائد جنوده، وأذنت ليوسف أن يزور
زوجته، فذهب وعاد فرحاً مسروراً وقال إنه وجدها
على أحسن حالة وقد شفيت من جراحها وشكرى
تكرار إحسانى إليه
وكان السرदार قد انتقل من أريخان إلى مقر

البطريكية الأرمنية فتقدمت إليه ومضى يوسف

الفصل الأربعون

هاجى بابا يرافع عن يوسف

يدعو الأرمنيون هذه المدينة « إيشميازين »
ويدعوها الايرانيون والأتراك « آتوش كليسة »
أى الكنائس الثلاث، وهى قرية كبيرة وأمنة في

بمد ذهابه قال أحد جنودى : « لقد ذهب
ولنى يمود »

قلت له : « إن الرجل أرمى وقد كان يفعل
ذلك لولا وجود زوجته فالأرمنيون لن يتركوا
نساءهم مهما كانت الأسباب »

قال جندى آخر : « هذا صحيح ولكنه
مسيحى والروس مسيحيون كذلك ويمد أن يجتمع
بعضهم ببعض ثم يمودون إلى السلمين وأنا أراهن
على جوادى هذا إن عديم إلى رؤيته »

قال جندى ثالث أشبه الرأس قد جمدت
وجهه السنون : « ما هذه الهارة ؟ إنك لا تعلمك
الجواد حتى تراهن عليه فالجواد جواد الشاه »

فقال ذلك الجندى مائلاً : « ولكنى أراهن
عليه. وما كان ملوكا للشاه فهو ملوك لي »

أسكت الجنديين ورأيت عن كتب مكاناً به
حشائش تصالح لاطمام الخيل فأمرت الجنود بالانجاء
نحوه، وزلنا عن الجياد وأقمنا الخيام وأعلنت رغبتى
في الإقامة بهذا المكان حتى يمود يوسف ثم أرسلت
بعض جنودى ليحصروا على كبش أو نجيعة لنا كل
فذهبوا وعادوا بكبش سمين ذبحناه وأوقدنا النار
فشويناه وأكلنا بشهوة قوية وأبقينا للعد ما زاد لدينا
أظلم المساء ولم يأت يوسف ولكن لما استمددنا
للنوم تاركين رجلين منا لحراسة الجياد سمعنا صوتاً
من جهة بعيدة. وكان القمر إذ ذاك بدرًا وكانت
قد مضت ساعة بمد منتصف الليل ثم سمعنا الصوت
مرة أخرى، وكان في هذه المرة أدنى إلينا فاستيقظنا
وتكررت الأصوات فلم يبق لدينا شك في أن القبل
هو يوسف ثم جاء وكان في حالة شديدة من التعب
ولكنه مع ذلك كان قادراً على أن يسرد علينا قصته

المر وشكله قريباً من شكله
ومجل القول في وصفه أني لم أر قط شيئاً له
ولم أتصور قبل رؤيته أن إنساناً يكون بهذه الخلقه
وكانت نظراته تدل على أنه لا يحترم قانوناً من قوانين
الأرض ولا السماء . وكان يكلم غيظه إذا شاء
ولكن إذا نار غضبه فلا حد لقسوته وعنفه

على أنه مع هذه الصفات القبيحة كان ذا صفات
جملة محبوبة عند جميع مرؤوسيه ، فهو كثير
التبسط معهم يطلق لهم الحرية في كثير من الأمور،
وهو شديد الدكاء . وكان يتبع مع الشاء خطة
سياسية جملة محبوبة لديه موثوقاً به . ومن
أخص صفاته أنه يخلص في حاية من يرام التخلص
في خدمته . وربما لم يكن في البلاد الفارسية من
يتافسه في شرب الخمر إلا صديقه النازا كشي باشي .
وقد دخلت أمام هذين الرئيسين ومضى ثلاثة من
أكبر أتباعي

فقال لي النازا كشي باشي ساعة رآني :
« مرحباً بك يا حاجي بابا ! أخبرنا كم روسيا قتلت ؟
هل ملك بعض رؤوسهم ؟ أرنأ ! »

قال لي السردار : « كم عدد الروسين الذين
على الحدود ومضى تبدأ ألوانع ؟ »

فأجبت بمد خطبة للتحية المتأدبة التي يجب أن
يلقبها كل مرؤوس أمام رئيسه وقلت : « لقد فلت
أبها السيدان كل ما كان في وسعي أن أفله ، فقد
عرفت الجواب على كل سؤال أردتما أن تسألاه
وعندي الأداة الكافية على أن خططنا في صعود »

قال السردار : « إن حسن الحظ شيء لا بأس
به ولكننا لا نمتد عليه بل كل اعتيادنا على سيوفنا »
ثم نظر إلى صديقه الذي قال : « نعم إن ضربة

وسط سهل خصب ترويه جداول ممتدة ، وإلتقرب
منها جبل « أجرى داج » الذي يقدهه المسيحيون
عموماً والأرمنيون خصوصاً للسلب الذي أخبرني
به يوسف وهو أن سفينة نوح رست على هذا
الجبل عند ما انتهى الطوفان

وبطريق الأرمن في هذه المدينة مطلق النفوذ
على جميع الطائفة الأرمنية ، وهي تدعوه بلقب
« الخليفة » وهو لقب يطلقه المسلمون على أكبر
رئيس يجمع بين السلطين الدينية والمدنية . ولكن
المسيحيين في آسيا لا يطلقونه إلا على البطريرك
الأرمني الذي تكاد تكون سلطته على أتباعه تمتد
سلطة الخلفاء في بغداد في الأزمنة السالفة

وجداً جيوش السردار بإلتقرب من الكنيسة
وسمعت أحد ضباطه يقول : « نحن سنحرق هؤلاء
الكفار ونشرب ما في كنائسهم من النبيذ »
قلت له : « هل أنت مسلم وتكلم عن شرب
النبيذ ؟ لقد أصبحت كافراً مثلهم »

قال لي الضابط : « إن السردار يشرب الخمر
كما يشربها الكفار ولا أعرف لماذا لا أحذو حذوه
في ذلك »

وقد ظهر لي بمد هذا الحديث أن جنود السردار
احتلت الكنيسة وأن القسس أظهروا رضام وبذلوا
مساعدهم مكرهين . وكان الخوف متسلطاً عليهم
من غضب الإيرانيين

وقد عرف القراء قبل الآن وصف « النازا كشي
باشي » الذي سار قائداً لجنود السردار ، أما السردار
نفسه فكان وجهه أشد تيجهما منه حتى وصفه
شاعر الشاء بأن وجهه يشبه « أجرى داج » وهو
الجبل الذي كنا بإلتقرب منه . وكانت صفاته كمصفات

ولا يسمح لجيشه بالتقهقر مهما كانت الظروف المحيطة بهذا الجيش وهم يقولون إن في جيبه مصحف السردار»
 فقال السردار : « إذن قلله هو القائد الذي حاربته في العام السالف فان هذا الوصف ينطبق عليه .
 لقد أدهشني كل الدهشة بصرفاته الثرية وخططه وقد سرق مني مصحف في العام السالف واست أعرف كيف وصل إليه . ولكن ذكرك هذه المسألة يدل على أنك صادق يا حاجي بابا ، كم مدفاً تقول إنه لدى الجيش الروسي ؟ »

فقلت : « أربعة أو خمسة أو ستة »
 قال الكاتب مرآجماً لي : « لقد قلت الآن كما هو ثابت عندي إن عدد المدافع عشرون أو ثلاثون فأى القولين هو الصحيح ؟ »

فصاح السردار : « أنكذب هنا ؟ »
 وظهرت علام القوة والنفسه على عينيه وقال :
 « أقسم برأسي أنه إذا انتضج كذبتك في أية كلمة قلها فلن تنتفرك هذه الجريمة . إن ذوقنا لم يخلق ليضحك الناس عليها »

قلت : « الحقيقة يا سيدي السردار أنني لم أذهب بنفسى إلى مكان الجيش الروسى فانا إنما أقول ما يملق بذهنى من كلام الرجل الذى أرسلته وهو موجود . إن عظمة مولاي السردار قد جعلت أحد الشبان الأرمنيين على المخاطرة بحياة طامناً فى أن تغف عنه »
 قال السردار : « أغف عنه؟ هل فى الدنيا أدمى يستحق الغفو ؟ » فسردت عليه قصة الأمرى من أولها إلى آخرها وكنت أعتقد أن دغى عنه علناً بهذه الكيفية يجمل من المستحيل على السردار أن يماقيه بمد أن كلفت له الغفو على شرط قام بوفائه ولكن لما أعمت القصة لم أسمع من الموجودين غير

السيف أصدق من اصطراب المصحف وإن جواداً وسيفاً ومسداً لأفضل عندي من الحظ الحسن »
 قال السردار : « وماذا تقول فى التبيذ المتق؟
 إن حاجي بابا قد قام بمجمته خير قيام وتريد مكافأته على ذلك زجاجة من نبيذ الأرمن »
 ثم قال لى : « من الذى يقود الجيوش الروسية ؟
 وفى أى معسكراتهم الفرقة للقوزاقية ؟ وهل لديهم مدافع كثيرة وأين مراكز قيادتهم العليا ؟ »

ثم نادى كاتبه اسماعيل خان وأمره بأن يدون جوابي فقلت : « أقسم بنفس السردار وفداؤها نفسى وأقسم بالخبر واللح الذى أكانه مع النازا كشى بانى أن الروس ليسوا شيئاً يمتد به وهم إذا ماوزنوا بالجيش الفارسى لا يساوون الكلاب ، وأقسم لك بعد الذى رأيته بعينى أن فارسياً واحداً معه رمح وسيف يستطيع أن يقتل بسهولة عشرة من الروس »
 أظهر رئيسى سروراً شديداً وقال لى : « لقد صدقت فراسنى فيك يا أصفهانى فقد حققت ثقى بك »
 فقلت : « إن عدد الروس الذين على الحدود قليل لا يتجاوز السبعمائة أو الثمانمائة وقد يبلغ الألف أو الألفين ولكنه على كل حال لا يتجاوز ثلاثة آلاف ولهم عشرة أو عشرون أو ثلاثون مدفاً؛ أما القوزاق فهم أفراد قليلون ومن الممكن إخراجهم من الجيش الروسى بدفع رشوة إليهم وهذه عادتهم التى اشتهروا بها ويكنى أحدهم ثلاثون أو أربعون أو خمسون طوماناً »

قال نازا كشى بانى : « ولماذا تذكر القوزاق ؟
 إن أحدهم على جواده لا يفضل القرد على ظهر نيس »
 قلت : « هذا هو وصفهم ؟ أمأقأدم فأنهم يلقبونه « باليجور المجنون » وذلك لأنه لا يفر مطلقاً »

نفكر في ارتكاب التهم التي تنسبها إلينا . إننا من رعايا الشاه وأنت حاميها ونحن في أمن ودعة مستظلين بظلك فمن هو الرجل الذي تنسب إليه هذه التهمة ؟ »
قال السردار : « هذا هو » وأشار إلى يوسف ونظر إليه وقال : « قل لي هل اختلفت جارتني أم لا ؟ »

قال يوسف : « إذا كنت قد أخذت غير زوجتي فاقتروني، إن التي تقول إنها جارتك هي مريم زوجتي وقد ألفت بنفسها من نافذة دارك حين رأني، وكلانا من رعايا الشاه وأنت تعرف هل لك حق استرقاقتنا أم ليس لك هذا الحق ؟ نعم نحن أرمنيون ولكننا أكميون ونحن من رعايا الحكومة الإيرانية وماحدث قط أن الشاه أكره أو أمر بإكراه امرأة متزوجة على أن تكون رقيقة لأنها مسيحية . والذي لا أشك فيه أنك حسبت لما أمرت بإدخالها إلى منزلك — أنها فوزاقية أسرت في الحرب . ولكن عليك متى علمت أنها من رعايا ألا تزعم أنها من جواربك »

ازداد خوف الخليفة لما سمع الهجة التي يتكلم بها الشاب الأرمني فأسكتته بإشارة دالة على النضب والحدة . ولكن السردار الذي اعتاد سماع هذه الهجة سر منها بدلا من أن يغضب ونظر إلى يوسف نظرة تدل على أنه نسي السبب الذي استدعه من أجله . وكان يوسف لا يزال يتكلم فأسكتته السردار بقوله : يكتي ! يكتي ! اذهب وخذ زوجتك . وبما أنك قمت لنا بخدمة فاستقبلني في خدمتي وأجعلك من حرسى الخاص . اذهب الآن إلى رئيس الحرس ليملك واجباتك . ويلبسك الثوب الرسمي ثم عد إلينا . وإنا حسن مسلكتك في المستقبل فسأفغو عن غلطتك الماضية »

التفت بالشهادتين وسدد السردار في نظره وصوبه ولوى شفته السفلى على أشكال متعددة . وأخيرا قال : « لقد قام هذا الأرمني بأعمال مجيبة »

ثم نادى الخادم فأمره بأن يحضر غليونه، ولما صد نفسين أو ثلاثة أنفاس أمر بإحضار الأرمني ورئيس الكتيبة « الخليفة » فجي 'يوسف الأرمني، فالتفتت إليه كل السيون وبدا الاحجاب برؤيته بمد أن سمعوا قصته ورأوا منه شيئا قويا تبدو عليه كل علامم الرجولة . وحدد السردار فيه نظرة وأبدى التنازلكشى بأشئ علامات متعارفا عليها عند جميع الارانيين تدل على شدة الاعجاب

ويجي 'بالخليفة وهو رجل طامع في السن ولكن لا تزال يابى عليه علامم القوة .

وكان لا يسا تياك سوداء لأن هذا اللون هو الذي اختص به الأرمن . وكان ممة ثلاثة من القفس

بعد أن وقف الخليفة دقيقتين أو ثلاثا أمام السردار دعى إلى المجلس فجلس دون أن يحيى باليدين كما هي العادة التبعة في مثل هذه الحالة . ثم التفت إليه السردار وقال : « لقد أصبحنا نحن المسلمين أذل من السكلاب في إيران، فالأرمني يشتدون على منازلتنا ويحتفظون نساءنا وجواربنا . قل لنا يا خليفة ما هذا ؟ هل هذا من عمل الله أم من عملك ؟ »
ازرعج الخليفة من هذه المفاجأة التي لم يكن ينتظرها فيدا عليه الدهر . وتندي جيبته عرقا وقد علمته التجارب أن المفاجآت التي من هذا النوع تكون في المادة بداية لما هو أشد منها . وعزم على اتباع خطة المقاومة فقال : « ما هذه الهجة التي تكلمني بها ؟ إننا لا نسلم من أننا كم فضلا عن أن

يرتدى ثوباً رسمياً ، ويعان إلى جنبه سيفاً . وكان ثوبه أحمر اللون ذهبي الأزرار والخواشي ، وعلى صدره حزام من الكشمير فيه خنجره ومسدسه ، وعلى رأسه القاقوق الجليل الذي يلبسه جنود الحرس وقد رجل شعره الذي لم يكن حراً تحت غطاء رأسه القديم المصنوع من الجلد ، فأصبح لجماله وروعته كأنه إنسان آخر ، وقد جميلته خصل الشعر المنسدلة على جبينه أشبه بالنساء منه بالرجال . وساعد على تقوية هذا الشبه ظهور أجزاء جسمه في ثوبه الضيق الجديد ، وكان وجهه يحمر خجلاً إذا أطال أي إنسان النظر إليه

شكرن يوسف في زيارته على المساعدات التي قدمتها إليه ، وعلى الوفاء ، وعدى في الدفاع عنه . وقال لي إنه اعتقد لما بدأ السردار بالحديث للتقدم أنه فقد زوجته ، وإنه لذلك أجاب جواب من يريد أن يقتل حتى لا يعيش بعد أن تؤخذ زوجته منه وقال إن محبة زوجته نجاة ما للشيطان الداعيان لسروره . أما تمينه في هذه الوظيفة فليس بالشيء الذي يسره أو الذي يطيعه ، وإنه يريد العودة إلى العمل الذي اعتاده في الحقول أو الاشتغال بالتجارة أو بقاءه متبلاً في خدمة السردار دون أن يعمل عملاً ما ليس مما يتفق مع طبعه . قال لي إنه لم يجعل بالاستقامة ولم يرفض هذا العمل خشية غضبه ، ولأنه يرى الألمان لكل شيء ظالماً كانت زوجته في مأمن . وقال إنه يفضل أن يعيش راعياً للخنازير في جبال جرجان ، وأن تكون زوجته معه على أن يعيش منها في القصور الفارسية وزوجته معرضة للسبي

لم يسمي عندما سمعت هذا من يوسف الأرمي

سجد يوسف عند قدميه وأعرب له عن الشكر على إحسانه وقبل طرف ثوبه ولكنه لم يعرف ماذا يقول ولم تتكون لديه فكرة بالقبول أو الرفض عن هذه الوظيفة التي عرضت عليه .

ودعني كل الحاضرين من مسلك السردار مع يوسف لأنهم كانوا ينتظرون أن يأمر بقتله في الحال ، وهز لناز كشي يائي كتفيه ، وأحس « الخليفة » بأن عبثاً تقبلاً رفع عن ياقته واختفت نقاط العرق التي كانت عالقة بجبينه وبدت على وجهه ابتسامة وهذا الشكل السردار على حله وكرم أخلاقه وشبهوه بكسرى أنو شروان .

وسرعان ما انتقل الخبر إلى المسكر فلهج كل الجنود بمدح رئيسهم الرحيم . ولست أعرف ما هو الشعور الحقيقي الذي كان يشعر به السردار في هذه اللحظة ولكن كل الذين يعرفون أخلاقه يشقون بأن الرحمة لم تكن إحدى الدوافع التي تدفعه إلى أي عمل .

الفصل الحادي والأربعون

عرب الإبرانيين مع الروس

كان « لناز كشي يائي » ، والسردار بنصتان إلى ما يقوله يوسف الأرمي عن مشاهداته في الجيش الروسي . فلما أتم قوله قررا القيام بالمعجم في الحال وصدرت الأوامر للجيش بالتقدم نحو حاملوا ومشت للدقمية إلى الجبال وتبعها الفرسان والمشاة . ولا يفوتني أن أقول إن الأرمي زارني قبل أن يتحرك الجيش للقتال

ولم يصد يوسف ذلك الفلاح الذي استصحبته في الطريق ، بل صار حارساً من حراس السردار

ناريا ، ورأينا على الشاطئ الآخر للنهر رجلين تدل
ثيابهما على أنهما من جنود الروس . فلما رأى أن
ليس موجوداً من الأعداء غير هذين عادت إلى
وجهه دمويته وصاح : « اقتلوا هاتوا
رأسهما ! تقدموا ! »

فأتى بعض جنودنا بأنفسهم في البحر شاهرين
سيوفهم وثبت الجنديان الروسيان في مكانهما ثباتاً
أدهشنا وقتل اثنين من جنودنا التي كانت تبر النهر
واضطر الباقون إلى التقهقر ولم يبد من أحد أي ميل
إلى أن يحذو حذوهم ، وعبثاً حاول القائد بالوعد
والوعيد ويذل المال أن يحمل أحد على التقدم وأخيراً
تقدم بنفسه وهو يصيح : « أنا سأذهب وحدي
فلا يتيأس أحد » ثم وقف وقال لي : « ألا تذهب
فتأتي برأسي هذين الرجلين ؟ إنني أعطيك في مقابل
ذلك أي شيء تطليه »

ثم همس في أذني قائلاً : « إذهب فاني واثق
بأنك تستطيع قتلها »

وفي اللحظة التي كان يكلمني فيها أصابه سهم
من أحد الروسيين فعلا صخبه ونجته وبانت مخاوفه
حد اليأس وأقسم أغلظ الإيمان أنه سيقتل كل من
يخالف أمره وقال إن الروس حقراء مهينون
لا يستحقون أن يبحر القوس أمامهم هذا الجبل »
وعند هذا ظهرت فرقة من الجنود الروسية وظهرت
الفرقة التي يقودها السردار ، وكانت قد اصطلت
ناراً حامية من الأعداء وضمت ضمتاً شديداً ، وبالرغم
من أن عمل نازا كشى باشي في ذلك اليوم كان
جديراً بأن يمنه عن الفأخرة طول عمره فإنه كان
لا يزال يتبعج بإدعائه

ثم وصلت رسالة من السردار يطلب فيها إرسال

غير أن أطربه ، وإن كنت أتمنى أن يقع اختياره
على رجل غيري يجمهله أميناً لسره لأن وقوع اختياره
على سيجملني مسئولا عنه إذا فر

في ذلك الوقت كان الجيش يتقدم إلى اشتاراك ،
واستأذن يوسف في الذهاب لرؤية زوجته . ولما
وصلنا إلى الديدان ظهر فقدان الصبر بأجلى معانيه
على السردار . فإني أن يبق مع المشاة لأن حركاتهم
أبطأ من فرقة الفرسان . وعلى قيادة الفرقة الأخيرة .
ومن عادات الفارسيين أن يحتمقوا المشاة في الجيش
ولست أقول شيئاً عن رئيسي النازا كشى باشي .
قد ملا الدنيا بإدعائه حتى خال كل من سمعه أنه
لم يبق إلا لحظات يصبح بعدها الجيش الروسي كله
في أمرنا أو يقضى عليه ، وكان يريد أن يكون في
فرقة الفرسان مع السردار ، ولكنه اضطر إلى
الحاق بالمشاة كأمير رئيسه ، وكنت معه في هذه
الفرقة

وكان السردار يريد الوصول إلى حماملو في ساعة
النجر لكي يهاجم الروسيين عند أبوابها وسرنا
وراءه لكي نتجده إذا اضطروه إلى التقهقر
وكان وصولنا إلى النهر في ساعة للشروق وكنا
على وشك العبور عند ما صاح صوت عال ثلاث
صيحات بلغة لا نفهمها فوقفنا والتفتنا إلى الرئيس
الذي صار وجهه أشد اسفراً من أوجه للوئي
قال بصوت خافت : « ما هذا ؟ ما الذي فعله ؟
أمر على يا حبيبي يا ! »

فقلت : « لا أعلن هنا أحداً من الأعداء ولكن
ربما كان في المكان غول مثل الفيلان التي يقولون
إنها في اشتاراك »

وبعد لحظة سمعنا أصواتاً بربرية وسمعنا طلقات

فاظهر غضبه وكانت كلاني بمثابة الهواء الذي يهب على نار موقدة فيزيد بها اشتداداً . وخشيت بأس السردار إن علم بعد ذلك بأمرى فيعطش في فرأيت أن أختفي من الميدان واستأذنت رئيسي أن يسمح لي بالمودة إلى طهران فسر النازا كشي باشي من منحه هذه الأجازة لي لأن ذلك يفهم السردار أنه وحده صاحب السيطرة على أتباعه . وأمرني بتبليغ رسائل إلى رئيس الوزراء تدل على أنه قام بعمل هام في المارك وأن غيره لم يتم بأى عمل وقال لي : « لقد حضرت المواقف بنفسك يا حاجي يا وأنت قادر على وصفها ونحن لا نستطيع مع الأسف أن ندعي أننا انتصرنا لأنه ليس لدينا من رؤوس الأعداء ما نستطيع إرساله ولكننا مع ذلك لم نهزم ، السردار قادر جداً لأنه بدلاً من أن ينتظر وصول الشاة عرض فرقة الفرسان خطر الهزيمة لهجومه بها وأخذها وهو لم يفعل غير أن نبه الأعداء إلى وجودنا فأعلقوا في وجوهنا أبواب المدينة واضطروه إلى التقهقر للزرى بكرامة الجيش الفارسي . ولو أنني كنت القائد لأريشكم كيف ينبغي أن تسير الأمور . ولا تنس أن تقول لرئيس الوزراء إنني أول من جرح في الجيش لأني كنت أجراً الجنود على التقديم وبعد أن سلمني خطاباً لرئيس الوزراء وعريضة للشاه أمرني بالذهاب . وذهبت فوجدت الشاه لا يزال في السلاطانية على الرغم من أن الخريف كان على الأبواب ، وبمجرد وصولي قدمت نفسي إلى رئيس الوزراء وأعطيته الرسالتين فرحب بي وقال : « لقد كنت أنت أيضاً في حمالو وقد بلغتنا الأخبار من رسائل السردار ، أن للكفار لم يجرؤوا على دفع السيف في أوجه الفرسان الإيرانيين ومن هم الدين (٧)

حاجي يا إليه فذهبت مع الرسول وكانت أول جملة سمعتها من السردار قوله : « أين يوسف الأرمي ؟ أين هو وأين زوجته ؟ » فظنر لي أنه قد هرب فانقسمت أني لأعلم ولم تمد لي معرفة بمحركه ، فاطال السردار من نظره إلى وحرك شفتيه بأشكال مختلفة وأقسم أن يصب فوق رأسه جام انتقامه وأن ينتقم أيضاً من أهل قريته ومن كل إنسان له علاقة به وأقسم أنه إذا انتصح أنني ساعدته على الفرار بأى حال من الأحوال فإنه سيوجه كل نفوذه مندي ليخفي على الأرض

وسمعت بعد ذلك أنه أرسل بمض رجاله إلى جافيشلو ليقبضوا على أبوي يوسف وأقاربه وكل من بينه وبين يوسف صلة من القرابة وأمرهم بأن يحرقوا كل ما تقع عليه العين من أمتعته

ولكن الشاب الذكي كان يتوقع كل ذلك فاحتاط لوقوعه وسار هو وزوجته وأهله في أرض روسية قبل أن يمل السردار بأنه ترك جيشه وقد قابلهم الروس بمقاولة حسنة وهزموا عليهم ما خسروه وأقطعوم أرضاً واسعة

الفصل الثاني والأربعون

حاجي بابا لى الشاه

عدت إلى رئيسي نازا كشي باشي فأخبرته بالويعد الذي توعدني به السردار ولما كنت أعلم مقدار التعاسد بين جميع الرؤساء الإيرانيين فأنني لم أتردد في إخباره بأني مستاء من اللجة التي كلني بها لأنني مرؤوس لتيهره وقد كان عليه أن يراعى ذلك لأنني لأقبل هذه اللجة إلا من رئيسي نازر نازا كشي باشي تأثراً عظيماً بهذا القول

فاستشهد الكاتب ببیت شعر للسعدی يقول فيه :
« إن الأ كذوبة التي منشؤها حسن النية لا تمد
أ كذوبة بتاتا »

ثم قام الوزير فذهب إلى الشاه وتبعته في جلة
من تبعه من الخدم والأتباع ثم نظر إلى الكاتب وقال :
« أنا الآن في غنى عنك فلك أن تذهب وتستريح »

الفصل الثالث والأربعون

ما جرى بابا برى قصة فتمت به نكبة

بعد أيام قليلة عاد الشاه وحرسه إلى طهران وكان
موكبه في عودته من المهية والجلال كما كان عند ذهابه
وعدت إلى عمل الأول مساعداً لرئيس الجلازين
و كنت مشغولاً بتعليم الجنود الجدد الدين حلوا محل
الدين أرسلوا إلى الحرب . وبمقتضى رسالة إلى طهران
أبلغهم فيها أوامر الشاه بأن يجهلوا الرافضات
والثنيات على استمداد لمقابلة جلالتهم . وكان القصر
الذي فيه الثنيات والرافضات بمكان يبعد عن العاصمة
ثمانية أميال أو تسعة

ولما أبلغني الشاه هذا الأمر لأرساله عدت
فذكرت زينب التي كدت أنساها وتجددت
مشاعري التي كادت تنسى
كان قد انقضى على أول يوم تعرفت فيه زينب
أكثر من سبعة أشهر . وعلى الرغم من أن
القوم الذين عاشرتهم في خلال هذه المدة كانوا من
التوحش بحيث ينسى كل من يعيش في وسطهم
كل ما في نفسه من شعور نبيل — على الرغم من
ذلك فقد كان تأثري شديداً عند ما ذكرتها وذكورت
الحالة المزجة التي لا بد أن تكون قد وصلت إليها .
وقلت في نفسي : « لقد صرحت بي أثناء معرفتها عهود

يجرؤون على ذلك ؟ لقد علمت أن رئيسك جرح
في المعركة وقد برهن على أنه من أحسن خدام الشاه
ولا بد أن تكون جنودنا الآن على الشاطئ الآخر
من النهر

لم أكن أجيب على هذه الأقوال إلا بقولي :
« نعم ، نعم » أو « لا ، لا » ثم نادى كاتبه وأمره
بأن يصدر بياناً ينشر على الأقاليم والقرى ويعلن
فيه انتصار الجنود الإيرانية في جهات متعددة
خصوصاً في منطقة خراسان على جانبي النهر فنظر
إلى الكاتب وسأني : « كم عدد جنود الأعداء ؟ »
قلت : « كثير جداً » ثم ترددت في تقدير
العدد قليلاً وقلت : « اكتب خمسين ألفاً »

فقال : « وكم عدد القتلى منهم ؟ »
فقال رئيس الوزراء : « اكتب عشرة آلاف
أو خمسة عشر ألفاً فانه لا يليق بجيش الشاه أن يقتل
أقل من هذا العدد . هل تريد أن يجعل الشاه في نظر
الشعب والشعوب المجاورة أقل من رسم أو فرسياب ؟
هل كتبت ؟ »

قال الكاتب : « لقد كتبت ما أمرتم دولتيكم
به » ثم قرأ ما كتبه وهو : « إن الكفار من كلاب
موسكو طردهم الله من رحمة ، لم يجروا على التقدم
من جيشنا مع أن عددهم ربو على خمسين ألفاً وعددها
لا يتجاوز بضعة آلاف وقد أمكننا الله منهم فقتلنا
في المواقع الأولى عدداً يتراوح بين عشرة آلاف
 وخمسة عشر ألفاً »

قال رئيس الوزارة : « بارك الله فيك هذه
كتابة حسنة وإذا كان الواقع يخالف ذلك فان حسن
حظ الشاه كفيلاً بأن يجعل عدد القتلى أكثر من
ذلك في أقرب وقت »

قال لي الطبيب : « وتجذبني شديد الخوف من استدعائي لمالجتها لأنني إن قلت إنها غير مريضة هلكت الفتاة وإن قلت إنها مريضة هلكت أنا وإني لأسف على إهدائها إليه وإني لألتمن الساعة التي شرف فيها الشاه منزلي »

ذهب الطبيب بعد أن قال لي ذلك إلى منزله وعدت إلى خيمتي وأخذت أعزى نفسي بأن زينب مريضة وأن مرضها سيطول وستمنعها من مقابلة الشاه وأخذت أدعو الله أن يبطل مرضها ليطول أمد امتناعها عليه ، ثم أخذت أفكر في تنجيه في كل اتجاه حتى حاولت في النهاية إقناع نفسي بفضل الزهد وضرورة التصوف ، وما ذلك مني إلا حيلة الماكر وسلوة اليائس .

وأخيراً أعلن سفر الشاه إلى طهران فاجتمع أهلها لتحيته واستقباله وكنت في ذلك الوقت شديد الرغبة في مقابلة الطبيب مع التظاهر بأن هذه المقابلة جاءت مصادفة حتى لا يهجم بحولي ريبة ولا يسوء بظن ، ولقد تقابلت معه عند وصولنا إلى طهران ولكن كان ذلك لسوء حظي في وقت غير مناسب . وتفصيل الخبر أنه أسدر لي الأمر في ذلك اليوم بالذهاب إلى الميدان لتبليغ رسالة إلى النازكي باشي وفي الساعة التي تلتيت فيها هذا الأمر رأيت رئيس الأطباء خارجاً من حجرة الملك ، وقد بدت على وجهه علامات الغم والحزن الشديد ، وأنحني ظهره فراقبته قليلاً وسألته عما به . فقال : « لقد جعلتني هذه اللسنة الكردية في أشد حالات اليأس والتكد . فان الشاه غضب غضبة شديدة ، وأقسم أن يقتل كل رجل في داخل القصر أو خارجه ما دامت له علاقة به إذا لم تظهر هذه الفتاة »

مختلفة تناقبت فيها الخوف والرجاء والأمل واليأس ولم يبق في عهدي النزاع في حبها إلا أمد قصير ، ثم أجد نفسي أيام القضاء المقدر ، فاما أن يتحقق الأمل وإما أن ترجح كفة اليأس

ولما جاء يوم السفر سبقت الموكب إلى القصر لأرى كل الاستعدادات التي أمر بها الشاه هل تمت وفق رغبته أم لا يزال بها شيء من النقص مفتقر إلى الإصلاح ؟

ولما وصلت إلى باب ذلك القصر سمعت من فيه من السيدات يتحدثن . وما كان أشد شوق في تلك الساعة إلى التحدث مع زينب أو إلى رؤيتها إن كان التحدث مستحيلاً

لكنني وجدت أن سؤالها عنها بنوع خاص سيثير الريبة وقد يكون فيه خطر على حياتها وعلى حياتي فاكتمت باستدعاء رئيس القصر وسألته عما فعله بالأوامر وأطلت حديثي منه مراجعاً في الجواب مناقشاً في التفاصيل لئلي أسمع في خلال هذه المدة صوت زينب ولكن عينا ذهبت هذه المحاولة فاني لم أسمع صوتها ولا اسمها

وفي أثناء هذه الوقفة جاء سيدي القديم ميرزا أحمد رئيس أطباء الشاه وفهمت أنه جاء بدعوة من أهل القصر لمعالجة بعض من فيه غشيت أن تكون زينب هي الريبة . وقلت إنها لو كانت كذلك فهي هالكة لا محالة

لكن الطبيب استدعاني إلى ركن من التفرقة وعمس في أذني بأنه شديد الخوف من غضب الشاه لأن الفتاة الكردية التي أهداها إلى جلالتة منذسمة أشهر لم تستمد لمقابله عند عودته كما أمرها معتدرة بأنها مريضة

قلت : « لا ، فاني لم أفهم شيئاً » فقال :
« سأفهمك إذن في كلمتين ، إنك لا تزال شاباً فإذا
قيل لك إنك أنت الذي أحب هذه الفتاة فإن هذا
لا يضيغ من اعتبارك وليست هذه الحالة كذلك
فيما يتعلق بي »

قلت : « يضيغ اعتباري ! إن المسألة تؤدي
إلى ضياع الروح لا إلى ضياع الاعتبار . هل أنت
مجنون ؟ لماذا تريد أن أموت وكيف تحتمل دى ؟
إن كل ما أستطيع أن أقوله هو أنني أعتقد أنك
غير مذهب لأنك شديد الخوف من زوجتك ولكنني
لن أقول إلى أنا المذهب »

وفي أثناء هذا الحديث أجبل نحوي خصى من
خصيان الشاه وقال لي : « لقد أمر الشاه باستدعائك
أنت وخمسة من النازا كشية وبأن يكون معهم تابوت
ليقطعوا جثة بين يدي جلالاته »

فقلت : « سأحضر في الحال » وكان مجيء
الخصي في هذه اللحظة من حسن حظي لأن الطبيب
تركني ثم نصيب من كل جسمي عرق بارد وأحسست
أن عيني تحترقان وأبني على وشك الاغواء وقلت
في نفسي : ألا يمكن أن أكون أنا السبب في موتها
حتى أطلب بأن أكون جلاها أيضاً ؟ لماذا أدعى
إلي هذه المهمة للشتمية ألا أستطيع أن أصرب من
هذا المنظر البشع ؟ لا أعلن شيئاً من ذلك في الامكان
لأنه لا مفر مما قدر علي ولا مناص من أداء ما كلفت
به ، ما أفصحك أيها الدنيا ! ماذا يكون نصيبك في
قلوب الناس لو اطلع كل منهم على حقيقته ؟ »

في هذا الوقت كنت أشعر أن قلبي ينوء تحت
عبء ثقيل ، وجمعت الرجال الذين سيتولون من تنفيذ
العقوبة الوحشية ولم يكن أحد منهم يبالي لأنهم

قلت متجاهلاً : « من هي ؟ »
فقال : « هي زينب التي أهدبتها إليه . وقال
إنه سيقبل الوزراء أيضاً إذا لم يعرفوا كيف كان
استحواؤها من قصره »

قلت له : « يظهر يا ميرزا أحد إن الشاه يعتقد
أن الفتاة تحبك » فاضطرب الرجل أيما اضطراب
وقال : « أستغفر الله ! أرجوك ألا تنيد هذا القول
فتحوم حولي شبهة قد تصل إلى سمع الشاه فينقلني
إلى العالم الآخر . من الذي قال لك ذلك ؟ كيف
علمت أنني أحب زينب ؟ »

قلت : « لقد سمعت كثيراً جداً عن حبك
وإلا فما الذي دعاك وأنت جالينوس فارس ولقمان
عصرك إلى تربية فتاة زبديّة من عبدة الشيطان
في منزلك ؟ ألسنت تعرف أن وجود فتاة مثلها يكفي
لخراب بلد أو مملكة فضلاً عن بيت مثل بيتك »

فقال لي رئيس الأطباء : « نعم لقد صدقت
يا حاجي بابا » ثم هز رأسه بمنّة ويسرة وقال : « لقد
كنت شديد الحماقة لما افترضت بسحر عينيها وإن
عينيها ساحران »

قلت : « ما الذي يفعل الشاه إن وجدها ؟ »
فقال : « ليفعل بها ما يشاء ! ليرسلها إلى جهنم
إلى بيت الشيطان الذي تمبده ؟ إنني لا أفكر فيها
ولكنني أفكر في نفسي » ثم نظر إلى نظرة حنو
وقال : « أنت تعرف يا حاجي بابا أنني كنت دائماً
أحبك وقد أوتيتك في منزلي عندما كنت بشير ماوي
وارتفعت مكاتكت بفضل مساعدتي وأريد منك أن
تدل على عرفانك الجليل وأمالك الآن فرصة سانحة »
ثم مسح لحيته بيديه وقال : « أنت تعرف
ما أردت أن أقول »

الدماء . وكانت لا تزال تنفّس وبسمت أنفاً تقولها
ولكنني لم أفهم معناها ثم خفت صوتها وصاح أحد
الخدمين الذين جاء بها : « هل ماتت ؟ »
فقال أحد الأوغاد الذين معي : « نعم »
قال ذلك الخادم : « إذن فضعوها في التابوت
واذهبوا بها إلى الجحيم »

وقت قمضت متدلي في دم زينب وقتت إنه
أثر منها سيقى ممي ما دمت تحياً . ووضع الأوغاد
جثتها في التابوت وحملوها إلى المدفن ليدفنها في
قبر كان قد أعد لذلك من قبل ، ومشيت معهم بحركة
آلية ورجلاي لا تقويان على حمل جسمي
وضعا التابوت على الأرض وأخرجها منه الجثة
وجلس على قبر قريب منه وأخذت أحطاماً يمشون
وقد رأيتهم وهم يمشون الجثة في القبر ثم يثبتون
الأحجار في مدخله

ولما انتهوا نظروا إلى وقالوا : « لقد فرغنا » .
فقلت : « اذهبوا الآن وسأبكم » . وظللت جالسا
على القبر

واشدت ظلام الليل ، وكنت في ذلك الوقت
أسمع الأصداة تتجاوب من ناحية الجبال ، وكانت
رغبتي في العودة تقل كلما طالت مدة جلوسى بهذا
المكان ، وذكرت حياتي الماضية عهداً بصد عهد
وأحس قلبي بمخشوع وروبة ، وزهدت الحياة التي
أعجبت الآن مرادتها كأشد ما رأيت في أدوار الحياة
وأخيراً عزمت عزماً صادقا أكيداً على أن أكون

درويشاً بالمعنى الصحيح لا كما يعيش الدراويش
ظللت في هذا المكان حتى ابتنى الفجر وأنا
أدبر خلة لحياي القليلة ، واستقر رأيي في النهاية
على أن أذهب سائراً على قدى إلى أسفهان حيث

لا شأن لهم وليس في نفوسهم مثل ما في نفسي
من اللطف

وكان الوقت إذ ذاك وقت الثروب وقد اختضبت
السبا بلون دموى وترايل نور النهار . وكانت ليلة
البدر ولكن السماء ملبدة بالغيوم

ولما أذن المؤذن لصلاة المساء أحسست أن
صوته يبعث الموت في نفسي لأن هذا الصوت كان
نذيراً بموت الفتاة . وذهبت مسرعة إلى المكان
المهود فوجدت أصحابي قد وصلوا إليه وهم جالسون
بغير مبالاة على التابوت الذي ستدفن فيه زينب
وقلت لهم : « هل انتهيت ؟ »

فقالوا : إنهم لم ينتهوا
وبعد ذلك ساد صمت رهيب وقد كنت أغنى
أن يكونوا قتلوها قبل مجيئى حتى لا أشهد هذا
النظر المذكر . أما وهو لم ينته فلا بد لي من رؤيته .
وبعد قليل جاء رجلان من خدم القصر يقودان
بينهما فتاة تصرخ بصوت مريع كأنه صوت عشرين
مجنوناً يضحكون في وقت واحد ، وكان الرجلان
يجرأها بمنف وهى تقاوم وتأبى للسير

وكان صوتها يشتد كلما دنت منا فبدا التأثير
حتى على أوجه الجالدين اللاط الغلوب ، أما أنا
فذهلت ، ولو سلت في هذه اللحظة عن شعورى
لما استطعت وصفه أو تحديده وقد كنت بالرغم من
ذهولى وشروء ذهنى قادراً على رؤية ما يجري أمامي
من الأمور

وأخيراً سمعت صرخة عالية تلاها صوت جهم
يقع على الأرض وإذا نسيت شيئاً فيستحيل أن
أنسى المرارة التي شغرت بها عند سماع هذا الصوت
ثم رأيت جسم زينب ملقى على الأرض في وسط

ولم تكن لدى رغبة في الكلام لما كنت أشعر
به من الهم ولكن مسلك الرجل معي جعلني أنكمم
معه وأصني إليه

سردت عليه قصتي منذ فارقته وقد أعجبني منه
ما كان يظهره من الاحترام الشديد لي حتى إذا وصلت
إلى القول بأنني عينت مساعداً لرئيس الجلادين عاد
الرجل يسجد أمامي لأن تجاربه دلته على وجوب
الاحترام لكل من يشغل مركزاً كبيراً . ولما
أخبرته أنني تركت هذا المنصب وتركته طهران ،
شعرت بأن مركزي يسقط من عيته وقال لي إنني
لا أسأوي ثياب الشرف التي كنت ألبسها . وقال :
« أهكذا يضحي إنسان بمجازه ومستقبله من
أجل امرأة ؟ »

ثم أطرق مدة طويلة قال لي بعدها : « إن سير
الناس إلى السعادة غريب متفاوت ، فبعضهم يسير
إليها من أخصر طريق ، والبعض يسير إليها من الطريق
الذي لا يؤدي إلا إلى ضلالتها . والبعض يسير دون
أن يسأل إلى أية جهة يؤدي طريقه ، والبعض إذا
ما اقترب من غايته عاد من نفس الطريق الذي كان
يسلكه زاهداً في الناية مستخفاً بالمتاعب التي طأها
في سبيل الرسول إليها » واستشهدا بآيات الفردوسي
في هذا المعنى

وبينا نحن نتحدث إذ رأينا (خاناً) نقالاً إلى البروش
« تمال وانس أحزانك . تمال معي فانا ستقضي ليلة
لذيذة في هذا الخان وسأقص عليك أخباري أثناء
وجودي في الآستانة »

كنت راغباً في تلبية نفسي لعل أنسي همومي
فقبلت اقتراحه ومشيت معه إلى ذلك البناء . وقد
وجدنا فيه ناساً من جهات متعددة في فارس . وبعد

أرى أهل وأعيش معهم عيشة الزاهد التصوف ،
وقلت إن أب أسبح في أخريات أيامه فليلي أن أسعده
بعودتي إليه وهو في سن الشيخوخة ، وأحتمل
عنه ما لا يطيق احتاله من أعباء الحياة وتكاليفها
ورأيت أن بقائي في منصب أو في هذه المدينة أصبح
مستحيلاً لأنه فوق طاقتي . ولو بقي في نفس الشهور
التي كنت أحس به هذه الليلة لصرت من أتى
أولياء الله وأكرهم ورعاً

الفصل الرابع والأربعون

ماحي بابا يقابل صديقاً ليساعده ويمنع عنه الخطر
أخرجت من جبي التبدل المصطنع بدم زيب
وأخذت أفكر في مركزي الخفيف الرعب ثم وقفت
أمام القبر وأقمت الصلاة . وقد أراحت هذه الصلاة
صدري وجددت قواي فمزمت في الحال على مفارقة
طهران وسلكت الطريق المؤدي إلى آصفهان
وصلت إلى الطريق المؤدي إليها فلم أر قافلة مسافرة
فشيت إلى الصحراء وهناك وجدت رجلاً غريب
الشكل والحالة يخاطب شيئاً أمامه على الأرض ،
فدنوت منه ووجدته يكلم حمامته . ولما دنت اقترباً
منه وجدت أنني أعرفه وهو أحد الدراويش الثلاثة
الذين تعرفت بهم في مشهد وهو الذي كانت صناعته
القصص وإقامها في الجامع

ولما وقع نظره على عرفتني وأقبل نحوي ليما تقني
وسألني عما كنت أقوله في هذه السنوات . وقال
إنه مسرور برؤيتي . ولم يزل حديثنا يتقدم خطوة
بخطوة حتى تذكرنا ما كان من أمره وأمرى وقال
لي إنه ذاهب إلى الآستانة وإنه سيذهب منها إلى دلم
بعد أن يقضي فصلاً في آصفهان

فإنه أت من الأستانة وقال إنه رأى رجلاً أخذ
يصفه بكل صفاتي ليوجه إليه اهتمام النازا كشيء .
وبعد أن أتم الوصف حتى لم يبد يقص إلا أن يذكر
اسمي ، قال له : إن ذلك الرجل ذهب من طريق
كذا ... وأخذ يضل النازا كشيء على أن يحذرنى
فيها يبد من سلوك هذا الطريق

وقد كنت أطلق أى شيء سوى أن يظفر بى
هذا الجلال لأنه إنجاب ليقبض على ؛ وعمال أن أجده
فى نفسه أو فى نفس غيره من الجلادين شيئاً من
الرحمة . وبعد أن ذهب ذلك الوعد وعاد الهرويش
سأته عن المكان الذى يمكن أن أذهب إليه
فلا يدر كونه فقال لى : إذهب إلى مدينة « قم »
وستصل إليها فى الصباح . ومتى وصلت إليها فاذهب
إلى قبر السيدة فاطمة الزهراء فهناك ملجأ لا يصل
إليك فيه أى إنسان ، وإذا ضبطت خارج سور المدفن
فلا أمل لك فى النجاة »

قلت : « ولكن كيف آكل وأعيش فى داخل
المدفن ؟ »

قال : « أترك لى ذلك فأنى سأعولك لأننى
أعرف المكان وأعرف كثيرين فيه . وقد اضطررت
مرة إلى الالتجاء إليه لأننى قدمت سماء لأحدى نساء
الشاه لى تقتل به منافقة لها » وكان وصولى إلى
المدفن قبل خمس دقائق من وصول الجلال الذى جاء
ليقبض على ولم أشق قط مريحة أرغد من مهدي
فى ذلك المدفن لأن كنت لأعمل أى عمل ، وكان
زائرو المقبرة على كثرتهم يطوفون كل شيء تميل
نفتنى إليه . والشاه الوحيد الذى تخشاه فى هذه
الحالة هو أن يصدر الشاه أمراً بمنع الناس من إعطائك
طعاماً ، وبأن من يخالف ذلك يصبح مستحقاً

أن استرحنا من مشينا الطويل أكلنا أكلة شهية
ثم طلبنا ترجيلين وبدأ يقص على قصته التى وعد بها
وكنت أجالس الاستاء إليه ولكنى وجدت
ذهنى شارداً بى بعض ما يسمع ويفوته البعض
ولاحظت أن ستراسميه كانوا منصفين أشد الانصاف
وقد أبدوا أعظم اهتمام ودلى على ذلك أنى كلما تنقبت
فى لجنة الذكريات نهى شخصهم وعزمت على أن أستعيد
هذه القصة فى وقت آخر لكثرة ما قاتنى منها . وكنت
أحسد أصدقائى السرورين على سرورهم وقت
إلى حلول الوقت الذى أكون فيه ملتهم

انتفى النهار عند ما انتهت القصص التى كان
يروها وأشرق البدر وكانت السماء صافية لأشياء
فيها من النجوم التى كانت متلبدة فى سماء الأسس .
وبينا نحن جالسون إذا أقبل نحو الخان فارس يبدو
على جواده

وكان من فى الخانات يدخلون فى النلايين
ويثاقشون يهدوء . وكان خدمهم يتولون تهيئة
الأسرة للنوم ، وأما أنا فمزمعت على أن أنام على الأرض
العارية وأضع تحت رأسى قطعة من الحجر ولكن
لما وقع نظرى على الفارس المقبل تنير رأيى فى ذلك
كان هذا الفارس أحد النازا كشية الدين
حضرنا مى مقتل زينب وقد فهمت للفرس من
عجيبته عندما سمعته يقول لبواب الخان : « هل جاءكم
أحد من طهران ؟ » وفهم الهرويش حقيقة الأمر
بسرعة مذهشة لأنه كان على الدوام حاضراً البديهة
وفذلك أسرع إلى الباب ليتولى الإجابة على كل سؤال
يوجه إلى البواب أو إلى غيره

وقد قال له إن كل من بالخان أتوا من جهات
معدودة ولكمهم جميعاً فذهبوا إلى طهران إلا إياه

« إن هذا الجندي يهين المكان المقدس الذي لجأت إليه ويريد أن يأخذني بالقوة . فقولوا له هل تسمحون بذلك أم لا »

انضم الجميع إلى جانبي وقالوا ما سمعنا قط بمثل هذا من فارس، فانت لا تستطيع أخذه وإلا استرثت منك غضب الزهراء وعلماة الدين جميعاً ولن ينجيك من غضبهم انتأوك إلي للشاء أو لجوئك إلى حماية الشيطان »

فلم يعرف الناز كشى بماذا يجيب وبقي هادئاً مدة ثم ألان صوته ورأه أن يفاوضي في المبلغ الذي أؤدقه إليه إذا تركني وعاد وحده . فلم أنكر عليه حقه في أن ينال ما يروض عليه مشقة التعب لأنى ما كنت أفعل غير ذلك لو كنت في مكانه ولكنني أفضته أننى لا أستطيع أن أدفع غير القليل لأنه يبرق الظروف التي غادرت فيها طهران . لكنه أمر على أن أدله على المكان الذي تركت فيه مالى بطهران ليأخذه متى عاد فأبيت ذلك عليه وأمرته أن يذهب ويترك المحزونين في أحزانهم

لكن الحقيقة أن الرجل كان قد أخذ ما وصلت إليه يده من أمتعتي وثيابى وفراشى وأثاث منزلى وهو الذى أبلغ للشاه حتى وتطوع لطاردنى لى أمكنه من الحصول على ما ظننى أملكه من مال غنوه وكان قد لاحظ حالى ساعة نفذ الحكم في الفتاة

وتوقع أن يحل بى نكبة فيعمل على من نصي ولا رأى أن الأمر الذى معه ليس إلا قصاصة من الورق لأنه لا يستطيع اعتقالى مادمت في ذلك اللجأ — لم يجد بداً من العودة إلى طهران ولكنه قبل أن يذهب أوصى حاكم المدينة بأن يشدد فى مراقبتى وبأن يتفانى متى خرجت من اللجأ ويرسلنى إلى طهران

غير اللطيف الشاه

« يبيع »

للأعدام ، ولكن حالك لا تدعو للشاء إلى إصدار مثل هذا الأمر الذى لا يلجأون إليه إلا في حالات خاصة شديدة الأهمية

قلت له : « أنا لست أنسى جريك ، وربما عاد نجى إلى الارتضاع فأريك أنى لست بمن يضيع الجليل عندهم ، وأنت تعرف حاجى بإا من زمن قديم وهو ليس من الذين يضمنون حسناتهم على راحة اليد ويخفون سيئاتهم تحت الأبط وأنا لا أزال كما هرقتنى في مشهد فئات التبغ في تلك المدينة هونته مساعد النازا كشى باشى » فماتنى الدرويش وقال : « اذهب حيث شئت فان الله معك »

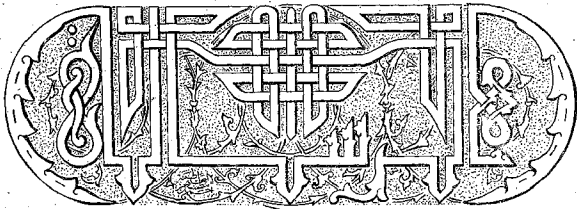
فسرت ، ولما طلع الفجر رأيت على ضوئه قبة القبر ، ولما صرت على مرمى البهم من مدينة قم رأيت ذلك الفارسي يمدو نحوها فلم أنظر يمينا ولا يسارا حتى وصلت إلى القبر الشريف فقبلت عتبته وحمدت الله وشهدت أن لا نبي بعد رسوله وصليت على الامام على

وفي هذه اللحظة وصل الناز كشى فجانى تحية فائرة وقال إن الشاه أمره بإحضارى من أى مكان يجئني فيه . فقلت له إنى قد لجأت إلى هذا القبر ولنى أفكاره باختياري . فاذا كان لديه أمر من الشاه بأن يفعل ما لا يتفق مع حرمة هذا المكان فليأخذنى بالقوة .

قال لى : « وما الذى أقوله إذن يا حاجى بإا ؟ إن الأمر الذى صدر لى لا يتضمن استثناء وإذاعدت دونك فربما قطع الشاه أذن بدلا منك »

فقلت : « سيقبل ذلك إن شاء الله »

قال وقد استولى عليه الغضب : « تقول إن شاء الله ؟ إننى أكون حماراً إذا لم أعد بك » ثم ارتفع صوتى وصوته فأقبل الدرويش المقيمون في هذا المكان وسألونا عن السبب فقلت لهم :



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْطِبُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النِّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ أَسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّظُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْتَرِكِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسَجَلُ الْأَدَابِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفَ عَامَّةِ

الدُّسْتُرَانِ لِلْأَهْلِ سَوْنِ قَرْنًا ، وَالْخَارِجِي مَا يَسَاوِي جَنَاهَا مِصْرِيَاءَ ، وَلِلْبَلَدِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَجْزَمِ ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزايت

برل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن المبدد الواحد

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عادي - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للتفصيل والبيان

تصدر مرة في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٦ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ - ١٥ فبراير سنة ١٩٣٩

العدد ٥٠

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة

١١٤ صلاة الفجر	أفصوصة عراقية	يقلم الأستاذ على الطنطاوى
١١٩ بين الحفل والمدرسة	أفصوصة مصرية	يقلم الأستاذ دروي خشية
١٣١ شجاعة امرأة	للكاتب ل. غارمان	يقلم الأديب ناجى الطنطاوى
١٣٧ الابن	للكاتب الفرنسي بول بورجييه	يقلم الأديب كمال الحريرى
١٤٣ مجنون زاهد	أفصوصة مصرية	يقلم الأديب جميلة الملايلى
١٤٩ بونس	أفصوصة مصرية	يقلم الأديب هيد الحليم المشيرى
١٥٥ حاشى بابا أصفهانى	للكاتب الانجليزى « جيمز مور »	يقلم الأستاذ عبيد الغليف النشار

صَلَاةُ الْخَيْرِ

أَقْصَوْصَ عِرَاقِيَّةَ
بِقَلَمِ الْأَشَّادِ عَلَى الطَّنْطَائِي

قد احتواه هذا الواقع القبيح ،
وذكر ما كان بينه وبين هذه البنى
التي قُسمت إليه فرائنها ، وأحاطته
بذراعيها ، فأحس بالاشمئزاز ،
وذل في عين نفسه وتضاد ..
ماذا فعلت بنفسى ؟ أهذه هي
مبادئ وأخلاق ؟ وبعد فإذا
أصنع الآن ؟

وم يابقظ إيمانه واللجوء إلى ربه ، ولكنه
لم يستطع فقد ألقت المصيبة حجاباً على قلبه ، ورائت
الخطيئة عليه ، فأحس بالألم يقطع في فؤاده ، فقام
إلى ثيابه يرتديها على عجل ليخرج من هذه الدار القذرة
التي أضاع فيها عفافه ، وخسر طمأنينة نفسه .
وفكر في الناس ، ألا يرونه ؟ ثم رأى أن لا بد له
من الخروج من هذه الدار التي يحس أنه فيها كمن
أُتِيَ في بركة قدرة ليوت فيها غرقاً ...

وألقى على المرأة نظرة أودعها كل ما في نفسه
من كراهية واحتقار وبقص مشتمراً وخروج هارياً .
ولكن كيف له بالمهرب من نفسه ، والفرار
من ضميره الذي يذيقه من التعرّيج والازدواء ما ليس
لخلق يحمل مثله طاقة ؟ وكان شارع الرعيد خالياً
مقفرًا إلا من أعقاب السابلة ، من كل ناس أوداع
لأنه لا يبقى بقظاً في مثل هذه الساعة إلا البؤس
والرذيلة ، وكانت ليلته مجنونة ذات رياح تموي في هذا
الليل مثل عواء الدئاب الجائعة يخالطه أصوات آلاف
من النوم تنب مماً ، فتلاً أصواتها الفؤاد السليم
ذهراً ، فكيف يمثل فؤاد رجب أفندي المروع
الكليم ... وكانت الأمطار تسكن لحظة ثم تمود
فتنهطل ، تنصب انصباباً كأنها هي تريد إقراغ السحاب

... أفاق في الساعة التي أنت ، فضرب يصيره
إلى الجدار حيث الساعة الكبيرة ، ليرى كم بقي
من الليل ، فلم يجد على الجدار ساعة ، وإنما وجد
صورة لامرأة عارية ، تبدو له على ضوء الصباح
الكليل كأيّة مظلمة عليها من الوحشة والقبح ستار ،
فصاف النظر إليها ، وأجال عينيه في أرجاء الغرفة ،
فإذا هو منكر لما ، لا يعرفها ولا عهد له بها ، وإذا
هو يري إلى جانبه على السرير امرأة عارية مفتوحة
الثم تظ غليظاً منكراً ، وقد سالت الأسئلة
على وجوها واستطلت ، فتضو بالله من هذا الحلم
وألقى برأسه على الوسادة ، يفكر تفكيراً مبهماً
مختلطاً ، فما لبث أن عاد إلى المنام فرأى نفسه ملكاً
من ملوك الأساطير ، مضطجماً على سرير الرصع
بالذهب ، المحلى بالياقوت والرجان ، والوصائف
قائماً على رأسه ، طريات السوق ، بإذيات التنحور
والصدور ، ينزرن عليه الورود ، ويضمخن مفرقه
بالسك والنعير ، وأمامه المنون والمننيات ، وإلى
جانبه فتاة جمع الله فيها ما تفرق من سمات الجلال ،
فلم يتالك أن أهوى على فمها بقيلة ...

... فأحس بها تدفمه عنها ، فغظر فإذا هو
مستيقن أن ما يراه حقيقة ثابتة ، وأن حلمه الجميل

الذنوب والله كريم غفار ، لو جاءه البعد بقراب
الأرض خطايا وجاء معها بالثوبة الصادقة بشروطها
الثلاثة لجاءه الله بقرابها مغفرة ، والله غفور رحيم ...

وكان رجب افتدى في الخامسة والعشرين ، في
السن التي تركب المرء فيها شياطين الشهوة ، وتزين
له السبل إليها ، فلا ينغمه إذا خطا الخطوة الأولى
عقل ولا تفكير ، ولا يقف إلا في آخر الطريق
كالصخرة على شفر الوادي مابقيت مكانها فهي ثابتة
مستقرة ، فإذا زحزحتها قلبها قلبية واحدة هبطت
إلى أحماق الوادي ... وكان رجب افتدى قد نشأ
متديناً ، وكان شيخاً بممة وحية يطلب العلم على المشايخ
لم يدخل مدرسة نظامية ولم يختلط بشباب المصر ،
فكانت الممة عصمة له من البلاد ، وسداً يحول بينه
وبين (الأوتيلات) والمرافق والحانات ، وكانت
نفسه كهذه الممة التي على رأسه سفاء وطهراً
وبياساً ولكنه اضطر منذ أعوام إلى العمل في ديوان
من دواوين الحكومة ففرغ الممة مكرهاً ، وودعها
أسفاً ودخل اللجة وهو جاهل بالسباحة ، ليس له
بطبيعة الماء خبرة ، ولا بمسير الموج علم ، فغلبته
موجة فألقته بحيث ترى ... ولو أنه عرف طرق
الشر لما سلكها ، ولو كان متزوجاً لما هوى ،
ولو أحسن اختيار أصحابه لما انساق هذا المساق ،
ولكنه كان جاهلاً بما وراء البحار والمدرسة والسوق ،
يستوى عنده في عالم الرذيلة جلوس في قهوة ،
أو شهود رواية في سبيل ، ومساقرة الخمر في الحانة ،
ومجالسة البني في الماخور . وكان حزياً ، ونفس
الزب مهما اتقى وصلح كستندوق الديناميت لا يؤمن
انفجاره إذا دأله لب أو مسسته نار ، ونفس المزب

في دقيقة واحدة . والريح تضرب حبايبها فتصرفها
ذات الخيل وذات الشمال ، والبروق تسطع خلال
ذلك تحطف الأبصار ، والرعد يدوي فتحس أن قد
تقلقت بساكنها الأرض .

وغرب رجب افتدى يده إلى جيبه فألفاه فارغاً
وذكر أنه دفع مرته كله الذي قبضه أمس لهذه البني ...
فظم عليه الأمر ، وبلغ من سخطه على نفسه أن ود
لوعض يده بأستانه ، أو قطع شمره بيده ، واستفطع
ما أتى وفكر في أهله الذين لم ينب عنهم من قبل ،
ولم يبت ليلة إلا معهم ، فكر في أمه التي يمل أنها
لا ينمض لها جفن ما دام ثابتاً عن البار ، وأبيه
الشيخ للسكن الذي لا يفكر إلا فيه ، ولا يعني
إلا بسعادته . ماذا يقول لهم ؟ ومن أين يوضع عليهم
مرته الشهرى الذي ينتظرونه ساعة بعد ساعة ،
ليشتروا به الخبز ... أيقول لهم إنه وضه كله في يد
موسس ثمناً ليلية ثم وعار ؟

لا . الموت أهون من ذلك ! وفكر في الموت
فعلا : ماذا على إذا ألقيت بنفسي في دجلة فسترت
فيها نعى ... ولكن هذا الخطر اعلم من رأسه على
مجل ، لأن رجب افتدى كان متديناً يعلم أن السلم
لا يمد أبداً إلى هذا الانهزام الشائن من غمرة الحياة
وباب الفضيلة مفتوح أبداً ، والثوبة تنسل النفوس
مهما تراكت عليها أوزار الآثام ... وهم بأن يستغفر
الله ويدعوه ، ولكن الحياة من الله عقد لسانه ، أن
يتوجه إليه ويسأله وهو غارق في حماة الرذيلة إلى أذنيه
ونسى أن السماء يكون أدنى إلى القبول كلما كان
البعد أقرب إلى الاضطرار ، وأن الندم على ماضى
والزعم على الاقلاع عن الذنب فيما يأتي ، مع ترك
والانصراف عنه دواء يشقى أكبر المذنبين من أشد

المسكين قد قرأ دواوين الشعر النزل ، وروايات الحب المندري كلها ، فظن أنه قد غدا قيساً جديداً ، أو روميو آخر ...

وكان رجب أفندي يمرض في نفسه هذه القصة وهو يعيش متسللاً في ظلال الجدران ، في هذه الليلة المصاصة للماطرة ... وبذكر كيف عاد إليها بعد ذلك فسمع حديث شقائقها ... وبكى ليكنها ، كما كان يفعل المحبون الذين قرأ أخبارهم في الأشعار والروايات وصب بين يديها ما كان في حبيبه من مال .. وكيف ندم وتنبه إيمانه في نفسه . فزمز على ألا يراها من بعد ، فأبطل رفاقه عزيمته وأتهموه أن الشاب المصري لا يليق به أن يفعل ذلك فداصرة ناقة ورابية، وهي دائماً في أبواب المثلة الماشقة للفريرة تهيج نفسه وتطمعه ولكنها لا تطعمه ، وتمرض عنه ولكنها لا تؤسسه ، فهو يئسها أبداً رانها فيها، ولكنه لا يصل إلى شيء

واستيقظ إيمانه ككرة أخرى ، فآزمع أن يتركها أبداً ، وذهب إلى مكتبه بزعجة جديدة ، وراحة يال وأدى عمله بنشاط ظاهر ، وصرت على ذلك أيام حسب فيها أن كل شيء قد انتهى ، وأن هذه السحابة قد انقشمت من سماء حياته ، ولكن البريد حمل إليه كتاباً منها فقرأه وغضب وشرقه بالضطراب عصبي ظاهر . وخرج يعيش إلى داره ، فأحس أن نفسه تنازعه الذهاب إليها ، فأعرض ومضى قدماً فاشتدت رغبته في زيارتها فزمز لنفسه أنه ذاهب لتأنيبها وإعلان القطيعة بينه وبينها ... ودخل عليها مقطباً ورد على تحيتها باهراض ، فسألت: مالك أيها الحبيب؟ فقال : لا شيء ! لست بحبيب أحد من فضلك

يلهما كل ما في السوق من متبرجات بافارات ، وما على الشاطئ من عارين وعاريات ، وما في السينا وللقصص من أخبار الماهرين والداغرات ... فأبان تأمن انفجار الديناميت ؟ ثم جاءت طامة الطامات فالتفت حول رجب أفندي نفر من زملائه تطوعوا لاغوائه احتساباً لوجه إبليس ، فوجدوه شديداً عنيقاً ورأوه قد ثار الثورة الكبرى لما أرادوه على دخول القهوة ، فعملوا أنه قد صف قوى نفسه كلها في هذه المركة العنصرية ، ولم يبق لما وراءها شيئاً ، وأيقنوا أنهم لو غلبوه هذه المرة غداً منقاداً لهم طيعاً . فما زالوا به براوغونه ويحتالون عليه ، ويسألون من يثق بهم على مسمع منه : هل في دخول القهوة ما يمس الدين أو المرض ، أفنونا يا مسلون ؟ . فيقولون : لا ... وإعماهي مضيق للوقت ، مفسدة للصحة ، وإنها عادة مؤذية ، ولكنها لا تنافي الدين ، ولا تمد في المكفرات ... وما زالوا به حتى دخل القهوة ، فجلس مستحيكاً يتصبب منه العرق ، وظن أن كل ما في الأرض عيون تنظر إليه ... ثم لم يطق البقاء فخرج ، ولكن رجله عقلت في الفخ ... واعتاد التهوات ، وسار إلى السيئات ، وما في ذلك كله بأس ، ولكن رجب أفندي اعتقد أنه هوى وزل مد دخل القهوة ، وأن السديينه وبين الرذائل كلها قد أنهار ، فل يقف في طريقه شيء ، وعرف ذلك أصحابه من عباد إبليس المخلصين ، فأغوا ليهبهم على ذقنه ، ليستكملوا سرورهم بكال هذه الرواية ، فأخذوه إلى دار من تلك الدور التي تسمى (أوتيلات) أو (بانسيونات) ولكن جذرائها تنضم على ماخود من شر المواخير ، ومبعد من مبادئ إبليس ، وأغروا به الفتاة ، وأوجوه أنها تحبه وتموت عشاقاً له ، وكان

وذكر كيف أذمع الاتصال بها مرة واحدة ،
أو الاضرار عنها مرة واحدة واطراحها ونسيانها
وأني لذلك وحى لاندخ إلى إضراره طريقاً لإسلكته ،
إنه يراها كالأنف البرقشة ، ويتصورها أحياناً حشرة
قذرة ولكنه يود مع ذلك لو قبض عليها فمصرها إليه
وعصرها وأكلها أكلاً ...

وذكر كيف كان الندم يذمر نفسه ، فيأوي
إلى غرفته يشتغل بالطالمة ، ويقبل على كتب الرقائق
ويخرج إلى القارب والمستشفيات ، يتمنظ برؤية الرضى
والتفكير في الأموات ، حتى إذا أحس البرء قليلاً
جاء رفاق السوء بالرض المضال ... وذكر كيف
كان ينفق في كأس من الويسكي أو الشمبانيا ما يكتفي
أسرته أسبوعاً كاملاً ، كل ذلك من أجل هذه الفتاة
التي اتصل بها أخيراً ، فتكشفت له عن حشرة
حقيقية ، يمسق عند رؤيتها اشتزازاً ...

وكان يفكر وهو يسير مسرعاً ، يريد أن يفر
من الناس حتى لا يراه أحد ، فلم يع على نفسه
إلا وهو في ضاحية (الأعظمية) ...

قال لي وهو يتحدث حديثه :

... فلما بلغتها سمعت المؤذن يعبد الله ويذكره

ذكر السحر

ورأيت جارناً أبا صالح ، يمشي إلى المسجد وهو
يقول : لا إله إلا الله ، يقتلها من قرارة قلبه ،
فتواريت منه كيلاً براني ، وجملت أذكر أيام كنت
لا أعرف هذا السهر الذي جر على كل بلاد ، فكنت
أنام عقب المشاء ، ثم أفيق في السحر ، فأرافق
أبا صالح إلى المسجد ... فرأيت بيني وبينه أمداً بعيداً
وتخلت في خطايي وآثمي كلها ، لأن صوت المؤذن

وشعر بالارتياح ، وسره أنه استطاع أن يخاطبها
بمثل هذه اللهجة ، وتوقع أن يجيبه بجفاء فيضرب
وبصارحها بالطليعة . ولكنها ظلت سائمة ، وظل
هو مطرقاً ينظر جواب ما قال .. فقال عليه الأمر
فرغم بصره ليرى ما تصنع ، فالتفت نظراتهما وخيل
إليه أنه رأى في عينها معنى الألم والعتب والاختلاص
يلوح لمن خلال جفونها للتاعة ، وأهدابها الطويلة
تضمضع ولان وحقق قلبه بشدة وأحس بالرغبة الملحة
في الاقتراب منها وعناقها ، ونهض ليدنو منها ولكنه
لم يجزؤ على ذلك فلبث قائماً . قالت : مالك ؟ لم يجب ، فددت
إليه يدها لتجلسه ، فلما أحس بأصابعها بين أصابعه
اهتز جسمه كله ، وانتفض على نحو ما يصف الشعراء
والقصصيون ... وجلس إلى جانبها وألقى يده على
كتفها كأنها كان ذلك عفواً ، فشعر بلذة وسره
ما كان من جرأته ففكر في أن يلف يده حول عنقها
ولكنه خشي أن تعضب .. وأن ترى في ذلك تمديداً
على عافها ، وذكر أن ماجدولين غضبت لما قبلها
سقيفن لأن هذه القبة قد أفسدت الهوى المذرى ..
الذي كان بينهما ، ثم اشتدت رغبته في تطويقها
بذراعه ، فتردد حيناً ثم لف ذراعه حول عنقها ،
وأتم ما كان يفكر فيه فأسند رأسه إلى كتفها
كما شاهد المثلثين في السيما بفلمون ، فلم يبد عليها
شيء من التعذب فأوغل في الجراءة فأجذب يدها بيده
الأخرى ورفها إلى فمه فس أناملها بشفتيه ...
ونظر ماذا تفعل ؟ فأنهى قد أنثت رأسها فوق رأسه
حتى لامست خصلات شعرها وجهه ، فالتبث للثار
في أعصابه وهم بها فوثبت كالقطة .. وجملت تشكو
إليه ما عليها من الدين ، فدفع إليها كل ما في جيبه ..
فلما احتوت المال يدها تخلصت منه فلم يدر كيف
خرج إلى الشارع ...

سر الليل ، فأعاد الله إلى ما كان سلبنيه من الأنس
وسعادة الروح بالتوجه إليه . ومراقبته ...
وله الحمد على ذلك

الآن عرفت جمال الدنيا ، لا كما يقول أصحابك
الأدباء ، من أن المرء لا يعرف جمال الدنيا إلا بالحب
وأن الحب لا يرى الدنيا جميلة إلا إذا أضاعها عينا من
يجب - فإذا غابت غاب جمالها - فأى كرون هذا الذى
تحتويه عينا امرأة قد تكون نيكاً ؟

إننا نحتاج إلى مبشرين بالفضيلة ممن عرف الرذيلة
وخبرها ، أما من دعا إلى الفضيلة لأنه لم يقدر عليها
فهو شر من الشيطان ، لأنه إن قدر عليها انقلب
داعراً خبيثاً فأضل معه من كان اهتدى بهديه ،
والشيطان يدعو إلى الرذيلة على النور فلا يضل به
إلا من أراد الضلالة ، وليست فضيلة المجاز إلا انتقاماً
لنفسه من الفادرين ، ولقد ترددت بين الحياتين :

حياة بلذها للشبان ويأنسون بها وهى حياة الانطلاق
من كل قيد ، والسلى وراء اللذة ، والاستجابة إلى
داعى الهوى ، وحياة لا تمجب أكثر الشباب لأن لها
غاية سامية ، ووزارها حياة أخرى ، وفوقها إله قادر
يبلغ صاحبها أنه إن قاته حظه من لذة عاجلة فانية ،
فاله من اللذة الآجلة الباقية ، فتأديت بأدب القرآن
فكنت أغض البصر ، وأزهر اللسان عن الفحش ،
وأبتعد عن المنريات فقلت والحمد لله السعادة كلها !

قلت : أتأذن لى بنشر حديثك ؟

قال : نعم ، ولهذا حدثتك به ولكن دع الأسماء
لا تصرح بها . وكذلك قلت !

على الظنطاري

وجلال السحر قد نها فى نفسى الدخيرة الدينية ،
فأدركت قيمة الاستقامة ، ولاة الصفاء ، وعلت
أن هذه السعادة التى يحس بها المؤمن لا تمدها لها نذ
الجسم ، ومنع الحب ولا توازها ... وأدركت أن
الصلة بالمرأة سراب خادع تراه من بعيد ، وتسمع
وصف زلاله الصافى ، ومائه النسيم ، فيهبجك
الشوق إليه ، ولكنك إذا جثته لم تجده شيئاً ...
جرب هذه الصلة مرة تحس بهوائها وسخفها ...
لا ... لا تجربها ، فإن من جرب المحرب حلت به
الندامة ولا تناسر بدنيك وشر فك لتعلم هذه الحقيقة
بل تنى بما أقول لك . ولا تتر هذه النار فى نفسك
فأنك لا تستطيع أن تطفئها . إنه لا يطفئها إلا أن
تستمتع بكل جميل فى الكون ، وهبات . إنك إذا
استطعت لا تقوم صحتك به ، ولا تدوم لك وأنت
تتفق منها بلا وحي ولا حساب

لما أحسست بذلك أسرع إلى الحمام فتطهرت ،
وخرجت أدم المسجد قائماً ، وأحلف لك أنى لم
أجوز به حتى وجدت مثل ارتياح الفريق إذا خرج
إلى الهواء ، أو الخنثق إذا فتح له مجرى النفس ،
وشمرت أنى أحمو وأرتفع ، وأن هذه الأغلال التى
كانت تقيد ردى قد تحطمت وانكسرت ، وأن هباء
الخطايا قد نزل عن كفتى ، ولما وقفت فى الصف
وقلت : الله أكبر خرجت من دنياى

وقرأ الامام : « يا عبادى الذين أسرفوا على
أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله ينفى
الدنوب جميعاً » فجاء ذلك برداً على كبدى وسلاماً ،
فصححت التوبة ، ورأيت أن أسأل البلاد من رفاق
السوء فمخبرتهم جميعاً ، وقطعت جبل ودم ، وتركت

— ليس غروراً ،
لكنك رجل لا تدري من
أمور الدنيا إلا الناف
والمحرث والساقية... إنك
مثل البهائم التي لا تعاشر
غيرها

— للبهيمة التي تفيد

بَيْتُ الْحَقِيقِ الْمَدْرَسَةِ

اقصص مصورة
يقلم الأستاذ ذري خشبة

— أحسن من الانسان الذي يضرب !
— لملك تمنى توفيقاً بهذا الكلام ...
— هو ذاك ... أنا لا أعتى أحداً سواه
— وفيهم ضحك توفيق ؟ هل كسر ذراعك
أم سطا على حقلك ؟
— لا هذا ولا ذاك .. لكنه أشاع من جهودنا
هذه السنوات الأربع ، وقد كلفتنا مائة جنيه على
الأقل يارقة !
— فداؤه كل ما نملك ... إن دخوله علينا
كل أجازة يبدلته وطربوشه — ساءه الله وحرسه —
أحسن من ألف جنيه !
— طبعاً ... هذا هو الذي يفريك بذهابه
إلى المدرسة ... وقد كسر الزير منذ ثلاثة أشهر
وأنا لا أستطيع أن أشتري غيره إلى الآن ، وأولادنا
يمرضون من الجوع والبرد ونفضل ألا نشترى
لهم لحماً أو ثياباً ليذهب أخوهم توفيق إلى المدرسة ،
فلت دخوله عليهم بالسترة التي نفختك هذه النفخة
كان يشعهم أو يسد رقهم
— أي جوع وأي مرض يا شيخ ؟ الصندوق
ولله الحمد ممتلئ بالعيش ، وللقاعة ممتلئة بالحبوب ...
هل شكاك أحد منهم ؟ هل قال أحد إنه جوعان ؟
— لا ... لم يشك أحد ... لكنهم مع ذاك

— كلا ، بل لا بد من أن يذهب إلى المدرسة
— قلت لك إننا فقراء ، ولا قبل لنا بالنفقات
الطائلة التي يقتضيها التعليم
— نجوع .. نمرى .. ولكن لا بد من ذهابه !
— ألا ترين يارقة أن نفقات التعليم تذهب
بنصف غلتنا كل عام ومع ذاك فذلك من الخياب ... ؟
— ولدي أنا ؟ توفيق من الخياب ؟ حماه الله
وحرسه !
— بل هو أخيب الخياب يارقة ، لقد رسب
هذا العام والعام الذي قبله ، وهو يمضي طامس في كل
فرقة ، ونفقات سنة واحدة كانت تشتري لنا جاموسة
أو بقرتين ... وللثلاميذ يتألون للشهادة في أربعة
أعوام ، وما قد مضت ثمانية وتوفيق لا يزال في السنة
الرابعة ، فالأربعة الأعوام التي رسب فيها كانت توفر
لنا ثمانى بقرات لو أننا ملكناها لملأت لنا الحمار
لبنا وزبداء وجيتنا ووقوداً ، وكنا نعيش في سعة ...
وكنا أصلحنا هذا الجدار المائل ... وكنا اشترينا
حصنة على أبي زيدان وأدخلناها في دارنا فأنست ... و...
— حسبك يا شيخ ... كفى تخويكاً ... إن
حرقاً واحداً مما تملكه توفيق في المدرسة خير من
هذه البرية ومن فيها ...
— هذا غرور يارقة

حظه ، أما ابننا فهو أخيب الخياب يارقية ... أما والله لا أريد له إلا الخير ... يساعدني ... إلى رجل مريض ، ولا أؤمن أن أعيش له ... إنني إذا مت اليوم فسيقطع عن المدرسة برغمه ، ولا يجد من يملئه عملاً ينفعه ... التلميذ لأولاد الأغنياء والموسرين يارقية ... يكفي الفقير أن يتعلم الكتابة والقراءة والحساب وما ينفعه في صحته ودينه ...

— وهل كل الذين يذهبون إلى المدارس أغنياء ؟
— المجتهدين منهم يستحقون التعليم ... لكن الخياب أمثال السيد توفيق ، ينبغي أن يتعلموا في جهات أخرى

— وأى الجهات تقصد ؟
— يتخرطون في أعمال آبائهم
— ومن علك هذا ؟
— الحياة يارقية .. الحياة الصارمة التي حينها في ظل أبي
— زمن والدك قد مضى وانقضى ... نحن في زمان جديد

— زمانك الجديد هذا ، زمان مريض طليل ممتلئ بالفرور ... كله زخارف ... إنك لا تريد أن يذهب توفيق إلى المدرسة إلا ليدخل عليك بالبدلة والطرش ، وحتى لا يمضي حافياً ولا يلبس البشت ... وكى يكون يوماً من الأيام موظفاً مثل ابن أبي عوف ... يقبض الرتب أول كل شهر ، ويجمع آخر كل شهر ، وهو بالرغم من بذلته ووسامته يبيت عمره ذليلاً فقيراً ، إذا طرد من عمله أصبح من التبتلين الفارغين ، فهو يتسكع هنا ويتسكع هناك ، يحسد الناس ويحقد على الناس ويتهم أول ما ينتم على من يحسن إليه .. هل نسيت عبد الحائق ابن الشيخ زقاني ؟ ...
— هذا حظه ...

لا يذوقون اللحم إلا مرة في كل شهر ... ودميق الدرة قد أوهمهم وأهلك قوام ، وكذا رأيت الدم في بولهم وبرازهم ذكرت الدرة التي أودت بمحمود وقضت على كثيرين من أهل القرية

— أذكر الله يا شيخ ودع هذا التخريف
— لست أخرف يارقية ... لن يذهب توفيق إلى المدرسة بعد الآن ...

— وماذا يقول الناس ؟ نفصح أنفسنا بين أهل القرية ؟
— يقولون ما يشاءون ... ليس لأحد حساب عندها !

— وماذا يصنع توفيق إن لم يذهب إلى المدرسة ؟
— ماذا يصنع ؟
— أجل ... ماذا يصنع ؟
— يساعدني !
— يساعدك ؟ يكون فلاحاً ؟
— ولماذا لا يكون فلاحاً ؟
— هذا مستحيل !
— لن يكون إلا فلاحاً ...

— نجوم السماء أقرب إليك مما تريد ... توفيق لن يمضي حافياً ... توفيق لن يخلع البدلة ليلبس البشت ... توفيق لن يلبس البدلة مكان الطربوش ... توفيق لن يمسك المحراث بعد أن كان يمسك الفم الممضى ... فلن يمضي توفيق حافياً ولن يلبس البشت ولن يخلع الطربوش ... سيكون عروساً كما تشتهين ، لكنه سيكون فلاحاً مع ذاك !
— لن يكون فلاحاً ...

— بل سيكون فلاحاً كما كان أبوه وكما كان جده
— بل سيكون موظفاً نظيفاً يقبض الرتب أول كل شهر مثل ابن الدم أبي عوف !
— ابن الدم أبي عوف كان ولداً ذكياً وهذا

يسود إلى الوظيفة ، وأخيراً استطاع أن يتألف إلى
أحد أعضاء بلدية منوف فسيته كنكاساً

— كنكاس ؟

— إى والله كنكاس يا دقية ! بمائة وعشرين
قرشاً في الشهر

— مبلغ لا بأس به ... إنه ثروة !

— لقد كان يشرب دخاناً بأكثر منه

— ومع هذا لا أحسب أن الفلاح يكسب

مائة وعشرين قرشاً مثلهما في الشهر

— الفلاح خلق قنوع يارقة ، وهو إذا نجح

في زراعته ويأرك له الله ربح أضعاف هذا المبلغ ...

إن جاموسة واحدة يبارك الله له فيها تربحه ضعف

هذا المبلغ

— ومع ذاك فلن يكون توفيق فلاحاً

— بل سيكون توفيق فلاحاً

— إذن أترك لك اللؤلؤ

— وإلى أين ؟

— إلى أب

— وماذا تصنعين عند أبيك ؟

— ليس هذا شأنك

— إذا لم يكن شأنى فيكون شأن من إذن ؟

— إذن يذهب توفيق إلى المدرسة ولا ينقطع

عن التعليم

— لن يذهب إلى المدرسة ولن ينقطع عن التعليم

— وكيف لا ينقطع عن التعليم وهو لن يذهب

إلى المدرسة !

— سيظل الفلاحة سنة أبيه وسنة جده

— هذا لن يكون

اختلف الزوجان اختلافاً شديداً ، وذهبت دقية

تشكو زوجها إلى أبيها وإلى أخواتها وإخوتها وجميع

(٢)

— لا ... لم يكن هذا حظه ... بل اللطافة

غلطة أبيه

— وكيف أخطأ أبوه ؟

— لقد كان الشيخ زناي أمير حداد في القرية ..

لقد كان يبيع كل يوم جمعة عشرين شرشرة وعشرين

فأساً غير السكاكين والمقصات ، وقد استطاع أن

يجمع ثروة عظيمة ... سبعة أفدنة وعثمانية عشر

قيراطاً يارقة من أحسن أراضي قريتنا ... خرطة

الساحل كلها وأرض أبي طائفة .. أين ذهبت هذه

الجنة ؟ .. لقد بددها عبد الخالق ...

— وما غلطة أبيه إذن ؟

— غلطته أنه لم يعلم ابنه صنمته

— لكنه علم ما هو خير منها ؟

— وماذا علمه ؟

— لقد نال الشهادة والوظيفة

— وانسأخ من طهارة الريف وغرق في زيف

المدن .. ولا استغنى عنه وعاد إلى القرية ، لم يستطع

أن ينزل إلى أرضها لأن أجنحة الثرور كانت تذهب

به بعيداً في سماء غير شائها ، فباع الأرض تفارق

وأنفق كما كان ينفق في حياة الوظيفة حتى لم يبق

في يديه شيء ... ولقد حاول مرة أن أقمعه بفتح

دكان أبيه فمخر مى وقال : إنه لا يدري من صنعة

الحداثة كثيراً ولا قليلاً ... ولم أكن أقصد أن

يعمل بيديه ، بل كنت أعى أنه يستطيع استخدام

أحد الصناعات الساكنين من أهل البندر فيصنع له

وهو يبيع ويدبر العمل ، لكنه اتخذ حديثاً هزواً

واستكثر أن يجمع سترته وينفسم في تراب الفصح

ودخان الكبر وأن يسود سمه دقات الأراذب

والستندال بمد ما تموت أنعام المود والقانون

والكبان ... قات له : لكن الصنعة على قدراتها

أشرف من البطالة ، فنبسم وقال : إنه لم يأس أن

— أريد أن أهرف ، هل شكت لك رقية من ضيق في حياتها ؟
 — شكت أمر الشكوى ...
 — ومن أي شيء شكت ؟
 — من كل شيء
 — من كل شيء مثل ماذا ؟
 — من العار الخربة ومن الزبر المكسور ومن بخلك ... ومن ...
 — بخل ؟
 — أجل يا سيد عبد الله ... إنك تضن بشمن شربة ملح على ابنك عبد الفتاح ...
 — هذا هو الذي شكوت أن منه ... إن كل قرش يقع في أيدينا ندخره لمصروفات توفيق وبذل توفيق وطرايش توفيق ... إننا نجوع يا عم الشيخ رزق لنفرح بدخلة توفيق علينا بأبدلة والطرش والحذاء الأصفر الفاتح ... أولادي كلهم يتبولون دماً لأنني أعجز عن إرسالم للطبيب وهذا لأن أخام يا كل أرزاقهم ... هم يتصبون ويكدون وكل نصيهم وكدم ذاهب عليه ... وهو مع هذا أخيب الخياب
 — كلام فارغ ... تخريف ... هل دخلت في علم الله يا شيخ ؟
 — ليس ضرورياً أن أدخل في علم الله لأهرف إن كان ولدي يتفح أولاً يتفح ...
 — يا طاعى ؟
 — أستغفر الله أن أكون طاعياً ... لن ينجح توفيق في المدرسة ، ولو نجح فسوف يكون نجاحاً يشبه الخيبة
 — ولماذا ؟
 — سيكون مثل ابن أبي عوف
 — وماله ابن أبي عوف ؟

من تعرفهم ومن لا تعرفهم ، وراحت تنهمر بالجلع وضيق القهم وانقباض الكف ... ولبثت في منزل والدها أياماً طويلة وهي ترفض العودة إلى منزل الطاعة ، كما يتقعر رجال الحماكم حين يسعون منزل الرجل المتزوج ... وكذا تردد الرجل على منزل أبيها يطلب أوتبتها غلت في طلباتها فاشتترطت أن تشتري ثلاث بذلات لتوفيق ، وطربوشين لتوفيق ، وزوجين من الأحذية لتوفيق ، أحدهما أصفر فاتح ، والآخر أسود (بأستك) وجلس الفلاح المسكين الشيخ عبد الله يحاور صهره النبي فيما ينبغي وما لا ينبغي من هذه المشكلات ... وكان الصهر كافر من الحرون ، وكما أدلى عبد الله بحجة ركب رأسه ، وأبي أن يصنى إليه ، وفرد بالحديث شروداً يكرب الصدر وبذهب بأناة الحليم ... قال زوج ابنته وهو يكلمه بكل جراحة في وجهه ، فتارة يعض عينا ، وتارة يقلص شفة ، وطوراً يغفر فاه ، وأطواراً ترتسم الأسارير مستهزئة حول عينيه وملء جبينه ، وهو في ذلك كله يصنع اللباقة والفهم ، وإن لم يكن عنده شيء من لباقة ولا فهم
 — أنا عارف يا عبد الله ... أنا عارفك ... أنا عارف ...
 — أنا اليوم كما كنت بالأمس يا سيدي
 — أبداً ... أبداً
 — وماذا تغير من طبي ؟
 — كل شيء ...
 — كل شيء مثل ماذا ؟
 — الوجود الحلوة التي كنت تمدنها في مباشرة رقية ذهبت كلها أدراج الرياح
 — وأى هذه الوجود ذهب أدراج الرياح يا سيدي ؟
 — كثير ... كثير ...

من شأنها وشأن زوجها فقط .
 لقد كان الشيخ عبد الله رجلاً حسيصاً ينفع
 أكثر من غيره من أهل القرية بغير الزمان ، وهو
 إن أخطأ فملا في إهاجة الشيخ زرق بضميره بفاقة
 ما أفاد من الأزهر إلا أنه كان على شيء من الحق
 فيها أراد أن يقول وإن يكن قد التوى عليه القصد
 وقامه حسن التعبير ... وأهل الزوجة حتى
 حين يدسون أنوفهم فيها لا يفتن أن يشار كواخيه
 أصهارهم مما يمتنهم وجمد ولا يسي أحداً سوام ؛
 وم حين يشجعون بنهم على معاندة زوجها يتفوضون
 بأيديهم الأئمة بنیان ساداتها وسادة الأسرة
 التي كان يجب أن تشيدها وتقيم عمامها ... وهذه
 أولى وظائف الزوجة الصالحة ... لكنها وظيفة
 لا تتم إلا للمرأة الكتوم التي لا يستخفها الفرق
 ولا يستهويها الطيش ، فتذبح من أسرار زوجها
 ما كان ينبغي أن يكون سر بينهما لأنه سياسة حياتهما
 لقد عبر الشيخ زرق صهره عبد الله بأنه يبيع
 ابنته وهي تهمة مفتراة ما في ذلك ريب ، وإن لم
 تكن مفتراة فإن رقية هي التي قدفت بها في سمع
 أبيها ... وقد افتترها في غير وهي ولنير حكمة اللم
 إلا لشهوة التشنيع على زوجها الذي ضاق ذرعاً
 بنققات تلميم ولده ، أخيب الخياط ، كما يطلق هو
 دائماً عليه ، فهو يريد أن يقطعه عن المدرسة ليوفر
 لأولاده أكلة من اللحم كل أسبوع على الأقل بدل
 الأكلة الشهيرة ، وليوفر لهم كذلك شيئاً من دقيق
 القمح وشيئاً من القاش يقيم زهرير البرد ، ثم
 لكيلا يرضى على أحد منهم يشمن شربة من الملح
 أوزجاجة من القطرة ، ثم لكي يضمن لولده مستقبلاً
 عملياً فلا ترهقه الحياة ولا تنفجأ بطلالها بنته حين
 يرغم على حياة الزرعة إرغافاً لم يأخذ له أهبة
 ولا أعد له عدة . والزراعة فن وصران يصيحان

— أسوأ حال وألن مآل !
 — ولماذا ؟
 — لأنه يشتغل كنانساً في بلدية منوف
 — كذاب !
 — لست كذاباً
 — هل رأيته ؟
 — لم أره ، ولكني عرفت ؟
 — لقد رأيته ببني مجلس أمام مكتب نغم .
 — هذا صحيح ؟
 — إذن كيف تدعي أنه يشتغل كنانساً ؟
 — لقد رجوه فقط ، فهو معين كنانساً ولأنه
 يحسن الكتابة أخذوه ليساعد الكتابة ...
 — وهل أنت مهندس الكون يا شيخ عبد الله ؟
 — لا ... لست أنا مهندس الكون ، ولكني
 مهندس أسرى فقط .
 — وأين تملكت هذه الفلسفة وأنت رجل فاف
 ومحرث ؟
 — ليس ضرورياً أن أتلمها في الأزهر الذي
 لم ينفعك بصفة !
 — اخرس يا قليل الأدب !
 — لست قليل الأدب ، ولكني أقول الحق ..
 — اخرس يا جاهل
 — لست جاهلاً فأنا أحسن الكتابة والقراءة
 ولله الحمد ، وقد استفدت من الفلاحة أضعاف
 ما استفدت أنت من الأزهر الذي قضيت فيه شبابك
 فأفدت مما حصلت فيه شيئاً ، ولولا ما ترك لك
 أبوك ...
 وهكذا انقلب الحوار فصار حواراً أفلاطونياً
 عجيبياً ... وهكذا تنقلب محاورات القرويين .. وقد
 أخطأت رقية حين أكرت الناصفة في منزل زوجها
 وحين جعلت أهلها قضائاً فيها كان ينبغي أن يكون

لقد كانت أسرة فقيرة تعيش في إحدى حجرات الطابق الثاني من ذلك المنزل... وكانت الأسرة مكونة من رجل عامل فقير ومن زوجة بائسة ، ولها طفلان يافعان ، أما أحدهما فغلام في السنة الأولى الابتدائية وأما الثانية فتفتاة في السابعة عشرة ، رسم الفقير حول عينها تهاويل عجيبة من السحر ، كانت تنشر ظلالاً من الفتنة فوق خديها ، وألواناً قمرية فوق شفتيها وكانت ابتسامة واحدة من فيها البقيق الرقيق تصير ببؤس والحبها أنها ، وتنسبهم ما هم فيه من عناء وضيق وكانت هذه الابتسامة نفسها بلسا يشق فؤاد توفيق ، وطلسا يشيع بالنشوة في كيانه ، فهو لهذا لم يكن يعدل بفرقة القدرة المكتلوطة بالحشرات من كل صنف قصرأ بأسره ، ولا مدينة من ممر صر يشيدها ملك الجن فيزخر فيها ويقم عمارها من فضة وذهب ، ويجري تحتها الأنهار من نحر ولبن وعسل مصفى ، ويبت فيها من كل زوج جميع وأجل الحب وأخطره ما يكون في هذه السن البكرة... فهو حب يثمر القلب ويشك النفس ويؤرق العين ، ويجعل صاحبه طيفاً قلماً تصدده حقيقة الدنيا ، وقلماً يمترق بما فيها من فضال ، لأنه لا يفكر دائماً إلا في ملاكة ، وهو يفتي فيه بقلبه وعينه وصممه وإدراكه ، وبه كل وقته لأنه يعد نفسه كلها قرباناً لحبيبه ، وهو ينظر إليه كأنه شيء مقدس علوي ، فهو يحسد ملاسته لأنها تتلصق دائماً بحسده الجليل المتلي بالآفة ، وهو يحسد الأرض التي يختال فوقها لأنها تقبل قدميه دائماً دائماً... وهو يحسد الهواء الذي يملأ رثيله لأنه ينفذ إليهما من أفنه الأفتى الجليل ، ثم يخرج من فمه الحلو اللطوبع بالقبل... وهو يحسد الثرفة التي يمشي فيها لأنها في نظره أتمن من كنوز سليمان لأنها تضم ثروة من الجمال تعدل ثروته أضعافاً مضاعفة

بعض الأيام خريزة في ساعدي الفلاح فهما تضريان بالناس وتثيران الحرت كما يفتي قلم الشاعر بأهازيج الحموى فوق القرباس .

كانت هذه المواجس تضطرب في نفس عبدالاله وكان كذا فكر في سلوك زوجته حزن وساوره الكد ، لأنها شجعت آلامه ، وخلقت له من للشكة الواحدة مشكلات ومشكلات... وقد نسي كل شيء إلا ما اقترت عليه من أسرها بجويعها ، فكان يذكر ذلك ويبيكي في أحماقه دون أن يذرف دمة واحدة وهو أحر البكاء وأوجعه

كان يقطن الشاب الراحل توفيق أفندي عبدالاله الطالب بالثانوية الكبرى ، في منزل صغير قدر من منازل عطفة السلاح بجى المنشية وكانت غرفته البسيطة الساذجة الرطبة مأوى لأسراب البموض وحيوش البراغيث والبق... لكنها بالرغم من هذا البلاد كانت جنته التي يقضى فيها ليله وأكثر نهاره في أيام انقطاعه عن الدراسة وما كان أكثر هذه الأيام

وليس عجباً أن تكون هذه الباءة المثلثة بأسراب البموض وحيوش البق جنة التلذذ الراحل توفيق أفندي عبدالاله... فالحجرة على قدراتها لها نافذة تشرف من بعيد على حدائق المنشية النائمة تحت أسوار القلعة ، وذلك منظر عجب يثبت الريش في خيال شاب مثل توفيق ، ويجعل له أجنحة فيرفرف في عوالم الشعر ، ويجعل حياته ضرباً من الأحلام لا يفتق منها إلا على لكمة بموضة أو عضة ذكر من ذكران البق أو يباشق من يواشق البراغيث وليس هذا المنظر وحده الذي جعل الثرفة جنة لهذا الشاب ، بل هناك شيء آخر... شيء إذا وجد قلب كيان المرء وسلك زمامه ، وسلبه له وتفكيره

فيصونه حباً ، ثم يوردون له الخلدود ويقعدون
القدود ، ويكهلون عيون الأرام بالسحر ، ويمهدون
له القلوب لينام فيها مطمئناً مستريحاً ناعم البال

وذهب توفيق إلى القاهرة ليصل حياة المدرسية
وأنف أبيه راغم ... ثم ليصل غرامه بالفنائه للناهد
المذراء الرفاة

لقد كان توفيق يكره التعليم أشد الكره ...
وكان ينظر إلي الكتب كأنها تخوم مباءة في قوادر
إذا ذاقها أذاقته المنايا أشكالا وألوانا ... وكان أكثر

الملموم بضاً إليه دروس الخير ... لقد كان يسميها
دروس الألتاز والممبات .. ولم يكن يدرى ما فائدة
اللوغز ثم مثلاً ... وكيف يستعمله في حل مشكلة

دودة القطن أو الندوة المسلية التي تصيب اللوز
أو عمل الجبن أو استخراج الزيت من الزيتون ...
أو ما فائدة الجذر التكمبي في علاج صدأ الفصح

وكان يرى جيوش الشبان التلمين تنزول الفهوات
ودور الدرو ، والسعيد من حصل منهم على عمل
بيضة جنبها يستريح بها حاله ولا تموض شقاه
الطويل في دور التعليم ، ولا تنهض بالأمال الكبير
التي كان يملأها بمستقبله والهداه

لقد كان يرى جيوش التلمين التلمين يتسكعون
هنا ويتسكعون هناك ... وكان يقرأ في الصحف
غزواتهم للوزارات وأخبار اجتماعاتهم وهتافهم بزيد
وصياحهم بعمرو وإملاء إراداتهم على أولياء الأمور
حين يطالبونهم بمغلق الوظائف لهم وتدير الأعمال
التي تناسبهم فكان يضيق ذرعاً بمستقبله وراه أحلك
من ظلام القبور

وكان له صديق أسعد حالاً بالتعليم وأقل كراهية
للكتب ، وأكثر تفاؤلاً بالمستقبل فجلسا مرة
يتجادلان أطراف الحديث في حديقته المنشية ، وكان

ثم يشذ في حسده ويثقل غلواً حبيماً حين يحسد
أم حبيبه وأباه وأهله الأدينين لأنهم يكلمونه دائماً
وهو يكلمهم فيملاً آذانهم من سحره ، في حين
أنه ناه ما يستطيع أن يكلمه إلا بقدر ، وإلا في كل
فرصة منترعة من عفو المصادقات

هذا هو الحب الجليل الخطر المهلك ... فهو جميل
لأنه ينمو في سن جميلة ... في زهرة الصبا وعمر
الأحلام ... عمر الفراق والخيال المشبوب . الخيال
الذي لم تنفسه حقيقة الحياة المرة المشوبة بسكر
المسؤولية

وهو خطر بل مهلك لأنه يوقظ الحيوان الذي
يشور ويتدفق في أصلاب الناس منذ آدم ... وهذا
الحيوان هو أضرى الحيوانات كلها وأشرها لاسيا
إذا استيقظ في هذه السن المبكرة ، وهو في الغالب
يستيقظ فيها ، فلم يصرفه المؤدبون والآباء في كياسة
ولطف بمختلف الوسائل التي رسمها العلماء لمحاربتها
أو التماسي به ... فهم يحاربونه بالكبت بالدين
والتخويف بجهنم أو الهويل بما يلحق الجسم من
تهدم من جرائه ... وهذه طرائق سلبية قد تضر
أحياناً وقد لا تجدي إلا قليلاً ... ثم هم يتسامون
به فيصرفونه إلى الرياضة والفنون والمفاز عن الوطن
والمخاطرات من كل لون ... وهذه طرائق إيجابية
كثيرة الجدوى في تطيف حده ، ولكنه مع ذلك
قد يشور بالوسيلتين فيحطم كل شيء ، كما حطم هذه
السنوات الثماني من حياة توفيق ، وكما حطم معها
أمل الشيخ عبد الله ، وكما حطم صحة أبنائه بالتجويج
والعري ، وكما ذهب بأمله في شراء حصاة أبي طاقية
وضمها إلى أممار ، وكما غل يد الرجل فلم يشتر
البقرات الثماني التي كان يرجو أن تملأ له منزله
سمناً وعسلاً ...

هذا هو الحيوان الفتاك الذي ينازله الشعراء

— وهل المستقبل بيدك أنت ؟
 — أنا لا أشك يا صديق أن مستقبل كل إنسان بيده وبدي أيه !!
 — هذا كفر ...
 — ليس هذا كفرًا كما توحى إليك تربيتنا الفاسدة ... إن مستقبل الناس بأيديهم والقادر بيد الله ... إسمع يا صديق توفيق ... إن إقبال الآباء بآبائهم على مدارس التعليم النظري بهذه الكثرة المائلة هو نوبة من جنون التقليد ... إنهم يندفسون مع التيار دون أن يفكروا في هول الهبة التي تصفهم حين يقذفون فيها بفلذات أكبادهم . إنهم يرون ابن فلان من الناس قد حصل على وظيفة بعد شق النفس ، ثم ما هو إلا أن بدا بينهم غنا لا في بذاته مياسًا تحت طربوشه حتى يحين جنونهم ، ويتمنون لأنبائهم مثل مركزه إن لم يكن أحسن من وظيفته ... فيسلكون السبيل نفسها التي سلك ... فتري أبناء التجارين والحداوين والفلاحين والمتالين والنفقشين يذهبون إلى المدارس أفواجًا ، ثم يخرجون فيها أفواجًا ، ثم يتكدسون بعد ذلك في القهاري ودور النو ، ولا يستحيون مع ذاك أن يرهقوا ذويهم بمصروفاتهم الباهظة حتى يحين الحين فيجد بعضهم عملاً تافهًا في ركن مصلحة من المصالح ويبقى الآخرون وهم الأكرزون شذاذًا في الطرق عيالاً على أهلهم .. ما هذا؟! أليس هذا جنونًا لا يبدى؟
 — ... ؟ ...
 — أليس كان الأليق بأكثر هؤلاء إن لم يكن بهم جميعًا أن يسلكوا سبيل آبائهم ؟
 — ... ؟ ...
 — لماذا لا تتكلم ؟
 — إنك بهذا تريد أن تقصر التعليم على أبناء الأغنياء !

التلاميذ قد أجموا على الاضراب ذلك اليوم فلم يذهب توفيق وصديقه إلى المدرسة
 — وزارة ظالمة ووزراء لا يهتمهم إلا أن يرفلوا في ثياب السعادة للنفقاشة ... كلا كان لهم قريب أو محسوب خلّقوا له الوظيفة خلفًا ، فإذا طالبناهم أن يحلوا أزمنا لوؤا أعناقهم وقالوا شباب فُتِنَ مستهترون ...
 — وماذا ترى الوزارة صانعة يا توفيق ؟
 — ماذا أراها صانعة؟ ولماذا تقبلنا بعمداهم إذن؟
 — تقبلنا بعمداهم لأننا نطلب ذلك
 — لكنهما ولاة الأمر فيجب أن تدبر لنا مستقبلًا
 — وأي مستقبل تراها مدبرة لنا ؟
 — لا تلتحق بالوظائف إلا الأكفاء للتخرجين في مدارسها
 — هها فقلت ذلك فهل تكفي وظائفها جماهير التخرجين ؟
 — لا غرو أنها تكفي !
 — أنت تقول هذا وقد أثبتت الواقع أن استيعاب وظائف الحكومة لجيوش التخرجين عبث بل ضرب من المستقبل
 — إذن فلماذا تقبلنا في مدارسها ؟
 — تقبلنا لشدة إلحاحنا في ذلك .. لنهاك آبائنا على مدارسها . وإننا أردت الحقيقة فأبؤناهم المخطئون
 — أبؤنا غشطن ؟
 — أجل ، وهم الجناة المسئولون عن ضياع مستقبلنا ...
 — ماذا تقول يا حليم ؟
 — أقول إنهم بلحقونا بالمدارس وهم لا يدرون ماذا تصنع حين تخرج فيها ... وإذا سألتهم أجابوك هذا الجواب الضعيف التهافت : دع الأمر لله فالمستقبل بيديه وهو يعلم التيب وحده سبحانه !

— الحكومة عليها واجب عظيم في ذلك ... ينبغي أن تحمي البلاد من سيل المهاجرين الأجانب الذين يذهبون بثلاثة أرباع الأعمال العامة فتجنب الشبان منافستهم الشديدة ومزاحمتهم غير الشروعة ... إن سبعمين في المائة من خدم القهawy الكبيرة والقنادق الراقية من الأجانب ... إن سبعمين في المائة إن لم يكن تسعين ، من وظائف الشركات الكبيرة الأجنبية مقصورة على الأجانب

— إن رأس المال أجنبي يا سديقي فهذا حقهم — كلا ... إنه إن يكن رأس المال أجنبياً فإن الثمرة مصيرية بحته ... ولا تنس أن رأس المال الأجنبي يبدأ صغيراً ثم لا يلبث أن يتضاعف في بلادنا ... فلك أن تنده كالبنور الأجنبية نجلبها من الخارج وزرعها فنبت محصولاً مصرياً — وما واجب الأغنياء إذن؟ أنسى أنهم مكفون بالاتفاق على الفقراء؟ — ما عنت هذا ، ولا يستطيع أحد أن يكلفهم به

— وماذا عنت إذن؟ — عنت أن عليهم واجباً مقدساً إن لم يقوموا به استحقوا الزاوية ... ذلك أنهم يكسبون أموالهم فيها لا يجلب ثروة واسعة في هذا العصر ... إنهم جميعاً لا هم لهم إلا شراء الضياع واقتناء البور والقصور ... فأموالهم بذلك مطلة وإن جلبت ثلاثة أو أربعة في المائة ربما لها كل سنة — وماذا يصنعون بإرثك الله؟

— لو أن القني منهم فكر في إنشاء مصنع لصلح الحال ... على أنني أفضل أن تتعد كل جماعة منهم فتكون شركة فتفتح ناحية من نواحي النشاط البكر المطلة في مصر ... يجب أن تتحرك أموالهم لأن المال وحده هو دم الاقتصاد القوي لا ينفد ، وإن

— كلا ... فإلى هذا قصدت — وماذا تقصد إذن؟ — هنا عيب الحكومة ... — ألم أقل لك إنها وزارة مقصرة؟ — ليست هذه الوزارة هي المقصرة بالقات ، إذ هي غلطة جميع الوزارات — وما ذاك إذن؟

— لو اقتصد الآباء في إرسال أبنائهم إلى المدارس بعد المرحلة الضرورية منه — التعليم الابتدائي مثلاً ، أو الأولى إذا دعت الضرورة — كان واجب الحكومة أن تنتخب من أبناء الفقراء ، بصرف النظر عن مهن آبائهم ، العدد الأكبر من نابئهم فتعلمهم على نفقتها ، فن استمر منهم على نبوغه استمرت هي على الاتفاق عليه حتى يتم منهاجه ويصبح جندياً بمن يملكون في الصف الأول من صفوف الخدمة العامة ؛ ومن أهل منهم ، أو تكشف عن غير ما كان يرجى منه ، انحرفت به الحكومة عن الطريق ، أو انحطت في وظيفة صغيرة مما يناسبه من الأعمال الصغيرة العامة ... فيمثل هذه السياسة خصوصاً إذا تولها أيد حازمة ، كنت لا ترى هذه الجيوش من التلميع الماطلين ، ثم كنا وفرنا للمهن الحرة فئة من الشباب الصالح يرتفع بها ، ولا يجعلها من الموان يحث بمخمرها الأبناء . ومنها يطمعهم الآباء ... إن احتقار المهن الصغيرة قد أخرج بحرفتها من دائرة الشرف ، وهذه هي علة اللل في أخلاقنا — وهل تظن أن هذه المهن من الزواج بحيث تكفل الخير للكثيرين؟

— إنني أظن أن أياً من هذه المهن تضمن للإنسان حياة هادئة سعيدة خصوصاً إذا تصافرت الحكومة والأغنياء في رفع شأنها — كيف تصافرت الحكومة والأغنياء؟

ملابس الأسرة فوق السطح ، تسال كالصم ثم اختبأ في ركن حتى تفرغ من عملها فيندفع نحوها في تأدب وركه ، ثم يقف سامتا وملء وجهه الشاحب الرنجف عواطف مكبوتة لا يستطيع أن يبرر عنها إلا بدمعة أو دمتين ... فتفهم ليلي ... وبجزبه بإبصاره رقيقة ... ثم تهبط مسرعة كالنزلة ... فيتدحرج تحت قدمها قلبه وأنفاسه !

وصعدت مرة تلم الملابس فصمم على أن يثير معها خطته ، وأن يكون هذه المرة أكثر إقداماً وجراً

لقد انتظرها حتى نزلت بحملها فوقف يحول بينها وبين النزول إلى غرفتها .. ثم أخذها في حديث خافت هكذا :

— ماذا يا توفيق ؟

— أحبك !

— عيب !

— وكيف يكون الحب عيباً ؟

— هذا لا يليق !

— لا بد أن أعرف !

— تعرف ماذا ؟

— إن كنت تحبيني !

— أرجوك دعني !

— لا بد أن تتكلم !

— هذا مستحيل !

— ماذا هو هذا المستحيل ؟

— أي تحت ... دعني أرجوك !

— إذن نسجل حبنا بقبلة !

— مستحيل ، مستحيل !

وقبل أن تستطيع الافلات ، انقض على فيها الشئ الجميل فسرق منه قبلة نامجة ، ثم صرقت كالسهم على السلم ، ودخل هو إلى غرفته

تكن اليد العاملة والدهن المفكر ما يورث بلازم هذا الدم ... أقسم لك لو تم هذا لا رأيت متمكناً مطلقاً في مصر

— هذا صحيح يا حليم ...

أفاد توفيق من حديث صديقه حليم قائدة جبيلة ... لقد رأى جانب الحب من حياة التعليم ... لقد وفر في ذهنه أن أباه كان على حق حين أراد منحه من الذهاب إلى المدرسة ليتعلم الفلاحة ، وليندمج في روح الحقل ، وليرث أباه وراثته صحيحة ، وراثته الملك والفن والمهنة .

غير أن شبح الفتاة الناهدة — ليلي — تخط له فغدره وصرف عنه طائف الحقيقة ، وأغرته في بحر لحي من هواء البرح ، وخياله المشبوب .

لقد كان الحيوان الخبيث الذي استيقظ بين كتفيه بدمه ، وبصور له الفتاة المثلثة الحسنة تنقلب بين ذراعيه ، وتعلق لحيها الوردى الساخن بلحمه اللتأجج ، وفوق فيها الجري الفتان فه المشتعل يقطع الليل ، وفي هينها المهاوين عيناه الجائنتين تسبحان في دنيا من الفائن والسحر .

هذا هو حيوان اللذة الدمر ... هذا هو الحيوان الذي يقضي على نزع الخير في نفس الانسان ... هذا هو الشيطان السلط على الروح الانسانية يشوه جمالها ويصرفها عن نهج الهداية ، وزخرف لها بالذرة الأنيمة تضلل وتحزى .

كان يجلس في نافذة غرفته يذازل ليلي ساعات وساعات حين لا تكون أمامها في غرفتها .

وكان كلما لقيها على السلم أرسل بحبة مخنوقة تذرهما في حياء وفي خفر ، وهي تسلم ما تضمن جوانحه لها من حب ، وما ينطوى عليه قلبه من هيام وكان إذا وآتته الفرصة فصعدت ليلي تنثر

حاملة حملها... فأخذ قلبه يخفق بشدة وفي عتف...
وخيل له أنها بطيئة مع أنها في زعمه أرشق من
الظبي وأسرع من الظليم... ثم هبط يمدو وانقض
على حملها فالتقطه من فوق رأسها... فظفرت إليه
ومتناحكت... وسدد الاثنان

ودخل توفيق إلى غرفته بكل الملابس !!

— هلى ...

— مستحيل ... مستحيل !

— بل المستحيل أن تصمدي !

— يجب أن أسعد ... إن أي عاتلة الساعة ،

فإذا أقول لها ؟

— لن نجلسي إلا دقائق

— ليكن بعد أن أفرغ من عملي !

— إذن أسعد فأساعدك !

— كثر الله خيرك ... بل استرح أنت

حتى أزل !

— إذن أوصلك إلى السطح !

وتواثب على السلم ... وتواثبت من خلفه ليلى.

ثم وضع حمله ، وأهوى على فمها فطبع عليه القبل

الثانية ... وكانت قبله طويلة متبادلة ...

وعادت ليلى بعد دقائق كانت أطول من دهر

فتلقاها توفيق في ذراعيه وأجلسها على مقدم متوسط

ثم راحا يتناجيان

وكان حديثاً طويلاً شبيهاً مرصعاً بالقبل ،

لم يوقظهما منه إلا الانفتاح باب الدرفة السفلى ، فهبط

ليلى مسرعة

ونسى توفيق كتيبه ؛ وفرغ لحيه

وصرت الأيام

وبدا الشحوب على وجه توفيق ، وكان قد

أفرط في استجلاب اللذة المصنوعة ؛ لأن ليلى كانت

أحرص على عرضها أشد مما حرص إبليس على

(٣)

والأرض تميد تحت قدميه ، ونشوة القبل تسرى
كالجيا في فؤاده ، سرفرة بأجنحة اللذة ، متأرجة
كالورد ، عليه كالنسيم ، منددة كأنفاس الصباح !
ما أبعد القبل الأولى من قبل الحب !!

إنها تفصل من حقيقة الحب بين حياتين ...

إنها تظل تدوى في ذكرى الماشق كما يدوى الأمل

والظفر ... إنها تلعب كالبرق في ظلمات يأسه ...

إنها كالنارة في ظلام البحر اللجي

تطرح توفيق فوق سريره يتقلب كالسكران

لقد نسي كل ما قاله حليم !

إنما الحياة هنا ... في القاهرة ... الحياة الحب

والحب الحياة كما يقول شوق وكما ينفى عيد الوهاب

ليبق توفيق في غرفته ... لتكن المدرسة حبيبة

إلى فؤاده لأنها تنقيه إلى جانب حبيبته ... ما أسراب

البعوض وجيوش البق والبراغيث في قبلة واحدة

يطبعها على فم ليلى ؟

لقد نال القبل الأولى بالسف ، فإذا يحول بينه

وبين القبل التالية ؟ لا شيء ! أليس قد شرب

الكأس الأولى ؟

وجلس رقب صعود ليلى بقلب مضطرب ،

وأعصاب مائة ... وكان يصرق متى تصمد ، إذا أحس

بحركة النفس في قاعة حبيبته فيجلس يومه كله رقب

الصاعدين والنازلين ...

وأطل قرأى أمها تخرج وترك دنيا غرامه

بدون رقيب أو عرول ... وفرح واستبشر ، وتأكد أنه

سيعمل على منية أغلى وأقنى ... لا قبله ترك في القلب

لوعة وأشجاناً

وفكر في أن يخاطر ويذل إلى ليلى ليسعد

بنظرة منها مؤقتة تشفيه أو تكويه ... وكلاماً عنده

سواء ...

لكنه ما كاد يفعل حتى رأها تبرز من غرفتها.

ومضت أيام وأيام .
ثم تسلم يوماً ما خطابين عرف أولهما لأنه من
أبيه فأحمله قليلاً ؛ وفض الثاني فلم يجده في رقبته
غير هذا السطر :

«وداعاً يا صديقي فقد تزوجت وأنا سعيدة برجلي !»
واضطرب قليلاً ... وحاول أن يقرأ خاتم البريد
فلم يفلح ...

وقض الخطاب الأول فقال أنه يقرأ من أبيه أنه
مريض وأنه في خطر ، وأن لا بد من وجوده بجانبه
في ساعاته الأخيرة

وأفاق توفيق من حلمه اللذيذ
وصدمته الحقيقة المرة
فعاد ليودع أباه ... وليجعل على عاتقه السب
الثقيل الذي تمى لو كان حمله قبل اليوم ، ليكون له
أهلاً ...
دربى مشير

عصيان ربه حينما أمره بالسجود لآدم . لقد رفضت
أن تمسك إلى الحضيض الذي أغراها توفيق بالتردى
فيه .. لكن الحيوان الدميم كان يصصف به ، ويرغمه
على إشباعه ، فكان السكين يستسلم له بعد نزول ليلي
فيأشهر المادة السزبة مباشرة قتالة تستنزف ماء حياته
فلا تكاد تبقى منه شيئاً

وعاد يوماً من المدرسة فوجد غرفة ليلي خاوية
ماذا ؟ !

لقد ذهبت إلى حيث لا يدري !
وبات ليلة طويلة مؤرقة ... ونزل نصف الليل
يجوب الطرقات كالجنون . ثم عاد مع الفجر فصعد
إلى غرفته ، وعاد إلى غرفة ليلي بمصباحه وجانب
من فراشه ، وليست يتلو كالحموم حتى تنفس الصباح .
وابس ملابسه ، وهرب في الشوارع يبحث
وينشم ، ولكن بلا جدوى .

بنك مصر

أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتؤسس الاستقلال الاقتصادي

علموه ... وعاملوا شرفاً ...
نكتبوا ... النصر ليهودكم

من بنى جلدتها ، يدخل بسرعة
ويبقى الباب وراءه بدقة وحذر
خدقت «ي» في وجهه وسأته
بصوت رن سدهاء في جوانب
الغرفة :

— ماذا تريد؟ ألا تعلم أن
هذه غرفتي الخاصة وليست نديا
مشاعا؟

كان الفاضل في يافعا جميل الطلعة برغم البيوس
المشثوم الذي شوه ملامحه، وكان ينظر بيمينه المظلمتين
كالمتوه . ومارأه «ي» حتى ارتد فكرها إلى مناظر
القصص بواسطة الطويل ، وإلى الوعل السكين في الذبايح
ثم قالت تحدث نفسها :

— إنه معرض للبحر الشمس كما أعلن
ولكن الرجل لم يدعها يتابع تفكيرها طويلا ،
بل فاجأها بقوله :
— إياك أن تبدي حرا .
وسحب خنجره من تحت منطفه وشهره في
وجهها قائلا :

— إنني يائس . لم يعد لى أدنى تردد في قتلك
فاستولى على «ي» هيج نفسى مفاجئ اضطرب
له كل جسمها ، ولكنها جاهدت أن تكتمه وتجلت
ما أمكنها التجلد

كانت «ي» ذات جمال ساحر ، وذات ملامح
متناسقة ، ويظهر أن سنهالمتجاوز الخامسة والعشرين
ومهما بالنفاق ذلك فلن نستطيع أن ندعي أنها تجاوزت
الثلاثين . كانت قائمتها متوسطة الطول ولكنها الشجاعة
لا تقاس في نظرها بالستيمترات . وعادت فأفقت
عليه سؤالها للمرة الثانية دون أن تتم عضلة من عضلات

شجاعة مربية

للصكايت ل . غارمان
بتسليم الأدب ناجي الطبطبائي

كانت الساعة تدق الثامنة ، في ناقوس السكرتارية
التي تقع في الجهة المقابلة للحديقة . وكانت الليلة
شديدة الحرارة والروحة الكهربائية تدور بسرعة
هائلة في الغرفة التي كانت «ي» تردى فيها ثيابها
استعدادا لتناول طعام العشاء

كانت منهمكة في زيتنها الدقيقة، ولكنها لا تزال
على اتصال بالحياة خارج الغرفة ، إذ أنها كانت تسمع
ضجيج الشارع ، وكانت دارها عاطلة بمحديقة صغيرة
ملائي بالزهور المحفوظة من أشعة الشمس طيلة العام ،
وكانت هذه الزهور حراء بلون الدم تغطي الأرض
كلها . وكان يصلها من النافذة شذى نفحات
النباتات والورود مع النسيم الأريج ، والبيوت في
الشرق تكون عادة مفتوحة للتوافد لجميع الجهات
كانت «ي» تشاهد خيالها في صفحة المرأة
وتبتسم ، ولما أتمت زيتنها ، سمعت صريرا ، فالتفتت
فأذا بباب غرفتها مفتوح

غضبت «ي» لهذه المفاجأة ، وارتدت للوراء
قليلا كي توضح القادم وتمنعه ، وقد حسبته خادما ،
والخادم لا يسمح له أن يدخل بلا استئذان إلا مرة
واحدة للضرورة ، ولكن نددت منها سبعة دهن
وذهول عند ما رأت رجلا أيضا البشرة لأسودها ،

ونصب لأول شخص زرى الهيئة سائل بطله منى ؟
إن كنت تتصور هذا فأنت مجنون ولا ريب .
واسمح لى أن أساركك للقول بأني أحقر الخلفوع
لأوامر نعطى ، وعلى الأخص إذا كانت نعطى بمعد
السيف !

فأجابها الرجل بصوت أكثر شراسة وقد
أحفظه كلامها :

— إننى أقول لك إن المال يلزمى مهما كان
الثن ... !

وخطا نحوها خطوة ... ولكنها بقيت رابطة
الجأش وقالت له :

— أنا أمرأ بك وبطلبك ... ألا تصنع مثلى ؟
إننى نظمت حياتى تماماً وأنا لست إلا امرأة ، والمرأة
أدنى من الرجل كما يزعمون ؛ أجل ، تستطيع أن
تضحك ، سأدعك تقرف جريئة دون أن أزل عند
تهديداتك ...

لقد قلت كل ما أريد أن أقوله ، والآن سأنتى
إليك بالكلام الأخير :

— إذهب من هنا بسرعة أو أضغط زر الجرس !
فهجم عليها بقفزة واحدة ، ودفعها بعيداً عن
النتضة ، وأمسك بها ملصقاً جسمها بالجدار ،
وضحك ضحكا صامتاً ... فداخل الفزع قلب المرأة :

— أنتمقدين أنك قوية ؟ أنتشبهين بالرجال ؟
إنك أنت المجنونة التفتت بهؤلاء الخدم الذين هم من
كافة الأجناس ؛ باستطاعتى الآن أن أدبحك ، وأن
أجزع عنقك أمام أعينهم ، وأؤكد لك أنهم لن يرفخوا
إصبعاً للدفاع عنك . سيتسللون سائحين وسينسحبون
كالأرانب حتى اللحظة التى ينتهى فيها كل شئ ...
فارتشت «ى» لهذه الألفاظ التى نطق بها
الرجل بوقاحة خفيفة ، وهاجت لتتخلص منه حتى

وجهما عن النهم والكسد اللذين أسابا نفسها :
— ماذا تريد ؟

فأجاب الرجل بصوت منخفض مضطرب :
— مالاً بالطبع

فأعرضت عنه بإزدراء واستخفاف ، وقالت
فى نفسها :

— ليس لى من وسيلة أحسن من رفع صوتى
أو شغل هذا الزر الكهربائى فيقترب الخدم نحوى
ويكونون طوع أم سرى

ولكن الخبيث أدرك ما يجوز بمخاطرها فصاح
بها فى وحشية وفظاظة :

— ابتدى عن هذا الجرس !
فلم تتحرك «ى» بل أجابته بهدوء :

— سيكون باستطاعتى أن أضغط على زر الجرس
دون أن تعلم بذلك ، ولكنى لن أفعل ، لأننى موقنة
أنك لست مالكاً لشعورك الآن ، وستمود سريماً
إلى حالك الطبيعية

قالت ذلك ، وظهرت على وجهها ابتسامة صغيرة
كلما تهكم وهزم وسخرية

تبدل لون وجه الرجل من التبيج والجنون
وصاح بها :

— أعطنى المال حالا ، أسألك بالله
ومرت على وجهه سحابة مظلمة ، فلم تجب
«ى» سؤاله رغم الاضطرابات الجنونية التى كانت
تثور فى قلبها التشنج ، بل اندفعت تقول له :

— إننى أمهل بلا انقطاع ولا توقف لكى أعينى
وأنا وحيدة فى هذه الليلة . إننى أكتب قصصاً
وزوايا لبعض المجلات الأوربية ، أفتبلغ بك البلاهة
إلى الظن بأنى سأقدم هذا المال الذى أحرزته بمشقة

— وأنت ! إنك تتكلم كثيراً ، فسمع هذه الحكمة الثالثة : « إن الكلب الذي ينوى دائماً لا يعض أبداً » قالت ذلك بلهجة هادئة رسيئة .
— لن أعتقد أبداً أنه من الصعب ذبح أى إنسان . فأجابته بتهكم :

لقد فهمت من كلامك المتابع أن هذا هو مشروعيك الأول في الجريمة ! وبأسرع من لح الطرف ، خرجته بجميع يدها على فذاعه بكل ما لديها من قوة ، فأنفلتت الديد من أصابعه اللشجبة وتركته يشتم من جديد ، وأسرعته بخفة ورشاقة فوضعت قدمها على الديد الملقاة على الأرض وقالت له بلهجة سارمة :

— إذهب واجلس هناك قرب النافذة !
لقد تبدل الوقت ، ونرى المرأة الآن بدورها تاتي الأوامر
أطاع الرجل الأمر بضمت ، راضياً بكل شيء فأتت وجلست بجانه وقالت :

— أين تقطن ؟
فأجاب برغبة :
— أظننى حى « لوفيس ستريت »
— حقاً إن ذلك موافق جداً لرجل أبيض البشرة !

فقال الرجل بوحشية :
— لا تنهكى من فضلك ، إننى قانع جداً بوجوده
سقف يظلى
فأتمت « حى » فلامها دون أن تنبئه إلى غبط الرجل وقالت :

— ما اسمك ؟
— ماذا تفيدك معرفة اسمى ؟ هل لديك رغبة في كتابه قصص الخجلة ؟

أفضى بها الأمر إلى أن عضت يده بقسوة ، فراح الرجل يهدد ويوعد دون أن يتراجع
ورفع الديد يده ليهوى بها على المنق النض المرتجف ذى البشرة البيضاء الناعمة ، فلمت الديد بنوداً مشؤوم ومست رأسها الحادة عنقه مساً خفيفاً شعرت بأن قواها خارت ، وأن قلبها يتلوي من الألم ، وأن أعصابها قد تشنجت ، ولكنها رغم ذلك كله استطاعت بما لديها من شجاعة أن تحتفظ بانتسامة على شفتها الجافيتين الراجفتين ، وراحت في سرها تدعو الله وتطلب المونة منه
وعاد الرجل فصاح بها مهدداً وأطبقت شفتاه على أسنانه البيضاء :

— أين تحبين مالك ؟ إنها المرة الأخيرة التى أسألك فيها
فرغت إليه عينها الواسعتين الزرقاوين وسألته قائلة :

— لماذا تردد فى إزال الضربة للقاضية ؟
رجل أبيض البشرة يذبح امرأة من بنات جلده فى هذه البلدة التوحشة ؟ إننا نسمع بأمثال هذه الوحشية عن الزوج ، ولكننا لا نسمع بمثلا أبداً عن مواطنينا بيض البشرة

ولحت شمعاً من الاضطراب يلوح فى عيني الرجل المظلمتين ، فصمتت وأطرقت . فقال بلهجة فيها شيء من التضرع والتوسل :
— لا تدعني أصبح قاتلاً من أجل شيء حقير
تافه . أعطيني ما يمكنك إعطاؤه . ماتنا روية تكفى فضحك « حى » وقالت :

— رغبتك فى أن لا تصبح قاتلاً جعلتك مضحكا
فاغمض الرجل عينيه وقال :
— أرى الشئام سهلاً عندك

قفهت ملء شدتها ، وألقت بجسمها على كرسى قريب وصاحت قائلة :

إن فكرة البطولة تعود إلى بساطتها . منذ لحظة كنت تريد أن تقتلى بلا رحمة ولا شفقة للسرقي ، والآن لا تستطيع أن تقبل شيئاً هو بنظرِكَ أشبه بالصدقة ! حقاً إن الرجال لديهم أدب مسل . ونحسكت وفي هذه الأثناء سمع طرق خفيف على الباب ، فدخلت « م » الرجل على مكان يستطيع أن ينجيـه فيه ، ثم فتحت الباب .

— ماذا حدث يا أنكا لانتالام ؟

فأجاب الخادم :

— القديس أبونا أني ليراك

— حسن ، قل له ينتظرنى فى البهو ، أنا قادمة الآن .

ولما اختفى الخادم ، أخرجت فرنسيز من غضبه وقالت له :

— تعال مـى ، لقد دعوت الأب « دوران » هذا المساء لتناول طعام العشاء وتستطيع أن تأكل معنا فصاح الرجل وهو يشير إلى ثيابه الرثة ويديه الوسختين :

— كيف يكون هذا ؟

— سأدلك على غرفة الاستحمام ، ومن السهل عليك أن تستحم وتصبح لائقاً بالمقابلة ، ثم انحنت والتقطت المديّة الملوّحة على السجادة وقالت :

— سأحفظ بهذا الضيف الثقيل كذكرى للحادث ، بعد أن أذكر أن امرأة وحيدة فى الحياة ليست أبداً فى أمان على نفسها ومالها

فتملكته الدهشة ولم يجر جواباً وتبهما ، فتركته عند منضدة الزينة ، وكانت طاعة أنها لم تنج من الخطر تماماً ، ولكنها كانت تدرك أنه يجب من أجل إنقاذه

— لا تخف وأجب على سؤال

فقال بلهجة شرسة :

— فرانسيـز

فكرت الفتاة قليلاً ثم سألته برفق واصمة يدها على منكبيه :

— فرانسيـز ، هل أنت محتاج حقاً للمال إلى هذه الدرجة ؟

فضحك بمبراة وقال جيئاً :

— محتاج للمال ؟ يا له من تهكم سرير ! أنتظنين أننى نهيت لفتلك رغبة فى القيام بمركات رياضية أمرن بها جسدى ؟ إننى لاحظتلى إذ أن شجاعتك صدىتى . ولن تكون لدى القوة الكافية لأجمل هذه اللدية الرهيبة تنوص فى عنقك الجليل الذى تنتظر بهدوء

فضحكت لقوله . وإنها تستطيع أن تضحك ملء شدقتها دون وجل ولا خوف ، إذ علمت أنها قد رجحت الحركة

— ألم تكن جاداً فى هذه اللحظات القاسية التى أمضيتها بسكرات نفسية لا تحتمل ؟

— لا نضحكى ! لقد كنت مجنوناً ، وسأغرق عيني فى اللحظة التى تنوص فيها المديّة فى عنق .

— هذا فظيـح .

واضطربت « م » لذكرى الاضطراب السابق وقالت بعد صمت حزين :

— فرانسيـز ، سأعطيك مالا ، كم يلزمك ؟ فقفز فرنسيـز ووقف أمامها ناظراً إليها بيلاهة وقال :

— لن أستطيع أبداً أن أنبل الآن . وأصبح شاحب اللون جداً .

فنهض فرانسيز وقد احمر خدها من الخجل ،
وتناول المال من بدعا وقبض عليه بيده اليمنى بحركة
عصبية ، ولاحظ القس اضطرابه ، فقال له ليقطع
حبل الصمت الثقيل الذى أعقب ذلك :

— يظهر لي أن الكتب التى يمتلأ لآسنه «ى»
قيمة ونجته ، بل من الواجب أن تكون كذلك ،
إذ أنه من الصعب الرضى بقراءة كتب من نوعها .
ثم أضاف قائلاً :

— أتهبل زيارى لك فى أحد الأيام القيلة ؟

فتضايق فرانسيز واضطرب وأجابه قائلاً :

— أأ... أخاف كثيراً ألا تستطيع أن
تزوجني حيث أعيش... إنه حتى سى منمور الدكر
فى رائجون الحى الوضع... إني أخجل
فقال له القس رفق ولين :

— لا تمنجل أبها الشاب ، لا بضيرنا المكان
الذى تقطنه ما دمتا نعيش بمجسمة وفضيلة ، على أنى
أعترف أن رفقة السوء تفسد المرء ، فلماذا لا تترك
هذا الحى ؟

فأجاب الشاب متجنباً نظرة «ى» النافذة :

— إن ترونى لا تساعدننى على ذلك

وكان القس وافر الذكاء ، وذالام واسع بطيانع
البشر ، وسريع الفهم ، ففكر فى نفسه وهو ينظر
إلى الشاب نظرة ذات معنى ثم قال له :

— لقد أعجبتنى يا بى ، وبما أن الأكنة «ى»
تمر فك فلا حاجة لى بتوصية أخرى لتكون مقبولة
لدى . عندى مشروع أود أن أعرضه عليك ...

إني قد كبرت ، ولا أزال عنجاباً لرأس مفكر شاب
يدير لى أحمالى ويسلم حساباتى ، وفى دارى حرفة
فارغة ، وأظنك ستقبل الحياة قربى إلى أن تجد عملاً
أكثر كسباً ومعناً ، ما رأيك فى ذلك ؟

أن تظهر له أنها ثابتة الجأش ، وبكل بساطة وسذاجة
ذهبت لتقابل ضيفها ومدعوها فى البهو

كان الأب « دوران » ينظر «ى» بهدوء
وسبر ، فأقبلت ترحب به وتكلمه فى كل شىء دون
أن تشير فى حديثها إلى الحادث المضحك المبكى

وسمعت الفتاة بعد قليل صوت خطوات الرجل
الترددة خارج الباب فنهضت لاستقباله ، ولدى تبعد
عنه الضيق والخجل قدمته بلباقة إلى القس الكهل قائلة :

— السيد فرانسيز

وسار الثلاثة إلى غرفة الطعام حيث كان الخدم
البرمانيون والمندود حفاة الأقدام يملأون بصمت ،
وتترلق أقدامهم على البلاط الرخاى كالأغشاح

وقد أزعج القس وجود هذا للشخصين الثالث
القريب ، ولكنه لم يبد ذلك من نفسه ولم يشر إليه
فى كلامه ، وقد بدأ الحديث بين الثلاثة فى موضوعات
تافهة ثم تطور حتى أصبح ودياً وأغزر مادة حتى
أنه شغل الفن والعلم والأدب والموسيقى ، واستأنس
الرجل تماماً وراح يتكلم بجد ، ويمحاول أن يظهر
مظهر المثقف الربى تربية سامية ...

ولاحظت «ى» أن الرجل يبذل جهداً عظيماً
ليقم شهوة الجوع التى قويت فى نفسه ، فانفطر قلبها
رحمة له وشفقة عليه وبدأ الطعام

ويبد أنها هم منه ، عادوا للبهو كي يشربوا
القهوة ، فاعتذرت «ى» واستأذنتها فى الخروج
برهة قصيرة ، وعادت إليها سريماً حاملة يديها
غلاًفاً قدمت إلى المتدى بمحذ قائلة :

— هاك يسيدى المال الذى لك عندى ، وأرجو
أن تجد هذا المبلغ كاملاً غير ناقص ، وأنا موقنة
أن حكى سيكون صائباً على الكتب التفسية
التي يمتلأها !

— لماذا ؟ هل ذلك ضرورى يا بنى ؟ أليس من الأوفق والأحسن أن تصمت وتحفظ شرك فى صدرك لتقى احترامنا لك على الأقل

فأحس الشاب بالدموع تبلل أجبانه وقال : أقسم لك بأنك لن تجد الوقت الذى تأسف

فيه وتندم على عمالك التليل هذا . إننى مدين لآلئسة « ي » بأشياء كثيرة . إن من الواجب على أن أعترف لآلئة لأخطئ بفعلها ، إذ أننى أرغب فى أن أزال هذا المعو لو كان الثمن إهانات عظمى . إنك لن تستطيع أن تشك فى وداعتها وسفاه قلبها

فقطرت إليه « ي » وكانت ترى أمامها مستقبلا باهرا . فضحكت كي تشجبه وقالت :

— إن الأب « دوران » صالح وتقى ، وأرجو أن تحمل له بين طيات قلبك الاحترام والحب اللذين يستحقهما . ويجب عليك قبل كل شيء أن تضرب صفحا عن الماضى وأن تحاول نسيانه وتقبيه وراءك بعيدا .

— أعدك خلصا يا سيدتى أن أفضل كل ما أستطيع لأزال تقدير مواطني ، ولن أنسى قط أنك خاصتى من نفسى وأتقنتي منها

وبعد دقائق ممدودة ، ودعت « ي » الرجلين وعاتت إلى البهو وهى مطرقة تفكر . ورفقت رأسها فرأت على منضدة صغيرة نحاسية ، غلافك أبيض ، ولما رفسته بيدها وفتحته وجدت فيه المائتى الروبية التى قدمتها للشاب

فسارت إلى غرفتها وأدهشها أنها اكتشفت نفسا حساسة فى هذا الرجل الذى كاد يصبح قاتلا وسقط جسمها فجأة على السرير وهى نلهت ، وشمرت إذ ذاك أنها أضعف وأوهن من طفل صغير

ناجى الطنطاري

« دمشق »

كانت « ي » تنظر إلى القس بفزع ، وقد داخل نفسها فجأة خوف عليه ، أنفست وتترك هذا الفصل من القضية وتبسل النفس يجرى إلى النهاية ؟ ... وقبل أن تنفج فيها تكلم الرجل ، فأصفت إليه وهى دهشة مأخوذة :

— لقد غمرت نفسى بطغفك وحنالك يا أبى ، ولكن ليس لدى مال أدفعه للفرقة ، ليس عندي إلا ثمن النذاه !

— لا تفكر فى هذا يا بنى ، فستعمل لى وسأبقى مديتا لك ، إنه ليمضى التفكير فى أنك ممرض لحياة سيئة فأمسدة . أليس لديك كلام آخر ؟

شعر الشاب أنه مشرف على ساحل من المروى لاحد له ، لقد صادف فى يومه هذا كثيرا من أمثلة نبيل النفس وسلاحها ، وبقيت آثارها تنمر نفسه ، وتراعى له أن العالم كله يريد أن يجعله ما لا يطيق من الفضائل يحعو بها السيئات التى ارتكبها ... وعم جسمه اضطراب شديد ، وصعد فى صدره شيق بلغ عنقه ، ويدافع نفسى قوي صاح بالقس الهرم قائلا :

— إننى لست جديرا بهذا الكرم العظيم ... اصغ إلى يا أبت . إن شرف نفسك وتبناها قد أوردنا عذابا ، وأرى أن أحسن طريقة هى إطلاعك على حالى وحقيقى . إن الآسنة « ي » لم تقل لك شيئا كما يبدو لى ، وأنت لم تعرف الحادث ، فن واجبى أن أسرد على مسامحك كل تاريخي الزهيب

فأقبلت عليه « ي » بوجهها وكانت راضية كل الرضى عن هذا القول الذى صدر من الشاب ، وأيقنت أنه جدير بالمال الذى وهبته إياه وقالت :

— إنه حق فى ذلك يا أبت

فقال القس :

الأبنت

للكاتب الفرنسي بول بورجيه
بقلم الأديب كمال المحمري

قطعت كل صلة تربطني بأسرة
أخرى في هذه الحياة ، وأنت
كأسرة في ريتي شبابها واكتال
أوتنها ، لك الحق بل يجب
عليك أن تستأنق حياة الزوجية
السعيدة من جديد . وإذن فهل
أستطيع أن أأمل يا سيدتي أن
تمتدني الزوج الخلس الذي

سيكون من أشهى أحلامه أن يضحي راحته وحياته
لأجلك ... إني أحبك ... يا سيدتي ، وللهل الرة
الأولى التي أسمع فيها لنفسى بنطق هذه الكلمة
الجرينة على مسمع منك ... أما أنت يا سيدتي فليس
عندك إلا كلمة واحدة تقولينها لي في هذه اللحظة
ستكون هي الأولى والأخيرة . ولكن بحقك
لا تفلظها إلا بعد تأمل في عاقبتها ، فإن ما أجن
لك من هوى ديني لأمر من الأهمية والخطورة
بحيث لا تكفيه كلمة أو جواب يقال على استعجال
واقضاب . قالت مدام « ليجيه » وصوتها راجف
وطرفها خاشع :

— أطلب مني استئنافاً لحياتي الزوجية منك ؟
ثم جد لسانها عند هذه الكلمة فلم تأت « بلا »
أو « بنعم » ؟ وأخيراً جسرت فقالت :

ولكن حياتي لا يمكن ترميمها ولا استئنافها .
إنك تتكلم عن الحق والواجب وأنا لا أعرف إلا حقاً
واحداً : هو السهر على أولادي ، ولأنهم إلا واجباً
فرداً : هو واجبي نحو أبنائي الثلاثة .. قال الصديق
الخطاب :

— أولا تشمرين أني أسهمهم أيضاً وأعزم
وأحنو عليهم كأبنهم صديق الراحل ... ؟ ومن
(١)

استيقظت مدام « ليجيه » في صبيحة هذا
اليوم فقلقة بأدية الموموم والتفكير . فقد كان عليها أن
تضع حداً لحياتها كأرملة في مستقبل العمر ، ولحياتها
كأم ذات بنتين ثلاثة . فلقد مضى على وفاة زوجها
وهي إذ ذاك في الثالثة والثلاثين عامان كاملان .
وكانت وفاته بيلة ذات الجنب التي غالته وشيكا من
دائرة عمله كحمام له شهرة مستفضية ومحل من قلوب
الناس . ومنذ ستة أسابيع سلفت قبل هذا الصباح
الذي تستيقظ فيه مدام « ليجيه » حائرة مفكرة ،
اجترأ « جورج فوكولت » صديق بدلها المرحوم
وعمام مثله أمضى معه سنى الجامعة ثم لزم زوجها
في دارته لزم الشريك وفي بيته لزم المصاحب ،
اجترأ هذا الزميل على أن يقول للأرملة الصبية منذ
سنة أسابيع :

— إني لأشعل لك أيتها السيدة منذ طويل
عاطفة لم أستطع استكناها ولا فهم طبيعتها إلا منذ
اليوم الذي غادرنا فيه صديق العزيز زوجك ، فأصبحت
بوفاته حرة التصرف مالمكة لزام أمرك . وأظنك
كنت تستشمرين مني هذا الصمت الناطق وتحسين
احترائي للراحل الفقيد وتقديرين رعايتي لك . فبسيك
يا سيدتي « ومعدرة من اعترافي بهذه الحقيقة »

— إنه إحسان منك على أى حال أن تحدى
لقلبي الشهيد موعداً للجواب كي أعادرك وأنا أقول
لنفسى من يوم لأآخر ستوافيني نعمة جوابها فى
يوم كذا.. «كأثرين»، أيها المرزوق، اختارى بنفسك
اليوم الموعد وعينى تاريخه، وليكن القرب والممد
على ما يوافق رغبتك وهواك... أما أنا فسأعاهدك
الآن عهداً لا أنحت فيه ولا أعرف ألا أخوض
فى ذكر هذا الموضوع الذى سيكون برغم هذا هو
شئى الشاغل وهى الناصب.. غددى بينك موعد
جوابك. وهنا تمتد مدام «ليجي» بصوت
محتبس ولهجة ضارعة: سيكون ذلك حين يتعنى
أجل حدادى على زوجى الراحل، وبما أنك تدعى
حبي فأرجوك التمسك بوعدك منذ الآن كما أعسك
بوعدى أنا. والآن أرجو ألا تلج على فى هذا
الشأن فقد كفانى ما كفانى...

ثم يقول لها، وهو يود أن يوضح بالوقت المين
كل شك وغوض يمكن أن يتور موعده الرجى:
وإذن فسيكون جوابك بعد أساييس فى الرابع عشر
من نيسان؟! فأجابت على هذا بإعاده من رأسها ثم
انقعد بينهما جو من الصمت...

لقد غالت يد اللوت زوجها الحبيب فى الرابع
عشر من إبريل أى منذ اثنين وعشرين شهراً سلفت
قبل هذا اليوم الذى تجالس فيه مدام «ليجي»
خطيبها المسبو جورج. كل ذلك جال بذهن
«مدام ليجي» وذهن الخاطب الصديق الذى شمر
بقل كانه على نفس الزوجة بعد أن عين لها الموعد
المضروب...

أن يستأنف الزم حياته دون أن يعوج بذكرى
أحبته الراحلين عن الدنيا فى ذلك وبالحسرة إصادة

لسمى سيجل على الأب الراحل إن لم يحله صديق
أبيه وصفيه؟ وهل غيري يعرف ميول صديقه
وذوقه ومشربه فى التربة والمسلك؟ وإذن فهل
تسمعين يا سيدتى أن أشغل مكان الأب الراحل؟
أترضين أن تكونى امرأتى أمام الله والناس
قالت الأرملة فى حيرة وتلدد:

— خلى الآن لشأى... هلا جيتنى السلام
فى هذا الموضوع..؟! إنه ليؤلى البحث فيه ويسبب
لى كثيراً من الشجن والشجو
لا أعرف شيئاً. لا أفهم شيئاً. لست بمستطعة
أن ألج فى قرارة نفسى الظلمة طافئة أستطيع منها
إجابتك على سؤالك لأنى أجهل نفسى... ولكنى
أعدك أن جوابى سيكون بعد قليل من الزمن...
أما الآن فلا أستطيع، أجل لا أستطيع... فأجاب
جورج فوكولت:

— سأنتظر كلتك كما تشائين وأنى تشائين.
إنك إلا تقول «لا» هذه اللحظة فيجسمى، لأن
ذلك ممناه أنك قد تنصرين خلال سجوف المستقبل
السكمة الحبيبة إلى قلبى وهى «نم». إن للتردد
والتحير مؤلماً لقلب مريضاً الروح إذا لم يكن القلب
المنتظر فى شرخ شيا به. قال ذلك وأبان لها عن
طرف لته وقد طرزتها سنوه الأربون بأسلاك
الشيب البيضاء. فأحمت المرأة الأرملة وهى تتأمل
وخطات الشيب فى رأسه، وتنتظر إلى أثر للتأنيب
الصامت من عينيه السوداوين: أن موسيو جورج
إنما يقبى سعادته فى هذه الدنيا بمقياس ما بقى له
من سنين فيها، وكأن نظره كانت تقول لها: إن
ما يطويه الشيب اللامى من متع ومباهج لن ينشرها
كفن للشيب مهما يمتد ويصف ثوبه. ثم يستأنف
حديثه ويقول:

ما الذى طرأ عليها لارى فيدل عزمها ؟ ... وأقبلت الخادم فى هذه اللحظة فصرمت أستار الثرفة عن النوافذ ولأشبابيك فطلعت على جوها موجة من نور لألاء ضاحك غمر المكان كله ؟ وكان فى شارع «فانو»

تشرف نوافذه وشرفاته على بستان القنصلية النسوية الغليل الياضع . ولمت زرقعة السماء من خلال النوافذ ونفذ تمريد المصافير إلى السامع شجياً موسيقياً شمرت معه مدام « ليجيه » أن ثوب الجدة الذى تضفيه الطبيعة على جسمها يتفق والموقف الجديد الذى تقفه من حياتها الجديدة هذا اليوم ... حتى أن الثوب المزركش الذى حملته الخادم منذ لحظة كان يفرها بأخيلة وخطرات جدّة حائلة واللذة والسعادة ... ومع ذلك فلم يتقطب جبينها ويريد وجهها كلاً نظارت إلى عقرب الساعة ينتقل من مكانه ؟ ! ما لها تقف حالة ساهرة بدل أن تنشط وتفرح ؟ ... أترأها تتخوف مما عساه يحمله لها هذا اليوم من خوف مجهول ؟ ! ...

حين تكلمت مدام ليجيه عن واجباتها نحو أولادها لم تقل كل شئ الصديق الخاطب ، لم تتعرف له أن ولدها البكر « شارل » ما فقه منذ مشهور مدعاة تخوفها . أبداً لم يتبادل الاثن مع أمه كلمة عن « جورج فوكولت » خاطبها الرغيب ، وكان هذا الأخير لا يميز هذا الغلام الياضع فى الخاطبة والحوار عن أخيه الصغير « رنيه » وأخته الصغيرة « هيلين » الذين كان يكلمهما بسبينة الافراد دون كلغة . ولكن إذا شفت سنو الطفل « رنيه » الجنس وأعوام الطفلة « هيلين » المشرقة لهذه الصبينة الافرادية يبدى فيها سديق أبهما حبه وتبذله لهما ،

إلى ذكراهم الغابرة ومعهوم الماشية ، وإذن فمن ينب عن الوجود تمت معه ذكراهم وتتمدد ثم تنظمه هوة الدم إلى غير رجعة ، والحفتاه .

وصرت على هذا اليوم ستة الأسابيع الضروية دون أن يل خلاها طيف الزوج الراحل ودون أن تتردد ذكراهم على رأس الخاطب ومدام « ليجيه » فتفسد عليهما خلوتهما اللذينة وجلساتهما اليومية المتماقية ...

وبحمد السيو جورج من اللطف والأدب ألا يمرض لذكر الوعد المرتقب خلال هذه الأسابيع الستة . ثم يرى من الطرف والكيسة أن يبادر (باريس) حين اقتراب اليوم المضروب يوم ١٦ نيسان . أما مدام « ليجيه » فقد أخذت تنهياً لهذا اليوم وهو ذكرى يوم وفاة زوجها . وقد أحييت هذه الذكرى فى ذلك اليوم فى شئ من البرود وعدم البالالة لم تتخرج يوماً أثاره من حنان ولا بقية من نجمة وحسرة . وفى اليوم الثالث عشر من نيسان تاملت من جورج خاطبها خطاباً يبينها فيه زيارته من اللذ عند الظهر ، فأقبلت على الرسالة تقرأها صرة وصرتين ثم بدرت منها بادرة غريبة عجبت لها من نفسها ... وذلك حين رفعت رسالته إلى قفها وقبلت سطورها وفى ظنها أنها إنما تقبل حياة تفيض بالسعادة واللذة خلال هذه المظور ... وأخذت تردد : نم ... نم ... سيكون جوابى .. نم . وإذن فقيم استيقاظها سديحة هذا اليوم مضطربة حيرى كما أملفنا ؟ ... ما الذى حدث خلال هذه الفترة القصيرة بين تقبيلها رسالة جورج نهار الأمس فرحة نشوى وبين الساعة التى ترفق فيها وسادة سريرها الوثيرة يبدو عليها سهوم وتفكير ؟

ويا للأسف كان يزيد ألماً وبضائع شجوها ...
أجل إن جورج عني في قوله . فواجب على
معاودة حياتي الزوجية ، وأنا بهذا لأأمل شيئاً من
زوجي الميت ولا أسوءه في كرامته . كذلك لأأثنت
على أولادي الأحبة الذين تركني لهم ، لأن جورج
سيحبهم وسيحزنو عليهم . والصغيران يحسان بهذا
ويقدرانه في سناجة وطهارة . أما شارل ولدى
الحبيب فسوف يقدره كذلك إن تفكر وتدبر .
آه لشدة ما يجب أباه هذا الصغير ! إنه لينمو
ويتفتح الحياة يوماً بعد يوم كأنما تنمده نماء معجزة
من السماء

هو الأول في صفه في مدرسة «سانت لويس»
وإنه يترقى بين رفاقه وزملائه بصورة غريبة سريعة
كأنما وطن نفسه على أن يسد الفراغ الذي تركه
أبوه من بعده ، إن لم يكن قد قام في نفسه أكثر
من هذا : أن يكون خليفة أبيه في البيت ورب
الأسرة التي كان يحلم أن يكون حامياً وراعياً .
فيا للقسوة والسكران ! وكيف تجرؤ هذه الأم أن تسلم
أمور البيت إلى راع آخر وحام غريب ؟

ومضى الوقت وكادت الساعة تبلغ العاشرة
وأفكار المرأة ما زالت تضطرب في ساحة ذهنها
حيث ذهاباً . وفيها هي منصرفة إلى زينتها وترجيل
شعرها وتليق حليها وأقراطها ، إذا طرقت على
باب الثرفة تنفذ إلى أذنها فيجب لها قلبها وترتمش
نفسها لأن هذه خطوات ابنها الذي كانت تعتبر
نفسها أمامه كجسم أمام قاضيه . وفي الحق لقد كان
الداخل «شارل» الذي توقف على الباب لحظة
كالأخوذ بدل أن يدخل عليها لتوه . قالت له الأم
مضطربة قلقة وقد شاهدت تأثراً غائياً بطبع وجهه

فإن الستة عشر عاماً التي يجتازها للثلام الراهق
«شارل» كانت تقيم بينه وبين «جورج» الخاطب
جواً مختلفاً عن جو أخويه فيه بدل اللفة والمطف
وعدم الكلفة التقباض والنفرة . ومع هذا فقد كان
الخاطب الوافل ينفي عن هذا ويتجاهل ، بل لقد أخذ
في الآونة الأخيرة يضائع عطفه على الثلام ويتنق
الوسيلة إلى قلبه النافر ووجهه المابس الصامت
وتلاحظ مدام «إيجيه» ذلك السلوك الحبيب
الجذاب الذي يامل به الخاطب ولهما البكر فتنبط به
وتنشرح له

ولكن رغم كل هذا كانت تتربص من ابنها
رفضاً وثورة أخذت تحسب حسابها وتنبأ لها
منذ أيام

من هنا كانت حيرتها وقلقها في هذه الصبيحة
الباحية من نيسان التي كان عليها أن تقول كلمتها
الأخيرة في رفض يد «جورج» أو قبولها . ولهذا
وحده هي تدبر في ذهنها الصورة المستحبة لللائحة
التي يمكنها بها أن تعجب ولها دون أن تؤذيه
أو تسوءه في عزه نفسه ، فكانت تردد :

— كان على أن أنبئه بذلك وأسير غور رضا
أو رفضه منذ ستة أسابيع ... غير أنني لم أستطع
ذلك لأنني أجدني أمامه مرتبكة مشالة الإرادة كاني
بحضرة أبيه الراحل . فيالله كم يشبه حتى كأنه سورة
الثانية ؟ ! وعلى كل حال فإن جورج أحسن في
تحيته إليه وترثيه . . . وذكر اسم جورج هكذا
مراراً ، دل المرأة على أنها تنطوي له على حب
وميل ...

فهم يلوح لها أنها تحبه بأنصاف من الوظائف
والبول غير متكاملة ولا متكونة . ولكن ذلك

أخذت تحتل مكانها يوماً بعد يوم من قلبها
وفي صباح هذا اليوم في وثبة طافرة من وثبات
الارادة العنيفة أسرت مدام ليجيه الخادم وقالت :
— لويس ، لانضمي في هذا الغداء مقعد المرحوم
زوجي على المائدة ، بل عليك أن تنضمي مكانه مقعداً
لجورج فوكولت ...

وحان وقت الغداء وانخفضت المائدة أمكنتها
حول المائدة ، ولكن « شارل » الصغير ما كاد يرى
المائدة والكرسي الجديد بدل كرسي أبيه للتوفى
حتى حلت في وجه أمه وقد امتنع وجهه وانسحب
لونه أولاً ثم احمر واشتعل بالدم الملتهب . ونظرت إليه
الأم برعب وهيبة ، ثم صيغ وجهها الاجرام هي
أيضاً . ولكن في تلك اللحظة ادهية المرحلة
جري أسرّاد في اضطراب مدام ليجيه وارتباكها
ثم حيرها ، ولكنه في الوقت نفسه أجرى المسألة
في مجرى حسن لم تكن تتوقعه مدام « ليجيه » .

فبينما كانت تتناول بيدها مستند مقعد كي تجلس إلى
المائدة إذا « بشارل » ولهذا بقي عليها نظرة تفيض
بالحنان والشكر ثم تخضل عيناه بالدمع الذي لم يكن
منه الحقن عليها ولا الغضب منها وإنما هو الامتنان
منها والشكر لها ... ولكن عن أي شيء صدر هذا
الامتنان ؟ ! نعيم مما صورده له وهمه دون أن يتفان
بالحقيقة الواقعة فلم يلاحظ الولد الطيب صورة المفاجأة
والدهشة التي بدت على وجه أمه ، ولا نظرات
الارتباك اللبّابة بينها وبين الخادم ، قرر في ذهنه أن
أمه إنما تبرعت له بمكان أبيه مراماة له وتبدأ
لظنونه السابقة في وفائها لأبيه ، لهذا احتل مقعد
أبيه أو الكرسي الذي وُضع للخاطب « جورج
فوكولت » محل كرسي أبيه ، وقبله يخفق من الفرح

بطابع الألم : ما لك يا بني ؟ فأجابها الغلام : لا شيء
لا شيء ، إني مشدود متعجب فقط ... لقد
أفنت أن أراك دائماً في ثياب الحداد . ولكن
ولكن ... صحيح أن حدادنا على أبي قد انتهى ؟
فألت « مدام ليجيه » على المرأة الكبيرة أمامها نظرة
غير عابدة فإذا بها تبصر ملامح وجهها الرائق
تسبح أبعد انسجام مع خصلات شعرها الذهبي ،
ولكن يتناقض ذلك كل المناقضة زى ولدها المدرسي
الأسود النارق كله في حلة من حداد ، ويرتجف
صوت الأم حين تهم بإجابة ولدها ثم تنجدها لباقتها
فتتغير مجرى الحديث وتقول :

— ولكن ... قل لي ... لملك مسرور من
أستاذك هذا الصباح ؟ ثم ... ثم كيف حال كتابتك
في الانشاء ، أظنها أحبته ؟ ! ثم ناجت نفسها :
— سأبث لحظة قبل الاعتراف له بالحقيقة
خصوصاً وهو متأثر ومفاجأ بهذا اللباس والوقت
منسج للغداء والافضاء إليه بالأمر ...

على رغم أن الحاي التوفى موسيو « ليجيه » قد
خلف لمانته بفضل مركزه الخطير ونجاحه الكثير
ثروة لا بأس بها ، فإن مدام « ليجيه » لم تحالف
شيئاً مما ألفته سابقاً من تدبير واقتصاد في الانفاق
على المنزل . ولما كانت مدام ليجيه لا تستقبل في
مفتتح عهدها بالترمل إلا أقرباء يمتون إلى الزوج
بصلات القرين والمودة ، فإن الاهداد لذكرى الميت
لم يكن ايجملهم جهداً أو مشقة . ولكن ألقى لها
بجمل كرسي زوجها بشخص خاطبها جورج في
حفلة النداء أي عذر مستنذر به ولدها ؟ كيف تخل
بهذه المادة التي يقدسها ابنها ويعبدها ، والتي باتت
تبهظ روحها وتثقل على قلبها لأن صورة الخاطب

طافعين : تيار جارف عنيف من حب امرأة صبية حسناء ، وآخر هادئ عميق من عطف أم رؤوم ، إذا برنين الجرس ينزعها من ذراعي ابنها الذي كانت تحتضنه وتضمه إلى صدرها بجمرة وشوق .. لم تكن غدوة فقد جاءها الخادم بعد نوان يطلب الأذن لوسيو جورج الخاطب الجديد ، فأبدي ابنها « شارل » حركة مفاجئة أراد معها الانسحاب من قاعة الاستقبال ولكن الأم فهمت منه هذه الحركة فقالت في كبرياء مزوجة بألم :

— إيقن مكانك يا « شارل » ثم التفتت إلى الخادم وهي تقول :

— قل لوسيو « جورج فوكولت » إنه من المستحيل على مواجهته هذه الساعة وسأكتب له جوابي كتابة ...

وحين انفردت بابنها راحت تماثقه في لغة وابتهاج ثم قالت : أبدأ لن أتزوج يا شارل العزيز . أبدأ لن أنقل عليك باب يؤلم نفسك ويروح قلبك . لن أرضى أن تتألم أنت كي أسعد أنا . إنك حسي من دنياي يا بني وأظن أني حسيك أيضاً

كالم الحبري

الأم فرتر

للشاعر الفيلسوف موتة الاولائي

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالص

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونعها ١٥ قرشاً

والشكر وحلقه غاص من الذكرى والحنين ...
وانتهى النداء وخلا المكان « بشارل » وبأمه فضم « شارل » أمه إلى صدره بشوق وشكران وراح يقول لها وقد أرخى لمبراته العنان حتى بليت وجه الأم للسكينة الحائرة :

— آه، شكرآ لك ألف مرة يا أماء. فقالت أمه في حيرة :

— ولكن لم هذا الشكر يا بني ؟ فقاطعتها دون أن تترك لها الفرصة لتأبى حديثها :

— أشكر لك أخلتني على أبي على مائدة الطعام في اليوم الذي تخلمين عنك فيه ثوب الحداد . إنك لا تدري أي جبل أسديته لي وملايت به قلبي الحزين ... آه .. ولكن يجب أن أعترف لك بصراحة .

لقد كنت منذ زمن أشك ، بل أخاف من تصرفاتك فأغفري لي الآن هذه للشكوك والظنون . نعم كنت أخشى أن تسنج لك في يوم ما فكرة الزواج لأنك ما تزالين صبية . ولقد أبصرت ثلاث أمهات من أمهات رفقائي في المدرسة يتزوجن ويسلن أبنائهن لأب نان غريب عنهم . ولكنك أجلسني تجاهك منذ لحظة على مقعد أبي المرحوم فأدركت أنك تريدني أن تقول لي : املا على أهلك يا بني فقد آن لك أن تشمله وتواجه أختك وأخاك المميزين وأهلك التي تحبك ، ولكن إن أشغل مكان أبي ذلك الأب الذكي الطيب ، فذلك ما ليس في وسعي ولكن أعاهدك أنت أبذل له جهدي . وهنا تغل لمدام « ليجيه » أنها كانت ستعطي قلب ابنها للتبيل لو أنها اتقادت لهاواها الذي بدأت تشمر به نحو « شارل »

وفي هذه اللحظة وبينما كانت « مدام ليجيه » تضطرب بين الماضي والحاضر ، وترجع بين تيارين

أختها وهي تتجمل لقائه صدقائها
وصوب محباتها أي ذكرى صبرية
بحملها ذاك اليوم الحزين ؟

— يا أختاه ! لا بد أن
أجمل رأسك بساج من الفل
الطبيبي أوصيت بمله ، سأخرج
لأخضره وأعود به توأ ...

هكذا قالت لأختها وهي صادقة كل الصدق ..
خرجت على أمل أن تعود ...

واليوم الأحد ومحل الزود منق . لقد نسيت
ذلك ولم تذكره إلا عند ما بلغت مكانه ...
ودأمتها خواطره الحزنة وصعب عليها أن تعود
إلى أختها بشير الفل ...

ودون عمد نابت الخطي حائرة لا تدري ماذا
هي فاعلة ... وسارت في الطريق لا تلمى على شيء
حتى أحست بنسيم مطر يجتاز جنبات نفسها
فيجيوها بالطمأنينة ، وتنبهت فإذا بها في طريق خال
من السكان والمارة على جانبيه زرع الشتاء الأخضر
في غير زى الربيع الناضر

وطاب لها السير فلم ترده ، وظلت تمشي حتى
استرعى نظرها شجرة كثيفة يتدل من أغصانها ثمر
الحناء ، فأسرعت الخطو لتجمع منه ما تستميش به
عن الفل ...

وما كادت تقترب من الشجرة حتى لمحت رجلاً
لم تشك في أنه جابر طريق ؛ اقترب من الأرض واتخذ
جذع الشجرة خدناً اعتمد عليه برأسه في شبه
استسلام الرستان ؛ تصور ثيابه الرثة بما يمانية من
بؤس وشقاء ، وبمجي وجهه الشاحب أنصوبة

مجنون زاهد

بقلم الأنتة جميلة العالدي
” مهداة إلى صاحب القلب الحسن “

ليس أحب إلى النفس من الخلوة عند ما يفيض
بالإنسان حزنه أو أساه ...

لها لم يكن في وسع « هلا » أن تشارك أختها
فرحة عيد ميلادها لتجهم نفسها وتلبد غيوم ذهنها ..
إنها تحب أختها وتميل إلى الطرب أيضاً وتفرح
لمسرة القريب والفرير ، ولكن ذاك اليوم يذكرها
بأساة عاطفية رسمت حروفها النارية في سويداء قلبها
البكر ...

ميلاد أختها ، وموت قلبها ، يجتمعان في يوم
واحد . فإذا عساه أن تفعل ؟ ...

أنتكاف البشر وليس في مقدورها أن تحبس
دموعها في ذاك اليوم على الأخضر ...

حاولت جهدها أن تبذل الكآبة بشكاف البشر
فلم تستطع ، وضاعت بهواجسها حتى خيبل إليها

أن مجرد النظر إليها يدر الدموع من العينين ...
إذن لماذا تكون آفة ميلاد أختها السعيد وهي

تريد أن تكون بهجته وباعت مسرته ؟ ...
كل شيء حولها يجعل طابع الأمل في ذلك اليوم ،

حتى الموسيقى تبلغ مسميها كترتيلة الجناز
أوه ... لشد ما يفرعها صراي ظواهر المرح
والانفراح والطرب في البيت ، ولشد ما تنزعها روية

وظلت هي في موقفها تتأمل وهو يجري كالجنون
يتلفت خلفه كالذئور ، حائرة بين ما تريد أن تفعله
من أجله ، وبين ما يخافه منه :
— أى شيطان يعنى يأتى ؟ ... أترأى فتاة
حياته ... ؟

ثم هرولت خلفه تناديه : يا سيدى ، يا سيدى
لم تكن هيئته تحمل على ذاك النداء المحترم ،
ولكن هيئة الرجل وقارهُ أ كسبها سمّة أجل من
جمال الزى وروعة الهندام

ووقف فطلته هداً ، ولا بلشته اقترب منها باسمًا
بسمه عريضة ، ثم رفع يده على غير ارتقاب
ولطمها على خدها ، وبأيد الأخرى جذبها من شمرها
في قسوة جنونية وطوح بها ببسداً فارتجت على
الأرض كالطائر الذبوح نئن بصوت مهدج ثم
انقطعت أنفاسها . إنما لم يطل بها الاغواء حيث مال
عليها ينهبها ، أو لعله شاء أن يتأكد إن كانت حية
أو ميتة ...

ولما انتهت نظرت إلى بسيتين دامتتين وغمنمت :
— ماذا جنيت ... ؟

وكان صوتها سهم صوب إلى صدره فقبض
عليها بكفائ يديه في قسوة وهو يتهم : أما زلت حية ؟
وأزعجها الشرر التطاير من عينيها للفاصيتين
فقال بصوت رقيق :

— ولماذا تريد موتى ؟ ما ذنبى ؟

— فقال بصوت مرتعش فأثر بفيض بلهب
قلبه : شيطانة ...

فتكلفت بسمه وهى تقول : هدى روعك
وسامحك الله ...

كانت لهجتها لطيفة مليئة بالحنان ونظراتها كافية
لبست الطائر نينة في نفسه ، لكنه أطق برأسه في صمت
الداهل

الآلام والحمران ويشيع من عينيهِ بريق الدهول ..
أى منظر مروّع ! منظر الرجل القوى الذى
يمجى عن التمتع بالحياة كما يتمتع بها كل رجل ،
لا عن مرض أو عاهة ، بل عن بأس وقنوط
مرض الجسم يداوى ... أما مرض النفس
فلا دواء له ، يظل بصاحبه حتى يمته ...

ولا شك أن هذا الرجل مصاب بمرض نفسه
إذ لا تبدو عليه ظواهر علل البدن

تقدمت منه الفتاة حتى واجهته بدافع الشفقة ...
مدت إليه يدها بيضة دربهات ظناً منها أن من يقنع
بالجلوس في هذا الظلام المفر لا شك أنه يمان
التوصل إلى الناس ويستنكر الاستجداء

ولم يكذب بلح حركة يدها والتقود حتى تحك
بصوت جنونى هازأ رأسه في إياه ناظرًا إليها في غيظ
كان بينها وبينه حقدًا قديمًا أو كأنها هتكت كرامته
وجرحت رجولته

وكانت نظره كافية رد الفتاة إلى الصمت
والخجل على أنها وقفت قبالة حائرة مذهولة لا تدري
ماذا تقول وماذا تفعل ، وقد تنبه شعورها الرحيم
فاجترأت وتقدمت منه قائلة : سيدى ، ما ضرك
لو سمحت لى بمساعدتك ؟ أراك في حاجة إلى المساعدة
فرفع الرجل رأسه في كبرياء ونظر إليها محققًا

ثم قال بلهجة جافة : حتى هنا الشيطان يتبسمى ... ؟
ويحى ... ثم أن كالوجيع وشد شعر رأسه المشمت
يبد مرتعشة محمومة ، ويده الأخرى أشار إليها قائلاً :

— اذهبي أبنا الشيطانة !

فريمت الفتاة ، ولكنها غابت الخوف قائلة :
— هون عليك يا سيدى

ولكنه لم يكذب يستمع إليها حتى انتصب وراح
يمدو كالمتوه مردداً : ظننت هذا الخلاء لا يأويه
شياطين الانس !

في هذه اللحظة أحست الفتاة أنها خلقت من أجل ذلك الرجل فتسببت الوجود وبادت تقول في شبه حمس :

قلبي يحدثنني أنك بليت بنذر امرأة أو عل الموت اختطفها منك

فالتفت إليها في هدوء واستمع إليها في لهفة، ولما سمعت قال : أما لا أنتم على المرأة غديرها ... لأن الرجل هو الذي يث في صدرها بذور الشك بسوء تصرفاته أحياناً ...

إنما أنتم على الحياة لأنها تقضي على الحب بالموت في قلب بيتنا بحية في القلب الآخر ... كأنه يخرج من هنا ليدخل هناك ...

ثم ضحك بنير صوت مردفاً : أتقضي نفسك وعجلي بالدهاب ... فاني أشم رائحة أنفاسها منك، ولو طال مكثك بجاني فلا بد من قتلك ... دون عهد ... أنا الآن هادي بابتانة وأعتذر إليك بما بدر مني ، فسامحني وأزكبي

كان يقول ذلك وهو يجاهد في نفسه مصابيح: مصاب للماضي الأليم ومصاب الحاضر الذي يفره على التعلق به وليس في مقدوره أن يجاوبه بالمرء

وكان كلامه خلاصة ما تشبهه المرأة من حب سبها بمهارة في قلبها فأكسبته حرارة ولهفة، فقالت: لن أحدث إليك بلساني يا سيدي ، إنما أرجوك أن تنظر إلى عيني ... أنظر طويلاً وأقرأ دخيلة صدري ولا شك أنك ستفهم ما أعنيه

فأجر وجهه وارتشت شفاته وحوّل وجهه بعيداً ثم عاد ونظر إلى وجهها متممداً ألا ينظر في عينيها وهو يقول : آه من العينين ... بهما سمعت ومنهما شقيت ...

فقاطعت: ولم لا تكون شقيت بهما ومنهما تسمع؟ فبرز رأسه مرئياً ونهد ثم أطرق، ففهمت أن (•)

فتقدمت إليه في عناء لأن الصدمة آلتها وصح عزيمته على أن تساره وتلاطفه حتى يطمئن إليها ويص عليها حكايته ...

قالت :

— يا سيدي ، إن كنت في حاجة إلى ابنة فما أنا ذى ، وإن كنت في حاجة إلى أخت فلك منى هذه الأخت ... خدمتي ما ينقصك من حنان ورواية وحسبك .

قالت ذلك بالهجة موزونة حارة انسكبت من معين صاف ... كل كلمة فيها من قوة الصديق ما يزرى بكل جبار عتيد

ونظرت إليه وشماع نظراتها يصور أجمل ما يمتناه الرجل من حب وحنين !

ولكنه غص الطرف ملياً وهو يمش شفتيه كأنه يعاني ألماً محضاً في نفسه، ثم وقف وانقض عليها كما يفعل الأسياد المصور بفرسته وشد شمرها وهو يلقي يده على ناظر آ إليها في ثورة وجنون، ثم جذبها في عنف وصدم رأسها بمذبح الشجرة فسال الدم منه. ولم يكد يلمح الدم يسيل حتى ضحك مقهقها في جنون، ثم أقبل على الدم بفمه يصب منه كأنه أنهى غذاء رنجيه وهي من هول الصدمة ساكنة سكتة الأموات وقد ارتسم على شفتيها اصفرار الموت وأسبلت جفونها في استسلام الفناء

ثم تركها وارتقى على الأرض يبكي كالأطفال، فاقبعت ومالت عليه حانية متناسية ألماً وما ألم بها قائلة بصوت خفيض متقطع : إن كان قتلي يريحك ويبيد إليك سفاء فتصمك وهدوء بالك فأقدم عليه غير هيب ، فليست جباتي ذات قيمة في ناظري

وسحبت يده في لطف وساعدته حتى اعتدل في جلسته ...

وتشقينا به؟ ثم أشاح بوجهه مدمماً : لا، لا يمكن أبداً ... أنا حالم لا عمالة ... ثم عاوده الضحك الجنوني ووضع رأسه بين ركبتيه ليخفي مدامه ويخرس تهتدها

فرقت رأسه بيديها محاولة أن تجذب نظره ببينها قائلة : ليتني أعرف أين فتاتك لأسمى إليها. فصرخ في وجهها : كفى عن الهذيان، لقد ماتت .. فشمت قائلة : رحما الله .. ولماذا تقتل نفسك مادامت ذهبت عنك على الرغم منها، إذن أنا أشد منك قوة وأكثر إرادة ... في اليوم الذي قيدت نفسى بالرجل الذي ظننت أنه مثل الأعلى تبين لي أنه يلهو بغيري، ولقد نذذته نبد النواة واستطعت أن أناسه. ثم تكلفت سخيفة وأعقت : خل عنك الحياة بين بأس ورجاء ... فاجمل ضوء الرجا قبله فأظريك دائماً. فصمت مفكراً فيما قاله يحلل مرماه ومغزاه ولقد استطاعت الفتاة بمجازيتها ولباقيتها أن تحوله من الركود المطلق إلى الأمل الحلو المرتقب ، وأيقن أن الله أراد به خيراً فأرسل إليه ملاك الرحمة في كيان هذه الفتاة ...

ومال برأسه على كتفيه في شبه إغفاء ، وغاب بخياله عن الوجود ...

وهذأت الفتاة راجية أن يماوده البشر والأمل ، وراحت تتأمل وجه الشاب الحزين . ثم انتقلت ببصرها إلى صدره ، وهو يملو وينخفض كأنه ضاق بأنفاسه

ولحت طرف ورقة تبدو من وراء ثيابه فملسها الشيطان ، ومدت يدها في حذر لتسحب الورقة ... أوراق صفراء تثبت عند السنين الخوالي . قد تبلغ أربع سنوات ، ولقد اكتسج الزمن

فتاة ذات تأثير ساحر ببينها، فترقت به وقالت .. يجيل إلى أنك لجأت إلى هذا المكان النائي تحت تأثير أمر جلال. ألا تفتح لي صدرك على ذلك برقه عنك؟ فقال : وما الفائدة .. انتهى كل شيء . انتهى كل شيء ...

فقاطعت : ولكنك رجل

قال : وهل تحارب المرأة إلا الرجولة ؟

قالت : تمصف بالضعيف وتسلم للقوي

قال : وهي جاهلة لا تفرق بين الضعف والقوة

قالت : لأن الرياء والكذب يشوهان حقائق الوجود ...

وهنا لازمه الوجود ولم يتكلم ولجت جسمه بهز كان قسورية الحى ملكته فمطفت عليه وحست في لطف : أظنك تشعر ببرد شديد ... وخلعت مغطها ثم ألقته على كتفيه فلم يمانع ، ونظر إليها في هدوء وتعم : من أنت يا فتاة ؟ قالت وهي تمر على شعره المشتب بيدها اللامعة في حنان : بشئ الله إليك لأسديك . فلم يتكلم ، وتساقلت مدامه كالندى الصافي فأكسبت خده الشاب حمرة الشفق للزهرج فأبسمت قائلة : ألا تشمر بالحياة تسرى في شرايبك ؟ ألا تحس بمخقة القلب الهنيء يحرك كيانك ؟

فد يده في بطء كأنه يتبيب لسها، لكنه ريد أن يشحق من أنه يخاطب إنساناً ثم قال منمها : أيمكن أن تكونى امرأة حقاً ؟

أمكن أن يكون بين شياطين النساء امرأة واحدة تحمل قلب ملاك ؟

أمكن أن يكون ذاك الصوت الموسيقى لحن قلب صادق ؟

ثم صرخ ملتهجاً : رياه ... لم تسعدنا بالحب

أن روى انسرحت من الكثافة المحاجة في عالم الحسن واستنشت الحقيقة في عالم القلب المجهول غير المدرك أو اللوس. ألا ترى مى أن الحياة أقرب إلى الخلود منها إلى الفناء إذا لازم الحب عمرها الحافل بالأمانى الحسان .

ألا يحتمل أن يكون الخلود هو هذه الساعات الحبيبة اللبية بنشوة الحب الطهور ؟

لقد كونت الطبيعة الانسان ثمرة للحب، فهو إذن بالمادة والروح من عناصر الحب ... خلق به ومنهوله . فالروح الذى ياتى وحده بكمهراء الحب يدرك بالفرزة عناصر وجوده ثم مستلزمات الوجود وفهم الحب، والشعور بالحاجة إليه كنتم للحياة هو الباعث على تنبه الماطفة إلى حد الاحترق . إذن بلغت الآن إدراك الحقيقة وبدأت أفهم نظرية صحيحة لها أساسها العلمى .

الحب من عناصر الحياة إذا لم نجزم قطعاً بأنه ذات الحياة .

ولسكل حياة مظهر للدلالة على وجودها ، كذلك الحب يدل على وجوده بقلبه الماطفة وفورته، يملأ الفؤاد كما تملأ الكهراء الجو ... يكون بغير حصر حتى يحصر ، وبدون نتيجة عملية إيجابية حتى يركز فيتوجه للعمل الإيجابي والانتاج .

فأنا قبلا كان حى موزما لأننى لم أسأف نقطة الارتكاز ... فلما وجدتها عدت لا أملك هبة قلبي ولم أقدمه طوعاً .. بل نزع منى انتزاعاً .

وهأنذا أشر أن الماطفة تسارع عقل جنباً إلى جنب من ذلك تعرف أن النقل لا يخالف القلب إلا إذا كان الحب وليد الهومن والجنون والسكند والتناقض؛ أما إذا كان الحب وليد الايمان الأكيد والليل الصحيح والشعور الصادق فلا سبيل للمقل غير مشاركة القلب في وجدانه بتفكيره .

الراحل لون الجلد الزامى ، ولم يبق من الحروف غير ظلها . ولأننا كدت من غفوة : راحت نحاول قراءة الرسالة فإذا بها :

يا طائر

بودى لو أ كتب بغير مداد

أستعين بيد الأزل المجهولة على تسجيل عواطفى للنورانية ... ولكن أين العين التى تبين هذه الحروف الخفية ، وتذكر ما وراء نفسى النامضة حتى أنت ؟ أيمكن أن تفهم مرسمى ؟

إنى أشك . رغم ما بيننا من تقاسم وطيد ... صوت من الأحماق يصرخ فى أحماقى مجلجلا كالرعد : أريدك تفهمى كما أنا وحسبى ...

قد تقول : كيف لا أفهمك وأنا أحبك ؟ وأنا أقول : قد تكون فهمتى كما يفهم كل رجل امرأة .

وأنا أريد أن تفهم روحك روى ، ويدرك قلبك معنى قلبي .

فاذا نظرت إليك دون كلام فهمت حكاية نفسى ونشيد روى وأغاني قلبي فتفهم حقيقة حبي ، ذلك الحب الذى يشبه البخار الذى رفسته الحرارة من البحر الأجاج فأنهمراء حلوا على قمم الجبال ، وجرى أنهارها فى الوديان ثم عاد إلى البحر حيث كان ...

ثم أستودع الله ما انفصل عني لنير عودة —

أستودع قلبى الطليق لأستقبل قلبى المقيد ، وأستودع أحلام المنزلاء لأستقبل مسئولية المرأة ، وأستودع كل القلوب الماتمة حوالى لأستقبل قلباً واحداً أعز من الحياة على .

تسألنى : هل أحبك ؟

وجوابى : أنا أعرف إني محبة لله ، وأن ذاك الحب الجليل يتجسم فيك وحدك ، حتى أحسبت

فنحن نحب الله بقلوبنا ، ونفكر فيه بقولنا ، وكذلك الحال إذا حدث التفاهم بين شخصين والآن ليس في مقدوري بعد الآن مخالفة قانون الجاذبية .

وجميع قوانين الطبيعة صحيحة خالدة مهما اختلفت الظاهر وتنوع الظروف والأجواء

إذن لا تستعمل الظروف فليس كل شيء حينه ، فالجنيث وضع عندا كتابه ، والجرة تسقط عن الشجرة بعد تمام النضج

وحسبي لن واجهك إلا بعد أن تثبت أركانه .
الآن آمنت . الحب كالقدر أعمى

وطلب المثل الأعلى في الحب أمانة من الأمانى والقدر يلعب دوره حتى في المواطن ، فقد يتركز الحب في غير ما يمتناه الإنسان برغبته وبمقله ومصالحته فيخضع لسلطان المصنيد

أنا لا أرجو ولا أؤمل ، وليس لي هدف حسي ؛ إنما أعيش بالروح في عالم الروح ، نشدني روحية ومسراتي وآلاى باطنية منفصلة عن الحواس جميعها والتخيل هو ارتقاء الفكر عن العالم المحسوس وعالم الخيال ، هو عالم الحقيقة لن يرتقى عقله عن طباق العقل المحسوس ، فإذا تخيلت فلسفي ، وإذا أجييت فكأنني أناجي رومي لأن طيف ألبني صورة مماثلة لي ... أراها في وأراني فيها ولا يمنع التخيل مانع مادي ، وليس لعالم الخيال حد ... كذلك لا يجوز دون الروحانية الحوائل الوصفية . ولعل من أعجب المنجب أن تتحاب قبل أن تتعارف كما يحدث دائماً بين الناس ، ولماذا ؟ لأن الكهرباء التي تقضى مصباحك الروحي هي التي تقضى مصباحي ؛ ولأن القوة الجبهولة التي تحرك الخيال للتخيل

هي التي حركت التابعتين للعمل والاتجاه التام ، كما تحرك الكهرباء قطارات الترام على شتى الخطوط . إذن ليس في مقدوري مطلقاً أن أحاول مقاومة الطبيعة لأنني لا أملك القوة على مخالفة للناموس ، وأرى العاطفة تسيرها وحدة الوجود في السبيل الرسوم لها من الأزل بقوة المحرك العام مصدر الحركة والسكون

لطالما حاولت أن أخفي هواي

وهاهي ذي الطبيعة تتليني أخيراً وتقهربي . كنت آمحصن دائماً بكبريائي ، وقأنني أن الطبيعة أقوى من الكبرياء ، إذ الكبرياء تنفيذها للمادة وتهدمها أما العاطفة فتندبها للفرزة أو ناموس الكون ثم تطلقها في غير هدى

وأنا عند ما أصارحك بهواي أكون صادقة ، إذ ليست عاطفتي وثبة عن طيش ولا قفزة عن رعونة ولا وسيلة لتحقيق أمل

إنما هي يسماها الفكر المحدود مصادفة ، ويقرر العلم أنها لازمة الاستقرار فلها قيمتها المنوية في حياتي وحياتك « هلا »

لا تدرى الفتاة كيف قرأت الرسالة حتى النهاية . فقدت حواسها ولم تنبئه إلا على صوت صرختها المدوية عند ما قرأت اسم « هلا »

يا لله ... خطئها وأسلوبها واسمها ... وذلك للبائس حبيبها النادر . صرخت ..

فتنبه النائم ونظر إليها مشدوهاً فإذا بها ترتمش وبين أصابعها الأوراق الدالة ...

قال الرجل في اضطراب : ماذا بك ؟ فقمتمت : هو أنت ؟ ثم غابت عن الوجود

(المتصورة)
جميعه الصمدي

ماضى ابنها ، الماضى الذى أودتها
السهاد والألام والمهانة ، وتغيب
بقاة لتسال ربه :

— لم يارب جعلت ابني
كذلك ؟

وتهز رأسها فى أسى وحسرة
وتجيش الدموع فى عينيها . ثم
تعود للمرة الثالثة لترقب الطريق

فى أمل وشوق وخوف منتظرة عودة ابنها ...
كان ابنها (يونس) هذا فى سن الشباب جبيل
على الشر منذ نموه أطفاله ، فهو لا يكف عن
السلو على منازل من يعرفهم ومن لا يعرفهم ليسرق
أمن ما فيها . وهو لا يصادق غير المصوص
والأشرار . وهو يعامل أمه دائماً ببغلة الجرم الذى
لا قلب له . وأمه لا يسما إلا أن تبذل إلى الله فى
صلواتها أن يقوم أخلاقه ويهديه سواء السبيل ...
ولكن هيات ...

ومنذ ستة أشهر سطا على دار أحد أعيان القرية
التي يعيش فيها يريد سرقة ما بها فقبض عليه وسبق
إلى المدة ، ومن المدة إلى المحكمة ، ومن المحكمة
إلى السجن ليقتضى فيه ستة أشهر جزاء له على
ما اقترف !

وهاهى ذى الستة الأشهر قد مضت وسعيدة البلية
من السجن . وهاهى ذى أمه تنتظر عودته فى أمل
وشوق وخوف ...

واتنصف الليل ، والأم لا تزال واقفة تطل من
النافذة على الطريق . وكان الصمت سائداً فلا حركة
ولا نامة . ونجاة دوى فى سكون الليل اللطم صوت
أقدام آتية نحو المار ، أقدام ثقيلة كأقدام يونس

يونس

أَقْبُوصُ مِصْرِيَّة
بِسْمِ الْأَدِيبِ عَبْدِ الْحَكِيمِ الْعَشِيرِيِّ

فرغت الأم المجوز من صلاة المشاء وطوت
« السجادة » فى لآى ، ثم سارت صوب نافذة
صغيرة بالرفة ففتحتها ووقفت ترقب منها فى أمل
وشوق وخوف ، الطريق الطويل المتشح بالسواد الذى
بدا أمام عينيها ، وهب على وجهها هواء الليل البارد
فسرت فى جسدها الضاوى تشميرة شديدة ؛ ورغم
استمرار ذلك الهواء البارد فى الحبوب على وجهها
فإنها لم تتحول عن النافذة ، بل ظلت واقفة كما هى
ترقب الطريق فى أمل وشوق وخوف ، وكلما تنأى
إلى أذنها صوت أقدام تقترب من المار التي تسكنها
تزايدت دقات قلبها وهتفت فى صوت خافت ماؤه
الفرح والأمل والتساؤل :

— ترى هل قدم ابني يونس ؟ ...

وترى وجه صاحب الأقدام التي سمعتها فلا يجد
ابنها فيعتلى قلبها كآبة وبؤساً وترفع رأسها إلى السماء
تسال نجومها فى ضراعة :

— هل يعود ابني البلية ؟ ؟

ولكن النجوم لا تجيب . فتعود ثانية لترقب
الطريق فى أمل وشوق وخوف ...

ويشرد بصرها قليلا وهي تستميد فى ذهنها
وجه ابنها يونس . ويبدو الوجه ومن وراءه يبدو

— إني جئت هنا لأكل يا امرأة ، لا لأسمع هذا الكلام الذي هو كالمس . فإذا لم تسمعني فاني سأذهب من هنا . وأودع لك طعامك ...

ووضعت الأم خدها على يدها وصمتت . وراح يونس يلثم ما بقي من طعامه بنهم . فلما أتى على ما أمامه من الطعام شرب كوباً كبيراً من الماء ثم نجشاً ومسح فمه في كفه . ونهض فبارح الغرفة ... وهزت الأم رأسها في حزن ، وضربت كفها بكف ، وقالت بعد أن تنهدت :

— يا لسوء حظي مع هذا الابن ...

وقامت فجمعت بقايا طعام ابنها وألقتهما لقطة بحيلة كانت ناعمة في ركني الغرفة . ثم ذهبت في أثر ابنها ... ووجدته مضطجعا على فراش نومه وقد غطى وجهه يديه فوقفت تنظر إليه وهي تبتهل إلى الله في سرها أن يرشده إلى طريق الصواب . ثم ذهبت بعد هتية إلى فراش آخر كان بالقرب من فراش ابنها فألقت بجسدها عليه في إعياء ، وحاولت أن تنام

وفي اليوم التالي عاد يونس إلى أسدقائه الصوص ، فتلقوه في ترحاب واشتياق . وراح من جديد يدير جرائم السطو على المنازل لسرقه ما بها ... كانت هذه طبيعة قبه ، وما نفعت دعوات أمه

ولا نفعت السجن في تخليصه من طبيعته هذه ... وفي ذلك اليوم أيضاً حدثت أمه إلى الابهال إلى الله في صلواتها أن يذهب بابنها عن الطريق الذي يسير فيه إلى الطريق السوي . ولكن هيات ... وفي اليوم الذي أعقب ذلك اليوم ، دخل يونس على أمه وهو بنى بمض (اللاوایل) الزيفة والسرور يشيع في وجهه . وظل غير عاذه راح بمجادتها بلطاف

ابنها . وخفق قلبها وحلفت في الطريق ببصر كه انتباه واحتمام . وبدا أمامها جسد رجل ، وأقلعت من فيها صرخة كلها فرح وطرب ، فقد كان ابنها صاحب ذلك الجسد

وتركت اللئافة وذهبت مسرعة لتفتح لابنها باب الدار . ودخل يونس من الباب فصاحت في سعادة وهي تفتح له ذراعها :

— يونس . ابني . حبيبي !

ولكنه سار في طريقه دون أن يلتفت إليها فلحقت به وهي تضيح حائقة :

— ما هكذا يقابل الابن أمه بعد غيبة سنة أشهر أيها الابن لنا كر للجميل .. فالتفت إليها قائلاً في خشوة :

— ما هذا وقت عتاب . إني متعب وجائع . وأشفقت عليه فلم تستمر في عتابها له مع قوة رغبتها في ذلك . وأخذت بيده بعد أن قبلت خده نحو غرفة صغيرة مضادة للدار وهي تقول :

— هنا دجاجة « محمرة » (وملوخية) أعدتهما لك . أدخل وسوف أذهب لأحضرك الخبز ..

ودخل الغرفة . وذهبت لتحضر له الخبز ، وسرعان ما عادت به إليه . وجلس يلثم طعامه وجلس بالقرب منه تسأله :

— وكيف وجدت الحياة في السجن ؟

فرد عليها في خشوته التي لا تفارقه :

— جسيم . ولكنه أفضل من الحياة هنا على كل حال .

— وهل الحياة هنا لا تسجيك أيها الابن اللذنب أنتكر نعمة ربك ؟

فصرخ في غضب وفيه ينفص بالطعام ...

الذى عرف فيه يونس الحب ، فابتدأت حياة تنفير .
وتبدل ، وبحر صلة حياة أمه بمحبة فقد تغيرت هي
أيضاً وتبدلت

كان محبباً أن يعرف يونس الحب . وهو الرجل
الشهير الذى لا قلب له . ولكن من الذى استطاع
أن ينظر في عيني « عالية » دون أن يصاب بداء
الحب ! أو من استطاع أن يرى بساطها دون أن
يحبس بروحه قد امتزجت بروحها ؟

وطالمة هذه فتاة قروية ، في جسدها استقامة
فاتنة ، وفي عينيها دمع منر ، وفي بسمتها سحر
فناك ، وفي شحكتها الناعمة وكلامها الرقيق حلوة
الشهد ، وآها يونس ذات يوم في السوق الصغيرة
التي تقام بالقرية كل أسبوع ، فلم يدر لم وقف كالشده
يحمل في وجهها وهو الذى ما كان يستوفقه جمال
فتاة من قبل مهما كان هذا الجمال ؟

وفطنت عالية إليه فرمته بنظرة أحس وهو
يتلقاها بساطفة جديدة تنشأ في قلبه ، وأفاق ليجد
نفسه قد أحب ، قد أحب عالية

وبرغم ضخامة جسده وعظم قوته ، فإنه عند
مراجع إلى منزله في ذلك اليوم كان يشعر بضعف
كبير أمام تلك الساطفة الجديدة التي طرقت قلبه
وتلقته أمه المعجوز على الباب ، فأدغمها أن
تجده سامها مطرق الرأس

فقال له في حنان : ما خطبك ؟

فهتف بلا وهي وبشر تريث : الحب ... الحب ...
يا أى ...

وكانت هذه هي المرة الأولى منذ زمان طويل
التي يدعوها فيها بـ « يا أى » . فقد تموت أن
تسمه دائماً يدعوها بـ « يا امرأة » . وسرت في

ورقة ، فنجبت لذلك وسألته :

— لم أرك على هذا السرور قبل الآن ،
فما السبب يا ترى ؟

فقال بغمه على أذنها يهيم فيها :

— لقد سرقت ليلة أمس مالا كثيراً ...
ولم يدر بما فعلت أحد ...
فصاحت فيه غاضبة :

— سرقت ... سرقت أيها الابن اللذنب الخطيء ..
فقال لها وهو يهده من غضبها :

— لا زنى سوتك هكذا . يقولون إن الجدران
أكانا مثلنا ...

فلم تسمع كلامه واستمرت في صياحها :

— إنى لا أطيق أعمالك هذه ... فتى تفكر
في .. في أمك المعجوز يا يونس .. يجب أن تعرف
أنى في حاجة إلى الراحة ... أجل إلى الراحة يا ...
فلم يقف لسمع من كلام أمه أكثر مما سمع ،
إذ تسلسل من أمامها مسرعاً وهو يقول :

— إنى ذاهب . فإ أحب أن يتسم الجوالجيل
الذى أمين الساعه فيه ...

وسمعت الأم بعد قليل صوت باب المار وهو
يفتح ثم وهو يثاق فمرت أن ابنها قد يارح المنزل ..
وارتمت على أحد المقاعد وهي تحبس دموعها
التي أوشكت أن تتعدى ...

وتصرمت خمسة أشهر لم تنفّر فيها حياة يونس
وأمه ، فهو لا يكف عن السطو على المنازل وعن
مصاحبة الصوص والأشرار ، وهي لا تكف عن
وعظه وإرشاده إلى طريق الخير وعن التضرع إلى
الله في صلواتها أن يساعدها على ذلك . ثم أتى اليوم

ولم يتم كلامه . فصاحت به تحمسه على إتمام ما يريد أن يقوله

— لأنك تحب . أليس كذلك ؟

فلم يجب . ولكنه نهض بسرعة وعاد إلى غرفة نومه ثم أتى يجسده على فراشه وغطى وجهه بذراعيه وفي أثره عادت الأم السكينة ، وجلست بجوار فراشه ثم وضعت يدها على رأسه وتعمت تحاطبه :
— لم تجيئني عنى ما فى قلبك يا حبيبي ؟ ألسنت أمك ... ؟!

فلم تقرب ...

وفي صباح اليوم التالى اجتمع يونس بأصحابه الخصوص ، وعلى غير عهدهم به وجدوه راغباً عن التفكير فى جرائم السرقة ، كثير الاطراق ، خفيض الصوت عندما يتكلم . لحسنه مريضاً ولكنهم ما دروا أنه قد أحب ...

وقبل أن يتفقد اجتماعهم راح يونس يصف لهم فتاته عالية ويسأل هل يعرفها أحدهم . وكان وصفه لها دقيقاً جديداً حتى أن ثلاثة من أصحابه هؤلاء أجابوه سريعاً بأنهم يعرفون الفتاة التى يصفها ، واقترب منه أحد الثلاثة فأخبره بأسمها واسم والدها والمكان الذى به منزلها . ثم رفع إليه بصره يسأله فى ابتسام :

— هل وقعت ؟ ...

ولكن النظرة الغاسية التى صوبها يونس إليه جعلته يصمت ويترك رأسه إلى الأرض . ثم انقرط هقد اجتماعهم

وبعد هتية كان يونس فى طريقه إلى المنزل الذى تقيم فيه عالية . ولجأة وجد نفسه أمام عالية .

أعماق نفسها لذلك . وودت لو تطلب منه أن يبيد على مسميها مرة أخرى كلمة « يا أوى » هذه . ولكن كان هناك شيء أهم من ذلك تريد أن تستوضح أمره من ابنها ، ألا وهو ذلك « الحب » الذى نطق به . فقالت له : ماذا تقصد ؟

وكأنما هيا له عقله أنه قد باح بشيء لم يكن من الراجب أن يوحى به ، فقد سار فى طريقه وهو يهضم : لا شيء ... لا شيء ...

ولكن أمه لم تكن من الجبل بحيث تصدقه . فذهبت تحاول اقتناص سره من صدره بمختلف الجبل والأساليب . ولكنه صمت وزاد تصادياً فى صمته فترك الكثير من أسئلة ألقنها عليه ، محاولة أن تستدرجه إلى الذى تريد ، بلا جواب ..

وعندما آوى إلى فراشه كانت عينا عالية تملآن غرفته . وبعثا حاول أن يهدما عنه ...

واتصف الليل والكبرى لم يترك له جفناً . فترك فراشه وراح غرفة نومه إلى غرفة أخرى راح يشغل نفسه فيها يعض الأعمال حتى لا يفكر فى عالية ... ولكن بلا طائل ... ولحقت به أمه وقد أحسنت بأنه ليس فى فراش نومه ، فوجدته على حالته هذه

سألته : ألم تنم ؟

قال : لا ..

فجلست بجواره وربتت يدها على ظهره قائلة :

— لم ؟

— انتابنى الأرق .

فسألته وهى توفى إليه بصرها .

— ولم انتابك الأرق . ؟

— لأنى ... لأنى ...

ورفع رأسه في يأس وحيرة وقال لأمه التي
كانت تنظر إليه في إشفاق:
— غداً بعد أن أرى ما سيتم في ذلك الموضوع
أجيب على سؤالك ...

وذهب يونس في القند ليطلب يد فتاته من
والدها ... ونمت له أمه من أحماق قلبها التوفيق
فيها هو ذاهب إليه . فقد كانت متأكدة أنه
لو تزوج فستبند به الحياة الزوجية عن حياة
الاجرام ، ويصبح يونس كما أرادته وكما تستل تريده
ابناً صالحاً لا يزجها بيشىء ... ولكن . ولكن وقع
ما هجس بصدور الأم وابنها فلم يقبل والد عاليه
أن يزوج من ابنته ، وزاد على ذلك أن أخبره أنها
خطوبة إلى أحد أقرانها ...

وخرج يونس من دار والد حبيته وقد أظلمت
الحياة في عينيه . ماذا يفعل الآن ؟

وفي طريقه أبصر بحالية ، ووقف يفكر ...
يجب أن يقابلها ... يجب أن يودعها . يجب أن
يقول لها إنه لن يبيت طويلاً وقد فقدتها ...

وذهب إليها ، ولكن عالية رأت أنه قبل أن يقترب
منها ، فابتعدت عنه . كانت قد عرفت بالأس أن
ذلك للشاب الطويل القامة ، الواسع الصدر ، الغم
قوة وثقوة ، الذي عرفته في الأيام الأخيرة ليس
إلا يونس اللص !

وصرخ يونس وهو براها تبتمد عنه :

— عالية ...

فالتفت إليه خائفة ، وحدجته بنظرة هائلة
كلها ازدراء واحتقار ، ثم استمرت في سيرها
مرفوعة الرأس لا تلفت إليه !

(٩)

ووقف في هذه المرة أيضاً يجملق في وجهها . وابتسمت
وقد عرفته ؟ وحجبت فيها بطرف خاها في
استحياء والبسمة لا تزال عليه . ثم سارت في
طريقها ...

وود لو يقفها ليوح لها بحبه ولكنه لم يستطع
وما استطاع إلا تشجيعها ببصره إلى حيث اختفت
ثم عاد إلى منزله في خطى وثيدة ...
وحدث في ذلك اليوم ما حدث بالأمس ...

وثقت الأم المعجوز أن ابنها قد أحب . ولكن
من هي الفتاة التي أحبها ... ذلك ما راحت تحاول
بطريقها الخاصة ، وببت الميون وراء ابنها أن تعرفه
وقد عرفته ...

وفي أحد الأيام أطلت الأم ابنها على ما عرفته
وسألته :

— هل تنكر شيئاً مما ذكرت ... ؟

فأجاب : لا ...

قالت : وعلام نويت ؟

قال : سأطلب يد عالية من والدها غداً ...

وغمرت الأم سعادة . عظيمة وكيف لا تسر
وابنها يزم على الزواج . وعادت تساه في خوف :
— ولكن هل تظن أن والدها يقبل طلبك ؟
قال : سوف أبذل كل ما في وسعي حتى
يقبله ...

قالت : وإذا لم يقبله ... ؟

فأطرق برأسه ، وقد أدرك أمراً محيراً . أجل
إذا لم يوافق والد عاليه على أن يزوج ابنته فماذا
يفعل ؟ ... إن والدها يعرف أنه لص فربما
لا يقبل طلبه ... ؟

ليخبرها أنه عائد لتوه من عند عمدة القرية وأن ابنها مقبوض عليه هناك بتهمة قتل رجل من القرية ... وتالت الأم ذلك النبأ ذاهلة . ثم صرخت في صوت عال :

— ابني يونس قبض عليه بتهمة قتل رجل ..!

ابني يونس ... حبيبي يونس ...

وذهبت إلى دار العمدة لتتحقق الأمر . فعاتت والجنون أقرب إليها من جبل الوريد . إن ابنها قد قتل حقاً أحد رجال القرية والعمدة يقول لها إنه قد يحكم عليه بالاعدام شتقاً ...

وتجر الأيام والشيطان بضحكك على الضحيتين الرخيستين : الأم وابنها .

... في صباح يوم دخلت إحدى نساء القرية على تلك الأم المسكينة لتخبرها أن ابنها قد حكم عليه بالاعدام شتقاً ، وأن ذلك الحكم سينفذ فيه في القدر . فوجدتها فائمة على غير عادتها في الأيام الأخيرة . وكانت تحلم ، إذ سمعتها تقول :

— هل برئت يا بني ؟ هل أطلقوا سراحك يا حبيبي وغدت إلى أمك المعجوزة ؟ حسن ، تعال إلى صدي أيتها الابن الشقي .. تعال إلى صدر أمك التي أوشكت أن تمجن عندما علمت بأنك لا تعود إليها . تعال يا حبيبي . تعال ...

وضغطت الأم الثائرة بذراعها على صدرها وكأها تضم إليه ابنها حقاً . وعادت المرأة التي أنت لتخبرها أن ابنها حكم عليه بالاعدام شتقاً من حيث أنت . وعلى خديها بضع قطرات من الدموع حاولت أن تحبسها في عينيها فلم تستطع !

هيب العظيم محمدر العشري

وأحسن كأن سلاحاً حاداً أشبه ما يكون بالسكين قد أنحدر في صميم قلبه ...! وفرت دمة من عينه وسقطت على خده ، فدمعها بأصبعه الخشن وعاد ليتابع سيره وفي أعماقه شيء يئن ...

وبعد أيام أربعة مرت في مجالس رجال القرية الذين لم أعداء يريدون للتخلص منهم إشاعة مضمونها أن « يونس » مستعد لتخليص من له عدو من عدوه مقابل عشرة جنديات . أجل عشرة فحسب ... ولو كانت مهمة هذه حياته ...

وانصل أحد هؤلاء الرجال الذين لم أعداء يريدون للتخلص منهم بيونس ، وبدان تأكد من صدق الاشاعة التي وسلته اتفق معه على أن يخاطبه من عدوه وأعطاه الشرة الجنديات التي يريدونها لهذا حدث وأم يونس لا تدري . ولو كانت تدري لباعت حياتها لتنقذ ابنها قبل أن يبيع روحه بتلك الجنديات المشرة !

وذهب يونس بعد أن ملأ بطنه خراً ليقوم بمهمته غير خائف ولا وجل ، فأعادت حياته بذات قيمة لديه بعد أن فشل في حبه . ولم يفكر في أمه المسكينة وهو مندفع في طريقه المظلم الذي لا يعرف إلى أين يوصله ، وإن كان يعرف أنه لن يوصله إلى نهاية حسنة ، اللهم إلا أنه أودع عند أحد أصدقائه بضمة جنديات من الجنديات المشرة وأوصاه أن يعطيها لأمه إذا قبض عليه لتعيش منها ...

وفي صباح اليوم التالي كانت الأم واقفة أمام منزلها تسأل المارة عن يونس ابنها إذ أنه لم يمد إلى المنزل ليلة أمس ، عندما تقدم أحد أقرانها

يقضى أيامه ولياليه عاملاً لاخرته. وأكث
من فيها من الناس مصابون بالهزال من قيام
الليل والزهدي في الطعام؛ وقلم وجدت فيها
رجلاً ضاحك السن أو مبتسم العين أو مورد
الخلدين. ومن أجل ذلك يجب عليك أن
تظمر الحزن والاكتئاب لتبدو عليك هيئة

الصالح الورع

قلت: « وأية فائدة يباحي الدرويش من كل
هذا؟ إنني مسلم ويجب على أداء الفروض ولكن
إقامتي في هذا المكان لا تستلزم كل ما تقول لأنه
قلما رأي أحد فيه أو اهتم بوجوده إنسان »

فقال: « إذا أنت لم تتبع ما قلته لك فلست
الرجم بالطوب أو الموت جوعاً، فالدراويش الذين
حولك لا يعرفون الوسط من الأمور ولا يتسامحون
في أقل شيء، فإذا ارتابوا في مسلكتك أقل رغبة
فانهم لا يتأخرون طرفه عين عن جعلك عبرة لغيرك؛
وإذا بدا لهم أن عصيانك ناشئ عن ضعف في الاعتقاد
فلا تنتظر منهم شيئاً غير أن يمزقوا جلدك كل ممزق.
ولملاك لا تعرف يا حاجي إلا أن هذه مدينة مريزا
أبي القاسم أكبر الأحياء من زعماء الدين، ولملاك
لا تعرف أن هذا الرجل إن ثار ثارت معه مئآت
الألوف من أتباعه الذين لا يسألونه برهاناً على مايقول
فهو أقوى من الشاه وأكث نفوذاً

هذا هو الرجل ولكنه طيب القلب كريم
الأخلاق ولا أعرف فيه عيباً سوى أنه يقتل رجلاً
كل من يستفد أنه ضيف الايمان »

لما سمعت ذلك من الدرويش وعدته أن أؤدى
فروض الدين. وكنت أعد المناظرة على هذه الفروض

حاجي بابا أصم في هاتين

لكاتبنا لاجل عيسى جهن مؤيد
بهم الأرسناد عجباً لطيف الشار

الفصل الخامس والأربعون

نص غيبية

ما كنت أجهو من ظلمة النازا كشي حتى سمعت
صوت صاحبي الدرويش الذي أقبل في هذه الساعة
إلى المدينة مملاً قدومه بأداء الشهداءين بأعلى صوته
وبعد قليل رأيته يدخل الدفن باحثاً عني. ولما رأي
انهج وجد الله على وصولي إلى هذا المكان سالماً قبل
أن يصل إليه النازا كشي ووعدني بأن يقيم معي مدة
قصيرة. ووقع اختياري وإياه على خلوة من الغرف
الكثيرة المبنية حول القبر وكان معي عشرون طوماناً
من الذهب وبعض النقود الفضية، وأرسلته ليشتري
لي بعض الحاجات الضرورية كصير لأرض هذه
الترفة وزير يحفظ فيه الماء.

وقد فاجأني هذا الدرويش مفاجأة لم أكن
أنتظرها إذ سألتني: « أخبرني أولاً قبل أن أقيم
مملك هل تقيم الصلاة وهل تصوم، أم أنت لا تزال
كما كنت في مشهد؟ »

قلت: « لماذا تسألني هذا السؤال وماذا يعنينك
إن كنت أملي أو لا أملي؟ »

قال: « إن ذلك لا يعني كثيراً ولكنه مهمك
أنت لأن هذه المدينة « مدينة قم » من أكثر المدن
تمسكاً بالدين فلا تجدد فيها إلا تقياً من أبناء النبي

مصنفاً إليه وهو يروها في الخلق . ولقد سردت من هذه القصة كثيراً وأحسب للقارى سيمر منها كذلك، وسواء صدق ظنى أو لم يصدق فلا شك أن القارى 'يود أن يعرف بماذا كان يتسلل الدواويش في سجونهم الخناترة

انقصه

السلطان التركي الحاضر ملقب بين الارانيين بلقب « خون خور » أى شارب الدماء، والارانيون في المادة يطلقون هذا اللقب على كل حاكم تركى . ولما تولى هذا السلطان أصر على إنشاء كثير من العادات والتقاليد التي نشرها الكفار الذين تطرقوا إلى الوظائف في عهد سلفه، ورأى أن من واجبه إعادة الأمور إلى حالة البساطة التي كانت عليها قبل ذلك السلف ، فسنن للحكومة نظاماً تركياً جديداً

وكان في جملة التقاليد القديمة التي أياها سنة التنكر والتجسس على الرعايا . وكان شديد الحرص على أن يكون تنكره متقناً وعلى أن يخفى سره عن أخص " أتباعه ، وكانت اللوعة تكاد أن تنشب في ذلك الوقت لكثرة ما كانت تبديها الجماهير من التذمر، فأراد السلطان أن يتعرف بنفسه حالة الجماهير وأمر بصنع ثياب له يستعمل أن يرف وهو مرتديها .

وكان من عادته أن يكلف بصنعها خياطين غنلقين في بلاد مختلفة وفي أوقات مختلفة . وفي الوقت نفسه أرسل خصيه الأمين واسمه النصوري ليبحث له عن خياط غير مشهور

فذهب النصوري إلى السوق ورأى خياطاً في حانوت ضيق يضع على عينيه منظاراً وليس في حانوته ثياب كثيرة، فقال النصوري : « هذا هو بئبقى لأنه بشير شك ليس من المشهورين »

من أكبر المشقات . ولكن لما مضت أيام قليلة اعتدتها فلم أعد أرى فيها شيئاً من الصموية فلم أعمل أداءها في أوقاتها . وكنت أرفع صوتى حتى يسمعه كل مقبل من بعيد لزيارة المقبرة . وما كان أكثر الزائرين لها من مختلف الطبقات !

ولقد حدثت صناعة التشكيح فصرت أجبل وجهى كأوجه الأتقياء والزهادين عبوساً وتقطياً . وقد شهد لى صاحبي الدرويش بالحدق في ذلك على أنه هو مدموم النظير في ذلك

ولقد أذيع سريعاً أن فى المدفن ولياً من أولياء الله . ولولا أنه هارب من مظلة ولاجئ إلى هذا القبر لكان إماماً للناس . وأذيع عني أننى مظلوم مضطهد وأن مقامى في هذا الملاجئ لا بدل إلا على ظلم الحكام الذين يخصون الأتقياء الزهدين بالضهادهم . وترفت في أقرب وقت على أكثر أهل المدينة وقد اتفقت كلهم على أنه ليس في المدينة أكثر تبيداً منى . ولما طال المهذ صار بعضهم يستشيرنى في أموره فأشعر عليه . ودلهم التجارب على أننى حكيم أسبل الرأى

ولم تكن مبيتى وصاحبى لشكف أحداً شيئاً من المال لأن الزائرين وخصوصاً النساء منهم كانوا يقدمون إلينا ما نحن في حاجة إليه من خبز وفاكهة وعسل ، وكنت أجزى على ذلك بالشكر وبأحجية أكثرها بيدي في بعض الأحيان، وعلى الرغم من قلة التشكايك التي تكبدنا إياها هذه الحياة فأنا حياة مظلة لا اضطراراً في أكثر الأحيان إلى قضاء الساعات الطوال دون أن تتحرك شفتا أحداً بحرف ، ومن أجل ذلك كنت أشجعه على أن يقص على أخباره وبرى لى قصصه . ومن بينها القصة التي لم أكن

ولما ذهب الخصى عاد الخياط إلى عمله وأخذ يفكر في هذه الصفقة ثم قام فجأة فأغلق حانوته وذهب إلى منزله ليخبر زوجته وكانت هذه الزوجة واسمها «دلفريب» محدودة الظاهر مثله ، وقد دهشت عندما رأته يعود إلى المنزل قبل موعده المادى ومعه طبق من الشواء الساخن يتصاعد منه الدخان وآخر من السكاج وقرطاس من المنبت

أكلوا وشربوا القهوة وأخبرها بالحديث وترك لها ما أخذته من المال . ولما كاد الليل يتصفت ذهب إلى حانوته ليقابل النصورى وفتح له بأن يعصب عينيه ويقوده حتى وصلا إلى باب الحرم في قصر السلطان فدخلوا . ولم يزل الخصى يقود الخياط حتى وصل به إلى حجرة السلطان ولم يكن بها من النور غير مصباح منبيل على الرف ، ولكن أضاءها الفأخار كان يتم عليها

أمر الخياط بالجلوس على كرسى ذهبي فوق سجادة لم ير ولم يتخيل مثلها ، ثم جىء له بثوب من ثياب الدراويش وطلب إليه أن يتأمل فيه ويقول في كم من الزمن يستطيع أن يحيط ثوباً مثله . وتركه الخصى أمراً إياه بأن يطوى الثوب كما كان يمد أن ينتهي من فحصه ويضمه في اللنديل الذى كان فيه وبعد أن قام الخياط بذلك النحس ناظراً في كل جزء من الثوب طواه ووضعه في اللنديل . ولم يكده يفعل ذلك حتى دخل للفرقة رجل مهيب الطامة فأخذ اللنديل وخرج دون أن ينطق بحرف تاركا الخياط وحده وقد ساورة الأفكار من هذه المناظر التي يراها . ثم فتح باب آخر من هذه الحجرة فدخل رجل في ثياب غنية ومعه ثوب مطوى

حياه النصورى فرقع بصره إليه ، ولما رآه في ثياب جميلة عاد إلى عمله في صمت دون أن رد التحية لأنه اعتقد أنها غير موجهة إليه ، ولكن لما أعاد الخصى للتحية أيقن الرجل أنه هو الذى بها فطرح أعماله جانباً وهم بأن يقف على قدميه ولكن النصورى أمره بالجلوس وسأله عن اسمه فقال : « اسى خادمك عبد الله وشهرتى بابا دول »

قال النصورى : « وهل أنت خياط ؟ » فقال : « نعم صناعتي خياط ومؤذن في المسجد الصغير بسوق السمك »

قال : « اسمع بابا دول — إن لدى صفقة كبيرة الأهمية فهل تقبلها ؟ »

فقال الخياط : « وهل أنا مجنون حتى أرفضها ؟ قل لي ما هي »

— « تكلم بهدوء وفكر فيما أقوله لك . هل تقبل أن أربط عصاية على عنقك وأخذك إلى مكان لا تعرفه لتؤدي عملاً تأخذ عليه أجراً كبيراً ؟ » — هذا شيء آخر غير الذى عرضته على أولاً . إن الأوقات شديدة الحرج والرؤوس تتطارب الآن عن أجسادها بغير حساب ولا يمد أن يقطع رأس خياط مثل كما تقطع رؤوس الوزراء والباشوات في هذا الزمن . ولكن ادفع لي مقدماً ثمنك حالياً وأنا أخطيك لك ثوباً يصلح لابلوس فلا يعرفه فيه أحد إن تشكر »

قال النصورى : « هذه هي بشيتي ، وهذا هو المال » ووضع في يده كيساً من النقود الذهبية فأخذه وقال : « لقد قبلت فقل لي ماذا تريد واعتمد على » ثم تم الاتفاق بينهما على أن يأتي الخصى في منتصف الليل فيأخذه بعد أن يربط عينيه حيث يشاء

مارآء وأن يجزها عما في السلة
فقال دعينا الآن من ذكر ذلك ولنذهب لكي ننام
قالت : « كلا بل أخبرني أولا ماذا رأيت
وإلا فاني لن أستطيع النوم »

وأخذت السلة ففتحتها وهي تأمل أن تجد فيها
هدية ثمينة من بيت العظم الذي تماقد معه على هذه
الصفقة ولكن ما كان أشد انزعاجها وعلما هي
والزوج المسكين عند ما وجدوا في السلة رأسا مقطوعا
قالت الزوجة : « ما هذه الباهية التي حلت
فوق رؤوسنا؟ هل أتيت برأس قنبل لتصنع منه ثوبا؟ »
فصاح المسكين : « لعنة الله على أمه وعلى أبيه .

لقد خدعتني هذا الخصى اللعين ! ليتني طاولت قلبي
فقد حدثني بالشر لا كلني الخصى عن ربط عيني
وعن المكان المجهول . ولست أعرف الطريق إلى
المنزل الذي قادتني إليه . وإلا ذهبت إليه في الحال
وأعدت رأس القنبل . إنني لست أعرف ماذا أفعل
أو ماذا أقول وأخشى أن يكون عندنا بعد لحظة مائة
من الشرطة فنكلف بدفع الدية أو تعلق لنا
الشنقة أو نرى في البحر . أشعري على يا دلفريب .
أشعري على يا حزيني ! »

قالت الزوجة : « علينا أن نتخلص من هذا
الرأس قبل كل شيء ولستأحق بهذه اللئيمة من غيرنا
فلنبحث عن أي إنسان يحملها عنا »

فقال الزوج : « ولكن الفجر قد اقترب وإن
تأخرنا قليلا يفوت الوقت الذي نستطيع أن نعمل
فيه أي عمل فلننظر في أمرنا الآن »

قالت الزوجة : « لقد خطر لي خاطر في هذه
اللحظة ، إن جارنا حسن الخباز يوقد فنه الآن ويبد
ساعة يتندى في إنضاج الخبز وإنضاج ما لديه من

في (شال) من الكشمير وحياء هذا الرجل الخياط محبة
العبد الخاضع السيد الهيب ثم قبل الأرض بين يديه
وترك الثوب وذهب

فقال الخياط في نفسه : « لاشك في أن صاحب
المنزل من أكبر الباشوات ولله صدر أعظم ،
ولو كنت أقدر الرهبة التي أشعر بها الآن لما قبلت
هذه الصفقة مهما كان ربحي منها . ومن الذي يدرى
نتيجة وجودي في هذا المكان بين الغلاء الذين
يظهر أنهم خرس لأنهم يذهبون ويأتون ولا يتعلق
أحدهم بمحرف . لقد كنت أرجو أن يقلل انحناءهم
أماي ويكثر كلامهم لي . لقد سمعت أن امرأة ألقيت
في البحر منذ أيام . ومن يدرى لعلها كانت خياطة
يمثل هذا المنزل ولعل نصيبى سيكون مثل نصيبها
لما وصل الخياط في متاجاته نفسه إلى هذا الحد
دخل الحجره التصوري فأخذ الثوب الثاني الذي
كان الخياط قد انتهى من خصه وعصب عينيه ، وعادا
من نفس الطريق الذي جاء به منه بعد أن أعطاه سلة
ممتلئة . وكان الخياط رجلا حكيمة التجارب فلم يسأل
سؤالا ولم يستفسر عن شيء . ولما طلب إليه الخصى
أن يحمده مودعا يفرغ فيه من خياطة اللوين وعده
بإنجازها بعد ثلاثة أيام ، فقبل الخصى وأعطاه عشرة
جنيهات

ولما رفع الرباط عن عينيه أمام حانوته وفارق
النصوري حمد الله وذهب مسرعا إلى منزله ليبشر
زوجته التي كانت منتظرة بصبر فأفاد بأن الصفقة
تستحق أن تسعى صفقة رابحة . وكان وصوله إلى
منزله بعد ساعتين من منتصف الليل فهنأته لودته
سائلا وقالت إنها استطاعت مدة غيابه وتلفت بشراء
بالإتسام وتكرار الحمد لله . وطلبت إليه أن يصف

سيثون . لقد أرسل إلينا بعض الكفار رأس إنسان لنشويه ولكن بمجد الله لم تقع في هذه الخليفة ولا تزال تستطيع العمل في هذا القرن ونحن مرناحو الضمير . ولكن إذا عرف أنه كان عندنا رأس لنشويه فمن الذي يرسل إلينا خبزه بمذ ذلك ؟ إنني أخشى إن يشتهر هذا الخبر فنموت جوعاً لأن الناس سيقولون إننا تمودنا طبخ الرؤوس الآدمية ؛ وإذا اتفق أن وجد في رغيغ شمرة فاهم سيقولون إنها من لحية إنسان »

وكان محمود شاباً يبالغ الشرير من العمر وقد أخذ من أبيه الهدوء وسلامة الأعصاب وزاد عنه أنه كان ذكياً ميالاً للفكاهة ؛ وبدلاً من أن يزعج من هذا الحادث عدة فكاكة عظيمة ونحك شخصاً عالية من الأسنان البارزة والمبينين الحلقيتين في الرأس الموضوع في « الحلة » قال : « تمال نجماً هذا الرأس في حانوت « خير علي » الحلاق الذي أماننا عند ما يفتحنا الآن . إنني أستطيع أن أقفل ذلك دون أن يراني أي إنسان فأذن لي بذلك قبل أن ينتشر النور »

واقفه الأب فسار بخفة الطائر ووضع الرأس على كرسي الخلافة كانه رأس أحد « الزبائن » وعاد ابن الخباز إلى غيظه لينظر ماذا يفعل الحلاق الضعيف البصر بهذا الرأس عند ما راه وكان « خير علي » في ذلك الوقت يكسب الطريق فلما عاد إلى حانوته الضيق المظلم أخذ يدور فيه لمسح المرأة والكراسي فوقه نظره فجاء على هذا الرأس وظن أن أحد زبائنه جاء ليحلق فقال : « السلام عليكم يا أخي . لا تؤاخذني لأنني لم أرك ساعة حضرت وقد جئت مبكراً جداً ومع ذلك فأرى رأسك

الاطعمة الكثيرة الموضوعة في الأواني المتشابهة . وإذا وضعت هذا الرأس في « حلة » وأرسلناها إليه فانه سيشويه في الآنية كالعادة ويتركها بين مثيلاتها من الأواني حتى يأتي من يسأل عنها وليس يعرف أحد من كل آنية من هذه الأواني لأن صاحب كل آنية يأتي كالمادة فيستدل عليها »

فأعجب الزوج برأى زوجته ونفذ ما أشارت به وبمد دقائيق كان الرأس في « حلة » منطاة بين سائر « الحلال » الموضوعة أمام باب الموقد وأغلقت الزوجان عليهما باب للترل وناما وكانت الزوجة مسرورة بامتلاكها للشال الكشمير الذي كان رأس القنبل ملفوفاً به في داخل الحلة

وكان حسن الخباز وابنه محمود يشعلان النار في الموقد بسرعة، وبالرغم من أنهما هما في هذا العمل فان محموداً وقف فجأة ونبه أباه إلى عواء غريب لكعب بالقرب من الموقد وقال له إن هذا المواء يدل على حدوث أمر غير عادي »

فقال الخباز : « لا شيء من ذلك يا محمود فدعنا نستمر على عملنا »

لكن النباح لم ينقطع ودخل السكاب فأخذ يشم الاناء الذي جاء به الخياط ثم يثب على الخباز ويعود إلى شم الاناء ، فأرتاب الخباز ورفق الفطاء عن هذا الاناء برفق . ولست في حاجة إلى أن أصف مقدار الرعب الذي اعتراه عند ما رأى فيه رأس إنسان يحمق إليه بيمينه ولكن الرجل كان قوي الأعصاب فلم يتركه يسقط من يده كأكثر الناس في مثل هذه الحالة بل وضعه كما كان ونادى ابنه وقال : « إن الدنيا سيئة يا محمود وفيها كثيرون

زيارة حانوته إذا ما رآه أحد ولله خشى ألا يكون هذا السبب كافياً فناداه وأمره بأن يرسل إليه طبقاً من الشواء ليفطر به

وبعد أن أوقد بنى النار وجعد وهو يكفّس الحانوت ذلك الرأس وكان بنى يونانياً أسبلاً كثير المكر قوى الحذر علياً بضروب الخداع والخناطة يتملق من هم أعلى منه ويظلم من هم دونه. وكان يكره الممانيين كراهية المقت ولكنه مع ذلك يتملق أصرهم قدرأ وأنسلم منزلة

ولا أمسك بذلك الرأس بين يديه عرف أنه رأس رجل مسلم فقال : « ليتني أجد كل رؤوس المسلمين مثل هذه الرأس فأسنع منها أحسن شواء في الوجود . ليتني لا يبقى في الآستانة رجل على قيد الحياة . وليت للتسور تتدنّى بأجسامهم وليت كل يونان يصادقه من حسن الحظ مثل الذى صادفنى اليوم »

ثم أتى بالرأس وركله برجله ولكنه عاذت ذكر ورفقه في الحال وقال : « لو وجد هذا الرأس هنا لوقمت للنكبة على رأسى لأن كل الناس لن يمتقدوا إلا أننى قتلت تركياً » ووقفت مدة طويلة عاجل فيها أشد ضرب من الحيرة وقال في نفسه : « لقد نذرت ! إن الحى اليهودى خير مكان لهذا الرأس فإن اليهود هم الذين يرفقون وخدم ما الذى يبنى عمله بهذه الرؤوس »

ثم وضع الرأس تحت ثوبه ومضى إلى الحى اليهودى فوجد على يابه جسم رجل يهودى مقطوعاً رأسه وموضوعاً بين رجليه وقد جرت العادة في تركيا عند ما يقطع رأس رجل مسلم أن يضع الرأس تحت ذراعه تكريماً له . أما اليهود والنصارى فتوضع

عروقاً وأزارك قد نزت عمامتك قبل أن آتى ، ألا تخاف أن تصاب بالبرد ؟

ثم سكت لحظة وعاد فقال : « يظهر أن صاحبنا أصم فانه لم يجيبى بحرف ومع أننى نصف أعمى فأنى سأحلق له »

ثم أخذ طستته النحاسى وأعد الصابون والموسى ومشى نحو الرأس والطست في يد والموسى في اليد الأخرى ، ولم يكذب بضع يده على ذلك الرأس البارد حتى عاد بحركة عصبية كأنما ليست يده النار وقال : « ما شأنك يا أحمى ! إن جسمك بارد كأنه قطعة من التاج »

ولكنه لما مسه للمرة الثانية سقط الرأس على الأرض فوثب الحلاق السكين صائحاً : « أمان ! أمان ! إذا كنت أنت للشيطان تغذ حانوتى وما فيه ودع لى حياتى وأعفنى من الخلافة لك »

ولكن مضت لحظات لم يحدث فيها حادث فاعتقد أن الشيطان لا يده له في هذا الأمر . ودنا من الرأس فرقمه من شعره وقال : « ما الذى جاء بك إلى هذا المكان ؟ هل تريد أن تفضحنى ؟ إني نصف أعمى ، ولكننى أعرف ما يبنى على أن أمهل . إني سأذهب بك إلى حيث لا تفرين أحداً نجارى اليونانى « بنى الكبايجى » يفرح بك ليصنع منك « كبايا » لزيافته الكفار »

ثم أخذ الرأس منطى بمغديل في يد والثليون في اليد الأخرى ومضى إلى مطعم جاره اليونانى ووضعه في ركن منه دون أن يراه أحد لأن الصباح كان لا يزال في أوائله وأصحاب الحوانيت لا يزالون يستمدون ولا يبدأ أعمالهم

ثم أشمل غليون من موقد بنى وجعل ذلك علة

مات . وشاعت بينهم إشاعات مختلفة عن سبب ذلك ولكن كلهم جميعاً كانت متفقة على أن هذه الالهة التي لحقت بهم لا يحبوها غير الدم ، وقيل إن الوزير هو الذي قتله وأتى برأسه في هذا المكان لتقع الشبهة على الجنود . وقيل إن أحد السفراء الأجانب هو الذي فعل ذلك . وأقسم الجنود برأس عثمان وسيف عمر أن يقتلوا لأنفسهم من القاتل أياً كان . وقيل أن نصف النتائج توجه نظر القارئ إلى الحالة التي كان عليها اليهود في ذلك الوقت وإلى محاولتهم للاختفاء والفرار من غضب الأتراك ، ونوجه كذلك إلى منظر الجنود التركية وهي تسير مسلحة في الطرقات مقسمة أعظم الإيمان أن تنقم باحثة عن نصب فوق رأسه جام الانتقام . ولكي تصور هذا المنظر يجب أن نمرف أن المدينة كانت على ازدهارها الشديد ضيقة الطرقات وكان أهلها جميعاً لا يشكمون في حديث غير هذا ولا يهتمون بشيء سواه وكماهم يتوقع حدوث نكبة لا تحظر لأحد يبال

في نفس البلية التي دحى فيها الحياط إلى قصر السلطان صدر أمر سرى بقتل قائد الفرسان وقد كان ينسب إليه أنه رأس حركة التمرد التي قامت أخيراً بين الجنود

ولما كان السلطان شديد الغضب من هذا القائد فقد أمر بأن يمرض عليه الرأس ساعة قطعه لجاء به الجلاء إلى الغرفة في الساعة التي كان فيها الحياط جالساً على الكرسي الذهبي ينتظر الثوب الذي سيخيط مثله ولأن الغرفة لم تكن مضاءة بالنور الكافي ولأن الجلاء وغيره من الحاشية كانوا يخشون من النظر إلى وجه السلطان — فقد وضع الرأس ملفوفاً (٧)

رؤوسهم بمد قطعها بين أرجلهم تحقيراً لهم ولما كان الطريق خالياً فقد أسرع بنى فوضع رأس السلطان تحت ذراع اليهودي وعاد مسرعاً إلى حانوته أما قصة اليهودي المقتول فإنه أهم باختلاف ولد مسلم وهذه تهمة توجه كثيراً إلى اليهود في تركيا وفي إيران ، وقد عوقب اليهودي بالقتل وبأن ترك جثته في الطريق ثلاثة أيام . ولم يجرؤ أحد من اليهود أو اليونان المقيمين بالقرب من هذا الحى على الدنو منها ، فظفروا منتظرين أن يأمر الحاكم المسلم بدفنها أو بإحراقها أو بأن يفعل بها ما يشاء . ومن أجل ذلك تمكن بنى من أداء مهمته التي تقدم ذكرها دون أن يراه أحد

ولكن لما اعتلى ضوء النهار شاع أن اليهود قتلوا رجلاً مسلماً ووضعوا رأسه مع رأس اليهودي انتقاماً ، وشاعت إشاعات أخرى متناقضة ، وازدهم الناس حول الحجة . وقيل إن الله أظهر معجزة إذ ظهر لليهودي رأسان ، وقيل إنه كان مسلماً في السر ويهودياً في العلانية وإنه كان ربكاً من التهمة التي وجهت إليه ولذلك ظهرت هذه المعجزة

ولكن اليهود كانوا في أشد الحيرة والارتباك لوقوع هذا الحادث ، وكان رؤساؤهم الدييون يروحون ويندون أمام هذه الحجة ويقعدون جالسات للبحث فيما يدفع عنهم شر هذه النكبة

وبينما كان الناس يشاهدون هذا المنظر المنيكر ويردد كل منهم ما سمعه من الاشاعات إذ صاح أحد الجنود : « هذا الرأس هو رأس قائدنا فلان رحمه الله . فتعرف إليه سائر الجنود وعرفوه ، وهاج غضبهم ، وسرعان ما اتصل الخبر بكل جنود الفرقة لأنهم لم يكونوا يعلمون أن قائدهم الذي يحبونه قد

أنضحك على ذقن بيضاء مثل ذقني وتفهمني أنني
آت لأخيط ثوباً ثم تطعني رأس رجل مقتول ؟
إن البيت الذي قدتني إليه بيت جماعة من العصوص
السفاكي السماء »

فوضع الخصى يده على فم الخياط وقال : « اسكت
فانك لا تعرف عن تسكلم »

قال الخياط : « أيا كان هذا الذي تسكلم عنه
فانه كلب كافر يستحق اللسنة »

فقال الخصى : « أهكذا تسكلم عن ظل الله
على الأرض يا أحمق ؟ قل لي ماذا فعلت برأس القتييل
هاته وإلا قطعت رأسك بدلا منه »

لما علم الخياط حقيقة الأمر فتح فاه كالآبله
وقال : « أمان ! أمان ! لم أكن أعرف هذه الحقيقة
نمال مني إلى المنزل فانت تسعدني بشرفه وترفع
رأسي إلى السماء »

فقال المنصوري : « لا أستطيع التأخر فالأمر
يدعو إلى شدة الاستعجال قتل لي أين رأس قائد
الفرسان »

وكان الخياط يسمع هذا اللقب ويذكر ما فعلته
زوجته فاسطلكت أسنانه واضطربت ركبته وقال :
« ما أوقنى في ذلك غير القسمة وليس للانسان
أى مهرب منها »

فهم سكت . وانتظر الخصى كي يتطلق بشيء فلما
لم يفعل . قال الخصى :

— « هل أحرقته ؟ »

— « كلا »

— « هل رميته في البحر ؟ »

— « كلا »

— « إذن فاستحلفك باسم النبي أن تخبرني

تحت قدى الخياط على اعتبار أنه السلطان . ثم
أعطى الخصى فوضه في السلة بدلا من الهدية التي
كان يجب تقديمها وقدمت تلك الهدية إلى السلطان
بدلا من رأس القائد

لما عرف السلطان أن الهدية هي التي قدمت إليه
بدلا من الرأس كان الخصى والخياط في طريقهما
إلى الحانوت

غضب السلطان وانتظر عودة المنصوري فلما عاد
أمره بالذهاب في الحال ليأتي بالرأس الذي أخذه
الخياط وتوعد به بالوت إذا لم يده به ، فذهب وهو
يكاد يجن لأنه يعرف حانوت الخياط ولكنه لا يعرف
منزله . وأخذ يدور في الطرقات لعله يرى رجلا
فيسأله عنه ومضت ساعة قبل أن يتذكر قول الخياط
إنه مؤذن في المسجد الصغير في سوق السمك

فلما تذكر هذه الكلمة جري مسرعا إلى ذلك
المسجد وكان قد اقترب وقت الأذان فانتظر وهو
مفقود الصبر تحت باب المسجد . ولم يمض وقت
طويل حتى رأى رجلا يقبل نحو المسجد فظن أنه
الخياط ، وبمد دقائق تبين أنه لم يكن مخطئا في ظنه
ولما وقع نظر الخياط على المنصوري ترك الواجب
الديني الذي جاء ليؤديه في المسجد وهو الأذان
وجري كالجنون راجعا في الفرار . ولكن المنصوري
أدركه واستوقفه برفق أطمع الخياط فقال : « هل
أنت إنسان ؟ كيف تامل مسكينا مثل هذه الماملة
مالذي أسألك به حتى تطعني رأس رجل مقتول ؟ »
قال المنصوري : « تحمل أيها الصديق فاني
لم أرد بك سوءا وإنما قسمت غلطة يراد الآن
إسلاهما »

فقال الخياط وهو يرتمش : غلطة ؟ تقول غلطة ؟

ماذا فعلت به ؟ هل أكلته ؟

— « كلا »

— « هل هو موجود الآن في منزلك ؟ »

— « كلا »

— « هل هو مخبوء في بيت آخر ؟ »

— « كلا »

فاشدت غضب الخصى وأمسك بلحية الخياط وصاح : « إذن فأخبرني ما الذي فعلت به ؟ »

فقال الخياط وهو يكاد يمتنق لاحتباس الدموع في صدره : « إنه في القرن — إن القرآن يشويه الآن »

دهش الخصى وقال : يشويه ! لماذا ؟ هل تريد أن تأكله ؟

فقال الخياط : « كلا ولقد أخبرتك بالحقيقة فإذا تريد ؟ إنه الآن في القرن وللقران يشويه ثم أخبره بالأمر على حقيقته »

فقال النصورى : « أرني حانوت الخياط . من الذي يظن أن رأس قائد الفرسان يرسل إلى القرن ليشوي ؟ لا إله إلا الله »

ومشى الرجلان إلى حانوت الخياط وكان إذذاك يخرج الخبز نانجا من الوقد ، ولما علم غرضهما لم يتردد في إخبارهما بالحقيقة . وذهب الثلاثة (النصورى والخياط والخياط) إلى حانوت الحلاق فسالوه عما فعل برأس القتييل فتقدم مدة ثم أقسم أنه كان يظن الأمر حيلة من إبليس وأن ذلك بر ما فعله من تركها في مطعم اليوناني الكافر الذي لا بد أن يكون قدسها لآخواته الكفار في جملة ما قدمه إليهم من الشواء فاستماد الثلاثة بالله من غضبه وضموها إليهم الحلاق ومشوا إلى مطعم بنى اليوناني

أزعمج السكين عند ما رأى أريمة من المسلمين يدخلون حانوته في وقت واحد وشعر بأن حاجتهم ليست إلى الطعام بل إلى أمر آخر . ولما سالوه عن رأس القتييل أنكر أنه رآه أو علم شيئا عنه فأراه الحلاق الركن الذي تركه فيه وأقسم بالقرآن أنه صادق وتولى النصورى مهمة المحقق في القضية

وفي هذا الحين تنوع الخصى ما كان الناس يتحدثون به من وجود رأس كان لجثة اليهودى القتييل . وسمع من جهة أخرى أن الفرسان هائمون في المدينة وأن لهذا الهياج علاقة بوجود الرأس الثاني فذهب مع الخياط والخياط والحلاق إلى المكان الذي فيه جثة اليهودى وهناك وجدوا الجثة التي كانوا يبحثون عنها

وكان بنى اليوناني مفتشرا بما سيصيبه فلم يضيع الوقت سدى بل جمع أمواله وهرب من المدينة ولما رأى الخصى الرأس قال : « أين اليوناني ؟ يجب أن يكون معنا ولنذهب جميعا إلى السلطان » فقال الحلاق : « لا بد أنه هرب لأنه هو الذي منح اليهودى رأسه الثاني »

وكان النصورى يحمل الرأس ولكنه لما رأى كثرة الجنود حوله ووجدهم يتسمون أن ينتقموا من السئول أيا كان أحجم عن ذلك وأخذ شهوده معه وذهب إلى السلطان . ولما أخبر النصورى السلطان عما حدث اضطرب السلطان لأن الحركة التي بدت من الجنود قد يتسع نطاقها فيصبح من المستحيل إخمادها وقد يؤدي ذلك إلى خله أو قتله فظل مدة طويلة في حالة من الشك وأخذ يقتل شاربيه ويكرر بصوت خافت لفظة : « الله ! » ثم

الفصل السادس والأربعون

جاءني بابا يصبر ربا من أرباب الله
أخيراً سمع ميرزا أبو القاسم ما تناقله الناس
عن صلاحه وتقوى فزعم على مقابلتي عند ما يزور
القبر الذي أنا لاجئ إليه .

ولقد كنت خائفاً من هذه الزيادة خوفاً شديداً
لأنه سيتضح منها جهلي الشديد . وقلت في نفسي
إن زعيماً دينياً مثل أبي القاسم لا بد أن يكون على
جانب كبير من العلم ولا بد أن يتبحر فيه رجلاً
مثل ذاعت شهرته ولم تتضح بعد حقيقته

ولم أكن أعرف من أمر ديني سوى أن كل
من لا يؤمن بالنبي محمد وابن عمه على فهو من حطب
جهم ، وأنه لن يدخل الجنة غير المسلمين ، وأن
فريقاً كبيراً من المسلمين سيدخلون جهم أيضاً
لأنهم فضلوا أبا بكر وعمر وعثمان على الإمام علي ،
وأن الأتراك جميعاً لن يدخلوا الجنة ولكنهم ليسوا
نجسين مثل اليهود والنصارى

وكنت أعلم أيضاً أنه لا يجوز شرب الخمر ولا
أكل الخنزير وأنه يجب أن يصلى المرء خمس مرات
في اليوم ويجب أن يتوضأ قبل كل صلاة

ومنذ اللحظة التي سمعت فيها بأن ميرزا أبا القاسم
سيزورني ، أخذت أستخدم في ذهني ما تعلمته من
أموال الدين شأن الطالب الذي قرب وقت امتحانه
وبيئنا أنا كذلك إذ أقبل على صاحبي الدرويش
وأخبرته عن سبب اشتغالي فنظر إلى وقال : « هل
عشت في الدنيا هذا العمر ولم تعرف إلى الآن أنه
لا يمكن أداء أى عمل إلا بالوقاحة ؟ هل نسيت
القصص التي كنت أرويها لك مع صاحبي الدرويش
صفر في مشهد ؟ »

أمر باستدعاء الصدر الأعظم وشيخ الإسلام وقد
اتزعج الرجال عند ما دعيا في هذه الساعة المبكرة
لجاءا وهما رغبان ولكن لما أخبرهما السلطان عن
سبب استدعائهما عاد إليهما الهدوء والاطمئنان
وبعد أن تداولوا مدة قرراً أن يحال الخياط
والخياط والحلاق إلى المحاكمة بتهمة التآمر على حياة
القائد وأخذ رأسه ليشوى ويحلق ويصنع منه شواء
وأن يطلب الحكم عليهم بدفع العدية . وأصدر شيخ
الإسلام أمراً بأعدادم اليوناني لأنه رابع التآمرين
وقد هرب وهو مسيحي لا تقبل منه العدية عن مسلم
وبعد أن تداول السلطان والصدر الأعظم تقرر
أن يعين خلف المتول من الدين يرضى عنهم الجنود
وأن يقام مأتم عظيم للقائد المتول

وقد دفع السلطان لثلاثة التهمين العدية سرّاً
فدفعوها وعوضهم تمويصاً حسناً عما تسبب لهم
من التائب . وتمت الجبازة وتعين خلف للقائد وحاد
الهدوء إلى المدينة والجنود . وبذلك نفذ كل ما تم
الاتفاق عليه إلا قتل اليوناني فاتهم لم يعثروا له
على أثر »

هذه هي القصة التي قصها على الدرويش ولكني
اختصرتها خصوصاً في الجزء الذي أخذ فيه الخصى
يروى على السلطان ماهره عن أمر الجثة . ولو سردت
هذه القصة كما سمعتها من الدرويش لجاءت طويلة
جداً يحتاج تنويعها إلى سفر كامل . وفق للقصص
يقضى بأن تكون القصة مختصرة بقدر الامكان وإلا
تفقد إمتاع القاري بسبب الإيجاز

ومن أجل ذلك قال لي الدرويش إنه يستطيع
أن يقص هذه القصة في شهر دون أن ينتهي منها
لأن مادتها تتسع لذلك

ويطلب وجهه فأطال نظره إلى وسادت فترة صمت عميق ثم قال : أصبح أنك جئت إلى هذا المكان لا جئاً خشية أن يحمل بك العقاب ؟ إني وأصحابي قد ودعنا الدنيا وودعنا فأسالك من ذلك فضولاً، ولكنني أردت أن أعرض عليك خدمتي إن كنت في حاجة إليها لأن رسول الله قال حديثاً شريفاً أوصى فيه البصر بأن يعد مساعده إلى الأعمى وأوصى النبي بأن يساعد الفقير »

فتشجعت وقلت قصتي بعد أن حورت فيها حتى حسبي السامعون شبيهاً من الشهداء وقال أبو القاسم : « متى كان الأمر كذلك فاني بإذن الله سأكون الوسيلة التي ترتفع بها مظلمتك وسيبور الشاء هذا القبر قبل نهاية هذا الشهر وهو لا يرد لي كلمة فساطب إليه أن يفوقك ويرد المدل منك إلى نصابه »

قلت : « إن تراب قدميك كن لمني وإني غطى لا أستحق هذه الرأية من مقامك للقدس . ولكن الذي نقله من أجل يتفق مع رفقك لا مع اتضاعي ومع طهارتك لا مع خطيئتي »

ويظهر أن أبا القاسم طرب من هذا الدح الذي كانه جزافاً فقال : « كانك وقصتك تدلان على أنك واحد منا يا حبيبي . والأبقاء يعرف بعضهم بعضاً كما يتعارف طائفة من الكفار يطلقون على أنفسهم اسم « الماسونية »

هنا صاح الطلبة إعجاباً بمل الزعيم : « الله أكبر لا إله إلا الله » واستمر الزعيم بخطابتي فقال : « من هذا الدرويش الذي منك ؟ لقد سمعت أنه يقول عنك وعن نفسه إنك جبان لها روح واحدة » فلأهرف بماذا أجيب وترددت بين

قلت له : « إني لم أنس حرفاً مما قلتموه لأنني جللت في ذلك العهد وليس في الدنيا شيء يقوى العدا كره ويشهد الدهن مثل عصا الجلاذ . ولكنني الآن لست معزماً لما بل للرحم بالأحجار فقل لي يا درويش ما الذي أفعل ؟ »

فقال : « إذا كنت لا تستطيع أن تتبجح بالعلم وترتكب إليه الوقاحة في الجدل فاعليك إلا أن نازم الصمت فلا تجيب . ومن الذي يستطيع أن يعرف مع صمتك أنك حمار ؟ إني أكاد أخدغ فيك أيضاً إذا أنت لم تتكلم »

قلت : « فليكن ما تشير به يا درويش ... الله كريم »

ثم أطرقت وتذكرت قصة من قصص السمدى ضحها ذكر ما يبنى على الدراويش أنت يعرفوه فتشجعت وعزمت على اتباع ما أوصى به السمدى في هذه القصة .

ولم تمض إلا مدة وجيزة ثم جاء أبو القاسم ومعه تلاميذه فأقاموا الصلاة في صحن المدفن ولما أحسست بجيهم وقفت أصلي في خلوتي؟ ولما انتهت الصلاة خرجت فرأيتهم جالساً بين تلاميذه جلست معهم ورأيهم ينظرون إليه نظرة تقديس فأولمت نفسي أن أنظر إليه تلك النظرة . وبدأ يلقى درسه ونحن جميعاً منصتون إليه . وفي وسط الدرس دعاني إلى الاقتراب من مجلسه والجلوس على طرف سجاده كالخامسة من القرنين إليه فقلت بعد أن قبلت طرف ثوبه في خضوع وروحية فقال لي : « مرحباً بك ؟ لقد سمعنا كثيراً عنك وإن شاء الله بارك في خطوانك . زد دنواً مني »

فأجبت على ثنائيه على باستغفار الله من ذنوبي

علامة للاشمزاز أو الدهشة ولا للسرور أيضاً لأنه لو بدأ ذلك لعل على أنني كنت أجهل ما سمعته. وأخذ الشيخ يلين الصوفية متحمساً حتى خلت أنه لا يتردد في قتل أحدهم لو كان حاضراً في هذا المجلس

ولما انتهت خطبة الشيخ استأذنته وتركت مجلسه عائداً إلى خلوتي . ولما قابلت صاحبي الدرويش بعد ذلك أعدت عليه ما سمعته خصوصاً عن الدراویش

وقلت له إن الشيخ لا يمد أن يرجع

فقال : « إنه وتلاميذه أولى بالرحم لأنهم سفاكو دماء وليس بهمى شئ من الخلاف بين الصنية والصوفية وأهل الشبهة مادمت أنهم الصلوات الحسن؛ ومع ذلك فاني سأترك لهم مذهبهم المأثرة بالراه المجردة من كل شئ سواه ولن أعود إليها طول الحياة »

وإني لأعترف بأنني لم أفسدلاً أخبرني به الدرويش من عزمه على ترك المدينة ووددت أن أقدم فاضع عصاه في يده وجرا به فوق ظهره وأشيمه إلى الباب مودعاً ولم يطل عهد هذه الأمانة فانه فعل ذلك من تلقاء نفسه في اليوم التالي تاركاً إلى الخلوة . وقلت في نفسي ساعة ذهاب : « اذهب لأرجحك الله من وغد طروب، أنت في رؤسك أوفر حظاً من الأغنياء مادمت قائماً بالسيرة إلى حيث تحملك قدماك كالدين أرام أرقاء لألف مطلب يتبعون أنبائهم حرصاً على الحياء »

الفصل السابع والأربعون

الدرويش يرمق حاجي بابا

لم يكن يشغل ذهني في ذلك الوقت غير الوعد الذي وعدني به أبو القاسم بأن يستصدر أمر المغفور عني من الشاه . وقلت في نفسي ما دمت أرجو أن يدافع عني فلا بد من إرسال هدية إليه حتى يذكرني

الاعتراف بصداقته وبين إنكارها لأنني لم أتبين شعورهم بمحبه . ثم قلت بعد تفكير قليل : « إنه رجل فقير وقد سمحت له بالإقامة معي وهو أدى لي خدمة يسيرة فلم أنساها له »

قال أحد الطلبة الجالسين بجنبني : « لا تنس نفسك فان هؤلاء الدراویش فيهم اللص والوعد ومرتكب كل جريمة »

فقال أبو القاسم وقد وضع يده على خاصرته ، وتلك علامة يرمقها تلاميذه إذا أراد أن يتكلم : « نعم إن هؤلاء الدراویش سواء كانوا من أتباع نور على الشاهي أو من الدهبيين أو من اللثه شيندين فانهم جميعاً من الناقين الذين لا يستحقون غير الموت ، وأكثرهم يصل بشير وضوء رياء للناس ويتظاهر بالصيام في رمضان وهو مفطر . وفيهم من يجاهر بأنه ما دامت الديرة بالقلوب فلا داعي للامور التبصية ويكني المرء إيمانه ، وفيهم من يؤمن بالقرآن ولكنه يكفر بالأحاديث ولا يتبع ما أمر به النبي . وفيهم من يصبح بلفظة الجلالة حتى يخرج الزبد من شديقه أو يصبح بصوت منكر ويد ذلك من الدين . ومنهم من يتزع عنه الثياب ويمشي حارياً حافياً ويزعم أن ذلك تعبد لله مع أن النبي والصحابة لم يكونوا يمشون ذلك . وأقبح جماعة فيهم الصوفية فانهم أبعد الناس عن رسول الله وإنا بنه الله إنساناً يقتدي به الناس فلمنة الله عليهم » فقال تلاميذه : « آمين »

واستمع يقول : لعنة الله على الشيخ المطار وعلى جلال الدين الرومي . فقال تلاميذه : آمين ونظر إلى تلاميذه ليروا تأثير هذا القول في نفسي وقد كنت أكثر حذراً منهم فلم يروا علي وجهي

نفسك لم تزل باقية فاحمد الله لأن الحياة بعد كل شيء
ليست بالنعمة الرخيصة »

قلت في نفسي : ما هذه التمزقة للباردة ؟
إنني أعلم أن الحياة ليست بالنعمة الرخيصة ولكن
هل ترد هذه المرفة مالى الذي سلبه الدرويش ؟
وطلبت إلى هذا الصاحب أن يبلغ أمرى إلى
أبي القاسم ويستدر إليه عن تأخرى في إرسال هدية
إليه ، لأن ذلك لم يكن فى وسعى فقارفتى وأعدأ
إلى بأن ينقل إليه ماسمه منى

وفى نفس ذلك اليوم علمت أن الشاه وصل إلى
مدينة « قم » وفرش الدفن بأخضر السجاويد بعد
أن كنس وغسلت أرتنه بالماء ، وكنت فى ذلك اليوم
على أشد حالات القلق لأن الساعة التى ينتقرر فيها
مستقبلى قد دنت ، ولأن أمد غيبتى عن طهران قد
طال وأصبحت حيانى فى هذا المكان مملوءة ؛ وكنت
أجهل مقدار ما يشعر به الشاه بحوى من البنض ؛
وكنت فى ساعة أظن أن الشاه لن يكتفى بشيء أقل
من قطع رأسى . وكنت فى حين آخر أندفع فى
سبيل القروى فأرى أن الشاه لا يستطيع أن يأمر
بقتل لأن لى سنداً قوياً من ميرزا أبي القاسم

ولما دخل الشاه هذا الدفن أظهرت نفسى
لحاشيته وسلمت عليهم فردوا سلاماً قاطناً قلبى
لذلك كل الاطمئنان . وأخبرنى أصحابى بكل ما حدث
بالقصر بعد غيابى عنه . وعلى الرغم من أنى كنت
أليت على نفسى أن أتردد وألا أعابأ بشيء فى الحياة
فقد كنت أجده دوافع الرغبة قوية فى نفسى لسباع
هذه الأخبار

وأخبرونى أن رئيس الجلادين عاد بعد الواقع
اللى دارت مع الروس وأحضر معه رأس رجل

لأن الاثن لا يكاد يذكر أباه فى هذه البلاد حتى يرسل
إليه هدية

وكنت حزيناً على المال القليل الذى جئت به
إلى هذا المكان فدفنته بركنى قريب من الباب حتى
أصير فى حاجة إليه فلما ذكرت الهدية ذكرت المال
فقلت إلى ذلك الركن لأنتفذه . ولا يسأل القارىء
عن مقدار دهشتى وجزى وغضبى لما وجدت المال
مفقوداً كله . وكانت اللعنات على رأس الدرويش
الذى كان مئ فى هذه الخلوة لأنه لا يمكن أن تصل
إلى هذا المال يد غير يده . ودعوت الله بأن تصير
حياته مرة صارة حزنى لأنى ما كنت أطمع فى شيء
أحب إلى من فك أسرى . ولكن ذلك أصبح عديم
الجدوى بغير المال . وماذا يمكنى أن أفعل إن ردت
إلى حريقى وليس مئ قوت يومى سوى أن أصير
شحاذاً ؟ واخذت جزئى من الموت جوعاً فذلك من
شر ضروب الموت

ولما كان اليأس بطبيعته خير علاج للحزن فقد
أنسانى يأسى من ضياع حزنى على موت زينب، ثم
أنسانى حزنى من الاضطراب إلى زوم هذا السجن
الاختيارى ونسيت فى النهاية حزنى على خسارة
المال . وبلغت لى شدة اليأس فى النهاية حدأ
احتقرت معه الحياة حتى أنه لو وصل إلى يدى سم
فى هذا الحين لما تأخرت عن تناوله

وفى ذلك الوقت زارنى الطالب الذى كان قد
حزننى من الدرويش فشكوت إليه أسرى ووجدت
لنفسى فرجاً من بث هذه الشكوى إليه فقال لى :
« لا تحزن يا أحنى فأنت تعرف أن الله يبذل الصالحين
من عباده ليتبين الصابر من الجزوع فلماذا تترك
الجزع يتمكّن منك ؟ إن مالك قد ذهب ولكن

ملك الملوك سيد السالم . أنا أطلب الرحمة باسم
فاطمة الزهراء .

فنظر الشاه إلى أبي القاسم وقال : « من هذا ؟
فقال أبو القاسم : « هو لاجئ إلى قبر فاطمة
وهو ينتظر أن يفي عنه وفقاً للعادة التي جرت عليها
هذه البلاد مع اللاجئين إلى القبور المقدسة . وهو
ونحن جميعاً فداك بإجلالة الشاه ومهما أمرت
فأمرتك نافذ »

قال لي الشاه : « من أنت وماذا فعلت حتى
جئت إلى هذا المكان ؟ »

قلت : « جعلني الله فداك . أنا كنت مساعداً
لرئيس الجلادين واسمي حاجي بابا وقد جعلني أعدائى
مجرماً في نظر مولاي الشاه . ولكنني في الحقيقة
بريء » ...

فنظر إلى الشاه نظرة طويلة ثم أطرق لحظته وقال :
« إذن فأنت حاجي بابا ؟ سواء كنت أنت المسئول
أو رئيس أطباء فإن النتيجة واحدة وهي أن كرامة
الشاه قد استهين بها »

ثم نظر إلى أبي القاسم وقال : « بماذا تشير في
أمر هذا ؟ إن الشاه قد جارية من جواربه ولها دية
يجب أن تؤدي عندنا حتى للروس واليهود فكيف
تضيق دية جاريتي بين الطبيب وبين مساعد الجلاد »
قال أبو القاسم : « حكم الشرع في ذلك أن تدفع
الدية إلا إذا نزل عنها ولي الهم وأنت يا مولاي ولي
الهم فلك أن تغفو . وأجدر بك وأنت في مقام الملك
أن تقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم تغفو
والغفو أفضل »

فقال الشاه : « فليكن كما أشرت » ثم التفت
إلى وقال : « لقد عفوت منك ولكن لا تزن وجهك
بعد الآن . اذهب من هنا »
« يتبع »
عبد اللطيف الشاه

ورأس امرأة قبيل الشاه منه هذه الهدية ورضي
عنه واستنابه عن شرب الخمر

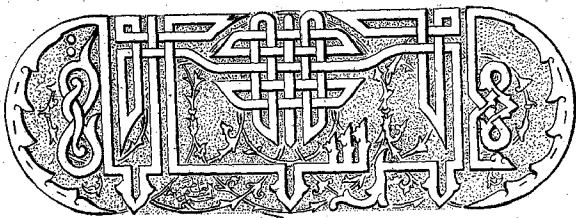
وأخبروني أن أسراً حبي ثريب قد اشتهر وصار
حديثاً للناس ، وأن سيدي القديم ميرزا أحد وجد
جفوة من الشاه فاستمر يرسل إليه الهدايا لعله يبعد
لديه عطفاً ، وأن غضب الشاه لفقدان الجارية الكرديّة
قد قل كثيراً لأن رئيس الجلادين أهدى إليه جارية
أخرى وأنه افتن بها . ووصفها بأنها أجمل جارية
رأها من عهد « طاووس » التي كانت تضرب
بجملها الأمثال .

وكان الشاه مقياً في خيامه خارج المدينة . ولست
أريد وصف استقباله لأنه لم يراع فيه الأبهة التي
ترامى في غير هذا المقام . أما والفرض من هذا
السفر هو زيارة قبر فاطمة الزهراء فقد ظهر الشاه
بمظهر التي الورع الزاهد في مظاهر الحياة . وكانت
سياسته تقضي على الدوام بمسألة رجال الدين لأنه
لم يكن يجهل قوة نفوذهم على أذهان الشعب ، ولم يكن
من الغرور بحيث يتصور أن قوة جنوده تستطيع
التنلب على الشعب إن ناز

وكان أول شيء فعله عند ما وصل إلى (قم) أن
ذهب على قدميه إلى منزل ميرزا أبي القاسم فزاره
فيه ومشى كذلك في طرقات المدينة وأوصل نذوراً
كثيرة إلى قبر فاطمة الزهراء .

وكان الشاه يوم وصوله إلى المدفن مردياً ثياباً
سوداء وحوله رجال الدين في مثل هذه الثياب .
وكان مجرداً من كل حلية اعتاد أن يتحلل بها من
قبل حتى خنجره

وكان ميرزا أبو القاسم يعيش وراءه بمضطوة
أو خطوتين . وكان يتكلم والشاه يعنى إليه .
ولما سر من أمشي سجدت وقلت : « أنا في حماية



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ الْهَضْمَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ لِعَبَقِيَّةِ الْأُمَمَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النِّشَاءِ اسَالِيْبَ الْمُبَالَغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ طَوَاهِرَ النُّظُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْتَرِكِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسَجَلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

وَدَائِرَةُ الْمَعَارِفِ لِمَدِينَةِ قُرْبَانَا ، وَالْمَجْلَى بِإِسَارَى جَنِينِهَا مِصْرِيَا ، وَلِلْبَلَدِ الْعَرَبِيَّةِ بِخَصْمِ ٢٠٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

برل ابشر الك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ من العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٤
مابدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المرجلة

لجنة التتبع والتتبع

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٠ المحرم سنة ١٣٥٧ - أول مارس سنة ١٩٣٩

العدد ٥١

من احسن القصص



فهرس العدن

—><—

	صفحة
١٧٠ الكورة	أقصومة مصرىة ...
١٧٩ كاتن شانون	الكاتب الانجلىزى آرثر كونان دويل ...
١٨٧ انتصار	الكاتب الفرنسى جورج مورفير ...
١٩٠ الرجل الحق	الكاتب القصصى جلبرت كيت تشستر ...
٢٠٣ ذكرى امرأة	أقصومة مصرىة ...
٢٠٩ حابى بابا أصفهانى	الكاتب الانجلىزى « جيز مور » ...
بلم الأستاذ نجيب محفوظ ...	
بلم الأستاذ محمد لطفى جمعة ...	
بلم الأديب عبد الفتاح حمد ...	
بلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ...	
بلم الأديب عبد الحليم المشيرى ...	
بلم الأستاذ عبد الطيف النشار ...	

الذكر

أَقْصُوصُ مِصْرِيَّة
بقلم الأستاذ نجيب محفوظ

انفراده بوالده في اليوم الثاني
وسأله بلهجة تنم على الحنق
والانكار :

« لماذا أجبرني على العودة
ولما أتم تعليمي ؟ »

فتنهذ الرجل حزينا أسيفا
لأنه لم يسمع هذه اللجة الوخزة
منذ أربع سنين ، ولكنه لم

ينضب لأنه كان أعلم الناس بمن يخاطبه ، ولم ير أن
يستحث للصدام ، فتشغل بالنظر إلى بعض الأوراق
الموضوعة على مكتبه ، وضاعف عدم اكترائه من حنق
الشاب فاستطرد يسأله بجدة :

— لماذا أجبرني على العودة ؟ ... ولماذا هدديني
إذا لم أسدع بأمرك بمنع التقود عني ؟

ولم يجد الرجل بدا من القول ، فقال بهدوء :
— لأنني لا أريد أن تضيع أموالا في حانات
باريس !

فتظاهر الشاب بالهشمة وتساءل :
— ومن قال لك إن أموالك تضيع في حانات
باريس ؟

فحدجه الرجل بنظرة فاحصة وقال :
— جميع الذين سافروا لزيارة معرض باريس
هذا العام تشرّفوا بمشاهدتك وأنت تراقص الفاجرات
وتترحم عملا !

فقال حمدي ينضب :
— يؤسفني أن أقول إن معلوماتك كاذبة :
ولم ينضب الأب لأن الحوادث علمته أن يمايل

في مثل ذلك اليوم يحق للفرح . كيف لا وكان
يوم عودة النجل المحروس من أوروبا بعد غياب
أربع سنين ذهبت في طلب العلم ؟ ... واحتفلك
أسرة الحلبي بالسود الحفيد احتفالا جمع أشتاتها البعثة
في أحياء القاهرة ، فسام فيه الأحام والمهات
والأخوال والحالات ، وتبوءت فيه التهنات ودارت
أحاديث الأشواق والى ... ولكن — علم الله —
لم يكن حمدي الحلبي مسرورا أبنة ، بل لا نفور إذا
قلنا إنه كان غائبا عنقاً مغيظاً ، لا يرغب في أن يرى
وجهاً من الوجوه التي تحييه بالانتماء والكلام ،
ويؤذيه غاية الإذناء أن يضطر إلى مجاملتهم بالحديث
كارة والضحك تارة أخرى . ولعل التبعة الوحيدة
التي صدرت عن فؤاده كانت تلك التي حيا بها أمه ،
أما أبوه فكان يتمتع بأكبر قسط من سخطه أو كان
على الأسح للمة الحقيقية لحقته وتبرمه ، ولذلك كان
رمقه بنظرات تنطوي على الحقد لم يخف مرماها
على الرجل الزين وإن خفيت عن أعين الحاضرين
ولذلك لم يدم بينهما الوداد — وهو ما يرجيه
اللقاء بعد اليماد — طويلا ، وانتهز حمدي فرصة

— أنت تسمى في الظن هذه المرة بشيروجه حق .

— كلا ياسيدي ، أنا أعلم كل شيء على حقيقته
وسأبين ذلك بالليل القاطع إنك سافرت
للتحقق بكلية الحقوق والتحقق بها فعلا في إحدى
الأمس ثم تحولت فجأة إلى كلية الآداب فلماذا
فعلت هذا ؟ . . . أرجو ألا تسارع إلى تكذيبى
فالذى أخبرنا بذلك صديق أخيك حمام الدكتور
فهم وهو كما تعلم كان زميك في كلية الحقوق
وقد عاد هذا العام بعد أن نال الدكتوراه . . . ! فقل
لماذا فعلت هذا ؟

وغلب الشاب على أمره ، وبدت على وجهه
الحيرة ، ودل مظهره حيناً على أنه يبالغ الضحك ،
وقال : « رب إنسان لا يعرف حقيقة ميوه إلا بعد
التجربة ، وهذا ما حدث لى بالضبط ، فقد نظمت
قصيدة أول عهدي يباريس في وصف السين نالت
إعجاب أصدقائى جميعاً ، فملئى إعجابهم على التحول
إلى كلية الآداب . . . فما الذى يفضيك في هذا ؟ »
فهز الرجل رأسه هاتفاً وقال :

— أنت لا يمكن أن تعرف لنفسك ميلا ، لأنك
متعدد الميول ، متقلب الأهواء ، هذه هي الحقيقة
التي تملئها من حياتك الثرية . ألا تذكر — وأنت
طالب ثانوى — أنك كنت صادق النية على الالتحاق
بالقسم العلمى ؟ . . . وكانت أعز آمالك أن تصبح
طبيباً فيما بعد . . . ولكن حدث أن ضمت عمائيك إلى
خطابك في مجتمع عام فتغيرت آمالك دفعة واحدة
والتحق بالقسم الأدبى وأبيت إلا أن تصبح عمائيك . . .

ابنه معاملة الأطفال أو المجانين وقنع بأن عز كنفية
استهانة وقال :

— انتهى الأمر وفشلت التجربة
فصاح الشاب به غاضباً محتاجاً :

— لا تقتل فشلت . . . ! أنك تهديم مستقبل يديك .
فلم يبق الرجل يفضيه وقال بصوت أسيف :
أنت يا حمدي مثال اللطيف والثرى ، والحق أنى
في أحيان كثيرة أخالك مجنوناً أو ممتوها . . . أنذكر
حياة تلمذتك الأولى للتعب ؟ . . . كنت أتعذ طفلاً
حداً ، ولكن ما كنت ترى ليلاً إلا في الحانات ،
والمواخير ، وكنت بين أصحابك جواداً كريماً مجود
عليهم بما تملك يدك ، أما أهلك الأقرىون فكنت لهم
سوط عذاب فليس من أذاك منهم أحد لا إخوانك
ولا أمك ولا أبوك ، ومهما يكن فقد نجحت
في البكالوريا بسدس المحاولات وكانت معجزة
لا أدرى كيف حدثت ، ولكنك منيت بفشل قاهر
بعد ذلك في كلية الحقوق حتى تخرج منها أفرانك
وأنت ما تزال في السنة الأولى ، واكتشفت على حين
فجأة أن مستقبلك في فرنسا لاقى مصر . . . وألححت
على في السفر لنيل أجازة الحقوق ، ويعلم الله أنى
ما ذهبت بوعودك قط ولكنى إزاء محاولتك الانتحار
وتفزع والدتك وافقت متلوماً على أمرى على السفر
وقلت لنفسى : فلا تجرب هذه المرة أيضاً أمل حسن
الخط ينجب تقديرى ولكن وأسفاه صدق تقديرى
وخاب حظى . . .
فزاغ بصر الشاب وقال محتجاً :

وحدى هذا إنسان غريب ، وربما أدى تعريفه
خير أداء أن تقول إنه جهاز عصبي حساس تتحرك
فيه غرائز وعواطف طليقة من أى عقل أو إرادة .
أو أن تقول — إننا أردنا أن نرضى عدااء النفس —
إن عاطفته تسخر عقله وإرادته ، ولكأنه عربية
ينطلق بها جواد جامع ومقعد السائق منها خال ،
فهو دائماً منفعل ومتأثر إما لحزن أو لفرح كيفما
تهب الريح ، ولن تنظر في حياته بنظام مما يوصى به
العقل ، أو بسل أو إنتاج مما تحمسه الإرادة ؛ وإنما
تزدحم المواقف والأساس في وجوده كما تزدحم
الأخيلة الشاردة في رأس الحالم دون أن تترك أدنى
أثر ، ومن هنا جاء تناقضه وتقلبه اللذان جعلاه منه
مخلوقاً مضحكاً يستدر الزمء في كل حين ، فكان
يتوهج انتباهه أحياناً عن ذكاء وقاد نخاله نبوغاً
وموهبة ، ثم لا يلبث أن ينطق "شماذه" ويظلم نوره
فتظنه عنها وبلاهة ، وكان يندفع في أوقات كثيرة
إلى العمل بهمة تبشر بالنجاح وسرعان ما ينقلب
قريب موعد الامتحان مفرزع الثقة مفرق الذمعة
يفير من صرامة الواقع إلى لذة الأحلام إلى الحانات
ومواطن الريب ، وربما بلغت به الحماصة حد الثوثة
والنرد ، فيقود المظاهرات ، ويرى رجال البوليس
بالحجارة ، ويحطم المصابيح وعربات الترام فيعد
بحق من زعماء الطلبة ، ولكن إذا حدثته عن ثورته
بمد يوم أو يومين هزي بك وبنفسه وعيادى
الوطنية والأخلاق جميعاً ؛ ومن هنا أيضاً تمددت
مشروعاته وتنوعت مقترحاته وتوزعت الأحلام ، فتارة

ومع ذلك فهذا لا يعنينا كثيراً بقدر ما يعنينا أن
تتجسج في أى فرع من فروع الحياة ... فلم لم تنابر
على دراسة الآداب ما دمت اكتشفت في باطنك
شاعرية مجيدة ... ؟

فقال الشاب بحماس مصطنع :

— إنى أنابر يا أبى ... ولولا أنك قطعت على
طريق ...

ولكنه قاطمه قائلاً :

— كلا ... كلا ... لقد ثبت لدى أنك انقطعت
انقطاعاً كلياً عن الجامعة منذ عام أو أكثر ...
فقال بحدة :

— هذا كذب ...

— بل هذا ما قاله لى جميع من أوصيهم
بالاستسلام عنك من زائرى مرض باريس ، وهو
ما يؤكده الدكتور فهم وإن شئت واجهتك به ...
لقد فشلت التجربة الأخيرة ...

وكانت المسألة بالنسبة إلى الأب لا تمنى سوى
فشل تجربة نهائية ، أما بالنسبة إلى حدى فكانت
مسألة حياة أو موت ، أو هكذا صورها له خياله
الجنون . ولم يكن الذى يترع بنفسه إلى باريس أنه
ودع بها آمالاً مخوفة بالخطر ، أو مستقبلاً يرجو
أن يتحمده بالجد والثابرة . ولكن الحق أنه ترك بها
قلبه القنون ، وحبه المضطرب ، وجنته المفقودة ،
ودنيا أحلامه ، ومرتج جنونه ؛ حتى لكأنه ترك
بها عالماً طليقاً لا يخضع لقانون طبيى أو تقليد
إنسانى ...

يبد المدة لانشاء ناد رياضي كبير ، وتارة يعمل فكره لاجراخ مجلة أسبوعية ، وثالثة يدعو إلى تكوين جيمة تهذيب الأخلاق أو تشجيع التجارة الوطنية ، وربما خطأ الخطوات الأولى لتأليف كتاب أو كتابة مقالة ، ولكنه لا يثابر على شيء ولا يثبت على حال

على أنه كان شخصاً محبوباً ، يتمناه عارفوه ويشفقون محضه لحفة روحه وحضور نكته وغرابية أطواره ولكنه كان مع أسدقائه كما هو في حياته مثال الثقلب والجنون ، فقد يلازمهم أياماً وأسابيع ثم يهجرهم هجراً طويلاً بلا أسف كأنه يعدم بعض قداته أو أهوائه أو مشروعاته ، ولكن ندر أن يجد عليه صديق لأنه في رأيهم جميعاً الطفل الطائش الذي لا تربى عليه مهما قال أو فعل ، ولأنه الانسان الطيب الذي لا يعلق بقلبه مكر أو خبت أو سوء نية ، ومع هذه الطيبة البائنة والظرف النادر فقد حاول الانتحار مرة وضرب أباه بالكمرى في مرة أخرى وبهذه النفس الثرية سافر إلى باريس طلباً للعلم الذي يئس منه في القاهرة ، وكان جاداً فيها اعترافاً لأنه كان يود لو يحتم حياته الدراسية ختاماً مشرقاً ، والتحق بكلية الحقوق بديجون وهو يتوقد حماسة ونشاطاً ، وزار باريس يوماً وشاهد السنين فهاجت قريحته ونظم أحياناً شمرية في وصفه كانت أول ما نظم في حياته من شعر ، وما كانت صادقة الوزن ولا ذات جمال أو رواء ولكن أنى عليها

— لمة — جميع من سمعها من أقرانه ، وأطربه للثناء

أما طرب وسأل نفسه في حيرة ألا يجوز أن يكون شاعراً بالفطرة ؟ ثم أجاب نفسه قائلاً : بلى إنه لشاعر وإن مستقبله الحق أنى الأدب والفن لا في القانون. وتحول بلا أدنى تردد إلى كلية الآداب بالزيون وانتقل من ديجون إلى باريس ، وأقبل على دراسته الجديدة بمثل ما أقبل على دراسته الأولى من الحماسة والعزم واستمع إلى المحاضرات بشغف عجيب ، وما زال مثابراً مجتهداً حتى اليوم للسعيد الذي التقى فيه بمرجريت ، الفتاة الرفيعة الحسنة ، التي جاءت باريس لزيارة أختها . فكان حب ، لأن طاقته المستبدة أن يحب كل امرأة يلقاها في طريقه ولكنه كان على أية حال أول غرام له في باريس فكان له في قلبه لحن جميل جديد ، واستيق الفتاة في باريس ، وهاشرا على شريمة الهوى وسنة الطيبة ونسى بها الدنيا والدين والشمر والآمال وأخذت حياة باريس تنمكس على روحه — خلل عيني مرجريت الساجيتين — جنوناً وقتونا وهياماً وإباحية . ولما كانت الفتاة فقيرة بائسة فقد آمن بالشيوعية ولم يحاول قط فهمها أودراسها ولكنها استقرت في قلبه ثورة على الأغنياء — ناسياً أو متناسياً أنه واحد منهم — وكفرا بالله وبرسله وازدراء للأخلاق والفضائل . واستسلم للفرام بين أحضان حبيبته وعاش حالاً كافراً مجنوناً حتى بشته أبوه رسالة حازمة خيره فيها بين العودة حالا إلى مصر أو اللوث جوعاً في باريس ، وحين جنونه وثار وغضب ولمن وهدد وتوعد ، ولكن شيئاً من هذا لم يجده نفماً . واضطر في النهاية إلى

يبد المدة لانشاء ناد رياضي كبير ، وتارة يعمل فكره لاجراخ مجلة أسبوعية ، وثالثة يدعو إلى تكوين جيمة تهذيب الأخلاق أو تشجيع التجارة الوطنية ، وربما خطأ الخطوات الأولى لتأليف كتاب أو كتابة مقالة ، ولكنه لا يثابر على شيء ولا يثبت على حال

على أنه كان شخصاً محبوباً ، يتمناه عارفوه ويشفقون محضه لحفة روحه وحضور نكته وغرابية أطواره ولكنه كان مع أسدقائه كما هو في حياته مثال الثقلب والجنون ، فقد يلازمهم أياماً وأسابيع ثم يهجرهم هجراً طويلاً بلا أسف كأنه يعدم بعض قداته أو أهوائه أو مشروعاته ، ولكن ندر أن يجد عليه صديق لأنه في رأيهم جميعاً الطفل الطائش الذي لا تربى عليه مهما قال أو فعل ، ولأنه الانسان الطيب الذي لا يعلق بقلبه مكر أو خبت أو سوء نية ، ومع هذه الطيبة البائنة والظرف النادر فقد حاول الانتحار مرة وضرب أباه بالكمرى في مرة أخرى وبهذه النفس الثرية سافر إلى باريس طلباً للعلم الذي يئس منه في القاهرة ، وكان جاداً فيها اعترافاً لأنه كان يود لو يحتم حياته الدراسية ختاماً مشرقاً ، والتحق بكلية الحقوق بديجون وهو يتوقد حماسة ونشاطاً ، وزار باريس يوماً وشاهد السنين فهاجت قريحته ونظم أحياناً شمرية في وصفه كانت أول ما نظم في حياته من شعر ، وما كانت صادقة الوزن ولا ذات جمال أو رواء ولكن أنى عليها

— لمة — جميع من سمعها من أقرانه ، وأطربه للثناء

ولكن الرجل كان ثاباً كالجليل ، قاسياً كالصخرة ،
وقال له بحزم :

— لا تند إلى هذا الحديث مرة أخرى !
وانفجر حمدي غاضباً وتلبسته حالة جنون غير
غريبة عنه وصاح بأبيه :

— لماذا تترض سبيل مجاحي بقسوتك ؟ ...
لماذا تريد أن تستغاني لارادتك الميأ ؟ ... أنا أعلم
بالسبب الذي يجعلك تستهين بكألى ومستقبل ...
هو حرصك المقيت على مالك الذى لا يمد ولا يحمى ...
أنت رجل شحيح يخجل بقتل فيك حب المال الأبوة ..
ووجه والده وأخذ ، وانتفض قلبه غضباً ولكن
لم يبد على وجهه أثر مما يتقد فى نفسه ، وقنع بأن
قال بهدوء ساخراً :

— يا لها من قراصة !
— أنسخر منى ؟ ... بلذك أن تهزأ بى فى
بأسائى ... حسن ، سأعرف كيف أنتمم منك ...
سأنتحر ... نعم سأنتحر وسترى ...

فقال الرجل بهدوء غريب :
— افضل ما بدا لك
فتنظر إليه بين عنق مقيظ وقال :
— أهبون عليك موتى من أجل بضعة جنيتات ؟
فقال الرجل :
— نعم ...

هل يبنى الرجل ما يقول ؟ ... هل أشقى منه
على اليأس حقاً ؟ .. أنا هو فلم يهدد بالانتحار هذه
المرّة وهو يبنى ما يقول لأن للحياة عنده قيمة جديدة
لم تكن لها من قبل ... كيف لا وفيها مرجريت

هجر عشه السعيد وهو يبنى نفسه وحييته بمود
قريب ... ووجد نفسه أخيراً فى القاهرة وفى البيت
القديم الذى رأى فيه الدنيا أول ما رأى . وعاد إلى
جو التقاليد والدين والهدوء واستقر فى الملكة
الصغيرة التى يتولاها أبوه ويحكم ... وأحس بضيق
وسقم .. كيف يرضى بالقاهرة بمد باريس .. كيف
يطعن إلى الظلام بمد النور ؟ ... كيف يخلو إلى
برودة الوحشة بمد حرارة الحب ؟ ... كيف يروض
نفسه على الظلم والدين والتقاليد بمد أن ذاق جنون
الحرية والاتحاد والابحية ... ؟

وما هوذا والده يبرف الحقيقة من أفواه العيون
التي تبها حوله فى باريس ويصر على أن التجربة
فشلت ، ويسم ألا عودة إلى فرنسا بمد اليوم ...
فا العمل ؟ ... هل يتناسى مرجريت ؟ ... هذا
مستحيل ، بل هذا جور لن يسكت عليه أبداً
ولاح أن يدعوها إلى مصر ، وفلا كتب
إليها يقترح عليها الحضور ، ووافقت الفتاة ولكن
برز لها عائق من ناحية السلطات التى أبت
عليها دخول مصر ولجأ فى يأسه إلى آخر وسيلة
فأراد أن يعقد عليها ولكن ذلك لم ينغمه شيئاً
ونصح له رئيس (فلم الباسا يورومات) بالمدول عن نيته
وسوأها له ...

وسقط فى شرك القنوط وتلفت بمنة ويسرة فلم
يجد سوى والده ، لماذا لا يبيد عليه الكرة ؟ عسى أن
يلين له بمد شدة ويرضخ بمد عناء ، وقامه فى مسأته
مرة أخرى وتضرع إليه وتوسل ووعده ومناه ،

ذلك الورق الساحر الذي يسيطر على المسائر
ويتحكم في الأقدار ، وتتلقي به آمال الانسانية ،
ما أحراه أن يطير به إلى القلب الذي يخفق له على
سيف البحر الأقصى ويلج به أبواب جنته المفقودة
ومنية أحلامه : باريس ... يا عجبا ... أيجسه ومفتاح
سواده بيت واحد ... ؟ أتكون سادة قريبة منه
إلى هذا الحد ولا يستطيع لها طلبا ؟ ... ولكن
كيف السبيل إليها ؟ ...

وكانت خواطره من قبيل الهذيان ولكنه أتى
سؤاله الأخير بشمو من يعنى ما يقول ، ومن يجد
في الأمر جيدا : نعم كيف السبيل إلى الأوراق
الساحرة ... ؟

هل يماود الرجاء والتوسل ؟ ... أم يستعين
بوالدة ؟ ... وبدا له اليأس خلف هذين الرأيين
فدلدل عنهما وهو يتهد حصرة وألما ...

لماذا لا يستولى على المال بنفسه ؟ ... ينتظر في
حجرته حتى يسمد أبوه إلى غدمه ، ويهبط في حذر
إلى حجرة المكتب ويصالح بابها ويفتح أدرجها ،
ولكن ما العمل إذا وضع الرجل ماله في حافضته ؟
تتعد ولا شك المسألة وتتوافر الصعوبات ولكن
لا يستحيل ابتناء الوسيلة إلى غايته ، إن والده يملك
ثيا به على مشجب قريب من الباب ، فإذا فتح الباب
في سكون استطاع أن يبلغ بيده جيوب البذلة
والمطلف وأن يبحث فيها عن ضالته ...

وتحفر لتنفيذ أفكاره فوضع الطربوش على رأسه
وأطفا المصباح ، ولبت ينتظر في الظلام صعود أبيه

الجنية ؟ ... ولكن ما بال أبيه يقف حجر عثرة
في سبيل سواده ؟ ... ياله من رجل كره ! ...
أيجوز أن يحيا شيخ كبير ليشق بحياته شاب
ياضع مثله ؟ ... ولم لا يذهب ويحلى السبيل لغيره ؟ ...
إنه أب يكره ابنة فينبي أن يكرهه ابنة كذلك ...
هذا هو العدل ...

ولم ينتحر ولم يشرع في الانتحار ، وقنع
بالتسكع في عماد الدين وبراسلة مرجريت ، وانتظار
ما يأتي به اللند غير مستسلم كل الاستسلام إلى اليأس .
وفي مرة - وكان انقضى على عوده شهر
وأيام - قابل أخاه هام في عماد الدين وعلم منه أنه
ذاهب لصرف سك لوالده بمبلغ خصامة جنية ...

وابتسم حدي ساخرا وتهد من قلب مكلوم ...
لوعهد إليه الرجل بصرف هذا المبلغ لكشف عنه
الكرب في دقائق مددوات ، ولكنه لا يثق به
ولن يثق به أبدا ... خصامة جنية ! ... ياله من
مبلغ ... ترى لماذا سبجه الرجل البخيل ؟ ... إن
عادته أن يضع في الصرف لا أن يسحب منه ، فلماذا
غير عادته على كبر ... ؟ هل خرف ... ؟ !

وعند المساء عاد إلى البيت ، وكان أبوه في حجرة
مكتبه بالطابق الأول ، غارقا في بذله ومسطفه ،
ومكبيا على الأوراق البسطة أمامه ، فألقى عليه
نظرة سريعة وصمد إلى حجرة ... وخلع طربوشه
وجلس على حافة فراشه يستريح

لا ريب أن والده تسلم الغشامة الجنية ، وأنها
الآن تسكن مكانا في حافضته أو في درج مكتبه ...

وشاع في أطرافه الاضطراب والقلق وأنهك رأسه هوس الجرع ، ولكن لم يداخله أدنى تردد لأنه من طبعه إذا اندفع أن يندفع بلا تردد ولا تدبر ، ومضى يبرر نيته لنفسه فيقول ما من بأس في أن يستولى على بعض مال أبيه ما دام له حق ثابت في هذا المال ، وما له لا يلجأ إلى الحيلة أو القوة إذا كان أبوه يمترض سبيل سعادته بالقسوة والمدوان ؟! وطال انتظاره في الظلام ، وجعل يقترب كل دقيقة من الباب ويلصق أذنيه بشبه يسمع وينصت ، ثم يذرع الحجرة ذهاباً وإياباً ...

ثم سمع وقع أقدام آتية من نهاية الزده الخارجية فأرهب أذنيه وكتم أنفاسه ، هي أقدام والده بلا ريب ، وما هو ذا باب مخدعه يفتح ثم يثقل ، ما بقي إلا الانتظار حيناً ريثما ينأى الرجل ، وكانت ضربات قلبه تشتد وتضطرب ، كلما تقدم به الوقت ودنا من تحقيق عزمته الآتية

— من في الخارج ؟

فتوقف عن الحركة وخائنه حيلته فرد بسرعة :
« أنا هدى ... » فقال الرجل « تمال .. أدخل .. »
وعض شفته من القهر وتقدم إلى الباب بإسكاً وفتحته ودخل ، ورأى والده جالساً خلف مكتبه متدبراً بعباءة المصنوعة من وبر الجمل وخفياً رأسه إلى أذنيه في (الطاقية) فلم أن والده قد بسد إلى مخدعه لينبر ثيابه وأنه عاد ثانية لبتائف عمله إلى هذه الساعة المتأخرة ... كم ذا يصب المال ذويه ! .. ونظر إليه الرجل بعينه البابلتين وسأله وهو يتعاب :

وسمع الباب يفتح مرة ثانية ويثقل ، ووصل إلى أذنيه الهمهتين وقع أقدام خفيفة لم يستطع تمييز وجهها ، فقطب جبينه متحيراً ... ترى هل غادر أبوه الحجرة لحاجة ؟ أم هي أقدام غيره ؟ ...
يبنى أن ينتظر وقتاً آخر وإن كان الانتظار قاسياً مرعباً ... ولكنه لن يتردد عن غايته ، سيهبط إلى المكتبة ويفتشها وإذا لم يفر منها بطائل فسيقنعم مخدع أبيه ... ولكن ما عسى أن يفعل إذا تنبه الثائم على حركته وهب يدافع عن أعز شيء في حياته ؟ يبنى أن يكون صارماً هو الآخر في السطاع

حافظي الآن ينتظر موافقتك .. فإرأبك يا بطل ؟»
رأيه !

كيف يفكر في رأيه الآن ؟ إنه يفكر طويلا
ويدم التفكير في الظنون السوداء التي ظنها بالرجل
البائس الجالس إلى جانبه ، ويتذكر صنوف الأذى
التي يبتها له في الظلام منذ حين قصير .. ثم يذكر
ما كان يفعله الرجل — في أثناء ذلك — من أجله

وغمرته نوبة عاطفية من التوبتات التي يمرض
لها وجدانه كل يوم عشرين مرة ، ووخزه ضميره
وخزاً أليماً ، وغلبه التآثر فأجش وبكى كالأطفال
واتجنب انتحاباً شديداً وهو يخفى وجهه يديه عن
عينيه أيه أو يخفي صورة والده عن عينيه
وابتسم الوالد في حنان ، وربت يده على كتفه
وقال له :

« بس يا رجل ... بس ... أنت طفل بمدك
شيء ... لم تكن يا حمدي شريكاً قط ... أنا أعلم
ذلك ... بس ... بس ... كفكفك دمعك واصمد
إلى حجرتك واشبع يوماً لتستمد للكمفاح الجديد
في ميدان العمل ... هيا يا رجل ... هيا ... »

ولم يستطع أن يقول شيئاً ، ولكنه أمسك بيد
أبيه ولحمها بشفتيه البلتين وغادر المكان ... وادتمى
في حجرته على الكنب في إعياء ، ولم يجد من نفسه
رغبة في النوم ، فجذد في جلسته كالنمل وأهت
نظرة عينيه في أفق بعيد ثم أخذت عواطفه تسكن
وأثارت هبداً ووجدانه يمود إلى حالته الطبيعية ...
حتى صار انغماله ذكرى ...

لقد فتح له أبوه باب الأمل والعمل ، وحاول
أن يجد له حياة ومستقبله ، وسيكون من الضد

— لملك راجع الآن من السهرة ؟
فقال حمدي باقتضاب :

« نعم ... »

فسأله بلهجة ثم على السخرية :

« سكران كالعادة ... ؟ »

فقال :

« كلا ... »

واعتدل الرجل في جلسته وقال بهدوء ورزانة :

« جئت في وقتك يا حمدي ، لأن عندي أخبار

تبهك ، وما يهيك بهني بطبيعة الحال وإن كان

ظنك غير هذا ، اقرب مني واصنع إلى ... أنظن

يا حمدي أنني أبفضك وأسى إلى هدم مستقبلك ؟ ...

أو أنني أؤثر مالي حقاً على حيائك ؟ ... بس

الظن ... أنت طائش يا حمدي ولا تدري ما يتفكك

ولما يضررك ، وكنت دائماً مثال الطيش والرعونة ..

فأجبرني شذوك على اليأس منك ، وهأنت ذاتري

أن أخوبك الذين يصفرائك يسيران في طريقهما

ينجاح فأحدهم هندس وسيكون الآخر غداً طبيباً ،

وأما أنت ... ماذا أنت ؟ ... لا تدري لنفسك

مستقراً ولا مستقبلاً ، ومع هذا هل تظن أنني نفضت

يدي منك ؟ ... قل أن يستطيع ذلك أب مثلي ...

والآن فاسمع ... قابلي أمس السنيور دافنس وكيل

شركة الجير لبعض الأعمال فأنهزت الفرصة وحدنته

عنتك وأكدت له لإمالك التمام باللغة الفرنسية

ودرجوت منأن بلحمك بوظيفة محترمة في الشركة ،

ولم ينجيب الرجل رجائي ووعدني بتعيينك في وظيفة

راتب قدره عشرة جنيهات في البدء ولكنه اشترط على

أن أودع تأميناً للشركة بمبلغ خمسمائة جنيه كضمان

فوافقت وسحبت من رصيدي البالغ المطلوب وهو في

وتحول بصره دون أن يدري ناحية حجرة
أيه ... وتساءل : « ... ما اللانع ... ؟ »
واندفع وجدانه في هذا الجري الجديد بمنف
كأنه نهر قانص فتح الخزان لتيأره الناس ... فعاد
قلبه يدق بمنف ... وارتجفت أوصاله ... وتحفز
مرة أخرى ...
الساعة تدور في الواحدة بعد منتصف الليل ...
وأبوه ملازم لمكتبه كما غادره ... فما اللانع ... ؟

الروءة ... والضمير ... والبر ... لا تساوى
شيئاً إلى جانب السعادة المنتظرة ...
وانتفض واثقاً وأطفاً للصباح ، وفتح الباب ،
وانسل خارجاً ، وسار إلى خدع والده وفتح الباب
بجد بالغ ودخل ، وتقتت يده بسرعة في جيوب
البدلة حتى عثرت على الحافظة المتفخخة ، وسلب
الأوراق الساحرة ثم ردها إلى موضعها وخرج
وأغلق الباب ، وقطع الردهة في خفة ، وانتظر لحظة
بنصت السمع عند مبتدأ السلم ، ثم خلع حذاءه
وزل واجتاز الردهة ماراً بحجرة المكتب وهو يكتم
أنفاسه ويكاد يتفرق أشتاتاً من الخوف ، ثم وجد
نفسه أخيراً في الطريق الخالي ، فوضم قدميه في
الحذاء على عجل ، وتنفس تنفساً عميقاً يملأ صدره
للمضطرم بالهواء الرطب البارد ...
وسار في طريقه يخطي مضطرباً لا يلبى على ...
شيء
يجب محفوظ

موظفًا في الشركة الإيطالية ... فباله من تندير عجيب
لم يجره له على بال !
وذكر في حزن كيف أضع على نفسه فرصة
ذهبية في فرنسا ، فلو أنه استمر في دراسة الحقوق
لكان يرجى منه الآن محام مقتدر أو وكيل نيابة
« قد الدنيا » ولا يمكن أن يقف مع أخويه على قدم
الساواة ... وهما يكن من أمره فالواجب أن
يشكر الله كثيراً ...

وصرجيت ! ... نعم وصرجيت !
أبها القاري ، ودوت لو أستطيع أن أختم
القصة عند هذه النهاية لأرضي عواطف الخير
في قلبك ولكن أرجو أن تذكر دائماً أن المؤلف
الحقيق للقصة هي أعصاب حمدي نفسه ...
لقد ارتجف قلبه لذكر صرجيت ، إنه يمحاجباً
لم يحبه امرأة من قبل ... وهي تبادل حباً بحب
وعطفًا بطف ، ولولا تشدد الحكومة لكانت الآن
بين يديه نائمة الببال هائلة اللقواد فوا أسفاه !
كيف ربما يجبر توظيفه وإقامته بمصر ؟ ...
وما عسى أن تفعل الحامية البائسة ؟ ...

ويحبل إليه وهو يفكر في أمرها أنه يراها رؤية
العين بقامتها النحيفة وقدها الشيق وشعرها الذهبي
وعينيها الزرقاوين . وتوهم أنه يسمع صوتها ذا الفنة
الطرية ... وذكر جلسها المزينة حيث كانت تقعد
على (الديوان) ويستاق هو على ظهره واثماً رأسه
على حجرها وبروحان في مناعة رقيقة ويدها تبيت
بشعره ... كم هي لطيفة جذابة ... فكيف يزهد
في هذه السعادة !؟

وتنهى من الأعمام حزينا واستسلم لخوابه
النفاضة ... وكان كلما أوغل في التفكير كبرت عليه
حرقة الفراق وهاله البعاد ...

انتظروا عدد الرسائل الممتاز

في صباح ١٣ مارس

بخطاب شكر ونساء وأشادت
بوطنيته وهرشت عليه وساماً
فاتعترف برفقة طرف وهو بخطاب
شخصاً من أكبر ذوي النفوذ
في البلاد

وإن الذي يعرف طبيعة هولز
وغير طحيته وركونه إلى الخجل
والانزواء لا يدهش من نزوله من

حقه في الشهرة وبعد الصيت وكان يقول لي دائماً :
« إياك والوقوف بملتقى الأشعة التي تظهرك للناس ،
فإنهم لا يلبثون أن يكشفوك ويسروك فتبدو كما بدا
آدم في فردوس النعيم ... »

إنه لرجل عجيب حقاً . كانت المؤامرة من محض
ابتكار عدونا الأله وعدو الوطن بروفوسور مورياتي
هل كان إنجليزياً ؟ هل كان إيرلندياً ؟ هل كان روسياً
فاثراً أم محض فوضوي متبجحاً بمذاهبه البنيضة عندنا
إلى ذلك التأثير الثقافي بالكونيغ ، أو سديقه
كوربوتكين ؟ لقد كانت مذاهب هذين الرجلين
لا تزال شائعة في إنجلترا والناس عليها جدد مقبلين
لمجرد جدتها وطرافتها ولاسيما الفقراء منهم والمحاويج
والموزين . لقد كانت حياتهم لا تطلق ولا سبياً في
الشتاء . غير أن الذين كانوا يفكرون في غزو إنجلترا
كانوا أقوياء وأغنياء وكالوا على أتم نظام وأحكمه
وأدقته ، حتى بدأوا بتسجيل قوائم بأسماء الذين
يملكون إليهم ويتعفزون لتصفيدهم ثم بدأوا يرسمون
خطة نادرة المثال ثم وقع اختيارهم على مورياتي .
فكان هولز يقول لي وهو يحقن بارة اللورفين .
وهو منكر لم أكن أعلم أن أدمه يبدى فاكنتيت
بالإشارة دون التصريح :

كايتر شيشانوف
والعصابة ذات الرؤوس الحمراء
للكاتب الإنجليزي سيرايزر كوان دول
بشلم الأستاذ محمد لطيف جمعة

كتب دكتور وطنين مسجل حوادث شرلوك
هولمز وأخبره قال :

كان شرلوك هولز متبجحاً منهوك القوى بعد
أن عدنا من سياحتنا في جنوب فرنسا . إن البعض
يطلقون على هذا القسم من فرنسا اسم شاطئ الذهب
أو ديشيرا تدبلاً وبجعبلاً ولكني لا أحب التبرج
في أسماء البلاد . فإن لبلد التبرج يعود كالأثرة للدلالة
كأحدى تلك الرقاصات الأندلسيات اللواتي يصدقن
بأيديهن فوارخ الحمار ليحدثن سخبياً بعم الأذن .
وكان مستر هولز يسميه أبداً جنوب فرنسا ويطمنه
في قلبه ولبسانه . أي نعم ، لأن هذا القسم من العالم
لم يحو سوى الغاني والملاهي والمفاسد كالألعاب الفار
ومعاهد اليسر ، وبجالي الترف ومظاهر الاستمتاع
قلت : عاد مستر هولز متبجحاً منهوك القوى .
وكذلك مسز وطنين (زوجتي) فقد كاد يجهف
لبنها فيحرم طفلي العزيز رضاع لئان أمه وهو
خير ما يعلل الأطفال في عاهم الأول ، ولكن
هولمز قد استعاد نشاطه بسرعة فائقة كمادته . وكان
النصر الذي أحرزه على أعداء الوطن بالاستيلاء على
خراطة القدر ووثائق الحياة قد أنشده وجدده همة
وقواها . وقد بشت إليه وزارة الشؤون الخارجية

مستقر هذا الجرم الخطير .

ولكن نفسي حدثني بأن الشخص الذى لفيه
اشدنى لا بد أن يكون متتكرراً وأن الصورة بلا أدنى
ريب مغتلة ومصطنعة . وإلا فكيف يحدث أنهم ابعد
طبعا ونشرها بالملايين لا يهتدى إلى صاحبها رجل
واحد من الخاصة أو العامة أو رجال البوليس ...
يبد أننى فى أحد الأيام كنت على ظهر مركبة
تجرها الجياد فصدت إلى الطابق الأعلى الذى كنت
أحتل أحد مقاعده رجل قصير عريض الأكتاف
ممتقع الوجه كبير الدماغ كأن رأسه لضخامته
واستدارته القبة الشباء على قبر ضئيل . فرشقي
بنظرة حادة كادت تخرقنى ، ولكنى صمدت لنظره
ولم أشعره بأهمنى بمقدمه ، فاطأنا إلى اطمئنان
الذئاب والثعالب وجلس بجانبى لأنه لم يكن له مقعد
خال غير الذى يجوارى . فأحسست بقيار قوى كالذى
ينبث من أهل الشر والمجرمين وهو يحدث شعور
بقضاء ونفور لا يعرف مداها إلا الذى أحسهما ،
وكانت السحنة المجاورة لى تشبه الصورة شهياً شديداً
فى عرض الجبين وحدة العينين وشخامة الرأس ،
ولكن الرجل كان ملتجئاً والصورة تمثله حليفاً وهل
من الصعب اصطناع اللحن والشوارب فى وقت
أصبحت الشهور المستمارة أبسط ما يتال ويستعمل
للتخفى وانتحال الشخصيات . إنما شئء باطن
وصوت قوى وجداني كان يتادبنى بأنه هو الرجل
الذى تباحث عنه الشرطة وتفتى أثره سكوتلاندا يارد
بل بريطانيا بأسرها ، ولقد طالبا ندمت على أننى
لم أقبض عليه

إن القتل الوحيد الذى لم أستطع أن أهرمه
أو أتلعب عليه هو قتل ذلك الرجل القدير . لو كان
ينفق بعض قوته فى الخير ، إذن لأفاد العالم . ولكنه
جد خبيث ، مخلوق للشر يتلقاه ويلوكه ويسجنه
ويشذى عليه ويميش به . فقلت له : لقد ألمت يوماً
إلى لقاء تم بينكما فكيف كان ذلك . فقال : إنها قصة
قديمة . كان موريارتى فى أول مدارج حياته الاجرامية
وكنت أنا كذلك لا أزال طالباً بالطلب فقرأت يوماً
فى المصحف أنباء إلقاء القنابل على الباني . والاعتداء
المتكر على قصر المدلى فى دبلين واغتيال لورد كونيغريف
فى بستان العنقاء (فينيكس بارك) فهالنى الأمر
ولكنه لم يسترع اثباتى كثيراً لأننى كنت أرى
أنهم على حق فى طلب حريتهم ... ولكننى ما أقررت
قط الطرق غير المشروعة والوسائل الباشرة . وقد
أقبضت الروس الذين لم يجدوا عملاً أجدى عليهم
من قتل ملوكهم وأمرائهم واغتيال الأعيان والنبلاء
بدلاً من تثقيب رجالهم ... لا عليك يا وطنى من
نظري يا فاني لأحب أن أكثرك عليك . شاهد الحديث
أننى لمحت يوماً فى المصحف اسم كاتب شانون فقرأت
وصفه ورأيت فعلاً صورته . ولا أدري كيف حصل
عليها رجال الشرطة فى سكوتلانديارد ... لقد كان
فى خدمتهم رجل شديد الكفاءة أخذ الإرادة اسمه
اشدنى . كان عماد قسم المخابرات السرية فى الشدائد
والخاطر . وكان نائب السفر فى الخارج لأنه قابض
على خيوط الأسرار الثمينة . فلم هو الذى نجح فى
الحصول على صورته وإن كان فشل فى اقتفاء آثاره
لتمدد أسفاره وندرة ما يقم فى لندن ، وهى على الأغلب

فقلت لهولز : ولو كان مسلحاً ؟

قال : ولو كان مسلحاً ، فأنى أنا أيضاً مسلح
بعده من الوزن الثقيل وكنت كذلك دائماً
لأنى أشمر بأحراس يزيدون على الشجرة كلما
أحسست مسمي يميني ، لا عليك

غير أنى خشيت أن أكون غطاً . فأصبح
مخبرية للمام ، وقرر الطير المقصود من قفصه في
الوقت المناسب لفراره ، وبينما كانت هذه الأفكار
تجول في خاطري ورأسي بتلى كالرجل والمواظف
والانفعالات تتنازعني وتشدني يميناً وشمالاً ابتدري
الوغد بصوت أجش وهو أيضاً مصطنع وقال :

— هل أنت أيها الشاب خال من العمل . إن
كنت كذلك ، فإن لدى عملايق بك ، وظيفة مريحة
كتابة على الآلة من الرابعة إلى الساعة وتشرّب
الشاي وتأكل الكعك وتقضي سبعة شلن في نهاية
الأسبوع ، ولكن عفواً ، لعلك تعمل فيذهب
سؤالى هدرأ

فصنعت اللباسة ما أمكنتى وقلت :

— محبولك يا سيدى طالب طب

فابتسم عن أستان سمرأ كالعاج وأنياب محددة
كالنياب الضوازي وفم ضخم يسع حدود فرس وقال :

— إلى السعد ! إلى السعد ! طالب طب ماشاء الله
كان . شاب عالم ينتظر مستقبلاً عظيماً . ولكن

يمكنك أن تريح هذه الشلنات الستين في سهولة
إذا لم يمتز وقت دراستك فرصة تدرييك فيها
فكر ، وإليك عنواني واسم . وأخرج من جيبه عطفة
بها بطاقات ، ولأولني واحدة باسمه

مستر هامبشير در فالويلين

تاجر متنقل ووسيط أعمال

هادلورث جاردنز ٨٣ بلا كبرى ستريت

ثم أتى على نظرة منكرة تنطوي على التهديد
والبنضاء والأمل في القبض على «نق ليخني

وقد شمرت بحماسة شديدة لاقتهاء أثره وتمقب
خطواته بدلاً من أن أواني إلى بيته الذي قد ينصب
لي فيه غفلاً . ولم يكن لدى سوى وسيلة واحدة وهي
أن أسبق هذا الوغد إلى العنوان الذي حددته في
هادلورث جاردنز ٨٣ بلا كبرى ستريت . ولم أكن
بمد قد تمكنت من امتلاك وسائل التخفي والتزيي .

غير أن الظروف كانت مواتية فقد وجدت نفسي
في أكسفورد ستريت . أنذكرك يا وطني ؟

قلت لمستر هولز : كيف لا أهرقه ؟

قال : لو لم يكن يشفع في تذكرنا إياه إلا وصفه

في كتاب دي كوينسى الخالد لكفانا مذكراً
فقلت : ونذكراً .

فتجهم وجه هولز ودمدم وتهم واكفهر
جبينه وانثقت من عينيه أشمة قوية كالشر الذي
يقدم من عيني الفهود والنمر التي تدافع عن أشبالها
وقال : ألم أنبهك إلى أن تقديم النصيح في مثل هذه
السن غير جائز . وإملها عادة ورثت الأحقاد عند
غيري ...

وقد أدرك أنني ألجأ إلى تماطلي المورفين الذي
صار له عادة وكنت أخشى منه على صحته البدنية
والعقلية ..

وبعد أن اعتذرت وفشرت لمستر هولز أن

أقدم رجلاً وأوخر أخرى ...

لم يتم هولز حديثه حتى استأذنت علينا مديرة المنزل وقالت إن سيداً يريد لقاء مستر هولز .. وإنه لشخص عجيب حقاً فيينا شمره أشقر كأشمة الشمس المحرقة إذا عيناه سوداوان كفتح نيوكاسيل فقال هولز : وهل هو ملتح أم حلق ؟

فصريت مسر تبرز مسدودها بيدها وقالت : أذكرني يا مستر هولز ، إن له لحية كشجرة جاي فاوكس !

ثم خرجت وعادت وقد أشخصت رجلاً أشقر تقشعر الأبدان لدى رؤية حرته ، وترمد الفرائص من أثر نظره . فأجلسه مستر هولز بحاله وتشاغل عنه قليلاً . وأتم حديثه مني قائلاً :

— كنت أقدم رجلاً وأوخر أخرى خشية أن يكون مشروعي خيالاً ولا أصل إلى غايي التي سحرت بلوغها وتحت النجاح قريباً لها . على الرغم من أنني أقتت هذا التخفي الذي لم يتقنه أيضاً حضرة المفنش جيمستون الذي شرفنا بزيارته دون أن يحمل إلينا بطاقة بتوصية من رئيسه فرانكفيل

فانتفض ضيفنا ورفع عن رأسه تلك (الطاقة) الشرعية المصطنعة ، وابتسم ابتسامة عريضة وقال :

— لقد أحسنت يا مستر هولز . أنا جيمستون من سكوتلانديارد . وقد جئت لأستشيرك فقد نيت لنا أن التآمرين الذين يلقون بالقتال ويدسون الآلات الجهنمية^(١) في الباني يؤلفون جمية من ذوى الرؤوس الجر . فاضطرت أن أخخذ هذه

قصدي ينصب على دى كوينسى مؤلف كتاب ذكريات « مزرد الأنيون » الذي طالما نأح وأعول في صفحات كتابه على ماري تلك للفنساء الحليية التي ظهرت كالسراب في صحراء الحياة ، ثم اختفت بسرعة الأشباح لدى اختفائها .

« آه ما أنسى قلبك يا كسفورد ستريت هل قلبك قد من سخر ؟ »

وبعد هتبة عاد إلى هولز هدوءه فقال :

— في كسفورد ستريت وجدت نفسي حيال «صالون حلاقة» لدرنيكوت وشبرلان وما من أشهر عتري صناعة الماكياج في بريطانيا العظمى وكان لهما سبت ذائع منذ أنقنا لإخراج رؤوس للثورة الفرنسية في رواية الزهرة القرمزية .. وهنا ضحك هولز وقال :

صحيح أن هذه الرؤوس جميعها سقطت قبل أن يسدل الستار على الفصل الأخير من تلك الرواية ولكن ليس اللبب ذنب درنيكوت وشبرلان .. لقد كانت هذه الرؤوس حصاد الجيولتين . فدفت باب «الصالون» ورجوت عامل الشهور المصطنعة أن يطبق شمرأ أحر ولحية شقراء فليستهما ونقدت العامل ثمن ما أخذت وأسرت إلى محطة ميتروبوليتان المؤدية إلى محطة كاركنويل جاردنز ومنها يأخذ المسافر سته إلى هادلورث جاردنز .

وكان في نيبي أن أسبق الرجل الذي انتحل اسم هامشير درفالواليس إلى السكان الذي عينه قبل أن يتمكن من نصب فخ .

وكنتم بعد أن اتخذت هذه الصورة الجديدة

(١) في الأصل Informal machines

— الحق بيدك يا مستر هولز ولكنني لأملك
أن أغير هذا الزى الآن لأنني مفيد في الديوان بهذا
الوصف إلى آخر الأسبوع ولم يبق بيننا وبين نهايته
سوى يوم ونصف يوم .

ثم نهض ليستأذن في الانصراف فقال له هولز
وهو يودعه : قد يكون حشف الفنى في ساعات
ممدودة ...

ولكن جيمستون الذى عاد وجهه كالبرقالة
الاسبانية ورأسه كشال عجوز الجنوب ، لشدة
صفرتهن للضاربة إلى الحمرة ، لم يقم هذه الإشارة
وسارع إلى الخروج

وبعد برهة قصيرة نهض مستر هولز وأشار على
بمرافقته إلى الطريق فلما بلغنا آخر بيكر ستريت من
ناحية الجنوب انحدرنا إلى النفق الأرضى الذى يؤدى
إلى محطة بيكرلو ستريت ولما بلغنا آخر النفق ركبنا
القطار الذى يصل بنا إلى محطة ترافيلجار سكوير .

وكان القطار يصل إلى تلك المحطة في فترة من الزمن
لا تزيد على عشرين دقيقة . فلما وصلنا إلى المحطة
وجدنا زحاماً شديداً من رجال الشرطة والمستظليين
وخليط المسافرين . وسرعان ما وصل هولز إلي وسط
المعمة ثم عاد محتفٍ الوجه منمغلاً وأخذ يبدى
ليخرجني من المحطة فلم أجروا على سؤاله مما رأى .

وسرنا صامتين مسافة ليست بالقصيرة ثم عدنا أدراجنا
بإشارة من هولز إلى المكان الذى كنا فيه فكانت
الشرطة تمكنت من تفريق التجمهرين حول الحفلة ...
نم كانت جثة . ولم تكن سوى جثة المقتض جيمستون
نفسه . نم جيمستون الذى أنذره هولز بالوت بأيدى

الصورة . لأمكن من متابعتهم والاختلاط بهم .
ولكنني علمت أنهم غيروا هذا الزى وأن زعيمهم
كابتن شانون قد أقسم أن يقضي علينا نحن رجال
سكوتلانديارد فرداً فرداً

فنظر هولز إلى هذا المقتض جيمستون نظرة
دهش وقال له : ومن أين لك أن زعيمهم هذا
السكابتن شانون الذى أنذركم بالفناء ؟ أعلم أن كابتن
شانون هذا ليس إلا ... ولكن قبل أن أقول لك ،
أيمكنك أن تدلني على عنوان ذلك الرجل أو ما تظنه
مقرآه ؟

فاعتدل المقتض جيمس في عجله وقد بدا رجلاً
عادياً بعد أن خلع غشاء الشعر المصطنع وأخرج
من جيبه كنانة صغيرة وقلب في صفحاتها ثم قال :
— إنه يسكن بيتاً في هادلورث جاردنز في
بلا كوردى ستريت

فضحك هولز ونظر إلي وقال :

— يظهر أن كابتن شانون جار عزيز لستر

هامبشير دوقالويس

ولكن كلام هولز كان بمثابة اللغز ياقى على
مسمع من هذا الضابط السلم النية فلم يفتن إلى
مقصد هولز وهو يريد أن يقول إن شانون هامبشير
ليسا سوى اسمين لشخص واحد

وأخيراً نظر إلى المقتض جيمس وقال له : من
الخير أن نود إلى حالك الطبيعية مادامت تلك العظمة
قد بدلت من استخفافها وغيبت ، فبقاؤك على هذه
الصورة يثير شكوكهم إذا تليق واحدمهم ، خصوصاً
بعد أن أنذروكم بالقضاء عليكم . فقال جيمس :

هولز كان الرجل الوحيد الثابت الجأش .

وقد أخذ بيدي بمدأن استولى على الورقة التي كان القنيل مطبقاً يده عليها . وقادني إلى سرداب يؤدي إلى مصنع صغير ملحق بتلك الجبلية وهناك وجدنا المال في هراج ومرج فقد وصل إليهم أثر الانفجار حتى أن أقداح الشاي التي كانوا ملأوها وأعدوها للشرب حتى اهتزت ثم انقلبت وأفرغت ما فيها . فلم يشرم هولز بشيء من الدهر الذي انتشر على سطح الأرض في طبقة أعلى من الطبقة التي يعيشون فيها تحت مجرى نهر التيمز بأربعين متراً . غير أنه رجاء أن يدلوها على أقرب طريق للصمود قنادنا رئيسهم إلى المصد الكهرلاني وكان الأول من نوعه فقد ارتقى بنا في خمس دقائق إلى ترافجار سكوير وكان الناس يتجمعون ويتفرقون ويتهايمسون تارة وتارة يتبادلون الكلام بأصوات صرتمة .

فقلت لهولز : ما بال القوم هكذا

فقال : اشتر لنا صحيفة . فسلمت رأيي وعدت بمدد من جريدة « ويلي لاير » . فقال لي هولز : ألم تعلم تفسير حرف G : I إنها رمز لجرين إدوين أي إرلاند الحضراء القاتل تابع لجمعية القويضيين الايرلنديين . وهذا المنشور الذي كان القنيل مطبقاً يده عليه فيه بيان للناس . ولكن افتح لنا الجريدة . فافقها :

سلسلة من الاعتداءات

الفاجمة في عاصمة

الامبراطورية البريطانية

هذه المصيبة الخطرة ذات الرؤوس الجراء .

فلما دنا مستر هولز من الجبلية رأى أن نصف اللعبة الشقراء مزروع عن وجه الرجل وقد دُمغت وجهته بحرفين G : I الجيم والآي . وكان القنيل مطبقاً يده على ورقة بيضاء فتناولها هولز . وقد أذن له الأحراس ، وهم يعرفون قدره ويعلمون مكانته الرقيقة في الفن الذي احترفوه حين لا يزال فيه هاوياً .

ثم انحنى مستر هولز على وجه مفتش الشرطة القنيل وهو ينهم النظر في الحرفين المنقوشين على وجهته وعند ما حضرت زوجة القنيل وابنته وولده الصغير وأخذ هذا الأخير يقول : دادي^(١) ، كنت ألح دمة تجول مترددة في جفون مستر هولز ولكنها لم تغلق من مآقي هذا الرجل العجيب ، وكان أول عمله بعد أن نهض محاولته تمزيق تلك الشابة الترملة ومداعبة اليتيم الصغير ، ثم أخذني جانباً وقال لي :

هل حضرت مدلول هذين الحرفين G : I فقلت : أبداً ولله اسم القاتل أو الجمعية التي تضمه بين أعضائها . فهز هولز رأسه أسفاً . ولئنا لذلك وإذا بصوت انفجار عظيم لم يسمع مثله من قبل وقد تلته أصوات صغير واستنانات ودوى وصراخ وأجراس وقد كان هذا الانفجار قريباً منا بحيث خيل لئنا أن محطة اليترو ويلتيان التي نحن بها سوف تدك دكا وتزول من الوجود ونحن معها . وقد أسباب المال والجنود والسافرين اللاهيين والواصلين من الدهر ما لا يمكن وصفه . غير أن

(١) تدليل اللفظ والد عند الانجليز

شركة ليونز ثم قدم هولز إلى ورقة القتييل فاذا بها منشور إيرلندي جاء فيه :

جيرن ايرن

السواد الأعظم من الشعب الإيرلندي سلى الأصل يرجع نسبه إلى أوائل من توطنوا القارة الأوربية . ونحن وسكان مقاطعة بريتاينا الفرنسية (التي ينتمى إليها إريستيد بريان برمر ^(١) جمهورية فرنسا) المثلون اليافون لذلك الجيش ، ونحن أصحاب خيال وعصبية وعنجهية وجاهلية . وفيما ميل طبيبي للبطش والحرب .

بذلك أيها القاري الانجليزي على ذلك أن أعظم القواد في جيسوشك إيرلنديون ومنهم ولنجتون ونلسون وكنشتر وروبرتس وفرنش ، وليس أهمل لدينا من أن نفقا عيني خصمنا لأقل سبب وقد نلنا شهرة من هذا القبيل لا سيما في الولايات المتحدة حيث نهاجر كل عام زرافات فزاراً من الجوع والفقر ، والجوع والفقر هما البليتان اللتان جلبتهما علينا انجليزية الغنية المنتمة التي بأكل أهلها خمس مرات في اليوم الواحد في حين أننا لا نجد قوت وجبة واحدة . إننا في حالة يرثى لها من الفقر نحن سكان مونستر وليستر وكونتوت ونحن في غاية البؤس ، وما تأريخ بلادنا منذ فتحها قبل سبعمائة عام سوى ثورات ومذابح متوالية . لقد كان أجدادكم يذبحون أجدادنا ويطردونهم إلى الجبال والقفار ويتملكون أراضيهم ويحولون عليهم أناساً من بني جنسهم ودينهم . فتصن لا نسي معركة

(١) رئيس وزارة

الاييرلنديون ينسفون الباني
ويصرخون سلامة البلاد للخطر

دخلت البلاد الانجليزية في الشهرين الأخيرين في أزمة سياسية لم تقف في مثلها منذ سنين بل منذ قرون ، فأنفطنا كما أنفطت جرائد العالم المتحضر بأخبار المنازعة الهائلة التي يخشى أن تنتهي بحروب داخلية تسمى مشكلة إيرلاندا ورغبتها في الاستقلال التام في تلك اللحظة صرنا رجل أشقر يسير مسرعاً ويترك وراءه أوراقاً مطبوعة كما لو أنها وقت منه عفواً دون أن يقصد إلى توزيعها بين الناس فلمت عيننا هولز وجرى بسرعة الغزال والناس من حوله يثفرون كأنهم يفسحون له الطريق دون أن يملوا غايته . فثبتته بنظري أولاً ثم يساقى وقدى حتى كدت أدركه فاذا معركة حامية على باب تشارنج كروس ستيشن أقرب محطات السكة الحديدية إلى ميدان طرف الفار ولم تكن تلك المعركة سوى نزال عنيف بين هولز والرجل الأشقر الذي كان قد أشهر مسدساً . ولكن هولز أتى بمركبة صراع يلية من نوع الجيوبونيسو التي كان يتقنها . ونزع سلاح الرجل ثم سله يدأ بيد إلى نفر من رجال البوليس الذين همعوا إلى مكان الحادث ، وتاول أحد الشرطيين بطاقته وانفلت إلى وقادني بضع خطوات ثم قفزنا في حربة من طراز هانسون كاب ميممين شطر هاید بارك فترجلنا عند ما ربل آرش وقال لي هولز :

يجب علينا أن نبتعد عن منزلنا بضع ساعات فان هذه العصابة قد عرفتنا . وتوجهنا نوا إلى كوين آتر ما نشتر فدخلنا في بهو اللشى الذي ينسب إلى

وبعد أن شربنا الشاي نهضنا وقصدنا إلى شارع
كنجزواي الذي يتفرع على ريجنت ستريت وسرنا
كبعض الناس لانفت نظر أحد إلينا غير أننا لم نكد
نخطو بضع خطوات حتى سمعنا بأعة المصحف يتادون
بأرفع الأصوات :

« فرار المجرم في حادث القنابل المفرقة بعد
القبض عليه . ذهول رجال البوليس . توزيع
منشورات مثيرة للخواطر . اقرأ آخر أبناء المعصاة
الجراء »

فنظرت إلى هولز مستفسراً ، فقال لي :

— لقد انتصرنا وأنهم زعم سكونلانديارد

محمد لطفي جمع

بون التي فاز فيها الملك المنتصب الظالم ولبيام أوف
أودايج علينا . إن يوم الستر الذي يتمتع ذكرى
هذه الحركة ينشأ نحن أيضاً ويدعنا إلى
الانتقام . لقد عانينا من نفاقكم ما عانينا ولم يبق
لدينا إلا الانتحار الذي يعقب الضنط فاستعدوا للحرب
شمواء في عقد داركم ، أو اعترفوا بحرية إيرلندا .
إن النزاع الهائل القائم اليوم في لندن لن ينتهي
بدون أن ننال ثمرة جهادنا الطويل »

الامضاء

G. I

فدهشت من زكاته هولز وذلكه وتواضعه ،
فانه لم يتسم ولم يشكلم ولم يقتخر بوصوله إلى هذه
الحقيقة قبل أن يصل إليها أى رجل آخر في عاصمة
بريطانيا العظمى

هدايا الرسالة

من دفع اشتراك الرسالة على حسب الشروط التي نشرناها فانه له الحق فيما يأتي :

الكتب المحفظة :

يشترى من ادارة الرسالة الكتب الآتية بالثمن المنخفض

قرش صاغ	قرش صاغ	كتاب الفصول والغايات
٢٠ بدلا من ٣٠	٢٠ بدلا من ٣٠	د التصوف الاسلامي
٣٠ د ٤٠	٣٠ د ٤٠	د تاريخ الأدب العربي
١٣ د ٢٠	١٣ د ٢٠	د النقد التجليبي
٥ د ١٥	٥ د ١٥	د في أصول الأدب
٦ د ١٢	٦ د ١٢	د رقائق
٦ د ١٥	٦ د ١٥	د آلام فرتر
١٠ د ٢٠	١٠ د ٢٠	د حياة الرافي

قرش صاغ	قرش صاغ	مجوعة السنة الواحدة من الرسالة
٦٠ بدلا من ٧٠	٦٠ بدلا من ٧٠	مجلة في جزأين
٢٠ د ٣٥	٢٠ د ٣٥	مجوعة السنة الواحدة من الرواية
٢٠ د ٣٥	٢٠ د ٣٥	مجلة في جزأين

الكتب المجانية :

كتاب سياسة الغد لمرت بك بطرس غالي
رسالة المنبر لفلنكس فارس
هكذا أغنى محمود حسن اسماعيل
قصة الأميرة جميلة الملايلي

أجرة البريد في الداخل أو في الخارج على المشترك

انتحار

للكاتب الفرنسي جورج مورفير
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

ما أملك . وأفقت من نوى ذات
صباح كيلا أجد مى سوى
اثني عشر فرنكا مع أنى مدين
لصاحب المنزل الذى أقم فيه
بخمسة عشر فرنكا ؛ ذلك
اختبرت مسدسى فالفيتيه زخرف
بسترسايات قوائل كانت فى ظنى
كافية لتمزيق رأس فارغ كراشى

وفتحت نافذتى . كان « صباحى الأخير »
رائعاً جيلاً فالسواء زرقاء صافية والأمواج خضراء
هادئة والنسيم يسبق بشذى زهر البرتقال والبنفسج
وغادرت المنزل إلى الشاطئ لأملاً صدى
النتفل بهذا النسيم النقي الفواح ... بيد أن كررت
فأنداً بعد أن سرت قليلا ، إذ أحسست جوعاً
شديداً ، وفى أثناء عودتى ابتعت صحيفة سان رومانو
الحلية ، وهى صحيفة مثيرة ، مجللة بالسواد كأنها
رسالة حزينة

وراحت أقلب صفحاتها إبان الطعام فاسترحى
نظرى عنوان « انتحارات الأسبوع » لجال بخاطرى
دون أدنى اهتمام : « هنا سيميلن خبر موى
أنا الآخر بعد أيام قلائل ، بل وودت لو أشكر
سلفاً محرر هذا الباب الذى سيميلن نبي فى هذه
المصحفة .

وعلقت عيناى بخبر انفرد بسلامة الصليب فى
صدره فقرأت فيه « وجدت بالأمس جثة جوسو
جا كوين - أمرىبى الجنس - معلقة فى إحدى
النتخيل الذى ينمو على الشرفة - وقد وجد فى
جيبه مبلغ ثلاثة آلاف فرنك - طبعا »
جوسو جا كوين ؟ إنى أعرفه . بل لقد

سان رومانو ! كم هو بلد جميل رائع ! فيه
يدرك الإنسان المعنى الذى تتطوى عليه كلمات فلوير :
هناك بقاع فى العالم يود المرء لجأها وروعتها لو يضمها
إلى صدره ضمة الوجد والحنين ... بيد أن
سان رومانو وأأسفاه تشبه أيضاً مرة تلة فواحة
لا يجسر امرؤ على تدفوقها خافة الموت الذى يقطر
من عصيرها

ولسوء الحظ لا تستطيع مناظرها الساحرة
الغلاية أن تدخل السرور والبهجة على قلوب الناس
فى جنبات المدينة تقابل الوجوه الداهلة والملامح
الباسية والعيون الحبرى الآسفة ... وفى كل مكان
منها تظالمك كانت السخط والتبريم : ألا ليقى وضعت
على رقم ١٧ ... آه ! هذا الأحمر الللون ، لقد كسب
عشر صررات متوالية ، وبالرغم من ذلك وضعت على
الأسود .

ولم يكن فى البلاد كله من ياقى أدنى التفاتة
إلى المناظر الساحرة الأخاذة التى تثبت فيه . كانت
الأرض عديم « روليت » ضخمة ، والسما صفحة
كتب عليها أرقام ٣٠ و ٤٠ و ٥٠
وقد كنت أنا أيضاً ضحية هذا البلد الخطير ؛
إذ خسرت مبلتاً لم يكن جد كبير غير أنه كان كل

— روية وإيمان — خطرة السير في انتحار يهود
على برج وفي

وفي مساء هذا اليوم بعينه ذهبت إلى الكازينو
مزدنياً أجمل أنياب وقد أبنت لللالأني جثت أجازف
بآخر ماتي لي .. وأني ساموت هما وغما إن لم أرفع
وطارت المائة فرنك ... فبدا على الازعاج في
بأي الأمر ... ثم انقلبت أتعلم غاشباً حقناً ...
وأخيراً بدوت كالمهمل المأخوذ

ورثي لحالي شاب قامت بيني وبينه معرفة ،
وسألني ما الخبر فأنايته بنبرات حزينة يائسة أني
أظلت ، فأخذ يواسيني ويخفف عني ثم قال :

— لا تيأس فإزالت تمك نفقات السفر إلى
وطنك . إن الكازينو — في هذه الحال —
يتطوع بـ ... فقاطعت يأس قائلاً :

— إن السفر الذي أمرته لا يحتاج إلى « تذكرة »
فقطر إلى مشدوها وقال :

— لا أحسبك جاداً في هذا القول ... أمل
ألا تكون قد جئت

فطلعت صامتاً ، ثم أدرت له ظهري ورحلت
أجبل بصري فاهلاً في أرجاء السكان بضع دقائق ..
وقد لحت أصحاب « الكازينو » راقبونني من طرف
خفي . وانفترق عقد اللاعبين في الساعة الحادية
عشرة ، فقفوت أثر الحارجرين بوجه يحمل علامة
الدهول واليأس والتفكير

وكانت الليلة رائحة جميلة والقمر بدرأ ياتي بأشمته
الفضية الناعمة على الأرض الشجر والبحر الأزرق
للساكن . وبلغ سمى أصوات كان حنون يتوح نوح
عاشقة يائسة . وجملت وجهي — وقد أجمت أسمى —
حرساً قريباً من الكازينو ، بقمة هادئة تمد بحني

خسراً كل تفودنا جنباً إلى جنب . وبالأمن القريب
حينما خسر آخر فلس منه رأيته يتهد في عنف
وحسرة ، ثم أمسك يدي وهزها بحرارة ونظر
إلي بحزن ثم ابتسم وقال بصوت خفيض « لقد
دمرت ... دمرت تماماً ... وداعاً يا صديقي ...
ومن ثم ذهب فشتق نفسه

إذن ، كيف أمكن أن يموتوا في جيبه على
ثلاثة آلاف فرنك ... وماذا تمنى بحق الشيطان
هذه السكامة « طيباً »

ولاح لي قيس كشف لي الأمر وأبان الطريق ..
يالي من غي ! كيف لم أظن إلى ذلك من قبل ...
لقد دس — ولا ريب — أصحاب الكازينو هذا
المال في جيبه لتبذيل الناس وحلمهم على الاعتقاد أن
انتحاره لا يرجع أبنته إلى خسارته بل إلى أسباب
شخصية ودوافع نفسية

وعلى ضوء هذا الاكتشاف الفجائي رحلت
أفكر ! كم ياربي يسون في جيبى إذا حزمت أسمى
وانتحررت على مقربة من الكازينو ؟ لقد خسرت
بقدر ما خسر جا كوربن ... وسربت إلى رأسي
فكرة بأسرع مما كان مقدراً أن تسرب الرصاصة
ثم واصلت تناول الطعام بقلب ثابت أو يكاد
يكون ثابتاً ؛ وذهبت بمدن إلى صاحب الفندق
وأكدت له أني سأدفع له حسابه في المساء ثم أضفت :

— هذا إذا بقيت حياً ...

— إننا نثق فيك كل الثقة يا سيدي

— إذن فأقرضني مائة فرنك حتى المساء ...

إنني أنتظر وصول مال من باريس

— بكل سرور يا سيدي

وقضيت سحابة النهار على الشاطئ حيث وضعت

— تمكيري الأمن ؟ قول ظريف سيندو
ولا مرء حديث الموم

قلت ذلك ثم أوليت الجمع ظهري وأخذت سبيل
ضاحك من مولاء الناس الذين اجتمعوا بدافع الفضول
وحب الاستطلاع

وعدت إلى الفندق فسدت ديوني من الآلاف
الثلاثة التي أخذتها مقابل قياي بدور الانتحار . وقد
بذلت إدارة الكازينو أقصى الجهود لاستعادة المال ؛
ولكني لم أكن قد فكرت قط في إعادته ، إذ اعتبرت
أن هذا المال من حق ، وأبقت فضلا عن ذلك أن
ثلاثة آلاف فرنك لا تبدو ثمنا كبيرا لا لتجاري

وقد عدت إلى إعظامهم يبقاني في سان رومانو
بضمة أيام آخر أعيش عيشة الترف والبذخ ثم رحلت
بمدها إلى باريس ... وقد سمعت أن البالغ الذي دُس
في جيبى قد رُد إلى الكازينو أضماعا مضاعفة .

عبر القناع

أصلح مكان لتبيل الدور الذي أزمته ؛ وكان ثمة تمثال
من الرخام لغانية من غواني البحر بدا كأنه يتسم
وأنا أشك أن أقوم بدوري

ودوت فجأة طلقان ناريتان ، وسقطت على أحد
القاعدتي وضع سهمل وانتظرت . واقتربت مني أصوات
وسقطت على يميني السبلتين ظلال القبيلين
— يا لمي ! إنه هو ...

— بالسكين ! لقد قضى على نفسه رساستين مما
وسمت بعد ذلك أحد أصحاب الكازينو يقول :
— هل ... أسرع قبل أن وأنا أحد . تبأ له
من شيطان ! أما وجد غير هذا المكان !

ثم أنحنى فوق فشمعت كأنما اندس شيء في جيبى
هناك ارتمدت قليلا ... وتأوهت مرتين ،
ثم فتحت عيني بيظ شديد ، ونهضت من مضجعي
بسنائة وحرص ناظرا في تساؤل وعجب إلى الجمع الحاشد
حولى . وفي عدم اكتراث عيني أخذت قبعتي
والمدس الذي كان مازال يلفظ الدخان من فوهته
وانتصبت واقفا

وكان الحشدة دون ينظرون إلى كأنى حيوان غريب
الخلقة وقد أترجت نظراتهم بالعجب والاستفهام ...
وقلت في غضب :

— عجباً لكم يا قوم ! ألا يستطيع المرء قتل نفسه
بسيداً عن فضول الناس ؟ لم نسمع بمثل هذا والله
واقترب مني أحد أصحاب الكازينو ينتفض من
شدة الغضب وقال في تلثم واضطراب :

— سيدى الفاضل ... أرجو ... هل ...
إذا ... ماذا تقصد بهذه الهزلة ؟ سأفودك إلى البوليس
لتمكرك الأمن

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمنى ١٢ قرشاً

الرجل الحنفى

لَكَ سَبِيلُ الْفَضْلِ جَلَّتْ كَيْتَ تَشْسِيرَتَيْنِ
بِقَسَمِ الْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْحَمِيدِ حَسَنُودِي

جذابة لأنظار الشباب من تجاوزوا
هذه السن الصغيرة ، فقد وقف
أمام الحانوت فنى لا تقل سنه
عن الزاوية والشعرين ، يمدق
بنظره فيها وراء الزجاج ، وقد
بدا الحانوت ، في نظره هو أيضاً ،
قطعة من الجبال النارية تحطف
الأبصار ، وقد لا تكون الشكولاتة

وحدها هي التي استرعت أنظار الفتى وإن لم يكن
هو على أي حال ممن يفتنون هذا النوع من الحلوى .
كان الفتى طويل القامة جسيماً ، أحر الشعر ،
يبدو على وجهه دلائل الحزم ، ودمع الخلق وكان
يتأبط حافظة رمادية كبيرة تضم بين دفتها عدداً
من الصور الفضمية ، التي كان يبيعهما للتاشرين
بأثمان لا يهمه أن تكون غالية أو رخيصة ، وذلك
منذ أن حرمه عمه (وكان من أمراء البحر) ميراثه
لخلاف بين رأيهما في النظرية الاشتراكية ، وكان
الفتى ، واسمه جون تيريل أجبوس ، قد أتى محاضرة
في هذا الموضوع

انتهت وقفة الفتى أمام الحانوت بدخوله واجتيازه
للقسم الخارجي المروضة فيه الحلوى ، إلى الرفقة
الخلفية التي جمعت معظمها تقدم فيه أنواع الفطائر ،
رافساً قيمته بحجة لفاتة المشتعلة بتبليط مطالب رواد
الحانوت ، وكانت فتاة سمراء رشيقة متيقظة ترتدى
ثوباً أسود مرتفع اللباقة ، سرية الحركة سوداء
المينين ، وبعد الفترة التي تعقب دخول الزائر عادة
لحقت الفتاة بالفتى لتتلقى أوامره

وكان طلبه من الطليات المادية إذ قال :

— أرجو أن يجيئ بكمكة صغيرة وفنجان
من القهوة السوداء

في ساعة المسق ، وقد رطب الجو ومال لون
الوجود إلى الزرقة القاتمة ، بدا حانوت الحلواني ،
القائم على ملتي شارعين متقاطعين في بلدة « كامدن
تون » كأنه شملة سيجارة وهاجة ، أو بعبارة أدق
في الوصف ، كأنه رأس عود من أعواد الألباب
النارية ، فقد كانت مصابيحها مختلفة الألوان مشبك
بعضها في بعض ، تنكسر أشعتها على كثير من
الرائق ، وتندوج على كثير من الكمكك والحلوى
اللوثة بألوان الذهب وغيره من الألوان الذهبية ،
وفي هذه الواجبة الزجاجية الواجبة تلتصق أنوف
كثيرين ممن نهزم الألوان الزاهية ، فقد كانت
قطع الشكولاتة ملفوفة في ورق ملون بالأحمر والذهبي
والأخضر إلى آخر هذه الألوان المدنية التي تفضل ،
في نظر الصغار ، قطع الشكولاتة نفسها . أما كمكة
الزفاف الكبيرة البيضاء فكانت منظرها كافياً
لأن رسم المين صورة من القطب الشمال وقد استحال
إلى مادة مما يأكل الناس . وكانت هذه المجموعة
من الفريات التي انتظمت ألوان قوس قزح كافية
لأن تجذب إلى واجهة الحانوت كل أطفال
الحى الجاور من سن الماشرة إلى الثانية عشرة .
على أن هذه النقطة من ملتي للشارعين كانت كذلك

الترتيب الدقيق وضع الكمكة الكبيرة البيضاء التي كانت زينة الواجبة

فقال الفتاة مضطربة :

— أى شيء هذا الذى تفعل ؟

فأجاب :

— أحمل الواجب يا عزيزتى لورا

فصاحت الفتاة به :

— بالله فف لحظة ولا تخاطبى بمثل هذه العبارة

إنى أود أن أعرف معنى هذا كله ؟

— هي وليمة احتفاء يا مس هوب

فأشارت الفتاة إلى الكمكة الكبرى وقالت وقد

نفدت صبرها :

— وما هذه ؟

فأجاب الفتى :

— هي كمكة الزفاف يا مسز أنجوس

فأخذت الفتاة الكمكة وأعطتها إلى مكانها في شيء

من الانفعال ثم عادت فأسندت مرفقها بالجليل إلى

المائدة ونظرت إلى الفتى نظرة إن تجردت من معاني

البض فقد جئت بفض معاني القبط وقالت :

— إنك لم تترك لى وقتاً للتفكير

فأجاب :

— أما لست ذلك النسي الذى يترك لك الوقت

للتفكير . وهذه هي عقيدتى المسيحية

وكانت الفتاة لا تزال معلقة في وجهه وعلى فمها

ابتسامة انطوت وراءها معاني الجسد ، فقالت في

صراحة :

— قبل أن تمضى لحظة أخرى في مثل هذا

السخف يجب أن أخبرك في اختصار عن شيء

يتصل بشخصى .

ولم تكذب الفتاة تلتفت لتأخذ طريقها إلى حيث يحضر له ما طلب حتى أضاف إلى جملته السابقة قوله :

— كذلك أريد أن تقبلى زوجاً

فجمدت الفتاة فجأة في مكانها وقالت :

— هذا ضراب لا أسينه

فرفع الفتى الأحمر الشمر عينيه الرماديتين وقد

بدا فيهما من معاني الجذ والفرح ما لم يكن منتظراً

وقال :

— إنى أقصد ما أقول صدقاً وحققاً ، وأنا جاد

في قولى مثل جدى في طلب الكمكة وما أطلبه غال

غلاء الكمكة ، فانى أدفع له ثمناً ثم هو عسير المضم

مثل الكمكة أيضاً وهو إلى جانب ذلك موجه . . .

لم يحول الفتاة السمر عينيها لحظة عن الفتى

في أثناء حديثه ولكن لاح عليها كأنها تفحصه فحصاً

دقيقاً تتجلى فيه معاني الأمسى ، وما أنهت من هذا

الفحص حتى جلست على كرسي بالقرب منه

فقال أنجوس وهو شارد الفكر :

— ألا ترى أن من القسوة أكل هذه الكمكات

الصغيرة ؟ أليس من المحتمل أن تنمو فتصبح بعد

حين كمكات كبيرة ؟ لقد اعتزمت الامتناع عن هذا

النوع من الرياضة حتى تزوج

وقفت الفتاة وانجبت إلى الواجبة الموضوع

فيها الحلوى وقد بدا عليها أنها منهكة في تفكير

حميق ولكنه غير كريمة . فلما حدث إلى حيث الفتى

وقد ظهر عليها أنها اعتزمت أمراً ، راعها أن وجدته

ينظم فوق المائدة ، في كثير من النهاية ، مواد عديدة

أخرجها من وأجحة الحانوت ، بينها هرم كبير من

الحلوى اللينة ، وكثير من أطباق السندوتش ،

وأغلى الفطائر المصنوعة بالفاكهة . وفي وسط ذلك

وحق هؤلاء لم يكونوا كثيرى للتردد على فندقنا ولكن كان بينهم اثنان عاديان فى كل ناحية من نواحي الحياة .

كانا يعيشان على ما بينهما من مال وكانا كسولين كسلا يضابق الذى يماشرهما ، وقد تمودا أن يرتديا من اللابس أكثر مما تدعو إليه الحاجة . على أنى كنت أرى لحال ذيك الرجلين ، إذ كنت أميل إلى الاعتقاد بأنهما لا يأتوان إلى مشربنا الصغير الخالى إلا لأن كلا منهما مصاب بنوع من التثشوة يضحك منه الأجلاف من الناس . على أن أستمال كلمة « تثشوة » فى وصفهما قد يكون فيه شيء من التجاوز وقد تكون كلمة « شذوذ » أقرب إلى وصف حالهما ، فقد كان أحدهما صغير الجسم صغرا مدهشا يكاد يكون قزما أو على الأقل « ركيكا » من أصغر « ركية » الخليل أجساما . ولو أن منظره لا يتفق فى قليل أو كثير مع منظر « الركيب » ، كان مستدير الرأس أسود للشعر معنياً بقص لحيته الكثثة السوداء ، ذا عينين تشبهان فى ريقهما عيون الطيور يحمل فى جيبه كثيراً من النقود ويعلق ببصده سلسلة ساعة كبيرة من الذهب ، ولم يحضر صرة إلا مرتدياً أنفرا ما يستطيع أن يرتدي من ملابس ، على أنه لم يكن بالرجل الأبله وإن يكن كسولا إلى أقصى حدود الكسل ، ولكنه كان من ناحية أخرى بارعا فى كثير من الأمور التى لا قائدة منها ، أكثرها ألعاب بهلوانية ، كأن يحمل خمسة عشر عودا من الكبريت يشتمل أحدها من الآخر على التوالي على غرار الألعاب النارية ، أو يقطع عمرة الموز أو ما يشبهها على مثال المروس الراقصة التى يلعب بها الأطفال ، وكان اسم هذا الفتى إزيديوزا سمث ، وإنى لا أزال

فأجاب أنجوس فى لهجة الجد :

— يسرنى أن أسمع ما تقولين ، فقد تقولين كذلك فى الوقت المناسب شيئا عن شخصى أنا ... فأجابت الفتاة :

— بالله احفظ لسانك وأسمع إلى فليس فبا أقول ما يحببلى ، بل وإنه ليس بالأمر الذى أسف له على وجه أخص ولكن ما قولك فى أمر ليس هو من عملي ولكنه الكابوس الذى يلازمنى ؟ فقال الفتى جادا :

— فى هذه الحال أقترح أن تسمى الككة إلى هذه المائدة

فكالت الفتاة فى الحاح :

— يجب أول كل شيء أن تعنى إلى قصتي . وليكن أول ما أرويه لك أن أبى كان يملك الفندق المسمى « بالسمة الجراء » فى لودبرى وقد تمودت أن أبى طلبات العملاء فى المشرب فقال الفتى :

— لقد كنت دائما أعجب لماذا أشعر بروح مسيحي يرغف على هذا الجانوث وحده فضت الفتاة فى حديثها تقول :

— ولودبرى قرية صغيرة هادئة خاملة فى اللقاطعات الشرقية ، وكان العملاء الوحيدون الذين يفدون على فندق « السمة الجراء » هم التجار النجولون ، أما من عدام فأبشع من يمكن أن ترى من الناس ، وقى اعتقائى أنك لم ترقط أحدا من هذا الصنف من الخلوقات ، فهم رجال مثقال الأجسام مربدون لهم من الدخول ما يمكنهم من أن يعيشوا بين احتساء الخمر والراحة على الخليل مرتدين أحقر اللابس التى تمد فى الواقع أحسن ما يلبق بهم .

من اللثير كاللال الذى يعيشان منه . وبعد يومين من هذا الحديث بدأت الثعالب تتوالى ، فقد كان أول ما سمعته أن الثعابين قد غادرا القرية ليشقا طريقهما في الحياة كما لو كان الأمر قصة خرافية ومن ذلك التاريخ حتى هذه الساعة لم أر أحدهما . ولكني تلقيت خطابين من الرجل المصير الجسم المسمى اسمث ، والحق أنهما كانا خطابين شائقين إلى مدى بعيد فسألها انجوس :

— ألم تسمي قط شيئا عن الرجل الآخر ؟
فترددت الفتاة لحظة ثم قالت :

— كلا، فانه لم يكتب إلى قط ... وكان الخطاب الأول من اسمث قاصرا على قوله إنه خرج من القرية مع « ولكن » ماشيين على الأقدام في طريقهما إلى لندن ، ولكن « ولكن » كان سريعا على سبيل ما على صبوراً على المشى فلم يستطع هو أن يجاريه وسقط متعباً فجلس في جانب الطريق يستريح حيث التقطته فرقة من المهرجين الذين يفرشون المايه على أنظار الجمهور ، فكان منر جسمه الذى يجمله أقرب إلى الأقزام ومهارته في الألعاب الهلوانية الخفيفة سبيكا في حلوله بين الفرقة محل العناية حتى لقد أرسل بمد قليل إلى الأكواريوم لمرض بعض الألعاب التى نسيها . وهذا هو كل ما احتوى عليه خطابه الأول . أما الخطاب الثانى فكان أشد تشويقاً وإثارة من الأول ، وقد تلقيته في الأسبوع الماضى فقط جرح الفتى المسمى انجوس ما بقى في فئجان القهوة ونظر إلى الفتاة بسنين تجلج فيها ممانى الوداعة والصبر ، وما استأنفت حديثها حتى افترقها عن ابتسامة خفيفة وقد قالت :

(٤)

أتمثل صورته وهو مقبل على الخزانة محمكا في يده خمس سجارات على مثال ابن آوى في قفزانة « أما الشخص الآخر فكان أكثر هدوءاً كما كان أقرب إلى الرجل للامدى من صاحبه ، ولكنه قد أزعجنى بطريقة ما أكثر مما أزعجنى اسمث الضئيل المسكين . كان مفرطاً في طول قامته نحيف الجسم ، خفيف الشعر ، أفنى الأنف لحد يستريح النظر ، وكان من المحتمل أن يبدو حسن المنظر في عين من يراه لولا ما في عينيه من حول لم أر أو أسمع بثله في إنسان سواء ، فهو إذا نظر إليك مباشرة لم تعرف أين أنت واقف ولا عبء بالنقطة التى يكون محمداً فيها . وأظن أن هذا العيب كان يؤلم ذلك الفتى إلى حد ما . ولما كان اسمث يمرض علينا ألباه المختلفة لم يكن هذا الفتى ، واسمه جيمس ولكن ، يقدر على شئ غير أن يزرع حرفة الشرب جيئة وذهاباً أو يخرج إلى الخلاء فيطيل المشى لغير قصد معين . وفي اعتقادي أن اسمث أيضاً كان يشعر بما في ضالة جسمه من عيب ولكنه كان دائماً يحنى ذلك العيب بحفة ورشاقة ، لهذا كان من أكبر بواعث اضطرابى وصيرتى أن تقدم لى الاثنان في وقت واحد طالعين يدي للزواج

والحق أننى قد أحببتهما ولا أزال منذ ذلك الحين أعد ذلك نوعاً من الحاقة ، ولكن كان هذان الرجلان على أى حال صديقين لى ، ولقد أزعجنى أن يتسرب لى ظهما أننى أرفض الزواج منهما لشدة قبحهما . لذلك أردت التخلص منهما بطريق لا تؤذى شعورهما فقلت إننى قد اعترمت ألا أتزوج إلا من رجل يكون قد شق طريقه في الحياة بمجهوده فن البادى التى أدب بها ألا أميش من مال موروث

نفسه قد قضى عليه الآن نهائياً بعد أن تحدثت
بأمره إلى شخص ثالث ، فإن الانسان ليكاد يحزن
إذا هو عاش منزلاً عن الناس ، ولكن أندكرين
الوقت الذى خيل إليك فيه أنك شمרת بوجود
صاحبتنا الأحوال وسمعت صوته ؟
فقال الفتاة في غير تردد :

— لقد سمعت ضحك جيمس ولكن وانحأ كما
أسمع حديثك الآن ؛ ولم يكن هناك من أحد - سوى
فقد كنت واقفة خارج الحانوت على الناصية أستطيع
أن أرى للشارعين في وقت واحد ، ولقد نسيت
كيف ضحك ولو أن ضحكته كانت غريبة مثل حوله
ولم يحظر ذكره على بالى حوالى عام كامل ، ولكن
ما لا شك فيه أنى شمרת بوجوده بعد توان من
تسلى الخطاب الأول الذى جاءني من منافسه
فسألها أنجوس وقد بدا اهتمامه بمحبتها :
— هل حملت خياله مرة على الكلام أو الصراخ
أو أى شيء من هذا القبيل ؟

فارتجفت لورا فجأة ثم قالت بصوت غير مضطرب:
— نعم إننى لم أكده أنتهي من قراءة الخطاب
الذى جاءني من ايزيدور اسميت والذى أعلن فيه نجاحه
حتى سمعت ولكن يقول « وعلى الرغم من ذلك إن
ينالك » وكان كلامه واضحاً كما لو كان جالساً مني
للرفقة ... وهذا آخر صرّوح وإنه ليخيل إلى أننى
قد جننت

فقال الفتى :

لو أنك كنت حقيقة مجنونة لفكرت في أنك
لا بد أن تكوني عاقلة . ولكن يلوح لي من غير شك
أن هناك شيئاً عجيباً حول هذا السيد الذى من الأعيان ،
ورأسان خير من رأس واحد فلم سمحت لي أن أتى

— أظنك قد قرأت في كل مكان أعد للصحف
الاعلانات هذا الجملة « خدمة اسمت المصانعة » والإفادت
الانسان الوحيد الذى لم يقرأها . على أننى لا أعرف
نوع هذه الخدمة ، وكل ما أستطيع أن أفهمه هو
أنها اختراع أشبه باختراع الساعة يؤدي جميع
الخدمات البيتية بطريق آلية فنلا « اضبط الزر يأتك
الساق الذى لا يشرب أبداً » و « اليد تحضر إليك
عشر خادمت لا يمازنان أبداً » هذا بعض ما نشر
في الاعلانات فلا بد من أن تكون قد قرأته . على
أنه مهما يكن من أمر هذه الآلات فأنها قد جمعت
ثروة طائلة لذلك القزم اسمت الذى عرفته في لودزرس
وما أستطيع إلا أن أشعر بالسرور لنجاح هذا الفتى
السكين ولكن الذى يزعجنى الازعاج كله هو أن يعود
اسمت إلى هنا ليقول لي إنه قد شق طريقه في الحياة
وإنه لقد فعل

فكر أنجوس - واه وقد بدا عليه نوع من
الهدوء المعجب :

— والرجل الآخر ؟

فهمت لورا هوب فجأة واقفة على قدميها وقالت:
— إننى لأظنك ساحراً يا سيدي . الحق أنك
لعل صواب ، فاني لم أرى في حياتي سطوراً واحداً من
خط الرجل الآخر وليست عندي أية فكرة ولو غامضة
عن كنهه ومكان وجوده ، ولكن هو وحده الذى
أخافه ، فهو الذى يتعرض لطريقي دائماً ، هو الذى
يكاد يذهب بمقتلي ، بل في الحق إننى لأظنه قد ذهب
بمقتلي فنلا ، لأننى أشعر به حيث لا يمكن أن يكون
ولقد سمعت صوته حيث لا يمكن أن يكون قد تكلم
فقال الفتى وقد بدا عليه أثر الانزعاج :

— حسن يا عزيزتى ، إنه لو كان هو للشيطان

طويل من الورق ملصق على ذلك لرجل ، فدهش
انجوس لذلك فامن شك في أن هذه الورقة لم تكن
من لحظة موجودة حيث هي الآن ، وخرج إلى الشارع
وراء الليونير للتشيط وفحص شريط الورق فوجد
طوله يبلغ حوالي ياردة ونصف الياردة وقد ذهبن
بالصنع وألصق بالزجاج بناية تامة ، وقد كتب عليه
بخط مشوه : « إذا تزوجت من اسمت فسيبوت » .
فدأ انجوس رأسه الأحمر الكبير داخل الحانوت
وصاح :

— لورا . . . إنك لست مجنونة

فقال اسمت في شيء من الخشونة :

— هذا خط ذلك الرجل « ويلكن » ، إنى
لم أراه منذ سنوات ولكنه مازال يضايقنى ، فى الجلسة
عشر يوماً الماضية وجدت فى مسكنى خمسة خطابات
تهديد منه وصلت إلى البيت بطريق خفية . ولقد
أقسم البواب أنه لم ير إنساناً ممن يمكن أن توجه
إليه أية شبهة قد دخل البيت . ثم هذا هو بلصق
على زجاج الحانوت هذا النوع من التهديد العلنى
بيننا للقوم الذين فى الداخل . . .

فقال انجوس فى تواضع :

— صدقت ! بينا القوم الذين فى الداخل كانوا
يشربون الشاي . الحق ياسيدى أننى محبب بأسلوبك
فى معالجة الأمور بمثل هذه الصراحة . ويمكننا أن
نتكلم فى المسائل الأخرى فيما بعد . أما الآن فإن
الرجل الذى ألصق هذه الورقة لا يمكن أن يكون
قد ابتعد كثيراً عن هذه النقطة فاني أؤكد لك أن
هذه الورقة لم تكن حيث هي الآن عند ما جئت
إلى الواجهة منذ عشر أو خمس عشرة دقيقة
على الأكثر . غير أننى أرى من ناحية أخرى أنه

بكملة الزفاف صرة أخرى من الواجبة . . .

وبينا القنى يتكلم سمع فى الخارج صوت ممدنى
رفيع ثم صوت محرك سيارة تجرى فى سرعة شيطانية
حتى إذا وصلت إلى باب الحانوت وقفت وأندفع منها
كالسم فى شئيل الجسم على رأسه قبعة عالية لامة
فوقف فى وسط القسم الخارجى

فقطع انجوس حديثه وخرح إلى حيث وقف
القادم ووقف منه وجهاً لوجه . فكانت نظرة واحدة
كافية لأن تشعره بأن هذا القادم الجديد رجل ملك
الترام عتانه ، وقد عرف فيه انجوس ذلك للشباب
ازيدور اسمت الذى وصفته له لورا من قبل . هذا هو
اسمت الذى جمع من صناعة الساقى الذى لا يشرب
والجارية التى لا تنازل ملايين الجنيهات . هذا هو
ازيدور اسمت الذى يصنع التراس من قشر اللوز
وأعواد الكبريت . وقف الرجلان لحظة ينظر أحدهما
إلى الآخر نظرة الكرم الباردة التريبة التى نمت عن
روح المنافسة

على أن مستر اسمت لم يشترط إلى موضع المنافسة
بينه وبين الرجل الواقف أمامه ولكنه قال فى شيء
من البساطة للمزوجة بالحدة :

— هل رأيت مس هوب ذلك للشئى المصنوع
على الزجاج ؟

فكرر انجوس قول الرجل فى لهجة الاستنفهام
— على الزجاج ؟

فقال الليونير الصغير الجسم
— الوقت لا يتسع لشرح أمور آخر فهنا سخرية
حقاء تستدعى التحقيق

وأشار الرجل بنصاه إلى زجاج الواجبة التى
أخرج انجوس من لحظة أكثر محتوياتها فأذا بشريط

والحق أن هؤلاء الخدم الصامتين ليقضون حاجتك بأسرع مما يقضيها الخدم الأحياء لو أنك عرفت أي زر تفضط. على أي لا أنكر أنه كالحذه الأدوات يميزاتها فإن لها أخطأها أياً

فسأله أنجوس :

— حقاً ؟ هناك ما لا نستطيع أن نتمله ؟
فأجاب اسميث في هدوء :

— نعم فإنها لا نستطيع أن نخبرني من الذي ترك لي هذه الخطابات التهديدية في بيتي
كانت سيارة الرجل صغيرة وسريعة مثله وهي كأدوات الخدمة من سناعته، فقطعت بهما في دقائق قليلة مسافات بعيدة في ذلك الركن من إنجلترا الذي يشبه في جمال مناظره الطبيعية ناحية ايدنبرج. وأخيراً وصلا إلى همليا مانسوتز ولا تزال في الوجود بقية من نور النهار ، وما اجتازت السيارة للمجيئ حتى رأى الرجلان في إحدى ناحيتي الطريق رجلاً يبيع البندق وفي الناحية الأخرى جندياً من جنود البوليس، وكان هذان كل من وجد في هذه الساعة على مقربة من بيت اسميث ، وكان شخصاهما ساعة التمسق أشبه في نظر أنجوس بشبهين من أشباح التناسخ ...

وقفت السيارة فجأة أمام البيت ، واندفع منها صاحبها يسأل ساعياً طول القامة يرتدي ملابس رسمية براقة ، وبوابة بلبس قصير الأكمام مما إذا كان قد رأى أحداً يدخل إلى العمار أو أن شيئاً غير عادي قد حدث في أثناء غيابه . فأكد له الرجلان أن لا أحد دخل البيت وأن لا شيء حدث منذ رأهما آخر مرة . فدخل هو وأنجوس إلى البيت واستقلا المصعد الذي اندفع بهما صاعداً في سرعة البرق إلى الطابق الرابع

أبعد من أن نستطيع اللحاق به لأننا لا نمرف الاتجاه الذي سار فيه . وإذا قبلت نصيحتي ياستر اسميث فاني أنصح لك بأن تمهد هذا الأمر إلى رجل إخصائي في تقصي الأخبار وإني أفضل أن يكون رجلاً خاصاً على أن يكون من الرجال الرسميين ، وإني أعرف رجلاً ماهرأ جداً في هذه المهنة لا يبد مسكنه عن هنا أكثر من مسافة خمس دقائق في سيارتك واسمه « فلامبو » وعلى أرغم من أنه كان في شباه محوطاً بكثير من الشكوك فانه الآن رجل شريف جداً أمين وآراءه تساوى المال الكثير ، ومقره في لاكنو مانسوتز هامبستد .

فقال لرجل الصغير الجسم وقد تقوس حاجبه الأسود :

— هذا غريب فاني أنا نفسي ساكن في هيلاليا مانسوتز بمد المتحني . ولملك تنكرم بمراقفتي ، فسأذهب إلى بيتي لأعداد هذه المستندات المعجبة التي جادتي منه ولكن بينما تذهب أنت لاحتضار صاحبك البوليس السري الخاص .

فقال أنجوس في كثير من الأدب :

— أحسنت ، فسلما أسرعت كان ذلك خيراً وحيا الرجلان الفناء ثم استقلا السيارة ، فما كادت تبحر منحنى الشارع حتى رأى أنجوس إعلاناً كبيراً عن « خدمة اسميث للصيانة » وفيه صورة عروس كبيرة من الحديد من غير رأس تحمل في يديها وعاء كبيراً وقد كتب عليها « الطاهية التي لا تفضأ أبداً » .

فقال الرجل المتحني ضاحكاً :

— إني أستمعل هذه المنزعات في بيتي للاعلان من ناحية وللخدمة الحقيقية من الناحية الأخرى .

وقال اسميت لصاحبه :

— أرجو أن تتفضل بالمدخول والانتظار لحظة حتى أحضر لك خطابات ولكن، وبمذلك تذهب إلى الناحية الأخرى من الطريق تتدعو صاحبك وضغط اسميت زرّاً غنظياً في الجدار فانفتح باب مسكنه من تلقاء نفسه، وبنفتح الباب على ردهة صغيرة كل ما فيها من الأثاث صفان من الأشخاص الميكانيكية واقفين على الجانبين أشبه بنادج الخاطئين، وهي مثلهما بلا رؤوس وإن كانت بارزة الصدور ملوثة الأكتاف، ولكل منها خطافان يملآن عمل الأيدي والسواعد في حمل الصواني، وما كاد الباب يفتح حتى رأى اسميت في يد أحد هذه الأشخاص ورقة بيضاء مكتوبة بالحبر الأحمر لم يكن مداها قد جف بعد. فاختطفها الرجل وناولها لأمجوس وكان هذا هو نص ما كتب فيها : « إذا أنت رأيتها اليوم فساقتك »

وسكت الرجلان لحظة ثم قال إيزيدور اسميت :
— أنت شرب قليلاً من الوسكي فاني أشعر أن في حاجة إلى القليل منه .

فأجاب أمجوس في شيء من الكآبة :

— شكراً ، ولكنني أفضل أن أرى غلاميو فهذه المسألة ترداد جسامة فلا ذهب لأحضره في الحال فقال الآخر وعليه من مظاهر الانسراح ما يدعو إلى الإعجاب :

— أحسنت فتحضره إلى هنا بأسرع ما تستطيع ولكن لم يكده أمجوس يقفل الباب الخارجى ورواه حتى رأى اسميت قد ضغط أحد الأزرار فتحرك إحدى الجوارى الميكانيكية وتقدمت حاملة صينية فوقها معدّات الشراب . فشمر أمجوس بشيء

من الخوف على الرجل الصغير أن يترك وحيداً بين هذه الدمي الميكانيكية التي دبت فيها الحياة على أثر إغلاق الباب

ولم يهبط أمجوس ست درجات من درجات السلم حتى وجد البواب منهكاً في بعض العمل فأوساه وهو يناوله قطعة من النقود بأن يبق في مكانه إلى أن يعود وأن يقرب أى أجني بصمد السلم ، حتى إذا خرج من باب المارة أوصى الساعي الواقف أمام الباب بمثل هذه الوصية ، ومنه علم أن ليس للبناء باب خاني ، ولم يكنف بذلك بل دعا رجل البوليس الذي يمر في الشارع وطلب منه أن يقرب مدخل البيت إلى أن يعود ، وترك رجل البوليس إلى بائع البندق فسأله كم من الوقت يمتزم البقاء حيث هو ، وكان الرجل قد دفع يافته مستعداً للذهاب لأنه يتوقع أن يتساقط التلج . ولكن أمجوس رجاء أن يبقى في مكانه وأن يأكل كل مامه من البندق وقال إنه سيعطيه جنياً متى عاد على أن يقرب المدخل ويجبره إن كان قد دخل البناء أى رجل أو امرأة أو طفل . فلما انتهى من إعداد هذه التحوطات سار ممجياً بعمله ناظراً نظرة أخيرة إلى الحصن الذي أحاطه بهذا الجدار المحكم وقال يحدث نفسه :

— لقد أحطت البناء بحلقة قوية ولا يمكن أن يكون هؤلاء الأربعة جميعاً من شركاء مستر ولكن

كان مسكن مستر غلاميو في الطابق الأول من بناء لا كينو مانسوزر ، وكان بسيط الوش ، فلما وصل إليه أمجوس تلقاه صاحب النار في غرفة فيها بضعة مقاعد وكل زينتها أنواع من السيوف والقطع الأثرية للشرقية ، وكان يجالسه فيها في هذه الساعة

الوقت فضيحة في الحديث هنا
فوقف أنجوس وهو يقول :

— يسرنى ذلك وإن كنت الآن معلماً على
صاحبي فقد أوقفت أربعة رجال لراقبة الدخول
الوحيد للزودي إلى مسكنه

تفرج الرجلان إلى الطريق بينهما القسيس
الضئيل الجسم كالكلب الأمين يتبع صاحبه ، وكان
كل ما قاله أثناء الطريق وقاله في أسلوب مراح هو :

— ما أسرع ما يتراكم التلج على الأرض !
وقيل أن يصل الرجال الثلاثة إلى الشارع
الواقعة فيه البناية كان أنجوس قد انتهى من سرد

قصته ، فلما وصل إلى قريب من البيت تطلع يبحث
عن الرجال الأربعة الذين عهد إليهم بالراقبة ، حتى
إذا وجدهم حيث تركهم بدأ يسأل بالحق البندق الذي

أقسم مؤكداً قبل أن يتسلم الجنيبه وبعد أن تسلمه
أنه لم ير أي زائر قد دخل البيت ، وكان رجس
البوليس أشد من البائع توكيداً ، وقد قال إنه تعود

معرفة اللصوص من كل نوع لا يتحدهم تخفيهم
وراء الملابس الثمالية والتبنيات الغالية ، فهو لا يقتصر

في تعرف المشبوهين بما يبدو من أعمالهم التي توجه
الشبهة إليهم ، وهكذا وكذا أنه لم يدخل البيت أي
إنسان ... أما السامح ذو الملابس للبراقة فقد كان

لا يزال واقفاً عند مدخل الباب بينما ينتم أنبساطه
المرضية ، وكان توكيده أشد من صاحبه فقد قال :

— إن لي الحق في أن أسأل أي إنسان دوقاً
كان أو كناساً ، ماذا يريد من دخوله هذه البناية ،
وإني لأقسم أنه لم يحضر منذ خروج هذا السيد
أي إنسان يستدعي الأمر سؤاله

وكان الأب برون واقفاً لا يكثر أحد لوجوده

قسيس كاثوليكي كان وجوده في هذا المكان في نظر
أنجوس في غير موضعه

فقال فلامبو :
— هذا صديق الأب برون ولكن وهدت أن
تقابل . الجو جميل البلية ولكنه بارد قليلاً بالنسبة

لرجل مثلي من أهل الجنوب
فجلس أنجوس على أحد الكراسي الشرقية
وهو يقول :

— نعم الجو جميل وأظن أنه سيستمر محوياً
ولكن القسيس أجاب في هدوء :
— لا ، فقد بدأ التلج يتساقط

وفسلاً كانت قطع التلج الذي تنبأ بالحق البندق
ب سقوطها قد بدأت تصدم زجاج القبائك وتلتصق به
فقال أنجوس :

— الحق أنني أتيت في مهمة خطيرة تدعو إلى
الاسراع . والأمر ، يا فلامبو ، أنه على مسافة مرمى
الحجر من بيتك رجل أشد ما يكون حاجة إلى

مساعدتك ، فهو ملاحق ومهدد يبدو غير ظاهر
وشقي لا يستطيع أحد أن يراه

ولما بدأ يروي قصة اسميث وويلكن وعلاقة
لورا بهما والضحكة المزججة ، وفي الجملة تفصيل
بما سمعه ، بدأ الاهتمام الشديد على فلامبو في حين

جلس القس كقطعة من الأثاث لاعلاقة لها بالحديث ،
فلما وصل أنجوس إلى التحدث عن قطعة الورق التي
وجدت ملصقة على واجهة الحانوت ثم فلامبو واقفاً

وكأنه قد ملأ الترفة بكتفيه المرشحين وقال :
إذا كان لا يضايقك أن تروي لي بقية القصة
في أقصر طريق يوصل إلى بيت هذا الرجل كان

ذلك خيراً ، فانه يجمل إلى أن ليس لدينا متسع من

وهناك وسط الذي حيث وجدت قطعة الورقة رأي
أنجوس على الأرض بقمة جبراء كأنها بقمة مداد
انسكبت من دواة ولكنها لم تكن من المداد
فصاح فلامبو في لهجة جمت بين الغضب وبين
الألفاظ الفرنسية قائلاً :

— جنابة قل !

ثم انطرح على الأرض فاحسباً وبعد فترة كان
الرجلان يقفان كل نقطة في البيت ليمتدحا على إزبيدور
اسميت حياً أو ميتاً فلم يجداه له أنراً ، ثم تقابلا وجهاً
لوجه بعد البحث الدقيق ، فقال فلامبو متكلماً بالفرنسية
من شدة تأثره :

— يا صاحبي ... إن القاتل لم يحنف وحده
ولكنه أخفى القاتل أيضاً

فنظر أنجوس حوله في الترفة المظلمة وأحس
برعشة خفيفة داخل نفسه ، فقد كانت إحدى الذي
واقفة بحيث يسقط ظلها على نقطة الدم وكانت
ساعدها مرفوعة قليلاً ، فخطر له أن تكون هذه
المساعدة هي التي أصابت اسميت فقتلته وهكذا تكون
المادة قد ثارت وقد تثلث هذه المخلوقات الآلية خالقها
ولكن حتى في هذه الحالة يترسنا هذا السؤال
الطبيعي : « ماذا فعلت هذه الذي بقتليها ؟ »
فألقى الوم الخفيف في أذنه هذه الجملة في لهجة
الاستفهام :

— أكانه ؟

فساخت نفسه لجرد التفكير في أن جسماً بشرياً
بثلاثي ويهضم في جوف هذه الآلات الميكانيكية
واسترد أنجوس ثباته بشيء من المجهود النفسي
وقال مخاطب فلامبو :

— نحن الآن أمام أمر واقع ، لقد تبخر الرجل

فلما سمع هذه الكلمات تدخل في الموضوع ، فقال
في لهجة فيها شيء من التهكم :

— إذن لم يصمد أحد الدرج ولم يهبطه منذ
بدأ الثلج في السقوط ؟ ولقد بدأ على ما أذكر ونحن
في بيت فلامبو

فقال الرجل الرسمي وهو يضعك تحة ذى النفوذ :
— لا يا سيدي ، لم يأت أحد قط إلى هنا ،
وكن واثقاً من قولي هذا

فقال القسيس وقد نظر إلى الأرض بينين
تشبهان عيون السمك :

— إذن إنى لأعجب ، ما هذا ؟

فنظر الجميع إلى حيث ينظر القسيس فنلفظ
فلامبو بلفظة شديدة مشيراً إشارة فرنسية ، فقد
كان هناك بالفعل على الأرض وسط المدخل وبين
ساقى هذا الساعى الكبير الجسم آثار أقدام غبراء
فوق الثلج الأبيض

فصاح أنجوس من غير قصد :

— إلي ... الرجل الخفي !

ودون أن ينطق بكلمة أخرى اندفع ساعداً
الدرج يتبعه فلامبو ، أما الأب برون فقد بقي واثقاً
حيث هو ينظر إلى الشارع المنطلي بالثلج وكأنه قد
أهمل شأن الطريقة

وكاد فلامبو يكرس الباب بكتفه القوي ولكن
الفتى الاسكتلندي تحسب يده إطار الباب حتى
عثر على اللز الخفي ففضله فبدأ الباب يفتح على مهل
وكان الدخول والردهة على حالها لولا أن اثنين
من الذي الحديدينة قد تهركتا من مكانهما لقضاء
بعض الأعمال على ما يظهر ، وكانت النعمة قد بدأت
تجيم داخل الدار لولا بقية من شعاع الشمس النادرة ،

سرق اسميث كما لو تكون العفارت قد اختطفته ،
فأنا لم يكن هذا أمراً خارقاً للطبيعة فاني ...
وقطع الحديث وصول رجل البوليس في ملايسه
الزرقاء جارياً يلهث حتى وقف أمام الأب برون وقال:

— صدقت ياسيدي فأنهم وجدوا جثة المسكين
مستر اسميث ملقاة هناك في القناة
فلطم أنجوس رأسه بيده لطمه شديدة وسأل:
— هل جرى إلى القناة واتحرق غرقاً ؟

قال رجل البوليس :
— إني أقسم أنه لم ينزل من البيت ثم هو لم يفرق
نفسه أيضاً ولكنه مات مقتولاً بطلعة بائلة فوق القلب
فقال فلامبو في صوت خشن :

— ومع ذلك لم تر إنساناً يدخل البيت ؟
فقال الراهب :
— فلتمش قليلاً في الطريق .

فما وصلوا إلى الجانب الآخر من الطريق قال
للنفس :

— ما أشد غياوتى ، لقد نسيت أن أسأل رجل
البوليس إذا كانوا قد وجدوا كيساً رمادى اللون
فسأل أنجوس متدهشاً :

— ولماذا يجدون الكيس الرمادى اللون ؟
فقال الأب بروك :

لأنه إذا كان الكيس من لون آخر فيجب أن
تبدأ القضية من جديد . أما إذا كان الكيس رمادياً
فقد انتهت القضية

فقال أنجوس وفي لهجته تهكم صادر عن اعتقاد
— يسرني أن أسمع هذا الكلام ، فان القضية
فما يتصل بهلى لم تبدأ بعد
فقال فلامبو في سذاجة متناهية كسذاجة الطفل:

المسكين كما تدبخر السحب ولم يترك وراءه غير بقعة
جرام على الأرض . وهذا أمر لا يتصل بالناس
الدينوى .

فقال فلامبو :

— هناك شيء واحد يجب عمله فسواء أكان
الأمر متعلقاً بهذه الدنيا أم بالآخرة ، لا بد لي من أن
أزل فأنكم مع صديق .

ونزل الرجلان فورا بالبوابة الذي كان لا يزال
منهما في عمله وقد أكد لهما مرة أخرى أنه لم يدع
أي متطفل يدخل إلى الممار ، ثم وصلا إلى الساحة
في الملابس اللامعة فوجداه حيث تركاه وقد كرر
توكيده أن إنساناً لم يدخل البيت ، وكذلك وجدوا
بائع البندق الذي كرر هو أيضاً مثل هذا التوكيد
ولكن عندما بحثا عن الممارس الرابع رجل البوليس
لم يجدها فصاح أنجوس في حال عصية :

— أين رجل البوليس ؟

فقال الأب برون :

— عفوا فقد أرسلته للبحث في أمر وجدته
يسئقن البحث والاستقصاء .
فقال أنجوس في لهجة قاطعة :

— حسن ولكننا أشد ما نكون حاجة
إلى عودته فان صاحبنا المسكين لم يقتل فقط ولكنه
قد اختفى وزال كل أثره .

فسأل النفس :

— وكيف كان ذلك ؟

فقال فلامبو بعد قليل من التردد :

— إنى لأعتقد يا أباي أن الأمر أدخل في باب
اختصاصك منه في باب اختصاصي . فان البيت لم
يدخله صديق ولا عدو وعلى أرغم من ذلك قد

— يجب أن نخبرنا بكل شيء
كان الرجال الثلاثة يسرون بخطى زرداء سرعتها
عن غير قصد حتى قطعوا مسافة غير قليلة على الجانب
الأخر من الطريق . وكان الأب برون يتقدمهم
صامتاً وقد بدا عليه شيء من الوجوم . وأخيراً قال
في غموض يسترعي النظر :
— الحق أني أخشى أن تظنوا الأمر جيد عمل
فنحن دائماً نبدأ من الطرف النامض في الموضوع ،
وإن كانا نستطيعا بدء هذه القصة من ناحية أخرى
« ألم تلاحظا قط هذا الأمر — إن الناس
لا يسمعون أبداً عما يسألهم الانسان عنه ؟ إنهم دائماً
يحييون بما قصد أنت أو بما يتوهمون أنك تقصده .
ولنفرض أن سيدة سألت سيدة أخرى تسكن بيتاً
من بيوت الريف : « هل يقيم أحد موك ؟ » فإن
السيدة لن تجيب : « نعم ، إن مي في البيت السابق
وثلاثة من الرجال وخدام من النساء » إلى غير ذلك
على أرغم من أن الخادمة قد تكون في هذه اللحظة
واقفة في الثرفة والساق قد يكون واقفاً وراء
كرسيها . ولكنها تقول : « لا يوجد مي أحد في
البيت » وقصدها « أحد » فمن تمى أيها السائل .
ولكن افرض أنت طبيباً موكلاً يأخذ بعض
الاحكامات الصحية سألها : « من يقيم في هذا البيت ؟ »
عندئذ تذكر السيدة : السابق والخدم جميعاً لا تنسى
منهم أحداً . واللغة كلها تسير على هذا النمط ، فإنا
إن نحط على سؤال توجهه لأي إنسان بمجواب يتفق
مع حرفة هذا السؤال حتى وإن كان الجواب صادقاً ،
فهؤلاء الرجال الأربعة الأمتاء عند ما قالوا إنه
لم يدخل البناية إنسان ما لم يقصدوا في الواقع مطلق
إنسان ، ولكنهم قصدوا « الانسان » الذي يمكن

أن يشبهوا في أنه « الانسان » الذي تبحثان عنه
فما من شك في أن إنساناً قد دخل البناية وقد
خرج منها ولكنهم لم يلاحظوه
فسأل أنجوس رافماً حاجبيه الجراوين :
— رجل خفي ؟
فأجاب الأب برون :
— خفي ممنوعاً
وبعد دقيقة أو دقيقتين استأنف القس كلامه
في نفس اللمحة المتواضعة فقال :
— إن الانسان بحكم الطبيعة لا يستطيع أن
يفكر في مثل هذا الرجل إلا إذا فكر فيه فعلاً .
وهذا هو ميث مهارته . ولكنني استطعت أن أفكر
فيه من خلال أمرين أو ثلاثة أمور صغيرة في القصة
التي رواها لنا مستر أنجوس : الأول ما قاله من أن
ذلك الرجل ولكن تعود أن يسير مسافات طويلة ،
والثاني الورقة التي ألصقت على واجهة الخانوت ،
ويأتي بعد ذلك السائلان اللذان ذكرتهما السيدة
الصغيرة واللذان لا يمكن أن تكونا حقيقتين
وهنا بدت من مستر أنجوس حركة فجائية فقال
القسيس وهو مستمر في حديثه :
— أرجو ألا يضايقك كلامي ، فقد اعتقدت
هي أنهما حقيقتان ولكنهما لا يمكن أن تكونا
حقيقتين ، فمن المستحيل أن يكون الانسان وحيداً
في الطريق قبل أن يصله خطاب ما يضع ثوان ،
ولا يمكن أن تكون وحيدة في الشارع في اللحظة
التي بدأت تقرأ فيها الخطاب ، فلا بد أن يكون على
مقربة منها إنسان ما ، وهذا الانسان لابد أن يكون
خفياً ممنوعاً
فسأله أنجوس :

واستمر الراهب يقول وهو منهمك في التفكير
— إن الانسان لا يقبض عادة إلى سماء البريد ،
على الرغم من أن لهم عواطف كغيرهم من الناس
ومن أن في مقدورهم أن يحملوا أكياسا كبيرة
لا يصعب أن يحتقن داخلها جسم إنسان صغير الحجم
وبدل أن تلتفت ساعى البريد تافئاً طبيعياً مال
ووقع على الأرض مرتطبا بسور الحديقة . وكان
رجلا بحملا خفيف شعر اللحية عادى النظر ، ولكنه
حين أدار وجهها غمره الجزع أخذه الرجال الثلاثة
بما في عينيه من حول شيطانى سرور

عاد فلامبو إلى مسكنه حيث بنهمك بين سيوفه
وأبسطته القرمزية وقطعه الممجي متجزأ ما لديه من
أعمال ، وعاد جون ترنبول أنجوس إلى قاعة الحانوت
التي بذل أقصى جهده في التلطف لها . أما الأب
برون فقد مشى عدة ساعات ساعدا تلك التلال
المنظاة بالتلج تحت نجوم الليل في صبة قاتل ، ولن
يعرف أحد ما جرى بينهما من حديث ...
عبد الحميد حمدي

أعذب نوافل
الاستبصار للشفا شيلبي
ركناء
الاستبصار للصحيح
هم مكتبة الزمره نافع النكاح لا يلهو
رسم الكتاب العربية المشرقة

— ولماذا لا بد أن يكون هناك إنسان على
مقربة منها ؟
فقال الأب برون :
— لأنه فيما عدا الحمام الزاجل لا بد أن يكون
إنسان قد أحضر لها الخطاب
فسأل فلامبو وقد بدا عليه النشاط :
— أترى حقا أن تقول إن ويلكن هو الذي
حل خطاب منافسه إلى خطيبته ؟
فأجاب الراهب :
— نعم لقد حل ويلكن خطاب منافسه إلى
خطيبته وكما ترى لا بد أن يكون قد فعل
فصاح فلامبو :

— إننى لا أستطيع أن أحتمل أكثر من
هذا ، فن هو هذا الانسان ؟ وما هو منظره ؟
وكيف يكون تكوين الرجل الخفى ممنونا ؟
فأجاب القسيس على الفور وفي لهجة التوكيد :
— إنه يرتدى ملابس أنيقة تجمع ألوانها بين
الأحمر والأزرق والذهبي ، وفي هذا اللباس الجذاب
بل والمخادع دخل الرجل هيليا مانوسوز أمام ثمانية
أعين ترقبه ، وقتل السميت وهو ثابت مطمئن ثم عاد
إلى الشارع يحمل القاتل بين ساعديه ...
فوقف أنجوس جامدا وقال :

— أيها السيد المحترم ، هل جئت أم أنا الذى جئت ؟
فقال الأب برون :

— إنك لست بمجنون ، ولكنك لست شديد
الملاحظة ، لأنك مثلا لم تر إنسانا مثل هذا ...
وخطا القسيس ثلاث خطوات واسعة للإمام
فوضع يده على كتف رجل من سماء البريد الماديين
صرالى جانبهم تحت ظلال الأشجار دون أن يفتنبوا إليه

وشمرت وهذه الذكريات

تدري على غيظي بشنور مبهم
مختلط... شعور من يعود نجاة
وبلا إندار إلي ماشيه ، ليجيا في
بعض أيامه مرة ثانية ، ويزيل
تراب النسيان عما سلف من
حوادثه .

كانت تلك المرأة يوم عرفتها

في الأربعين من عمرها ، وإن كانت تبدو في الخمسين ،
ذات جسد منهدم ، ووجه ذابل تظهر في أضعافه
آثار جبال تولى ، وكان أعجب ما فيها بسمه وهبتها
لها الطبيعة ، بسمه ذاهلة حائرة لم تكن تختفي عن
شفتيها الإلتيكار ، وعيون ضيقة ذائبة تفصح أحماقها
عن الهاء الرهيب الذي ورثته هذه المرأة عن أسرتها ،
وداء الجنون والمنة .

ولم يكن لها زوج ، كلاب كان لها هذا الزوج
وتوفي بعد أعوام قليلة من مباشرته لها ، ولكن
كانت لها أبنه ، أبنه في سن العشرين أو تزيد حلت
ضيفة على المارستان منذ بلغت سن الثانية عشرة .

وكان أكبر ما أدهشني مما عرفته عن هذه
المرأة ، أنها تشرب الخمر ، وتضع منزلها كل مدة ما
تحت تصرف رجل يجتذبه إليها بما لها ليماسرها فيه
معاشره الزوج لزوجته دون أن تربطهما رابطة زواج
شرعي . حتى إذا شبمت من مباشرته نبذته ليأتي
دور رجل غيره ...

وكانما خلق الله هذه المرأة مجموعة من التناقضات
والمعجائب ، وكانما وضع فيها أشنع صفات غلوقاته ،
وأفقر غرائز المرأة وأخلاقتها ، وأشد طباعها .
وكنيت في تلك الأثناء التي عرفتها فيها أسمع

ذِكْرُ امْرَأَةٍ

أَقْصَوْصَةٌ مَوْصُوفَةٌ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ عَبْدِ الْحَكِيمِ الْعِشِيرِيِّ

ما أحسبني كنت أذكرها بعد ذلك النسيان
الطويل ، لو لم أسمع في تلك القرية الثانية من قرى
مصر ، وفي تلك الأسمه الساجية من أمنيات
الريف اللئالي أبدأ في الهدوء ، هذا الرجل الريني
وهو ينفي في صوت حزين (الوال) للشهور المنتشر
بين جل أهل الريف الذي مطلعته :

« يا عم بالي بلا خال تمال احمالك خالي »

« واحط قلبي اللان على قلبك الخالي »

لقد كان ذلك (الوال) وهذا الرجل ينثيه
يسيد إلى ذهني ضروريا من الذكريات متباينة مختلطة ،
إذ كان يرتبط بشيء نفسيته منذ زمن بعيد ، بقصة
امرأة عجيبه ماتت كنت أسمها ثقيفه حينما كانت
تميش ...

لم يكن الصوت القديم ، صوت تلك المرأة
وهي تنفي ذلك (الوال) ، قد بق منة في أذني
سوى أثره الباقي ، ورغم ذلك فقد جدد صوت
الرجل الريني وهو يردد ويرجع (مواله) . فعدت
أسمه من جديد بكل ما كان فيه ، ببراءته الباكية
الكثيفة ، وأنغامه المضطربة الناعمة ، وكان كما تجد
في أذني جدد معه ذكريات تلك الحفبة من حياتي
التي عشتها وهذه المرأة تميش وأراها وأسمع عنها .

عن طيشها وتصرفاتها وأعمالها قصصاً غريبة .
وأرى من هذا الطيش وهذه التصرفات والأعمال
أبساً الشيء للكثير القريب ...

قيل لى ذات يوم إنها شربت زجاجة خمر من
زجاجات الخمر الرخيصة التى ببيها « ديمترى »
فى دكانه الصغير بالقرب التى كنت أعيش بها وتعيش
بها ، فلما ذهبت الخمر بوعيا انطلقت فى دروب
القرية وطرقاتها سكروى تفوح من فيها رائحة الخمر ،
وراحت تصيح بصوت ثمل وهى تضحك تضحكات
قارعة عالية مدوية :

— هكذا يجب أن تكون الحياة: خمر وطرب ..
ثم ذهبت تسب من كانوا فى طريقها من الناس ،
فاجتمع حولها الصبية وطفقوا يقدفونها بالطوب ،
وينمرونها بالتراب ، حتى لم تعد تحتمل عيهم
فسقطت على الأرض تصيح بكلام غير مفهوم ،
ولم يرحمها الصبية عند هذا الحد بل ازداد تنكيلهم
بها ، حتى خدعت حركتها واستكانت فى رقدتها
على الأرض تنظر إليهم بعين ابتدأت تمى وتفهم
وتتألم ...

ولم تستطع العودة إلى بيتها فى ذلك اليوم
إلا بمساعدة بعض الناس ...

ورأيت أنا بسنى مناظر كثيرة لهذه المرأة وهى
تهان على هذه الصورة عقب شربها للخمر وتسلط
شيطان الخمر على عقلها .

وكأنما لم يكن ما أسأها من جنون ورائى ،
فأصبحت أيضاً بجنون الخمر وهو شر جنون .
ولا أعرف لم تنقل هذه السكنية إلى المارستان
ولعل السبب فى ذلك هو بعدها عن عيون من فى
استطاعتهم نقلها إليه ، وعدم وصول أخبارها إلى

أولى الشان فى هذا الشان .
وقابلت هذه المرأة يوماً ، فرحت أنصحبها بترك
الخمر وهجر الطيش ، فنظرت إلى بينين نفدت
نظرتها إلى أعماق وقالت ساخرة :

— عشنا لنرى أولادنا ينصحبونا ، يا صغرى
المعزز احتفظ لنفسك بهذه النصائح الذالية . وظلت
على طيشها وجنونها بل تحدثت فيهما .
وفى ذات مساء شهدتها وهى تتخلص من رجل
كان يباشرها وتماشره فلقه ، كانت تقول له وهو
جالس القرفصاء فى ركن من أركان إحدى غرف
منزلها الصغير ، وعلى وجهه دلائل الخوف ، وفى
عينيه وميض اللشقاء القبل الذى سيمود إليه بعد
أن استمتع بملاوة الحياة ونعيمها وراحته بجوار
هذه المرأة .

— فى صباح اللند يجب أن تجمع ثيابك بإظفل
النر ، وتذهب إلى حيائك التى انتزعتك منها مدة ما
فلن أستطيع أن أوبك أكثر من ذلك ...

فتلقى كلماتها ساكناً وهو ينظر إليها نظرة
المحروم ، أو الطرود من دارحولة ليس له حق المارسة
فى طرده منها

وعادت المرأة تقول وقد شاعت فى وجهها فرحة:
— وسوف آتى فى القريب برجل آخر من
نوع آخر أبوه مكانك ...

وظهر على الرجل أنه يكاد يبكي ، ولكنه تماسك
واستطاع أن يبد ما ظهر عليه ..

وهكذا تخلصت من رجل ممن تتخذه أزواجاً
أو يلقى للصحيح أشياء أزواج ..

وبعد أيام قيل لى إنها اتخذت زوجاً جديداً ،
وقد رأته ... وكان فى ما يزال أخضر الشارب ،

قلت : أوائى أنها تحبك ؟

قال : هذا ما يبدو لي ...

قلت : وماذا ترى في ذلك ؟

قال : لا شيء . لقد قلت لك إنها امرأة مجنونة .

ثم سمعت لحظة وأردف ضاحكا :

— دعني أحدثك عن حادث عجيب ، أو قل

مضحك جرى لي معها منذ أيام ...

قلت على الفور : هات ما عندك . أسرع

فراح يحدثني :

— كنت مضطجعا على أريكة في إحدى غرف

مزلّي لأستريح بعد أن قضيت يوما كله عمل وكد

وجاءت انفتحت باب الغرفة ، ودخلت على تلك المرأة

تترنخ ثملة ورأحة الخمر تنبث من فمها ، وحينما رأيته

اندفعت تجري إلى ، ومالت على ذنبي من فمي جيبها

المنضن الكريه وهي تنغمس في صوت لاهت نمل مثلها :

« هيا قبل أن يها الحبيب ، على جيبني هنا ، فاني

أخاف أن تأنف من تقبيل في في الذي لوتته الخمر

هيا فقد تشاجرت بسبب هذه القبله مع الشرطى

الذى يقوم على خدمتك ، حينما أراد منى من القدوم

إليك ، واضطرت في آخر الأمر إلى حيسه في

« الطبخ » وإغلاق باب عليه بالفتاح ، هيا ولا تدعى

أنتظر فإن قواى تتلاشى من التنب الذى سببه لي هذا

الشرطى العنيد »

وكانت رائحة الخمر اللبثه من فمها تنابق أنفاسى

وكان جيبها يفضونه وقنارة شكله يثير في نفسى

الاشمئزاز ؟ فاستجمعت قواى ودفعنها بيدي يمينى

عنى ، ودفعتها دفعة قوية أسقطتها على الأرض كما

تسقط القطعة الكبيرة من الخشب ، وارتطم رأسها

بالبلاط فغيل إلى أنه تحطم ، وسمعت صرخة خفيفة

مديد القامة في امتلاء ، على كثير من الوسامة وإن

كانت تقاطيع وجهه تنهى نفس شريرة أنيمة

وتلبمت أخبار حياتها مع هذا الفتى مدة ما ،

ثم شملتني شواغل الحياة عن ذلك بضمة أشهر قبل لي

ببدها إنها تركته وإنها تبحث لها من رجل آخر

جديد ، ويشاء الله أن يوقعا في الحب فتتسى البحث

عن هذا الرجل ...

ولم أسدق في أول الأمر أنها وقعت في شرك

الحب ، ولكن الدلائل على ذلك كانت كثيرة

فصدقت . ولقد يكون غريبا أن تحب امرأة كذلك ،

والواقع أنى لا أزال أعجب من هذا إلى الآن ...

ومن أحببت ؟ .. أحببت ضابط (نقطة) القرية

الذى طالا أتى بها في سجن « المركز » والذي طالا

أمر عسكره بجلاها لانطلاقها في الطرقات سكرى .

لكأنما لم تدع هذه المرأة شيئا غريبا شاذا دون

أن تأخذ منه بقسط

وبدأت أهم بالمرأة وبأخبار حياها ، وكثيرا

ما كان يرسم في مخيلتي قلب امرأة في الأربعين من

عمرها وقد دأبت تجرى فيه دماء الحياة والشباب

والحب بعد أن شاخ وهرم ، فأقول لنفسى إن الله

قادر على كل شيء يمحي المظالم وهي رميم

واقضت على هذا الحب تسمة أساييح ، وزدت

ضابط « نقطة » القرية ، وكانت لي به معرفة ازدادت

أخيرا ، ورأيت أن أحدث منه في أمر تلك المرأة

العجيبة التى تحبه ، فقلت له :

— هل أنك نأ تلك المرأة التى تحبك ؟

ففهم على الفور أى امرأة أعنى ، وتبسم وهو يقول :

— طبعاً . ولكنى أعجب كيف أحبتنى هذه

المرأة المجنونة ...

— ابنتي ماتت .. أوه! لقد كدت أنسى هذه
البنت المسكينة ...

وسقطت قطرة من دموعها بين شفتيها فسحبتها
بأسبمها في سهوم وشروء ، ثم تكلفت الابهام
وهي تقول :

— ولكن لاداعي للحزن ... فكلنا نموت .
وكنت مع بضعة نفر من أهل القرية التفتوا
حولها قد عمنا الوجوم والسمت ، فنظرت إلينا
وهي تضحك في اضطراب وأردفت قائلة :

— لماذا صمتكم ووجومكم هذا ؟! هيا عودوا
إلى حائلكم التي كنتم عليها قبل الآن « فرفشو » .
ابتسموا ، أيؤلكم منظر أم ماتت ابنتها ؟! ...

وظفقت تضحك تحركات كأنها المويل والنواح
فلما وجدتنا لم نغير من حالنا انقطعت عن الضحك
بجأة ونظرت إلينا في دهش ، ثم في ابتئاس ، ثم
في ... ثم نظرت إلينا نظرة لم أفهم لها معنى ،
وتركتنا في خطوة مشيرة دافئة وجهها بين راحتها
تنتحب ... !

عالم أن تزيل يد النسيان من ذهني هذه اللحظات
ومحال أن تسليق منظر تلك المرأة فيها^(١) محال

ومن ذلك اليوم ابتدأت أسمع تلك المرأة وهي
تفني ذلك الموال الذي يقول مطلقه :

« يا عم ياللي بلاخال تمال اعملك خال »

« واحط قلبي اللان على قلبك الخالي »

وكانت تشرب الخمر حتى تتأبل سكرًا ، وتطلق
في طرقات القرية تنبيه بصوت مضطرب بنص
بالحزن والبكاء ، وكان الصبية ينطلقون خلفها في
كثير من الأحيان يرمونها بالطوب ، ويحتفنون

(١) أعني منظرها في تلك اللحظات

انسابت من بين شفتيها كأنها غويل غنوق ، ثم ...
ثم نهضت وتركت الأريكة والغضب يأخذ مني كل
ماخذ ، فرأيته تنظر إلى في عتاب رحيم وتقول :
« في سبيك أيها الحبيب » ولم تلفظ بشئ هذه
الكلمات ، وخرجت فأطلقت للشرطي المسجون
في « الطبخ » وطلبت منه أن يذهب فيحملها ويأني
بها خارج المنزل . وقد كان

وصمت الضابط وهو يخرج من علية دكانته
دخينة وضما بين شفتيه وتتم :

— لقد قلت لك إن هذه المرأة مجنونة ...
وأشعل الدخينة وراح يدهنها في سمت ،
واستأذنته في مبارحته ، ثم انطلقت إلى الطريق
وأنا أشعر بقلبي قد امتلأ شجنا

ولم تفارق غيظي في ذلك اليوم وليله ، صورة
امرأة في الأربعين سكرى ملقاة على أرض إحدى
غرف منزل تنظر في عتاب رحيم لرجل الذي أهانها
بالقائه لها هكذا على أرض الغرفة ... الرجل الذي
نحبه ولا يحبها ، ونهتف قائلة له « في سبيلك
أيها الحبيب ! »

وكانت الأيام تضي وأنا أقرب عن كسب تلك
المرأة البجبية وهماي بأصرها يتضاعف ويتضاعف
في كل يوم وفي كل ساعة ، وكنت معها ذات يوم
عندما أتأها نيا موت ابنتها زينة البيازستان ، أبدًا
لن أنسى ما بدا على وجهها وما لاح في عينيها وقتذاك ،
لقد لاحت في عينيها نظرة حائرة نائمة ، ويدت على
وجهها جهامة واقباضة وتكثير ، وظلت على ذلك
بضع دقائق ، ثم تندت عيناها بالدموع وهتفت
في خفوت :

— لقد خيل إلي في نومي أنه أليمودنى ...
ألا ما أقسام من حبيب ...

وتلاذت في عينها دمة ...

وبعد لحظة التفتت إلى تسألني :

— هل قابلت ضابط « النقطة » منذ قريب ؟
قلت : أجل ...

فسألتني في إسراع وهي تكاد تذوب شوقاً ولهفة :
— وكيف حاله ؟

قلت : كما هو ...

فاغمضت عينها وظهر عليها أنها تستعيد شيئاً
حلواً ، ثم عادت ففتحتها والتفتت إلى قائلة :

— هل رأيت في هذه الدنيا امرأة أشقى مني ؟
فنظرت إليها طويلاً ... ولكن لم أجبها ...

وتصرمت أيام . وفوجئت بحبر يقول إن ضابط
« نقطة » قريبنا سينقل بعد يوم إلى « نقطة » أخرى

في بلد بعيد ، وكانت صحة صديقي قد ساءت وتدهورت
فحاولت بكل ما وسعني أن أمنع هذا الخبر من الوصول

إلى أذنّها حتى لا يصيبها بشر جديد ، ولكن رجلاً
من حادوها تدفعهم الشفقة لأوجب الاستطلاع أوصله

إليها دون أن أعلم ، فلما اختلت بي بعد ذلك وكنا
في الصباح قالت لي وضوتها يرتش :

— سوف أذهب في المساء لأودع ضابط
« النقطة » فقد علمت أنه سينقل إلى بلد آخر غير

هذا البلد . فهل تستطيع مرافقتي إلى منزله ...
قلت وأنا أعجب لها في نفسي وأخفي عجيبي

— إنك الآن في أسوأ حالات المرض ، فلا
يبنى أن تكافئ نفسك مشقة ...

— وهل تحسبن أستطيع تركه يذهب دون
أن أودعه ؟!

التراب يلقونه عليها ، وكثيراً ما ألقدها الناس ولهموم
يكاد يقضى عليها ...

مسكينة ... لقد كانت تميش بقلب جريح ،
وعقل مجنون ... كانت فريسة لحب يائس وجنون

أليم ، وحنن علكها بعد موت ابنتها . وعينها حاولت
أن تمجد ذلك الرجل الذي لا « خال » له لتضع على

قلبه « الخالي » قلبها الملوء بالآلام والأشجان !

وانتابت البائسة في يوم من الأيام حتى شديدة
نظرت على فراشها تمانى آلام هذه الحى فوق

ما تمانيه من آلام قلبها وعقلها ، والتفتت حولها
تبحث عن يقوم على خدمتها في محبتها الأخيرة هذه

فلم تجد أحداً سواي ، كان كل الناس قد هروا منها
إلا إياي ، فلقد كنت أعطف عليها وأرني لها فلم أشأ

أن أبركها تقاسي ألم المرض وحدها ؟ ونظرت إلى
وهي تقول :

— ولكني أسأت إليك من قبل يا سيدي

فقلت : ما قالت مات ...

وكانت في صلة بطبيب يقيم في « المركز » الذي
تنبهه قريبنا فاستقدمته ليشرّف على علاجها ، وأثر

في المرأة هذا اللطف والاهتمام ، فراحت تدعو لي
بالسعادة وراحة البال وطول العمر

وقد خف جنونها في أيام هذا المرض ، ولكنها
في أحيان كثيرة كانت تمن إلى البحر فلا أستطيع

منعها من شربها ، وفي ذات مرة أخذتها سنة من
النوم وأنا بجوارها ، فسمعتها تهتف باسم ضابط

« نقطة » القرية ، وأرني ذلك فاستميرت وأنا أرنو
إلى وجهها للشاحب وأمر رأسي في أسى وإشفاق

ولما استيقظت نظرت حولها في دهشة وتيسمت
في كآبة وهي تتمم :

— سوف آتي به إلى هنا فتودعيه وأنت على فراشك ...
 في عصبية وهي تصبح — أنت ... أنت ...
 وبعد حديث ووداع دام بضع دقائق غادرها الضابط ، وقد بدت على شفتيها وهي تشبه إلى الباب
 يبصرها السكايل بسمه فيها حزن ووداع وبكاء والتفتت إلى تقول بعد أن ذهب :
 — إنني لأصدق. بخيل إلى أنني كنت في حلم ...
 وفي اليوم التالي سافر ضابط «النقطة» إلى البلد البعيد الذي قتل إليه ، وبعد أيام من سفره ماتت المرأة الرقيقة السكرية المجنونة التي أحبته فلم تسد بجها إلا مرة واحدة ، فودعت بموتها امرأة محببة ،
 مرت بحياتي كما يمر بخيال النائم حلم عجيب !
 عبد الطليم محمد العشري

— سوف آتي به إلى هنا فتودعيه وأنت على فراشك ...
 فم وجهها الفرح وصاحت وهي لا تصدق ما أقوله :
 — أو يقبل المحي إلى هنا ؟
 فطأها ... وأكدت لها أنني سأحمله على الحضور إليها ، وذهبت فرجوت الضابط أن يأتي من إليها ، وقد رق لها قلبه بعد أن وصفت له حالها ، فأجاب رجائي ورافقى إليها
 وحينما دخل عليها كادت المسكينة تموت من الفرح ، واخروقت عيناها بالدموع وهي تنظر إليه غير مصدقة أنه هو حقاً ...
 ووق لها قلب الضابط أكثر ، فأنحنى عليها بضع على جبينها قبله ... القبله التي أهابها من قبل حينما

بنك مصر

أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتؤسس الاستقلال الاقتصادي

عاملوه ... وعاملوا شرفاً تكبروا ... النصر ليهوركم

حاجي بابا اصفهاني

لكننا لا نعلم متى
بمقام الأستاذ عبد اللطيف النشار

وأقت صلاة الشكر، وقلت في نفسي : إن
أبي سيراني بعد قليل وسيبرئ أن ابنه
لا يزال على قيد الحياة ، ونذرت لسيدنا
على نذراً بأنني إن وصلت ، فوجدت أهلي
بخير فسادع ذبيحة وأدعو إليها الفقراء
وكان خقوق قلبي لا يزال يملو ويزداد

كلما اقتربت من حانوت أبي . وسرت في الطريق
التي كانت لا تزال كمهدما وكانت معرفتي بها لا تزال
حاضرة في الذهن حتى وجدت نفسي بين حانوت
أبي وبين الحان

وكان باب الحانوت مثقلاً ، وجلس الخوف من
سماع جواب سي " أحجم عن السؤال عن أبي، ولكن
لما ملكت روعي تذكرت أن اليوم يوم جمعة وأنه
لا يبعد أن يكون أبي قد جعل الصلاح دينه في
أخريات أيامه فترك العمل في أيام الجمعة . وبعد
قليل فتح باب الحان ورأيت صاحبي البواب يسير
محاذاً للحائط وقد احسودب ظهره وصار يياض
لحيته ورأسه نامساً، ولكنني عرفته من أنفه الأفق
الذي استطع تمييزه بسهولة من بين ألف من
الأنوف لحيته النحبة المتادة، فرد على دون أن ينظر
إلى وجهي

فناديته باسمه وقلت : « ألا تعرفني يا علي ؟ »
فنظر إلى وقال : « إن الحان أبيها الصديق معرض
للدنيا ، ففي كل يوم أرى عشرات من الوجوه
ولا تستطيع ذاكرتي أن تميزها كلها »

قلت : « لا بد أن تكون متذكراً حاجي بابا
الذي كان يملئ لك في الزمان للقديم » ، فقال البواب
« لا إله إلا الله ، أنت حاجي بابا ؟ لقد خلا مكانك
منك مدة طويلة فهل رجعت في النهاية ؟ الحمد لله
(١)

الفصل الثامن والأربعون

ما بين بابا يعمر إلى بيت أبي في أصفهان

لم أنتظر سماع كلمة أخرى وخرجت في الحال
من مدينة قم ، وكان في جيبتي درهماً قليلة تكفي
لشراء اللقوت في أثناء الطريق . ولقد كان بودي
أن أبقى في مدينة قم حياً وأن أنضم إلى تلاميذ
ميرزا أبي القاسم ؛ ولكن دفني إلى العودة نحو
وطني طول شوق إلى أبي واعتقادي أن ما رأيته
من الكرب والمصائب إخراجي إلى عقوبته وقلت
في نفسي : « أنا لو كنت أبناً باراً لما أهملت أبي
في أصفهان وتركته في ضعف الشيخوخة مضطراً
إلى مضايقة حرفة الحلافة لكي يكتب اللقوت »

ولم أزل أسير حتى بدت لي أصفهان عن بعد،
تفق قلبي وانشتل فكري بتصور الحالة التي سأجد
عليها أسرتي ، وتساءلت : هل أجد مملي لا يزال
على قيد الحياة ؟ وهل جازنا البدال الذي كنت أشتري
منه الحلوى لا يزال مقبلاً في حانوته ؟ وهل صاحبي
بواب الحان لا يزال جالساً أمام الباب الذي اعتسدت
الجلوس عنده طول ليله وطول نهاره ؟ وهل إذا
رأني سيذكر زيارتي مع التركاكين لهذا الحان
وسرقتنا منه ما وصلت إليه أيدينا ؟

ولما سرت قريباً من باب أصفهان وقفت غاشماً

على وجه البمض ولكن الدهشة كانت بادية على
أوجه الجميع

وقتح أبي عبيدة اللتين كانتا منتميتين وقد ومض
فيهما بريق السرور وظهرت عليه الرغبة الشديدة
في رؤيته وأمسك يدي والتفت إلى وقال: « الحمد
لله ! » ثم قال: هل كان حسناً منك أن تتركني كل
هذا الأمد ؟ أما كان يحسن أن تأتي قبل الآن ؟
وكان يود أن يستمر في عتابه، ولكن الانفصال
الذي أحدثته هذه المفاجأة كان أكبر من أن تحمله
صحته الضعيفة فغارت قواه وارتجى رأسه على الوسادة
وقال لي مملى: « اسكت يا حامي بابا ! لا تقل شيئاً
حتى يفيق لأنه يريد أن يكتب الوصية »

وقال شاب كانت عيناه تنظران إلى نظرة شديدة
العداوة: « نعم . وعلينا أن نتحقق هل هذا هو
حامي بابا أم لا »

وقد تبينت أن هذا الشاب هو أخو زوجة أبي
وكان بطعم أن بوصى أبي له بجزء كبير من تركته
كما كان مملى بطعم في مثل ذلك وقد تحققت أيضاً
فيما بعد أن أكثر الوجودين كانوا بطعمون في أن
بوصى لهم أبي بأجزاء من تركته ، وأن عجبي كان
نكبة عليهم لأنهم حرموا جميعاً مما كانوا يطعمون
فيه . ولولا أن اللطم شهد بأنني حامي بابا لاجتمعت
كلمة الياقطين على طردي من هذا المجلس ولقد زال كل
شك في حقيقتي عند ما فتح الباب بمد قليل ودخلت
منه أي لأنها لما سمعت خبر عجبي لم تستطع البقاء
في حجابها وراء الستور ودخلت الغرفة مبسوطة
الذراعين لتماثقي وقد نسيت أن تضع على وجهها
تقاً وباسحت: « أين ابني ؟ أين أنت يا حامي بابا ؟ »
فلما أظهرت نفسي لها ارتعت على وبكت بصوت

لقد أذن لك ربلائي حسن بأن يرى ابنه قبل أن يموت
قلت: « ماذا تقول ؟ أين أبي الآن ؟ لماذا تذكر
الموت ؟ »

فقال: « لقد شاخ أبوك وهو الآن على فراش
الموت فلا تضجع وقتك سدى واذهب في الحال
لمالك تذكره قبل أن تفارقه الحياة ... »
واستمر اللبواب يتكلم ولكنني لم أقف حتى
أنتزع بقية كلامه بل ذهبت توارى إلى المنزل فوجدت
بالقرب من باب شيخين يتسكمان فمر أسترح لرؤيتهما
لأنني عرفت أنهما من رسل اللشوم

ودخلت المنزل فوجدت فيه رجلاً كثيرين
قد أحاطوا برجل نائم فظفرت إليه وقد عرفت أنه أبي
ولم يعرفني أحد من الوجودين ولكن أحدهم
لم يسترضني لأن المادة جرت في هذه البلاد على أن
يدخل غرفة المحتضر من يشاء من معارفه دون
استئذان ، ووجدت في طرف الغرفة رجلين أحدهما
الطبيب والآخر مملى السابق ، وكان اللطم يرمي أبي
بهذه التكلمات: « لا تياس فقد عمد الله في أجلك
حتى ترى ابنك حامي بابا ولكن الحزم يقضى بأن
تكتب وصيتك وتعين اسم وارثك »

فتهدأ أبي وقال بصوت خافت: « لقد عفي
ابني ولم يفكر في أمري فهو غير جدير بأن أجعله
وارثي »

فكان أثر هذه الكلمة شديداً على ولم أستطع
مع سماعها إلا أن أعلن وجودي قتل: « إن حامي بابا
هنا وقد جئت يا أبي لتدعوني فلا ترفض » ثم ركت
بجانب الفراش وأخذت يده قبلتها وبكيت ، وكان
لابداً من تأثير قوي على جميع الوجودين وبدا القلق

مرت بي في الحياة ، وكنت جالساً منفرداً في ركن من الثرفة أبكي بكاء سائماً لا كالبكاء للتكليف الذي يكيه الباقون . وجاءني أحد الجيران فقال إن التقاليد تقضي بأن أزوج ثيابي لأدل بذلك على أني ابن بار فقلت له : « ألا يمكن أن أؤدي واجب البر وأحتفظ بالثوب الذي لا أملك غيره ؟ »

وقال لي أيضاً إنه يجب علي أن أترك رأسي عارياً وقدني حافيتين حتى يتم الدين فوافقت على ذلك . وعلقت فيما بعد أن هذه الواقعة أكتسبتني سيرة حسنة في موطني ، وكان حزن أي عتيقاً قد قطعت شعرها ومرت ثيابها وكانت صرخاتها عالية تنشق عنان السماء

وأخذ مملى يدي وقال لي يمزني : « لقد مات أبوك ولكن أليس اللوت غاية كل شيء ؟ لقد مات ولكن هل خلد إنسان قبله حتى كنت تطمع في أن يخلد ؟ إنك قد حلت في الدنيا محل . فأد ما كان يؤديه من الأعمال الصالحة . وأيقن أنه الآن بين حوريتين من حور الجنة يشرب اللبن والمسل الالهيين فهل هذا هو بيكيك ؟ أنظر إلى النعم التي من الله عليه بها واحمد الله فقد كان من المحتمل أن يموت كافراً ولكنه بحمد الله مات مؤمناً . وقد كان من المحتمل أن يولد تركياً ولكن الله من عليه بأن جعله إيراًياً . وقد كان من المحتمل أن ينشأ سنياً ولكن رحمة الله قضت أن يعيش شيعياً . »

واستمر يمزني علي هذا النوال حتى سئمت فتركي ليحادث غيري ، وحي رجال لم أر في الحياة أقدر منهم ليفسوا أبي قبل دفته . واستشاروني هل يستأجرون عدداً من حلة الأعلام والشاررات ليسيرو أمام الجنازة كعادة الوجهاء أم يحملونها بسطة

حال ونظقت بكل كلمة رفيقة أملها عليها الداكرة في الحين . ونظرت إلى من القرع إلى القدم نظرة محب مشتاق — لا ، بل نظرة أم ، لأن المواطف التي أبدتها لا تظهر إلا من الأمهات

وفي هذا الحين كان الطبيب يحاول أن ينبه أبي من الإغماء وأبدى أبي علامة سيئة لم يجسر الطبيب معها على إعطائه الدواء قبل أن تمر ساعتان وبعد ساعتين أعطى الدواء وبدلاً من أن يقوم فيعمل وصية كما كان الكل ينتظر ، فإنه قد التطق والحركة . ولما خصوه وجدوه قد مات ، فقال الملم : « أوصل إليك باسم الله أن تعيق فانا نريد أن نكتب الوصية »

وكان سوتنه وهو يقول ذلك أشبه الأصوات بالبكاء . وقام فمز رأسه ولكن ينهر جدوى لأن الحياة قد فارقت . ولما قطعة من اللطن فمعيروها في فمه وأداروه نحو القبلة . ثم أخذ مملى يرتل آيات من القرآن ، ووضع منديلاً تحت رأس أبي وربط فوق رأسه ، ثم ربط لإبهام قدميه مآ ونطق بجميع الوجودين بالشهادتين . وبعد ذلك اجتمع النساء حول الجنة وأخذن في البكاء والنحيب ، وفي الوقت نفسه أخذ اثنتان من حفظة القرآن يرتلان سورة من القرآن

ولما سمع البكاء في المنازل المجاورة هرع كل نساها إلى منزلنا لأن أبي كان محبوباً من أهل جيرته وقد حضر المآتم والجنازة من الرجال ومن النساء أكثر من العدد الذي يحضر عادة في مآتم أي خان أميرزا

وعلى الرغم من كثرة المزين فقد كنت أنا الحزين الوحيد لأن موته ذكرني بكل الحوادث المؤلة التي

وكانت قراءتهم في وقت واحد وبذلك تمت قراءة المصحف كله في وقت قصير

وعلى أثر ذلك ذهبت أمي وكثيرون من النساء إلى القبر وأخذن معهن مقادير من الفاكهة وأنواعاً للطعام وفرنق ذلك على الفقراء ثم عدن إلى المنزل فأنحلت بأعلى أصواتهن

وبعد أيام أخرى خلعت أمي حزنها وارتدت ثياباً بيضاء وصبغت شعرها وبديها بالحناء وبذلك انتهت كل إجراءات الموت وتركت وشأني لأدبر تركه أبي ولأفكر في مستقبل

الفصل التاسع والأربعون

ماحي بابا يصبح وارثاً تركه غير مبرورة

مات أبي ولم يترك وصية فكنيت وارثته بنيرمنزاع وكان من الطبيعي أن يسرف في ذى الدين كانوا يطمعون في أن تنتقل إليهم التركة بالوصية وأن يهتموني بالامسراف وبأبني عاق وبأبني غير متدين وبأبني جواب آفاق

ولما كان في عزمي ألا أقيم في أصفهان فقد نظرت إليهم نظرة احتقار ولم أهتم بأى قول يقولونه ولما قابلت أمي على انفراد دار هذا الحديث :

قلت : « أخبريني يا أمي — فإنه لا ينبغي أن يكون بيننا سر — عما تركه أبي فقد كان يحبك ولا يمكن أن يكون أخفى شيئاً منك »

فقلت باضطراب واشتزاز : « وماذا تريد من تركته ؟ » فاستأنفت قولي متظاهراً بأنى لم أسمع جوابها وقلت : « تعرفين أن الوارث مازم في الشرع والقانون بأن يسدد ديون مورثه وتعرفين أن نفقات الجنائز لم تدفع بعد . وأنا الآن مجرد من المال كالليم

كالفقراء فأحلبهم إلى مملى ليحجب النياية عني . وكان جوابه أن أبى كان من المبرورين في المدينة الذين اتسمت شهرتهم ، وأنه لذلك يجب أن يدفن كما يدفن سائر الوجهاء . فحى ' بعدد كثير من هؤلاء وساروا بأعلامهم أمام النمش الذى تطوع كثيرون لحله على أعتاقهم فدلوا بذلك على أن أبى كان محبوباً . وكانت الجنائز كلما تقدمت مسافة في الطريق انضم إليها فريق من الناس حتى إذا ما وصلنا إلى المدفن كان عدد الشيعين لا يستهان به

وبعد أن أقيمت الصلاة جرت عملية الدفن وجلس حول القبر اثنا عشر قارئاً للقرآن فتلاوا آيات معينة ثم قرئت الفاتحة ثم ودعي المشيعون على أن يقابلوني فيها بعد بالنزل

ولما صرت وحدي سألت نفسي : « هل التندر الذى نذرت عند باب المدينة أصبح واجب الأداء أم صرت في حل منه ؟ »

ولما لم أحتد إلى جواب عزمت على أن أستشير ولما عدت إلى المنزل وجدت كثيرين في انتظارى . وكان وقت المشاء قد حان ورأيت أن واجب البثوة في نظر أهل المدينة يقضى بأن أفق عن سخاء ، فلم أجد بداً من الوفاء بالنذر فأصرت بأن تدفع ذبيحة وبأن يقدم الطعام إلى كل من في المنزل من المزمين واستأجرت ثلاثة من حفظة القرآن ليقرأ واحد منهم ما تيسر منه في الترفة التى مات أبى فيها وليقرأ الآخرون عند القبر

وبعد أيام لا أعرف عددها جاء أناس كثيرون نجفوا في أكبر غرفة بالمنزل على شكل دائرة وكان في يد كل منهم جزء من القرآن وأخذ كل منهم يقرأ بصوت عال سورة غير التى يقرؤها الآخر

المسجد بين حلقة من تلايمفه. ولما رأى طرد تلاميذه
وقال : إن خطواني إليه خطوات سيده وإنه يسر
بأن يقدم لي كل خدمة أريدها
قلت : « لا تضعك على هذه الكلمات . لقد
كنت أنتظر من القدر الذي حرمني من أن أن
يمنحني ما أستحقه من مبراة »

فرغ المعلم عينيه إلى السماء وقال : « الله كريم
هكذا يا بني حال الدنيا وعلى العاقل الحكيم أن يسد
عينيه عن كل الطامع الدنيوية فلا يتطلع إلى شيء
من ترأبها الفاني »

قلت : « من أي عهد أصبحت سوفيا حتى
تتكلم بهذه العبارة ؟ إنني أستطيع أيضا أن أقول
مثل هذا القول ، ولكن أمانا أمورا جديدة »

وطلبت إليه أن يخبرني عما تركه أبي
فتنتحنج وتظاهر بالجد والوقار وأقسم أغلظ
الأيمان أنه لا يعرف إلا ما سمع من أبي ، وأن أبي
قال له إن أبي مات ولم يترك شيئا من المال

وجئت مدة طويلة ثم أبدت دهشقي مما سمعته
لأن أبي كان رجلا متدينا وكان يملك بئر شك
مقدارا وافرا من المال . ويبدو أن يكون قد أقرضه
بالربا . وتذكرت قصة تدل على استحالة ذلك ، وهذه
القصة هي أن عثمان أعا أراد أن يقرض منه بالربا
فذهب أبي إلى أحد العلماء وسأله هل يبيع الدين
ذلك ، فتلا عليه العالم آية من القرآن تحرم التعامل
بالربا قطعا وقال لي أبي بعد ذلك إنه لن يفرض ولن
يفترض ما دام حيا ، وأوصاني بأن أكون مثله
في ذلك

تركت المسجد يائسا من الحصول على المعلومات
التي كنت أريدها وذهبت إلى خانوت أبي فجلست

الذي ولدتني فيه ولا بد لي من الحصول على المال .
والأفاني أفتضح وبها اسم أبي ويشمكن من أعدائي
وقد اشتهر أبي بأنه غني ويجب عاقلة على سمته
ألا يظهر عكس ذلك على أثر وفاته فأخبريني يا أبي
كم ترك من المال وكم عليه من الديون ومن هم دائئوه
وهل له مدبئون »

قالت أبي : « الله ! الله ! ما هذا الكلام الذي
تقوله يا حاجي بابا ؟ لقد مات أبوك فقيرا ولم يترك
مالا ولا عقارا وقد كنا لا نأكل غير الخبز الجاف
إلا في الأيام التي يكثر فيها زائر هذه المدينة من
التجار فانه كان يأتي بطنين من الأرز وآخر من
الكتاب . أما فيما عدا ذلك فان ميسقتنا لم تختلف
شيئا عن ميسقة للشعابين فاهو المال الذي تسألني
عنه ؟ هذا هو التزل أمامك فابحث فيه ما شئت وهذا
هو خانوت أبيك فانظرا ما الذي فيه ؛ لقد كان
وصولك في وقت مناسب فافتح خانوت أبيك واستمر
في صناعته وإن شاء الله جمع لك من الثروة ما ترجوه »
قلت : « هذا الذي أسمعه يا أبي شديد الترابية
فان أبي ظل يكتب أكثر من خمسين عاما ويستحيل
ألا يكون قد وفر شيئا في خلال هذه المدة . وأريد
الآن أن نقسم ذلك الربح »

قالت في شيء من الاحتياج : « نقسم ؟ هل
تبهم أمك يا حاجي بابا بأنها سرقت منك أو من أبيك
شيئا . إذهب وسل أسدقاء أبيك . إسأل مملوك
فهو يعرف إن كان أبوك ترك شيئا أم لا »
قلت : « إن النم لو كان يعرف لما ألغ قبل
موت أبي في كتابة الوسيية . ومع ذلك فاني سأقابه
وأسأله »

وذهبت فوجدته جالسا في ركن من أركان

رأيت كثيرين من التجار استدلوا على أموالهم المفقودة بهذه الطريقة ولست أعرف حادثة لم يستطع التجمون الوصول فيها إلى مال مفقود إلا حادثة اعتداء التركان على الخان، ولقد جلبت على هذه الحادثة ويلات عظيمة لأن بعض الناس انهوون بأنى كنت شريكاً لهم لأننى أنا الذى فتحت الباب للصوص وقلت إن فيهم صديقاً لى اسمه مثل اسمك يا حاجى بابا »

ولقد كان من حسن حظي أن هذا البواب ضيف البصر فخلت شبهة في نفسه محل اليقين في أمر هذه الحادثة ووعدنى بأن يرسل إلى أعظم منجم في أصفهان وقال لى في وصفه إنه يخرج قطعة الذهب من تحت أطباق الأرض

الفصل الخمسون

حاجى بابا والتميم

في صباح اليوم الثالث جاء رجل إلى غرفتى قصير القامة هزيل الجسم أحذب الظهر كبير الرأس لم أر عينين أشد سطوعاً من عينيهِ ففرقت أنه النجم . وكان عليه ثوب من ثياب الدرايش . وقد بدأ يسؤال عن كل شيء حدث لى خصوصاً بعد عودى إلى أصفهان وكان يدينق فى البحث عن التفاصيل ويسأل عن كل رجل له معرفة بآلى . ولما كانت آلى فى ذلك الوقت متنبية فى الحمام فلم أخبرها بمد ذلك عن مجي النجم ولكنى رجوتها أن تدعو فى اليوم الثالث كل أهلى ليتندوا عندها ... ولا اجتماعوا فى المنزل سلمت عليهم وقلت لهم إننى أريد الاستشهاد بهم على ما تركه آلى ففطر بعضهم إلى بعض وبدلاً من أن يشتركوا مع آلى

به وفكرت فى الوسيلة التى أحصل بها على رزقى فى المستقبل وعزمت قبل كل شيء على ألا أقیم فى أصفهان وفكرت فى الذهاب إلى طهران لأنها خير بلد يعيش فيه رجل مثلى . وقام بنفسى اعتقاد أنه من المستحيل أن تكون آلى ومعلمى صادقين فيما زعماه من موت أبى مفسلاً . فبدأ لى أن أحتكم منهما إلى القاضى

وبينا أنا أفكر فى هذه الأمور إذ رأيت صاحبي بواب الخان، ولما وقع نظره على أقبل محوي وعزاني ولما رأى شدة اقتبابى وشروء ذهني قال لى : « لما تخمّل كل هذا ألم ؟ إن أبوك قد مات ولكنه تركك فى سن تستطيع معها العمل وأنت ورثته ولم يكن رحمه الله فقيراً »

قلت : « نعم إننى ورثته ولكننى لم أجد شيئاً أثره فيه إلا هذه الطسوت النحاسية والمواشى وإلا البيت البنى بالطوب الذى »

فقال : « ولكن أين ماله يا حاجى بابا ؟ لقد اشتهر أبوك بأن لديه مالا كثيراً . وكل إنسان فى المدينة يعلم أنه ما كان يمر يوم واحد على أليك دون أن يزيد على الدخّر عنده من المال مقداراً آخر »

قلت : « هذا صحيح . لكن أية فائدة لى من هذا القول ما دامت آلى تنكره ومعلمى يشهد لها ؟ إنه لم يبد أمأى غير أن أذهب للقاضى »

فقال البواب : « ذهب للقاضى ؟ ماذا الله أن تذهب للقاضى لا تذهب إليه فانك لن تستفيد منه شيئاً وهو لا يهب للعدل ولكنه يبيعه بالتقال »

قلت : « وما الذى أفعل ؟ » فقال : « اذهب إلى التجمين فاتهم برشدون عن كل مال ضائع وقد

قال للنجم: « لا تتمتع بمعرفته ولا تشب هذه الوثبة فإن الله سيظهر الحقيقة على يدي » ثم دار بنظره فينا مرة أخرى وقال: « هل تريدون أن أنتمروا الحقيقة ؟ » قلنا: « نعم »

وعند ذلك نادي تلميذه وأخذ منه كيساً كان منه فأخرج منه ملء اليد من الأرز وقال: « سأعطي كل منكم بعض هذا الأرز فامضوه . أما السارق فإن يستطيع مضغه »

ودار على كل واحد فوضع في فمه مقداراً منه فمضوه وهم يضعون لأن أكثرهم كان يدا الأرم. فكاهة . ولم يعطى بطبيعة الحال مثل ما أعطى غيري لأنه لم تقع على شبهة وأنا الذي أشكو وحاولت أي أن تخرج من هذه التجربة بانضمامها

إلى جانبي وتظاهرها بالسرور لظهور حتى ولكن للنجم أبي عليها ذلك ووضع في فمها مقداراً من الأرز وفي لحظة كانت الأفواه مشغولة بالضعف وكان النجم يقرأ في هذه الأثناء . وبعد لحظة أخرى كان الكل قد فرغوا من الضغ إلا العلم وأى فانهما لم يستطيعاه وقال المعلم: « لماذا تطعني هذا الحمى وأنا رجل هرم ضعيف الأسنان ؟ إنه يستحيل على أن أجمع في هذه التجربة »

وقالت أي مثل هذا القول وزادت عليه: « ما هذه الألعاب الصبائية ؟ هل رأيتم قبل الآن ولداً يامل أمه ومعلمه مثل هذه المعلمة ؟ إنه يهتما بالسرقة ولعله هو الص »

فقال النجم: « لم يقل أحد عنك إنك لسان ولكنك تقولان ذلك وليس للترض فضيحة أحد وإن كان في وصى أن أقبح كل برهان على السارق . وفي وصى أن أجعل لسانه يترن على بيركة خادم

في التكم أظهروا استعدادهم لمساعدتي في الوصول إلى الحقيقة . وفي هذا الوقت جاء النجم بناء على اتفاق سابق معه وجاء معه أحد تلاميذه .

أطال النجم نظره في وجه كل واحد من الموجودين ثم أجلس تلميذه أمامه وأمل عليه آيات من القرآن وهذه الآيات تتضمن الوعيد لمن يأكل أموال اليتامى بالباطل ثم جاء بفنجان فيه قليل من الزيت ووضع في كف التلميذ وظل يتلو آيات ويقول كلاماً بمضمون والمبعض غير مفهوم . ونظر إلى سائر الموجودين وقال: « ستظهر في هذا الفنجان سورة المكان الذي فيه أموال كربلائي حسن وسورة الشخص الذي لا يريد إظهار هذه الأموال » .

فنظر بعضهم إلى بعض ، وبعد قليل نظر إلى الفنجان وقال: « ما شاء الله ! ما شاء الله ! لقد ظهرت الحقيقة فانبعوني »

ثم مضى ففتحته فدخل غرفة أخرى وحاولت سيدة أن تخمه فزجرها ونظرت إلى هذه السيدة فآذا هي أي .

قال: « من ذا الذي يستطيع أن يمنع خادم الآلة ؟ إنني لا أسير بقوتي ولكن بقوة هذا الخادم »

ومضى على الرغم منها ونحن وراءه حتى وصل إلى ركن من الزفة فأزاح عنه الحصر . وظهر لنا جميعاً أن الأرض تحته قد جفرت حديثاً فرفع التراب عنها وأخرج منها قدراً عملوه بالذهب وقال: « هذا بعض ما تركه كربلائي حسن من المال .

أما بانيه فقد سرق » وتفرس في وجوهنا جميعاً فقال أحدها: « لقد وجدت المسروق فإن هو السارق ؟ »

لم يكن إلا جزءاً يسيراً من تركه أبي وأن التركة لم تزل مسروقة وقلت ذلك لصاحبي البواب وأخبرته بأنني لا أزال عازماً على رفع أمري إلى القاضي . فقال لي البواب : « اسمع أيها الصديق نصيحة رجل حنكته الأيام والتجارب . انتفع بالمال الذي وصلت إليه يدك واحد الله على ذلك واعتقد أنك إذا رفعت أمرك إلى القضاء فأنك ستخسر الأربعمائة والخمسين ريالاً وستخسر خصوصتك مثل هذا القدر ثم لا يحل الخلاف بينكم . ألم تسمع المثل السائر : « إن كل إنسان قد خلقت أسنانه من اللع إلا للقاضي فإن أسنانه مخلوقة من السكر »

وبعد مناقشة مع البواب عزمت على أن أتبع نصيحته لأن رفع قضية ضد أبي ومعلمي سيزيد من شتمه أعدائي ويقلل من العطف عليّ وربما آل الأمر إلى أن يرحني الناس بالأحجار وليس من المنتظر بعد ذلك أن أكسب القضية وعزمت على أن أغادر أسفهان فلا أعود إلا إذا عدت إليها ذا سلطة ونفوذ فوافقتي البواب على فكرة الرحيل وشجعتني على تنفيذه . ولم أكن أعرف في ذلك الوقت أن الرجل كان ذا غرض من نصيحته لأن له ابناً حلاقاً اشتغل بعد سفره من المدينة مساعداً لأبي في مكاني . وكان هذا البواب يريد أن أخرج ليشتغل بدلاً مني في حاوت أبي . واقترح عليّ أن أبيع الحانوت بكل ما فيه فوافقتني على ذلك وبعت الحانوت . أما منزل أبي فلم أرد بيعه . وبالرغم من شدة تأثر من المصائب التي سبكتني أي مقي قد عزمت على تركه لها بكل ما فيه من الآثام

وكان الثمن الذي قبضته من البواب هو خمسة قرش فارسي فبليت جملة ما بي مائة طومان وعشرة طومان

الآية وسافراً الآن قسماً وأذهب وفي الصباح سأتى وتأتون جميعاً فإن وجدنا في هذا الركن في مكان المال الذي وجدناه اليوم بقية الأموال التي تركها كريلاني حسن فإن وراثته سيقتسمونها بالعدل كما أمر الله في كتابه وإلا فإن خادم الآية سيساعدني على إظهار السارق وعلى إقامة الأدلة القاطعة ضده » وفي هذا الحين ذهب النجم وتفرق المدعوون ليعودوا في الصباح

الفصل الحادي والخمسون

نتائج أعمال الدرويش

كان من نتائج الأعمال التي قام بها الدرويش أن حاست في نفسى شبهة مؤلفة ضد أبي وضد معلمي ولكنني كنت أشك في القول الذي أبداه النجم . وفي الصباح التالي جاء النجم ومعه تلميذه وعدد من الذين حضروا حفلة الأوس . ولم يأت معلمي وخرجت أبي من المنزل مدعية أنها مضطرة إلى ذلك لتزور بعض المرضى .

وقال النجم : « سري إن كانت الجن قد جاءت بالمال أم لا ؟ » وأخذ يخبرني في الأرض فأخرج منها كيساً مملوئاً بالذهب فسلمه إليّ وقال : « الحمد لله على وجود مالك ولا نفس إعطاني ما أستحقه »

واجتمع الناس حولي ليرؤوا ما بداخل الكيس الذي وجدته مخنوماً بالجمع الأجر بخاتم أبي وعدنا ما فيه فأذا هو خمسة ريال فدفعته إلى النجم منها خمسين وأقسمت أنني لو كنت غنياً لأعطيته أكثر من هذا

شكرني النجم وأبدى رضى وافتخاراً ولكنني لم أكن مسروراً لاعتقادي أن الذي حصلت عليه

رأيت أن أشتري له هدية تدل على أنني شاكر لفضله،
وفكرت في نوع الهدية فوجدت أليق ما يهدي إليه
سجادة صغيرة فارسية يقيم عليها الصلاة حين يأتيهم
به الصائرون ويجلس عليها في وسط تلايمذه
واشتريت هذه السجادة واستعددت للسفر،
ولكنني ذكرت أن نفقات الجنازة لم تدفع، وحديثي
نفسى بأن أحارب من المدينة دون أن أدفعها لئلا
ينلني وأى هذا الشرف، ولكن شعوري الجليل
تنقلب على هذه الفكرة فدفعت هذه النفقات قبل
أن أسافر وقلت إن هذا أليق بي ولكيلا أعرض
اسم أبي بمد اللوث للجنة اللاهوتيين

الفصل الثاني والخمسون

مامي بابا يصبر لأبنا رجل من رجال القانوره
ودعت أوى وأنا غير آسف على السفر ولم تظهر
مى يحوى أى شئ يدل على الشموذ بالأسف فقد
كانت تدبر خطة لاستقبلها كما دبرت خطة لاستقبل
وكان كلاً ما يرى أن البمد خير وسيلة
ركبت بنقلى عند ابتلاج الصباح وكنت أسير
مبتكلاً وأنا م في القرى التي أسرها، وفي اليوم التاسع
رأيت قبة الشهيد الفاطمي وبعد أن تركت بنقلى
بحرط الحيل في خان المدينة وذهبت إلى بيت أبي القاسم
وكان بابهُ مفتوحاً لكل طارق فخلت نمل وتركنه
عند باب الثرفة الأولى، وتركته بجانبه السجادة التي
اشتريتها ودخلت تلك الثرفة فوجدت في صدرها
أبا القاسم غيبته وجلست قرب الباب
وقد عرفني ساعة قرأتى ورحب بي وأدنى مجلسي
وسألني عن قصتي بمد ذهاني من مدينة قم وقال لي
إنه سهم بأمرى فشكرته وسردت عليه القصة
(٧)

خبات بعضها في ثيابي والبعض في سرج بنسلة
جديدة اشتريتها
وعزمت على أن أطلع عن حياة «صاحب شمشير»
(صاحب سيف) التي كنت أعيدها قبل أن أنكب
وأسافر إلى «قم» واخترت أن أقضى بقية حياتي
(صاحب قل)

وكنيت إلى هذا الهدى أعلق إلى جاني سيفاً وأضع
في حزامي مسدساً وخنجراً وألبس على رأسي غطاء
ضيقاً وأترك شمري منسدلاً حول رأسي إلى ما تحت
الأذنين فزمت على تغيير ذلك كله، وعلى أن أضع
في حزامي ملفاً من الأوراق وقلماً ودواة بدلاً من
الخنجر والمسدس، وعلى أن ألبس رأسي بشال من
الكشمير، وعلى أن أمتشي مطرق الرأس بخطوات
غير قوية ولا سريعة. وعزمت على أن أنكلم على
مهل وأن أظهر بمظهر الوفاق والحكمة وقتل في نفسي
إنني على قلة معرفتي أحسن للصمت في موضعه فإذا
ما لقيت رجلاً من العلماء سكنت واستفدت من
حديثه، وإذا لقيت جاهلاً كنت التكلّم المنطوق.
وقلت في نفسي إنني أعرف القراءة والكتابة وخطي
جميل فإذا كتبت نسخة من المصحف الشريف كان
ذلك شهادة لي بالعلم والمعرفة لا يمكن أن يدحضها
أى اتهام

وفكرت في الطريق الذي أسلكه عند خروجي
من المدينة فلم أجد خيراً من مدينة «قم» لأن
بها مميزات أبا القاسم وهو أحسن من أعتمد على
مساعده في هذا الهدى الجديد، وكان مقصدي أن
يوصى على أحد أصحابه من الكبراء فيتخذني كاتباً
أو تلميذاً له
ولما وصل في التفكير إلى ذكر أبي القاسم

ولما رأيت أن تنكرى تام وأن أهل المدينة لن يعرفوني مشيت في أسواقها مطمئناً فلم أجد أحداً يعرفني وسألت عن بيت الملا فسهل علي الاستدلال عليه لأنه رجل مشهور . وما كنت أن أسأل إلى هذا الزل حتى غدت فتذكرت أننا في آخر النهار وأن الأليق أن ألام هذه الليلة في خان وأذهب إليه في الصباح . وقد كنت حربصاً على اتباع ما تقضى به اللياقة في مماملة هذا الرجل لأنال عنده الخطوة في حياتي القليلة

وذهبت إلى الخان فاسترحمت من وعاء السفر . وفي الصباح دخلت الحمام ومسحت ثيابي وصبت لحييتي ويدي وقدي جرباً على عوائد الفارسيين ، وذهبت إلى الملا وأنا أقول إنني من كان مظهره كطهرى في هذا اليوم فهو جدير بأن تقضى حوائجه . وكان بيت الملا واقعاً بين المسجد وبين سوق الجمال في طريق قريب من القصر الملكي . وكان شكل المنزل من الخارج دالاً على الحفارة ولكن حديقته الصغيرة كانت منسقة تنسيقاً حسناً . ولما دخلت المنزل وجدته نظيفاً ورأيت غرفة الانتظار مفروشة بأثاث لا يدل على الفروة ولكنه لا يدل على الفقر وفيه رجل حسبه الملا ولكنني عرفت بعد قليل أنه واحد من أتباعه

حيثه وجلست ولم أكن قد عرفته ولكنني عرفت على أن أشترك معه في الحديث ليمر أنني أكبر من خادم وحاول هذا التابع أن يعرف أسمى فأنتى على أسئلة كثيرة غريبة ، قال :

« يظهر أنك وصلت قريباً إلى طهران »

« نعم »

« يظهر أنك تريد الإقامة هنا »

وشرحت له ما أجده في نفسي من الميل إلى الدين ورجاله وأنى أننى أن أكون في المستقبل واحداً منهم ففكر لحظة ثم قال : « لقد تسلمت في صباح اليوم خطاباً من « ملا » (عالم) في طهران يطلب إلى فيه أن أبحث له عن كاتب يكون لديه استعداد ليصير عالم « ملا » في المستقبل وأخبرني أن هذا الرجل هو « الملا نادان » تخفى قلبي عند ما سمعت ذلك وقلت له إننى أحب أن يرسل معى خطاباً إليه ورجوته في ذلك فكتب خطاباً وطواه وسلمه إلى وقال : « اذهب بشر توأنا وسلم هذا الخطاب إلى الملا نادان وستجد عنده ما تريد »

تخفى قلبي وقبلت يد البرزا وطلبت إليه أن يتفضل على قبول هديتي وهي سجادة للصلاة وقلت إن سبب إهدائها إليه هو رغبتي في أن يذكرني بدموة صالحة بعد الصلاة، فدعاني وشكرني وقال لي : إنه لولا هذا السبب لتأثر من قبول الهدية لأنه لا ينتظر هدايا الناس . وأوصاني بأن أعمسك بالدين ظاهره وباطنه وأن أكره الصوفيين ، وقدمت له الهدية فأخذها مبهماً الشكر والدعاء وبلغ من تعجلى أمر السفر أننى لم أنتظر حتى أتمكن من زيارة أصدقائى في « قم » أو من زيارة المقبرة التى كنت لاجئاً إليها في أيام محنتى

ولما ذهبت إلى طهران تجنبت الباب الذى يستلزم دخولى منه المرور على قبر زينب . وصمدت من باب آخر . ووجدت الله إذ لم يعرفني الحرس الذين كانوا تحت رياستى عند ما كنت مساعداً لرئيس الجلادين وقلت في نفسي إنهم معذرون إذ لم يعرفوني لأن الهيئة العسكرية التى كنت عليها وأنا في ذلك المنصب غير الهيئة المتواضعة التى أظمرها الآن

— « لم يستقر رأيي إلى الآن »

فأطرق لحظة ثم قال : « إن إقامة الرء وحده متعبة حتى ولو كانت إلى أجل قصير فإذا كانت لك حاجة فاني أؤيدها »

فقلت : « زاد الله فشلك فان حاجتي عند الملا »
قال : « أخبرني بها فلا فرق بيننا وإذا شئت فاني أسهل عليك أمرها عنده . وعندنا كل ما تريد بكل نعم »

فقلت : « لاني لست تاجرآ »

قال : « أنا لم أكن تاجر ولكنك غريب عن هذه المدينة وقد تمكنت فيها عامآ أو شهرآ أو أسبوعآ فلدنيا كل ما تريد في هذه المدة »

فزادت دهشتي من اللغة التي يتكلم بها هذا الرجل ولم أفهم ما ينيه . وفي هذه اللحظة دخل « الملا نادان » . وكان هذا الملا في سن الأربعين وهو معتدل القامة وسمي الطامة حسن اللبس وعلى الرغم من أن قامته كانت أشبه بقامة رجال السيف منها بقامة رجال القلم فقد كان يوزعها الملازم المالية على الشجاعة . وكانت أجلى صفة تظهر على وجهه هي المكر

دوت منه وحييته وقدمت إليه خطاب أبي القاسم فأخذه وقرأه . ولكنه لم يقل حرفآ عما فيه ثم أخذ يسألني عن صحة مرسل الخطاب وعن أحواله فصرت أجيبه متظاهراً بأنني كنت وإياه على اتصال وثيق ثم أصرني بأن أجلس ورحب بي وقال : إنه يأسف لأنه لم يكرمني على المادة الإيرانية بتقديم غليونه لي وقال لم يبدخن وإيه يستنكر عادة التدخين ويرى لرجال الدين أن يتغفوا عن هذا النوع من الترف . وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن

شرب الخمر وإن التدخين ليس من المسكرات ولكنه قد يحدّر في بعض الأحيان فهو عنده في حكم الخمر الحزمة . ثم أخذ يتحدث عن نفسه وبيد فضائله حتى حدثت أن حياتي في هذا المنزل ستكون قاصرة على استماع الباهاء والفاخرة وأني لن أتم ما كنت أريد تملّحه من الدين .

الفصل الثالث والخمسون

الملا نادان له بريد خطّ للمصطفى على الأمرال
ولوسعار الناس

لما انصرف الشيخ الذي كان جالساً معنا في هذه الترفة أخرج الملا كتاب أبي القاسم من جيبه وأعاد قراءته وقال : إنه يحترم هذه التوصية وسألني عن مؤهلاني فأجبت بما أقتنه وأرضاه وقال لي : « لقد كنت أبحث عن رجل تتوافر فيه صفاتك فلم أتمكن من العثور عليه إلا الآن . وقد كان هذا الرجل الذي انصرف منذ لحظة يؤدي لي بعض الخدمات ولكنني أبحث عمن يرى مصالحى كأنها مصالحه وأريد من يأكل من الخبز صامتاً ولا يطعم أن ينال أكثر مما يستحق »

فقلت : للملا لاني بلوت الحياة ورأيت كثيرآ من الحوادث وإنه لم تمر بي حادثة أستفد منها وإنه سيجد مني خادماً مطيعاً وإني أريد أن أكون مسلماً كما ينبغي أن يكون للمسلم
قال الملا : « ما دام الأمر كذلك فمأكون نصيرك لأنه لا صفة أحب عندي من صحة الاسلام . وليس في الناس من يصلى أكثر مني مواظباً على صلاته وليس في ثيابي شيء من الحرير أو الذهب ولست أنام إلا وأنا متوضئ ولست

ولم يقاسمى مع أنى صاحب الرأى فى ذلك، ومن أجل ذلك رأيت أن أفضل مثله وأنا أحق منه بالإفتراد لأنى صاحب الاقتراح ولكنى أرى أيضا أن يكون ما أفضل سرًا وإلا استعان على بنفوزه لدى الشاه وفنائى من المدينة »

كنت أصنى إلى ما يقوله الملا وأسد فيه نظرى وأصوبه وأنا متعجب من فكرته . وقام بنفسى الشك فى أن يكون عمله هذا منطبقا على الشرع الذى يزعم أنه يحمله . وتمجبت أيضا من قول أبى للقاسم عن هذا الرجل إنه طيب . وبدا لى أن الوصف الصادق الوحيد الذى يستحق أن يوصف به هو الخبث الشديد . على أنى ظلت أطرى أفكاره .

واستمر يقول : « وعندى الآن ثلاث من النساء بمنزل صغير مجاور لهذا المنزل وأريد استخدامك فى البحث عن أزواج لمن ، فاذهب إلى كل خان بالمدينة ولا حظ للتجار وللثراء وتلطف فى عاداتهم عن الزواج وقل لهم إن شروطنا أخف من شروط الملا باشى ، وسأعطيك أجرا على ذلك بنسبة المبلغ الذى تحصل عليه . وسيتأتى يوم تكون فيه ملا مثلى وتتفرد أنت بهذا العمل وبكل ما فى منزلى من مال وأثاث لأنه لا وارت لى ، ومتى كان عندى ضيوف فاد فى منزلى واجب الخادم وإذا ما أنصرف الضيوف فاجلس معى كما يجلس الصديق إلى صديقه وسأعهد إليك ببعض أعمال كتابية »

لما فرغ الملا من كلامه ثم الصمت ليمر بماذا أجب ولا رأتى واجها أدرك مبلغ ترددى ففكر لى مهلة دقائق للتفكير . ولقد كنت أعتقد أن أكون فى حياتى الجديدة زاهداً فى خطام الدنيا ما كفا على

أدخن ولا أشرب التبيذ ولا ألعب الورق ولا لبة الشطرنج وأنا أكثر من الصيام ولم أقطع قط عن صلاة الجمعة »

وقد امتدحت كل هذه الصفات وتخلت بها أمامه فى الأيام التالية فسر منى حتى كاد سروره يبدل سروره بنفسه وقال لى إنه لم يتزوج وإن ذلك لا يبدى مكرومة لأن اللهى عليه السلام قد تزوج وإنه إنما امتنع عن الزواج ليتوافر لديه الوقت للمباداة واستناض عن سنة الزواج بمساعدة الآخرين على أن يتزوجوا

قلت : « أرجو ألا تترك أسرا من أمور الدين إلا علفته لئنى فى جمل بالدين كالكنفار والأترك »

فقال : « سأعملك كل شئ تريد أن تتمله . وأسر إليك أن الشاه وهوأتى الأتقياء شكاً إلى رئيس العلماء « ملا باشى » من فساد الأخلاق وسريان روح الفسوق والطمعان وكلفه أن يستأصل هذه الصفات ولكن (ملا باشى) رجل حمار لا يعرف شيئاً فطلب إلى أن أجييب الشاه عن أسباب الفساد السارى فى هذا الزمن وعن وسائل علاجه . وقد دلتى النظر إلى أمور الناس على أن من الميوب السائدة فى هذا العصر كثرة الطلاق فابكاد الرجل بقم مع زوجته طاماً أو عاين حتى يظلمها ورأيت من جهة أخرى كثرة الزنا والفسق فرأيت خير وسيلة هى أن أحصى المطلقات وأزوجهن للزنا والفساق وبذلك يستقيم الناس »

ولما أعجبت الملا باشى بهذا الرأى سر كل السرور وأمر باستئجار منازل صغيرة يسكن بها عدد عظيم من المطلقات، وصار يقدر زواجهن على كل خاطب ويأخذ على ذلك أجراً ، فكثرت أمواله

ولما رأيتني وضعت على أوجهي البراقع، فسلمت عليهن وأخبرتهن عن مهمتي وطلبت إليهن أن يرفسن البراقع حتى أراهن لأن مهمتي تستلزم ذلك. لحينني أحسن حماية وقلن لهن ياملن الخير على قدومي وأسرعته اثنتان منهن إلى رفع الثقب فرأيت خدوداً قدودعت للبياض والحجرة من عهد قدم ورأيت عظام الوجنت بارزة ورأيت عدداً من النضون والتجاعيد. أما الثالثة فانها لم ترفع ثقبها. قلت للسديتين: « ما شاء الله ! هذا الجمال جدير بأن يملك من زوجات «فرهد» نفسه . لا تطيلا النظر إلى حتى لا أفنتن . ما أجل هذه البيوت ! ما أحلى هذه الشفاه ! لكن لماذا لم ترفع هذه السيدة ثقبها ؟ - وأشارت إلى السيدة الثالثة - لعلها تراني غير جدير بأن أتمتع بشمس هذا الحسن » فقالت صاحبتها لها : « ما هذا الحياء ؟ افعل كما فعلنا وإلا أصبحت مضفة في أفواه الناس »

فرفست المرأة ثقبها . وما كان أشد ازعاجي ودهشني عند ما رأيت أنها زوجة ميرزا أحمد رئيس الأطباء

صحت قائلاً : « لا إله إلا الله ! ما هذا ؟ هل أنت بك الجبن إلى هذا المكان ؟ »

فقلت لي بلهجة التحسر اليأس : « نعم يا حاشي بابا ، إن القدر عجيب ولكنك أنت يا قاتل زوجي كيف أصبحت عالماً من العلماء ؟ »

قلت : « هل قتل زوجك إذن ؟ ولكن لماذا تكلميني بهذه الالهجة ولماذا ترميني أنني قتله ؟ لقد كان زوجك سيدي في وقت من الأوقات وأنا شديد الحزن على فقد

خبريني ماذا حدث له فاني أود في عالم من الجمالة »

الصلاة والموسم عاملاً مجدداً للدار الآخرة فوجدت الأمر على عكس ما كنت أعتقد فان كل طريقة خبرتها للارتفاق أعف عندي وأشرف من التي يدعوني إلى مساومتها واحترقت نفسي لاضطراري إلى قبول ما يرضه علي . لكنني مع ذلك قبلت للعمل معه وفقاً لشروطه وقال لي إنه سيمود إلى الكلام معي عن هذا الأمر في فرصة أخرى وإنه سيذهب الآن ليقابل شيخ العلماء ثم عاد إلى أسلوبه اللازم في المفاخرة فقال إنه يحترق بمظاهر الدنيا وإنه لذلك لا يستبقي بمنزلة من الخدم إلا ما تقضي به الضرورة وليس عنده بالتزل من الخدم غير طباطح وسائس ووصيف وبواب . وليس عنده من الزكائب غير حمار أبيض وقال لي إنه سيشتري بثلا في المستقبل القريب لأن ركوب البغال أدل على الوجاهة من ركوب الحمار . وقد انتهزت هذه الفرصة فأخبرته أن عندي بثلا لطيفاً وبسد أن تفاوضنا في ثمنه بته إليه وقال إنه سيستقي الحمار لركوبي فكان ذلك أول زيج ربحته من الالا

الفصل الرابع والخمسون

مامي بابا وسيطي في الزواج

أمرني الالابان أقدم نفسي إلى المطافعات اللواتي ينفق عليهن وأوصاني بدراسة صفاتهن حتى أستطيع التكلم معهن مع الرجال وأن أحمري منهن عن أعمارهن والبلدان التي ولدن فيها وعن مؤهلاتهن وبسد أن فلت ذلك ذهبت إلى السوق فاشترت ثوباً من ثياب العلماء « ملا »

وكان هؤلاء النساء جالسات على حصير ممزق وعن في ثياب رثة ولكنهن كن مولعات بالندخين .

ثم أخذت تبكي وأخذت أعزها من سوء حظها وأؤكد لها الوعد بأنى سأبحث لها عن زوج ملائم ...

قالت : أنت ترى أننى لا أزال جميلة وأن عهد شبابى لم ينقض . أنظر إلى عيني هل انطفأ وميض الحسن فيها ؟ أنظر إلى جبينى الناصع وإلى خصرى النحيل . فأخذت أحلق فيها كما أرادت ولكن بدلا من أن أرى شبابا وجمالا رأيت قبحا وتقو بها وعددت موافى هذا منها بمثابة انتقام إلهي لسوء معاملتها لزينب

ثم حدثنى السيدتان الأخريان عن تاريخ حياتهما فقالت إحداهما إنها زوجة سائق مات. وقالت الثانية إن زوجها كان جنديا فهرب خوفا من غضب الشاه وانضم إلى الروسين وإن القاضى أطلقها منه لهذا السبب. وقد حاولتا أيضا إقناعى بأنهما صغيرتان جميلتان فتظاهرت أننى مقتنع بذلك وقالت لى إحداهما : « تذكر أننى لم أبحار إلا ثمانية عشرة وتذكر حاجتى القرويين اللذين يظهران كأشهما حاجب واحد »

فوعدتها بأن أذكر. ثم خرجت من عندهن. فلما اجتمعت عزيت نفسى عن رؤية أوجههن اللطيفة بأن ضحكته ضحكة خالية .

الفصل الخامس والخمسون

ماضى بابا بزال محمد الجدير

بعد أن أدت هذا الجزء من واجباتى ذهبت إلى خان من أكثر خانات المدينة ازدحاماً لئلى أرى فيه رجلاً من الذين أبحث عنهم وفى أثناء الطريق وجدت زحماً عظيماً مقبلاً من جهة باب من أبواب المدينة . وسألت فقلت

قالت : « لماذا تدعى الجمل يا حاجى بابا ؟ ألا تعلم أنك السبب فى فرار زينب وأن فرارها كان سبباً فى غضب الشاه عليه وتفت لحيته وأن ذلك كان سبباً فى إلحاق الخزي به وأن خزيه أدى إلى موته حسرة » قلت : « ما هذه التهمة التى تهمنى بها ؟ لو كان زوجك مات بتخمة فهل كنت تهمين الفلاح الذى زرع الأرز بأنه قتل ؟ »

ثم طالت بيننا المناقشة وعادت المرأة فذكرت أن طول مناقشتها لى ليست فى مصالحتها وأنها فى حاجة إلى مرصاتى . وقد تبين لى بالرغم مما تبدى الآن من الحب زوجها الأول وحزنها عليه أنها كانت تكرهه أشد من الكراهية العادية وأنها حدث الله على موته

ولكى أعم الهزلة التى جئت من أجلها بدأت بأرملة الطبيب قسائلها عن مؤهلها الزوجية حتى إذا وجدت لها زوجاً استطعت أن أحدث معه عنها فقالت لى : « تعلم أننى كنت فى وقت من الأوقات من جواري للشاه ، وكان جلالته يفضلنى على زوجاته وعلى سائر الجوارى اللواتى كن يخفن منى وترتجف قلوبهن لدى ذكر اسمى . ولكن من الذى يأمن سولة الأقدار ؟ لقد كنت ممزوجة مكرمة فى القصر حتى شاء جلالته إكرام رئيس أطبائه فأهدانى إليه . ولا تسلم عما قاسيته من الآلام عند ما انتقلت إلى منزله وتغيرت أحوال الميشة أمانى تنفراً ما كنت أقدره . ولست أريد أن أعيد عليك قصة زينب فأنت تمرقها . ولكننى حاولت أن أستر عطف الشاه بعد ما مات زوجى فوجدت أذنيه مسدودتين واضطرت بسد المز والرقابة وإطمان البال إلي البحث عن زوج آخر »

على هذه الحال فوطن النفس على أن يقضى بقية العمر كأنه جل من الجبال التي رعاها . ثم ظهر سنى من التركانيين آمن به كل هؤلاء السذج لأبدانه أوروباً عجيبه بهرت عقولهم بالبساطة فتسلط عليهم وقوى نفوذهم . وكان هذا الشعوز كثير الصلاح أو متظاهراً بكرة الصلاح فمرض عليه عثمان أغا نفسه وأقمنه بأنه سنى وأنه من نسل الأشراف فأمر بإطلاق سراحه

وذهب عثمان إلى بخارى ، ولمرفته السابقة بالتجارة استطاع أن يجمع ثروة في مدة غير طويلة ، واشترى بضائع من بخارى وجاء بها إلى إيران فباعها وهو الآن في طريقه إلى الآستانة ليبيع بها بضائع من بخارى وسمرقند وقارس ، وفي عزمه أن يذهب إلى الآستانة فيبتدأ وهي بلدته الأصلية

وأخبرني أن مدة إقامته في طهران قد تمتد إلى الربيع لكي يسافر منها مع القافلة ولكي يرفه عن نفسه في هذه العاصمة بمدة أن عاجل حياة المشغولة في أسر التركان ، ولما وجدت ميله إلى الترفيه عن نفسه كما يقول وكنت أعلم من مآثره السابقة شدة ميله إلى النساء اقتربت عليه أُنثى بتزوج إحدى المطلقات اللواتي أبحت لهن عن الزواج . ولقد كان موفقاً بديماً وأنا أسى في أن أزوج أرملة سيدي التنوفي من سيدي الذي لا يزال على قيد الحياة ، وإنما اخترت تلك الزوجة لعميان أغا لأنها أضعف المطلقات الثلاث جسداً ولقد وصفناها له فأجابه الوصف وقبل الصفقة اعتماداً على قولي

ذهبت بعد ذلك لأبشر الملا نادان بنجاحي وقصصت عليه قصتي مع هذا الصديق في الأسر فأسنى إليها بإهتمام . وقال لي إنني سأكون وكيل

أن قافلة جاءت اليوم من مدينة مشهد حيث كان يقام مولد الامام علي الرضا ، فأخذت أنظر إلى وجه كل رجل من القادمين وأنفوس فيه لعله يكون من يبقني أو لعل أجد بعض الأصدقاء الذين عرفتهم في تلك المدينة ، وإن كان عمدي بها طويلاً فإن ذا كرتي القوية تهي كل وجه رأيته فيها . ولما كدت أياس من رؤية صديقي رأيت رجلاً ذا أنف خلق خلقة خاصة وظهر منحني يشبه الحديبة فتعلقت نظراتي به وقلت في نفسي هذا رجل أعرفه . وكان يشبه عثمان أغا الذي أخذ مني في أسر التركان ، ولكن عثمان يجب أن يكون قد مات فمن عسى أن يكون هذا ؟ أما أن يكون غير ذي علاقة بثمان فذلك غير محتمل فإن لم يكن هو فأخوه أو شيطانه . ودنوت منه فرأيت على وجهه انقباضاً وزاد ذلك من شكى لأن الانقباض أظهر خلقه في صاحبي عثمان . ثم تكلم فصمت ذلك الصوت الذي ألفتته أذناي ، وقد كانت الجمللة التي نطق بها هي التي سمعتها ألف مرة وهي : « أرجو أن تخبرني عن سمر الجلود في الآستانة »

وكان هذا السؤال موجباً إلى تاجر معه ، فلم أنتظر جوابه بل قلت : « سيدي ! ألسنت عثمان أغا ؟ » ثم عرفتني بنفسى فلم يكذب بصدق أنني حاجي بالذي كان معه في الأسر

وبعد أن تناكرنا حوادث الماضي مدة ما أخذت كلانا يعني الآخر ، ثم روي لي ما حدث له بعد أن تركته وقال لي إنه لم يكن له عمل في أسر التركان غير رمي الجبال ، وإنه تملك هناك فلم يمد يده من الأسر ولا يفكر في النجاة ، وإنه لم يكن يتأمل إلا من أسره واحد هو عديم حصوله على التبع ومضت عليه سنوات

فلم أجد جواباً على سؤاله أليق من القول بأن زوجته كانت في وقت من الأوقات نواره القصر الملكي وأن الزواج قسمة ورزق

قال : « نعم قسمة ورزق ولكن هذا القول ياحاجي يبا يصلح جواباً على كل نكبة . ولست أؤمك على أنني تزوجت فهذه قسمة كما تقول وإنما أؤمك على أنك وصفتها بأنها صبية وهي عجوز . ولقد خشيت بعد أن سمعت هذا القول أن يطلقها ويطالبنا بما دفعه ولكن يظهر أن عقله غلب عليه فتذكر أن مثله - في مثل سنه - لا يستطيع أن يتزوج من صغيرة جميلة .

ونقل زوجته معه إلى الخان وظهر لي من قرائن متعددة أنه لم يكن مسروراً منها ومن بين هذه القرائن أنه دخل قبلها غرفته في ذلك الخان وقال لها إنها تستطيع أن تبقيه إذا شئت .

« ينبع » عبر اللطيف البشار

آلام فتر

للشاعر الفيلسوف جوناثان الويلز

مترجمة بلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة طالية تمتد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونعها ١٥ قرشاً

الزوجة، وعلى الزوج أن يستحضر وكيلاً عنه في عقد الزواج . وأمل على شروط الزواج . وطلب مبلغاً كبيراً من المال في مقابل وساطتنا هذه

ثم ذهبت إلى السيدة لأسمع منها كلمة القبول بتوكلي ولأبشرها بمبادرة هذا الزوج اللغوي . وقد كان سرورها شديداً عند ما أخبرتها وبدا الحسد على وجه صاحبتها . كما تبيئت على وجهها كل علامة الزهو لأنها عدت هذا التناجح السريع راجعاً إلى جمالها

وذهبت إلى عثمان أنا ولشد ما كانت دهشتي عند ما وجدته يطيب بالسلك وقد اغتسل وصبغ لحيته بلون أسود ويديه بالحناء الذهبية . وظللت إليه أن براقتني إلى بيت اللامئذان فثنى وهو يتكلم مشية جديدة . ولا شك في أن منظره في ذلك اليوم كان كمنظره قبل عشرة أعوام

وكان الخطر الذي يحول بفكرى ساعة انمقد مجلس الزواج هو ما سألقاه من الويل إذا لم تنجبه الزوجة . وتذكرت الخمسين « ووكات » التي كنت أخفيها من ماله في مدة الأمر وتذكرت كذلك سابق إحسانه إلى فاستكبرت أن أبتعد أنى أسأت إليه

وأخيراً تزوجا . وذهبت للتهنئة فقال لي : « لقد أفهمني ياحاجي يبا أن العروس صبية، فقتل لي كيف وجدت في جسمها مع حداثة سنها هذه النضون والنجاعة التي قلما وجد أكثر منها في جسم أي رجل من الرجال ؟ »



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشغول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك على سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

المؤسسة
دار الرسالة بشارع الجندول رقم ٣٤
مايدن - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للفصحى والتاريخ

نصدر مؤقفاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٤ المحرم سنة ١٣٥٧ - ١٥ مارس سنة ١٩٣٩

العدد ٥٢



فهرس العدد



صفحة	
٢٢٦	وحداية الحب ... أقصوصة مصرية ... بقلم الأستاذ دريني خشفة ...
٢٣٩	سدافة الحب ... للكاتب الفرنسي هنري بوردو ... بقلم الأستاذ ناجي الطنطاوي ...
٢٤٩	أكان يجب أن أخبرها ... عن الانجليزية ... بقلم الأستاذ عبد الحيد حمدي ...
٢٦٦	ساجي بابا أسلمهاني ... للكاتب الانجليزي « جيز مور » ... بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...

— أنت تبال في تقدير هذا
الكلاب يا فتاة
— لست أعالي ... ألا تترف
من بأنه حاكم بأمره ؟
— هو ذاك ... لكنه في
الوقت نفسه يجعل الانسان ...
أو يجعل القلب ... كالقراش ،
فهو يعطيه به على كل زهرة ، ويرف

وَحْدَانِيَّةُ الْحُبِّ
أَقْصَوْصَ مُصَرِّتِي
بِقَلَمِ الْأَسَاذِ فِي خَشَبَةِ

به في كل يستأن
— إن القراش يقلل ذلك من أجل سالحه ،
ولسنا ماديين في الحب يا صديقي !
— هذا هو غرور الانسان ...
— ليس غروراً ... فقد كرمتا الله خلقا جينا
من نور ... من كبرياء !
— وهذه فلسفة أيتها !
— ليست فلسفة ، بل هذا هو الواقع !
— كل هذا تقوله عاطفتك الشبوبة ، ولو حكمت
فيه عقلك لتبخر كله وحرقت حقيقة الحب وما هيته !
— يجب ألا تكون علاقة بين الحب والعقل ...
— إن العقل شيء قبيح جداً ... إنه يثقل كل شيء !
— إنه يشوه الجمال ويمسحه ...
— يجب أن نفهم أولاً هذه المسئلة : هل نحن
في الحب نشبه القراش أولاً فنشبهه !
— قلت لك إن القراش يتنقل من زهرة
إلى زهرة ليمتص الرحيق الحلو .
— والقلب : ألا يتنقل من حبيب إلى حبيب
إلى حبيب ليرشف الثور الحلو ، ويقطف القلب
من ورد الحدود ؟ !
— هذا هو النسق ، ليس هذا حباً ؟

— والله يا صديقي أنا لا أدري كيف يفهم الحياة
هذا الشاب ، إنه أكثر ما يكون سام غائر البينين ،
له نظرات عميقة ممثلة نافذة لست أعرف كيف
أفسرها ولا أدري كنهها
— هذه حال المحبين يا عزيزي ... ألا يحب
سبى ؟
— لا أظن أنه يحب كما نفهم نحن الحب
— ماذا تعني ؟
— أعني أنه لم يهب قلبه فتاة بينينا
— هذا لا يهم
— وكيف ؟
— قد يحب الانسان فتاتين وقد يحب ثلاثاً
وقد يحب أكثر من ذلك
— وماذا يكون هذا النوع من الحب ؟
— يكون مثل كل أنواع الحب !
— أكبر ظني أنه يكون حباً حيوانياً
— ولماذا يكون الحب المتعدد حيوانياً ؟
— لأن الحب كائن أرستقراطي مستبد ، لا يرى
أن يشركه شيء في سلوكه ، ولا أن يحكم منه أحد
في دولته ... إنه حاكم بأمره يا عزيزي ... إنه
دكتاتور ! إنه يقصر مسلط على جميع الثرائر يا عزيزي !

وأنتن جميعاً قد عَزَوْنَ فؤادك ... هذا بشرط أن تكون أنتن فتيان الشباب دفاق المم فوار الماطقة وأن تكون فتياتك غيباً أمام يد فوات سحر وخفة — إذن أنتن تخلق طروقاً خاصة تبرز جوهرها التمدد في الحب ...

— يا صديقي ، الحب استجابات للظروف التي تحيط بالقلب في فترة ما من الزمن .
— أراك قد أطلت في تحليل فلسفتك الجديدة ، ولست أدري ما علاقة ذلك كله بصبري وما يعرف من وجود وشروط ذهن !

— علاقة ذلك بصبري أنني أؤكد لك أنه يجب !
— وكيف وهو متزوج ؟
— أؤكد لك أنه يجب ولو أنه متزوج !
— إنه متزوج من الفتاة نفسها التي كان يهواها بل يبدعها !

— ليس يمنع هذا من أنه سبأ إلى غير زوجته !
— وكيف يصبو إلى غيرها وقد وهبها حياته وتفكيره وجهاده !

— في سؤالك عوداً إلى حديثنا السالف ... وصديقك سبى يؤدي وظيفة للفرش في رشف الرحيق من الأزهار ، وهو قد انتقل من روضة إلى روضة ، وأؤكد لك أنه سينتقل إلى أخرى ، وسيظل هذا حاله حتى يحمّد جسمه ، وتنطق جفوة شبابه ، ويقين إلى الحقيقة ...

— وأية حقيقة يا غالب !
— حقيقة الحياة !
— وما حقيقة الحياة بعد هذه الجولات التي يصورها لك خيالك في عوالم الحب ؟
— لا أستطيع أن أذكر لك ... ستعرف كل

— وما الحب إذن !
— الحب أن يغنى الحب في الحبيب ، أن يؤثر بكل شيء ... ألا يشاركه أحداً في قلبه !

— بل الحب الأثرة !
— وكيف يكون الحب أثرة ؟
— الأثرة : الأناية !
— ما سألتك عن معنى الأثرة لتقول إنها الأناية ... كيف يكون الحب أثرة ؟

— يكون الحب أثرة لأنه يجعلنا أنانيين ... فهو يجعلنا نتوهم أن الحبيب هولنا فقط وليس لأحد سوانا ، فإذا رأيناه ينظر إلى شيء أو يعيش مع شخص آخر ولو كان هذا الشخص من محاربه ، ثرنا وتولانا للفتن ، فإذا حدث أنه غاب عنا بعد ذلك تسلمنا الشكوك واقتربنا للغيرة وترادفت في رؤوسنا حينذاك كلمات كثيرة حفظناها من أنايتنا الربضة ... فمن ذلك كلمات الرقيب والمذول والمهجر والخصام ... وقد نذكر البكاء فنبكي ، والبموع فنسفع الدمع للفرز ، وقد لا تقوى على البكاء فنبكي سامحين مفكرين مشردين اللب عميق النظرات كما رأيت صديقك سبى ...

— وكيف يجب من تكون هذه حاله غير حبيبه ؟
— يجب غيره لأنه لا اختيار لأحد في توجيه قلبه ... عياناً تقمان على منظر حسن فتيان القلب وبرقص ويطرب ويشق إذا كان هذا المنظر فتاة حلوة ريانة ... هذا كل شيء !

— عجبا !
— أي عجب ! أنت أول من يكفر بالوحدانية في الحب إذا وانتك للفرسة للخلوة بأكثر من فتاة جميلة في يوم واحد فتراك قد ملت إليهن جميعاً ،

الألحان ، أو روضة من جنت رضوان
أما من ناحية الجنوب فكان المنزل مشرقاً على
الحقول الممتلئة بالحياة النبتة تحت رحمة الله ،
تؤتي أكلها في لين ويسر ، فتملأ الأهرام كما تملأ
الجيوب ، وتفيض على الناس خيرات وبركات
أما من ناحية الشمال ، فكانت تتدفق مياه
الترمة القديمة الخالدة تحت أشجار الجوز والقيق ،
وفي ظلال النخيل الباسق ، وكانت تحدث خبراً
ما كان أحلاه وما كان أشجاءه ، لأنه غناء الطبيعة
ونشيد الخلود

هنا كان يقم سبرى ... يبنى وينظم ويقرأ ،
ويتحد بالكون الرائع الهادي ، ويسري في الليالي
المفجرة نفحة جميلة ذات جرس في أجواز الفضاء ،
ويستيقظ مع الشمس ملاكاً ، يرف فوق عروش
الشفق ، ويتطرح في ظلال الدوح فيتأمل في قدرة
الله البلي ، ويألف قلبه من جمال ما صنعت يده ثم يقضي
أصائله مع مغرب الشمس متحنياً فوق عوده يستودعه
أسراره ويبوح له بمكنون قلبه ...

ما أجل الرفق المصري وما أحسن انسجامه !
هنا كل شيء فطري ، فلا مجازفات ولا مخاطرات ...
قناعة ونفس مرسله على سجيته ... فلماذا آثر سبرى
السافج القانع أن يذهب إلى القاهرة ؟! ما ذا في
القاهرة أجل مما هو هنا في تلك الشاحبة النظيرة
الرائدة ؟! إن القاهرة كالتول الذي لا يفتأ بكثرة
عن أنيابه يفترس السجيا ويطعن الجيلات ... إنها
مأوى الأيالة ومرتع الشياطين وملعب الجنة ، وإن
تكن أكثر بلدان الله مساجد وكنائس وبيعا ...
كل ما في القاهرة مصنوع .. ليس فيها شيء لم تتفق
على تطريته الأول والأول .. إنها حي من أحياء

شيء ، ولكن من سجل الحوادث ، فلم بنا تجسس
أخبار البطل ...

— أى بطل ؟

— البطل الذي تمارى فيه !

— سبرى ؟

— أجل ... سبرى ... سبرى

كان غالب أفتدى عبد الرؤوف صادق الفراسة
فما ذهب إليه من تحليل وجوه هذا الشاب العجيب ،
سبرى أفتدى عجيب . فلقد أحب سبرى زوجته
حبا جما قبل أن يصل أسبابها بأسبابه . ولقد كان
يهواها ويبسدها كما زعم فؤاد في حديثه الطويل
الجميل مع الأستاذ غالب . وكانت قصة غرامهما
درامة رائعة فياضة بالمسوح جارية العبرات ، فيها ألم
وفيهما عذاب ، وفيها من تباريح الحب ما غمر قلبهما
وصهرهما وطهرهما ، وفيها أقسام غليظة وعهود وثيقة
أن يكون أحدهما للأخر وألا يشارك أحد منهما
بصاحبه مادامت الأرض والسماء

وكان سبرى فتي جميل الهيا وافر الثروة أنيق
المهندم يحب الفناء ، مشغوقاً بالموسيقى ... وكانت
له شبيعة في شواحي الرقايق تأتي له بئلة عظيمة ،
وكان يحب منزله الرقي المشرف من ناحية للشرق
على حديقة متوسطة أقام فيها كرماً وارف للظلال
يقسمها أربعة أقسام تلتق عند عريش جميل كان
سبرى معجباً به ، فكان يجلس تحته يبنى أو يداعب
عوده ، أو ينظر أفاريد الصرية الصافية ثم يلحنها ،
أو يقرأ في ديوان ، أو ينلو قصة ، وشذا الورد
وعبق الأزهار ، والحديقة كلها ، بل الدنيا جميعاً
تتأرجح من حوله ، فتكون بين يديه لحنا من أعذب

تلك القلوب الرطبة بما حياها الله من رشاقة وخفة
وجمال

لم تكن سنية من هؤلاء الراقصات اللاتي يتجرن
بأجسامهن فيجعلن أماناً للنظرة والابسامة والكسامة
والجلسة والريئة بأطراف الأصابع ثم السهرة بما
يكون فيها من نصيب أوفى للشيطان ، فتكون القلبة
بشمن قدره كذا، والعنمة بسمرونة كيت، والرقصة
المارية المجردة بكذا من القروش المدودات ...

لا... لم تمارس سنية هذه التجارة للقدرة وإن
تكن بحكم الصنعة تمرقها ، وكانت على اعتماد
لمارسها لو لم يدخل صبرى افندى يجيب في حياتها
بقاة ، فكان دخوله فيها كالنور الذي يقطع الظلام
ويبدده ، ويحل البشر والابتناس محل التجهيم الذي
هو مصدر جميع الشرور

لقد كانت سنية تسيح في حفلة الرزازيق الساحرة
في فيض من ضوء البرققال في خفة ورشاقة وثقل ،
وكان جسمها الناضج الخصب العتل بالشهوات
يروح فوق المسرح ويحيى في حركات مضبوطة
متزنة ، وكانت نغزها المارية للنساء الناعمة تنقبض
وتسترسل وتلف كاللوب فوق قدم صغيرة حافية
لها أصابع دقيقة أنيقة وعقب جبل مستدير ، كان
عامل للنور الخبيث يسلط عليها ذوباً من الضوء
الأيض للناسع فيجعلها كزهرة الزئبق القضة
المنضوحة بخمرة للطل

وكان ذراعا سنية تستدقان عند الكفئين ،
وتلتفان عند الساعدين ، وتبرزان قليلا عند الكوعين ،
ثم تختلان عند المضد ، فكانتا بذلك أجل ذراعين
تقع عليهما عين شاعر وموسيق مثل صبرى ...
وكانت الفتاة تحمل إحداهما في رفق وهودة
فوق صدرها الناهد ، فتعطي ثدياً وتكشف آخر

جهم انتقل من سواء الجميع ليكون فتنة هذه الدنيا
والناس يتهاقون عليه لكثرة ما فيه من الثريات ..
اللاهب ... المراقص ... الساهر ... الحانات ...
دور القو ... فغاخ الشباب ... مصائد الفئات ...
المواخير ... أوه لهذه المواخير !

أحس صبرى ظمأ شديداً إلى القاهرة ، لقد
انتشرت الأبالسة تبحث عنه حتى وجدته يصل بريناً
ساذجاً في صومعة الريف ، ففتحت في قلبه الرغبة ..
ووسوست إليه بضرورة التنشير ... لقد ضحك عليه
وصرخت في صدره بأن الحياة التي يحياها حياة خاملة
متشابهة تحت النفس وترغم المواطف ، وتكبت
الروح ... والشباب الذي له مثل شباب صبرى
وقريمته ومزاجه لا يخلق به أن يحيا سجيناً هكذا
لا بد أن يؤدي رسالته في محيط شاسع واسع غتخلط
بتنير كل ساعة ولا يبق على سنة واحدة أكثر
من يوم ...

ما هذا الريف الساكن الساكن المهادي الصامت
الذي لا نحس له ركزاً ولا تكاد نسمع له همساً ؟
ما أبغض أصوات البقر والجواموس والحير والأوز
والبط والكلاب الريفية وقطاط القرية !

ما أبغض أسراب الدياب تحط على كل شيء
وتشمر كل شيء ، وما أقسى لعنت البموض !
هكذا ألحت الأبالسة على قاب صبرى ، وهكذا
بفضت إليه هذا الريف البار الذي لا يؤدي أحداً
ولا يلحق الضرر بأحد ، ثم حسنت إليه القاهرة
الساهرة المرييدة التي لا تكاد تنام ...

وهكذا اتوى صبرى أن يتبع الفتاة القاهرية
الرائدة التي رآها في الرزازيق ترقص في ليلة ساحرة
مع إحدى الفرق الجوالاة ، والتي استطاعت أن تسحر

لقد كانت سنية تقف في مفرق الطريق عند
ما ساق إليها القضاء صبرى ، وكانت موشكة أن
تتردى في الهاوية التي ابتلت الألوف من أشعابها ،
لولا أن أشرق في ليلاها هذا الكوكب الذى جذبها
إليه ليصنع منها قديسة !!

— بل الحياة فى الريف أجمل وأكثر بهجة ...
إنك واهمة يا أختاه ... إن حديثى ستسحر
بأزهار البرتقال والتارنج والخواخوش والشمش ...
وستطربين إلى دوى النحل ... لا تخافى ، فصعلنا
هادى ودبع لا يؤذى أحبابه ، لقد تقف النحلة على
يدى فتقبلها كأنها تعرف من أنا !!

— كل هذا جميل وساحر ، وأنا أحب الريف
كما لا يحبه أهله

— كما لا يحبه أهله ؟

— أجل ...

— وكيف يا سنية ؟

— إنهم من طول ما امتزجوا به يودون لو
تخلصوا منه

— وإلى أين يذهبون ؟

— إلى المدن الساحرة ... المدن الكذابة !

— إلى هذا الحد لا تحبين المدن !

— أنا لا أحب المدن لأنها ترهقنى

— وكيف ترهقك وكل من فيها سرعى هواك !

— هذا هو الذى يضجرنى ... إن الناس

يهاجوننى بشهواتهم وكل منهم يريدنى لنفسه وإلى

الآن لا أدرى لمن أكون

— لأحسبهم طيما !

— ليس قيم أحسن وأردأ ... كلهم أجناء

وهنا كان موضع فتيتها وسحرها ... وإيس يدرى
الخيال أى التدين أو فرقة وأ كبرصيا من الجاذبية:
ألكشوفة ، أم الخبيثة تحت السقف اللثري للنداء ؟
أما ابتسامات سنية ونظرات سنية فكانت خير
رأس مالها فى دولة الجلال . فلقد كانت تفر عن فم
حلو خلاب لم تعالجه إلا بقليل جداً من أحر الورود
فإذا تبسم بدت ثناياها المذاب الرطاب ، وتضاحك
خدماها فغازلا الأنواء الطامثة بالقبيل

أما عينها فكانتا نفاذتين أخاذتين ، لها شك
عجيب فى سويداء القلوب ... فإذا لم يسلم الرأى
بنفسه ، غرق منهما فى الجئين من السحر ، فلم يدر
نفسه قراراً ولم يفر بنجاة

هذه سنية ... هذه هي الفتاة التي شقت فؤاد
صبرى شقاً عميقاً فاستقرت فيه غير راحة ... هذه
هي الفتاة التي غيرت مجرى حياة الشاعر الهادى
لما كن لجلتها حرييدة ساخنة مضطربة كالثورة .
تطلب كل شئ ، وتشتنى كل شئ ، ولا تقنع بشئ ،
ولا تسكن إلى شئ

لقد كان صبرى ينكر الجمال المصرى حتى رأى
سنية فأمن به ، وعرف أن الخير موجود بوفرة فى
كنانة الله ، وأن الجمال المصنوع فى شركات السيما
هو زيف وبهرج لا يبدل الجمال الطلوع فى هذا
الوادى القديم القدس

ولقد كانت سنية تحفة من آيات النبل طبعت
على غرارها تحف كثيرة نادرة ، لكنها أو أسفاً تختفى
فى مباهات الفقر وهمل فى الأزقة والطرقات ،
ويندر أن يكتشفها قلب عاشق أو خيال فنان إلا
فى مرقص أو ملهى أو مأخور ، بعد أن تشوها
يد البيت ، أو تمزق عفافها يد المدنس ، أو يتخذها
الأغراض والشهوات ...

- أدم ، والخطيئة تجرى في أصلاهم بالوراثة
 — إنك تظنين بأناس الظنون يا سنية !
 — ليس هذا مجرد ظن يا عزيزي ... لقد
 درستهم وخبرت مكنوناتهم ... أبداً لن أنسى
 ما تمرغ الشيايب تحت قدي لأني لهم إحدى ثمراتي ،
 فلما كنت أستاذهم وأقترح عليهم سبيل الرحمن ،
 كانوا يمزقون ويفرون مني كأن طاعون !
 — وي ! !
 — هذا حق ... لقد كانوا يفرون حتى
 لا يصيبهم طاعوني ... لقد كانت شهوتهم تنطق
 فجأة عند ما أذكر لهم الزواج ...
 — ولماذا كانوا يرفضون ؟ !
 — كانوا يرفضون لأنني راقصة ... ومن حق
 الناس على الراقصة أن يتألوها بأيسر ثمن ... ليس
 للراقصة أن ترتفع إلى الأفق العلوي الذي يحيا فيه
 جميع الناس ... إنها مخلوق وضيق ، فكيف تحسب
 نفسها من ممدتهم !
 — هذه مبالغة يا سنية !
 — ليست مبالغة .. إن الناس يزدروننا ويزعمون
 أننا مجردنا من فضائلتنا حين اضطررنا للموئذ إلى هذه
 الحرفة ... وليت شمرى ماذا كنا نصنع ؟
 — لهذا قلت لك إن الريف جميل !
 — ماذا تعني ؟
 — أنت تفهمين كل ما أعني !
 — أنسى أن أزل عليك شيفرة ؟
 — حاشا لله يا سنية !
 — إذن فإذا تعني ؟
 — ألا تحسبن يا سنية أن كلامنا كان يقتد
 الآخر من عهد بعيد ؟
 — أخشى أن تكون حبيباً جديداً !
 — ليكن ما تظنين !
 — لكني لا أحب لك أن تكون في قاعة
 الآخرين !
 — لن أكون في قاعتهم إن شاء الله !
 — هذه إذن تكون تضحية محببة !
 — ولماذا تكون تضحية ؟
 — قبل أن أفسر لك ما أريد أود أن تصارحني !
 — وماذا أصارحك ؟
 — لماذا تريدني عندك في الريف !
 — لتكوني أجل زهرة في بستان !
 — خيال شاعر لا يستطيع أن يفهمي !
 — ليس ما أقول من خيال للشراء يا سنية ،
 ماذا تريدني أن أقول لك ؟
 — أنت تعرف ماذا ينبغي أن أقول ، ولكن ...
 لا تكن شاعراً أرجوك !
 — أنكره من الشعر ؟
 — أكره الشعر الذي يكذب به قائلوه على سامعيه !
 — وأي شعر تحبين إذن ؟
 — وأي شعر ترى أن يجب العذارى ؟
 — الشعر الذي تشبه الهموع !
 — قد يكون هذا كذب الشعر !
 — الشعر الذي يحس الإنسان حراره !
 — قد تكون الحرارة طبيعية في قلب الانسان
 فيتأثر بأي أنواع الشعر ويحسبه حاراً !
 — الشعر الصادق الحى إذن !
 — قد يكون الشعر صادقا حياً في حين يكون
 صاحبه لا صادقا ولا حياً
 — وكيف ؟ أليس الشعر هو الشاعر ؟

- ليس في كل الأحيان ، فقد يكون الشر
 صناعة ومع ذلك تكون فيه حرارة وصدق وحياة
 — فإذا كان شمرى حقاً ؟
 — أى ؟
 — أى أنه ليس صناعة يزجها اللسان
 وبزخرفها القلم ؟
 — إذن فلماذا تريد أن أكون عندك
 في الرفف ؟
 — لتكوني لي وحدي فقد أصبحت لا غناء
 لي عنك ولا حياة بدونك !
 — أهذا هو الشر غير المصنوع ؟
 — إى وحقق يا سنية !
 — لشد ما أنتم أنانيون يا عشاق !
 — لست أنانياً ... ولكن ...
 — ولكن ماذا ؟
 — لا أريد أن تقع عين عليك فتسنتع بجمالك
 بعد اليوم !
 — إغراق في الشر مرة أخرى !
 — لست متفرقاً في شر كما تظنين !
 — أنت تراوغني ، وأوعك أن أضيق بك كما
 ضقت بالآخرين !
 — ماذا الله أن أراوغك يا سنية ، أرفضين
 أن تكوني لي ؟
 — لست أرفض ولكن بأي سبيل ؟
 — بأي سبيل كيف ؟
 — هل تسألني ؟
 — لأنهم !
 — لأنك تراوغني كما كان يفعل الآخرون !
 — وماذا كانوا يفعلون ؟
- لقد ذكرت لك كل شيء .
 — آه ... فهمت !
 — فهمت ماذا ؟
 — لقد كانوا يريدون بعض غارك بأيسر عنى !
 — هو ذلك !
 — وتحسبن أنني أصنع كما كانوا يصنعون !
 — وماذا تصنع غير ذلك !
 — كلا يا عزيز ... يا حبيب ... كلا يا سنية !
 — لماذا ترتبك هكذا ؟ !
 — أرتبك لأنك ترفضين أن يكون كل
 ما أملك لك !
 — إذن فاسمها منى ... أنا أرفض أن يكون
 كل ما تملك لي .
 — ولماذا ؟ أليس اليمين مع شخص واحد
 خيراً منه مع كثيرين !
 — إذن أنت لم تفهمي ، ومن الخطر أن
 تركن إلى ...
 — من الخطر أن أركن إليك ؟ ولماذا ؟
 — لأنني راقصة .
 — وما في ذلك من الخطر على ؟
 — سأحطم حياتك ... سأجعل سماتك
 ألقاً ... لن ننظم بيتاً واحداً من الشر بعد أن
 أدخل منزلك الربيع ... لن تنق ... لن تشكو
 إلى حودك ... هل سمعت ؟ !
 — أنت واهمة يا سنية !
 — لست واهمة ، ولكنك الآن في فيض من
 عواطفك فلا تستطيع أن تفهم ... حق أنك سوف
 تكون أشقى الأشقياء إذا أوقيت في عشك الربيع
 الجليل ... فانا أنصحك ...

- تنصحيني بماذا ؟
 — بأن تبعد عني ما استطعت ، فأنا خطر عليك
 — أأرانا قد ابتعدنا كثيراً يا سنية ... لقد
 أسأت فهمي
 — كلا ، لقد فهمتك جيداً ... أألمت تريدني
 لك وحدك ؟
 — بلى ، أريدك لي وحدي ، فاق ذلك بما
 أألك ؟
 — لم يؤلمني شيء ، بل إنه قد سرني أن أفهمك
 كما فهمت الباقيين ، فلقد كان كل منهم يريدني له
 وحده ... مثلك تماماً !
 — لكنك ذكرت أنهم كانوا يهربون منك !
 — كانوا يهربون مني كما يحاول أن تهرب أنت
 الآن !
 — وكيف أحارب منك وأنا أحاول أن أدنو
 منك أكثر من كل لحظة دنوت فيها منك ؟
 — إذن أجب بما أسألك دون أن تلتوي هكذا :
 كيف تريدني أن يضمني منزلك الرقيق إذا رحلت
 معك إليه ؟ أأكون فيه حبيبة ؟
 — تكونين فيه أمن من حبيبة ؟
 — أأكون ماذا إذن ؟
 — تكونين مالكة متصرفة !
 — أي أنك تنزل لي عن بيتك ؟
 — ولم لا أفضل ؟
 — بمقد مسجل ؟
 — بأية طريقة تحبين !
 — وماذا أملكه لأتفق على هذا البيت ؟
 — ضيعة واسعة !
 — تكون لي ؟
 — تكون لك تتصرفين فيها كما تشائين !
 — ثم يكون بيتنا بعد ذلك ما أسأله أن يكون
 بين كل امرأة يتصل بها رجل ؟
 — ... ؟ ...
 — لماذا لا تحبب إذن ؟
 — ... ؟ ...
 — ألم أقل لك إنك لا تفضل أحداً من أبناء
 آدم !!
 — إنك تربكيني يا سنية !
 — ولماذا أربكك ؟ ألاأنتي طلبت منك ما يطلب
 الله من الرجال للنساء ؟
 — أنا لا أمانع فيما تطلبين ...
 — إذن لقد اتفقتنا
 — ولكن لي شرط
 — وما ذلك إذن ؟
 — أن تكفني بخطاب أكتبه إليك !
 — وشاهدين !
 — لك هذا ...
 — وما يخيفك من الطريق الذي يسلكه جميع
 الناس !
 — ليس يخيفني شيء !
 — عجيب أمرك والله ! إذن تسلكه نحن أيضاً
 ما دام لاضير عليك فيه !
 — لكن ...
 — لكن ماذا ؟
 — لا شيء !
 — بل أنت تخشى أشياء كثيرة ؟
 — أشياء كثيرة مثل ماذا ؟
 — حتى ما تخشى منه تريد أن أقوله لك !
 (٢)

أرأيت إلى هذا الحوار الطويل ؟! أرأيت كيف كان اللقي صبرى مثل كل الناس فى مفاصلة هذه الراقصة للبريئة ؟ لقد أرادها كأرادها غيره ، فلما استمعت عليه بهذه الوسيلة عرض وسيلة أخرى... لقد أراد أن يقتصها بالمال ، لكنها أبى وصارحته أنها ترفضه ، فلم يجد بداً من أن يتقاد لها كما تريد ؛ وهو بذلك قد مسخ حبه وضيق جماله وشوه الماطفة الكريمة التى سرت بين قلبه وقلب سنية ، ولو أنه كان قد أجاب سنية بحبيته ولبي نداءها دون هذه المراقيل التى أقامها بينهما لكان أسعد حالاً مما انتهى إليه أمره

على كل حال لقد تزوجها وذهب بها إلى منزله الرينى الجميل ، ولقد سعد بها سعادة كانت متتهى أحلامه ...

وكانت سنية تنشئ هذه الحياة الزوجية المأدبة البعيدة من المراقص والملاعب والحانات ودور اللهو ؛ ولم تكن مثل كل الراقصات تطرب لكلمات اللثام للكاذب التى يشرها العشاق حول أذنيها كي يخدعوها ... لقد كانت تعرف الباعث على هذه الكلمات ، فكانت ترددها فى صميمها ، وتحقر أصحابها ، وإن لم تبد لهم مكون نفسها ، فكانت تجزهم بالتسامية فائرة لا تنال فيها ، ثم تحصى فى سبيلها تاركة فى كل قلب لوعة وفى كل نفس حسرات ؛ وكانت لذلك تصلى لله أن يرزقها هذه الحياة الطيبة الوادعة ، وأن ينقذها من الليون الجمامة ، والنفوس المائمة ، والشهوات الوضيعة التى تنطق بالدرام فى البؤر والمواخير .. فلما فازت بها هدأت وأطمانت ونسيت لصبرى هذا الالتواء الذى كان يضمه بينه وبينها أول الأمر ، ثم طاعتت نفسها لتجعلن بيته جنة ، ولتغلاؤه غناءً والحانات

— لا وحك ، ولكن قولى لي ...
— هذا أمر يسير جداً ... أنت تحشى أن يعرف الناس أنك قد تزوجت راقصة ؟ أليس كذلك ؟
— ما هذا الذى تقولين يا سنية ؟
— بل هذا هو الذى يخيفك ... وأنا كذلك أرفضك !

— هذه قسوة شديدة لا أحتملها !
— قلبك ليس شجاعاً ، فهو لا يحتمل كثيراً
— سأبرهن لك أنك فهمتى خطأ
— وكيف تبرهن على ذلك ؟
— سأطلب يدك إلى أليك !

— أبى !
— أجل !
— وهل تعرف أبى ؟
— أسأل عنه !
— تسأل من ؟
— أسألك أنت
— خير لك أن تسأل غيرى فقد أ كذبك !
— لا تستطيعين !
— ولماذا لا أستطيع !
— لأن من كان له مثل لسانك لا يكذب !
— إذن ...
— إذن ماذا ؟
— لقد مات أبى !
— فأتى يتيمة إذن ؟
— أجل ، ولذلك نشأت راقصة
— إذن هلمى ...
— إلى أين ؟
— إلى القاضى ...

ومن زوجته ، وقد علم الناس أنها كانت راقصة ، وقد تحدثوا بذلك طويلا ، وتحدث به أصدقاء صبرى وفي مقدمتهم غالب أفندي عبد الرؤوف صديقه الآخر ، ولا شك في أن صديقه الآخر هو الذى أذاع هذا الخبر وإن يكن قد أذاعه مثنيا مادحا لا ذاما ولا قاذفا .. لكن النية معروفة على كل حال .. لقد أراد غالب أفندي أن يقول للناس إن صبرى أفندي نجيب صاحب هذا المنزل الجميل المنزل متزوج راقصة ، وسيفهم الناس أن كلمة متزوج هذه كلمة (مجهوزة) فهم يقولونها ويريدون أن يقولوا إنه يؤوى في بيته راقصة ... والناس في الريف وفي المدن الصغيرة لا هم لهم إلا التحدث في شئون غيرهم الخاصة ، يساعد على ذلك فراغهم الكثير وعدم اتصال أشغالهم ... والانسان متكلم شغشاق بطبعه ، لا يستطيع أن يحزن لسانه إلا على قلق ، وهو إذا لقي إنسانا آخر جيل يفكر في ألف حديث يقوم بينه وبينه ، فإذا ضاقت به الأحاديث أرسل أى حديث والسلام ... فإي يال أن يكون هذا الحديث غيبة وهو عادة لا يقصد النية ، إنما هو يقع فيها وهو لا يدري ؛ ومن الناس من يقع في النية وهو متمدد لأن كثرة وقوعه فيها غير عائد قد مهد لوقوعه فيها عادداً ، فهو يلقى الحادث الصغير فإي يال أن يحوكمه الأطراف ، وينمز له بالعين والأنف وسائر أجزاء الوجه حتى تستقر في روع السامع منه أشياء ليست من الحق ، وليس فيها من الحق شيء ...

هكذا يعيش الناس في الريف وفي كثير من المدن الصغيرة ... وقد سمع صبرى حديث الشايعين فأحس لساعته أن سحابة تنسقد في سماء سمادة ،

ومضت شهور والالف مطمئن إلى إلهه ، سعيد به سمادة لا تشوبها شائبة ، ولا يكدرها مكدر ثم جلس صبرى مرة في ظل شجرة عارشة فوق دواره فسمع شايعين يتناحيان خلف الجدار فيقول أحدهما والآخر بميمه :

— كلا يا سيدى ... لقد جاء بها من مصر .. وكل الناس يقولون إنها راقصة !

— يا شيخ اتق الله صبرى بك يتزوج راقصة ؟

— والله لقد سمعت هذا من فم لا يكذب

— ومن سمعته يا صادق ؟

— من أعز أصدقاء صبرى بك ... من

غالب أفندي عبد الرؤوف

— وما دخل غالب أفندي عبد الرؤوف في أن يتزوج صبرى بك راقصة أو غير راقصة ... الرجل

حر ، وهو الذى اختار لنفسه ، ورب راقصة خير

من نساء قرينتنا جيماً !

— مهما يكن الأمر فغالب أفندي يقول إن

صبرى بك سعيد جداً بزوجه وهى خير له من أى

زوجة أخرى .

— ولماذا ؟ لماذا يقول غالب أفندي هذا الكلام !

— قلت لك إن غالب أفندي لم يخطئ في حق

صديقه ...

— مجرد ذكر الزوجة التى لا شأن لأحد بها

خطأ يا صدى ، هكذا غلبنا هذا الريف الذى نميش فيه !

— هذه مثالا يراغب .. الحمد لله غالب أفندي

رجل يحب صبرى بك ويخلص له ، وقد مدح زوجته

مدحا طيبا وأثنى عليها ثناء صادقا .

إذن فقد كان الناس يتحدثون عن صبرى أفندي

- وأن كاسامرة المذاق ترتفع إلى شفثيه ، وينسكب
منها شيء في فـه
وانقلب صبرى إلى منزله مفكراً مقطب الجبين
ساحراً ، فلما لقيته سنية لم تبال عيوسه وتغلبيه ،
بل راحت تلف ذراعها حول عنقه ، وتسلط عينها
الرائضين في عينييه السادرين ، ثم تغمز فـه الرئيف
بالقبل ...
بيد أن قبلها لم تسحره هذه المرة ، وظل صبرى
فاتراً كالذى سرى في كيانه م ، أو فاجأته نازلة ...
فقات له وقال لها :
- ماذا ؟ هل ضاع كيس تقودك ؟
— لا ... أبداً ...
— هل خطف طفل طربوشك ؟
— ما هو ذا طربوشى
— هل حذفتك فلاحه بقتاة ؟
— ... ؟ ...
— مالك مقطباً هكذا ؟ ماذا حدث إذن ؟
— لا شيء ...
— أمريض أنت ؟ أحس تبكاً في رأسك ؟
— قليلاً
— إذن خذ هذا القرص المسكن
ثم أذابت له القرص في قليل من الماء ومدت
إليه الكوب بيدها الثلاثة الزائفة فتناوله وشرب ،
ثم تطرح على السرير أمام سنية
— أين كنت يا صبرى ؟
— كنت في العوار
— هل لقيت أحداً غم ؟
— ما لقيت أحداً اليوم
— هل سمعت كلاماً ؟
- ما دمت لم ألق أحداً فكيف أسمع كلاماً ؟
— أوه ! صحيح ... أنا غبية
— عفواً ...
— هل أغنى لك ؟
— أ كرون سيداً لو فلت
— وعليك أن تأخذ المود يا عزيزى
— لا أقدر
— إذن أفوم بالقضاء والموسيقى مما ... هل
تقترح شمرأ فاغنيه ؟
— ليس في رأسى كلمة واحدة فأقولها
— وأختار أنا مقطوعة من كلامك
ثم تناولت سنية عود زوجها فرجعت بصوتها
عليه ، فإ راعها إلا أن ترى دمة تنال عين صبرى
ثم تنطلق على خذه حارة ساخنة ، فألقت بالمود ناحية
وقالت له :
- ماذا ؟ أنت تبكى ؟
— لا ... أبداً
— وما هذه الدموع إذن ؟
— إنها نتيجة ما برأسى من ألم الصداع
— لا ... لقد سمعنا تقول شيئاً !
— الدموع تنكلم ؟ هذا هو الشعر الذى كنت
نميينى به
— وهذا هو الشعر الصادق الذى لم تستطع
أن تضرب فى عليه مثلاً !
— غنى غنى
— لن أغنى حتى تذكر لى ما يبكيك
— عجيب والله ! أغنى أنا !
ثم تناول المود فأمر أنامله على أوتاره فذهبت
غلاً للفرقة رنيناً وأبينا ... وغنى غناء موحجاً باكياً
فقات له سنية :

— لقد ضحكت عليه بنت من بنات مصر ورعيا
ذهب ليترجها !

— ومن قال لك هذا ؟

— البلد كلها تقول ذلك !

— كل البلد ؟

— كل البلد ... بلدا لا تخفى عليها خافية ولا
ينام فيها بيت قبل أن يعلم أخبار جميع البيوت !
— هذا عجيب ... لكن صبرى لم يخبرني بشيء

من ذلك !

— وهل قال لأحد إنه سيتزوجك قبل أن

يقول ؟

— وماذا يقول للناس عني يا ترى ؟

— كل خير ... كل خير يا أختاه

وجاءت القهوة فرشفت سنية رشفة ونهضت
مودعة شاكرة ، ثم انطلقت إلى منزلها وبها من
الهم والقلق أضما ما كان يقيم صبرى ويقدمه منها
ترى أين ذهب صبرى ؟ الحقيقة ذهب ليترج ؟
ولم لا يكون هذا وقد لبث هذا الشهر واجما ساهما
حتى لحظ الكل ذلك ، وحتى لحظه غالب نفسه
ودليل هذا ذلك الحديث الطويل عن الحب والمحبين
بينه وبين فؤاد !!

لقد واهن غالب سديقه فؤاد على هذا ... لقد
راهنه على أن يخيه لهذه الزوجة اراقصة لن يطول
أمد ، لأنه حب طارىء دخل قلبه من فوق المسرح
وتحت قبض من الأشياء ، وبين تنفى الأذرع وتلوى
الأفخاذ ، وهز الورك وتكور الأداء ... ثم إرسال
الابتسامات المتنوعة التى تزيد فى جاذبية الرقص
وإغلاء البضاعة ...

هكذا زهر غالب ، وهكذا حكم على وحدانية

— هذا الفتاة ترجان دموعك ... ألا تذكر

لى يا صبرى لماذا كنت تبكى ؟

— لم أكن أبكى ، وما كذبتك يا سنية !

وقترت بهجة النزل بعد ذاك ، ثم مضى شهر
وصبرى لا يروح لزوجته بشيء مما يؤله ... ثم
أصبحت فلم تجده معها ... فبحثت عنه فلم تثر عليه
بالقرية ...

هنا ... قام طائف من الشك فى قلب الفتاة ...

فقد غربت الشمس وصبرى لما يد إلى منزله ...

أين ذهب يا ترى ؟

وخطر لها أن تقصد إلى منزل غالب أفندى
عبد الرؤوف لتسأل من بلها ... لكنها لم تجد الرجل
نمة ، ولقيتها زوجة غالب أفندى فأكرمت لقاءها ،
وكان الأستاذ غالب يتحدث إلى زوجته يدافع
الفضول الرقيق عن صبرى أفندى وعن زوجة
صبرى أفندى ، فلما عرفت ربة الحمار فم أقبلت سنية
وكان الرجل والقلق يادين على وجهها حررت أنها
ثاقلة على صبرى وعلى الزمان الذى ربط حبالها بحباله
فقالت :

— لا لأدرى يا أختاه ماذا سرك من أمر هذا

الرجل حتى رضيته زوجا لك ؟

وهنا عرفت سنية كيف تستغل سذاجة هذه
الرقيقة فلدت لها فى الحديث ثاقلة :

— هذا نصيبى يا سيدتى !

— مسكينة ، إن صبرى رجل غنى وهو لهذا

لا عمله إلا ضرب اللود والفتاة والبفر بين مصر

والزقاقين ... ألم تعلمى الخبر الجديد ؟

— أى خبر ؟

عظمة كاسفة ، فلما رأت الفتاة الجليّة الرائمة إلى جانبه ، ذهلت ، وسكنت برهة ثم قالت له : « أهذه هي ؟ ! » فقال سبرى : « هذه من ؟ » فسالت دمة ساخنة على خد زوجته وقالت : « زوجتك الجديدة » فأسرع سبرى إلى زوجته فأخذها في ذراعيه مداعباً وقال : « أجل ياسنية ! هذه أبنة أخى يا أمز الناس على . هلى هلى .. أعدى الحقايب فلن نميش هنا بعدا » وكأنا أفاقت سنية من حلم ، فنظرت إلى زوجها وقالت له :

- لن نميش هنا ؟
- أجل ... ولا يوماً واحداً
- هذا عال !
- بل هذا واجب ... لقد استأجرت منزلاً جيلاً في الزمالك ...
- ولماذا يا ...
- لأنى لا أريد أن أحرم من الجنة التى ما دخلتها إلا ملك !
- ما ذا تقول يا سبرى ؟
- ألا تفهمين ؟ إنك كثر عظيم ياسنية ولن يضيع كثرى من يدى .
- ولماذا نهجر الريف ... إلى أحبه ...
- أما أنا فلقد ضقت به

وعاشا في الزمالك الساحرة طبعين كاملين ... لكن سنية علمت زوجها كيف لا يكثر الناس ... وما زالت تلح عليه في العود إلى الريف حتى رضى كارهاً ... ووقف ابنيها كامل الجليل في حديقة العنب مأخوفاً بسحر الريف وهو يهتف بوالده ويقول :

« بابا ... حلوة يا بابا ! ! »

سبرى ضحكت

الحب بالفساد ، فيارى : أن ذهب سبرى ! لقد ظل شهراً بانه عابداً متجهماً لا يتنشط ولا يفرج عن نفسه وعن أهل منزله ... وكان يصنى إلى غناء سنية في فتور وتكلف ، ولم يكن يبادلها هذا الانشراح الذى كان طبيعة فيه ... فأن مضى يارى ؟

ومكنت سنية أياماً ثلاثة وهى لا تدرى أين مضى ولا أين يحيى . ولا أين تلقاه فتنهض من نورها لتضى إليه .

وكانت كالذى ينتظر الحكم عليه من قاضيه ، فلم تكن تذوق الكرى طوال هذه الأيام الثلاثة ... بل كانت تفكر أنكاراً سوداً كقطع الليل ... ومعت بالانتصار مرثاً ، لكنها لم تؤثر أن تموت قبل أن تعرف

إنها لم تحظى قط في هذا المنزل ... بل بالعكس لقد صيرته جنة وارفة الظلال ، وحاطته بالطهر ، لأنها عاشت حياتها بقية طاهرة ... لقد ملأه غناء وموسيقى وبهجة ... لقد مثلت دور الأنثى كما تمثله حور الجنان ... ماذا كان يطلب منها سبرى غير هذا ؟

ووقف فطار الصباح في محطة القرية ونزل منه سبرى ومعه فتاة فاهد هيفاء بمشوقة اللد ، بفيض بردها شاباً ، وبهتر جسمها الزيان خصباً ... ولقبه غالب لحياه ثم سلم عليه مصافحاً ، وهتف به بالفرنسية قائلا : « عسى أن تكون قد وقفت هذه المرة يا سبرى ! » فتبسم سبرى ابتسامة مريرة وقال لصاحبه : « إن شاء الله ... لقد وقفت يا صاحبي ! » وكانت هذه آخر كلمة وجهها سبرى إلى غالب مدى الحياة !

وذهب الثقي إلى منزله فلقبته سنية موهونة

وخلاصة ما ذكرناه أن رجلا يدعى
بيير فالري، وكان مستخدماً لدى
شركة البترول، نزل من القطار
الذي يخرج من محطة سان لازار
في الساعة ٢٠ والدقيقة ٢ قاصداً
بوا كولومب التي يصلها في الساعة
٢٠ والدقيقة ١١، وقصد في الحال

مدير المحطة وأخبره أن في عربة القطار التي كان
فيها، رجلاً قتل نفسه أمامه برصاصة وجهها إلى قلبه،
وكان الرجلان وحيدان لأنك لهما، ولم يسمع من
في العربات المجاورة شيئاً.

وبدا مدير المحطة أن إيضاحات هذا الشاهد
الوحيد مختلفة، ووافقه في اجتياحه هذا الشرطي
الذي دعاه في الحال، فقرر إبقائه وحجزه، بعد
أخذ اسمه وعنوانه.

كانت سمعة بيير فالري حسنة في بوا كولومب،
وكان معترفاً بين مواطنيه، وعلى الأخص في هذا
الطريق، إذ كان يركب القطار كل صباح من باريز،
ويعود إليها مساءً به، ولكن الاتهامات القوية وجهت
إليه منذ يوم القبض عليه، واكتشفت مأساة حقيقية
كاملة أفضت منهجته: هجرته امرأته في العام السابق
لتميش — في شارع مجاور لشارعه — مع فيرناند
بورى هذا الذي مات تلك المرة المفجعة الفاجعة،
والذي كان صديقاً حميماً للعائلة. وبقى بيير فالري طائفاً

في مسكنه مع ابنة له صغيرة لم تبلغ ثمانية أعوام من
عمرها، وكانت أمها تأتي كل صباح لترافق وتعود
ثانية بانتظام ودقة، فارتبطت البنت بأبها وعشيق
أبها برابط منموي وثيق. ولا ريب أن الأب مل هذه
الحياة غير الطبيعية، ووجد نفسه في القطار وجهاً

صَلَاةُ الْفَتَى الْجَبَّارِ
لِلْكَاتِبَةِ هَزِي بُوْرْدُو عُضْوُ الْمَجْلَعِ الْعَالَمِيِّ الْفَرَنْسِيِّ
يَقْتُلُ الْأَسْتَاذَ نَاجِحَ الطُّطَارِ وَي

خاطب مسيو هير، قاضي تحقيق الجنايات
كاتبة مسيو موتون قائلاً:

— ماذا تقول؟ أجرة عاطفة أخرى؟
ألا فليملوا أن زمن الصفح والمغفرة قد انقضى.
وها إن القصة — وخاصة في ريتانية الكبرى —
بدأوا يحكمون على المجرمين القاتلين بالوت شقاً،
لن يبقى لدينا شيء اسمه جريمة عاطفية. هل أنت
مستعد؟ إنني سأمر بإدخال التهم، ولكن قل لي
هل وكل حمياً؟

— نعم ياسيدي القاضي.
— لا ضير، إننا نستطيع استجوابه بهدوء،
لأن هؤلاء السادة الذين يحامون ويدافعون بمقدون
الاستجوابات بصورة رهيبة.
— إن التهم ياسيدي، يدعي أنه ليس جانيها.
— شيء طبيعي، وماذا تنتظر منه غير ذلك؟
— ويؤكد أيضاً أن القضية هي انتحار
وليست بجرعة.

— انتحار؟ فكر قليلاً، إن العمل الطبيعى
والمشاهد دائماً هو أن الزوج يقتل الماشق، فكيف
نصدق أن الماشق هو الذي قتل نفسه وبحضور
الزوج أيضاً؟ لقد شغل هذا الخبر التريب الصحف،
وأنت على وصفه وتسجيله تحت عناوين ضخمة،

— آه يا سيدي القاضي ، ما جدوى ذلك ؟
إنك لن تصدقي ، وأنا لا يسوؤني أن أدان
— إن كنت بريئاً كاتمي ، فإن إدانتك تسوؤك
كثيراً ، وإن كنت جانياً أمكن أن يكون في جنابتك
ظروف مخففة

ولما صمت ولم يجب أردف القاضي قائلاً :

— وإن لك مع ذلك ابنة ، فإن كنت بريئاً
لا ترضى أبداً أن تترك لها اسماً ملوثاً ملطخاً
فتمنح للنهم قائلاً :

— آه لم أفكر في هذا

وكان هذا الجواب وحده حافزاً للقاضي لأن
يلاحظ أمارات الوجه للبائس المخذول ، واعتقد أنه
ليس بمحضرة مجرم . وأبدي القاضي الذي قضى حياته
في هذا العمل حتى أصبح محكماً في تحقيق الجرائم
مهارة في ملاحظة اللامع ، وقراءة الدلائل الوجهية
والجسمية ، وعاود الكرة بلطف ورقة :

— تكلم بلا خوف ولا غضب ، وما نحن ذان
مصبيان لك

— سأنتكم يا سيدي إذا كنت تمدني أن ...
ويدع من القاضي حركة اعتراض . إنه لا يستطيع
أن يتكلم بشيء . ولا أن يرتبط بوعده مع منهم
— ... ألا تدعي شيئاً مما أحدثك به ،

وألانكتب منه شيئاً ، وإن لم تقبل ذلك فليكن أنتم
— إنك تعلم جيداً أن خادتك يجب أن تسجل
وأن من واجبي أن أعرف تفاصيلها إن كان في الأمر
جريمة ، أما إذا كانت القضية استتاراً كما ندعي
فسيكون اعترافك مقبولاً ولن يصدر أي حكم عليك
وكل ما في الأمر أننا يجب أن نعلمين وجدانتنا
اطمئناناً مطلقاً

لوجه أمام طاشق امرأته بطريق الصدفة ، فاندأ في
ذلك المساء إلى باريز ولم يركب القطار الذي كان من
عادته أن يركبه . لقد كان مصمماً على الانتقام حتى
الصحلة الأخيرة . ولقد ثبت أن السدس الذي وجد
عند قدي الضحية كان ملكاً له ، وسلم نفسه دون
أن يبدى مقاومة

ورجاء أن تؤخذ ابنته إلى أمها أثناء غيابها بقلة
اكثرات ظاهرة ، وكان يردد في هذه الأثناء بصوت
هادئ : إن هذه القضية استتار وليست بجريمة ،
ولكن لم يبد عليه أنه مقتنع بهذا الادعاء الخيالي ...
ودعى للشول أمام قاضي تحقيق الجنابات

رأى القاضي أمامه رجلاً صغيراً متواضعاً ،
ذابل النضارة ، لا يتجاوز الأربعين من سني حياته
ذابرة وهيئة تدعوان إلى الانهام ، ولم يك في وجهه
غضون عميزة ، بل كانت تبدو عليه أمارات الكآبة
والحزن ، وكانت عيناه غائرتين ذابرتين ، تشبهان عيني
الجدى الذي ينتظر طلقة البندقية مودبة بمجائه

قد يكون من الممكن أن يقال إن أمارات الحزن
هذه قد ولدها فزع من القضاء وأله للنفس الذي
كان يكابده ، لو لم تكن متلازمة مع طبيعة وجهه ،
ولكن ظهر للقاضي أن هذه الأمارات طبيعية في
وجهه لا يمكن أن تزول منه ، وأيد اعتقاده هذا أن
النهم كان يجب على الأسئلة الأولى يكلمتي نعم أو لا
بانفصال وتهيج ، ولقد أقر القاضي بكل الأمور التي
سأله عنها ، الخيانة وهجر امرأته ، واقتسام الطفلة ،
وامتلاك السدس ... ولكنه بدم هذا كله أنكر
الجريمة ١

فلم يمالك القاضي نفسه أن صاح به :

— إذن هل لك أن تعصي علينا كيف كان الأمر

القاضي والكاتب اللذين كانا يقادلان من حين لآخر نظرات مقررة باله كاه، وكان الاصفاء إليه يشجع. كان يشكك كانه جالس وحده بناجي نفسه أو كانه يرفع ستور الماضي أمام نظريه، وكان يقاطعه أحياناً قاضي التحقيق عند ما يمين كثيراً في التفاصيل

— أجل يا سيدي القاضي، لقد كنا مسرورين نحن الثلاثة جداً — أنتم الثلاثة ؟

— نعم اسرأتى وأنا وهذا المدعو فرناند بوري . كانت اسرأتى بائمة ورود ، وكنت أسراً أمام دكانها كل يوم في طريق إلى الحطة . وفي كل سبت كنت أشتري لها وردة أو قرنفلة أو باقة صغيرة من البنفسج أو غيره حسب الفصول ، ولكني لن أظبل في هذا تركت دكانها وبقيت في الدار تقوم بالأعمال المنزلية ، وكنت أعمل دائماً لأستطيع أن أقوم بأودها وأود ابنتنا الصغيرة . وكان فرناند رفيق ومصدق يعمل في شركة الكهراء بينما كنت أعمل أنا في شركة البترول . كان أكثر ثقافة مني وقد جاب بعض البلاد وزارها ، وكان ذا منطق عذب ، وكثيراً ما كان يناول طعام الغداء عندي ، وكان بلاطف وبداء جنتيف الصغيرة . لم تكن اسرأتى في بادي الأمر تنظر إليه بارتياح ، وكانت ترى أن صداقي أدنى مما يجب أن تكون ، ثم أصبحت بمد جين تتسدل في حكمها عليه وتلين ، وكنا متفاهرين تماماً . وفي بعض أيام الاحاد كان يخرج بنا إلى الريف للترعة . وفي بعضها الآخر كنا نبقى في الدار نجلس لبس الورق شتاء وبالكرة صيفاً ولم نكن نذهب إلى القفي لم يكن بداخلي الشك في أمر زوجي إذ كنت

وإذا كانت القضية خلاف ما تدعى ، وتضافرت الأمل على ذلك ، تصبح حادثك مرافعات وترسل إلى محكمة الجنايات الفاصلة ، وهناك متسأل بحضور السادة المحلفين من قبل رئيس المحكمة ، وحتى آخر لحظة يسمح لك بإيضاحاتك ، والايضاحات التي تفوه بها يوم الجلسة الكبرى هي وحدها التي تتمدها المحكمة . هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك وأنت تدرك ولا شك الفائدة الكبرى التي تمدها لنا بتخليصنا من إتمام العمل بدقة ونصب

كان التهم بصني بصوبة وارتيك إلي هذه المحاضرة التي أقيمت عليه بصوت مذب تبدو فيه الرأفة والشفقة . وكان الشيء الوحيد الذي كدر صفو نفسه ومس شفاف قلبه هو التفكير في مستقبل ابنته، وقاض هذا التفكير على لسانه إذ قال في نفسه :

— من أجلها ، نعم من أجلها !

— من أجلها ؟ من هي ؟

— من أجل جنتيف

— جنتيف ؟

— ابنتي . إنها ضيفة لا تحتمل الضرب ولا تستحقه . أما أنا فقد ربيت على الجلال . وهذه الأشياء التي يسمونها الحياة والموت لا نهني كثيراً . ينبغي أن أكر في مستقبل ابنتي ، وأرى من الواجب أن تتمكن من الزواج برجل شريف لا يظلم شرف أبيها ولا سيرة .

وقال بمد فترة صمت قصيرة : ولا سيرة أمها أيضاً

— علم إذن وتكلم من أجلها

وبدا التهم يسرد قصته مضطرباً متلعناً ، ثم ما لبث أن تشجع وأصبح إلغاؤه سهلاً هادئاً . كان يبدو عليه أنه لا يمر أدنى التفات إلى مستمعيه :

لديه دائماً كلام يقوله أكثر منى . كان يضع ربطات عنق جميلة زاهية ، وكان في وجهه عينا تنكبان ، أما أما طبكاً فلم أكن إلا إياي . إن الذى كنت أفضل به كان معنى لا يرى ، كنت أفضل بالشعور والاحساس ، وليس لدى اتهام أوجهه إليه .

— ليس لديك اتهام ؟ لقد فضحتنا أننا الاثنان — بالرغم منا يا سيدى ودون أن نريد . لم أعرف صديقاً ورقيقاً أخلس من فرناند ، إنه كان على استعداد لاقاء نفسه بالنار في سبيل ، وكلا وقت في ضيق كان يقذفني ويخلصني منه . ولما كنت مصاباً بالخناق ، قبل زواجى ، مصاباً لدرجة الموت ، كان يسهر على ولا يخاف من العدوى . أوه ! لقد كنت واثقاً أنه لم يكن يريد أن يبعثني ويؤلى ، والدليل على ذلك أنه مات .

وسكت للمرة الثانية ... ثم تابع حديثه دون أن يبتلع لوجوب متابته :

— ولكن ، لقد لحقني منه قليل من التنب . لقد بدأت أشك في بعض الأشياء . لم تكن امرأتى المسكينة متعادية على الكذب ، ولما كانت تبيع ورودها ، كان للناس بروون لها قصصاً واقعية مسلية فكانت تضحك دون أن تبدي لها اهتماماً . لقد عرفت سريعاً أنني لست كسائر الرجال ، فلم تكن تضحك لى أبدأ ، كانت تبدو محمسة عندما كنت أفف أمام دكانها . لقد كانت فتاة عاقلة ومفكرة ، وبعد زواجنا كانت مؤسدة لى ، تضحك معى وتنفى أثناء قياسها بالأعمال المنزلية ، وكنت أسمع غناءها عندما أعود من عمل ، فكانت تؤرث في قلبي نار الحب ، ولكنها بعد حين لم تبد تنفى قط ، فبأنها من سبب ذلك فأجابتني قائلة : « لا أدري » .

واثقاً من حسن سلوكها ، وهى نفسها لم تكن تشك في ذلك . إننى لا أنهما يا سيدى القاضى ولا أنهما أبصراً . كانت هناك أشياء تحدث بالرغم منا لم تكن نرضاها ولا نريدها ، كانت هذه الأشياء تمر وتلو بعضها بعضاً ، وكان مرورها يحدث في حياتنا تبدلاً أشبه ما يكون بالامتزاز الأرضى البلى .

— ولكن ما هى هذه الأشياء التى حدثت ؟ — لم يكن بينى وبين امرأتى خلاف ولا شجار . كانت تعاقبى مودعة كل صباح عندما بالدهاب ، وكل مساء عندما أعود إلى الدار ، أسفة صباحاً ، متبججة مساء ، ولم يكن ذلك مهزلة مقصودة . لم تكن نشعر بحاجة لأن نبادل كلمات المودة ، إذ كانت المودة متأسلة في أحماق نفسيينا ، وكنا نشعر بها دون أن نظهرها ، ثم كانت هناك البنت الصغيرة التى تربطنا وتجمع بيننا .

لم يكن للبنت إلا الأب والأم ، وكان يجب أن نفكر فيها دائماً ، ولكننا كنا نظوى نفسيينا على أفكار وآمال أخرى ، والنساء على ما يبدو لى يضمن آتالاً وأحلاماً أكثر من الرجال .. أنا خاصة لم أكن أحلم أبداً ، ولم أكن أعنى شيئاً ، ولم أكن أفكر فى شيء ، إذ كان تفكيرى منصرفاً إلى زوجتى وابنتى وهو هو تفكيرى فى نفسى ، إذ كانا جزءاً منى . وأتينا ندر كان ذلك بالطبع

ثم سكت كأن جلته الأخيرة أفرقتة فى خضم الذاكرة

فسأله القاضى قائلاً :

— ثم ماذا ؟

— قلت لك إنه كان ذا منطق حلو عذب ، وكان يقن التمييز عن مشاعره أكثر منى ، وكان

فأبدي للكتاب حركة اعتراض وشك في صحة القصة ، ولكن التهم لم يمر اعتراضه أذنا صافية وأنتم حديثه :

— لقد حاول أن يختليا ، ولم يكن هذا بالصعب كثيرا ، إذ أنني كنت أذهب إلى عمل كل يوم ، ولم يكن فرناند مقبداً بالعمل مثل قلقد كان يصلح هنا وهناك بمضى الآلات الكهربائية ، كان يذهب إلى باريس وبعض نواحيها ويبدو منها . إنه لمن الخيف أن يصبح المرء فيجورا . طالما حاولت أن أعمل شيئا من أمرها ولكني لم أستطع ذلك ولا لأصنف واكتفيت بالصور والتخيل . كنت أسقيظ في جوف الليل أحيانا ، وأسئني زفير أسرائي . ويلاه أ كانت تسمع ما أفكر فيه وهي في نوم ؟ لقد كانت تستقيظ فجأة وتأخذ يدي وتساألني قائلا : « ماذا بك يا صاحبي ؟ » فكنت أجيبها كما كانت يجيبني من قبل قائلا : « أنا ؟ لا شيء » أو أقول مثلها : « لا أدري » وعدت للدار في إحدى الأسامي ، فوجدت زوجتي حزينة ، ولما اقتربت منها رأيتها غارقة في التفكير لمرجة أنها لم تشر بوجودي فوضعت يدي على متنها وقلت لها : « فم تفكرين ؟ » فأجابت : « أنا ؟ لا شيء » وعاجلتها بقولي : « إنك تفكرين فيه أليس كذلك ؟ » فإ كان منها إلا أن صعدت زفرة حارة ولم تجب ، وقلت لها وأنا أم أن أحسبها بين ذراعي : « إني سأحبك يا عزيزتي ، إنه لن يعود قط ، وسيعرف كل شيء » فقالت ببساطة : « لقد تأخرت كثيرا » ولم أكد أسمع هذا الجواب حتى عرفت كل شيء ، وترك ذراعي تهبطان بترخ ولم أضربها ولم أطردها . فإ راعى إلا أن رأيتها ترتدي ثيابها وتهم يفتح الباب فساتها : « إلى أين

وظننت إذ ذاك أن ما أسكتها هو عدم ولادة طفل آخر لنا ، ولكني كنت غطكا في هذا الظن إذ ظهر لي أنها كانت تحتشم عندما كان يزورنا فرناند ، وكانت تبدو عليها أمامه كل أمارات الغبطة والسرور فذكرت حالها وهيئتها عند ابتداء معرفتي لها ، وأفزعني الشبه بين الحالين ، وبدأت أتمسب وأتالم هل كانت تحب سواي ؟ أ كانت تحب صديقي الذي يوشك أن يكون أخي ؟ لقد سمعت على طرد هذه الفكرة من رأسي ، إذ وجدتها غيفة وفضيلة . إن انتهى لها معناه شتمها وإهانتها . كلاهما كان عزيزا على أثيرا كمي ، أما هي فن أجل وأجل طفلتنا ودارنا وحياتنا خارج الدار ، من أجل التماون وتبادل الثقة ... ولكن لا ، لم يكن هذا فظيما كما تصورت ، وما أرى هل نحن دائما مصادر أفعالنا وأحبابا الحقيقيين ؟

— أما في الأفكار فاستطيع أن أجيئك بالنفي إذ لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الاعتقاد بأن بعض الناس غشون حتى القضاة أنفسهم ، أما في الأفعال فليس الأمر كذلك ، إذ نحن دائما أصحاب أفعالنا والمستولون عنها

— دائما ؟ هل نحن زاقب أنفسنا في كل حين يا سيدي القاضي ؟ إننا لا نرى غيرنا إلا عند ما نريد أن نراه ، إذن نحن ننسى أحيانا . إننا لا نرى إلا ما نجب ، ونحفظ ما وراء ذلك عن أبصارنا ، نحفظ فيها كل ما يضائقنا ويؤلنا ، ولذا فقد خفيت عن أعينهما كائني لم أكن موجودا . إنهما لم يفكرا في وجودي ولم يقنهما إلا بعد لأى ، ولقد أخطأ في تلبهما إذ جليا لنفسهما الضيق والألم ، لأن عذاب الذي ولدا في كان في الحقيقة عذابا لهما

بعد . كنت لا أزال أركب القطار في الصباح والأيام ، ولكن لم تعد لي عزيمة ورغبة في العمل . كنت أعمل كآلة للماء . وفي المساء كنت أرى جنيفيف الصغيرة وكنت أستطيع أن أدلها وأفرحها بفضل أجرتي التي كنت أألمها من عملي . لقد كانت لبقة في أحاديثها معي وتتصانق أحياناً لحديثي . أظن أن الأطفال عقلاء أكثر مما نعتقد يا سيدي القاضي . إنها لم تكن تجرؤ على أن يتحدثني عما فعلته في يومها سوى دروسها وواجباتها . لقد كانت تعتقد أنها لا يجدر بها أن تذكر أمها ولا الرجل الآخر أبداً . ولكنها مع ذلك سألني قائلة : أمن الممكن أن يكون للمرء والدة ؟ ثم أجبت من تلقاء نفسها : أما أنا ، فأظن ذلك غير ممكن

لقد كان لها أيضاً أب هناك ، أب في النهار وأب في الليل ، ولكن لم يكن لها ، ولن يمكن أن يكون ، إلا أم واحدة . ومنذ تلك اللحظة أصبحت لا أفكر إلا في الانتحار لأترك السكان فارغاً للرجل الآخر . لم أستطع إرجاع البنت لأبها ، أما كان يجب علي أن أردوها إليها ؟

— كان باستطاعتك أن تطلب امتلاك البنت وإبقائها عندهك ، مع بضع زيارات تقوم بها الأم في أيام محددة معينة

— صدقت يا سيدي القاضي . هذا هو العمل الذي لم أكن أستطيع القيام به . لم أكن أريد ذلك لزوجي ولا لصديقي ، لقد كنت المجرم الأول . لا ينبغي أن تسمى إلى أحد ، وخاصة إلى المرأة الفاضلة . لم أكن أعلم يومئذ أن كلا منهما اليوم الآخر ومخطئه . إن الرجال يمتدقون دائماً أن نساءهم بأجمعهن لهم . أما النساء — وما إخالكن تترفعن جيداً — فانهن

تذهبن ؟ فأجابني : « إلى أين تريد أن أذهب ؟ » فقلت : « إليه » فهزت رأسها وقالت : « نعم إليه » فقلت : « حسن ، إذ هي »

ولما بلغت عتبة الباب التفتت وقالت بهدوء : « وجنيفيف ؟ » فقلت : « كان يجب أن تفكرى فيها من قبل » قالت : « هل تريد أن تحتفظ بها ؟ » قلت : « إنها لي » قالت : « ولكنها لا تزال صغيرة » قلت : « ستعتمد الحياة بجانبى » قالت : « هل تدعى أراها ؟ » قلت : « كلا » فرفضت يديها كالبادئة ، ثم خرجت باكئة ولم أرها بعد ذلك الحين — واهبتك ؟ هل كانت تراها ؟

— كانت جنيفيف تذكرها ، فكنت أقول لها إن أمها سافرت في رحلة طويلة ، وكنت مضطراً لأن أقول لها إنها ستعود . ولما كنت أذهب إلى المصنع طول النهار ، عهدت بها إلى امرأة كانت تدير مدرسة داخلية في بوا كرومب ، ولكن الصغيرة كانت تماند وترفض أن تبقى هناك ، وعلمت بعدئذ أن أمها كانت تأخذها كل صباح بهداهي وتبيدها كل مساء قبل عودتي . لقد صرقت ذلك ولكني لم أقبل شيئاً . ماذا تريد أن أفعل يا سيدي القاضي ؟ ماذا تريد ؟

فصدرت من القاضي وكأنه حركة ظاهرها الاستحسان والتعجب ، ولعلها كانا يقصدان بها موافقة اللهم موقتاً ليستطيع أن يتم حديثه ويشكم عن الجريمة التي هي بيت القصيد . وصمت بير فالري كأنه تمب . فسأله القاضي :

— منذ كم هجرتك إسرائيل ؟
— منذ عام على ما أذكر ، ولكن هذه المدة كانت تبدو لي كأنها عشرة أعوام . لم يتبدل شيء

في الحرب كسائر الناس. إن المرء يكون أكثر شجاعة عند ما يرى نفسه محاطاً بأصدقائه، وأنا وحدي في داري لم أكن أستطيع الدم على الانتحار، ولقد كنت متألماً جداً لمدم إرادتي الحياة. لقد كان كل شيء يسير في نظري على ما يرام، جرمين ..

— جرمين ؟

— أجل، جرمين اسراني تزوجت فرناند، واستطاع أن يعيش في وضع النهار مع جنيفيف، وعندئذ أصبح للصغيرة أب وأم، أما الأب الآخر فقد اختفى، وأظنها نصيته ولم تعد تفكر فيه. لقد كان أباً حزينا لا يصلح لشيء. كنت أحدث نفسي بهذا كله ومع ذلك لم أعزم على شيء.

— إذن ما دمت لم تستطع أن توجه سلاحك نحو جسمك، فقد وجهته نحو خصمك.

— مهلاً ياسيدي القاضى. نعم كان يجب على أن أقتل نفسي، وهكذا تخلصت من المذاب الأليم.

— قد بلننا إذن اليوم للفاصل.

— أجل بلنناه ياسيدي القاضى. كان يعرف

فرناند عادتي وواجبات عملي وقطارى الصباح والنساء اللذين كنت أركبهما. ولقد نظم حياته على خلاف هذا الشكل فكان يتجنب مقابلي ما وسنه التجنب، ولم أصادفه في الطريق أبداً، لا في بوا كرومب ولا في باريز. لقد كنت واثقاً من أنه لم يكن بالنافل أبداً عن الأمر الذى عزمته عليه. وفي مساء اليوم الذى وقع فيه الحادث، أجبرت على البقاء في الصنع بعد انتهاء وقت عملي لثياب أحد رفاقي ووجوب بقائي في العمل عوضاً عنه، وهكذا امتد عملي ساعتين آخرين، واضطرت لركوب قطار الساعة ٨ والدقيقة ٢ الذى

يملكن من المطف والحنان ما لا مزيد عليه ويظهرن ذلك لك كل يوم، ولكنهن يفسيتهن عند ما يتزوجن. لقد تأملت لها كثيراً وتأملت له أيضاً. لقد كنت أعجب به طويلاً. لقد كان في نظري مخلوقاً سامياً سلبني أعز ما أملك وسحق بذلك العمل قلبى

— لقد كنت تحفته، هذا واضح

— آه، كلا ياسيدي القاضى

— ألم تكن تنبئه ؟ ألم تكن تريد أن تنفهم لنفسك ؟

— آه، كلا. أنتقم ؟ هل كان يجب الانتقام ؟ لم يرد هو، ولم تردى، أن يحصل ما حصل. لقد نحبا، هذا كل ما فى الأمر. وكنت أنا واثقاً من أنهما بريان لي ويتألان من أجلي. فلم يبق لي إذ ذاك إلا دواء واحد ممكن، ألا وهو الموت

— ولذلك سممت على اقتراف الجريمة

— الجريمة ؟ أية جريمة ؟ الموت ؟ لقد كنت مجزماً ولا ريب بتفضيلي الموت، ولهذا العرض اشتريت السدس

فتبادل القاضى كتابه للنظرات، وقال له للكاتب بصوت خافت : ألا يجب التسجيل الآن ؟ فأجابه القاضى قائلاً : دعه يتم كلامه. إذا رأنا مضطرب، توقف ولم يتكلم. وسأستجوبه عند ما ينتهي من سرد قصته. ثم قال بصوت مرتفع :

— إذن اشتريت السدس الذى يفيدك فى

اقتراب الجريمة

— اشتريته ياسيدي القاضى. لم يكن من السهل على تصور الموت. إن توجيه المرء الرصاص نحو صدره يتطلب كثيراً من الشجاعة، ولم أكن مع الأسف وافر الشجاعة إلى هذا الحد، رغم أنى اشتركت

إذ ذاك كالطفل. آه، لو كنت أوفر شجاعة، أنا الذي كان يجب أن يموت لاهو، كان يجب أن يجا ويسعد في حياته، دون أن أخذ منه أو أعطيه شيئاً فتبادل القاضى وكتبه للنظرات. لقد طمان الحادث نفسيهما. لم يكونا يستطيمان أن يشمرا بأقل ريب في صحة الرواية. إن ظروف انتحار فرناند وأسبابه كانت واضحة لا تدع مكاناً لاقتراض وقوع جرعة، ولقد نجح بير فالري بلا ريب وأصبح حراً قال له القاضى بصوت مترن واضح:

— لقد عدل صدقتك، كان يجب عليه أن يحترم صداقتك. ولأن لم يبق على إلا أن أطلقك. ثم قال سروراً:

— انظر، لن يطول الأمد. لدينا بعض الاجراءات القانونية التي لا بد من القيام بها وأمر بأن يقاد اللهم الذي أصبح شاهداً بسيطاً ولما بقي القاضى وحده مع كاتبه، طلب منه قائمة أسماء الشاهدين الآخر الذين دعوا: رئيس القطار، مستخدمو القطار، محافظ بوا كرومب، وقد أتى بهذا الأخير ليصف سيرة اللهم الشخصية، ثم مدام بير فالري. فامر بأن يسرح كل هؤلاء إذ ظهر له أنه لا يمكن معرفة شيء منهم، وبأن يؤتى بدمام فالري. فأجابه الكاتب:

— إنها لا تمل شيئاً عن الحادث

فقال له القاضى:

— أرغب في رؤيتها

فدعيت المرأة. إننا لا نستطيع في غالب الأحيان أن نفهم حب غيرنا على حقيقته، إن أية امرأة محبوبة حتى الجنون أو حتى الجريمة، تبدو لنا خالية من الجمال أو من الظرف. هذه هي حال أكثر

لم يكن من عادتي ركوبه. وفي اللحظة الأخيرة التي سبقت سير القطار، دخل رجل العربة التي كنت فيها وحدي. لقد كان هو بينه. وقف واجماً مبهوتاً لما وقع بصره على، ولم يجرؤ على الجلوس ولا على الحركة.

سار القطار ووجدت الفرصة سانحة للتخلص من حياتي، فنهضت من مكانى متجهاً نحو النافذة واقتربت منه وأخرجت السدس من جيبي ورائى مقبلاً نحوه فالزم الباب ولم يبد حراكاً، ولم يخف سلاحى. ترى هل كان يعلم أنني لم أرد قتله؟ قلت له مخاطباً:

— لقد جلبت لى كثيراً من الألم والشقاء، أنوسل إليك أن ترجى. إن الكلاب التي تسمى كثيراً تراح من حياتها ومددت إليه يدي بالسدس، فأخذه وتأمله هنية، ثم... فجأة... وجه الفوهة نحو قلبه وأطلق النار...

يا إلهي، ماذا فعل؟ لقد أدان نفسه وحكم عليها يا سيدي القاضى. ولكن أنا، أقسم لك، لم أفكر في أن أحكم عليه. لم أكن أشعر بيفض له كذا ذكرت لقد كنت بأنساً شقياً، إنني لم أنهما يا سيدي القاضى، ولم تكن تلك غلطتهما بل غلطة مشاعرهما التي قادتهما برغمهما

كنت جاثياً أمامه، وتناولت بذارعى جسمه الحار، وكان الدم يسيل منه يبطه، ومع ذلك فإن عروقه لم تكن تنبض قط. لقد مات. كانت عيناه مفتوحتين وكان ينظر إلى بهما بالأم وحزن. لقد كنا متعاقبين كثيراً. كنا صديقين وزميلين وأخوين لم أكن أذكر نفسي إلا من خلال حبنا. لقد بكيت

— لماذا خدمته ؟
 فقامت بحركة غامضة معناها : هل أهم ؟
 — كيف أعزأك هذا المدعو فرفاند ؟
 — آه سيدى ، إنه لم يفرنى
 — أأنت أنت التى قدمت نفسك إليه ؟
 — ولكنى ياسيدى لست امرأة فاسدة ، لقد
 كنت دائماً حنة السيرة ، ولم أتهم قبل زواجى
 بشئ
 — هل كنت تحبين زوجك ؟
 — بلا ريب ، كنت أحبه
 ثم أودف القاضى قائلا بصوت خافت :
 — والرجل الآخر ، هل كنت تحببته أيضاً ؟
 فنهبت إذ ذاك وقالت :
 — كنت أحبه حتى البادة
 — فأنت ترين جيداً أنه أعزأك
 — كلا ياسيدى القاضى ، كنتا نعيش معاً .
 أعسم لك أنه لم يكن لدى فكرة سيئة . لقد نظر كل
 منا إلى الآخر فى أحد الأيام . آه لا أدرى كيف
 أقول . لقد نظر كل منا للآخر ، كأنا لم ير أحدنا
 الآخر قبل ذلك اليوم . وتم منذ ذلك اليوم كل شئ .
 لقد عرفنا جيداً أننا لن نستطيع المقاومة ، إنه عمل
 سىء ، نحن نعرف ذلك ولكن الحب كان أقوى منا
 — وما قد رأيت إلام قادكا ذلك
 — لقد قادنا إلى الموت . إننى واهقة من أنه
 يتالم من أجل ... من أجل زوجى ، كان يتالم أكثر
 منى ، وكنت أأمل أن يزول ألمه على مر الزمن ،
 والآن قد انتهى كل شئ .
 — كلا ياسيدتى ، لم ينته كل شئ ، باستطاعتك

زائرات الحاكم اللواتي يمشن الفهشة فى النفوس .
 والجاهل المتفردة فى الحاكم لا تستطيع أن تقف
 على سر قنهن وسحرهن ، ربما استطاع هؤلاء أن
 ينفقوا على هذا السر إذا تأملوهن جيداً ، ولكن
 ليس بينهم من يجد الوقت الكافى لذلك . لم تكن
 جرمين جميلة ، كانت صغيرة ، دقيقة الأعضاء ، ذابلة
 الوجه ، يلوح أنها لم تتجاوز الثلاثين من عمرها .
 كانت منطومة اللامع ، ذات شعر أشقر كامد ، يبدو
 عليه شئ من الجمال ، ووجنتين ناعمتين ، وفم صغير
 لطيف ، وعينين زرقاوين ساحرتين ، معسكرتين
 قليلاً لأنهما مفروقتان بماء شفاف ، ولقد كانت
 تحاول حبك كتم الفزع الذى أسابها وإخفاء .
 ماذا يراد منها ؟ أية أسئلة ستلقى عليها ؟ إن هذا الرجل
 الجالس وراء المنضدة ، يبدو عليه المبوسة والصرامة
 والحزم
 قال القاضى موضحاً بعد فترة سمعت استطاع أن
 يسمع فيها ضربات قلب المرأة السكينة المرتشة :
 سيدنى : هل تعلمين أن زوجك متهم بقتل
 حبيبك ؟
 فاعتزمت المرأة مستميدة شجاعته وقالت :
 — ليس هذا صحيحاً ؟
 — ماذا تقولين إذن ؟
 — لو أراد قتلنا لنمل ذلك حينما خرجت
 من داره . إنه لا يفكر فى الاساءة إلينا ، إنه طيب
 القلب جداً
 — ولكن طيبة القلب لها حدود تقف عندها
 — هذا فى غيره ، أما هو فلا . إنه لم يضربنى
 لما رأى سلوى . لقد تألم مثلنا ، وتركى أطاود رؤىة
 للصغيرة

- الآن تدارك خطئك والتكفير عن ذنبك
فرفت رأسها المنخفض منتظرة ما يحدث
- نعم ، إنك أم
— جنيف
- يجدر بك أن تفكرى فى ابنتك وزوجك
أيضاً ، لماذا لا تسلكين الطريق المؤدية إلى دارك ؟
- وتأمل الكاتب فى هذه اللحظة ، وجه القاضى
بدهشة منتظراً خاتمة هذه الرواية . وكانت المرأة
صامتة ذاهلة تنظر بينيها إلى الأفق البعيد ، وتفكر
فى هذا الاقتراح الجديد الذى سمعته ثم تمتعت قائلة :
- سيتردنى زوجى
— هل أنت واثقة من ذلك ؟ لقد قلت منذ
لحظة إنه طيب القلب جداً
- آه يا سيدى القاضى ، يفصل بيننا البيت
— إن زوجك لم يقف متفرجاً ، لقد ذرف
عليه الدمع منذ دقيقة لا أكثر
- كان يبكي عليه ؟
— هل تودين معرفة ذلك والتحقق منه ؟
- آه يا سيدى ، إننى لم أره منذ اليوم ...
— منذ هجر ك إياه ... إننى سأدعوه الآن
- كلا ، كلا ، لا أريد ، يفصل بيننا البيت
— إن البيت يقرب بينك وبين زوجك ، أوكد
لك . لقد قتل نفسه من أجله ، ومن أجل الألم الذى
سببه له
- ودعا القاضى التهم أو بالأحرى الشاهد . فوجد
بير فالرى نفسه فجأة وجهاً لوجه أمام زوجته ، ولم
يجزأ أحد الزوجين على الكلام إذ كانا يتبادلان
- النتظرات بخوف وخجل .
فانبرى القاضى قائلاً :
- بير فالرى ، إن امرأتك قد ندمت . وإذا
طلبت منك العودة للحياة الزوجية السالفة ، بعد هذا
الحادث الفجع ، فهل تقبل ؟ وهل ترضى بأن
تساعها وتمفو عنها ؟
- فأجاب السكين :
- أساعها ؟ إننى دائماً صامح لها
— هل تأخذها منك ؟
— نعم ، إذا أرادت
- وأردف قائلاً مثلها :
- ولكن يفرق بيننا البيت
فقال القاضى موضحاً :
- أجل ، إنه مات ليصلح بينكما ، ولم يمت
دون مقابل . لقد قلت لها قبل لحظة : فكرى فى الطافه
اللى ليس لها إلا الأب والأم
- فتقدم بير فالرى خطوة للأمام واقترب من
امرأته وقال لها :
- هلى مى
ثم التفت نحو القاضى قائلاً :
- أأست منها ؟
— كلا يا صاحبي ، أنت حر
- ولما خرج الرجل والمرأة ، أمسك كل منهما
بيد الآخر ، التفت مسيو هير نحو كاتبه قائلاً :
- لقد اشتغلنا جيداً فى هذا الصباح ، هات
العمل التالى
- « دمشق »
تأليف الطنطاوى

مستقبل في الصورة التي تلاعبني
ولقد تعودت أن أفضى أيام
عطلة الصيف في ضهرة خالي وهي
ضهرة وضع فوق بابها الخارجي
رمز يدل على أنها ليست من
الزادع العادية ولكنها متحلة
كيلي التي تنتج ألطف أنواع
العسل في العالم

وفي هذه المزرعة كان يرى الانسان في أية ساعة
من ساعات اليوم خالي « بات » منهمك في العمل
وسط صفوف عديدة من خلايا النحل وعلى عجايب معالم
الحفاصة والذدة التي ترى عادة على وجوه هؤلاء الذين
يجبون أعمالهم . فهو يمشي بين نحلهم ويدرس طبائهم
وحركاتهم ويفرس أشد الزهور جاذبية له . فكان من
الطبيعي أن يسر خالي ويفرح كلما رأى مني اهتماماً
بمعلمه ورغبة فيه ، ولقد كان يقول لي حينئذ :

— ليس هناك ياولدى من عمل ألطف ولا أسع
من العسل في مملكة النحل ، فأنا أردت أن تتقني
خطواتي فأني أخصك في وسيتق بهذه المزرعة فانه
ليسمدني أن أعلم أن محلى سيمصبح من يبدى ودية
بين يدي من يقدره ويحبه كما أحبه أنا

ولقد كان خالي يقب هذا الحديث بتبليغي كل
ما يعرفه من أسر هذه الحفوفات الصغيرة كثيرة
الحركة شديدة الطنين ، وكان يصبرني بالوسائل التي
أصرف بها العسل في الأسواق بأكثر ربح مستطاع ،
ولقد قدم لي من المؤلفات كل ما كتب في موضوع
النحل ، وكان أنفس ما أهداني في أحد أعياد الميلاد
كتاب « حياة النحل » لمؤلفه « مارتريك »

أما « بارني » فكان شديد الاستغناء بمطامني

(٤)

اكان عجائب خبيها

(قصة تحت جاذبة ما تحت حنيه) عن (لابلير)
بسم الله الرحمن الرحيم

« لقد أحبها حب اليأس ، وكان
في مقدوره أن يفوز بها لو أنه قال
الحقيقة : حقيقة أمر الرجل الذي اختارته
زوجاً لها »

كنت و « سالي » و « بارني » رفاق طفولة
وصبا ، نمش في بلدة صغيرة من بلدان التندرين في شمال
انجلترا ، يحتوي بيوتنا شارع واحد ، ونسب جماعة
في الخلاء الحزب وراء بيت « بارني » ونذهب معاً
إلى المدرسة . فلما بلغنا سن المراهقة لم يكن أحداً
يفترق عن صاحبه

وكان « بارني » الحاضر بطبيعته ينتظر اليوم
الذي يستطيع فيه أن يقتني خطوات أبيه فيعمل مثله
في المناجم ، وكأنا بين طبيعته وبين عناصر الخطر
جاذبية لا تنقطع . أما أنا فكان أسرى على خلاف
ذلك ، أشعر دائماً بجمل شديد إلى ضوء الشمس
وإلى الغضاء النعيس ، يكنى مجرد التفكير في المال
فأصل الكهوف المظلمة النائرة في جوف الأرض
لأن بيث الرجفة إلى أعماق نفسي

فكان من المقطوع به أن حياة العمل في مناجم
النفط ليست هي الحياة التي أصنع لها ، وكان على
خالي « مارتريك » أخى أمي الأعزب أن يشكل

الدم ساخناً ، فلا عجب إذا نشأت أنا وإبرني على حب رفيقة طفولتنا العشيبة متنافسين ، في مودة ، على مصاحبتها السارة

ولم يكن في نيتي قط أن أقضى أى وقت طال أم قصر ، في تجربة العمل بالناجم ، فلما مات والدى على أثر بلوغى سن الرشد طلب إلى خالى « بات » أن أحبه إلى مزعته ، ولكنى اعتذرت من عدم إجابة طلبه بأنى أود أن أقضى فترة قصيرة في تجربة العمل في الناجم قبل أن أغادر موطنى ، فلمحت في عين خالى النفاذة نظرة الدى فهم ما وراء هذا الاعتذار ، وقد قال :

— إنك لا تريد تجربة العمل في الناجم يا بنى ولكلك تريد تجربة الوسيلة التى بها تفوز بقلب « سالى »

ثم استأنف حديثه في بشاشة ولطف فقال : — حسن يا بنى ، إنها فتاة جميلة تستحق التسب ولكن لك فيها منافساً وإبرني فتى لطيف وله طريق ناجحة في كسب قلوب الفتيات

وعلى أثر ذلك اتفقت مع والدة « سالى » على السكن في بيتها وذهبت للعمل في الناجم المظلمة ، ولكن الأحلام البراقة التى تنمر قلبى أنستى ظلمة تلك الناور فلم أأل بها . فلما رأتى « بارنى » هناك لأول مرة نظر إلى نظرة غريبة وقال :

— لقد ظننت أنك قد عدت عزمك على أن تركز مستقبلك حول خلايا النحل ؟ فرددت عليه :

— وهل مما يخالف القانون أن يشير الانسان رآه ؟

فقال وعلى فمه ابتسامة طيبة :

وكان يقول لى في كثير من الازدراء والتحقير : — وبك يا « ويل » ليس هذا من عمل الرجال ،

فها احتذيت حذوى لتصبح رجلاً قوى البنية متين العضل ، فقد اعزمت أن أشتغل متى كبرت في الناجم فلا تلبث عضلاتى أن تصبح مثل عضلات دنيس شلتون ، على أننى أستطيع الآن أن أسرع أى ولد في هذا الشارع ! فتعال أدرك قوة ضرباتى وكان بارنى يمشى بهذه الكلمات بالتقدم نحوى قابضاً يده مهدداً ، فأراجع إلى الوراء لأننى أكره القتال والشغب ، وكانت « سالى » هى حابيتي التحصنة ، فلى الرغم من إعجابها كالطفلة العشيبة بتعرج « بارنى » كانت تقف بينى وبينه يحسمها الصغير وشمها الأسود التموج وعينها الزرقاوين فتجول دون اعتدائه وتصبح به وهي تضرب الأرض بقدمها :

— دع « ويل » لا تتعرض له ، واعلم أننى لا أريد أن تكون مثل « دنيس شلتون » فكل إنسان يعرف أنه ليس إلا عريداً مشاغباً فكان « بارنى » ينجل من كآبها ويمتدرب بأنه لم يقصد إلى أكثر من المازحة على صورة ما

على هذا نشأنا منذ عهد الطفولة حتى إذا بلغ بنا الزمن نهاية الحلقة الثانية أصبح « بارنى » فتى طويل القامة عريض الأكتاف أسود الشعر أحمر الجلد خبيث النظرات مستهتراً بالفتيات . أما أنا فكنت ترابى الشعر نجف الجسم خجولاً متحفظاً شديد الميل إلى حياة الريف المهددة بمضخاً حياة المدن الساحية

ونمت « سالى » شابة ناهداً وكانت أجل فتاة يبيض بمحبا قلب الرجل ويمتد روحها في رأسه

في النجم أحداً إلى جانب الآخر ، فإذا انتهينا من عمل اليوم الشاق عدنا إلى دارينا مترافقين ، ولكننا لم نكن نشير قط بكلمة إلى الفتاة التي أحببناها كلانا حباً مبرحاً . ولقد كنت أعلم من أسر « بارني » أنه لن يتردد في مقابلة أي إنسان يسمى بأهون كلمات الاساءة ، وأنا من ناحيتي كنت أشع « بارني » من نفسي موضع الأخ الشقيق ، ولكننا في طبيعتنا كنا مختلفين اختلاف النهار والليل

كان « بارني » مفرماً بالحياة المرحية ولم يكن ليمتنع أن يشرب خمرًا من حين إلى حين ، وكانت كثيرة تلك الليالي التي قضاه في حانة « الأسد الأحمر » أبهج حانات القاطمة

تمود « بارني » الاكثار من زيارة حانة « الأسد الأحمر » ولم تكن هذه الزيارات لمجرد إطفاء شهوته من الخمر ولكنه كان يتمتع نفسه بقضاء بعض الوقت في صبية « تس » فتاة الحانة ذهبية الشعر ، ولكنه بعد أن بدأ يتودد إلى « سالي » هجر « تس » وحانة الأسد الأحمر ، وقد أكرت منه هذا التصرف الحكيم . فلقد عرفت أن جميع الرجال على التقريب قد سلكوا الطريق الموح وقطعاً ، ولكن كان جبلاً منه أنه الآن سار في الطريق المستقيمة الضيقة

على أنني لم أثبت أن تلقيت الصدمة التي بددت كل أحلامي وضمضت جميع آلامي . ففي صباح أحد أيام الأحاد لم أكد أعود مع « سالي » إلى دارها بعد أداء الصلاة الأولى وأفقت معها برهة على عتبة الباب نستنشق النسيم اللطيف حتى مر بنا « بارني » في طريقه إلى الكنيسة لأداء الصلاة الثانية ، فلوح لنا بكفه في الهواء واستمر في سيره ، فلما تلفت إلى

— إنك لم تتبر رأيك يا « ويل » فالحقيقة أنك وجدت قليلاً من الملل هنا فسأنته متحدباً :

— وإذا كنت قد وجدت فإذا في هذا ؟
— فحدق بارني في عيني وابسم ثم قال :
— اسمع يا « ويل » لقد كنا أنت وأنا دائماً صديقين مخلصين ، وأنا أود أن تستمر هذه الصداقة بيننا ، ولكن يجب أن نتفاهم فإن أعرف أنك تحب « سالي » ، فليكن ، ولكنني أنا أيضاً أحبها ، وسأبذل كل ما يسهم جهدي وقوتي في سبيل الفوز بها ، ولن أنتحي عنها إيثارك أو لأني رجل آخر على نفسي

فقلت وقد مدت يدي فتنالها بارني مصاحفاً :
— وهذا هو شاني أنا أيضاً
فقال بارني :

— أرجو أن يفوز بها خير الرجلين كما أرجو ألا يقسو شعور أحداً على صاحبه
كانت حياتنا بعد ذلك معركة بين « بارني » وبيتي إن تكن قاسية في مظهرها فقد كانت سليمة الطوية في جوهرها . على أن موقف السكنية « سالي » بيننا قد أصبح موقفاً غاية في الدقة ، فقد كان مافي نفسها من الود لسكنيتها متعادلاً ، وكانت تبشع أن ترد لأحداً طلباً إذا هو دعاها للخروج معه

ووقف رفاقنا في النجم على طبيعة ما بيننا من تنافس ، وصحت أن بعضهم قد تراهن على أننا يفوز بالفتاة

وعلى الرغم مما كان بين « بارني » وبيتي من تنافس في الترام بقيت روابط الصداقة بيننا قوية لا يؤثر فيها مؤثر من حقد أو ضئينة . كنا نعمل

وأخرى يسلك حلقه يقول شيئاً ولكنه كان يمد التفكير بفضل السكوت فلا يخرج للكلمات من بين شفثيه . ولقد كنت أنا أول من فض هذا السكوت فقلت متعمداً الانسراح :

— أظنني يا « بارني » سأغادر هذا النجم بمد قليل فلم يبق لي هنا ما أحرص عليه فقال صاحبي في صوت أجش :

— إنني لأسف لذلك يا « ويل » والذى أرجوه ألا يقسو شمورك بحوى فضحكك ضحكة مقتضبة وقلت :

— لك أن تثق أن شمورك يحوك ان يتشير ، فان « سالي » تحبك وهذا هو كل ما في الأمر ، غير الرجلين هو الذى فاز يا « بارني » ولاكن أنا أول من يهتكك

— أشكر لك من أعماق قلبي هذا الشعور الكريم فأنت خير سديق مررت به وإنه ليرؤى أن يتهى الأمر إلى هذه النتيجة

— لنفسى ذلك قلل الخير فيما حدث اتفق الخطيبان على أن يمقدا الزواج في الشهر المقبل ، ووعدت بمدد شيء من التردد أن أبقى بالبلدة إلى أن تنتهى حفلة الزفاف . على أننى بمد أن ضاعت جميع آمالي قد أصبحت راغباً في أن أترك النجم في أسرع ما أستطيع من الوقت . وكان خالى « بات » قد كتب إلى يقول إن محنته تميز في طريق الانحدار وإنه أعد ما يكون حاجة إلى المساعدة الساجدة . ولكن « سالي » ألحت علىّ في أن أبقى إلى يوم زواجها ، فلم يسمنى إلا يقول رجائها . ولكن اغتبطت في السنوات التى أعقبت تلك الأيام بقبولى ذلك الرجاء

سالى رأيت عينها تلبان قوامه الطويل وهما تشمان يريق لطيف وعلى فيها ابتسامة ودسية . فأحسست كأن نفسى قد احتبس في حلقى وكان قلبي قد تحول سخرآً يثقل صدرى

وقلت في كثير من التلطف :

— إذن هذه هى الحقيقة يا « سالى » ؟ فنظرت إلى جانفلة وقد ارتسمت الشفقة في أعماق عينها الزرقاوين وهى تهز رأسها وتقول :

— بؤلى يا « ويل » أن أقول أن ليس في العالم إنسان آخر أوده وأحترمه كما أودك وأحترمك ، ولكن ...

فأعنت عبارتها بقولى :

— ولكنك تحبين بارني فهزت رأسها مرة أخرى وقالت في صوت لا يكاد يسمع :

— أظن أننى كنت دائماً أحب « بارني » فتناوت بعدها وضغطها بين يدي وقلت :

— لقد فهمت يا « سالى » فهو رجل لطيف وسيكون لك زوجاً صالحاً ، وإنى لأعنى لكاً جيداً كل ما في الدنيا من سعادة

فقلت :

— شكراً لك يا « ويل » وإننى ... ولكنهما لم تستطع أن تم جلها فضضلت يدي وجرت داخلة إلى البيت ؛ ولم ألبث أن أسرعت أنا الآخر في الدخول ولكنى شمرت بأن ساق قد أصابها من الثقل ما أصاب قلبي وفى اليوم التالى بدأ التوتر بين (بارني) وبينى في أثناء العمل ، ولم يكن لدى أعداء الكثير مما يقضى به إلى صاحبه ، ولو أن « بارني » كان ما بين فترة

وألفها متدهورة على الأرض، ويدون أن أنوء بكلمة أخرى التفت إلى « بارنى » الذى كان ينظر إلينا نظرة بلهاء فتأبأت ساعده فى شدة

وتغيرت الطرقات المظلمة وقدمه مسرعاً إلى البيت، وهناك أرقبته فى فراشه فهمهم بضع كلمات جمعت بين الشكر والتبرم، ولم يلبث أن استغرق فى النوم قبل أن أخلع نعليه ووقفت لحظة أنظر إليه وقد اضطرب رأسى بالانفصالات المختلطة

إذن هذا هو الرجل الذى سيتزوج من الفتاة التى أحببتها ! أيمكن بعد كل هذا أن يسدماها ؟ وماذا تكون الحال إذا تكرر مثل هذا الحادث بند زواجهما ؟ ومن الجائز جداً أن يتكرر ! أيجب أن تقف « سالى » على ما حدث ؟ وإذا عرفت، ألا تنسخ الخطبة لشمورها بما فى عمل خطبتها من إهانة لها وتحقير ؟

دار رأسى بهذه الأسئلة وبكثير غيرها، فأغمضت عيني وتخلت « سالى » فيها فتتهى إليه حالما فى السنوات المقبلة، وهى تماشر « بارنى » وترقبه إذ يمود كل ليلة إلى البيت سكران، تتألم لملها أن هناك نساء غيرها يشغلن مكاناً من قلبه ؛ ومن المحتمل أن تكون حياتهما إذ ذاك حياة فقر مدقع

لم تكن الصورة التى تخيلتها صورة مبهجة ففتحت عيني ونظرت إلى الرجل النائم، وساءلت نفسى : أيجب أن أخبر « سالى » بما رأيت ؟ ألا يكون فى ذلك منجياتها من آلام المستقبل ؟

وسمعت « بارنى » يهيم فى نومه : « يا لك من صديق طيب القلب يا ويل ». غلت هذه الكلمات عقدة لسانى وقضت على موقف التردد . فقلت وأنا أشمر بالتخاذل مكرراً عبارة :

تركت عملى فى النجم قبل يوم الزفاف بأسبوع واحد . وذهبت « سالى » إلى أبرشية أولكلاند لزور عمتها ولتبتاع جهاز العرس، ومضى يومان لم أر فيها « بارنى »

وبعد يوم قضيت فى إعداد متاعى للسفر اعترمت أن أريض ماشياً فقادتنى قدامى عن غير قصد إلى الطريق التى تمر مباشرة وراء حانة الأسد الأحمر . وحل الجو إلى أذى منحة نزلاء الحانة ونحكاتهم ، ثم فتح الباب الخافى وخرجت منه امرأة تسند رجلاً يسير إلى جانبها مترعاً نكاحاً . فوقفت فجأة وقد تولانى الدهول والنضب لأن الرجل لم يكن غير « بارنى » وكانت رفيقته « تس » فتاة الحانة للطروب . ووقع نظرى عليهما ينجذب وجهه إلى وجهها ثم التفت شفاهما فى قبلة طويلة ملتهبة

ثارت نفسى لهذا المشهد فغطوت نحوها وأنا لا أأدرك ما أفعل ودفعت المرأة جانباً فى كثير من الخشونة

فقبض « بارنى » كفه كما لو كان ممتزماً أن يضربنى وقال فى لفظ متناقل :

— ماذا تمنى بملك هذا ؟

فأجبت فى لهجة الأمر :

— سه وهيا إلى البيت قبل أن يراك أحد ويخبر « سالى »

فلوت « تس » أسابها فى شكل وقع وهزت يدها فى وجهى وهى تقول :

— هذا « سالى » أما أنت أيها الشاب فاهتم بشؤناك الخاصة . وأما « بارنى » فسيبقى مـى

وهاجتنى حركة الفتاة غسنت قانون اللياقة فى ممانلة النساء ولكنها لكمة أسابت فيها الدهون

« نعم ، يا لك من صديق طيب القلب يا ويل ...
إنك لرفيق الشمود يا ويل » فقد كنت أعلم أن
ما بيني وبين بارنى من ولاء وسدافة سيسبق سره
بأمان فى صدرى . وانصرفت بعد أن أحكت عليه
النظام .

وكانت النسوة يكنين متوسلات إلى الرجال أن
يقضوا أكارههن ، وكان الرجال قد شرعوا بالفعل يؤاقون
من أنفسهم جماعات إنقاذ بأرشاد « بيل هاتنج »
أحد رؤساء العمال ، وكان أرجل يعرفنى أنا وإبنى
منذ كنا طفلين ، ومنه علمت أن صديقى بين التكوين
وقال الرجل أن ليس هناك من يعرف ما أصاب
العمال فقد يكونون أحياء وقد لا يكونون ، وعلى كل
حال يفرض أنهم أحياء فهناك خطر اختناقهم بالنياز
فيجب أن نعمل مسرعين لانتقاذهم .

ودون أن أنبئ بفت شقة انضمت إلى إحدى
الجماعات المتطوعة للانتقاذ وحملت معهم بأقصى ما فى
مقدورى من جهد ، وكنا جميعاً متجهين نعمل
صامتين نسال الله ألا يذهب مجهودنا عبثاً .

قضيتا فى العمل ثلاثة أيام وثلاث ليال لم يكن
ينقطع فيها العمل إلا لحظات فناما غراراً ، وكنا
كلما توغلنا فى النجم أقمنا عمداً ومساند خشية
حدوث انهيار جديد وكنا نعمل صامتين ، فلم يكن
لأحد منا ما يقوله وقد عرف كل مهمته . وما أنسى
هذه الساعات الأخيرة التى قضيتها فى النجم مع
هؤلاء الأبطال الصامتين الذين أنقذت أفواههم
ونظمت جباههم بما أرتسم عليها من أمارات العزم
والجهد الجبار .

وكان الانسان يسمع ما بين فترة وأخرى أحد
الرجال يصيح « هيلو » « هيلو » عسى أن نصل
أسواننا إلى هؤلاء الساكنين الذين انطبق عليهم

وجدت « سالى » فى البيت عند عودتى فلم
أقف معها إلا ريثما رددت نحيبها وأخبرتها أن بارنى
يجبر إلا من تب العمل الذى أؤمره الرقاد مبكراً ،
ثم صعدت إلى مسكنى حيث قضيت ليلة مشردة للنوم
لم أخاطب بارنى بعد تلك الليلة ، فى اليوم التالى
بينما كانت « سالى » تربي ما اشتريت من أرشية
أولادنا استمداداً للمرس اخترقت سكون الصباح
ولولة جمدت لها قلوب كل أم وكل زوجة وكل
حبيبة فى البلدة ، فقد كانت رثها منبئة عن وقوع
كارثة فى النجم ، فقبضت « سالى » على ساعدى وقد
هرب كل أثر للدم من وجهها فأصبح يشبه وجوه
الأموات . وقالت فى جزع : « بارنى ... إني
لأشعر بأن فاجعة قد أصابت بارنى » . وكأنما قد
سمرت قدساي فى الأرض فوقفت محملاً فيها بينى
حتى شمعت بيديها بदन صدرى وقد أصابتها نوبة
عصبية فصرخت بى :

— لا تقف هكذا ناظراً إلى يا « ويل » ...
إني لأشعر بأن مكروهاً قد تزل يبارنى ... فهلا
تفضلت قمصت شيئاً ...

فاندفعت من البيت واندمجت فى الجوع التى
كانت مسرعة فى طريق النجم .

وكان كل انسان يتساءل : ماذا حدث ؟ ولكن
لم يكن أحد يدرى شيئاً ، حتى إذا وصلنا إلى النجم
علمت أن انفجاراً حدث فسد الدخول إلى قسم من

حتى إذا انتهينا من توديعهم الوداع الأخير، شرحت
أحد عدتي للمنادرة البلدة قاصداً إلى مزرعة عمى .
فقد أصبحت بعد ذلك الحوادث أشد رغبة في الابتعاد
عن النجم، وقد يبدو غريباً أننى لم أشعر بشيء من
الآمل في الحصول على « سالى » بعد أن نزل الفضاء
بخطيبها « بارنى » ولكن لا غرابة في ذلك فقد
عرفت من أخلاق « سالى » ما أقننى بأنها من
النوع الذى لا يجب غير مرة واحدة، فالوقت وحده
هو الذى يخفف من آلام قلبها، فإا كان ليخطرلى
على بال أن تصير الأمور إلى ما صارت إليه عندما
ذهبت إليها لأودعها .

وجئتها جالسة بجوار النافذة تنظر إلى الفضاء
الذى كانت هى وبارنى وأنا نقضى فيه ساعات لهُو
وسرح نحدونا للمعادة وعذب الأمانى، فلما رأتنى
نظرت عند دخولى وقد ارتسمت على شفتيها
ابتسامة قاترة .

فلما أذيت أحد الكراسى إلى جانبها وجلست
عليه قالت متبهة :

— أظنك جئت لتلقى إلى بكلمة الوداع ؟

أجبت :

— نعم فانى لأشعر أن ليس هناك من شيء

أستطيع أن أعمله الآن

فقال في كثير من الرقة :

— إبنى لأحسدك، وما أشد رغبتي في أن
أبمد أماً أيضاً عن هذا المكان . نعم أود لو أستطيع
الذهاب فلا أعود أبداً . إنك ذاهب لتعيش حيث
النور والهواء وحرارة الشمس . أما أنا فسأبقى هنا
حيث لا يوجد غير الدكريات السوداء

وهنا غص صوتها فلم تستطع المضي في حديثها

النجم فيقوى ذلك في نفوسهم الأمل في الحياة .
ولكن أسواننا كانت تذهب هباء في جوف هذه
القبرة الخفية .

وكان أشق شيء على نفسى أن أرى وجه
« سالى » الحزين وهى تسألنى كلما خرجت من
النجم عن نتيجة بحثنا، فكانت كلمات التشجيع
والعزاء التى أرددها عليها لا تصادف منها غير أذنين
صماويين، وهى جالسة تشخص في الفضاء كالأخوذ
تتحرك شفتينا في صمت مبتهلة إلى الله .

وأشرق صباح اليوم الرابع صافياً وضاه .
وكان اليوم الذى حددنا قد زواج بارنى وسالى، ولكنى
كنت أعلم أن هذا الزواج لن يكون، فقد اقتربنا
من البقعة التى كان يشغل فيها هؤلاء التمساء حين
انفجار النجم، ولم يكن هناك أى أثر للحياة في تلك
البقعة المشتومة، فاشككتنا، وإن لم يصرح أحدنا
بما شعرنا به، في أن الموت قد حصدم جميعاً .

وسلنا آخر الأمر إلى الرجال وكانوا سبعة عشر
وجدهم قد سحقوا سحقاً فقد أصابهم الضربة
القاضية قاتلة عنيفة . فبالها من ساعات هول تلك
التي أخذنا نقلم فيها الواحد بعد الآخر إلى خارج
النجم، فكانت قلوبنا وأقدامنا تتناقل كلما اقتربنا
من مدخله . وليلهل اللحظة التى وقع نظرى فيها
على بارنى فتعلته في رفته التى تركته عليها في آخر
ليلة رأيته فيها، وكأنى أسمع كلامه الأخيرة : « ياك
من صديق طيب القلب يابول » . ما أفسى القدر
وما أتمس هذين المحبين اللذين أساهما بهذه الضربة
القاتلة ! لقد كدت أختنق حزناً في ذلك الموقف
الرهيب ...

دفنا موتانا وأقمنا عليهم صلاة جامعة في الكنيسة

كله متحصر في الشفقة الشديدة والرغبة في المساعدة. وإذا كانت سالي من الطراز الذي لا يجب إلا مرة واحدة فأنا أيضاً من ذلك الطراز ، وعلى الرغم من كل ما حدث كنت أعيدها . وهذا هو السبب في أنني عندما كنت أزرع أرض التفرقة ذهباً وجيئة في صمت كانت فكرة واحدة مستولية على رأسي . لقد أبدت « سالي » رغبتها في أن تترك البلدة ، وإنه ليس رثي أن أخذها معي بأي ثمن كان . إذن لقد وضح كل شيء وضوح ضوء النهار ، فركت إلى جانبها وأفضيت بكل ما خطر لي ، قائلاً في لهجة الجد والتحمس :

— اصغ إلى يا « سالي » ! إنك لن تستطعي البقاء هنا لمواجهة تحركات الناس فتقبلني مساعدتي — وكيف ؟ — تروحي مني

فتبعت « سالي » وابشددت عني وقد بدت عليها اللذة ولكنني اندفعت أقول في غير ترو : — إنني لأعلم ما لا بد أن تشعري به حيال هذا المرض . ولكن ألا ترين يا عزيزتي أن هذه هي الوسيلة الوحيدة ، فأنت زوجة لي تستطيعين أن تصحبيني إلى الزرعة دون أن يكون هنا ما يدعو إلى عر أحد بأمر الطفل . ألا ترين أن هذا هو الشيء الوحيد للمقول الذي يمكن عمله ؟ وما أشك في أنه لو تيسر أن يعلم بارني بهذا الأمر لاستطاع أن يدرك مناه

— أتقدم على هذه التضحية من أجل ، عالمك بأنني لن أستطيع أن أقدم لك شيئاً مقابلها ، عالمك كذلك أن لا أمل في شيء على الإطلاق ؟ ثم أنت ترغب فوق ذلك في أن تطلق اسمك على ابن رجل غيرك ؟

وانهمرت الدموع مطلقاً من عينيها ، فطوقت كتفها بإساعدي مواسياً وقالت :

— تشعري يا « سالي » وإنني لأعلم مبلغ ألمك من خسارتك القادحة ولكن اجتهدي في أن تميزي فنظرت إلى بعيتين منمورتين بالدموع وقالت في نان :

— أأطلقك يا « ويل » على سر لا تعلمه ؟ إنني لأعلم ألمك صديق وفيّ فخلص وأن حكمتك على أن يكون قاسياً . وإنني لشديدة الحيرة والاضطراب فنظرت إليها في دهشة ، أسألت نفسي : ترى إلى أية غاية ترى ؟

ومضت في حديثها تقول :

— إن حزني على « بارني » ليس إلا نصف السبب فيما أشعر به من حيرة واضطراب ، فيبد سببة أشهر سأسبغ أما . وهذا هو السبب الذي جعلني أنا وبارني على أن نستجبل يوم زفافنا فتحدده بسد أيام قلائل من إعلان خطبتنا . أما الآن ... فأنني لا أجد حتى الاسم الذي أسمي به طفلي . أواه يا « ويل » ... ماذا عساني أقول ؟

إذا قلت إنني شمرت عند سماع كلمات « سالي » كأنني قد صممت ، كنت متلففاً في التفسير . فإني كنت لأعلم بأن اسمع ذلك الذي سمعت ، ولم يكن في مقدوري أن أسدقه لأول وهلة :

على أنني أجهت نفسي في امتلاك عواطف ، فقد كانت الفكرة التي طنت على غيرها في رأسي هي أن « سالي » واقفة في حرج شديد وأنها أشد ما تكون حاجة إلى أن أعينها في شدتها . ومن الغريب أنني في تلك اللحظة لم أشعر في قلبي بشيء من العنينة أو الحقد على « بارني » ، فقد كان شعوري

فأجبت :

كثيراً على « سالي » ، بعد أن تقدمت حالها ، استأجرنا فتاة من أهل القرية لتساعد في المطبخ وفي الأعمال البسيطة الأخرى ، وقد برهنت هذه الفتاة واسمها مارجرى جاميسون أنها تساوى ثقلها ذهباً ، وكانت فتاة وضاعة الجبين جذابة ، محبة للعمل أنيسة بيت وجودها في البيت روح الهبة والانتشراح وقد توطدت روابط الصداقة بينها وبين سالي

وفي ذات صباح وجدت مارجرى في المطبخ يبدو عليها أثر الحيرة والاضطراب ، فلما سألتها عن سبب ما بها أجابت :

إن الذي يشغلني هو أمر امرأتك ، فانه يبدو عليها أنها في حال غير طبيعية . إنها لا تتكلم أبداً عن الطفل المنتظر . فهي تجلس شاخصة إلى الفضاء كأنها تحلم ، وقد قالت لي أس : « مارجرى ، أتيتين هنا بعد ذهابي لتلمي بأمر ويل ؟ إني لأرجو منك أن تفعل ذلك »

فقلت في خشونة :

— كلام فارغ ، إنها غير مالكة نفسها ، فهذا أول طفل لها ، وكل ما هناك أنها خائفة وعلى الرغم من كلامي هذا شعرت بشيء من الفلق والاضطراب

ولد الطفل في ليلة قارسة البرد من ليالي الشتاء وادة أحست « سالي » بالإلام الأولى ساعدها مارجرى في الإيواء إلى فراشها ومضيت أدعو الطبيب وكانت ليلة هول وجزع . ففند اللحظة التي وصل فيها الطبيب أحسست بتوتر غير طبيعي يملأ جو البيت ، فقد كانت مارجرى تروح وتجيء صفراء مقفلة الشفتين ، بينما كان الطبيب يؤدي مهمته وقد ارتسم الفلق على جبينه وانحأ

وبعد فترة كأنها الأبد نزل الطبيب إلى غرفة

(٥)

ليس فيها أفضل توضيحية على الإطلاق ، فانتا سنشترك في إنشاء بيت بأوى كلامنا ، وما أطلب شيئاً غير ذلك ، فإذا شعرت يوماً ما بأن في قلبك شيئاً من العطف على فسأشعر عندئذ بأنني قد كوفئت بمائة ضعف لما فعلت

فلم تستطع « سالي » أن تتكلم وأدارت وجهها عني ولكنني أدركت أنني قد نجحت فيما رمت إليه وشعرت أنني في هذه اللحظة المحرجة كنت أسعد مني في أي وقت مضى من حياتي

وبعد أسابيع قليلة وصلت و « سالي » إلى مزرعة خالي بات الذي امتلأ قلبه فرحاً بإسطحاني مرحوسى مني ، وقد بذل منذ اللحظة الأولى كل ما في جهده ليشرها بأنها في بيتها ، وأخيراً عندما أصبحت حالة الحمل أكثر وضوحاً عني في أسلوب دقيق بأن يخفف عنها عبء العمل في البيت . وكان إذا لاحظ مرة أن العلاقات بيني وبين زوجي غير طبيعية تجنب في حكمة أن يقول شيئاً بيم هما لاحظته وإنني لو اتقن أن « سالي » لم تندم قط على قبولها الزواج مني ، فقد أحببت المزرعة ، وكان يبدو عليها بعض الأحيان أنها تشرم بكثير من الممادة ، ولو أنها أصبحت نادرة الانقسام . ولقد كان شاقاً على نفسي أن أكون قريباً منها عجباً لها ومع ذلك لا أجرؤ أبداً على أن أسهرها . ولكنني صبرت مؤملاً ألا يمدجداً اليوم الذي تقبل على فيه عن رغبة ورضا

وقلت في نفسي : إن الحال لا بد أن تتغير بعد أن تضع جنينها ، وستعود حياتها سيرتها الطبيعية يوم يصبح لها ولد يحبه وتسهل على العناية به ، فستعود عندئذ تدريجاً أن تقبل على « أنا أيضاً ولا شعرت أنا وخالي بأن عمل البيت قد أصبح

واسم « بارنى » على شفتها

وقفت للحالم منحني الرأس عند ما غيخوا نمش
« سالى » فى القبر غير مستطيع أن أصدق أنها
قد ذهبت حقاً . على أن الحقيقة لم تلبث أن صدمتني
بقوتها المربة عندما وصلت البيت عائداً من جنازتها ،
فقد كنت جالساً وحدى فى الغرفة الأمامية غارقاً
فى الأفكار الحزينة إذ أيقظنى من غيوبة بكاء
ضئيف ... الطفل وكان الحزن قد أنساني وجوده
فى هذا العالم ، فشيت متثدداً ونظرت إلى ذلك المخلوق
الأحمر الوجه الذى تركته أمه فى رعايتي . إنه ابن
بارنى ! كيف أستطيع أن أشرح أو أصف الانفعال
الذى تملك نفسى حين نظرت إلى الوليد الذى يبكي ؟
لقد تجملت البشضاء كلها والحزن الكبيرين فى نفسى
فتجمعت كرهاً مطلق اللنان نحو ذلك الطفل . لقد
حطى أبوه بالنفثة التى أحببتها وخأبها ، ثم هى قد
دفعت حياتها ثمناً لخراج ابنه إلى عالم الوجود

وبكى الطفل مرة أخرى ، فأعجبت عليه وقلت
فى خشونة : « أنت ، إنها من أجلك ماتت ، وما ينتظر
منى مقابل ذلك إلا أن أهلك ! ها ! ها ! ها ! ها ! من
مهزلة ! حقاً إلى أبغضك ، أيها الطفل الباكي
الحقير ! » ولم تلبث ثورة الغضب والحزن التى أقعدتني
كل حامل من عوامل العقل أن أحاطنى رجالاً يجنوناً
تغلاً قلبه شهوة الجرمية . سأنتقم من القدر بقتل
المخلوق للبرى الذى كان السبب فى كل هذا المصائب
وانجعت يداى فى بطة إلى رأس الطفل وأطبقت
أصابعى على عنقه ، وبدأت أضغط ذلك العنق الضئيف
متأنياً وأنا أضحك ضحكا وحشياً كلما ازدادت عينا
الضحية إسجاطاً .. ابن بارنى ! أظن أنه يستطيع أن
يشغلنى ؟ سأريه ! أن « ويل الصديق الطيب القلب »
لن يكون الأضحوكة مرة أخرى

الطعام حيث كنت جالساً أنا وخالى بات منتظرين
فلما رأيته سائته فى حال عصيبة :

— أهنأك شئ غير سار يا دكتور ؟

فهز رأسه كثيراً وقال :

— أخشى أن يكون ذلك يا « ويل » إننا
نعمل كل شئ ممكن ، ولكن إصرارك تسلك سلوكاً
غربياً ، فلا هي مكترة بأن تعيش أو تموت ولا هي
تساعدنا فى أداء مهمتنا بأية صورة من صور المساعدة
وهى أحياناً تهذى وتكرر الهتاف باسم بارنى

ثم جاءت مارجرى فدعت الطبيب الذى خرج
وتركنى وخالى ينظر أحدنا إلى الآخر فى صمت
مشبع بروح الجرح . ولم تلبث أن سمعنا بكاء رقيقاً
ينبئ عن قدوم مخلوق جديد إلى عالم الكفاح الذى
نعيش فيه

وفى مطلع النهار كنت ناعساً فوق كرسي
إذ أيقظتنى نقرة خفيفة على كتفى فرأيت مارجرى
واقفة أمامى تقول هاسمة :

— يريد الطبيب أن تسرع فى الذهاب إليه

فاندفعت ساءداً السلم فى سكون وهناك لقيني

الطبيب على باب غرفة سالى ، وقال بمحذرنى :

— اجهد فى أن تكون هادئاً متجهداً

غسبت أول الأمر أن سالى نائمة ، ولكننى
رأيت جفنها يهتران ثم يفتتحان ، ثم التفتت
— وعلى فيها إنسانة رقيقة — إلى المخلوق الضئيف
الذى ضمت فى ساعدها ملفوفاً ، وبدأت تتكلم
فانجحت لأسمع صوتها الخافت فقالت :

— ويل ... عزيزى ويل ... إننى نأكة طفل

فى رعايتك ، وسيجيئ اليوم الذى يكبر فيه ويمشى
ليرد إليك جزاء شفقتك العظيمة ، فليبارك الله
عليك ولا يحفظكنا جميعاً

وانطبق جفناها فى بطة ، وبعد دقائق قليلة ماتت

فانه لم يكن مهملاً . فقد كانت مسرحى تمبده ، وقسم خالى وقته بين فقير النحل وبين الطفل الذى سمي باسمه . وإذا لاحظنا أن سلوكي حيال « ابني » كان غريباً فانهما لم يكونا يحدداني بما لاحظناه . وبعضى الوقت بدأت ألتف وجود الطفل في البيت كما ألتف وجود عصفور غرير من مصافير الكتارا ، مخلوق يطعمه الانسان ويأويه ويبنى به ، ولكنى لم أشعر في قلبي نحوه بأى أثر لاطقة الحب

ولما أتم الطفل « بات » السنة الأولى من عمره أصيب خالى بصدمة أزمته الفرائش ستة أشهر ، كنت خلالها شديد الالهاب بما رجى لا أيدت من سير وعطف في أداء واجباتها ، إذ كانت تخوض الرجل المريض وتمنى بالطفل الذى كثرت حركته حريصة كل الحرص على نظافة كل شيء في البيت ، مؤدية في الوقت نفسه عمل الطاهى والمخاطب أيضاً . وكنت من جاني أعمل كل ما أستطيع لمساعدتها ، وقد علمتني أن أزداد كل يوم احتراماً لها وإعجاباً بها . لقد كانت الأم والطاهية ومدرسة البيت والمرضة ، فلو شامت لتفاقت أثمان الأجر الضئيل الذى كنا نقدمه لها ، ومع ذلك لم تكن لتشكو من شيء وطراً على في الوقت نفسه شيء من التنوير ، فاذا كنت أمضى في أداء عملي في هدوء مغاير لما كنت عليه من قبل ، فلم يكن السبب في ذلك الحزن الذى كن في نفسى ، ولكن انحصار تفكيري كله في عملي . فقد شق الزمن جرح نفسى ، ولم تمد « سالى » غير ذكرى محبوبة تسكن أعماق قلبي . على أننى كنت أشعر دائماً أن شبح « بارنى » يلازمى دائماً في شخص ابنه الذى صار كلما تقدمت به الأيام يقترب شبهه من شبه أبيه ، فكانت له تقاسيمه وعيناه السوداوان الراقستان وشمه المجدد ولم أهرف قط إذا كان خالى قد أدرك الحقيقة

أيقظنى من هذه اللوعة الجنوبية وقع خطوة على عتبة الباب وخلعت أصابعى من عتق الطفل مجفلاً إجمال المجرمين عندما دخلت مارجرى الحجره ، وإذ لم تلاحظ شيئاً غير عادى ذهبت إلى فراش الطفل وحملت على ساعدها . وقالت :

— إنه جامع ... سيكون هذا الطفل القيم من أمه ، أخشى أن نكون قد أحملناه !

فلم أجب على قولها بشيء ، وقد أخذت أسترده قواى العقلية ، وبدأت أشعر بالمرق البارد يتدفق من جميع مسام جسدى . واستولى على إذ ذاك للشعور بالشكر وعرفان الجليل للمارجرى فقد أنقذتنى من أن أصبح قاتلاً لمخلوق ضئيف برى . يجب أن أستجمع قواى ! فتفحنت خارجاً من الحجره أشعر بالهواء البارد يصدم جبهتى

فلما خلوت إلى نفسى في حجرتى ذلك المساء لست ما بدا من حماقتى ، فإ كان الطفل باللوم على موت « سالى » ولكننى أنا اللوم

لقد قال الطبيب إنها ماتت لأنها لم تكن راغبة في الحياة ، وأنا وحيدى الذى أعرف السبب في ذلك . كنت أعلم أن قلبها قد دفن مع بارنى . لقد كانت تستند أنه معها الصادق الأمين ، ولم يكن هناك من يعلم غير ذلك سوى . وكان في مقدورى أن أقضى على جها له يضع كلمات . فلماذا كنت ما علمته من أمر بارنى والفتاة « نيس » ؟ لم يكن لهذا التكم من سبب غير خوفى من أن أجرحها وأن أسود نفسى في عينها إنساناً دينياً . لقد أطلقت شفتى وتركت الفتاة التى أحببتها تصعب محباً خائفاً إلى المالم الآخر . كانت هذه هى الأفكار التى مررت حياتى بضعة أشهر بعد موت « سالى »

وإجابة لطلب خالى بات سميتا الطفل « باتريك » وعلى الرغم من أننى لم أهتم بأمر ذلك المخلوق الضئير

عدت بهذا كرتي إلى الثانية عشر شهراً الماضية التي
عنيت فيها مارجرى بتربية الطفل وبتمريض خالي .
فسألت نفسي : أراها كانت تقبل كل ذلك مقابل
الأجر الضئيل الذي كانت تقضاه منا ؟ أم كانت
تשמّر هي أيضاً بأنها قد أصبحت أحد العناصر
الأسيلة في ذلك البيت ؟

أيمكن أن تكون قد شمّرت بشيء من العطف
على رب البيت الفار للشعور الصامت الذي كان روح
ويجي مشغولاً عن كل شيء غير مكرّث لأحد ؟
تذكرت بعض حركات صغيرة يمكن أن تدل على هذا
الذي افترضت ، وهنا شمّرت كأن شرادة ملهبة قد
سرت في مجموع كياني ، فكان من الأمور السارة
أن أسمع بأنني موضع اهتمام إنسان ما وما جرى على
وجه أخص ، فقد تودعت أن أنظر إليها نظرة
الصدقة الحارة . ولم يكن هناك من يستطيع أن يملأ
الفراغ الذي تملأه في بيتي . إذن يجب ألا تناديه
وقفت إلى جانب مارجرى وهي ترقد الطفل
نساء في سريرته ونظرت إليه وهو يرضع . وعلى
حين فجأة طوقت مارجرى بساعدي وضمتها
إلى صدرى وقلت :

— إنك يا مارجرى لن تتركي مخلوقين عاجزين
تحت رحمة الأقدار ؟ ألا ترين أننا أشد ما نكون
حاجة إليك ؟

فقلت وقد دهشت لحركة التودد التي بدت مني
على غير انتظار :

— ولكن ماذا عساني أقول ؟

قلت :

— اصغ إلى يا مارجرى ! إنني لا أنظر إلى امرأة
أخرى في العالم نظري إليك . وإنني لأعلم أن هذا
الامر مفاجئ ، ولكن أنظنين أنك تسعين بأمرى

أم لم يدركها فيما يتصل بنسبة هذا الغلام ، فقد كان
رجلاً ما كراً لا يتكلم كثيراً ولا يروح بما يعلم .
وقد مات بعد ستة أشهر من مرضه . وعدت يوماً
إلى البيت بعد موته بأسبوعين فوجدت مارجرى
تبكي . فسألتها في لهفة :

— ما الذي يبكيك يا مارجرى وأى سوء حدث ؟
فقلت متألة :

— إن هناك دائماً أناساً متطفلين ينهبون
الفرص للخرق في أمراض غيرهم ، ولما كان خالك
على قيد الحياة يعيش معنا لم يكن هناك ما يشير تطفل
أمثال هؤلاء الناس . أما اليوم وقد مات ، فقد
شرعوا يتحدثون في أمراضنا ويقولون إنه من غير
لائي أن أبيت معك وأنا فتاة شابة تحت سقف واحد
وليس معنا ثالث ، لهذا أرى من الحكمة أن أغادر
هذا البيت حتى أقطع السبيل على التطفلين
فقلت مرثعاً :

— ولكن الطفل ! إن به حاجة لمن يربي
بأمره ، وأنت الأم الوحيدة التي تفتحت عيناه على
وجهها . إنك لا تستطيعين أن تتركينا يا مارجرى
وما نحن بقادرين على أن نعيش بعيدين عنك
فزفرت الفتاة وقالت وهي تسرع بالمدخول إلى
غرفتها :

— إنه ليكرس قلبي أن أقول ذلك ، فقد كنت
عطوفاً على ، وأنا أحب « بات » الصغير كما لو أحببت
ابني الذي من لحي ودي

شمّرت عند سماع هذه الكلمات بشيء من
الاحياء يستولى على نفسي ، فلم يخطر لي من قبل قط
أن مارجرى يمكن أن تتركنا ، فقد كنت أنظر
إليها منذ الساعة التي دخلت فيها بيتنا ، على
أنها عنصر من العناصر الأسيلة فيه ، وكان ذلك
كان أمراً مسلماً به ، فلما سمعت كلامها الأخيرة

نفسى به قد حلتى على أن أقسم فى الحال وأنا أحمل
ابنى على ساعدى أنى مهما بلغ حى لهذا الطفل ما بلغ
فلن أميزه بمجمل أحرم منه « بات »
ولقد وفيت بهذا القسم فى أدق حدود الوفاء ،
وخصصت قسما من دخلى لتربيتهما وتعليمهما ، وكان
على كل منهما أن يؤدى واجباته الدراسية ، وإذا
لاحظت أن « فرانك » كان ميالا إلى الكسل ،
أمرت « بات » فى شدة الألباسعدى فى أداء واجباته
عنه ، وكان الطفل ميالا بطبيعته الخيرة إلى إسداء
هذه المساعدة لأخيه ...

ولما شب الطفلان أحزننى أن ألاحظ القاروق
الكبير بين أخلاق أحداهما وبين أخلاق الآخر . فقد
كان « بات » دائما يابسا سعيدا ، وكان كريما
طموحا غير أنه كان على استمداد للمراك لأقل سبب ،
وكان يملك حيال فرانك ، مسك الحامى الذى
يدافع عنه غير ساحب لانتان أن يحسه بسوء .

وكان ابنى على المكس من ذلك غولا ميالا
إلى الأنانية ، فكان يستغل طيبة « بات » لمصلحته
كلما أراد ذلك . وإذا كانت الأمور تسير سيرها
الطبيعى كانت شخصيته تتميز بمجاذبة شديدة ، وكان
فوق ذلك متميزا بكاء عقل وقوة إدراكه وما
أمران كانا يبشران بمستقبل عظيم .

وكان مما شاقبنى بعض الشيء أن فرانك
لم يكن يكثر قط بفقر النحل ، وكان « بات » هو
الذى يبنى بها ويحفظ كل ما كنت أعلمه من شئونها
وكنت كذلك أنصاف حين أذكر أن « فرانك »
قد يرتفع شأنه فى الوجود ، وأن « بات » قد يتنق
بالحياة فى الزرعة على مثال ما فعلت . على أن هذا
هو ما كنت أرجوه على كل حال ، فإن السنين وإن
كانت قد خففت ما كنت أشعر به من البعض نحو

لحد أن تقبلنى زوجا لك ؟ أنا أنا فسابذل جهدى
فى سبيل إسعادك
فم تنطق الفتاة بكلمة ولكنها هزت رأسها هزة
الرضا وقد فاشت عيناها بالدموع ، فأنحنيت وطلبت
على شفتها القبلة التى لم أطبعها على شفتى امرأة
غير أوى
لقد عرضت الزواج على مارجرى فى ساعة انفعال
ولكننى لم أندم على ذلك قط ، فقد كانت سديقة
خلصة ، ورفيقا فرحا مؤنسا ، وقد تمددت على الزمن
أن أحبا حيا قويا

وكان « بات » كلما كبر أصبح من المستحيل
أن أتجاهله ، لقد كان طفلا نشيطا محتاجا إلى الملاحظة
الستمرة ، إذ كان ميالا للبت بكل ما يصادفه ، فلم
أبث أن لاحظت أنه لا بد من مراقبته خشية أن
يؤذى نفسه ، ولم يكن من طبي أن أحمل ملدا أداء
واجبي ، وما دامت الأقدار قد ألفت إلى أسر الناية
بهذا الخلق فقد وجب على أن أحبه من كل خطر
يتمرض له

وبدا على الطفل أنه يحبنى حبا شديدا ، فكان
يتبنى أن تنقلت فى البيت وكان يتعلق بى ويقبلنى ،
وكان حسنه وألفه جنابين لا يملك الإنسان نفسه
من التأثيرهما ، وكان يدعونى بلقطة « أوى » وما كان
ليستطيع أن يدعونى بشير ذلك

وما بلغ « بات » السنة الثالثة من عمره حتى
رزقت مارجرى بطفل هو ابنى من لحمى ومن دوى ،
وما أستطيع أن أصف الشعور الذى استولى على نفسى
حين حلت الخلق الصغير الجديد على ساعدى ، فقد
تجمع الحب والعطف اللذان سحرتهما « بات » وقاضا
دفعة واحدة على القادم الجديد
على أن روح المدل الذى كنت أتشد فى أخذ

الأسمم ، وزادني الرخ طمعا فاستخدمت فيها جميع أموالى وكان ذلك سببا في أن تعرفت بمستر بالهوين مدير البنك المحلى ، وكان الرجل ممن يهتمون بترتية النحل فكان يزورنى ويرقب ما يجرى في القفير . فتوطدت بينى وبينه روابط الصداقة ، حتى إذا ترك « فرانك » المدرسة عهد إليه وظيفته كآب في البنك فشاء أبى بذلك عجبا . وكان يقول لى عن عقيدة : إن بعض كبار رجالنا كانوا في أول نشأتهم كتابا في المصارف

وكان بات إذا ذاك يعمل خبزا في الجريدة المحلية وكان الأجر الذى يتقاضاه متبليا ، ولكنه كان قنوعا به ، وكان يكنى لميشته ، وكان يعضى أوقات فراغه في كتابة قصص لم يوفق قط في بيعها ، فكان كل ما يرسله منها يرد إليه ثانية ، وكنت أنا و«فرانك» نهزا منه لاضاعته وقته في ذلك السبت . وقال له فرانك في سخرية :

— ألا تهبط أبها للزوى الكبير الجسم إلى الأرض؟ ألا تصرف الوقت الذى أسبكت فيه المهرجة؟ وكان « بات » يبتسم من هذا الكلام غير مكتثر ويقول إن روما لم تبن في يوم واحد ، ثم يعضى في الكتابة

ولم يعض إلا قليل حتى دهشت أنا وفرانك أكبر دهشة في حياتنا ، فأن إحدى قصص « بات » لم ترد إليه بل جاءه بدلها « شيك » . بمبلغ من المال مصحوبا بكلمة تشجيع من محرر إحدى المجلات الواسعة الانتشار . ولقد كانت هذه هي الفرصة التى يستطيع أن يقول فيها : « لقد قلت لكم ذلك » ولكن لم يقل شيئا وأظن أن سكرة الفرح أنسته أن يتكلم ، فثنى وهلى في الهتاف عريضة راضيا بحظه في الحياة ، وتوالت الشيكات بعد ذلك

الطفل القريب الذى حلى مسؤولية أباغير مرحب بها ، فانها لم تقض على هذا البيض القضاء التام ، فكنت أنمى أن يتم كل شيء طيب لائى .

وكان « بات » أدق إدراكا من أن يقوت عليه ما في مسلكى من تميز ولكن لم يكن ذلك ليرتك في قلبه الصغير أى أثر غير طيب . ومن للقريب أن تكون مارجرى هي التى لم يبد من ناحيتها أى نوع من أنواع التفريق بين التلاميذ ، فقد كانت تحب الولد الكبير الجليل الطيب القلب الذى تمتد أنه ابنى حبها ابنا على حد سواء .

وكانت « بات » متقدما على « فرانك » في المدرسة عندما ماتت مارجرى ، وقد شعرنا جميعا بالأسارة التى أسبكتنا بفقدان عطفها وعنايتها وكان « بات » أعدنا حزنا وتأثرا . فكانت هي للشخص الوحيد الذى كان يقضى إليه بما في نفسه ويركن إلى عطفه . وكان « بات » يدرس الصحافة ويقول إنه سيؤلف يوما كتابا يحملنا جميعا على أن نفخر به ، وكانت مارجرى هي وحدها التى تشجعه ، أما أنا فكنت أهزا بفكره فما كنت لأتصور أن ذلك الطفل الرقيق الكبير الجسم يصلح لأن يجلس يوما فيضمن أفكاره وآراءه كتابا يقرأه الناس ، ولما ماتت مارجرى انقطع حديث « بات » بآماله ومطامعه

أما فرانك فكان يطمع في التفرغ في الثروة . كان متفرغا بالمسائل المالية ، فكان كل مساء يدرس الصحيفة الاقتصادية التى تنشرها الجريدة ، غير ملتفت إلى شيء إلا أن هذا النوع من الأسمم قد ارتفع وذلك النوع قد تدهور ، وكان يدرس الأسباب التى تؤثر في السوق مفاخرأ بأنه يستطيع أن يتنبأ بما سيقع من ارتفاع أو هبوط ، وكان كلامه متريفا حلى على أن أستخدم بعض أموالى في سوق

خطابتي عن مكان وجودي، ولكنني أرجو أن تجد في قلبك مكاناً للمغو غنى . وما أختني على صحتك وحياتك لأنني واثق من أن « بات » المزيّس سيهر عليك ويسبي بآرك . وقد أستطيع أن أعود بوما ما، وإلى أن أعكن من ذلك سابق ... ولكم الحب (فرنك)

صغفي هذا الخطاب جلست أنظر إلى الفضاء . إن هذا لا يمكن أن يكون صدقاً ! ابني فرانك لمص لن يمضي زمن طويل حتى يقبض عليه كالوحش الضاري ! لا بد أن يكون هناك خطأ ما . ولكن لا . هذا كتابه وهذا خطه . أصبح لصاً ؟ ابني الذي أملت منه الكثير وهو الآن هارب يبحث عن مكان يأوي إليه حتى لا تقع عليه عين القانون

فكرت في الأيام التي كان فيها طفلاً وساءلت نفسي : أنصرت في تربيته ؟ ألم أعله تملياً حسناً ؟ ألم ألقنه مبادئ الأمانة ؟ سألت نفسي هذه الأسئلة ورددت عليها إيجاباً

إذن أين موضع الخطأ ؟ إنه في أحماق نفسي ، لقد أخطأت حين اعتمدت على نصائحهم وعلمت برأيي . لقد رأني أرحم الكثير بأيداع القليل ، فتنقلل الشره إلى نفسه ، وأراد أن يكون إنساناً ذا شأن . والمال يزود الانسان بالقوة . لقد رأى كني تقبض على مبالغ كبيرة من المال فأراد أن يحضو حنوى ويجمع المال لنفسه .

وإذ وصلت إلى هذا التبليل أحنيت رأسي حزناً وعاراً واعتمدت رأسي بيدي وبكيت في صوت مرتفع ..

ولم أشعر بأن « بات » قد دخل الغرفة حتى أحسست بساعده يطوق كفتي ، ونظرت فرأيتة يرمقني في عطف وحنان . وقد قال في كثير من التلطف :

وأصبح بات تغوراً بمكاته وبثروه التي تنمو على الاستمرار .

وبدا الناس يتحدثون بأمر الفتى المؤلف ، وبهتوني بابني اللطيفة ، وأخيراً أدركت أن ليس هناك من يعرف حقيقة نسبه ، فلم أر ما يحول بيني وبين الاشتراك معهم في الحديث .

ولم يمض طمان على اشتغال فرانك حتى حلت بالبنك كارثة مفاجئة ضاعت فيها أموال أربابها وأصحابها ضاعت أموال غيرة ، على أن هذه الكارثة على شدتها كانت أخف هولاً من الكارثة التي لحقتها بعد ثلاثة أسابيع والتي فاجأتني في خطاب مكتوب على مجل يحيط بفرانك وفيه يقول :

والذي المزيّز

عند ما تقرأ هذا الخطاب أكون قد بدت أميلاً عديدة عن الوطن . ولقد لاحظت أنت عند ما كنت في البيت في نهاية الأسبوع أنني كنت كثيراً ، وقد فغيت ما أبديت لي من ملاحظة إذ لم تكن أعصابي لتحتمل مواجهة الحقيقة ، فأخبرك بأن ابنك ضرور ولص

وإنك لتعلم أنني كنت أشتغل بدقار البنك فترة من الزمن ، فلما وقعت الكارثة استولى على اليأس فكنت أرى أحلامي تتلاشى وما اقتصدت من المال يضيع هباء ، فلم أر أماناً غير سبيل واحد للخروج من ذلك المازق ، فأخذت من أموال البنك مبلغاً أربهاً جنيه مستمراً بطبيعة الحال أن أردّها . ولكن هذا المبلغ ضاع هو أيضاً ، ولا بد أن يأتي اليوم الذي يطلع فيه مديرو البنك على ما حدث ، لذلك أنا أغادر البلاد قبل أن يكشف أسرى . وسأبدأ حياتي من جديد في أي مكان أستطيع العمل فيه ، وآمل أن أعكن يوماً من رد المبلغ الذي سرقتة . ولا أكتب إليك بعد الآن خوفاً من أنسب تم

وأن يدب رنينها في أذني ، وأغرب من ذلك أنه خيل إلى أن الواقف إلى جانبي هي سالي نفسها ، تعمل لا تقاذ اسمي كما أقنعت اسمها فيما مضى ، فكان عرضاً منها لا أستطيع رفضه . ولكن « بات » لن يعرف ماذا قصدت حين قلت : « شكراً لك يا سالي »

مضت ست سنوات على هرب فرانك ، وعلى الرغم من أنني لم يصلي كلمة منه فأنني أشعر أنه بخير واني لأرجو أن يعود يوماً ، ولكنني لست وحيداً فان حياتي أمتع وأكثر اهتماماً مما كانت في أي وقت مضى من جراء التفاهم واللودة اللذين توطدا بين « بات » وبينني

زوج « بات » بعد ذهاب فرانك بوقت قليل محضراً زوجه الجميلة إلى الزهرة كأحضرت أنا أمه من قبل ، ولا يزال دائماً على الكتابة مقباً وقته بين الآلة الكتابة وبين قنبر النحل

وقد رأيته منذ أيام — وأنا جالس في الشرفة — وهو يجمع الزهر الأزرق الذي يحبه النحل . وكانت ابنته الصغيرة مارجري سالي جالسة على ركبتي . وقد غمرني شعور بالرضا والقناعة عند ما ضممتها إلى صدري فنظرت إلى ورأني أتبسم وقد سالتني :

— لماذا تبسم يا جدي ؟

فأجبته بكلام فارغ ، إذ كيف أستطيع أن أقول للطفلة إنني عند ما رأيت « بات » نسووت أن الأيام قد حادت إلى الوداء وإنني أرى سالي وبارني يشبهان لي

أكان الأمر كله خرافة شيخ مضطرب ، أم تراني قد سمعت حقاً « بارني » وهو يقول :

« ياك من صديق طبيب القلب ياول فليجرك الله خيراً »
غير المحرمدي

— إنه لأمر قاس يا أبي ، ولكن هون عليك ولا تبئس

فسأله في صوت عال :

— أعرفت ما حدث ؟

— نعم فقد بعث إلى فرنك بخطاب

فسأله وقد شمرت بشيء من الارتياح لوجود من يشاطرن الأسمي :

— وماذا عسانا نعمل ؟

فأجاب :

— لقد علمت كل ما يمكن أن يعمل فما قرأت خطاب فرنك حتى أسرع إلى البنك وتحدثت مع مستر بالدوين ، وحوالت حساباً إلى البنك . ولما كان مالي يزيد كثيراً على القدر المطلوب ، وافق مستر بالدوين رعاية لك أن يترك الأمر يمر في هدوء وبقى سرّاً مكتوماً

فقلت :

— أنت دفعت مالك الذي جنيته بمملك لتتخذ اسم فرنك ؟

فأجاب الفتى :

— إنه اسمنا جميعاً

فقلت نظري عنه سامتاً ، فقد ازدجت الكلمات في في ، وغص بها حلق فلم يخرج من بين شفتي . لقد أدت أن أقول له إن الاسم الذي دنس ليس اسمه ثم إذا بي كاني أسمع صوتاً من الماضي همس في أذني ، وكان صوت « سالي » تكرر الكلمات التي قالتها من قبل ، عند ما نظرت ببينين تقيضان بالسمع إلى طفلها الوليد وقالت : « سيأتي اليوم الذي يكبر فيه ويبتلى ليرد إليك جزاء شفتك المنظمة »

لقد استولى على شعور لا أستطيع وصفه ، فغريب أن تصح نبوءتها بعد هذه السنوات الطويلة ،

حاجي بابا اصفهاني

لكايش الاطليشي "جبر مور"
بقلم الأستاذ عبد الطيف الشاذلي

الفصل السادس والخمسون

طامع مدانداه

عرفت لما زادت ساني بملا نادان أنه شديد الجشع كبير الطامع وأن غرضه الأول هو أن يصبح شيخ العلماء في العاصمة الفارسية وأنه لم يترك وسيلة لتحقيق هذه الناية إلا اتبعها . وكان من وظائفه التمددة التدريس في المدرسة الملكية . وكان يكثر من المسائس والافتاح بين خاصة الشاه سرا ويتولى في الجهر حل ما بينهم من الخلاف ليظهر بالكياسة والحزم . وكان في الأعياد والمواسم التي يجتمع فيها العلماء عند الشاه يقدم نفسه على سائر إخوانه بالظهور في الصف الأول ويرفع صوته المنكر في الدماء لجلالته وبشكل بالنيابة عنهم اتقضى فصل الشتاء وبدت بأكورة الربيع وجاءت الأخبار بأن الأمطار كانت قليلة في جنوب إيران وأنها مهددة بالمجاعة ، فأمر الشاه بأقامة الصلاة العامة وتولى شيخ العلماء تنفيذ هذا الأمر فلم تفت الملا نادان هذه الفرصة لينتفع منها . وكان لا يجهل النفوذ الذي استفاد به بين الشعب فأرسل دعوة إلى العامة من أهل المدينة ليقبوه إلى مكان خال في الضواحي حيث يقيم صلاة عامة . ووصل خبر هذه الدعوة إلى الشاه فأمر كل أهل المدينة بإتياعه فكان ذلك نصراً مبيناً له . وفي اليوم الذي تمجد لهذه الصلاة خرج كل من

في طهران سواء منهم السلفون والنصارى واليهود وأقيمت الصلاة ولم يزل المطر . ولكن الملا نادان لم يأس بل وقف بين الناس خطيباً فقال : « أليس أمامنا شيء . نقطه يا أهل إيران لكشف البلاء عن الأرض المصاية بالجذب ؟ لقد ظهر مثل

ظهور الشمس أن الله غاضب علينا لأن قينا من استزلت خطاياه نعمة الله علينا ، وهؤلاء هم الكفرة الذين يستبيحون شرب الخمر جيرة ويرتكبون المنكرات في كل مكان ، فلنذهب إلى حائهم ولنعلم كؤوسهم وقنابهم لعلنا نعال بذلك رضى الله »

عند ذلك ثارت في الناس حمية الدين ووضح الملا نادان نفسه على رأس الجوع ومشوا إلى الحى الأرمنى في المدينة . فلما رأى أهله هذه الجوع التائنية لم يعرفوا ماذا يفعلون فبعضهم أوسد الباب دونه والبعض هرب والبعض تجدد في مكانه . ولكن الجميع أدركو نية اللقبيل . وبعد قليل تحول النظر إلى مذبحه عامة

ودخل الملا نادان يقيم الأثناء من رجاله يوث الزعماء من الأرمن فأخذ يبعث مجداً عن الخمر ولما كان الأرمن كالمسلمين يحجبون نساءهم قام أترك غيالي القاري تصور الحالة التي نشأت عن دخول هذه الجوع الهائجة المنازل وتكسيرها أبواب النساء وتفتيشهن خوفاً من أن تكون بعض زجاجات الخمر مخبوءة في ثيابهن

ووجدت هذه الجوع ما لم تكن تنتظره ، وما هو عندهم شر من الخمر ، وهو الكتب المقدسة والصلبان وصور المسيح والمغراء معلقة (١)

أخذت على عاتقك أن تقتل رعيتي ؟ من الذى منحك هذه السلطة ؟ هل صرت نبياً ؟ هل تريد أن تكون ملكاً ؟ قل لى ما الذى فعلته ؟ »

وجهم هذا اللئيم الذى لم تكن تمنوه الألقاظ كلما أراد أن يتكلم، ثم تنم بكلمات قافضة عن الكفار وعن شرب الخمر وعن نزول الأمطار . وكان فى خلال هذه المدة موقوف الحركة كأنه تمثال

فقال للشاه الملا بائى : « أنهمت شيئاً بما يقول ؟ خبرنى ما الذى يمينه إن كنت قد فهمت ؟ » فقال الملا بائى : « جعلنى الله فداك يا جلالة الشاه، إنه يقول إنه أراد الخير لرعيته التى منع عنها الله اللطربسبب الخمر التى يشربها الكفار فى طهران » فقال الشاه : « إذن فأنت تقتل جزءاً من الرعية لتصلح جزءاً منها يا ملا نادان . وهل أنت قد حلت عجل فى هذه العاصمة التى تريد إصلاحها ؟ أى حلم هذا الذى كنت تحلم به ؟ »

ثم رفع رأسه منادياً جنوده : « تمالوا هنا فزقوا عمامة هذا الملا وجبته وانتفوا لحيته واربطوا يديه خلف ظهره وأركبوه حملاً جاعلين ظهره إلى رأس الحمار، وصروا به فى أسواق المدينة ثم اطردوه منها . وليكن معه تليفه هذا » وأشار إلى فخذته . « الله لأن الشاه لم يبرف أننى صاحب زينب ، وكان حظى أحسن من حظ أستاذى لأن لحيتى بقيت لى وبقي لى احترامى

أما لحية الملا فأنها تفتت كما ينتف الطبايح رأس المصاحبة ثم صفوه وأركبوه أنذر حمار رأوه فى الطريق ومشوا به الهوى ، وكنت أمشى وراءه ، ولما وصلنا إلى باب من أبواب المدينة أنزلوا الملا الكبير المطامع عن ظهر حماره وطردهوه وطرودنى معه وكان

على الحوائط فأخذوا يحطمون ما تصل أيديهم إليه ، وتوفيت فى نفوسهم شهوة التعظيم فلم يتركوا شيئاً من الأثاث والرياش . ولو استمروا على ذلك مدة لخطموا المنازل كلها أو أحرقوها ولما تركوا أرمناً على قيد الحياة

ولكن رسولاً من قبل الشاه حضر فى هذه الأثناء مع رئيس من رؤساء الأرمن فأبلغ الجمهور أن جلالاته غضب وأنه يأمر الجوع بأن تمود إلى رشداه فتراجعت الجوع ولا تسل عن شعور الملا نادان فى هذه الساعة فقد نظر إلى الجمهور ثم إلى نظرات لعله لم ينظر مثلهما رجل ذو لحية فى العالم كله لأنها كانت دالة على الطفولة والبلاهة ، ثم أمره رسول الملك بأن يذهب معه إلى جلالاته . وصاح بصوت يشبه البكاء : « وما الذى فعلته بحق رسول الله ؟ أليس أعداء الدين جديرين بأن تطهر منهم المدينة ؟ »

ذهبنا إلى قصر الشاه فوجدنا رئيس الوزراء والملا بائى ينتظراننا فى غرفة رئيس الجلادين وقال رئيس الوزراء للملا نادان : « ماذا فعلت يا ملا ؟ هل جنت ؟ هل نسيت أن فى طهران ملكاً له ولاية الأمر ؟ »

ثم أشار إلى رئيس الجلادين وقال : « خذما إلى الشاه فانه ينتظرهما . فقادنا إلى الموت أقرب منا إلى الحياة فثنا بين يدي جلالاته وكان يقتل شاربيه كمادة عند ما يشتد غضبه

وطأنا رئيس الجلادين حتى كادت رأسه تصل إلى الأرض وقال مشيراً إلى الملا ثم إلى : « هذا هو الملا نادان وهذا خاليمه »

فنظر للشاه إلى الملا وقال : « من أى عهد

دون أن يراني أحد لأن السكان كان منظرًا ورأيت
أن الحظ قد ودعني في هذه المرة الوداع الأخير ،
واستمدت في ذاكرتي حياتي الماضية فقلت : إنني
ما كنت أدق لذة الحب حتى سار الملك منافسًا لي ،
وما كنت أسوأ الحب حتى قتل الملك حبيبي وطرودني
من وظيفتي . وما كنت أرث حتى انضج أن مورثي
لم يترك ثروة . وما كنت أُلجأ إلى رجل كبير من
العلماء لأحتمي عنده حتى طردت وإياه من المدينة
و كنت أعتقد أن الحمام خال في هذا الوقت ،
ولكن لسوء حظي وجدت رجلًا يسير فيه على
مقربة مني وكان لا يزال في الحمام بصبص من النور
يتخلل الزواج الملون ، فعرفت أن هذا الرجل هو
اللا ياشي نفسه

مر ولم يلتفت إلى خدمت الله ودخل أمأى
النفط الساخن ، وبعد دقائق سمعت وقوع جسم في
الماء ، فشيت على أطراف الأمانيل حتى دخلت إلى
النفط فوجدت اللا ياشي غريقًا فيه . وأيقنت
بالهلاك لأنني سأتهم ولا محالة بأنني قاتله فالتاس كلهم
يعرفون أنني تلميذ اللا نادان ويعرفون أنه أشد
خصومه خصوصًا بعد نكته

و كنت في هذه اللحظة عارياً لأنني لما رأيت
اللا ياشي يدخل النفط خلعت ثيابي ودخلت منطسًا
آخر ، وقبل أن أعود لأتم الاستحمام أو لأليس
ثيابي جاء تابع من أتباع اللا ياشي وحسبني سيده
فأخذ بذلك جسمي ، ولا كانت فاعتي كقمامة اللا ياشي
وكان تابه ضيف البصر فانه لم يميزني . ولا اتعني
الاستحمام لبست ثياب شيخ العلماء وتصنعت مشيته
ومشيت مع التابع إلى منزله . وكان من أصعب
الأشياء أن أستمع في التمثيل إلى نهايته لأنه من

الطرم يكن ممنوعاً إلا ردياً يحمل هذا المقاب بوغدين
من شر أوغاد المدينة فما كذا تخرج من بابها حتى
هطل وسق البردة من أهلها كما سقى الأرمنين

الفصل السابع والخمسون

عاجى بابا بجر بأعميرة

قلت لصاحبي لما لم يبق معنا أحد غيرنا : « إنني
مدين لك بهذه السمادة يا ملا نادان ، ولو كنت أعلم
أن هذه هي نتيجة التوصية التي أخذتها من ميرزا
أبي القاسم لما كنت أسمى إلى التشرف برؤية وجهك
ما الذي كان يضرك لو لم تنزل الأمطار ، وما الذي
كان يمنيك إن شرب الأرمنيون الخمر أو لم يشربوها »
ثم رأيت حالة اللا محزنة لا تسمح بأن أزيد في
تمنيغه فسكت . ومشيئاً وكذا صامت إلى أقرب
قرية خرجنا عليها فاسترحنا في خان هناك . ولما
تحدثنا عرف كلانا أننا لن نستريح حتى نعرف ماذا
كان من أمر ممتلكاتنا في المدينة فقد كان له عقار
ومنقول ونساء ، وكانت في ثياب وبذلة ومال .
واتفق رأينا على أن أعود إلى طهران ، فدخلتها في
المساء وذهبت نوا إلى بيت اللا فدلنتي أول نظرة
إليه على أنه لم تمد به بقية تصلح أن تقني

وكان أول إنسان رأيته في المنزل هو رسول
الشاه الذي استدعانا إلى القصر . وكان هذا الرسول
في هذا الوقت يخرج من المنزل ويركب بغلًا ويسير
بها وعليها ثيابي ومالي

ملا هذا المنظر قلبي حزناً و كنت شديد الخوف
من أن يستكشف أمرى إنسان فأسرعت بالدهاب
وأنا لا أعرف إلى أين تقودني رجلاي ولم أزل أسير
على غير هدى حتى وجدت نفسي أمام حمام فدخلت

على من يطل من زجاج النافذة الملون أن يدرك أنني
لست بللا بلشي

ولما انتهيت من ذلك خطرت لي أنه قد يمكن الوصول
إلى أمور أخرى غير ما كنت أظن أولاً وعزمت على
أن أبحث في جيوب الرجل وأخض الأوراق التي
في حزامه فربما وجدت ما أستفيد به في حياتي المقبلة.
وقد وجدت في الجيب الأيمن خطاين ومسبحة
وأختاماً ، وفي الجيب الأيسر دواة وصراة صغيرة
ومشط . وأما ساعته فكانت محفوظة مع كيس نقود
في جيب صغير تحت الابط الأيمن وبدأت أبحث في
كيس النقود فوجدت به خمس قطع ذهبية وقطعتين
فضيتين ، وكانت الساعة من الذهب ، وأما الدواة فكانت
منقوشة نقشاً بديعاً ووجدت بها مبراة وأقلاماً
ومقصاً

نظرت إلى هذه الأشياء وغيرها نظرة المالك
لأنني عزمت على أن أسير في طريق إلى النهاية وبذلك
وضعت كل شيء منها في مكانه ثم بدأت أخض الخطاين
فوجدت أحدهما من غير توقيع وفيه ما يلي :

أخي العزيز

(وهنا قلت لنفسى هذا الخطاب من أحد
الأصدقاء) ، ثم قرأت « إنك تملكون شدة احتراي
للكوكب الثنائي في جبين المهر وطل نبينا الكريم ،
وكل الذي أرى إليه أن يزاد حبي ويقوى على حرم
الأيام . لقد أرسلت إليكم ست بطيخات انتقيتها
من بطيخ أصفهان مما لا يوجد نظيره كل يوم . وأرجوكم
أن تأذنوا لي بشرب النبيذ لأن الأطباء أكدوا لي
أنني إن لم أشربه قلن أقوى على مقاتلة أعداء الدين
واستئصال شائتهم »

قلت في نفسي : « هذا ولا ريب من رئيس

الحكم أن يعرف السيدات أنني لست إياه ، وكنت
قد عرفت أنه قليل الكلام وأن بينه وبين زوجته
شجاراً مستمراً لأنه شديد الثيرة

وكنت قد أومت نفسي الصمت منذ وجدت
نفسى مضطراً إلى الظهور بمظهره . ودخلت المنزل
مجازفاً مستمداً للقاء أسوأ النتائج ؛ وكان أول شيء
حدث عند دخولي الباب أن تقدمني البواب فصاح
بالأرأة في داخل المنزل أن يحضروا النور فأحضروه
مبدان ومشيت فسمعت أصوات النساء ، ثم أضيت
غرفة استطعت أن أرى من نافذتها سيدتين وخشيت
أن يقودني المبدان إليها . ولكن حسن حظي
واعتياد الخدم معرفة الحالة التي كان عليها شيخ
العلماء عند ما يخاضم زوجته قد حمل المبدان
عند ما رأاني متصرفاً عن دخول هذه الغرفة — إلى
الدول عنها إلى الخلو حدثت الله وانتظرت أن
يقودني حسن الحظ إلى التخلص من المبدان دون
أن أعرف . وكأنا إلى هذه اللحظة يسيران أمامي ،
فأخذت للشمة من أحدهما وأشرت إلى الآخر
بيدي أن يذهب ، فذهب بشمته وتبقى الآخر في الظلام
وزهب المبدان مزهجين

وكنت إذ ذاك كالملق بين السماء والأرض
أفكر في حظي الذي ساعدني على ارتكاب أوقع
حالة من حالات التنكر فأسر كل السرور وأفكر
لحظة أخرى في مصيري بعد أن خطوت هذه
الخطوة فأحزن كل الحزن

الفصل الثامن والخمسون

تيرة المارة السافرة

ولما انفردت في الخلوة أسرعت إلى بابها فأوصده
ووضعت المصباح في ركن بعيد فأصبح من المستحيل

خدمات وهي أن تميزي جواداً لأمر يدعو إلى المجلة
وسأرده كما أخذته حين تنتهي حاجتي إليه »
ووقفت هذا الخطاب بخاتم «الرحوم» وعزمت
على أن أذهب به بنفسى فى الصباح التالى . ورددت
على الخطاب الأول بما يلى :

عزيزى عبد الكريم

تسلنا خطابك واطمناعلى ما تضمنته، ويحمل
إليك ردنا هذا من تلق به وهو حاجى بإعطاه
ما عندك من تقود . أما الأمور الأخرى فستكتب
إليك عنها قريباً . وفى أثناء ذلك استمر على ما أنت
فيه من إعمال السوط فى ظهور الطغاة أمانك الله »
وبعد أن انتهيت من كتابته ما تقدم انتظرت
إلى وقت مناسب لأهرب من المكان الذى كنت
فى شدة الخوف من أن يعرف أحد فيه فينتهى
أمرى إلى نهاية مزعجة . وبعد منتصف الليل كنت
أستمد للخروج من الخلوّة فى سكون تام فسمعت
بأن يدأ نهب الباب ؛ ولست أستطيع وصف ما نالنى
من رعب فإن ذلك فوق مقدورى .

توقفت أن أرى على الأقل « الباروجا » كبير
الشرطة مع ضباطه يدخلون ويستقلونى وانتظرت
النتيجة فى وجل غير أنى سمعت صوتاً سائياً يمس
بالفاظ حال ارتباطى دون فهمها .

ومهما يكن القرض من تلك الزيادة فما كان
عندى غير جواب واحد وهو زارة شديدة تدل
على أن المقيم فى الخلوّة لا يقبل بحال من الأحوال
أن تقلق راحته ؛ وليت زماً حتى كان الصمت
والسكون قد شمل الدار فتسللت فى هدأة إلى الباب
الخارجى وفتحته بسهولة وجريت فى الخلاء وتحييت
الفرص المناسبة للسير فى الطريق متجنباً رؤية الشرطة

الجلادين إذ من غيره فى إيران يستطيع أن يمر فى
هذه الشكايات القليلة من تعلقه وعن عشقه للخمير
ومن خياله ؟ سأستفيد من هذا الخطاب فلا أنظر
فى الكتاب الآخر »

ثم فتحت الخطاب الثانى وقرأت فيه ما يلى :-
سيدى وأستاذى

إن العبد الخاضع الذى يميل لنصرة الحق
يتشرف بأن يخبركم أنه بعد جهاد طويل استطاع
أن يجمع من فلاحى الضيمة مائة طومان غير المحسّين
حاملين الثلال، وأن الرجل المسمى حسين على لم يستطع
أو لم يرض أن يدفع شيئاً رغم جلدته مرتين . وعلى
ذلك أخذت بقربته حتى يجهد نفسه ما استطاع
فلو أرسلهم أحد الأتباع إلى خادمكم سلت إليه مائة
الطومان »

ثم انتهى الخطاب بالأفاظ المتأدّة من وضيع
إلى سيد رفيع ، وكان موقفاً بخاتم صغير منقوش
عليه « عبد الكريم » وهو اسم كاتب الخطاب
قلت لنفسى : « هل يسعدنى الحظ فأجد
عبد الكريم وأعرف مكان للضيمة التى كتب منها
هذا الخطاب ؟ »

تركزت هذا الأمر قليلاً لأفكر فيما يمكن أن أسنع
بخطاب التازا كئى يائى . وبعد تفكير قليل كتبت
هذا الخطاب :

« أخى :

تلقينا كتابك وفهمنا ما به ولا يشك أحد فيما
يجب عمله شتاً بصحتك وأنت حلى الاسلام وسيف
الله قاترهم ما أردت من التبيذ وقاتل أعداء الدين
نصرنا الله عليهم وليجزى الله لك الثواب
واسمح بتقديم خدمة أخرى غير ما قدمت من

الذى طرأ على حتى لقد شمعت بما يشمر به المثل من حافة الهاوية يدفعه دافع مهم إلى إلقاء نفسه فيها . وبصعوبة شديدة استطعت أن أمنع نفسي من الرجوع وتقدم نفسي إلى القضاء وقلت في نفسي : « لست إلا لصاً لا أكثر ولا أقل ، ولو قبض على لرق جسمى على آلة التمثيب ولكن من الذى سبب هذا ؟ »

الحق أننى لست المولوم إذا كان القدر أراد بي هذه الحالة . لأننى لم أسع إلى قتل الملا باشى ولكنه إذا كان قد قدر عليه أن يتلفظ بالنفس الأخير أمى وإذا كنت أنا — أردت أم لم أرد — سأحصل عاقبة موته فإن من الواضح الجلى أن القدر أراد أن أمثله وأقوم مقامه . وبما دمت محملاً في كل ما أحمل في دورى هذا فإن ملابس الملا باشى نمد ملابسى ودراهمه دراهمى . وكل ما كتبت باسمه حق وعدل » وقد أنشئتني هذه النتائج فركبت جوادى وتقدمت إلى أقرب قرية لأستعلم عن شيعه شيخ العلماء وعما إذا كان يقطن في تلك الأنحاء رجل اسمه عبد الكريم

وكانما كانت العناية تلحظني والحظ يلازمى ، فأننى وجدت أن القرية التالية ، والتي لا تبعد إلا مسافة قصيرة هي مقصدي ، وأن عبد الكريم هو شيخ فيها يقوم لسيد القتل ببياعة المال وجمع الحصول .

قلت في نفسي : « إنه شيخ ، إذن يجب أن أغير أسلوب الخطاب وأن أخاطبه بما يستحق من الألقاب »

وسرعان ما جلست على الأرض وأخرجت الدواة من جيبى وأخذت قطعة من الورق الذى في

وأخذ نور الفجر يظهر وبدأت الحوائث تفتح أبوابها ، فاجتهدت وأنا أسير بملابس الملا باشى ألا تبدو منى بادرة تنم عن حقيقى أو تدعو إلى الشك في أمرى . وتم لي ما أردت بنفقة قليلة في حانوت ملابس قديمة . وقد حاذرت أن أخرج بشئ من الأشياء الثمينة لئلا وقت في يدى

وقصدت بعد ذلك إلى دار النازا كشي باشى وقدمت خطاى إلى خادم أجهله قائلاً له : إن الملا باشى يطلب جواداً سريماً لأنه يريد مفادرة المدينة في عمل هام . ومن حسن حظي أخبرت أن صاحب المنار في مسكن الحرم وأنه سيرسل رده كتاباً . ولكنه أمر في نفس الوقت بإحضار جواد من جيباده إلى ولقد سررت من رؤية الجواد الطمهم وم يخرجونه من سربله وعليه سرج موشى بالذهب وفي عنقه سلسلة ذهبية . وكانت تمروني رعشة من الفرح كلما تصورت أن كل ما أراه سيصير ملكاً لي . ولكن كان يربى أن سعادة كهذه يستحيل أن تستمر طويلاً

وتملكنى الخوف من استكشاف أمرى إذا تأخرت فأسرفت إلى خارج المدينة على ظهر الجواد . وفي زمن يسير تجاوزت أبوابها وابتعدت في الخلووات ولم أزل أسير إلى الأمام دون أن أقب أو أنظر إلى الخلف حتى وجدت نفسي بين الزهاد التي خلفها مجرى نهر الكرج . وهناك ترجلت لأستريح

تذكرت أنى سمعت أن شيعه الملا باشى تقع على طريق هذان فوليت وجهى إلى تلك الناحية . ولكن الحق أقول إننى حين وقعت لأستريح شمعت بالرغبة تدب في نفسي من ذلك الانقلاب المريب

فأجيبته وقد كنت أن أختلق من سؤاله :
 « كلا فاني لست من أتباعه ولكنني تابع لرئيس
 الجلائين . ويظهر على ما أعتقد أن بيته وبين اللاباشي
 بعض الأعمال المالية » وبذلك أخذت كل شبهة
 في ضمير مضيق ، وقضيت على كل ظن جال مخيفته .
 وكان لكل من الجواد والسرحد والذهب واللباش
 النقوش اللامع أثره في توكيد قولي . وبعد أن تسلفت
 مائة اللطومان ووضعت في صديري امتطيت الجواد
 وتظاهرت بالرجوع إلى المدينة وأنا أكاد أظفر
 سروراً ؛ غير أنني بعد أن غبت عن النظر أدبرت رأس
 الجواد إلى الخلاء وجعلت أنحس جنبه راكضاً دون
 أن أقف حتى تصيب أترجيد الأبيض على جسم الجواد
 وتساقط العرق عن جبينه

صممت على الذهاب إلى كرمانشاه وهناك أقيم
 الجواد والسرحد واللباش وأواصل سبيري إلى بغداد
 فأكون هادئاً مطمئناً .

وبعد أن سرت نحو خمسة فراسخ من طريق
 رأيت شخصاً غريباً يسير أمامي بخطى سريعة رافعاً
 صوته بالثناء . وكان يلبس ثوباً خفيفاً وعلى رأسه
 عمامة وقد لفت ذهنه بتعديل ، وفي قدميه خف ،
 ولم يكن يبدو عليه أنه من قطاع الطريق . ولما اقتربت
 منه ظننت أنني رأيته من قبل . وكان الرجل طويلاً
 متمتد اللقمة عريض الكتفين نحيفاً . ولقد حسبته
 لولا غناؤه اللادان ، إذ لم يخطر ببالي قط أن رجلاً كه
 ما اللبا من الوفاق يمكن أن يحيط من قدر نفسه
 بذلك للثناء . ودنوت منه رويداً رويداً حتى رأيته
 عن كثب ولم يكن قد رآني بعد فعرفت أنه هو بنير
 شك . ووقفت جوادي لأشدر فيما إذا كان حسناً
 أن أريه نفسي . وكان من القسوة أن أخطئه ولكنني

حزاني وكنت الخطاب كما أريد من جديد . ثم
 تقدمت في مهمتي مصمماً على اختيار أقرب الطرق
 إلى الاستيلاء على مائة اللطومان

الفصل التاسع والخمسون

فيما عابى باباً ، مائة اللطمان تارده وأعماله

أخذت أظهر يظهر يليق بشكل الجواد الذي
 امتطيته حين وصلت إلى « سرباد » وهذا هو اسم
 القرية التي ذكرتها . ودخلتها وعلى مظاهر السلطة
 والجاه حتى كان الفلاحون يمتحنون رؤوسهم في خشية
 وخضوع إذا رأوني

وحيث ترجلت أعطيت زمام الجواد لأحد
 الوقوف وقلت : « أين عبد الكريم ؟ »

وفي لحظة أخذ كل واحد من الموجودين يجري
 للبحث عنه إلى أن جاء ، فقلت بعد السلام المتأد :
 « لقد حضرت من قبل الملا باشي لأمر لا ينبغي
 عن فهمك »

ثم سلته الخطاب . وكان لعبد الكريم عين
 شرارة لم يعجبني شكلها خصوصاً وقد ظل طوال
 الوقت يرمقني باحظ منها
 وتنفست الصنداء حين قرأ الخطاب وقال لي :
 « إن المال موجود ولكن يجب أن تأخذ راحتك .
 تفعل بالاحول »

تظاهرت بشدة الاستعجال ولم أرد أن أبقي
 معرضاً لعينيه اللاريتين ، غير أنني قبلت أن أتناول
 بعض الفاكهة واللبن مخافة أن أثير شبهة
 قال لي وكنت قد فتحت فمي لأتناول قطعة من
 البطيخ : « إنني لا أذكر أنني رأيته في دار الأستاذ
 مع أنني أعرف كل فرد من أتباعه معرفة تامة »

وهنا لاحظت أنني إن لم أفل له ما يهدي من روعه
 فقد يهني بالاستيلاء على ممتلكاته وتبديدها حتى
 ظهرت بهذا المظهر الأنيق الذي آثار دهشته فوعده
 بأن أقص عليه كل شيء ، ولكنني رجوته ألا يدع
 في نفسه سبيلاً إلى الشك لأن ما سأقوله له قد يبلغ
 من الغرابة ما يجعله يظن أنني اختلقته لأرويه فقط .
 ووصلنا إلى القرية وأخذنا مضاجعتنا في الخان ولما
 كان كل من له مثل مالى من المظهر الوجيه لا يلبث
 أن يستلفت شكبه الأنظار فقد وقف في خدمتي
 صاحب الخان ، وأعد لنا عشاء طيباً . وفي هذه الأثناء
 قصصت حوادثي على رفيقي ولم أخف عنه شيئاً من
 دقائقها ، وقد كاد يذهب السرور والانشرح بعقله
 حين علم أنني اجتبت أجهتي ووجهاتي على نفقة عدوه
 القديم الملا باشي

جلسنا تتجاذب أطراف الحديث بملء الثقة
 والانشرح ، والباشون يصرم ويخفف عنهم تبادل
 الأحاديث ، وقد لاحظت لأول مرة أنني لم أكن قد
 عرفت من كنهه صاحبي ما كنت أخال أنني أعرفه .
 قلت : « لاشك أنه كان في مظهره ما خدعني مدة
 وجودي معك ، إذ كيف يمكن لرزين متكره أن يكون
 لطيفاً أنيساً كما أنت اليوم ؟ » فاجابني : « يا صاحبي
 يا ! المهر قلب والأيام لا تدوم وإن حياتي ليست
 على وتيرة واحدة بل هي في انخفاضها وارتفاعها
 تشبه تلك الأكرالتي يسلبها للشموذون في أسواقنا
 في عيد النيروز والتي تظل ساعدة هابطة بين السماء
 وبين الأرض . وإنني لسوء حظي لست واحداً من
 أولئك الذين يسرون على قاعدة : « لا تفرش بساطك
 على أرض مبتلة »

قلت له : « قص علي إذن حوادث حياتك ،

من جهة أخرى رأيت أنني إذا أريته نفسي اضطررت
 إلى مرافقته من لا رغبة لي في مرافقته . ولو عرفني
 ورآني أعجبه فمن المحتمل أن يهمني بسرقة أمواله
 في طهران . ولئن نجوت منه الآن فاني سأظل أخافه
 كما لو كان بيننا عداوة .

وكنا نقرب من قرية يجب أن نبيت فيها فلم
 أجد بداً من التسليم لأن جوادى كان في حاجة
 إلى العناية والراحة إذ لا يزال أمامه مسافات طويلة
 يقطعها ، فلم يكن في الاستطاعة أن أحله فوق طاقتي
 واخترت أمراً وسطاً فقلت إن عرفني الملا نادان
 كئنه وإن لم يعرفني تجاهلته . وأسرت فلما قاربته
 التفت ونظر إلى من الفرع إلى القدم فلم يظهر عليه
 أنه عرفني ، بل لله خاف أن أكون قاطع طريق
 فتوسل إلى أن أرحه ولم أستطع أن أقاوم شموذي
 إزاء هذا الاسترحام فانتظرت فترة لهه يقول كلمة
 أخرى ولكنه ظل صامتا ، واشتدت علام خوفه
 فأخذت أنضح نضحاً عالياً لم يكن له مبرر إذ لا يصلح
 الضحك جواباً على اللغناء

دهش الملا نادان وتغير في أمرى غير أنه حين
 بدأت أنضح زال كل شك عنده وأسرع إلى فرحا
 مسروراً وقال : « أهذا أنت يا صاحبي يا ! من
 أي سماه هبطت ؟ ما هذا الزى اللبدع وما هذا الجواد
 الكرم وما هذا الذهب وهذه الخلي ؟ هل صاحبت
 الجن أو هام بك الحظ أم اختارك السم ؟ »

طلت أنضح مسروراً بهذه التمت وتظل يقول :
 « كيف استطعت بهذه السرعة أن تستبدل بينك
 هذا الجواد ؟ ألا تعرف ماذا فعلوا بممتلكاتي ؟
 ألم تستبق لي حمارى على الأقل ؟ لقد أنهكتي السير
 على الأقدام . حدثني ! قل كل شيء بحق النبي »

المتناقضين من يهود ونصارى ووثنيين يمدون النار
والأستام — كل هؤلاء شتمهم كرهنا وأصبحت
تلك المنطقة التي كانت يدعها في سبيل شهرته
وأطعمه شعوراً قوياً ثابتاً لا يقوى عليه أى شعور
أو إحساس . وقد شئت مائلته وأنا يبنيها على عقيدته
وتكررت مبدأ حتى تغفل في نفسها وسرى في
عروقها .

وقد تقائنا في هذا المبدأ حتى صرنا حرباً على
الكافرين وأصبحتنا من دعاة الشيعة ورافى لوائها .
وإذا علمت ذلك لم يدهشك الدور الذى لعبته في
تحطيم دنائ النيزد الأرمنية في طهران . وليست
هذه الورطة هى الوحيدة فبا جرنى إليه دفاعى عن
الشيعة وغيرتى عليها . فقد أذكر أننى كنت طالباً
صغيراً في همدان من مدة طويلة وأحدثت هياجاً
شديداً ، وذلك لأن مبعوثاً من قبل والى بغداد
وكان يسير مع أتباعه في طرقات مدينتنا بعد أن قام
بها نحو ثلاثة أيام وكان يقصد مجلس الشاه . وكنت
متصباً لمبادئ والدى وتعاليمه توافاً إلى تطبيقها
عملياً ، فجمعت عصابة من الشباب المتحمس وجعلت
أخطبهم حتى أوقدت كامن شعورهم وحركت
حماسهم . وصممنا على إقامة احتفال يليق بعبادتنا
وعزمتنا على مهاجمة ضيوفنا الأتراك وعلى مضارحتهم
بحقدنا على حمولتنا له ، ثم ندعوم إلى مشاركتنا
في عقيدتنا الملوية

ولم تكن نرى ذلك البسوث سليمان افندى
إلا عدواً للشيعة وشخصاً سيئاً دون أن تفكر فيما
يجب للمبعوثين من احترام

ففى يوم من الأيام كان سليمان افندى خارجاً
(٧)

فليس أحسن من اللقصص فى إضفاء الوقت وأرجو
أن تكون قد عرفت حقيقى الآن فلا تبخل على
بتقنتك »

فأجابني : « إن تسمع من تاريخ حياتى إلا ما هو
هادى مألوف فى حياة كثير من الأتاجم الذين يصيرون
وهم أمراء وعسود وهم سالكى ، ولكن مادمت راغباً
فى معرفة ذلك للتاريخ فسأقصه عليك »

ثم بدأ يروى ما يأتى :

« أنا من أهالى همدان وقد كان والدى شيخاً
عظيماً ذا سمعة وفضل حتى لقد أئسل أن يكون مجتهد
إيران ، ولكن منافسيه وخالفيه فى بعض المعتقدات
خيبراً لسوء الحظ أطعمه وفوتوا عليه غرضه فآلفوا
حزباً ضده سلبه ما كان يسمى إليه من رغبة ورقي .
وكان أظهر مافى طابع أبى كرهه للمثانيين والسنيين
على وجه العموم . ولقد قيل إن أحد أجدادى أوجد
الكرهية والحدق على السنيين بشكل لم يكن معروفاً
قبله يبدعه بسيطة أحدثها فى تلقين أطفال الشيعة ،
فشب هؤلاء العصابة وأول ما يشمرون به كره
المعمرين »

وهنا قال لى الملا نادان مفسراً تلك البديعة :
« أنت تذكر بلا شك أن الطفل فى حال تلمه إذا
أراد من أستاذه قضاء أمر شفع رجاءه بلغة عمر .
وتذكر أنك لم تنس طول أيامك كما لم أنس أن تقرأ
اسم عمر بكل خبيث من الأشياء وأنت قد كررت
هذه اللمنة التى تلقينها أيام صغرك مرة على الأقل
فى كل يوم »

وقد صادقت على قوله فأخذ يقول :

« وقد امتد كره أبى لأتباع عمر حتى عم جميع

على كرهنا بكرم وسخاء ولم يدعوا الفرصة تمر دون أن يظهرنا لنا هذه الماطفة . لكن ذلك لم يمنع أنى جلوت وأصحابى حتى ومرت قدماى ، وكان عزائونا الوحيد أن ماطفة الكره كانت تزداد وتنفذ في صدورنا وبذلك رضى الرجل التركى وأطلق سراحنا . وقد أخذت هذه الحادثة حقيقى بضمة أعوام بالرغم من أن تعاليم أبى كانت لا تزال تنمو بنفسى

فلما بلغت الخامسة والعشرين وظهرت لى لحية جميلة ذهبت إلى أصفهان راغباً فى تهذيب نفسى ورايشها بمصاحبة العلماء ، ولكى أزيد علمى بالمجادلة والمناظرة . وقد تحقق معظم رغائى فى أصفهان وثلت شهرة وصيتنا لأبأس بهما ولم يكن يتقصى غير فرصة واحدة توجهنى وجهة خاصة . ولم تلبث الفرصة أن حانت كما يظهر مما يلى :

« أقام للفرجة فى أصفهان من زمن غير بعيد دوراً للتجارة ، وقد كان الشاه يحميمهم ويقدم لهم المساعدات فألح لهم العبادة ، وإقامة الكنائس وإحضار التمس لها . وأشد من ذلك وأدعى لهدم الدين أنه سمح لهم بفق الأجراس دعوة للصلاة . وكان لهؤلاء الفرجة رئيس عظيم كالخليفة عندنا بلقبونه بالبابا . ومن وظيفة هذا البابا نشر الدعوة الدينية فى أنحاء السكونة . ولذلك أقام بعض « دراويشه » وقسمه فى أصفهان نفسها وفى « جولفا » بين الأرمثيين ، وبى أديرة . وقد هجرت معظم الأديرة وأهملت بفضل ما أبدىناه من الكراهية لها ، غير أن واحداً منها وظيفته بثت التعاليم المسيحية ظل قائماً . فأخذت على عاتقى مع بعض المشايخ

من داره ثريادة حاكم هذان نجمننا أنفسنا وحيثنا بضيجاننا العالية : « لمة الله على عمر » فأغضبت هذه النداءات أتباعه وقابلوها بالضرب فانهال قذف الأحجار من أبناهى وانقلب الأمر إلى معركة هائلة . وقد أُلقيت حمامة ميموث الباشا عن رأسه وبُسى على لحيته ومزقت ملابسه من الخلف . وإن هياجاً كهذا لا يمكن أن يمر بسلام ، فقد كان الميموث يتحرق من الغضب وأخذ يهدد بإرسال الرسل إلى الشاه . وكان على وشك الرجوع إلى سيده لولا أن حاكم البلدة غاف عاقبة غضبه وأراد تسكين ثأرته فوعده بالترضية للتامة وبأن يقدم مثبرى ذلك الهياج إليه فى أقرب وقت »

ولقد هزأت فى أول الأمر من وعيد الأتراك وتهديدهم متمداً على ما لوالدى من المسكاة فى المدينة وجعلت أضحك بآنى كبراً ، ولكن الحاكم كان يتوقع الطرد من وظيفته إذا بلغ الخبر إلى طهران . ولم يكن يهمه أن يكون على عليه السلام خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو يكون الخليفة أيا بكر أو عمر أو عثمان فأمر بالقبض على وعلى اثنين من رفاقى وحى بنا أمام الأتراك الحاققين

وإن نسيت ظنى أنسى ما كان يجوز بنفسى من الخواطر والوثرات حيناً أصبحت وجهاً لوجه أمام هؤلاء الذين ينل سدرى بالحقد والوجدة عليهم ، ولم يلدن على كل حال وقع السياط التى أخنوا يمدبوني بها ولكننى تأوّهت وتألّت وكاد سدرى يتفجر من القيقظ والاحتقار .

كان هؤلاء العثمانيون على أم الاستعداد لاجابتنا

ويبلغ ما أستحقه من الرقة وعلو الشأن
وقد قبل الدعوة ذلك الدرويش جال وصولها إليه
وكنا قد اعترضا فيها بين أنفسنا أنه يجب اقتلاع
الشوك من جانب الاسلام والأندلس هذا البلاد في
إيران وأن ديننا يجب أن يظل سائداً ومعتدلاً
صحيحاً ولا تترك للأفاظ الجوفاء والأسوات المنكرة
سبيلاً للحط من إيماننا . ولا يكون ذلك إلا بالتكاتف
والتضامن

وعلى الأثر أرسلنا دعوة سرية إلى كل معمر وكل
ملتج للحضور في اليوم الميعن فكان اجتماعهم لانظير
له يشعر بالقوة التي لا تقاوم والعزم الذي لا يمانل
وامتلأت المدرسة بالحضور من المشايخ وغيرهم
ممن حضر من الأهالي لرؤية المنتصر من الفريقين
فقصت رحباً بهم، فكنت ترى عمامة تتلوها حمامة
في صفوف متكيفة ورؤوساً تلور رؤوس في جوع
متراصة . وقد جاء الدرويش الفرنجي بفردة لا مساعد
له ولا رفيق منه وأخذ ينظر إلى هذه الجموع بوجل
وظهر عليه التأثر منها

وقد انتخب شيخان أو ثلاثة للمناظرة التي
ستحدث وكنت أنا على رأسهم وأجاسنا في صدر
المكان وكنا قد أعدنا أسئلة لجيب عليها الدرويش .
وعلى مقتضى إجابته يكون تصرفنا

أما هو فقد ظهر أنه لم يتسلح بشير لسانه وجلس
أماناً وعليه مظاهر الخوف الشديد مما رآه على وجوه
الحاضرين من علامم العداوة والكره الشديدين .
وقبل أن تترك له سبيلاً إلى التأمل بدأنا في أسئلتنا

المتحمسين أن تقوم بتخريبه غير مبالين بأراء
الحكومة التي كانت ترحب بالمسيحيين لمعلمهم
على زيادة ثروة البلاد بمناجرهم . وقد خدم ذلك
الدير درويشان كان أحدهما ذا خبرة واسعة بالمال
داهية لا يقاس به إبليس في مكره وخبئه .

وكان طويل القامة نحيفاً قوى البنية حسن
الهندام له عينان تبران برقاً جميلاً وصوت يشبه
صوت الرعد لا تقوه فرسة في مناقشة أعظم علمائنا
وأغزرهم معرفة في مسائل الدين . وكان لا يمين عن
التصریح بأن نبينا العظيم محمد المصطفى صلى الله عليه
وسلم كان رئيساً لطائفة من البشر غصب . بل كان
يقول بقلب لا يهاب الموت إنه كان ساحراً
وبالاختصار كان ذلك الدرويش الخبيث يسبح في
بحر من الضلالات ولم يكنف بالكلام بل أنف
كتاباً جمل يقيم فيه الحجج على دعواه الباطلة
وأرائه الجنونية ، وعهد لسوء الحظ بالرد على ما جاء
بذلك الكتاب إلى عالم من علمائنا لم يكن لديه مقدرة
كافية على ذلك فأخرج كتاباً لا يقنع ولا يطفى غلة
ولا يروي ظمأ . بل أساء إلى الاسلام بدل أن يعمل
على إظهار فضله وعلى تبيان حكمته وعظمته

وكانت أسفهان تموج بهذه الأخبار حين
وصلت إليها فمرضت على القوم أن يرسلوا دعوة
إلى الدرويش الفرنجي لمقابلة مشايخ البلدة وجهاً
لوجه في يوم معين في المدرسة الجديدة للمناقشة
في الدين فاما أن يسلم هو بالحجة والبرهان ، وإما أن
يتنصر للمشايخ إذا انتصر هو عليهم — عرضت ذلك
الأمر لأثنى كنت أتميز شوقاً إلى إظهار مواهب

فسرنا في جنتنا إلى منزل الحاكم بلبينا عدد لا يحصى
من الأهالي . وقد أجدتنا هياجا عظيما

وكان الحاكم رجلا مسلما متدينا فاملنا أن
ينضم إلينا من غير تردد . وقد آتاهما الدرويش
بابتداع عقيدة فاسدة ونشرها ومحاولة إفساد عقائدنا
وقلتا للحاكم : « إن الرجل يسب نبيينا ويرميه
بالخداع والكذب فنطلب تسليمه إلينا »
وقدارتيك الحاكم كما فيا يجب عمله لأنه يعلم الخطر

الذي ينجم عن تدخله في شئون الأوربيين ، ومن
جهة أخرى فإنه لم يكن يقدر أن يرد عنا أو يثنيانا
عن غرضنا بالقوة فقال لنا : « لماذا دعوتهم الدرويش
إلى مجادلتيك إن كنتم لا تودون الاستماع إلى أقواله ؟
إن لم يكن عندكم ما مجادلونه به فإن القوة لا تنفعكم ،
بل الأمر على التقيض إذا أنها تضر الدين ، ولكن إذا
كان لديكم من الحجج والأدلة فوق ما لديه ولم يستطع
الاجابة على أسئلتكم فإنه يكون كافرا زنديقا ويجب
قتله في شرعنا

فلما وجدنا أننا فشلنا ثانية رجعنا والرغبة في
الانتقام تنلى في صدورنا . وإنني أعتقد اعتقادا
لا ريب فيه أنه لو صادفنا الدرويش في تلك اللحظة
لمزقنا جسمه إربا ولقطعنا بدنه تعظيما . ولكنه كان
يحذرنا . وسمعتنا بهند أنه ترك المدينة سرا . وبذلك
تم لنا ما حاولنا إذ مضى زمن طويل قبل أن نرى
وجهه في المدينة ، ولقد نهشنا في هذه المسألة وظهرت
حميتي وحماسي في الدين في ظروف أخرى حتى لقد
صرت ممن يشار إليهم بالبنان . ولكنني لم أربح من
كل ذلك شيئا فشعرت أن خير ما أفعل هو أن أبحت

قال واحد منا : « هل تعتقد أن الله جل شأنه
تفشل بشكل آدمي ؟ »

وقال آخر : « وهل تعتقد أن الله ثلاثة في فرد ؟ »
وقال ثالث : « هل أنت مقتنع بأن ما يسمونه
بالروح القدس نزل على الأرض في صورة بجامة ؟ »
وقد ألفتيت عليه هذه الأسئلة متوالية وبسرعة
فلم يعرف على أيها يرد حتى استجمع كل قواه ورباطة
جأشه وأجاب :

إذا كان غرضكم قتل فاضلوا ما تشاؤون ولكن
لن يفيدكم قتل شيئا . وأما إذا كان غرضكم
المنظرة فإن مهاجتي بهذه المجموع للتأثير في نفسى
ليدل على وضعكم المعاطفة في موضع الدليل والبرهان ،
وسيعلم العالم أني قهرتكم جميعا »

ولما رأيت أن قوله ذو أثر على سامعيه وأنا
قد نفشل في غرضنا صرخت في الحاضرين قائلا :
« أيها المسلمون ! أيها المسلمون ! إن ديننا أهين !
إن السكافر يريد تغيير عقائدنا : الانتقام ! الانتقام »
وكان لكلماتي أثرها السريع ، فارتفع ألف
صوت . قال بعضهم : « اقتضوا عليه ! » وصرخ
الآخرون : « اقتلوه » وتلاطمت الجموع كالبحر
الزاهر تحاول الدرويش أن يبعد له مهربا حين رأى
الخطر عديقا به . وقد ساعده شيخ أخذه به رافة
إذ دخل عباده وألقاه على كتفي الدرويش »

وفي الوقت الذي كانت تصل فيه أيدي الثوار
إليه تسرب من وسط الجماهير وتمكن من الخروج
والوصول إلى منزل أحد الأرمنيين في أمان

وقد نفيظنا نحن المشايخ من إفلات الفريسة

شأن وخاصة في عين الشعب . وعددت رضاء الشعب أول ما يطلبه الرجل الطموح . ولكنك عرفت ما هي مساعدة الشعب إذا تمارضت مع إرادة ملك مستبد فأنني أضمت نفسي لأنني اعتمدت على نفوذى في ذلك للشعب وأنا اليوم كما ترى بألس أريد العودة إلى بلد الأولى كما خرجت منها لا أملك شروى تقير »

الفصل الستون

تراير حاجي بابا والمرد ناراد

عندما فرغ اللانادان من سرد قصته اجتهدت في إقناعه بأن الإرادة التي خدمته في الجزء الأول من حياته والتي قضت بنجيتها وفشله بعد ذلك استخدمه بلا شك قضيتيه حتى يسترجع مكانته وقلت له : « لقد رأيتنا كلانا الأمور في إيران كثيرة الانقلاب لا تظل على حالة واحدة ، وما دامت الحوادث تتوقف على إرادة رجل واحد فقد يأمر بالحضارك كما أمر بإماداك ، وإن المصائب رد فعل يدها مسرة ونجاحاً . ألم تر الحداد كيف يحمده طيب تنوره التوقد ويحل البخان عمل اللب إذا هو أنى عليه شيئاً من الماء فيظهر كأنه خبا . ولكن أقل حركة في النفاخ تميد النار إلى الظهور أعظم حرارة مما كانت وأكثر اعتقاداً »

فاجاب رفيق : « هذا ما كنت أفكر فيه وأعزى نفسي به حين صادقنى في الطريق أغنى ، فان الشاه قد يكون - مرشاة للتجار المسيحيين وإسالة لهم - قد تظاهر باقامة العدل وأداء الواجب فمابقنى ولكنه في سريرة نفسه يقدرنى ويترنم لإنصاف وإنصاف رافى لواء الدين وعندئذ تنجبه فكرته إلى عجة الشعب

عن مكان أعتز فيه على مركز يد أطامى . وفلا غيرت وجهي إلى هذا السبيل فذهبت إلى « قسم » وفى نيتي أن أستعمل المجهد ميرزا أبى القاسم وهو رجل تقيدنى شهرته فوق ما تقيدنى سلاة عشرة أحوام وصوبها ، وقد نجحت كل النتائج فان الشهرة التي كسبتها من كرامة المناققين والسي فى أظام جملت المجهد يستقبلني بالبشر والأيناس ويحلى من أحب تلاميذه إليه ، وقد أخذت عنه مبادئه ضد الصوفية وعملت بها بحمية لم يكن يقدرها فلم يعض زمن طويل حتى التفت منه أن يوصى بى لدى مجلس العلماء فى طهران ولدى رجال الدولة الرسميين ، فأظهر أسفه لفراق ولكنه قبل طلي وبعد ذلك بقليل عينت عضواً فى مجلس العلماء . وأترفت أنى لم أكن سميداً لخط فى المجلس كما كنت أتنظر على الرغم من أنى لست أقل من الباقين قيمة » .

وكان منافسى فى التقدم كثيرون وقد تدرجوا فى شئون الحياة أكثر مما تدرجت . وحا كيتهم فى تنظيم رجال الحكومة وتوزيعهم . وأبيح لى الجلوس فى مجلس الحكم المالى وبذلك صرت ممن يحظون برعاية رئيس الوزراء وكبير الأمناء ورئيس الجلادين وغيرهم فكنت أظهر فى مجالسهم ومجتمعاتهم ، ولكننى لم أكن مع ذلك إلا شيخاً فقيراً . وقد انتظرت فرصة سانحة أدخل بها إلى بيت المال وشئنى رئيس الوزراء بنظره فى يدي ' الأمر لأنى كنت أبكيته فى حفلة لذكرى مقتل الحسين رضى الله عنه وكان قد أقام تلك الحفلة فى قصره وجملت أنشد فيها وأذ كرمحالة أثرت فيه وفى جميع الموجودين ، ومن تلك اللحظة بدأ يرتفع

يا عزيزي لست أرغب في البقاء ولن أشعر بالأمن إلا إذ وصلت إلى الحدود التركية . وأرجو أن أصل إليها بعد بضعة أيام »

وعرضت عليه بعد ذلك جزءاً مما سلبته لأمنع عن نفسي غائلة لسانه وليكنم سرى وقد قبل من عشرة طومانات وترك لي خمسة وتسعين ، وقال : إن ما أخذه يكنى . ووعده برده عند الميسرة

ولكنه بعد أن أخذ عشرة الطومانات رجاً ثانياً أن أحبه إلى همدان وأخذ يبين لي الخطر الذي بنجم عن القبض على قبل أن أفارق بلاد الشام .

وقال : « في اللحظة التي يشيع فيها قتل الملا باشي والتي يعلم فيها الحاكم بضياح جواده سيرسل الخير خلفك للبحث عنك والقبض عليك ولك من شخصيتك ما يسهل عليهم هذه المهمة ، فالأفضل أن تحتجى عندي ربها بنقضى أمر هذه الحادثة وبعد ذلك تستطيع أن تواصل سيرك في أمان وسنجهد في تضليل من يسأل عنك . وإن لوالدي ضيمة ستقيم بها بلا خوف ونجمل جوادك ومتاعك في مكان لا يثير الشبهة . وحمدان ليست بعيدة فانتا إن بدأنا السير في منتصف الليل وصلنا إليها في الصباح ، وفي استطاعتنا أن نفعل ذلك بأن نركب جوادك سوياً . وتذكر يا صديقي أن الحدود للتركية بعيدة ولو عجز جوادك عن إبصالك كان هذا أدى إلى القبض عليك »

وقد أثرت كانه هذه في أنكراري إذ كان ينطق عن صواب . وكنت أجهل تمام الجهل هذه الناحية من إيران وأدركت أنه لا يكنى أن أم بالطرق الجبلية بل يجب أن أعرف طريقاً غير مطروقة وقد أدركت

وتقديره إلي . ثم إن لدى فكرة أخرى وهي أنني أرغب في خلع بردة الشايح واللماء وأن أكون ناجراً ولكنني سأتابع خطي السابقة وأعتمد على الحظ

ولدى فرصة للظهور بمظهر الشهيد وذلك أجدي على من كل ما أمك حتى جوادى ومنقولانى وحمارى الأبيض وكل شيء حتى المطلقات

فقلت له : « إذن ماذا اعترمت صنمه ؟ هل في نيتك أن تصاحبني إلى بنداد أو تبقى في إيران قريباً للحوادث وانتظاراً للفرص ؟ »

فقال : « من رأي أن أواصل سيرى إلى همدان بلدى الأصلية حيث أجد والدى الذى لا يزال حياً محترماً موقراً فأحاول بوساطته دخول العاصمة ثانية واسترجاع مركزى الذى سلب منى . وأما أنت فأنى طريق تسلك ؟ إننى سأحتاج إن شاء الله حين أسترجع ما فقدت إلى خبرتك وذاتك لكنى نستأف مشروع المطلقات . فالأولى لك أن تبقى في همدان منى وأن تتبعني فيما أترسمه من سبل الميئس »

فأجبت : « إننى بإصاحي بكل ما يبدو على من مظاهر الثراء والنعمة أشد منك تناسة وأكثر شقاء ، فان الحوادث توالى على غير ما أحب وأنت ترى اليوم قد صرت أصماً . ويعلم الله أن ذلك على غير رغبتى وسأتم السير في الطريق الذى رسمه لى القدر الذى ألبسنى لباس شيخ العلماء وأغثنى بماله وأدركنى جوادى الحاكم ، هذا القدر بإصاحي يدعو إلى المفارقة الوطن إذ لا أستطيع البقاء به فأكون عرضة لمعرفة أمرى وقتلى والتشيل بى على أبواب المدينة . كلا

مناسب وأدفع الثمن إليك »
أزجني هذا الاقتراح الذي أيداه الملا لأنني
أيقنت أن وراء ما يطلبه من الثقة به لأودع عنده
حاجاتي عرضاً آخر غير ما عبرت عنه ألفاظه ،
ولكنني أحسست في نفس الوقت صدق ما قال
إذ من المستحيل أن أغل في القرية عشرة أيام
أو أسبوعين بملابسي الفاخرة وجوادي الكريم
دون أن أثير ظنون القوم فأدركت أنني أصبحت
حقاً في قبضة الملا غير أن في السير على ما رسمه
الملا اشتراكاً له في الجريمة إذ يصبح من المستحيل
عليه أن يخونني دون أن يقع نفسه مئ . ولكن
تصور أن نازاً كشياً استدلل على الجواد فأى مصير
يكون مصيرنا ؟ إنهم يقبضون علينا سوياً

فأجابني الملا : « دع أمورك لله فهو قادر ،
وفوق ذلك فأننا سرناً بسرعة عظيمة ، وقبل أن
يصل أى ضابط إلى همدان سأكون قد وصلت إلى
دار أبي وأحدث ما أردت من تأثير . وسيكون من
السهل على إذن أن أخفي الجواد بما عليه وأنا المستول
عما يحدث »

لم أجد ما أقوله بذلك فغلبتنا ملا بسنا وتبادلتاها
فأخذ هو قفطان الملا يثنى وجبته وحزامه الكشمير
وعبائه المصنوعة من الجوخ الأزرق وأخذت
أنا ملابسه القديمة التي تمزقت على يده يوم طرده
من طهران . وكذلك أعطيته عمامتي وقد لففت
عليها شال الملا يثنى الذي لا أزال محتفظاً به ،
وأخذت منه حمامته ولم أسبق من غير كيس النقود

أن رجلاً عاجلاً إلى الحدود ليس من السهولة بالدرجة
التي كنت أتصورها . ولئن كان في عزم الملا خيانتى
فإن ذلك ليس له هربت أم بقيت قائمت مشورة ؛
وقد ظهر لي أن أسلم الرايين هو أن أثنى بالملا ولا أسئ
به الظن فقبلت أن أذهب معه . وفي منتصف الليل
رحلنا وقد استرجع النداء والراحة ما ضاع من قوائنا
فصرنا على مقربة من همدان قبل بزوغ الشمس ، ثم
علونا ربوة تشر على المدينة لتندبر موقفنا ونفكر فيها
يجب عمله فأشار نادان بأصبعه إلى قرية على مسافة فرسخ
وقال : « هذه هي القرية التي يجب أن نقيم فيها حتى
ينسى الناس مقتل شيخ العلماء . ولكنك لا تستطيع
دخول القرية بهذه الجبة الأنيقة وعلى مثل هذا الجواد
الكريم من غير أن تثير الشبهة وتوقع الظنون .
والرأى عندي أن نتبادل ملابسنا وأن تعطيني جوادك
وبهذه الوسيلة تظهر في القرية كأنك من أتباع والدى
وأحتفظ أنا بشخصيتي إذ أرجع إلى دار أبي في
زي أئني وثياب فاخرة . وبهذا الترتيب نضمن
غرضنا ونجدهم مصلحتنا المشتركة فتتجوأت من شر
إثارة الشبهات وأنجو أنا من شر زبي الزرى . وفوق
ذلك فإن قصتي المحجلة لا تلبث أن يسمع بها أفراد
عائلي فتكون مدعاة إلى خجلهم والحط من قدرهم ؛
غير أنني أعرف عن هذه البلاد أنها لا تهاب إلا للظاهر
الخارجية ، ففى رأيي أهلها أرجع إليهم راكباً
جواداً كريماً وفي يدى لحام مذهب ونحى مرج
موشى وفي حزامى شال من كشمير فإن منزلة عائلي
ومزلقى تبقيان كما هما . وبسبب أن أستعمل هذه
الأشياء بضعة أيام فلن أعدم الوسيلة لبيعها بثمن

من السماء إذ كيف يستقبل زجل حسن الطلعة من
غير حزام ولا عباءة تستر ظهره وفي قدمه بنف
وعلى رأسه حمامة مخزقة ؟

وبعد تردد طويل عزمت على أن أدعى أتى تاجر
وأن أزعم أن جماعة للكرد هجموا على ونهبوا
ما كان معي ثم أنظاهم يمرض يدعو إلى إقامتي بالقريّة
حتى يمت الملا إلى بخبر يجملى قادراً على تحديد
مدة الإقامة في غني . ولقد نجحت في كل ذلك نجاحاً
تاماً فإن الله كان قد وهب أهل القرية - لحسن
حظي - نصيباً وافراً من الثياب وسقم الفهم ، فصدقوا
روائي وقبولوني بينهم ، ولم أجد منمنماً غير اضطراري
إلى تجريب ما كانت تصفه لي من الدواء امرأة مجوز
أحضرها للقوم لما لحقني وهي طيبة القرية
(يتبع)
عبد اللطيف النشار

الذي وجدته في ثياب الملا بائس وساعته وخاتمه
وما بقي من المال . وصمحت الملا نادان باستعمال الدواء
والمرأة والشط ، ووضع الملا نادان بعد ذلك لغائب
الورق في حزامه واعتدل وامتنى صهوة الجواد
فظهر في شكل الملا بائس نفسه حتى لقد دهشت من
شدة الشبه بينهما

وافترقنا على أحسن حال من الود ووعدني بأن
يوافيني بأخباره في القريب وأعلمني بكل ما يتعلق
بقريّة والده تاركاً لفظتي وذلك أن اخترع قصة
تناسيني والواسوس تساورني من وحدتي في هذا
العالم وعدم وثوقي بما يأتي به الند وشكوكي في حالتي
الحاضرة

سرت إلى القرية مرتبكاً أنساءل كيف أقدم
نفسى إلى سكانها وقد كنت في الحقيقة كن هبط

شركة مصر

لصناعة وتجارة الن يوت

إمدى مؤسسات بنك مصر

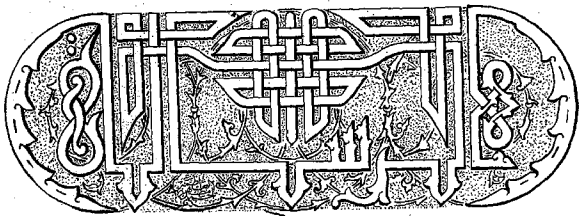
تنج أجود زيوت الطعام

الملك - الممتاز - المصرى

الطبرها مه :

مكتب بيع الزيت شارع الأزهر ، تليفون ٥٤٠٢٠ ومن جميع البقالين

(طبعت بمطبعة الرماله بشارع الميزول - عابريه)



مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهر العبقريّة للأمم العربية
الرسالة تسجل مظاهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة تحوّل في النشء أساليب الباطنة العربية
الرسالة ترصد ظواهر التطور في الحركة العلمية

مجموعة أعداد هاديون العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

المشتركان الذين اشترى ما يساوي جنيهًا مصريًا ، وللبند العربي بمجموع ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشلول
احمد حسن الزيات

يحل الاشتراك على سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن المبدد الواحد

الطبعة

دار الرسالة بشارع المبدول رقم ٣٤
طابدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المروية

مجلة أسبوعية للفن والفكر والادب

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد ٥٣

١١ صفر سنة ١٣٥٧ - أول إبريل سنة ١٩٣٩

السنة الثالثة



فهرس العدد



٢٨٢	بقلم الأستاذ نجيب محفوظ ...	أقصصة مصرية ...	٢٨٢	بقلم الأستاذ محمد الحيد حمدي ...	عن الانجليزية ...
٢٩١	بقلم الأستاذ ابراهيم حنين العقاد ...	للقصص التشيكي كارل كايك ...	٣٠٩	بقلم الأستاذ عبد الحليم المشيري ...	أقصصة مصرية ...
٣٢٠	بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار ...	للكتاب الانجليزية « جيمز مور »	٣٢٦		

يَقْظَنُ الْمَوْمِيَاءُ

أَقْصَصُ وَصَّةَ مُصْرِيتِهِ
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ نَجِيبِ مُحَمَّدٍ فُحُوفِ

الذى خفق فيه قلب مصر خفقة
الحزن والألم ذهبت إلى زيارة النفور
له محمود باشا الأرتوقولى فى قصره
المظيم بصعيد مصر، وأذكر أننى
وجدت عنده جماعة من الأصدقاء
الذين كانوا يترددون عليه كلما
أسدتهم الظروف، منهم الميوسارو

ناظر مدرسة الفنون الجميلة العليا، والدكتور بير طليب
الأمراض العقلية، واحتوانا جميعاً (سالونه) الأنيق
البديع الحافل بآيات الفن الجميل من لوحات وتماثيل
كأنها احتشدت في تلك البقعة المنيقة لنؤدى بحجة
المبقرة الحديثة إلى ذكرى عبقرية الفراعين الخالدة
الشأوية تحت أطلال الوادي، يتوهج نورها خلال
ظلمات السنين مثل سنا النجوم المتناثرة في السماء
السارى في تضاعيف الليل البهيم ...

وكانت النفور له من أغنى أعيان المصريين
وأوسهم ثقافة وأسمم خلقا، وقد قال عنه مرة
صديقنا الأستاذ لامير إنه ثلاث شخصيات تجمعت
زجلا، فهو تركى الجنس مصرى الوطن فرنسى القلب
والعقل، فآدى ترفيعه أتم أداء. والحق أنه كان
أكبر صديق لفرنسا في الشرق، وكان يمدحها وطنه
الثانى، وكانت أسعد أيامه تلك التى يبيتها تحت
نوائها، واتخذ أسدقاه جميعا من أبنائها سواء منهم
من يبيت على ضفاف النيل أو فى جنات السين.
وكننت أخال نفسى وأنا فى (سالونه) أنى انتقلت فجأة
إلى قلب باريس، فالأثاث فرنسى والجالسون فرنسيون
ولنة الكلام فرنسية والعلماء فرنسى، وإن كثيراً
من الفرنسيين المثقفين لا يعرفونه إلا كهاو قد من

أجد حرجاً كبيراً فى رواية هذه القصة، لأن
بعض حوادثها يخرق قوانين العقل والطبيعة جميعاً؛
ولو كان مردها إلى الخيال ما تخرجت ولكنها وقعت
فى عالم الحقيقة، وكانت نخبها رجل من رجال
مصر الأفاذا المروفين فى الأوساط السياسية
والارستقراطية، وراويتها الذى أقل عنه أستاذ
كبير بالجامعة، لا يجوز أن يرتق الشك إلى عقله
أو خلقه، ولم يعرف عنه قط ميل إلى الأوهام
والخرافات، ولكنى - والحق يقال - لا أدري
كيف أسدقها فتلصحن أن أحمل الآخرين على تصديقها؛
وليس ذلك لندرة المعجزات فى عصرنا، فإلا لاجدال
فيه أن عصرنا عصر المعجزات والخوارق، ولكن
المقلاء فى أدينا هذه لا يقبلون أمراً بغير تمليل،
كما أنه لا يستصنى شئ على إيمانهم مع التمليل
المقول. وإنى حبال قصة بحجة لها من دواعى
التصديق رابوة حكيم وشواهد ملموسة، ولكن
التسلييل الملى ما يزال يتأبى عليها، فهلا أعتر على
شمورى بالمخرج فى تقديمها؟

ومهما يكن من أمر فإليك ما رواه جناب
البروفسير دريان «أستاذ الآثار المصرية القديمة»
بجامعة فؤاد الأول، قال: فى ذلك اليوم الأسيف

فنظرنا إليه جميعاً نظرة استفهام ودهشة وكأننا لا نصدق أذناننا ، فالواقع أن مجموعة الباشا الفنية كانت تقدر بثبات الألوف من الجنيهات وقد تسربت جميعها إلى جيوب الفرنسيين ، فكان غريباً أن يفكر في إعادتها إلى فرنسا ؟ وكان يحسن لنا أن نفرح ونبتهج ولكن لم أعمالك من أن أسأله متعجباً :

— أحقاً ما تقول يا أ كلسن ؟

فقال الباشا بهدوء :

— نعم يا صديق دريان ... ولم لا ... ؟

فقال السيو سارو :

— يا له من حظ سعيد حقيق باغتباطنا هو الفرنسيين ، ولكني أقول لسماذك غملاً إنني أخشى أن يسبب لك مناهب كثيرة ...

وقلت الباشا مؤمناً على رأي السيو سارو :

— نعم يا باشا هذا ما أحقده أنا أيضاً

فردد الرجل عينيه الزرقاوين بيننا وقد لاحظت فيهما نظرة ساخرة وسألنا متجاهلاً :

— وله ... ؟

فقلت بلا تردد :

— ستجد الصحافة في ذلك موضوعاً أی

موضوع ؟

وقال الدكتور بيير :

— وما من شك في أن الصحافة الوطنية عدو

لك قديم ... وهل نسيت يا صاحب المال حملاتنا

المفرضة عليك وأهانتها إليك بأنك تبشر أموال

الفلاح في فرنسا بلا حساب ؟

فصاح الباشا بانكار :

— أموال الفلاح !

فبادر الدكتور يقول متندراً :

هواة الفنون الجميلة أو كشاهن يقرض الشعر الوجداني الجبل بالفرنسية ، أما أنا فقد حرفته — إلى هذا — عجباً لفرنسا متمسكاً بثقافتها وداعية لسياسها ...

أخذت مجلسي في ذلك اليوم إلى جانب الباشا وكان السيو سارو يقول وهو يتأمل بعينه الواستين الجاحظتين تحذراً نصفياً برزياً لا نستعين :

— إن فصرك هذا يا صاحب السعادة يحتاج إلى تشيير لطيف لكي يصير متحفاً كاملاً

وقال الدكتور بيير مؤمناً على كلامه وهو يتخلل لحيته بأنامله :

— صدقت فهو مرض دائم لجميع البقريات والمدارس على السواء مع ميل ظاهر للفنانين الفرنسيين

فقال الباشا :

— الفضل في ذلك يرجع إلى ذوق المتدلل الذي يساوي بين الزرعات المختلفة ويسدل بين أهواء المدارس ، ويهوى تذوق الجمال سواء أكان يديه راكتيليس أو رافائيل أو سيزان . مع استثناء البدع الحديثة المتطرفة ...

فقلت ، ناظراً بطرف خفي إلى السيو سارو وكان يحلو لي دائماً أن أدابه :

— لو استطاعت وزارة المعارف أن تنقل هذا الصالون إلى مدرسة الفنون الجميلة العليا لاستفتت عن إرسال بثقات إلى فرنسا وإيطاليا ...

فضحك السيو سارو وقال موجهاً الخطاب إلى :

— بل لعلها تستغنى عن ناظر المدرسة الفرنسي

أيضاً ...

ولكن الباشا قال جاداً :

— إطمئن يا عزيزي سارو ، فانه إذا قدر على هذا المتحف أن يترك السيد فيستخذ طريقه رأساً إلى باريس

منذ آلاف السنين ، ومثل هؤلاء لا يحق لهم أن
بأسفوا على إهداء هذا المتحف إلى باريس ...
فقال السيوسارو :

— نحن لا نتكلم عما يحق أولاً يحق ، ولكن
عن الواقع والواقع أنهم سياسفون (ثم قال بهجة
ذات مغزى) وستأسف معهم محاضتهم ... »
ولكن لم يبد هل الباشا أدنى اكتراث ، وكان
بطبعه يتملى على ضجيج الجماهير وصرخات الصحف
المتفلة ، وربما كان لأصله التركي دخل كبير
في تشبته بآرائه وعناده واحتقاره للمصريين . ولم يرد
أن تسترسل في ذلك الحديث فأغلق بلباقته النادرة
بابه ، وانشغلنا ساعة بإحقاء القهوة للفرنسية اللبذبة
التي لم أذق مثلاً في مصر ، ثم نظر الباشا إلى باهتمام
وقال :

— ألا تعلم يا مسيو دريان أنى بدأت أنافسك
في اكتشاف الكنوز ؟
فظطرت إليه مستههماً وسألته :
— ماذا تنسى يا أكسلنس ؟
فضحك الباشا وقال وهو يشير إلى حديقة
القصر من نافذة الصالون
— على بعد أذرع منا تجرى عملية حفر جليلة
للشأن في حديقة قصرى !
فيذا علينا الاهتمام جميعاً ، وتوقعت تجماع خبر
مثير ، وكان لكلمة حفر تأثير خاص في نفسى ،
لأنى قضيت شطراً كبيراً من عمرى — قبل أن
أشتغل في الجامعة — أحفر وأقرب في أرض مصر
الغنية الساحرة

وقال للباشا وهو ما يزال يتسم :
— أرجو ألا أنسخروا منى بإسادة ، فقد فلت

— مفندرة يا باشا ... هذا قولهم !
فهز سادة متكبيه استهانة وزم شفتيه احتقاراً
وقال وهو يثبت نظاره الذهبية على عينيه :
— ألا آله لهذه الأصوات الفكرة الوضعية ،
وما دام ضميرى الفنى لا يرتاح لابقاء هذه الآيات
وسط هذا الشعب الحيوانى فلن تقبر هنا أبداً
وكنت أحزف رأى صديقى الباشا من المصريين
واحتقاره لهم . وما يحكى في هذا الصدد أنه تقدم له
منذ عام طبيب مصرى نابغة حاصل على رتبة البكوية
طالباً يد ابنته فطرده شر طرد لأنه فلاح ابن فلاح .
على أن — مع موافقتى على كثير من اللهم التى
يكيلها الباشا لبني وطنه — لم أكن أنبمه في رأيه
إلى النهاية ، ولما قلت له : سادتك شديد التند
فقهقه الباشا ضاحكاً وقال :

— أنت يا عزيزى دريان رجل وهيت حياتك
التيمة للماضى البعيد ، وربما لاحت لك في غياهبه
لع عبقرية خلقها القدماء لا تقنأ توقظ غطفك
وحثيتك على أحقادهم ولكن شتان ما بين الفراعين
والتلاحين ، لا يجوز أن تنسى يا صديقى أن المصريين
شعب قول ...
فضحكك وقت له :

— عفواً يا صاحب السادة ، ألا تعلم أن السير
ماكزى أستاذ آداب اللغة الانجليزية بكية الآداب
صرح أخيراً بأنه أصبح يفضل الفول على البودنج ؟
فضحك الباشا ، وضحك الحاضرون جميعاً
وقال سادة :

— أنت تفهم ما أعنى ولكنك تحب الزواج ،
المصريون حيوانات أليفة طبعها الدل ، وخلقها
للتدل ، وقد عاشوا عبيداً على فئات موائد الحاكمين

— أحقاً ما تقول يا سيدي الأستاذ ؟

قلت :

— نعم يا باشا ، لقد دلى يوماً شيخ مثل الشيخ جاد الله على بقعة من الأرض في وادي اللوك وقال لي : إنه استدل بكتبه وعلمه على وجود كنز فيها ، فضربنا فيها بمأولنا ولم نلبث أياماً حتى اكتشفنا مقبرة قنا ... وهذا ولا شك من مقبرات المصادقات

فضحك الدكتور بير وقال متهاكاً :

— ولماذا تمل ذلك بالمصادقات فتجهد فضل العلم القديم ؟ ... ألا يجوز أن الفراعنة يورثون أحفادهم أسرارهم الخفية كما يورثونهم سحتهم وكثيراً من تقاليدهم ؟

ومضيتا نتفكها بمأثال هذا الحديث وطرقنا غيره أحاديث كثيرة ، ومضى الوقت لدينا ختماً ، وعند الأسيل استأذن الضيوف من الانصراف ، وأما أنا فأعلنت عن رغبتى في مشاهدة عملية الحفر التى يجرىها الشيخ جاد الله ، وغادرتا جميعاً الصالون إلى الحديقة وسرنا إلى الباب الخارجى لتوديع الأصدقاء ، ولم تكند تقطع خطوات حتى وصلت إلى مسامتنا نخبة عظيمة واعتزنت طريقنا جماعة من الخدم وأبنام يسكون بتلابيب سيدي ويوسونه ضرباً ولصاً ، ثم ساقوه بشدة إلى سعادة الباشا وقال له أحدم :

— يا صاحب السعادة ضيبتنا هذا الامس وهو يسرق طعام ييميش

و كنت اخرف ييميش حتى المعرفة ، فهو كاب الباشا العزيز وآثر مخلوقات الله بقلبه بد زوجته وأولاده ، وهو ييميش في قصر الباشا منما مكرماً ، يقوم على خدمته خدم وحشم ، ويكشف عليه طبيب

ما كان يفعله اللوك الأقدمون مع السحرة والمشعوذين ولا أدري كيف رشت وأذعت ؛ ولكن لا داعي للأسف قليل من الخرافة يريح العقل للكاف بالحقائق والعلوم. ومجل الحكاية أنه جاء قصرى منذ يومين رجل معروف في هذا البلد يدعى الشيخ جاد الله ، يحترمه العامة ويقدرونه ، وكما ذا بمصر من القديسين ، وألح في طلبى وأذنت له وأنا أعجب لسانه ، وحياني الرجل على طريقته وبشرنى بأنه استدل بملء الروحاني وكتبته القديمة على وجود كنز مخبى في باطن حديقى ، وطلب إلى بتوسل أن آذن له في الكشف عنه تحت إشرافى ، ومنانى بالذهب واللاآت في مقابل أن أعده بالحلوان ، وضمت به وحممت بطرده ولكنه ضرع إلى وتوسل حتى استمير وقال لى : لا تهزأ بطل الله ولا تسهن ببياده القريين. فضحكت طويلاً ، ثم خطر لى خاطر سريع فقلت لنفسى لماساً لا أجارى الرجل في وعه وأسايه على اعتقاده ؟ لى أخسر شيئاً وسأفوز حتماً بنوع من التسلية ، وقد فلتت يا أصدقائى ، وأذنت للرجل ، وأنا أنظاهر بالجد ، وما هو ذا يحفر في حديقى ويساونه في عمله الشاق اثنان من خدي المؤمنين ، فما رأيك ؟

قال ذلك الباشا ونحك خالياً ، فضحك الجميع ، أما أنا ففكرت في الداكرة إلى الماسخى إلى حادثة مشابهة فقلت : « طيبى أنك لا تؤمنون بطل الشيخ جاد الله ، ولا أنا أستطيع أن أومن به وأأساه ، ولكنى لا أستطيع كذلك أن أنسى أنى اكتشفت قبر الكاهن قنا بفضل خرافة كهذه ! »

فبعت المبهمة على وجوه الحاضرين وسألى الباشا :

الأثرية في المقاطف ويلقونها جانباً ، وكان الشيخ جادا ، تلصق عيناه بيريق حاد يدل على العزم والأمل ، وتنبعث في ساعديه التحيلين قوة غير طبيعية ، كأنه يدنو حقاً من هدفه الذي هداه إلى سبيله عمله الإلهي ، فتتمثل لي في شخصه للمعجب الإنسان بنشاطه ، وإيمانه وأوهامه ، والحق أننا نخلق لأنفسنا آلهة وأوهاما ولكننا نؤمن بها إيماناً حقيقياً ، فيخلق لنا إيماننا عوالم غاية في البعداء والجمال ، ألم يخلق أجداد الشيخ جاد الله — الذي يذكرني وجهه بتمثال للكانب للمروق — الحضارة الأولى للإنسان ؟ .. ألم يبدعوا الجبال على سطح الأرض وفي ظلها على السواء ؟ ... أوم يستوحوا في معلمهم وتفكيرهم أوزوريس وآمون ؟ ... وما أوزوريس وآمون ؟ .. لا شيء في الغالب ... أما حضارتهم فكانت شيئاً وأي شيء ... بل هي أم حضارتنا الراهنة ...

وقفنا نشاهد الشيخ المؤمن ، أما الباشا فيقسم ابتسامة ساخرة ، وأما أنا فاستغرق في أحلامي ، وكلانا لا يدري بما يجيشه له القدر تحت آكام ذلك التراب ، وكان العمل يبدو عقبا فتعلم الباشا وانفتح على أن يجلس في القرائدا فابتهت صامتا ، ولكننا لم نكد نسمد السلام الأولى حتى لحق بنا الشيخ جاد الله عدوا وصاح بقفه للكرم :

« مولاي ... مولاي ... تماظر ... »

فالتفتنا إليه بحركة أنوماثيكية ، وكان قلبي يخفق خفقا غامضا على أثر نداء الشيخ وذكرني بشيبه له قديم كان يفصل في حياته بين الفضل والتمناح والياس والأمل ، وهبطنا السلم دون إبطاء لأن الرجل كان قد عاد أدراجه ، وتيمناه وكلانا بغالب رغبة في العدو ...

يطرى مرة كل شهر ، ويقدم له كل يوم لحم وعظام ولبن وثريد ، ولم تكن هذه أول مرة يسطو فيها الصمادة على غذاء يميني ... وكان السارق صمديا قححا ، يتميز بالسحنة المصرية المتينة ، ويسدو على هيئته الزمّة البؤس والفقر ، وقد حذجه لباشا بنظرة قاسية وقال له بمنف :

— كيف سولت لك نفسك انهاء حرمة بيتي ؟ فقال الرجل بتوسل وهو يلهث من أثر الجهد الذي بذله في مقاومة الخدم :

كنت جائعا يا صاحب للسادة ورأيت اللحم السلوق مبعثرا على الحشائش فغافني قوتي ولم أكن ذقت اللحم منذ عيد الأضحي ! فالتفت الباشا إلى وقال هازنا :

— رأيت الفرق بين بائسا وبائسك ؟ ... إن البائسك دفعه الجوع إلى سرقة وغيف ، أما البائسا فالغيف ليس عسيرا عليه ، ولكنه لا يرضى إلا بالحم السلوق

— ثم التفت مرة أخرى إلى السارق ورفع عصاه وضربه على كتفه بشدة وصاح بالخدم : خذوه إلى الخفير ...

ضحك المدكتور بيير وهو يسل وقال لباشا : — ماذا تفعل غدا إذا شتم الصمادة راحة الذهب الكدس في كثر الشيخ جاد الله ؟ فقال الباشا فوراً :

— سأحيطه بسياج من الخفراء كخط ماجينو . وعدنا — أنا والباشا — وتيمته صامتا إلى حيث يشتغل الشيخ جاد الله الذي وشك أن يصير أثريا عظيما ، وكان الرجل منهمكا في عمله هو ومعاوناه ، بضربون الأرض بقؤوسهم ويرفمون

فماذ الشيخ يقول :

— فتح الكنز عمل مسير ، فهذا الباب لا يطيع
وبرسخ إلا بقراءة طويلة أبدأها الآن وأسترق فيها
حتى مطلع الفجر ... هل أنتم مطهرون ؟
وتأثر بأقواله الخادمان ونظروا إلى مولاهم بإرتباك
لأنهما اعتقدا أنهما على وشك الموت في حضرة القوة
الغنية ، ولم يكن في الوقت متيسر للتطهر والقراءة
فقلت للشيخ بحزم :

— إننا لم نبلغ هذا الباب بقراءة فيذنب أن
تقتحمه بمثل ما اقتحمنا الذي قبله ...

وم الشيخ أن يترضى ولكن لم يجد اعتراضه
وانتهره الباشا فصمت وهو يرمقني شزراً ، واستأنفوا
المعمل من جديد ، وتيقظت غريزتي فعملت معهم ،
حتى أزيحت القبة الكؤود ، ووجدنا أمامنا منفذاً
إلى مئوى حوز الأبدى ...

وكنت خبيراً بذلك الأجل ، فأصرهم أن
يرثوا في أماكنهم وقتاً قصيراً ربما يتجدد الهواء ،
وكانت ساعة انتظار شديدة الوقع علينا جميعاً ، وكان
الباشا سامتاً فاهلاً لكن هو في حلم محبب ، وكان الخادمان
ينظران بيمينين ساهمتين إلى الرجل الذي يؤمن به ،
وكان الشيخ يحملني تيمة ما قد يحدث لاسهاني
برأيه ، أما أنا فكنت أحلم بما عسى أن يقع عليه
بصري ، وساءلت نفسي ترى هل من المستطاع أن
أفوز بحقة أثرية أزين بها عقد متحفنا الخالد في
باريس ... ؟

ثم دخلت ، ودخل خافي الأردنا وظل بباشا ثم
الشيخ جاد الله ، وآثر الخادمان أن يلبثا في الدهليز
الخارجي فلما اختفى عنهما نور الصباح وأظلم المكان
اندفسا إلى الداخل وانكشفا في ركن ، وكانت جعرة
تأبوت كما يدل مظهرها ، وقد شاهدت أمثالها صارت

ووجدنا الرجال الثلاثة يزحزون صخرة
كبيرة ، مساحتها متر مربع على وجه التقريب ،
فدنا منهم فرأينا الصخرة تكشف عن فوهة في مثل
اتساعها ، فنظرت إلى الباشا ، ونظر إلى بيمينين
تتطلعان بالدهشة والذهول ، ثم نظرنا إلى داخل
الفوهة فرأينا سلماً قصيراً ينتهي إلى دهليز يتجه
إلى الداخل موازياً لسطح الأرض ، وكانت الشمس
تؤذن بالغيب فقلت للباشا « إلينا مصباح » فأرسل
الباشا أحد الخادمين لاحتضار مصباح ، وعاد الرجل
بالمصباح فأصرته أن يتقدمنا ، ولكنه تردد وانكش
فهممت بأخذه منه ، ولكن كان الشيخ جاد الله
أسرع مني إليه فأمسك به بيده ومضى يتلو من
القرآن وتماويز غريبة ثم نزل بقدمين ثابتتين فبنته
وتبني الخادمان المضطربان ...

ووجدنا أنفسنا في دهليز مستطيل لا يتجاوز
طوله عشرة أمتار ، ويملو سقفه عن هامتنا بمدة
أشبار ، وكانت أرضه متربة أما جدرانها فن الجرانيت
وتقدمنا جميعاً في خطوات بطيئة حتى اعترض
سبلتنا باب حجري يأخذ على الفتححين طريقهم ،
ولم يكن منظره غريباً على ولا الرموز المحفورة
في وسطه ، فجري بصري عليها ثم التفت إلى الباشا
وقلت بصوت متهدج :

— لقد اكتشفت يا صاحب السعادة مقبرة
أثرية ... فما هنا برقد للفائد حوز من عظام الأسرة
الثامنة عشرة

ولكن الشيخ جاد الله قال بنف وغضب :
— بل وراء هذا الباب كنز ... هكذا يقول
الكتاب الذي لا يكذب

فبرزت كفتي قائلاً : « سمع كيف شئت ،
المهم أن نفتحته ... »

— وأبت مصفورا آرف يمنحاه فوق الثابتات
فالتفتنا إلى الثابتات ولكننا لم نر شيئا وكان من
اللبث أن نسال الخادمين قتل الشيخ :
— دعنا من أوهامك يا شيخ جاد الله
ثم نضحكت وقلت للباشا بالفرنسية :
— عسى أن يكون المصفور روح الميت (كا)
جاء لزيارة معنا ...

ثم عدت إلى مطالعة المصناديق والجدران التي
تحدث قلبي بلنة سامة لا يبعثها سوى ، ولكني لم
أستطع التأمل بتاتا لأننا سمنا الخادمين يصيحان بدمر :
— يا سعادة الباشا !

فالتفتنا إليهما بسرعة وقد امتلأت غيظا وحسقا
ولكنني شاهدتهما في حالة غريبة من الرعب ، وقد
التصق كل منهما بصاحبه ، وأنست حينها وجعلتنا
وأرسلنا نظرة صلبة جامدة ميتة إلى ناحية الثابتات ،
وتصلب الشيخ جاد الله في وقفته ويده قابضة على
المصباح وعيناه لا تتجولان عن نفس الهدف ...
فنظرت إلى الثابتات وقد نسيت غضبي ... فرأيت
غطاء مرفوعا واللومياء ممددة أمامنا في لقاءها ... !
ما هذا ... كيف فتح الثابتات ؟ ... هل أثرت
في إقامة الطويلة في الشرق فندت عيني تتأثر إلى
هذا الحد الضحك بأروامه وسعره ١٢ ...

ولكن أي سحر هناك ... إلى أرى اللومياء
أماي ، وكست الوحيد الذي أراه ، فما هو ذا الباشا
قد تحول إلى تمثال ، وهام الرجال الثلاثة يكادون
يموتون من فرط الملح والدمر ... فأبى وهم هذا !
والحق أنني أحس بالهجل كلما اضطررتي الظروف
إلى سرد ما حدث بعد ذلك ، لأنني أحدثت في العادة
أناسا عقلاء مثقفين درسوا تيولوجيا ولينين بول ودركيم
ولكن ما حيلتي ؟ ... إن ديكارت نفسه لو كان

عديدة ، وكان الثابتات موضوعا في مكانه وعلى غطاءه
صورة ذهبية لصاحبه وإلى جانبه تقوم ثلاثة تماثيل
بالجسم الطبيعي أحدها لرجل - من المرجح أنه حور
نفسه - والآخر لامرأة يستدل من وضعا إلى جانبه
أنها زوجته ، وأمامها تمثال صغير لنلام ، وفي الناحية
المقابلة وضعت صناديق مغلقة وآنية ملونة ومقاعد
ومناشد وعدد حربية ، وكانت الجدران ملأى
بالرسوم والنقوش والرموز ...

ألقيت نظرة سريعة مقفلة بالروعة على ذلك العالم
المبوت ولكن الباشا لم يدعني لتأملاتي فقال لي ولم
أكن أعلم أنها آخر أقواله في هذه الدنيا :

— الأوفى يا أستاذ دريان أن نبخ الأمر إلى
الحكومة في الحال ...
فأحسنت بخبة أمل وقلت :

— انتظر قليلا يا باشا ربنا أتى نظرة عجلى ...
ودنوت من المصناديق والأثاث والباشا يسير
إلى يميني ومضيت أخفها بين خيبر مشوقة ،
ونفسي محدثي بنفحة ومشاهدة ما بداخلها ، وكنت
أؤمن بأنها تحوى طامعا وثياجا وحليكا ولكن أنى
أبلى أن يملك إرادته حبال تلك الخلفات الجبلية التي
تستحوذ على منبض التأثير من قلبي وجسماني ...
ثم لا تنس الثابتات والتماثيل واللومياء ... بالمنا من
مفاتي ١٠٠٠

وقطع على تأملاتي أن سمعت صوت الشيخ
جاد الله القبيح وهو يهتف « هس » فالتفت إليه
مزجحا مضطبا لأن أقل حسنة أتخذ كانت تثير أعصابي
ولكن الشيخ قال لي بسلامة « مصفورا »
فأنهرته قائلا :

— أي مصفورا يا شيخ ... أهذا وقت هول ؟
فقال الرجل :

بالفضل الصميدى الذى ساقه الخدم إلى الباشا وأتهموه بسرقة غذاء الكلب ييميش ، كان شيئاً غريباً ولكنه اقتصر على الطول واللون والقصبات دون الروح والحياة ، ولولا ما كان يندى المائل أمامى من النبل والتمايل لربما خالجتى شكوك ...
وكان يمدح الباشا بنظرة قاسية لا يمولها عنه كأنه لا يرى سواء ...

ماذا أقول يا سادة ؟ ... لقد سمعته يتكلم ...
أى والله لقد تكلم حور بعد أن صمت ثلاثة آلاف من السنين ، وتكلم بتلك اللغة القديمة التى طواها الموت منذ آلاف السنين .. وسوف أنسى كل شيء فى دنيائى قبل أن أنسى كلمة واحدة مما نطق به لسانه ...

قال لصديقى الباشا السى " الحظ بصوت لم أسمع مثله جلالاً لأنى لم أتصرف بعد بمخاطبة الملوك

— ألا تعرفنى أيها السيد ؟ ... لماذا لا تتجوز ساجداً بين يدى ... ؟

ولم أسمع للباشا صوتاً ولا استطاع بصرى أن يتحول إليه ، ولكن سمعت العظيم ذا الصوت العظيم يقول مرة أخرى :

— لم أشعر بقر أمير الموت إلا حين شاهدت روحى هذه العجايب التى تحدث فى الدنيا وأنا مقيد بأصفاد الأبدية لا أستطيع حراكاً ، ولم أقدر أن أذهب إليك لأن حياتى انتهت كما قضى أوزوريس ... ولكنك سميت إلى يقدسيك ... ولانى لأعجب كيف سولت لك نفسك هذا الفضل الأحقى ... أبلغ بك البطر الجنون ... ؟ ألا تحمد الآلهة أن حالت بينى وبينك بالوت ... ؟ ماذا جئت تفعل أيها السيد ... ؟ ألم يقنمك أن تهب أبناي فأنتت تهب قبرى ... ؟ تكلم أيها السيد ...

ولكن أنى للسكين أن يتكلم ... إنه لا يفقه

فى مكانى تلك الساعة ما أته الشجاعة على الهزء بحواسه ...

ماذا رأيت ؟

رأيت المومياء تتحرك وتقدم فى التابوت فى حركة خفيفة لا يقدر عليها الخمور أو الثقل بالنوم فضلاً عن الميوت من عالم الأموات ، ثم قفزت قفزة غاية فى الرشاقة واتصبت قبالتنا أمام التابوت ...

وكنت مولياً ظهري الحامدين والشيخ جاد الله فلم أر ما حل بهم ولكن ارتعاش النور الذى يضى الحجرية دل على كهوية اليد التى تمسك به ، وكنت فى حالة يتمرد وصفها ، وأعترف بأن مفاصل تفككت من الرعب الذى لا يوصف ، وذعرت ذهراً لم أحس بمثله فى حياتى على الإطلاق ، ولا نكاد نذكر إلى جانبهِ أهوال الأيام الشديدة التى قضيتها فى الجبهة الشرقية وممركة اللارن ...

يا للمعجب ... ! ألم تكن حبال مومياء ؟ ...
أو حبال جثة ردت إليها الحياة بطريقة خفية ؟ ...
أو أمام قائد مصرى كان يرتجف هولاً وخشوعاً إذا اجتاز عقبة القصر الفرعونى ؟ ... ولكن هل كان من الممكن أن يتجالح نفسى فى تلك الساعة فكر من هذه الأفكار ؟ ... بل هب أنه خالجه فهل كان يستطيع أن يهذى من رعبها شيئاً ؟ ... فزعت فزعاً قاتلاً ... على أنى عيني استطاعت أن تراك كما استطاعت ذاكرتى أن تحفظ ما رأت عيني .. ولم أجد أمامى مومياء بل رجلاً حياً كامل الرجولة والحياة ، وكانت هيئته تذكر بتلك الصور التى ترى بكثرة على جدران المابد ، فكان يرتدى ثوباً أبيض ووزرة قصيرة ويغطى رأسه الكبير بقلنسوة أنيقة ، وبجمل صدره المريض بنباشين كثيرة زاهية وكان مهيباً رهيباً متعاليماً ، ولكنى بالرغم من جلاله خيل إلى أنى رأيتُه من قبل وذكرت

بنته كائن أنتى ضربة قاتلة لا أدرى من أين تقع على رأسى ، وحملت فى الظلام وأنا أنتفض فرقا وذعرآ ، ثم خارت قوى ، وشاء حظى الحسن أن أفقد شورى وأغيب عن العالمين ...

سادنى ... إنه لتأتى على أوقات يصيبنى فيها ذهول وتخاضعنى شكوك فأسائل نفسى مرثأيا : هل كان حقاً ما رأيت أم كان وهماً ؟ ... وربما ملت أحياناً إلى تكذيب نفسى ، ولكنى كلما أميل إلى الشك تصدمنى حقائق لا قبل لى بها ... فاقولكم مثلك فى شهادة الشيخ جاد الله وهو حى برزق ويستطيع أن يبعد لكم ما حكيت ؟ ... وما قولكم فى جنون الخادمين التسعين ... ومقبرة حور ... والقصر المهجور ... بل ما قولكم فى حادثة موت المنفورة لمحمود باشا الأرنؤوطى التى مايزال يذكرها جميع قراء الصحف وينجبون لها أشد العجب ... ؟

يجب محفوظ

صدر كتاب

قافله الأيام

مجموعه من القصص المصري الحديث

تأليف

عبد اللطيف كركي

يباع بخمسة قروش بجميع المكتبات بالملم العربي
ومكتبة النهضة المصرية

شيئاً ... ولا يبدى حراكا ... لقد دبت الحياة فى المومياء ... وفارت قلب الباشا الحى
أما المومياء فمادت تقول :

مالك لا تتكلم ؟ ... ألسنتُ حور ؟ ... ألسنتُ عبيدى شتى ؟ ... ألا تذكر أنى جئت بك من الشمال فى إحدى النزوات الظافرة ؟ ... أتجاهلنى أبها البعد ؟ ... إن جلدك الأبيض الذى يرمز إلى اليهودية يفضحك مهما تنكرت .. ما هذه الملابس المضحكة التى ترتديها ؟ ... وما هذه الأبهة الكاذبة التى تختفى وراءها ؟

وظن حور أن الباشا لا يريد أن يتكلم فانتفضت أوجاهه وتقطب جبينه وصاح غاضباً :

— ما الذى دهاك ؟ ما الذى دعى الأرض فجعل أعزتها أذلة وأذلها أعزها ، وخفض السادة عبيداً ورفع العبيد سادة ؟ كيف تمك أبها البعد هذا القصر ويمثل أبنائى فيه خدماً ؟ أين التقاليد التوارثة والتقاليد المقدسة ؟ ما هذا البيت ؟

واشدت الغضب بمحور فاستحالت عيناه جريئتين بتطيار منهما الشرر وصاح بصوت كالرعد :

« كيف تتجاسر على ابني أبها البعد ؟ لقد سمته القبل بقساوة دلت على اليهودية التى تنضح بها نفسك ضربته بمصاك لأنه جافع ودفعت إخوته إلى ضربه أجبوج فى قصر أبناؤها ؟ الوليل لك أبها البعد ... ولم يكذبتم كلامه حتى تقدم نحو الباشا مزججراً كأسد مصور بهم بفريسته

ولكن الباشا التمس لم ينتظره ، لأنه كان قد فقد قوة الاحتمال ، فسقط على الأرض لا حراك به وكان تهديد حور قد أشاع فى الحجرة رهبا جديداً أنى على البقية الباقية من التماسك فى النفوس ، فمالبت للشيخ جاد الله أن سقط على وجهه وسقط معه الصباح فانطلق نوره وساد الظلام ، وانكشفت

وكانت سوزان ابتنتا
الكبرى على المكس من أختها
بليلة ساذجة كأثما ، فكانت
هي وأثما على خير ما يكون
الصديقان تبادلًا للمواطف
وتسلطت امرأتى على ماروانا
وظنت أن من واجبا أن تسهر
على مراقبتها مراقبة دقيقة .

وما بلغت الفتاة الثامنة عشرة من سنها حتى أصبحت
جذابة الملامح فتاة ، وكانت دأمة التحدث عن
الذهاب إلى المدينة والسعي للحصول على عمل
في المسرح ، وكان طبيعياً أن ترفض أمها
كل فكرة من هذا القبيل ، فقد كانت تعتقد اعتقاداً
راسخاً أن الفتاة إذا دعت وجهها وشغفتها بالأصباغ
فقد انحدرت في طريق الفساد ، ولم يكن في مقدور
أية قوة أن تنزع من رأس امرأتى هذه الآراء
التيقة التي تدل على ضيق العقل

كان من أثر هذه الحالة أن نشأت بيني وبين
ماريانا رابطة غريبة ، فقد ذكرتني على وجه ما
بأخت لي أصغر مني سنًا ، هزيت منذ سنوات
لتلتحق بفرقة من الراقصات . فقد كان لماريانا مثل
طبيبة أختي الفتاة ومثل لهنها على العمل وراء
أنوار السارح

على أن ابنتي كانت فتاة مستقيمة الخلق وكانت
مراقبة أمها لها أمراً مضايقاً لا تدعو إليه حاجة ، وكان
في البلدة الصغيرة التي نعيش فيها من بلاد الولايات
المتحدة مصانع كبيرة للصفيح ، فكانت امرأتى
تلج على ماروانا في أن تسمى إلى عمل في أحد هذه
المصانع ، ولكن ماروانا لم تخلق لتعيش عيشة المرأة
في المصانع ، وإنما كانت لها في الحياة وجهات أخرى .

لماذا البغض في زوجي

عن الانجليزية
بهلم الامتأذ عبد الحميد دحماني

وكان مستمداً لأن يضحى بحياته ليحول دون
زواج هذا الرجل من ابنته الحبيوة ، ولكن هذا
الزواج قد وقع فإذا يستطيع الآن أن يقل ؟

كنت طوال حياتي الزوجية على ما أذكر زوجياً
البن الجانب طيباً لاسمائه ، وكانت زوجي امرأة
طيبة القلب ولكن من النوع التصلب التحكم ،
فكانت دائماً تستسلم لموايل الغضب والثورة ،
وكنت أتركها في استسلامها إلى أن تهدأ نفسها
وإذا أحسست بأن غريزة الغضب والثورة ستتحرك
في نفسي رثيت لحال امرأتى وكبتت جماع هذه
الغريزة . كنت أذكر أنها لم تألف غير العمل للشاق
منذ طفولتها ، إذ كانت تنشأ في مزرعة لا تؤلف
فيها الحياة الناعمة . ولم يكن أي اعتراض من جاني
على النمط الذي يجري عليه شؤوننا البيئية ليؤدي

إلا إلى زيادة متاعب كل فرد من أفراد البيت
على أننى — مع ذلك — كنت أستفكر أسلوبها
في معاملة ابنتنا الصغرى ماريانا ، وماريانا فتاة صغيرة
جميلة قوية الحيوية ، وقد خيل إلى على صورة ما أن
أثما تتأذى من ملامحها الجميلة ، لأننى لم أجد تليلاً
آخر للأسلوب السيء الذي كانت تعامل الأم به
ابنتها ...

وكانت ماريانا ترجوني دائماً أن أحضر لها عند عودتي إلى البيت بعض المجلات السينمائية ، فكنيت أبتاع لها ما أجده عند بائع الصحف الذي أسره في طريق وأدس لها ما أحضرت تحت صحيفة المساء ، وكانت هي بدورها تحمل هذه المجلات سرّاً إلى غرفتها حيث تقرأها بعيداً عن أعين الرقيب ، ولو أن امرأتى عرفت سرّة أنى أنا الذى أحضر هذه المجلات بنفسى لجعلت حياتى عذاباً لا يطاق ، فلقد كانت تصر دائماً على القول بأن المجلات السخيفة التى تمرر عليها أحياناً في غرفة الفتاة هي التى قلبت رأسها . على أنى كنت أعمل كل ما أستطيع لأرفه حياة ماريانا ولكن مهمتى لم تكن سهلة في هذا الجو المدانى الذى كانت تخلفه أمها وأختها .

وفي ذات مساء تلقى ماريانا عند عودتي متهمة طروباً وأخبرتني أنها تسلمت رداً على أحد خطاباتى التى أجابت فيها على بعض الاعلانات عن الوظائف الخالية ، وفي هذا الرد يمرض عليها معهد التصوير الفوتوغرافى في المدينة عملاً تقاضى عليه أجرأ ثلاثة جنيهات ونصف الجنيه في الأسبوع ، على أن تتقدم قبل ذلك إلى إدارة المعهد لاثبات كفايتها للنهوض بهذا العمل . وقد هيّأتى عند ما شملت أقوال ماريانا وشهدت ابتهاجها أن روح الفتاة محلفة في السماء العليا ، وعلى الرغم من أنى كنت متنبأ في تلك الليلة ، اعترمت أن أنف وقفة شديدة مدافماً عن ماريانا إذا عارضت أمها في قبولها هذا المركز ، لقد كنت أطلع إلى مستقبل الماريانا خيراً من هذا ، وكان في مقدورى أن أفهم لماذا كانت ترغب في مناداة البيت والذهاب إلى المدينة .

وكنيت كلما أحضرت جريدة المساء إلى البيت استمارت ابنتى معى قلم الحبر وكنيت في أثناء الليل عدة خطابات يجيب فيها على ما تقرأه من الاعلانات عن الوظائف الخالية ، وكانت تدس هذه الخطابات في جيبى دون أن أشعر أنها بشيء ، لأشعها بنفسى في صندوق البريد في الصباح .

وكان انتصار سوزان لأشعها وعطفت على ماريانا منشأ نزاع صامت مشؤوم بين أفراد العائلة . ولم يكن يسمح لأحد من الشبان بدخول البيت لزيارة الفتاة . وقد عارضت في ذلك وبخاصة منذ أصبحت ماريانا تلك الفتاة اللطيفة الراضية في حياة المجتمع . ولكن ماريانا لم تلبث ذات مساء أن أراحت بالى من هذه الناحية . فقد طورتني يساعديها صاحكة وقالت : إن أمها تبهج نفسها في منع شبان البلدة من غشيان دارنا ، ولكن ماريانا كانت تتطلع إلى شاب من طراز كلارك جابل أو وليام هول ، ومن الصعب جداً أن وجد هذا الطراز بين شبان البلدة ، فليس في الجهد الذى تبذله الأم من هذه الناحية ما تنكرت له الفتاة في كثير أو قليل . فشارك ماريانا الضحك ، ولم نستطع إلا أن نتفكك بأمر ذلك النشاط الذى تبذله الأم عبثاً لطرد الفتان من طريق ابنتنا .

ومن حسن الحظ أنى كنت أنثيب أكثر النهار عن البيت فقد كنت أملك « جراباً » ومطعة بترين صغيرة على الطريق الرئيسى ، فكنيت إذا عدت مساء إلى البيت متعباً قرأت جريدة المساء ، وقطعت فترة من الوقت في لعب (الداما) مع ماريانا أو أصغيت إلى الراديو .

وماء من القرن غرقت ساعدها ، فكانت حالتها النفسية في هذه اللحظة أسوأ ما تكون

فما سمعت الخبر حتى هاجت وصاحت في غضب قائلة : إنه لا يجوز لماريانا أن تخالط شبان المدينة ، وأنها لا تسمح لها بأن تحضر أحداً منهم إلى البيت . وكنت أود أن أنتصر لماريانا لولا أن لاحظت أن أمها كانت في حكم الربيعة ، فاعتزمت أن أرجى انتصاري لها إلى فرصة أنسب من الفرصة الحاضرة .

والشيء الذي لا يستطيع الإنسان فهمه حقاً هو أن تمارض امرأة في مقابلة للشبان الذين تعجب بهم ماريانا . فلقد كنت أنا راعياً أشد الرغبة في مقابلتهم والتحدث معهم ، فمن الطبيعي أن فتاة لها جلال ماريانا

لا بد أن تكون موضع إعجاب كثيرين من شبان المدينة . ولما كانت الفتاة قوية الإرادة متصلة فإن أسلوب والعشاة في معاملتها قد يضطرها إلى سلوك الطريق الخطأ في التمتع بمباهج الحياة ، وهذا هو الذي كنت أخشاه ، وكنت دائم القلق من ناحيته على أننى لزممت للصمت في تلك الليلة عندما أمرت امرأة ماريانا بالأناصاحب هؤلاء الناصحين من شبان المدينة ، وقد خيل إلى أن مثل هذا الأمر يكفي لمنع ماريانا من حمل ما تريد !

وبعد بضع ليال من ذلك الحديث أصبحت بمحاذات أزعجني ، فقد بقيت في محلي بمحطة البزيرين إلى ما بعد الوقت الذي كنت أنتهي فيه من العمل عادة ، وما أطلعت الأنوار وشرعت أوسد الباب حتى وصلت إحدى السيارات في طلب البزيرين ، وبينما أنا أفزع البزيرين في خزان العربة أقبلت سيارة صغيرة خضراء من النوع المكشوف ووقفت بجانب السيارة الأولى ،

وبالقفل عارضت امرأة في قبول ماريانا الركز المروض عليها ، ونشبت بيننا مشادة عنيفة بمد اللسان ، ولكنني ذكرت المرأة الطيبة بأنها كانت تلح على ماريانا في أن تسمى إلى عمل في أحد مصانع الصفيح حيث لا يزيد أعل أجر للعامل غير الدرب على جنبين في الأسبوع ، إذن لماذا تمارض في أن تتولى الفتاة عملاً محترماً تنقاضي عليه ثلاثة جنبات ونصف الجنيه في الأسبوع ؟ فأصابته هذه الملاحظة الهدف الذي دميت إليه ، وبعد كثير من المناقشة رجحت ماريانا المركة ، ولقد ارتحت لذلك ارتياحاً شديداً لأننى لم أكن أتوقع أى مستقبل حسن للفتاة إذا هي بقيت حبسة في بلدتنا الموراء

وكانت لي ابنة هم أرملة يجوز تسكن المدينة فاتفقت معها على أن تقيم ماريانا عندها فلا تحضر إلى البلدة إلا في نهائيات الأسابيع

لم تحب ابنة عمي « نيل » امرأة في قط ، وكانت تقول فيها إنها ضيقة العقل بليدة . لذلك ساء امرأتى ألا تكون العلاقة بينها وبين « نيل » حسنة ، وألا تستطيع أن تعرف ما تعله ماريانا في أثناء الليل في المدينة الواسعة الأرجاء . ولكنني كنت مراقباً كل شيء مراقباً إلى التتار إلى تيجيني من ابنة عمي وكلها تدل على أن ماريانا سعيدة بحياتها الجديدة وأن لا شائبة على الإطلاق في سلوكها

وحضرت ماريانا ذات مساء على عادتني في نهاية كل أسبوع ، وأخبرتني أنها تستحب معها يوم الأحد القبل ، صديقاً اسمه روى تردواى للقاء معنا . ومن سوء الحظ أن الفتاة أعلنت هذا الخبر في لحظة غير ملائمة . فقد حدث بعد الظهور أن أمها كانت تخرج

وبعد هذه الحادثة القصيرة انصرف العميل ولم يكن بد من أن أدعو أحد الأطباء ليضمد لي مكان الإصابة ، ولكي لا أزعج أسرأتي وسوزان عند عودتي إلى المنزل مصوب الرأس ، أخبرتني أنني أصبت نفسي بالهاتر الحديدى لاحدى المجلات فى أثناء زعمى له ، وقد قبلنا منى هذا الكلام ، على أننى تأملت ألتا شديدة من أثر الضربة وشعرت بالحوار . ولما كان اليوم نهاية الأسبوع فقد فضلت عدم الذهاب إلى العمل والالتزام الراحة ، وكان من المنتظر أن تصل إلينا ماريانا فى المساء ، وكنت أنتشوق إلى رؤيتها فقد شعرت بوحشة لنبايها ، وكان كل شيء ثقيلًا مملًا في غير وجودها

ولكننى عندما قابلت ماريانا فى محطة سكة الحديد لاحظت تغييرًا فى خلقها ، فلم تكن على عادتها ، فقد ألفت منها أن تيجينى فى حماسة وألا يتقطع حديثها فى الطريق بما كانت تعمل طوال الأسبوع فى المدينة أما فى هذا اليوم فقد وجدتني سامتة صمتًا بيم عن مأساة خفية فاضطربت لذلك نفسى ، على أنها لم تلت آخر الأمر أن أفنت إلى بأن لديها أمرًا تريد أن تحدثني به ، وأقبت ذلك بقولها إنها تحت تأثير حال عصبية قد تروجت من روى تريداوى أمس ذلك اليوم فقط

وعنى عن البيان أن هذا الخبر قد أزعجني فقد وقع ما خشيت أن يقع نتيجة لتصلب أسها ، فقد أدى هذا التصلب بما رايانا إلى أن تتولى أمرها بنفسها فبعد أسبوع واحد كانت ماريانا ترجو أن يسمح لها بإسقاطها روى تريداوى إلى اللبث ، فعارضت أمها فى ذلك ، فهل أخطأت التصرف بصفتي والدا ؟

وخرج منها شاب من الأتشياء فاندفع نحو عميل مهدداً وأمره بأن يعطيه حافظة نقوده ، فأطاع العميل الأمر غلًا منه أن الشق يحمل مسدسًا ، ولكننى حين تلفت أستطلع الأمر تبين أن الشيء الذى يحمله الشق فى يده لم يكن مسدسًا كما أراد أن يوم ولكنه مفتاح انجلىزى ، واستطعت كذلك أن أتبين وجهه على ضوء مصباح الطريق ، فأسرعت بالمجموع عليه ولكن كان الهجوم متأخرًا ، فقد ضربنى على صدغى ضربة شديدة أقعدتني توازنى فسقطت مترنحًا ، واندفع الجاني وابتأ إلى سيارته الخضراء ، ولما نهضت من سقطتي وجدت عميل قد سلم الشق محفظته وفيها مائة من الجنيهات

وكان طبيعيًا أن أغضب وأتضايق مما حدث لأنه وقع أمام متجري ، ولكن العميل الذى ظهر أنه رجل طريف هدا من غضبي وقال إنه لا ذنب لى فيها حدث ، وكان الرجل تاجرًا يمر بهذه الطريق مرة واحدة كل ثلاثة أشهر ولكننى لم أره قط قبل ذلك المساء ، وتكلمنا كالأنا بالنفقون من الجراج فأبلغنا البوليس خبر السرقة

وقال عميل إنه رأى جيداً وجه الشق وإنه يستطيع أن يعرف ذلك الأنف العميق اللدب فى أية ناحية من نواحي العالم

ولقد ضحكيت عند ما سمعت ذلك لأننى قد اشتغلت أيام شبابي بأعمال البوليس السرى لحساب إحدى الوكالات فى شيكاغو ، وكان أعظم ميزانى عندها تدرى على تذكر الوجوه وتمرفها ، فقلت لعميل إننى أنا أيضاً موهوب من هذه الناحية ، وإننى رأيت وجه الشق وسأعرفه إذا ساعدنى الحظ بمقابلته مرة أخرى ،

على أنني كنت متأهباً لخوض هذه المركة . وقد قالت
امراتي إن النقلة هي عطفي أنا لأنني أنا الذي سمحت
لماريانا بالذهاب إلى المدينة ، وها هي ذي قد تزوجت من
رجل لم تره الأسرة قط قبل هذا الزواج . ولكنني
لأول مرة طرحت ما كنت أجا إليه من مجاملة امرأتى

حرساً على عدم جرح شعورها ، ولتها في لهجة ثائرة
عنيقة ملقياً عليها مسؤولية هذا الزواج المفاجئ

ذكرت امرأتى برفضها عجي . روي تريدواي
إلى بيتنا عند ما اقترحت ماريانا ذلك ، وذكرتها
بالرقابة البلهاء التي كانت تفرضها باستمرار على الفتاة
وقلت لها إن رد الفعل المفجأ الذي ظهرت به ماريانا
لم يكن إلا أمراً طبيعياً تحت تأثير هذه الظروف

كانت مفاجأتى امرأتى بهذا الكلام سبباً في
أن تمود إلى نفسها ، فاعترفت بالفعل بأنها ربما كانت
قد أخطأت ، وقد رجونا كلانا في حرارة أن
تكون ماريانا قد وقفت في اختيارها وأن يكون
زواجها سميماً ، فإن النوبة التي كان يرى إليها كل
مناهي سعادة ابنته

ولأول مرة نهبت زوجتى إلى أن ماريانا قد
أصبحت شابة نامية لا طفلة صغيرة فبدأت تعاملها
بشيء من التقدير والاحترام ، وحتى سوزان مالت
إلى تغيير أسلوب معاملتها لأختها . وهكذا لم تنته
إذاعة خبر زواج ماريانا إلى النتيجة السيئة التي
خشيت أنا وهي أن تنتهي إليها . وتم الاتفاق بيننا
جيماً على أن نحزم اللروس حقائبها المدة لرحلة
هافانا وننتظر في البيت ، وأن يحضر زوجها روي
تريدواي ليأخذ الحقائب بنفسه ، وبذلك يتمكن أفراد
الأسرة من مقابته . وكتبت ماريانا إلى روي مؤكدة

أكان يجب على الرغم من مرض امراتي أن أناصر
ماريانا وأسر على وجوب استمحابها للفتى الذي
اختارته معها إلى البيت ؟ الحق أنني اضطربت وسمعت
بالتاسة وتغيرت فيها أقواله لابتى رداً على هذا النبأ
الذي فاجأني به

وسألت ماريانا كيف عرفت روي تريدواي
فقلت : إنه من أهل انديانا وأنها قابلته في حفلة
كوكتيل وأنها ما كانت تراه حتى عقدت بينهما
أوامر الصداقة في الحال ، وهي واقفة من أنها تحبه
حباً شديداً ، على أنها إذا كانت غخطئة في تقدير
عواطفها فإن هناك شيئاً واحداً لا يتطرق إليه للشك
ذلك أنه هو مجنون في حبها وقد طلب منها في رجاء
شديد أن تقبل الزواج منه

وقالت في وصف حبها إنه فتى رشيق مصري
الآراء جميل الملامح جداً ، وإنه يمسار أوراق مالية
ناجح في عمله ، ووكدت لي أنني سأحبه وسأزاد
حباً كلما ازدت معرفة به ، وقد وعدنا روي بأن
يقضيا شهر العسل في سياحة إلى هافانا . ولولا خوفها
للشديد من إبلاغ خبر الزواج إلى أمها لما شابت
مساعدها العظيمة شائبة ما . ولقد كانت تتطلع إلى
هذه السياحة البحرية تتطلع الأطفال إلى الشيء
المحبوب لأنها لم تركب البحر مرة في حياتها

لم يكن أمامي حين سمعت هذا الكلام إلا أن
أبذل أقصى ما أستطيع من جهد لأوجه الأمور خير
وجهة مستطاعة . وبعد المشاء أخذت على طائى أن
أستمعن بكل ما في مقدورى من لباقة وكياسة على
نقل خبر زواج ماريانا إلى أمها . وكان من المستحيل
ألا تتشب بيني وبينها معركة حامية من جراء ذلك ،

مولياً ظهره نحوى فاستطعت أن أرى رجلاً طويلاً
للقامة هريض الأكتاف، بلبس رداء رمادياً، ضاحكاً
مكثراً من الحديث مع ماريانا. وما رأيته ماريانا
مقبلاً حتى حينئذ وقالت منشرفة تقدمنى إلى روى
الذى التفت ناحيتي:

« هذا أبى ! »

وخيل إلى عند ما وقع نظر الفتى على رأسى
المصوب أننى قد رأيت في عينيه نظرة خاصة، فقد
ضاعت فتحتاهما وبدأ فيها معنى الارتعاج، وصاغنى
الفتى هازاً في شيء من التعلق يدي التى بقيت ممدودة له
لحظة قبل أن يراها.

واعتقدت ماريانا أن سلوك زوجها للزبيب
ليس له من سبب إلا أن رأسى كان لا يزال مصموباً
فأمسكت بذراعه في عطف شديد وقالت:

« لقد جرح أبى رأسه إذ صدمه بإطار حجلة
إحدى السيارات في الجراج في أثناء نزعه »

فندم روى بضع كلمات فيها بعض التآلم لهذا
الحادث، وفي طرفه عين بدا لي أن في هيئة الفتى
شيئاً غير غريب عني. فرد الفعل المصعب الذى
بدا عليه حين رأيته والحركة التى هز بها رأسه
لينظر من التافذة كمن يفكر في الحرب، كل
ذلك أحدث شيئاً من التوتر في العنق، ثم تلك
الثقة في صوته التى ذكرته بنقطة الصيحة التى سمعتها
منذ بضع ليال عند ما اقتربت من شاب شق
يحمل في يده مفتاحاً إنجليزياً ! أيمكن أن تكون
هذه هى الحقيقة ؟ لقد كانت الفكرة حوشية غير
قابلة للتصديق ! ولكن عند ما أدار روى زيدواى
وجّهه إلى الشباك ورأيت صفحة خده ورأيت تلك

له أنه سيقابل مقابلة حارة، وأخبرته بما تم الاتفاق
عليه من قضاء الليل معنا قبل السفر في رحلة شهر
السل ...

وتكلمت في الوقت نفسه مع ابنة عمى تليفونيا
فسألته عما تمل به من أمر روى ولكنها أجابتني بأنها
لم تره قط. وقالت إنه تكلم كثيراً مع ماريانا تليفونيا،
وإنها تعرف أن ماريانا كانت تخرج مع رجل اسمه
روى ولكنها لم تفكر قط في أن الأمر بينهما جد،
لذلك كانت دهشها شديدة عند ما أخبرتها بزواج
ماريانا، ولكنها لم تدعش حين أخبرتها كيف كان
هذا الزواج مفاجئاً لأنها تذكر أنها قضت أغلب
أيام الأسبوع على شاطئ البحر

وانهمكت ماريانا في تجهيز معدات السفر منتظرة
قدوم روى

ومن الطبيعى أننا جميعاً كنا متطلعين إلى رؤية
سمسار الأوراق المالية للشباب، وقد أعدت له امرأته
غداء حسناً، وكانت ماريانا مبهجة تهلل بشراً.
ولأول مرة لم تمارض الأم في مظاهر ابتهاج ابنتها
وإن يكن قد بدا عليها أثر الصدمة التى أصابتهما من عدم
إفضاء ابنتها إليها بأمر زواجها قبل وقوعه
لم يحظر لاسرائى قط على بال أن ماريانا كانت
تلم أن أمها ستعارض في زواجها من أى إنسان
حتى لو جاءت معلنة أنها ستزوج من رئيس الجمهورية
ولو أن هذه الأم كانت من النوع العادل الذى يحسن
التفاهم لأخبرتها الفتاة بما اعترضت

تركت ماريانا وأمها في عملهما وقصدت إلى
مكتب البريد فلما عدت إلى البيت وجدت أن روى
تريدواى قد حضر في أثناء غياب
لما دخلت غرفة الجلوس كان زوى تريدواى

غطاء جديدًا لمائدة الطعام، وكانت سوزان قد ذهبت إلى غرفة الجلوس لتتحدث مع تريدواي، ودخلت أما مصادفة إلى الغرفة التي كانت فيها ماريانا ورأيتهما مشغولة في عد القوط

وما رأيته ابنتي حتى سألتني وفي عينها وميض الحب ؟

— كيف وجدته يا أبي ؟

وكانت وهي تاتي هذا السؤال صورة بحسمة من صور السعادة ، وكان من المستحيل أن تحمل بالأفكار الفظيمة التي كانت تملأ رأسي في تلك اللحظة ، ولا بالخوف المزعج الذي استولى على نفسي وكان صوت أجوف كأنه آت من أميال بعيدة عند ما أجبتها :

— أظنه شابًا ظريفًا

فاسمعت من هذه الكلمات حتى طوقني بإساعديها وقبيلتي ، وكنت لا أزال أذبح الله أن أكون قد أخطأت في تصوراتي ، قلت وقد نظرت من النافذة — إن عربة زوجك هذه الصغيرة جميلة فقالت ماريانا :

— أليست غاية في الجمال حقًا يا أبي ؟ لقد ابتاعها روي أمس ليجعل منها مفاجأة سارة لي فقد تحملت سيارة الخضراء المكشوفة !

لقد كانت هذه الكلمات الثلاث : « سيارة الخضراء المكشوفة » كافية : لقد قاومت في عنف صدمة الشلل الذي كان خليفًا أن يصيبني عند سماع هذه الكلمات ، وقد اقتنعت الآن اقتناعًا لا سبيل إلى التشكك فيه ، بأن تريدواي واللص اللقي ليسا إلا شخصًا واحدًا

فإذا أنا فاعل ؟ أحطم حلم سعادة ابنتي بأن

(٣)

الدفن وذلك الأنف المتيقن الذين رأيتهما لحظة طائرة على الضوء الأحمر ارتجعت ركبتي . لقد كان الشبه بين صورتى الشخصين أخذًا ، فهل يمكن أن تكون ماريانا بحيلة غريبة من حيل الحظ قد تزوجت من ذلك اللص اللقي الذي سرق الناجر على باب جراحي ، والذي ضربني تلك اللصبة الشريرة بالفتاح الابحازي ؟ لقد وقعت في حيرة شديدة !

لم يلاحظ تريدواي أنني شككت في أمره ، فقد كان الوقت الذي وقع فيه الحادث ظلامًا وكان ضوء الطريق الذي رأيت عليه وجهه لحظة سريعة ضوءًا مثليًا ، ثم هو لا يعرف شيئًا عن قدرتي على تذكر الوجوه . ولكن كان ظاهرًا أن هذه المقابلة المفاجئة في بيتي قد هزت أعصابه ، حتى أنه عند ما نظر من الشباك إلى الخارج وقد دس يديه في جيوبه لم يسمع صوت ماريانا إذ كلمته إلا بعد أن كررت ما قالته مرتين ، الأمر الذي دل على أنه كان شديد الانهماك في التفكير . ولم ألبث أن نظرت من النافذة لأرى إذا كان قد حضر في نفس المرة الخضراء المكشوفة التي رأيتهما من قبل ، ولكنني وجدت بدلها عربة سوداء مغلقة لا تزال جديدة . ففني الجائر أن أكون قد أخطأت في ظنوني . ومن المحتمل أن يكون الشبه بين الشخصين شديدًا جدًا ولكنهما ليسا بمرجل واحد

ولكن لماذا سلك الرجل ذلك السلوك الغريب منذ رأيته ؟ من المحتمل أن يكون ذلك أيضًا من نيات خيالي ، ولقد دعوت الله فملا أن أكون قد أخطأت فيما توهمت . على أنه إذا كانت ابنتي قد تزوجت من لص شقي فاني أود أن أعرف ذلك ، وكانت ماريانا قد ذهبت إلى غرفة أخرى لتحضر

وسال منه الدم ، ولكن الصداق لم يكن من الجرح
إنما كان من التفكير ، وما كان لي أن أألم في عرقني
مثالاً

وكما سمعت صوت أسرتي وهم يتحدثون على
اللائدة ازداد اضطرابي وساءت نفسي : أم يطعمون
الآن مع لص شقي ؟ وقد سمعت أكثر من مرة
ضخمة تريدواى المصيبة وهي تحترق الجو واصلة إلى
أذني تذكري بتلك الصبيحة المزعجة وتلك الضحكة
التكبكية اللتين سمعتهما ليلة ضربني بالفتاح الإنجليزي
على صدغي قبل أن يهرب بسرقة ، ولم ألبث أن
دكرت في رأسي ما حدث ليلة السرقة ، وهنا ظهر
لي واضحاً شخص تريدواى وبخاصة أنه كان يملك
عربة خضراء . صحيح أن هناك سيارات خضراء
كثيرة ولكن كل هذه الاتفاقات بين الشخصين
لا يمكن أن تكون مجرد مصادفة

وبعد اللداء حضرت مارينا إلى عرقتي
مستفسرة عن حالتي وأخبرتني أنها ساعدة إلى عرقتها
حيث تلحق بها سوزان لمساعدتها في إعداد حقائبها
فمرت أن روى سيكون وحده في غرفة الجلوس
إذ لا بد أن تشتغل امرأتى بنسل أدوات الطعام في
الطبخ ، إذن جاءت للفرصة . قلت لمارينا : إنني
أشعر بتحسّن في حالتي وإنني لذلك سألحق بزوجه
فالتحذرت منه بعض الوقت . فقلت مني وهي ضاحكة
أن أسرع لألحق به قبل أن يتصرف لأنه كان يقول
إنه سيخرج لابتاع كمية من السجائر

كان هذا تأكيداً لتوكيد شكوكي ، فقد كان الفتى
يرسم خطة الحرب ، ولعل تنبيهي عن اللداء معهم
قد أفلح نفسه . إذن لن أتركه يذهب ، وبدل أن
أقصد إلى غرفة الجلوس اندفعت إلى خارج المار

أبت في رأسها الشك من ناحية ذلك الرجل ؟ لقد
أصبح الرجل زوجها وانتهى الأمر ! وإذا ظهر
فيها بعد أني غطيت في ظنوني فهل يمكن أن تنفري
يوماً ما أقوله لها الآن ؟ اضطرب تفكيري وأنا أحاول
حل هذا الاشكال ولكنني فضلت أن ألتجأ كمادني
إلى الصبر وأن أتحكم في وقتي فلا أتسرع

وكان من المستحيل عليّ وقد اضطرب شعوري
هذا الاضطراب أن أجلس معهم على مائدة اللداء ،
فاخبرت مارينا أنني أشعر بشيء من الصداق لكثرة
حركتي منذ وقع لي حادث الإصابة ، وأنني سأوى
إلى عرقتي طلباً للراحة ، وأقمتها بأنني لن أصلح
لجالستهم وأنا أشعر بذلك الألم . وأنني على كل حال
لن أستطيع أن أطعم بنير فتجان من عصير الطالم
ووعدها بأنني إذا سمحت حالى بعد الطعام فسألحق
بهم وأؤكد معرفتي بزوجه . فقبلت مارينا عذري
كما قبله الآخرون ، وانصرفت إلى عرقتي لأفكر
فيها أفعل

إذا لم أكن غلطاً في أمر هذا الرجل فيجب
أن أسرع في العمل ، وليس يحتاج الأمر لأكثر
من أن أبلغ البوليس خبره فيقبض عليه وفي الوقت
نفسه يفسخ زواج مارينا

ولكن القضية التي تنشأ من ذلك التصرف
ثم لنفرض أنني كنت غلطاً في ظني : ألا يجوز أن
يقبض عليّ بتهمة البلاغ الكاذب ، وبأنني تسببت
في القبض على رجل بريء وبغير ذلك من التهم ؟
إذن يجب الاحتراس والحذر . ولو أنني استطعت
أن أخلو بالرجل بضع لحظات لأمكنني أن أستقر
على خير الطريق التي يجب أن أتبعها في أمره ،
لقد كان رأسي مصدعاً حقاً كما لو كان الجرح قد فتح

ينظر إلى ولكنه جلس عابساً كأنه يتحذاني أن
أستمر في حديثي ، ولم يكن ممثلاً بارعاً فأني
إنسان غيري كان يستطيع أن يفضح أمره من
موقفه ، وقد شعيتي ما رأيته منه على أن أواجهه
بهذه الكلمات :

— ولقد كنت أنت أيها الشاب حاضراً
السرقة ، وتعرف كل ما يتصل بأمرها

فوبى الفتى واقفاً صارخاً صرخة شريرة مزعجة
شبيهة بالصرخة التي شهدتها ليلة الحادث ، والتوت
شفته العليا التواء الشر فكانت أشبه بشفة حيوان
يموى . ولقد أدرك أنه فضع نفسه بتصرفه فلم يبق
هناك فائدة في الإنكار

وشمرت عندما أتى على نظرة خاطفة أنني
قد أصبت بيجنون قطع وخيل إلى أنني سأب عليه
فأخفقه حتى أقضي عليه انتقاماً أولاً من الجرح الذي
أصابني به ، وفوق ذلك لهوره في الزواج من ابنتي
الصغيرة . ولكنني بمجهود فوق القدرة البشرية
ملكيت مواطني ، فلما لاحظ الفتى هدوئي وتبين أنني
لن ألجأ لشيء من العنف زال عنه هو أيضاً المظهر
الشرير الذي بدا عليه عندما سألني في صوت منضطرب:
ماذا أغترمت أن أفعل

قلت له : إن أسهل الطرق أمامي هي أن أبلغ
البوليس خبره . وهنا شهدت في غرفة الجلوس منظرأ
غريباً ، فتريدواى اللص الوحشى انقلب حلاً وديماً
يتوسل إلى كما يفعل الطفل الصغير ، قال له إنه هو
أيضاً يحب مارينا وإنه يجب أن تفكر في أمرها ،
فلقد أراد أن يسعدها ، فقد أحبها حباً لم يشمر بمثله
من قبل لأى خلق ، وإنه كان خالها من العمل الثابت
وكان مصدر رزقه المريحة على الخليل ، وكانت مارينا

أتملا أن يكون قد ترك مفاتيح السيارة فيها ، ولقد
كان من حسن الحظ أن تحقق رجائي ، فلم أردد
في أخذ المفاتيح ودسها في جيبى ثم دخلت إلى غرفة
الجلوس . وكان تريدواى عند دخولى على أهية أخذ
قبمته المعلقة على الشجوب . فسأته كأنى لا أعلم شيئاً
عن عزمه :

— أأخرج أنت ؟

فلم يرفع قط نظره إلى وهو يجيب على سؤال
مدممداً بشع كلات تفيد أنه ذاهب ليلتاع علبة
سجبار . قلت له :

— إنك تستطيع أن تخاطب غزن السجبار
تليفونيا فيرسل لك ما تريد

وأظن أنني تبينت رعشة عصبية في صوته عند
ما أجباني بأن ذهابه شخصياً قد يكون أسرع من
الكلام بالتليفون . فقلت متلوفاً :

— إذن سأذهب معك

وكانت اللمجة اللطافة التي نطقت بها هذه
الكلمات كانت صاعقة قد انقضت عليه ، فبدل أن
يخبرني بأنه يسره أن أحبه تردد واضطرب ، وعقد
لسانه فلم يتكلم . وعندئذ توكدت أنه هو نفسه
اللس الذي ضربني ، قلت آمراً :

— اجلس ولا تتسرع

جلس واضمأ قبمته على ركبته بينا أصابه تبت
بها في حال عصبية ، قلت له في غير مواربة :

— إنك تعلم أن هذه الاساية التي في رأسي
ليست من إطار محلة ، ولكنني لم أرد أن أزعج أسرني
فاخترت هذا السبب ، والواقع أنني أصبت بضربة
من مفتاح إنجليزى

وهنا بدأ الفتى يتحرك حركات عصبية ، ولم

تلك اللحظة عامل الاغراء الجنوني . ولكنه حين استأنف السيري الطريق الرئيسي غير قاصد إلى مكان معين رأى من جديد السيارة التي كان يلاحقها وقد وقفت أمام جراجي

هنا استولى عليه عامل الاغراء مرة أخرى ، ورأى أن الفرصة قد هيأت له نفسها ، وكان الطريق خالياً ، وقد اعتقد أن سبب وقوف السيارة خلل أصاب إحدى مجلاتها ، ولم يحظر له أنه كان يتزود بمحاجته من البنزين ، ولما كنت على وشك إغلاق المحل عند وصول عميل فقد أطفأت جميع الأنوار ، ولما كنت أعرف موضع خزان البنزين في السيارة ، فقد كنت أفرغ فيه البنزين في الظلام وقد كنت لم يرني تريدواي عند ماهاجم العميل والإفاته لو علم أنه هناك شخصاً آخر لما أقدم على مجازفته الخطرة . وهذا هو الذي يفسر الزعب الذي فاجأه عند ما رآني مقبلاً عليه على غير انتظار ، وهذا هو السر أيضاً في أنه عاجلي بتلك الضربة القاسية عن غير عمد لأنه كان يفكر في الهرب أسرع ما يستطيع . هذه هي قصة الفتى في تفاصيلها رواها لي في بساطة وإخلاص

وطبيعي أنني قد تبينت أن الرجل الذي أمسى ليس باللس اللئيم ولكنه شاب أحمق أخرجه الظروف بالاثم ، وقد استطاع أن يقتني في أثناء سرد قصته بأن مركز اللئيم الذي وجد فيه نفسه لم يكن له من سبب إلا أنه لم يرد أن يحزن ماريا التي كان قد وعدا بأن يقابلها في اليوم التالي بدار البلدية لمقد زواجهما . استعرضت كل ما حدثني به الفتى ورأيت أن الأمر يتصل بابنتي ومارنو إليهم من سعادة المستقبل فلت إلى التسامح والمغف

على أنني وجدته قد وقت في الحيرة وقد

تعتقد أنه يمسار أوراق مالية

وبعد أيام من خطبته ابنتي اعترفت في أن يجتهد في دح مبلغ كبير من المال فوضع كل ما عنده من النقود على جواد كان من المؤكد أنه سيربح ولكن الجواد خسر وبذلك أفلست الفتى واستولى عليه اللئيم وكره أن يخبر ماريا بأنه خالي الوفاض وتخبر فيها بفعل ، وكان جالساً في أحد المقاهي يطعم بعض الزاد إذ دخل رجل لا يعرفه وجلس على المائدة المجاورة له

ويقول تريدواي إنه رأي الرجل وهو يدفع الحساب للخادم قد أخرج رزمة كبيرة من الأوراق المالية ثم عاد فسدسها في حافظة نقوده ، فقرر الفتى أن يقبضه دون أن يرسم في رأسه خطة معينة وكان تريدواي ، على ما وري ، قد استولى عليه اللئيم لمحاجته للشديدة إلى المال بعد الخسارة التي حلت به ، فقبضت سيارته الخضراء سيارة الرجل الآخر لمسافة عدة أميال ، ولم يقدمه إلى هذه الملاحقة الجنونية للسخيفة غير عامل اللئيم وحده ، ولم يكن يدرى كيف يستطيع أن يتزح حافظة للنقود من صاحبها ولم يكن كذلك مسلحاً . وكان عقله يعود إليه ما بين لحظة وأخرى فقرر أن يرجع عن هذه المطاردة . ولكنه حين رأى السيارة الأخرى تنيب عن عينيه وفتته الحاجة الملحة من جديد إلى استئناف اندفاعه الأحمق ، على أنه لم يلبث أن انتهى آخر الأمر إلى الاقتناع بأنه مقدم على مناصرة شديدة الخطر ، فعدل عن مواصلة المطاردة ووقف ليبتاع علبه من السجائر وشرب شيئاً خفيفاً

ولما رأى أن السيارة التي كان يلاحقها قد غابت في الأفق نهت نهت الارتياح ، وزال من نفسه في

وأن هذه اللاحية الخيرية لا تلبث أن تظهر إذا حرف
الإنسان طريق الوصول إليها ، وأن فتاة طيبة مثل
ماريانا تستطيع أن تحمل زوجها على أن يسلك
سبيل الاستقامة فلا يحيد عنها .

وتحت تأثير هذه المواقف تقدمت الفتى باقتراح
ملخصه أنني ، وكل يوم يمر تتقدم بـ السن خطوة
إلى الشيخوخة ، يحسن أن أستعين بمساعد لي
في الجراج ، فليكن هو مساعدى ، وإذا برهن على
كفايته للعمل أئخذته شريكا ، وفي يوم ما يصبح
الجراج ملكا له ، وعرضت أن أقرضه مائة جنيه
لقضاء رحلة شهر السهل إلى هافانا إذا وعد بالاستقامة
وبقبول العمل مـ في الجراج ، فاسمع الفتى هذا
الاقتراح حتى غمر السرور نفسه . وإني بهتتة هذه
الفرصة له إننا أبرهن على أنني أميز بين الرجال ،
واتفقنا على نسيان أمر السرقة فلا يذكرها أحدهما
بعد الآن وتماثلنا على هذا العهد .

أحسست كأننى سامرى طبيب القلب وشمرت
بعد أن أئمت هذا الاتفاق بالمرزقالتى يشمر بها المصلح
الذى ينقذ الأرواح من الانم . وبدا لى أن ما فعلته
هو أحكم ما يمكن أن يعمل . فأنى عند ما فكرت
لأول مرة أن هذا الفتى لص يجب أن أرسل به إلى
السجن أرشدنى التفكير التزن إلى أنني لن أجنى
شيئا من وراء ذلك ، ولكن ستكون نتيجة سلوك
هذه السيليل جلب الحزن والشقاء لابتنى . كذلك
فكرت فى حالة امرأتى الشاذة وفى طبيعة سوزان
وفيا أهرغه من كبرياء ماريانا فأدركت أن الفتاة لن
تميش إذا صنعت لأمرها وأختها فرصة تدكيرها
بإزيمة الفاسدة التى عقدتها من وراء ظهرهما ،

واجهتني مشكلة صعبة الحل ، فقد أتى الفتى بأمره
بين يدي ، وأصبحت سادة الفتاة التى نجحنا نحن
الاثنتان ملقة على الخطوة التى سأخطوها بعد ذلك
لقد كانت عقيدتي فى الطبيعة البشرية ثابتة دائما
لذلك اعتزمت أن أعالج الأمر كله بنفسى ، فقلت
لتريدواى إنه يجب عليه أول كل شيء أن يسلمنى
الحافظة التى اغتصبها من التاجر حتى إذا عاد الرجل
إلى أعضائها وقالت إن اللص قد شمر بتأنيب ضميره
فأرسلها إلى فى البريد دون أن يذكر اسمه

فلم يتردد تريدواى فى تسليمى الحافظة قائلا :
إنه أنفق مما فيها أربعة جنيهات ، فوعده بأن
أعوضها من مالى ، ثم قال الفتى فى لهجة الحزين
التالم إنه الآن لا يملك المال الذى يسمنه على اصطحاب
ماريانا إلى هافانا فى رحلة شهر العمل ومى الرحلة
التي تتطلع إليها الفتاة فى لهفة وشوق .

فسألت : ولكن ماذا بعد هافانا ؟ وكيف اعتزم
أن يمشى إذا ما انتهت رحلة شهر العمل ؟ فأجاب
فى استخفاف بأنه يستطيع دائما أن يحصل على رزقه
من طريق الرهانة على الخيل ، وليس من شك
فى أنه حين يصل إلى هافانا سيلعب على السباق
فى حذر واحتياط وسيجنى بذلك بعض المال .

ولكن لم أحبب ذلك فليست هذه هى الحياة التى
تناسب ابنتى الصغيرة ، ورأيت أنه لا بد من عمل
شيء ما . لقد ظهر على الفتى أنه جاد فى قوله وأنه قد
تاب من ذنبه الذى دفعه اليأس إلى ارتكابه ، وكان
ذلك واضحاً فى حديثه وسلوكه التواضع . وظننت
أننى إذا هبات له فرصة حقيقية للعمل اللئيد فقد
يصبح رجلا صالحاً فى الحياة ، وإننى أعتقد اعتقاداً
ثابتاً أن هناك بعض الخير حتى فى نفوس شر الرجال

جداً إذ قالت إنه في صحة جيدة وإنه يرسل بحياته واحترامه للأسرة

وعاد المروسان إلى البيت مساء أحد أيام السبت، وإذا كانت ماريانا قد نعمت بأيام طيبة كما قالت في خطابها فإن نظراتها تكذبان هذا القول، فقد ظهرت تحت العينين دائرتان سوداوان ، وإذا عليها كأنها كانت تمنى آلاماً نفسية شديدة . وقد صنعت السرور والانفراح فهدعت مظاهرها أما وأختها ولكنها لم تخدعني مطلقاً وقد أدركت أنها تخفى في نفسها أمراً لا يوح به على أنني لم أحاول أن أسأله شيئاً .

وتأخر روى في النوم صباح الأحد وانفردت بماريانا على مائدة الفطور إذ كانت سوزان وأما قد ذهبتا إلى الكنيسة ، ولم تسكهم ماريانا كثيراً في أثناء الطعام ، ثم تناولت جريدة يوم الأحد وبدأت أنظر إلى محتوياتها

وعلى حين فجأة سألتني ماريانا هذا السؤال :
— أتعلم يا أبي أن الرجل الذي ينش في لعب الورق يمد لصاً ؟

أدهشني هذا السؤال ولكنني أجبت عليه في لهجة قاطمة :

— الرجل الذي ينش في أية لعبة من الألعاب ليس ما في ذلك ريب

فلم ترد ابنتي شيئاً على ما قالته ، ولكنها اكتفت بأن تنظر إلى الفضاء نظراً ثامناً ، على أنني أحسست بأنني سأسمع أمراً غير سار ، فسألت ماريانا عرشاً :

— ومن هو الشخص الذي تعرفين أنه ينش في لعب الورق ؟

لذلك لم أتردد في حل الاشكال الذي واجهني على الصورة التي حالتها بها

وبعد لحظات من هذا الاتفاق كنت أنا وروى نشرب معاً كأسين من الحبة وقد ساد نفسي ناروح الصداقة التبادلة ، فلما دخلت ماريانا علينا الترفة خبرتها بأن روي سيمبل ممنا في الجراج بسد عودتهما من رحلة شهر المسل ، فأمن روي على كلاي مضطكاً ، ولم تعارض ابنتي في هذا الاتفاق ومن حسن الحظ أن روي كان قد أخبر ماريانا قبل يومين أنه اختلف مع أصحاب بيت الأوراق المالية الذي يعمل فيه وأنه فقد مركزه في ذلك البيت ، أخبرها بذلك ليدها يقول اشتغاله بمد عودتهما من الرحلة بالراهنه على الخيل ، ولم تخبرنا ماريانا بهذا الخبر لأنها خشيت أن تضرز أمها على إنفاقهما المال في رحلة بحرية في الوقت الذي أصبح فيه زوجها عاطلاً عن العمل

على أن ماريانا — على كل حال — لم تهتم بفقدان زوجها عمله في ذلك البيت السالي ولم تقم لذلك الحادث كبير وزن ، لأنها كانت شديدة الثقة بروى وبقدرته على أن يجد لنفسه عملاً جيداً على أثر عودتهما من الرحلة . فلما عرضت عليها الاتفاق الذي تم بيني وبينه قبلت ذلك بارتياح ولكنها اشترطت شرطاً واحداً هو أن تقيم هي وزوجها في بيت خاص بهما

صرت بمد ذلك بضعة أسابيع مرآ سريماً ، لم أنسلم في أثناءها من ماريانا غير تذكرة ريد واحدة وخطاب مكتوب على عجل ، علمت منهما أنها كانت مسرورة من رحلتها إلى هاغان وأنها تقضى فيها على ما يظهر أياماً طيبة ، ولم تقل عن زوجها إلا القليل

ولكن ابنتي كانت واثقة من أن زوجها قد غش
بالفعل في الورق، وكذلك كنت أنا واثقة من ذلك،
وقد اضطربت ماريانا اضطراباً شديداً لذلك الحادث
الذي عكر عليها سقاء شهر البسل، ومن الطبيب
أنني تأذيت من سماع ذلك الخبر لأنه كان مقرراً أن
يبدأ روي عمله في الجراج يوم الاثنين المقبل، فإذا
كان الرجل لمسا حقاً فإن الأمر سيكون مشكلاً
لم يعض على عمل روي في الجراج غير أسبوعين
حتى أدركت أنني قد أخطأت في عدم إرسالي به
إلى السجن عند ما كشفت أنه لص، ففقد ولد
الفتى لمسا يجرى دم الجرعة في عرقه، وقد وجدته
يفش الزيت فيسقي محملاً زيتاً رخيصاً بثمان مئة،
كذلك كان يفش في بيع البيرن إذ يتقاضى من
الميل ثمن عشرة جالونات ولا يعطيه غير ثمانية
ولكن الفضة الأخيرة كانت عند ما غير عجلة
إحدى السيارات ثم أخني بعض الأدوات الرئيسية
الخاصة بالسيارة، حتى إذا سار الميل بسيارته قليلاً
وكنت قد كشفت السرقة جريت وراءه وصحت به
أن يعود لأنه قد نسي بعض أدواته
فنظر الرجل إلى روي نظرة قاسية وقال:
— أظن أنك أخبرتني أنها الشاب أنك قد
وضعت جميع أدواتي في مكانها من مؤخر السيارة
فندم روي بكلمات تفيد أنه قد نسي، وسار
الرجل متربكاً بعد أن شكر لي

أما أنا فكنت واثقة من أن روي كان يقصد
مهدداً أن يسرق هذه الأدوات. ورأيت أن الأمر
قد وصل إلى حد يتطلب أن أتحدث معه، فأخبرته
بأنني قد لاحظت ما كان يفعله، وقلت له: إنني
عشت طوال عمري رجلاً أميناً وإنني متمزم أن أسلك

فلم يجب لأول وهلة. ثم أقبلت نحوى فخلست
على مساعد الكرسي الذي كنت جالسا عليه وخبرته
بتجربة مخزنة مرت بها. فقد كان روي يلبس الورق
مع بعض الزقاق في الباخرة كل مساء
وفي ذات ليلة كان واقفاً على ظهر الباخرة
ماتلاً على الحاجز ينظر إلى الماء وكانت ماريانا جالسة
على أحد الكرسي فوقف إلى جانبها سيدتان
لا تعرفان أن روي زوجها وجري بينهما الحديث،
فقالا إحداها وهي تشير إلى روي:

— أترى هذا الرجل الواقف هناك المرتدي
ملابس الليل الأبيض؟ لقد قال زوجي إنهم طردوه
الليلة الفائتة من على منضدة اللب لأنهم ضبطوه
وهو يفش

فقلت حمرة الخجل وجه ماريانا عند ما سمعت
ذلك الحديث وشرمت بأنها قد أهدئت وحقرت،
وكان شرماً من ذلك أنها وقتت من صدق ما تحدثت
به السيدتان، لأن روي عاد في الليلة التي ذكرتاها
إلى غرفتهما مبكراً على غير عادته، وبدأ يحرق عدداً
كبيراً من أوراق اللب على شمة مشملة، فلما سألته
عن السبب فيها يفعل أجاب بأنه لم تدم به من حاجة
إلى هذه الأوراق بعد الآن. ولم يقل شيئاً عن طرده
من غرفة اللب

ثم قالت ماريانا:

— فلما سمعت حديث السيدتين أدركت أن روي
كان يحرق بعض (الآسات) الزائدة التي كان يدهسا
في حزم الورق التي غش فيها
وأخبرت ماريانا زوجها بما سمعت فلم يزد على
أن ضحك وقال لها: أن لا تهتم بما سمعت فإن رفاقه
في اللب قد هاجموا أن حظه كان موافياً

نفس ابني عن الرجل الذي ساقته الأقدار إلى طريقها...
وإذا علمت ذلك كله ازدردت غداً مسرعاً وعدت
إلى الجراج حيث تركت روي في هياج شديد ولست
أدري ماذا يمكن أن يفعل

ولما عدت إلى الجراج وجدت أمامه سيارة
عليها لوحة من لوحات ولاية بنسلفانيا ، وتبينت
أنها سيارة للتاجر الذي سرق حافظة نقوده أمام
عيني ، فسررت لذلك لأنني أستطيع الآن أن أرد
له الحافظة . ولكنني عند ما خطوت إلى الداخل رأيت
مشهداً غير عادي في انتظارى ، فقد كان للتاجر
شاهراً مسدسه على روي متحدثاً في الوقت نفسه
تليفونياً مع مركز البوليس . فأنا توسلت الجراج
حتى أمرني الرجل أن أرفع ساعدي وأن أقف إلى
جانب روي . وكانت لهجة قوية ثابتة ، وكان طبيعياً
أن أشعر بأنني قد صممت ، فقلت له إن حافظة نقوده
مى وإني أريد أن أردّها إليه
فقال للتاجر في نهج :

— ليس ثمة ما يدعوك إلى التسرع ، فاني
سأخذها من يد البوليس .

فاعتزمت على هذا الكلام وقلت له : إنه غطىء
فيا تصوره وإني مستعد للإيضاح . ولكنه ضحك وقال :

— لقد ضمت من الإيضاحات ما يكفي
لهذا الساء .

فالتفت إلى روي تريدواى ، فرأيت على وجهه
أمانة اورتياح غريبة ورأيت شفتيه ملتصقتين التواء
إجرامياً في انقباض صفراء . ولم يقل الشئ كلمة
واحدة في صالحى على الرغم من علمه ببرادى ، بل

مسالك الأمانة إلى نهاية أيام حياتى ، واتهمته بأنه
كان يريد سرقه هذه الأدوات

فهاج للفتى هياجاً شديداً وصاح هائلاً بأمانى
قائلاً إنها هى السبب في أن أعمال لم تتقدم تقدماً
كبيراً . وقال أيضاً إنه كره حياته في الجراج وإنه
قد اعتزم العودة إلى المدينة متى توافر له شئ من
المال يستعين به على ذلك . فذكرته بوعده الذي تماقدا
عليه ، وقلت له إنه يستطيع أن يذهب إلى المدينة
إذا أراد ولكنه لا يستطيع أن يأخذ ماروانا معه .
وهنا تجدد هياجه في سورة وحشية شريرة ومهداني
أن أمتنع ذهاب ابني منه إذا استطعت قائلاً إنها امرأته
وأنه ينصحني بأن أهتم بشؤونى الخاصة ، وترك
المكان في وسط المركبة قاسداً إلى البيت للشناء

ومن حسن الحظ أنني كنت أعلم مما سمعته من
ماروانا عن سوء خلق زوجها في الأسابيع الأخيرة
أنى مستطيع أن أقنمها في سهولة بالأا تذهب معه
إلى المدينة . ولقد علمت منها أنها في الواقع لم تحببه
قط حباً حقيقياً فسردت لذلك سروراً شديداً .

وظهرت لي أنها كانت قد أخذت بمظاهره الجذابة ،
ولما كان الساء لا يمتزج بالزيت فقد أدركت ماروانا
حتى قبل أن تكشف ما كشفت من عدم أمانته ،
أن هناك هوة واسعة تفصل بينهما ، وأنهما ليسا من
فصيلة واحدة . فلقد نشأت ماروانا في بيئة متشددة
شيقة التفكير ولكنها كانت أمانة شريفة بطبيعتها .
أما روي فكان شاباً عديم الخلق ظهرت ثقائسه
حتى في الأمور التواضعات كالنفس في ورق اللب . وقد
كان من أثر هذا التفاوت بين الزوجين أن انصرفت

من مشادة قبل ذهاب إلى البيت للنداء . ولكن ما حيلتي وقد وقتت في هذا المأزق المخرج !

وحضر البوليس واعتقلنا نحن الاثنين !

وكان اعتراف روى في مركز البوليس كافياً لانهائى اتهامهما شاملاً بالاشتراك معه في الجريمة اشتراكاً تاماً ، فقد روى قصة شيطانية وصف فيها طريق تديبرنا خطة الجريمة قائلاً : إنه أعطاني الحافظة على أثر اعتماد التاجر بسيارته من نظرننا

ومن حسن الحظ أن رئيس البوليس كان دقيقاً ماسونياً في الحفل الذي أتمى إليه ، وقد اشم رائحة الكيد في اعتراف روى تريدواي . وكان الرجل يبرقني منذ سنوات عديدة ويكره أني رجل شريف مستقيم ، وقد اعتقد أن تريدواي يكذب في اعترافه

ولكن كيف السبيل إلى إثبات ذلك ؟ فهو حيال شكوى للتاجر واعتراف تريدواي الذي يهمني فيه مضطر لأن يقييني في الاعتقال إلى أن تثبت الوقائع التي تبرر الافراج عني . وبدأ البوليس في الحلال التحريات عن حياة تريدواي فظهر أنه قبض عليه عدة مرات في مدن مختلفة بتهمة تزوير أوامر صرف من بعض البنوك ، وأنه كذلك اتهم في كثير من السرقات ، وهو فوق ذلك متزوج بإمرأة تقيم في نيراسكا وقد هجرها منذ سنوات. إذن زواجه من ابني باطل بطبيعته ثم هو جرمه بماقب عليها

أما ملف سوابقي فكان نظيفاً ، وعلى الرغم من ذلك لم يكن بد من أن أبقى سجيناً حتى يتم التحقيق وتقدم للقضاء . وقد رويت لرئيس البوليس كل ما حدث علي حقيقته وأظن أنه قد تبين خطر

(٤)

لقد كان على المكس من ذلك متبطلًا بإشراك في تهمة .

ولم يحول التاجر مسدسه عنا لحظة واحدة ، بل بقى مصوبه نحونا حتى انتهى من حديثه التليفوني مع البوليس ثم تلفت إلى وقال :

— لقد كانت لعبة محكمة جميلة ، ولم يخطر لي قط على بال أنكما أعددتاها معاً ، على الرغم من أنني لم أكن رجلاً غيبياً ، ولكن من حسن الحظ أن الجريمة التي وقتت على مكنتني من الحصول على رخصة بحمل المسدس ، ولقد أخبرتك من قبل أنني لا أنسى أبداً الوجوه التي أراها مرة ، فلم يقع نظري على هذا الرجل حتى تذكرت كل ما حدث

قللت في شيء من الضعف :

— إنك غطيت يا سيدى قانا لم تكن لي بد فيها حدث

فقال الرجل في هدوء :

— الآن سأقول : واحد

وهنا تلفت إلى تريدواي وقلت :

— قل له الحقيقة فالك تعلم أن لا يدلي في السرقة فخدجني روى بظفرة خبيثة وقال في لهجة اللداء والتحدى :

— لا فائدة في أن تنكر أننا كنا متفقين يا أبي فليس الرجل أباه ولا غيباً

وهنا شمعت بدوار شديد يستولي على حواسي فهكذا كان أسلوب ذلك اللص الشقي في مكافأتي على إحساني إليه وشفتي عليه : لقد أشركتني في تهمة . إذن كان هذا هو انتقامه مني لما كان بيننا

القول الحق ولكنها ابتسمت ابتسامة أشبه بالنز
وقالت :

— إنه لا يعرف مقدار بنفى له ، فقد ثومت
الهدوء في حياتي معه ولم أشتبك معه قط في نزاع ،
فأنا أحرف كيف أنزع الحقيقة منه ، وها أنا ذى ذاهبة
لأفضل ذلك

وبهذه الكلمات تركتني ماريانا أسائل نفسي
كيف تستطيع حمل ذلك الشرير على الاعتراف بالحق
وأنا أقل هنا ما حدث بعد ذلك عن لسان
رئيس البوليس واثنين من المشتكين فيظهر أن ماريانا
قد ذهبت مباشرة إلى الرئيس وارن فأخبرته أنها
تريد مقابلة روى تريبواى لتحصل منه على اعتراف
بجبل الحقيقة في موقف أبيها . فأجابها الرئيس بأنها
تعرض لهمة شاقة لأن تريبواى مشتبك بأقواله
وليس في مقدور أحد أن يزحزحه عنها .

ووكد الرئيس لماريانا أنه عارف بأنها مظلوم
في هذا الاتهام وأن حمايماً ماهراً يستطيع أن يظهر
الحقيقة أمام القضاء . ولكنها رجته في أن يسمح لها
بالمقابلة وأن يسمح لاثنتين من رجال البوليس
بالوقوف في سجن مجاور لسجن روى ليسمعا ما يجري
بينها وبينه من حديث . فوافق الرئيس على طلبها
وهو قليل الرجاء في نجاح مهمتها ، لأنه بالطبع
لم يدرك أحد مبلغ مهارة ابنتي وحذقها ، فان قراءتها
لجميع صحف الدنيا التي كنت أجبرها لها لم تذهب
عبثاً ، ثم هي كانت دائماً راغبة في أن تتحقق بالمرح
ولما دخلت ماريانا على زوى في سجنه وعجده
جامداً منموماً ، ولكنها لم تلبث أن أنشئت في مهارة

مركزي في الاتهام على أنه يجب من وضئ كل
ما وضئت من ثقة في لص ، ومن رأيه أنني أستحق
الوقوف في هذا المأزق لأنني لم أسلم تريبواى البوليس
في الحال عند ما عرفت أنه لص

ومن الطيبين أن يجزع سوزان واسرائلي
عند ما اتصل بهما خبر سجنني ولم يفكرا إلا في المار
الذي يلحق بهما من جراء ذلك وأن تكونا متحقتين
من بطلان التهمة الموجهة إلي ، وبدأتا تحملان ماريانا
مسؤولية كل ما حدث ، لزوجهما من تريبواى ،
ولكنني تدخلت في الأمر بحزم وطلبت منهما ألا تريدا
في متاعب ماريانا يمثل هذا اليوم

وجاءت ماريانا لزيارتي في سجن القاطمة وكان
قلها يقطع حزناً على ما أصابني ، وقد رويت لها
كل ما حدث ، فأقلب فتورها نحو تريبواى إلى
بغضاء شديدة حين عرفت كيف جحد جبلي وتكر
لاحساني وشققتي عليه ، وقالت إنها مسرورة لملها
أن ذلك اللص لثقي امرأة على قيد الحياة فان ذلك
يجعل زواجه منها بإطلا بطبيعتها دون حاجة للانتجاء
إلى قضايا العلاقات النسبة

وطلبت من ماريانا أن تتصل بمعام كبير للدفاع
غنى لخطر الاتهام اللوجه إلى والظروف الخاصة
المحيطة بالقضية من جراء اعتراف تريبواى ولكنها
وفئت رأسها حالياً وقالت في لهجة حازمة :

= ليست بك يا ابن من حاجة إلى معام
وسيتعلقون سراحك قبل المحاكمة فسأجل أنا ذلك
اللقص على الاعتراف بالحقيقة

ثم كنت لها أن لا أمل هناك في حمل روى على

الفرصة التي تطلعت إليها في رحلة هافانا ، فأية مخلوقة
أكون أنا إذا لم أُنَفِّ إلى جانبك بعد أن علمت بذلك؟
على أنه إن كان هناك ما يميزني قليلا فهو أن أب
قد اشتراك منك في هذه المناصرة ، لقد كنت أود
أن تكون أنت وحدك الذي عرضت نفسك للخطر
في سبيل إرضائي وإسماعي

ومسمع تريدواي هذه الكلمات حتى اندفع في
غير وحي إلي الشراك ، فقد قال علي مسمع من رجل
البوليس الواقفين في السجن الجاور لسجنه يسجلان
أقواله :

— أسنى إلى يا ماريانا . إنني قلم تشاجرت مع
أبيك حين أراد أن يفرق بيننا ، لذلك أشركنه في
التهمة منى ، ولكن الواقع أنه لم يشترك منى في السرقة
فقد غارت هذه المناصرة وحدى ، ولكنني أريد
الانتقام منه . لذلك سأتركه يشاركني العقاب

ودفعه النور إلى الباهة بفقرته في سبيل
إرضائها ثم قال :

— وموضع الفكاهة في هذه القصة أنني لم
أكن أحمل مسدسا عند ما هاجت الرجل ، ولم يكن
في بدى غير مفتاح أنجليزى ، وقد اضطرت أن
أضرب به أباك على صدغه ، على أنه بقي في بدى غند
ما هربت ولا يزال عندى إلى الآن

كان ذلك كافيا ، فلم ينشء تريدواي من هذه
الكلمات حتى دخل رجلا البوليس إلى سجنه
فطوقاه . ثم التفتا إلى ماريانا وقالا :

— لقد أحسنت كل الاحسان أني السيدة
الصغيرة

ومفهوم بالطبع أن تريدواي لم يكذبين العور

تامة إذ طوقته بإساعدها وأخبرته أنها آسفة لمد
استطاعتها زيارته قبل هذا الوقت ، فقد حبستها أمها
في غرفها منذ اليوم الذي قبض فيه عليه وعلى أبيها .
والحق أن روى كان شديد الحاجة إلى من يحوطه
بشيء من العطف وقد سقته ماريانا جرعة وافية
من عطفها وحسانها .

ثم بدأت الفتاة تلبس دورها ، ومن حسن الحظ
أن روى لم يكن قد عرف بأن البوليس قد تحرى
عن سوابقه ، وأن ماريانا قد علمت بأن له زوجة
شرعية على قيد الحياة . وكان الفصل الأول الذي
مثله إظهارها الغضب على ، فقالت إنها عاركتني
عنها كما شديدا لأنني رفضت أن أسمع لها بمرافقتها إلى
المدينة بعد تركه عمله في الجراج . ثم أردفت
ذلك بهذه الكلمات :

— كأنه يستطيع أن يفصلنا أحدهما عن الآخر ،
ويودى أن أرى ذلك الخلق الذي يستطيع أن يفرق
بيننا . لقد قلت لأبي إنني مستعدة أن أذهب مع زوجي
إلى أى مكان يريد الذهاب إليه ، قلت إن روى هو
زوجي الذي أحبه ويحبني وإنى واثقة أن ليس في
الوجود من أحد يمكنه التفريق بيننا

وابتلع غرور تريدواي كل هذا المثل ، ثم مضت
ماريانا تنفذ بقية خطتها ، وكان روى قد تأثر تأثرا
شديدا بأخلاصها وولائها له فقال إنها ملاك في وقوفها
إلى جانبه

فالتت ماريانا قالبة أوراقها الأخيرة :

— ولم لا أنف إلى جانبك ؟ ألم تمرض نفسك
للخطر بارتكاب جريمة السرقة حتى لا تقطع على

الذي مثله ماريانا ويرى نفسه قد اندفع في بلاهة إلى الشرك الذي نصبت له ، حتى هاج وتناز داخل السجن راميًا ماريانا بكل ما في القاموس من ألفاظ السباب مكرراً : غائنة خائنة ..

لقد كان ما حدث لماريانا محنة وتجربة من تجارب القدر ولكنها خرجت منها ظافرة . وقد أفرج عنى في الحال بعد هذا الاعتراف الجديد الذي سجله أحد رجلى البوليس وشهد عليه زميله

وروى تريدواى يقضى الآن مدة الحكم الذي صدر عليه في سجن الولاية . على أنه بعد الذي حدث لم أفتحه قفتى في الطبيعة البشرية ، ولا أزال مستمداً لأن أحيى فرصة الإصلاح لأى إنسان ،

ولكنى قد أدركت شيئاً آخر هو أن من المستحيل إصلاح مجرم متعود الاجرام مثل روى تريدواى أما فيما يتصل بماريانا فاني واثق من أن بعض المخرجين لا بد أن يكون في حاجة إلى مثلها ، فقد برهنت على كفايتها للتأددة في تمثيل اللامساء ، وقد وفرت على نفقات المحامي الكبير ووقفتى عار الوقوف أمام المحكمة . وإنى لأتساءل غالباً: أليست ابنتى أرق طيبة من أن تحتمل التجربة التى مرت بها في الحياة وإذا لم أكن أنا بعد كل الذى حدث قد أصبت في عدم إخبارى ماريانا بما عرفته من أمر زوجها قبل سفرهما في رحلة شهر العسل !

عبد الحميد حمدي

بنك مصر

انفقدت الجمعية العمومية العادية لمساهمي بنك مصر بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٣٩ بدار البنك بالقاهرة . وبعد التصديق على تقرير مجلس الادارة لسنة ١٩٣٨ اعتمدت الحسابات عن السنة المذكورة . ووافقت على صرف مبلغ اثنين وثلاثين قرشاً أرباعاً لكل منهم مقابل تقديم الكوبون رقم ١٨ ابتداء من يوم الاثنين ١٧ ابريل سنة ١٩٣٩ إلى مركز البنك الرئيسي بالقاهرة أو فروعه بالأقاليم .

وبما أن الكوبون المشار إليه هو آخر كوبون ملصق بالأسمهم فترجو حضرات من يحتفظون لديهم أية كمية من أسهم البنك أن يقدموها لمركز البنك الرئيسي بالقاهرة ابتداء من يوم ٣ مايو سنة ١٩٣٩ - للصاق كعوب جديدة بكوبونات أخرى .

وستحجز من قيمة الكوبون ضريبة الحكومة بواقع ٠.٧٪ مضافاً إليها خمسة مليات عن السهم الواحد نظير الصاق الكعوب الجديدة .

عضو مجلس الادارة المنتدب

محمد طلعت حبيب

الملوك

للقصص الشيعي كارل كابل
بقلم الاستاذ ابراهيم حسين العقاد

وراح يذرع حجرته جيئة
وذهوباً والفق يسود نفسه لفساد
برنامج أعداء لقضاء ليلته... لقد
أراد أن يقضيها مضجعا على المقعد
الطويل والكتاب في يده وضوء
الصباح الهزيل بداخل نفسه
بروح من الهدوء والاستقرار..
يا للعجب! لطلباً برم بهذه

المنجمة وكرهاها في نفسه ولكن... لأي سبب
تراه قد أحبا الآن؟ أي سر غامض جبل هذا
الاحساس يسوده فيحب وحده ويفضلها على كل
شيء وبخاصة في هذه الليلة التي وسلته فيها البرقية
التي أمسك بها في يده وهو تحت سلطان الفكرة
الجديدة الطارئة فخلبته رعوته من طفولته القديمة
وسرعان ما كان يمزقها إرباً؟!

ما أسرع ما يغيرنا الزمن. وما أنصرها فترات
تلك التي يميلنا فيها تتحول من حال إلى أحوال!!
لقد تغير إحساس الشاب عند ما كان ينتظر في ذلك
الجو الرطب مقدم الطائفة التي تأخرت عن موعد
وصولها... ساد إحساس من الأسى والرثاء إذ كان
كل ما حوالبه يوحى بالفاتكة والفقر والبؤس... تلك
أشياء لمسا بحسمة في وجوه أولئك المنتظرين هباء
أو القادمين وقد مستهم الضراء وعبت السكالك
بأجسادهم المزهلة المزهقة

ووسط زحام جوع القادمين استطاع أن يتعرف
كيان شقيقته الضائر وأن يلمح وجهها للشاحب
وعينيها اللشاردين وهي تميز متهاكة تجم وراها
حقبة كبيرة، جعله مرأها ينتقد أن شيئاً قد دم
شقيقته المزهرة

غلبه الماء ثانية وهو يتناول غدائه وأحس
برأسه يكاد ينفجر فأسنده إلى راحة يده في الوقت
الذي انسحبت فيه مدبرة البيت رائية له وقد آثرت
تركه مضجعا على المقعد الطويل ناعماً — كما خيل
لها — براحة كانت في الواقع عذاباً كابد السكين
قبضه. قلبه غير منتظم الضربات ومعدنه قد
استعالت في ثقلها حجراً، وشمز وقد خارت منه
القوى برغبة في النوم ولكن... آه! لو أن الكري
وآله وكل السهاد عينيه!

ومرت ساعة عادت بمدبرة مدبرة البيت تدق
بها لتعطيه برقية فضا مسرعاً وقرأ:

٤٠ - ٧ × ١٠ - ١٩ أصل الليلة

«روزا»

أية ليلة تراها هذه الليلة؟! تلك كانت الفكرة
التي شغلته والتي وقف حيالها في حيرة والبرقية
في يده يحاول أن يفسر طلاس أرقامها، وبعد جهد
استطاع أن يفهم أن شقيقته الزوجة روزا متصل
في قطار الليل وعليه أن ينتظرها قريباً حضرت
لشراء بعض حاجتها ولكن... لمن الله نصية
للتسرع في خلق النساء! إذ حرمته دون مبرد بعض
راحة كان ينشدها

أرغم على سماعها خاصة بطريقة الزوج المشيبة وكيف يتناول الطعام ويقابل بالشر ماتسديه زوجته إليه من الخير، وإذ لهما ألامهم تحقيرها والمشاكرات التي تنشب بينهما في وحشة، وأحس المسكين بموجات من الاشفاق تطغى عليه تغيل إليه معها أنه من الثمن أن يتحمل كل هذا دون أن يمتنع أو يحرك ساكناً

ونظر من خلال أساء إلى تلك الفتاة المسكينة الهمة التي غلبها الفنى وأذى عودها ألم وهي التي ما عرفت الخنوع ولا رضىت المهانة وعاشت مدلة محبوبة ثورية ذات كبرياء وألفة ... هذه الفتاة التي كانت تناقش ولا تخضع لرأى، والتي كانت عيناها تتوهجان بريق لامع يعبر عن الآلام ... المسكينة! تجلس الآن وقد جرفت سيول الحزن وقامت مدامها وتهدج صوتها الطروب حتى كانت تتكلم بصوت لم تحتملها أعصاب جورج الذى صاح يريد إسكانها وهو ينال أحاسيسه الرائية:

— كنى ... إننى أعرف كل شيء

وغارت قوى المسكين ولم يستطع إتمام حديثه في الوقت الذى زاد فيه نشيج روزا وهي تقول:

— لا تقل هذا ... إننى ضالة في هذه الحياة،

وليس لى في هذه الدنيا سواك

واتسع المجال للبكاء فعلا صوتها وهي تقص مأساتها وما حدث لها وصوتها يتلون مع رهبة الحوادث وقسوتها ... ونجاة توقفت عن البكاء وسألت شقيقتها:

— وأنت جوزج ... كيف حالك؟

— بالنسبة إلى أعترفت لك أنى لا أستطيع

واستقل الشقيقتان هربة أسرعت بهما إلى البيت دون أن ينسى خلال الطريق أن يمرض عليها البيت في فندق يستأجر لها إحدى حجراته إسمائلاً في وفير راحتها ولكنها لم تجبه إلا بسيل من الدموع علقته بمض قطراته بأهدابها فأمسك يدها الضامرة بيده وراح في حنان ربت عليها. ولكم كانت سعادته عظيمة عندما اكتسى وجه المسكينة بانسامة مشرقة وهي تنظر إليه نظرة الممتنة للشاكرة ولكن سرعان ما تغير كل هذا عند ما وصلا المنزل وجلست روزا على القمد الطويل تحوطها الوسائد ... كانت بإدبة الرجة شاردة للتفكرات نازيتها مرتمشة للشفتين مما روع شقيقتها فأقبل عليها مستفسراً طالباً منها أن تكون في حديثها أكثر هدوءاً خشية أن تعزق مسكينة الليل وهي تكلمه في عصبية قاتلة:

— أقول لك إنى فررت ... هربت من زوجى ... آه! لو أنه كان في وسعك أن تصور مدى آلام فقال كنت أنوء تحنها ولكن لا ... إنك لن تستطيع أن تصدق كم كان يكرهى ... أمى ... لقد فررت ... هربت من بيت الزوجية وأتيته طالبة نصيحتك وإرشادك ...

وانفجرت المسكينة تبكي بدموع غزيرة بينما يحجم وجه شقيقتها جورج، وراح يحطو داخل الحجره في عصبية ثائرة تصور خلالها حياة أخته مع زوج لا خلاق له يعتمد تقربها وإهانتها أمام الخدم ... لا يعرف غير ملاهيه وملاذه يجول فيها ويصول ثم يقتدر ويقل يده إلى عنقه إذا ما طالته زوجته المسكينة ييمض غمرويات الحياة ... أية قصة تراها تلك التي

— كلا... أنت لا تعرف كيف كنت أعيش...
 أى آلام كابيت حزازتها وأى تقريع كان يوقر
 أذنى ويضئ جسدى من أجل اللقمة التى كنت أتبلغ
 بها أو للكساء الذى كان يسترنى ... لا أستطيع
 أن أعمل !! كلا أنا واثقة من قدرتى على العمل
 وسترى بنفسك كيف سأخطو بتجاح وكيف
 سأكون سميذة فى حياة أعينها مظلة بالهدوء
 والأمن... سأجدراحة النفس فى كسرة جافة أمسك
 بهارمى وهدوء الضمير فى مكان خشن آوى إليه ...
 شجنى بكلمة ... قل إنه استطاع أن أصبح إحدى
 النساء اللاتى يملن ويمجندن من أجل العيش ...
 وحتى لو ما كسنى الظروف سألتحق بأحد اللصانع ..
 ها أنت ذا ترى أنى عدت للأمر عدته تماماً ...
 أينها السموات الرحمة !! أى أمل براق هذا
 الذى جميلته يداخل نفوساً محطمة !! لقد أحس
 جورج بالخجل بجله إذ كان ينظر إلى العمل نظرة
 غريبة حورتها هذه الفتاة المشوبة الحماس ...
 هاهى ذى تموداً عواماً إلى الوراء .. إلى أيام طفولتها ..
 إنها لا بد مصيبة كل نجاح ... بل كيف يقدر لن لها
 مثل هذا الروح أن تلقى النشل !!
 واستطردت روزا ثانية تقول :

— سأغاس وإنك لترانى مقدمة على هذه
 الناصرة ... لن أقبل مساعدة من خلق وسيكون
 فى وسى أن أربح وأن أزين مائدة طماى ييمض
 الأزاهير ... وحتى هذه الأزاهير إن عز على نيلها
 ساكتنى بأن أراها وأن أجتاز الطرقات ... أية
 أحاسيس طاغية غمرتني بالهدوء عند ما استقر رأيت

للشكوى ولكن .. بالنسبة لك .. هل تنوب المودة
 إليه ثانية !!

— أنا !! عاال ... هذا مستحيل لن يحدث
 بل إن أوتر الموت على ذلك ... آه ! لو أنه كان فى
 وسعك أن تتصور أى حياة كنت أحيها !

— حسن ... ولكن انتظرى ... فى هذه
 الحالة ما الذى تنوب عمله ؟

لقد فكرت فى هذا قليلا ... سأقوم بجمعة
 التدريس أو ألتحق بأى عمل ما ... لا تسجب فإن
 الزمن كفيل بإقتاعك أنى مستطبة النجاح فى عمل
 وبأنى سأكون سميذة إذ أربح قوتى بنفسى ...
 لست أطلب إلا نصيحتك وتشجيعك .. أما مسكنى
 فسأجده سريعاً فى أى مكان ولكن فكرمى قليلا ..
 ونهضت من مكانها فى عصبية وراحت تدرع
 الحجر إلى جانب جورج وهى تحدنه قائلة :

— إن المنقولات القديمة التى تركها أبوانا
 ستكون من نصيبى ... لا تنظر إلى هكذا حتى أنتم
 حديتي ... لست أريد شيئاً ولكنى أريد أن أعيش
 فى هدوء وسلام غير عابثة بكوني فقيرة ، لأن أظل
 فمء سأجد فيه كفايتى ما دمت بعيدة عن ذلك
 الجو ... إن للعمل هو غايى وإليه أسبو ... سأغنى
 فقد مر زمن طويل لم تردد فيه شغائى أى لحن ..
 بيورجى ... آه لو تعلم !

— تطرقين أبواب العمل !! إننى فى شك من
 تحقيق ذلك بل إنى أؤكد لك أنك لست مستطبة
 هذا لأنه شيء لم تمتد نفسك ... ستجدين العمل
 سهلاً ... سهلاً جداً يا روزى

على الحرب ... للفرار من ذلك الجحيم الذى كنت أعيش فيه، وما أبد الفرق بينه وبين حياة بدأت الآن أراها طاملاً احتلت خيالى وتفكيرى ... كم أنا سعيدة!!
— أيتها المجنونة الصغيرة، إنه ليس بالأمر السهل ما تفكرين فيه ... ستفكر سوياً ولكن ... عليك أن ترمي الآن جسدك الرهق على ألا تتحدث فى هذا الأمر وأتركينى إلى وحدتى فلدى بعض أفكار .. وحتى إذا ما طالعنا الصباح الجديد بأشوائه صارحتك برأى فى الأمر الذى تنتوين ... اذهبي الآن لتتأني.

كان من البت إقناع روزا باحتلال فراش أخوها إذ سمعت على قضاء ليلتها نائمة على المقعد الطويل وهى فى كامل ملابسها، الأمر الذى لم يجد جورج معه إلا موافقتها، فدفترها بكل ما لديه من قطاء دق ثم أطفأ المصباح، فساد الهدوء للسكن إلا من هذجات سدوها التى كانت كمن تستصرخ السماء مطالبة بالرحمة. وفى دعة فتح جورج النافذة لتنمر الحجره نبات هذه الية الهادئة من ليالى أكتوبر وقد صفت السماء وراحت النجوم تلمع على صفحتها ... وجرت به الكويكبات إلى الماضى أشواطاً بعيدة ... تذكر ليله ما وما سفيران - هو وروزا، وقد وقفا مثلاًسقين إلى جانب النافذة فى إحدى الليالى الباردة يقبان للشهب وهى تنثقل من بروجها وقد جصل جسد روزا يهتز لرعبت رياح الليل به ... إن صوتها للساذج الحنون ما زال يتردد فى سمعه وهى تهمس قائلة :

ولما وأن يشد أزرى لأقوم بعمل عظيم » .
كان الأب فى تلك الليلة غارقاً فى نوم عميق بينما كان الأخ يستنشر العظمة فى نفسه فضم الصغيرة إليه ليحميها فى صدره إذ كانت ترتد من برد الليل وحى أحلامها ... وهوى نيم من السماء إلى الحديقة وعلا صوت الصغيرة روزا تقول « جورج ... » وأجابها أن نعم وهو يفكر فى نفسه فى ذلك العمل العظيم الذى تمنى القيام به ... أيتها المخارقة السكينة التمسة ... أى عمل جليل هذا الذى تحلين به ؟! إنك إذ تحلين بالجهد تبذنين الراحة وتحملين كتنفيك الرقيقين من الأتقال والحُموم ما لا قبل لهما بحمله .. نعم إنك لست بالقادرة على شيء وحتى لو أردت أنت تمدى يدك لصرعى الرؤوس لجرتك أيديهم إلى الهاوية .. وسمع وهو فى وقفته تلك همس الصغيرة وهى تناديه ثانية : « جورج » فالتفت إليها قائلاً : « أنصتى إلى ... لقد فكرت فى الأمر فلم أجِد من الأعمال ما يليق بك ... إن هناك أعمالاً كثيرة، ولكنك لست مهيأة منها الرشح الذى تبينين. »
وأجابته وهى فى هدوء :

— سأرضى بالليل

— كلا ... انتظري لحظة لأنك لا تعرفين معنى قولك .. ها أنت ذى ترين أنى سيد يعمل قانع بمرتبي، بل وفى وسى أيضاً أن أحصل على عمل آخر « بعد الظهر » ولكنى لا أريد لأنى لا أعرف أى عمل سأمارس ولما أعرض عليك بعض المال — أى مال تمنى ؟!

— سأتنازل لك عن نصيبى فى أرباح تركة

« عند ما يهوى نيم سأتحنى على الله أن يجعلنى

2017-11-11 11:11:11

بمقدمك... أنظري إلى السماء الصافية رسمتها لآلى
النجوم الدرية... ألا يبعد صراعها إلى خيالك ذكرى
ليلة وقفنا فيها صغييرين إلى جانب نافذة بيتنا نرغب
النجوم وهي تهوى ؟!

وحولت وجهها عنه وقد عمرته سفرة رهيبة ،
ونظر إليها فروعه ذلك البريق الخفيف الذى انقادت
به هبتها وسجما تقول :

— كلا ... لست أذكر شيئا مما تقول ، بل
لا أعرف للآن أى شيء يجعل هذه الذكرى حبيبة
إلى نفسك !

وغلبته للفرحة وهو يقترب منها سميحاً وقد
جعل عمر راحة يده على شعرها الأملس وهو يقول:
— دعى الآن حديث المال ... ما كان أترك

عند ما فكرت فى الحضور إلى هنا ... أينما السموات
كم أما سميح لأن النافذة انشقت من بيت المرايا
العديدة ... هل تصورين هذا ؟! لم أكن أهم بنير
نفسى حتى لقد برمت بها ... أذكركن ؟! أتراك
تذكرين ليلة تساقطت للنجوم فيها ... ما عساه
كانت أميتك التى أردت ؟! وهذه الليلة ... أية
أمنية تجول بخاطرك لو هوى نجم ... أى شيء
تطلبين ؟

— شيء لى ... لا ... وأطلب شيئاً لك ...
حدث تمناء ، أطلب من السماء أن تحققة لك

— ليست لى مطالب ولا رغبات ، وإنى
أشكر الله على ذلك يا روزا ... والآن .. هل فكرت
فى شيء ؟ انتظري حتى الشد فاستأجر لك مسكناً
يشرف على مناظر بهجة ... إنك لن ترى من هنا
(٥)

والذى ... إنه مبلغ تحصلين منه على إيراد سنوى
بمبلغ خمسة آلاف جنيه
وهبت الفتاة صارخة :

— هذا مستحيل
— أوه ! لا تصرخى ... إنها الأرباح فقط
فإذا لم تريد بها فبوسمك عدم صرفها

— وأى شيء سيقبلك أنت بعد ذلك ؟

— لا نهتمى بهذا ... كثيراً ما غلبنى الخجل
على أمرى من العمل « بعد الظهر » ... والآن ...
هذا المال يضايقنى وجوده فهل تريدته أم لا ؟!
واقتربت الشابة من شقيقها ثم طوقت عنقه
بذراعها وقربت من وجهه وجهها الندى بالدموع
وقالت والفرح غالباً :

— جورج ... لقد قبلت ما عرضته على وهو
شيء ما فكرت فيه ... أقسم لك أنى لم أكن أتظن
منك أى مساعدة ولكن ما دمت أنت تريد ...

— دعى هذا الآن فليست له الأهمية التى
تطلبين ... إن هذا المال يا روزا ليس بذى الأهمية
بالنسبة لى ... يجب على الرجل أن يعمل ... إلا أنى
أعود لأسألك : وماذا عسى أن يصنع رجل واحد ؟
إن الطوائف واللتجوال هما طال به أمرهما فانه
لا بد عائد مرة أخرى إلى نفسه ... إنه لأشبه
ما يكون بإنسان تحوطه المرايا من كل جهة بحيث
لن يرى إلا صورته التى تنطق بالوحدة ... آه أينما
العزيزة لو أنك تفرقين المعنى الخفى من كل هذا ؟
لا يا روزا ، لن أجسلك تصورين كل هذا المول
بل أرى أنه من واجبي أن أعترف لك بأنى سميح

عينها على ثقب في البساط ونظرت إلى جورج فجري
دم الحجل في عروقه وهي تسأله :

— وإذا روزا هنا ؟ لقد تركت بيت زوجها
لأنه كما تقول يعتمد إهانتها ... قد يصح وقوع هذا
ولكن ... لا بد لكل شيء من سبب ... لقد كان
زوجها ملء الحق في كل شيء فله ... إن روزا ...
لمت أدرى بم اسمها ... إنها ليست بالصالحة لكي
تكون زوجة ... لا أولاد لها ولا عمل ولذا لا تراها
تهتم إلا ... بنفسها ... إنها مبذرة جعلت السكين
زوجها يفرق في الدين ثم تركته ... ألم تلاحظ
نوبها ؟

— لا ...

— إنك لا تعرف كم يساوي ... إنها تشتري
الفراء بالآلاف الجنيهات لتبهمه يعض الثأث تشتري
بها أحذية ثم تحرق قوائم الطالبة بالدفع فتصلهم
الانذارات ... ألم يسلط نأ هذا ؟

— كلا . فإني تعلمين أنه لاصلة تربطني وزوجها
— إنه غلوق عجيب ... يشور عند ما تترك
نوبه دون إصلاح وتغلق هي في زينها حتى لتبدو
كأحدى الموقوفات ... تنشئ المجتمعات وتماحِب
الرجال و ...
— كفى ...

— ربما تكون قد أفتتكت بأنها ستقوم بتدبير
شئون منزلك فحظك تترك مسكنك إلى آخر أكثر
سمة ... إنها ليست في حاجة إلى كل هذا لأنها
أحضرت معها إلى هنا ... ضابطها ... لقد صدر
أمر بنقله إلى براغ ولهذا هربت من بيت زوجها

سوى فناء البيت ، ولكن يحز في النفس ألا تنم
دواماً برؤية الدماء وما على سفحتها من نجوم لامعات
وغادر الحجره وقد غمرته أحاسيس غريبة بين
صور باسمة للمستقبل وسعادة مواتية ، ثم عاد إليها
ثانية فألقى روزا وقد داعب الوسن جفניה وهي تنظر
ناحيته فبررة هادئة ، فراح في نشوة من غيظته
يتصفح الصحف لعله واجد فيها مسكناً جديداً
يرضاه ... وهكذا ظل حتى طالعه الصباح وهو
بأفكاره جد قرر ...

وبدا جورج حياة جديدة وانتقل إلى مسكن
جديد واعتاد أن يؤدي الكثير من الأعمال الإضافية
التي أدهقته إحدى ذى يده ولكنه اضطر إلى احتياها
إذ كان يسمع صوتاً داخلها يقول له : « نحمل لأنك
لا تبتسئ نفسك فقط بل من أجل غيرك » . حقاً
لقد كانت تلك حياة جديدة بالنسبة إليه ...

وحل على جورج في يوم من الأيام صيف جديد
كان أخته الأخرى تيلدا المتزوجة من أحد أصحاب
المعامل القريبة من المدينة والذي لم يصب في عمله
نجاحاً كبيراً . وقد اعتادت كلما حضرت إلى براغ
أن تزور جورج فتقص عليه من سيرتها وسيرة
أبنائها الثلاثة الصغار الشيء للكثير حتى لكأن
العالم قد أقفر عن فيه إلا أطفالها ... ولكن زيارتها
هذه كانت غريبة روحته ، فقد قلبه هلعاً ودهية ،
إلا أن الهدوء داخله سريعاً عند ما علم أن الأولاد
الثلاثة بخير ، وأن العمل يسير من سي إلى أسوأ
وأنها حضرت إلى المدينة لتبحث عن بيت أن
يشتره ... ونظرت حولها نظرة غريبة ثم استقرت

- وحضرت إلى هنا مع عشيقها ... إنها دون شك لم تحب بك بشئ من هذا
- تيلدا ... إنك تكذبين
- حقق بنفسك هذا الأمر ... إنك طبيب القلب ولولا حبى لك ما صارحتك ... إن روزا لم تهتم بك فى يوم من الأيام حتى إنها قالت عنك إنك ...
- كفى ... اذهبي ... اذهبي أنوسل إليك واتركي أنى بهدوء أنطلبه
- سأذهب ولكن ... إن المكان هنا قذر وجديرك أن تبحث عن آخر أكثر ملاءمة لك ...
- إنك لترى الظلمة تسوده ... هل أرسل لك ...
- لا ... لست أريد شيئاً
- حسن ... أنا ذاهبة ... إلى اللقاء يا جورج ...
- واعتورت الرعدة بدنه المحموم وجف حلقومه وحاول دون طائل أن يؤدي أى عمل فلم يجد سوى أن يحطم القلم ويمزق بعض الأوراق، ثم غادر مسكنه ذاهباً إلى البيت الذى اتخذ من أحد أقسامه مسكناً لشقيقته روزا، ولكن مدبرته أخبرت جورج أن السيدة الصغيرة قد خرجت منذ الصباح ولم تعد وإن كان لديه خبر فستجمله لها، ولكن الشاب التأثر تركها دون كلمة وما يدور نفسه كمن يحمل على كتفيه أثقل الأحمال حتى وصل مسكنه فوجى إليه وجلس إلى نضده محاولاً أن يعمل ولكن الساعات مرت دون أن يفرغ من الصحيفة التى أمامه كما أن الليل خيم دون أن يفكر وهو قد جلسته أن يوقد الصباح. وأخيراً دق الجرس دقات مرحة ولم تمنح لحظات حتى كانت روزا أمامه تيمس فى حنان وهى تسأله :
- فأنتم أنت يا جورجى ؟ كيف ... ما أكثر ظلمة هذا المكان ... أين أنت ؟
- كنت مشغولاً ...
- أنصت إلى ... لقد فكرت أن أتيتك هنا مباشرة ولكن فكرت فى أنك ربما لم تعد إلى البيت
- لماذا ... وأين تظننى أكون ؟ أين أنك أنت لم تكونى فى بيتك
- أى مكان تظننى كنت فيه ؟ ما أجل مسكنك هذا وما أشد فرحى لأنى معك ... تمال ... تمال واجلس إلى جانبي ... إننى سميده ...
- وأسند وجهه إلى فرائها الذى تندی برطوبة الحريف وقال يحدث نفسه « لعلها ذهبت إلى مكان ما فاشأنى أنا بذلك ؟ » ، ولكن ذلك لم يكن دافعاً ليدخل المهدوء نفسه إذ جبل قلبه بدق مرصعاً فأخاف روزا وقالت له :
- ما الذى حدث ؟
- لا شيء ... لقد زارنى اليوم تيلدا ...
- تيلدا ... وتحدثت عني ؟ ما الذى قلته إليك ؟ تمال ... تكلم ... إنها ولا بد سبتنى لك ... ما الذى قالته ؟
- لا شيء قلت لك ... بعض أخبار صغيرة وانفجرت الشابة بأكية موهة وهى تقول :
- المحلقة القذرة التى ما أحست طوال حياتها بحوى إلا بالنيرة. وماذا عساي فاعلة إزاء هذه الظروف التى تناسبنى اللداء ... إنها ولا بد قد أتت عند ما عرفت ما قلته من أجل وما قدمت لى من المال، وإنى أقسم لك أن لو كانت هى وزوجها فى محبوسة من

خائف مشبك الدراعين على صدره وهي تنظر إلى شقيقتها الذي رفع إليها وجهه، ثم تتم الأنجزى وعاد ثانية ليواصل عمله. وكان العمل المستمر هو سلوكه الوحيدة في غده إذ ظل متكياً على أوراذه من مطلع النهار إلى غروب الشمس عند ما أنهت ثانية روزا وإذا نهض ليثيئها طابت منه في حس أن يستمر في عمله لأنها ستجلس قبالة... وحاول جورج أن ينفذ طلبتها دون جدوى إذ كان يحس أن عينها النافذتين الممثلتين بشئ الأحاسيس والمواظف ما انفكتا تنظران إليه وتديمان التطلع إلى وجهه... ونجاة سمها تقول :

— لم تأت اليوم فبارئ وقد انتظرت مقدمك دون أن أبارح البيت ؟
ووضع جانباً القلم ثم التفت إليها ... كانت في ملابس سوداء رشيقة وقد اكسب وجهها صفرة وشحوباً ... وأجاب :

— يجيل إلى أن الجو أكثر برودة هذه الليلة
— لا شك أنك تعرف ما آكل إليه حال تيلدا .
إن زوجها رجل ساذج تنزه الطواهر ولذا لم يفرق كيف ينظم أعماله فسادت ... كان له حيل سرقة وخرجه بالأمان فسادت العاقبة ... إنه على شفا الافلاس، وهام أولاد مقبلون على مصير فاض وقد كان جديراً به أن يفكر قبل تورطه في مصير أولاده
— لا أعرف عن هذا أي شيء ...

وسكنت روزا على مضض ولكنها لم تياس ثانية من مهاجته وآتت أن ترى آخر سهم في جيبها فقالت متممة :

الرزق ما فكرت في طرق بابك أو التحدث عنك كائنات تربطك بها وشيجة الرحم ... إنها تريد كل شيء لها ... لأولادها ... هؤلاء الملايين الصغار ...
— لا تطرق لهذا الحديث باباً وكفى عن ذكر هؤلاء جميعاً ...

— بلى، إنها تريد أن تفسد كل شيء وأن تحطم حياتي بل إنها لم تكذب تعلم بما أصبته هنا من هدوء بال وراحة حتى أتت تنفص على عيشي ... صارحنى ... هل صدقت ما قالته لك ؟
— كلا ...

— أنا لم أكن أطلب من شيء سوى أن أستمع حزين ... أوليس من حق أن أُنشد السعادة ؟ ما أردت شيئاً ولكن نلت بعض ما كنت أبنى وهامي قد أنت ...
— لا تهنى بذلك .

والم من مكانه ثم ذهب إلى المصباح فأوقده وعاد يطيل النظر إليها وهي مطرقة الوجه وشفتاها ترتدان ... ما أجعلها وأبدع هذا الثوب من الشيايب اللغائ يزيدها روعة ! كانت في رداء قشيب وقنازين صغيرين أنصعا عن عحاس يديها وجوارب حريرية ... كانت منظرية الأعصاب فتركت يدها المربحة تبت بحبوط القميد الكبير ... ونهد ثم قال لها :

— هل تسمحين ... إن لدى بعض أعمال تتطلب الانجاز .

— حسن ...

وقامت من مكانها وقد تجسست في هيئة تمثال

فيشرد الأطفال ويصبح أكبرهم شارل الذي يحلم
بالمستقبل شجاعاً منبوعاً... وأنا واقفة أنك ستحضر
لنا قاذوا وأنتك سوف تحب الأطفال

لك حي أنا ... أحنك التمسة : (يلدا)
حاشية : — «أما ما قلته لك من روزا
وأكدت أنت لي كذبه فأخبرك أن زوجي سوف

يحضر إلى براغ ومعه حجج دامغة تثبت صدق
ادعاءاتي ... إن روزا لا تستحق حديقك وعطفتك
لأنها لطخت بالمار هامانتا؛ ولغير لها أن تعود إلى
زوجها، وإنه لمصافح عنها كي تترك لأولادى الصغار
لقمة العيش التي بها يبقون»

أي ضيق هذا الذي يحسه ... إنه من البت أن
يستمر في عمله على هذه الصورة من الارتباك الذهني،
وإنه لخير له أن ينادر مسكنه إلى الخارج عساه
يستطيع أن يروح عن نفسه ... واعتزم الذهاب
لزيارة روزا ... وصل إلى مسكنها ولكنه لم يكد

يقدم على دق بابها حتى سمع من الضمير صوتاً نهاه
فماداً دراجه متلصصاً، وإذ هو في الطريق أبصر شابة
تلتشع بالفراء متعلقة بذراع أحد الضباط فحث
الخطي خلفهما كماشق تبتت الغيرة به، ولكنه
لم يجد لها روزا ... كانت فتاة أخرى فائنة متبرجة
فيهم شطر مسكنه ولم يكد يلجعه حتى ألقى روزا
المسكينة مستلقية على القعد الطويل غارقة في بحر
من مدامها ومقررة منها سقطت رسالة تيلدا التي
تركها جورج عند مفادته المسكن ... وأحسنت
بمقدم أخيها فقالت له متوسلة بصوت خففت الدموع
نبرانه :

— يا شقي المسكين ... رأيت هذه الخلوقة

— ولما ساء حال زوج شقيتي تيلدا إلى هذا
الحد لجا إلى زوجي ملتمساً موته ولكنه رفض إذ كيف
يسبق وزوجته على مال وقد كان لها منه ثلثائة ألف
أضاعاها

— وهل هناك من سر جمالك تصارحيني
بما قلت ؟

— رغبة مني في أن أجمعك تقف على الحقيقة
لأنك طبيب القلب وتحب مساعدة الآخرين ...
— هذا لطف منك

لم يحول عينيه عنها وهي في مكانها وقلبه يدق
مضطرباً بين جنبيه ... لكر كان في شوق إلى سماع
كلمة حنان منها تصارحه فيها بأنها تود أن تبحث
عن عمل ولا تعيش حالة على الآخرين . تقوم بمحتمته
اللزلية ... تترك مسكنها الفخم إلى آخر ولكنها
لم تقبل بل راحت تطيل النظر إلى النافذة ثم بدأت
حديثاً آخر

وفي اليوم التالي تلقى جورج من شقيقته تيلدا
الرسالة التالية :

عزيزي جورج :

لكر أسفت إذ تركتك في مثل حالتك ولكنها
الظروف ... هي أيضاً ما حدا بي إلى الكتابة ثانية
إليك لأصارحك أنه قد سادت حالتنا ولن تستقيم
إلا بعد أن ندفع خمسين ألفاً بحس زعيان بأنها لا بد
عائدة ، لأن المستقبل لصناعتنا وبوسى أنا وزوجي
أن نمطيك للثمان الكافي للتسديد في ظرف عامين
لو أنك دفعت ديننا وأتقذتنا من هاوية الفقر ...

إنني أعرف فيك طيبة القلب وهي التي ستدفعك
إلى مساعدتنا وإلا سادت العاقبة وعصنا الدهر بتابه

أسكنتها فأحت رأسها وانصرفت
وفي اليوم التالي طرق بابها زائر ... كان زوج
تيلدا الضخم الجفنة الذي يشبه السكب في ملامحه ..
ولقيه جورج متجمعا ولم يقم احتراماً لقدسه
كي يتركه واقفاً ثم سأل في لهجة أمرة :
— ما الذى تريده ؟

وروع الحديث المفاجئ الضيف القادم فأرجع
عليه وقال :

— أنا ... أنا ... إن تيلدا هي التى أرسلت هذه
الأوراق التى طلبتها أنت ...
— أنا ما طلبت شيئاً

— لقد كتبت تيلدا إليك أبها الأخ وشرحت
ظروفنا ... فإن كنت تريد مشاركتنا العمل ، وإنى
أؤكد لك أن المستقبل ...

وفي هذه اللحظة انفرج الباب في ببطء وأظلت
روزا التى روعها أن ترى زوج تيلدا ... وقال
جورج لها :

— ماذا حدث ؟

— جورج ...

— لدى أعمال وزائر كثيرين ... هل تسمحين ؟
وفي رهبة قدم زوج تيلدا الرسائل وهو يقول :
— وهذه يا سيدي هي الرسائل التى كتبها لنا
زوجها وبض أوراق أخرى ...

وتهاكت النعمة وأمسكت بالباب إذ خانتها
القوى في الوقت الذى ضمت فيه شقيقها يطلب من
القادم أن يعطيه الرسائل ، فلما أخذها لم يكلف نفسه
عناء تصفحها بل أعطاها أخته وهو يقول :

— خذى هذه ... واسمحي لي أن أقول لك

النعمة التى تريد أن تسرقك علانية ؟ لا تعطها شيئاً
ولا تصدق كلمة مما قاله ... إنك لا تعرف أى نوع
من النساء هي ... ألم ترى لهما كيف تصعبا كذباً
على ؟ ما الذى فعلتهما ؟ ما أدروع هذه الأفكار ...
إنها لا تريد شيئاً سوى المال وعن طريق سلبك .
مالك تعدت الاساءة إلى ...

— إنها أم لأطفال باروزا .

— تلك هي ذريتها الأبدية ... لطالما سرقتنا
وما كانت لتهن بسوى المال .. تزوجت من أجل المال .
ألا تذكر أن أمانتها وهي طفلة كانت تنحصر في
تحفيها للننى واليسار ... إنها مخلوقة شرسة ، فهل
لك أن تدلى على ذلك الشيطان الذى تقمصها ؟
إنها تريد الآن أن تسرقنى فهل أنت يا جورج
مطمئناً هذه الفرصة ؟ هل ستخلص منى ؟ لغير
لي أن ألقى الموت غرقاً من أن أعود ثانية

وكان جورج يسمها وهو يحنى الرأس ...
أجل .. إن هذه الفتاة تقايل من أجل كل شيء ...
تقايل تيلدا .. بل تقايله هو نفسه إن حاول أن يسلبها
شيئاً ... المال ... ودوت في أذنيه هذه الكلمة
وجعلته ينصت مرة أخرى إلى روزا وهي تقول :

— لقد كان منحك إلى إيلى المال أشبه الأشياء
بالمجرات إنك أنت الذى وهبى هذا المال
وكان جديراً بك ألا تنبه مادام التفكير في استرداده
كان يراود خيالك

— إنه مالى ... ملكي الخاص وإنى سأفكر
في هذا الأمر

تلك كانت أول مرة يهين فيها روزا فلمت
هينها بديق من الكراهية ولكن صرامته البادية

الفصول والغايات

معبرة الشاعر اللاتب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقضو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل
طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححة وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زباني

تمه ثلثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

لا تذهبي إلى المصرف من أجل المال لأن ذهابك
لا فائدة فيه ... والآن يا سيدي ما هي مهمتك ؟

— السائلة تنحصر في ... رأس المال ...

— اصغ إلى يا سيدي ... لست أدراك كاتدي
رجل أعمال

— سأعمل جهدي و ...

— كيف أستطيع أن أوليك ثقتي وتكون
أميناً في نظري ؟

— أعددك بذلك ... إن لدينا أطفالاً ...

— كفى ... يمكنك أن تأتيني بمد عام

— بمد عام

— وداعاً يا سيدي ...

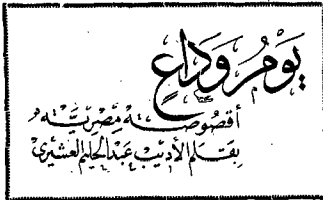
ومادت الأرض تحت قدمي التنس وعشت عيني
سحابة من الكدر واستدار مفادراً الحجره وهو يقول
— وداعاً و ... شكراً لك

وأحسن جورج هدوء الوحدة وساده منصف
حبيب فقام رتب الأوراق البهتره على النضد ثم نادى
مديرة البيت التي ما إن أنت حتى كان قد نسي
ما اعترف قوله لها .. وأرادت السيدة أن تمود ولكنها
نمت صوته

— فتي ... إذا أنت اليوم ... أو في الغد ...
أو في يوم من الأيام شقية بي روزا فقول لها إلى
متكف و ... إلى لا أستطيع أن أقابل أحداً ...
وخرجت السيدة وشملت الوحدة ثانية فاستاق
على القمد الطويل وهو ينظر إلى عتكبوت بدأ نسيجه
في ركن الحجره الواقع فوق رأسه

أبراهيم حسين العقاد

الفنأة - (نازلة) تضاف ...
 أنكررها للمرة الثانية ؟ إني لا أنفك ،
 لقد تغيرت كثيراً يا صاحبي
 الفتى - يؤسفني هذا أيضاً و ...
 الفنأة - ويجب أن تصمت إذا كنت
 تريد أن تجمل كل كلامك على هذه
 الوتيرة ...



الفتى - (في حيرة) لو عرفت ما بي لما قلت
 هذا الكلام ، ولما ثرت هذه الثورة ...
 الفنأة - تتكلم المدوء) وما بك يا عزيزي ... ؟
 الفتى - إني خائف ...
 الفنأة - (في صوت متعل) قلت لك تكلم كلاماً
 مفهوماً . إنك تخلع قلبي ...
 الفتى - يؤسفني هذا أيضاً ... و ...
 الفنأة - (في صوت متعل أيضاً) أفي منك !
 إنك تغيرت كثيراً جداً ...
 الفتى - (في حيرة) قد أكون تغيرت حقاً ،
 ولكن يجب أن تهدئي من ثأرتك بعض الشيء ،
 إن ما بي فيه للكفاية ...
 الفنأة - وماذا بك ؟ ليلتك نجيب هذه المرة ..
 الفتى - (في عزم وهو يستجمع قوته) أجيل
 سأجيب ... إني ... إني ... إني ...
 الفنأة - إنك .. إنك .. إنك ، إنك ماذا ؟
 لقد أصبح من الواجب عليك أن تصمت ...
 الفتى - لقد كنت أود هذا ، لولا أنه من
 الضروري أن أنكم ...
 الفنأة - حسن . تشدد يا عزيزي هذه المرة
 أيضاً وحاول أن تتكلم ...

« نقي وفنأة في سن الشباب يسيران جنباً إلى
 جنب في شارع مظلم موحش ، وفي يوم من أيام
 الشتاء التي تحمل معنى الشتاء ، »

الفنأة - كم هو قبيح هذا اليوم ! جو رطب
 مشبع بالشباب ، سماء ملبسة بالغيوم تضيء بخطر
 قريب ، صمت ووحشة ، تري لماذا استدعيتني في مثل
 هذا اليوم يا حبيبي ؟ !

الفتى - حسبك أحسست ...
 الفنأة - (في خوف وهي تلفت إليه) ماذا تقصد ؟
 الفتى - (يهم بان يتكلم ثم يتردد ويطلق فيه ثانية)
 الفنأة - لماذا لم تجيب ؟
 الفتى - إني خائف ...
 الفنأة - مم ... ؟

الفتى - عليك ... على قلبك ...
 الفنأة - (في حدة) إني لا أفهم كلامك ،
 ليس هكذا كنت تتكلمني ...
 الفتى - يؤسفني هذا ... ولكن يجب أن
 تسدوني . فاني ... فاني ...
 الفنأة - قل ما ستقول ... إني لا أرتاح لهذا
 التردد ...
 الفتى - ولكني خائف ...

الفتاة - (ساخرة ساخكة) هل تستطيع القيلة

إخراجها ؟

الفتى - بل هي عندها أكثر من الخروج

الفتاة - (مضغمة جلد) يا لها من كلمة !

الفتى - نعم، يا لها من كلمة. إنها الحد الفاصل

بين حيائين، بين قلبين .. بين ..

الفتاة - (عائلة) اصمت. اصمت إنك تؤذي

الفتى - ألم أقل لك ...

الفتاة - بل تكلم ... قل كلمتك ...

الفتى - لا ...

الفتاة - (تنظر إليه في خوف)

الفتى - الود ...

الفتاة - (تنظر إليه في خوف)

الفتى - الوداع. أشهد أن لا إله إلا الله، هذه

هي الكلمة التي استديمتك لأقولها لك ...

الفتاة - (تنظر إليه في دمعين ورعب)

الفتى - (في حزن) ألم أقل لك. ألم أقل لك

القلب ذنبك ...

الفتاة - إني لا لأهمك ...

الفتى - وهذا ما اعتقدته، ولكن حاول،

حاولي أن تفهميني ...

الفتاة - سأحاول ... وضع صراخك ...

الفتى - إذن سأكرر كلتي أتريني أستطيع ؟

والفتاة - ...

الفتى - ولكن يجب أن أستطيع (يتشهد)

استديمتك لأودعك ...

الفتاة - (كأنها تحلم) استديمتني لتودعني ...

(١٦)

الفتى - (في مزج وهو يستجمع قوته) أجل
سأنتكم هذه المرة، إني ... إني استديمتك لأقول
لك ... لأقول لك ... لأقول لك ...

الفتاة - (برافو) . لقد زدت على كلامك
السابق ثلاث كلمات، حاول أيضاً حاول بقوة ...

الفتى - إني استديمتك لأقول لك كلمة واحدة

الفتاة - وما هي أيها الحبيب ... ؟

الفتى - هي ... هي ... إني خائف ...

الفتاة - خائف .. خائف .. يا صاحبي يجب
أن تزع عنك هذا الخوف ...

الفتى - يخيل إلي أنني لا أستطيع ذلك

الفتاة - بل تستطيعه بقليل من المزم. هيا ..
هيا قل كلمتك ...

الفتى - (يتلع رقبته ويحاول أن يزع عنه خوفه)

الفتاة - كن قويا ...

الفتى - كلني هي ... و يتردد

الفتاة - كن قويا تشجع ...

الفتى - هي ... (يتردد)

الفتاة - (ساخرة) إن صبري فرغ .. بودي
لو أصفك ...

الفتى - (في جد وهو يقدم لها خده) أوه هذا
قليل والله أصغى ...

الفتاة - (ساخرة) إنك بطل ...

الفتى - تكذبين، فأنا والله أصغى خلق الله
اليوم ...

الفتاة - دعه هذا. ما هي كلمتك ...

الفتى - أجل كلني. يا الله ... لو أتمكن
من إخراجها من في ...

الفتى - ألم تصدق بحد كل هذا ... (ست)
 الفتى - (يقطع الصمت) إن أيام الحب تمر
 دائماً كالأحلام، وما أكثر من يشقون الحب بحد
 أن تمر أيامه هذه إلى كالأحلام ...

الفتاة - ...

الفتى - لقد فكرت حيناً استدعيك اليوم
 في حيناً الكبير الذى سيموت، فكنت أعجب هل
 يمكن أن يموت حقاً وهو فى ريمه ...

الفتاة - ...

الفتى - وفكرت أيضاً فى قلبك الذى سيقتل ...
 فصجبت هل يمكن أن يقتل قلب يحيا بحياتين ...
 حياة الحب ... وحياة هو ؟

الفتاة -

الفتى - وفكرت أخيراً فى أمر هذه الدنيا،
 التى تأبى أن تبقى السعيد سعادته فيها يكون فى أشد
 الحاجة إليها . فرحت أنسها وأنسها

الفتاة -

الفتى - وحينما انتهيت من تفكيرى رثت على
 نفسى لأنها كانت السبب الأول فى كل هذا
 الفتاة -

الفتى - وطعمت فى عفرانك . ولكن يظهر
 أنى لى أناله ...

الفتاة - (تفارق الصمت) ولم لا تناله ؟ إنك
 جبر فيا تفعل . سوف أغفر لك يا صاحبي ... بل
 ليغفر لك الله ...

الفتى - (يرح) الآن أنا سعيد . وسوف
 أقوم بما استدعيتك من أجله . ولكن دعينا أولاً

ألم وحزن وأسف - على قتل القلب الذى ستجيا
 بموته هذه النفس البائسة

الفتاة - ولذلك استدعيتنى ؟

الفتى - أجل ...

الفتاة - (تضحك فى تكلف والدمع يتحد من
 عينيها على خديها) واخترت هذا الشارع القفر
 الذى لا يكاد يرى فيه رجل من رجال الشرطة ،
 أو حتى بعض الناس ؟

الفتى - لقد يكون . ولكنى على كل حال لى

أخاف من القبض على متلبساً بجريعى ...

الفتاة - يا لك من جرم شجاع ...

الفتى - ليس هذا وقت هذه السخيرة .

خبرينى هل تعفين عني ..؟

الفتاة - لا أدري . ربما ...

الفتى - هذا مؤلم . كنت أطمح فى عفوك ...

الفتاة - سأحاول أن أعفو عنك . فقط بحد

أن تقوم بجريعتك ... « ست »

الفتاة - (بحد قليل عائدة إلى سخرتها) ولكن
 خبرنى أى سلاح ستستعمله فى قتل قلبي المسكين .
 إننى أفضل البندقية لأنها تقتل بسرعة فلا يتألم
 المقتول بها إلا مرة واحدة ...

الفتى - ما زلت على سخرتك . ترى هل
 تقدرين موقفك الآن ؟

الفتاة - (تضحك قليلاً وتظلاله نظرة من أعطاء)

إنى أسفة لقد خيلت إلى أنى أستطيع الترفيه عن
 نفسي بهذا الكلام .. (ست)

الفتاة - (بحد قليل) وإذن ستفترق حقاً ؟

الفتاة - (ضاحكة) ولكن حذار أن تنتهر

هذه القرصة فتقتل قلبى

الفتى - (في استعطاف) أرجوك ، دعى هذا الآن وإلا أفسدت جو هذه اللحظة (يقبلها)

الفتى - (بعد أن قبلها عشر قبلات) انتهت القبلات العشر ... (يريد أن يبدف فنه من فيها فتنبهت برقبته وندى فيها من فمه ثانية)

الفتاة - قبائى أيضاً . اعطى على العشر قبلة (تبسم) أو نصف قبلة إذا كانت القبلة كثيرة (يقبلها)
الفتى - (وهو يستدل فى جلسته بعد أن قبلها) ،
والآن ...

الفتاة - أ ... أقتل قلبى ...

الفتى - (يستمر فى قول ما كان سيقوله) والآن دعينا نستمع شيئاً من ذكريات حيننا

الفتاة - (تصمت فى تفكير ثم تبسم وهو تنقلب دموعها) حسن . هل تذكر يوم كنا نسير بجوار إحدى الزرع الصغيرة بقرية (النصورة) وأنت تقرأ لى شمرأ مثثوراً قلت لى إننى أنا الذى أوحيت به إليك ، فلما أخذت منك الحامسة وأخذها وأنت تتلوه زلت قدك فسقطت فى التربة ، وطارت الورقة للنى كبت فيها شمرأ فى الهواء
الفتى - أوه ، أذكر هذا جيداً ، ولقد خاصمتك بوى لأنى عند ما خرجت من ماء التربة ظلمت تضحكين على طول الطريق ...

الفتاة - وهل تذكر يوم جذبتني من أنفى لتقبلى قبلة . قلت لى يومها إنها ستكون : « فتجأ جديداً فى عالم القبلات »

نميش لحظة فى جو حيننا ... لحظة أخيرة ...

الفتاة - كلا ...

الفتى - عجيب . ولكن لا يجب أن نفترق مكاننا . على الأقل يجب أن أقبلك ...

الفتاة - كلا لى تقبلى (تستدرك) بل قبلى عشر قبلات على ذكرها مساعدنى على الحياة عشر سنوات

الفتى - وبعد عشر السنوات ؟

الفتاة - أوه ، سأشكر الله لو استعطت أن أعيش عشر سنوات ...

الفتى - إنك ترعيجينى . بل سيطول بك العمر أكر بذن الله ... وهاتى الآن فك ...

الفتاة - كلا لى بهذه السرعة . يجب أن نجلس أولاً فى مكان بعيد عن الميون إذا كانت هناك ميون ، لا ننس أننا فى شارع ...

الفتى - حسن . بعد خطوات سنصل إلى حديقة صغيرة على جانب الشارع يمكننا أن نجلس بين أشجارها فلا يرانا أحد ...

(يوسمان الخطى نحو المدينة والعصت يسودها)
الفتى - (بعد أن جلس بجوار الفتاة على أحد المقاعد الخفية عن الأنظار بالحديقة التى قصداهما) : والآن هل يمكنك أن تتفضلى بإعطائى فك ؟

الفتاة - (باسمة وهى تهرب منه فيها) بالطبع ها هو ذا يا عزيزى ... فلتطبع عليه عشر قبلات كاملة طويلة ...

الفتى - (وهو يهم بقبيلها) ولننس كل شئ الساعة

الفتى — أذكر هذا تماماً ...

الفتاة — وهل تذكر يوم (فرستى) فى أذنى بشدة جعلتني أصرخ من الألم حينما طلبت منك أن تمنطيني درساً فى قواعد اللغة العربية . فلم ألقه بما تقول شيئاً ...

الفتى — أجل أجل . وأعتقد الآن أنى كنت قاسياً على أذنك يومذاك . فلقد احترت من أثر (القرصة)

الفتاة — وهل تذكرت يوم مثلت مى دور الزوج ، ومثلت معك دور الزوجة (تصمت هنيهة وهي تبسم فى تحسر وخين) حينما كنت تأمرنى أن أفضل كذا ، أو أتوك كذا ، فأنا رفضت اتخذت هيئة الزوج النضبان على زوجته وهددتني بالضرب أو للطلاق

الفتى — (ييسم فى تحسر ولا يجيب)
الفتاة — (تهم بأن تستمر فى ذكرياتها ثم تردد لجأه)
بحسبك هذه الذكريات ، هيا اقتل قلبى الآن
الفتى — (يتأهب) حسن . (يقب) . الوادع .
الفتاة — (صارخة فى غرابة) كلا . . . كلا . . .
انتظر ...

الفتى — لقد طال الانتظار يا عزيزتى ...
الفتاة — لحظة أخرى ...
الفتى — كلا . . . ولنفترق ونحن على أحسن ما نكون من الصفاء . . . إذا كان ما بيننا الآن صفاء ... وداعاً ...

الفتاة — آه ... قلبى ...
الفتى — قاتل ؟ أليس كذلك ؟ حسن . الدب ذنبك فانت التى طلبت الاسراع فى قتله (يستلم رقبته)

ولكن يجب أن تعرف أن قلبى هو الآخر قتل .
أو كما هو الواقع قتلته منه قطعة ، والرصاصه التى قتلته قلبك وقتلت تلك اللقطة من قلبى واحدة ...
(للمرة الثالثة) الوادع . سوف تذكرينى بخير . أليس كذلك ؟ كلا ، بل انسىنى ...

الفتاة — (فى غير وعى وهي تضم إلى صدرها اليد التى قبلها وبصرها تائه) وداعاً . . . وداعاً يا حبيبى .
(تردد للمرة الثانية وهي ذاهلة ساهمة) . يا حبيبى .
(الفتى يهم بأن يسير ثم يلتفت إليها لجأه)
(يتقدم إليها ويتناول يدها ليقبها)

الفتاة — (تحسه من تحيل يدها) بل انتظر حتى أقف لأودعك بدوري ...
الفتى — لا . إنك لن تستطيعى الوقوف وما زال الثقب الذى أحدثته فى قلبك الرصاصه التى أطلقتها عليه ينبثق منه الدم . ودعيني وأنت جالسة
الفتاة — (دهشة وكأنها أفادت من غيبوبة) إذن سنفترق ؟!

الفتى — (مندحفاً) إلى الآن لم تصدق ؟ هجياً !
الفتاة — (ساهمة ذاهلة وهي تمطيه يدها) حسن قبل يدى . (يقبل يدها)
الفتى — وداعاً ...

الفتاة — (فى غير وعى وهي تضم إلى صدرها اليد التى قبلها وبصرها تائه) وداعاً . . . وداعاً يا حبيبى (تردد للمرة الثانية وهي ذاهلة ساهمة) . . . يا حبيبى ... (الفتى يهم بأن يسير ثم يلتفت إليها لجأه)

الفتى — كلا (يا حبيبى) لا تقولى يا حبيبى
الفتاة — (وهي تبسم والدم على خديها يتلاصق)
وأنت أيضاً يا حبيبى لا تقل يا حبيبى !
عبر الخليم محمدر العيسرى

حَاجِي نَبَا أَصْبَحْنَا فِي

لِكُنَّا نَبَا لَاحِلَتِي جَهَنَّمُ
بِقَدْرِ الْأَسْبَاطِ نَحْنُ الْطُفُفِ الشَّارِ

الفصل الحادي والستون

عَفْوَةً مَا جِي بَابَا تَقَعْ عَلَى لَارَاهِ

أَقْت فِي غُرْبِي عَشْرَةَ أَيَّامٍ طَوَالَ مُتَبَعَةٍ دُونَ
أَنْ يَصْلِي خَيْرَ عَيْنٍ مَلَانْدَانٍ وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ
حُظُهُ الْمَاتَرُ قَدْ لَازَمَهُ أَوْ أَنَّ الْأُمُورَ لَمْ تَجْرِ بِالْجَرَى
الَّذِي كَانَ يَنْتَظَرُهُ . وَلَمْ يَكُنْ يَبِينُ هَذَا وَالْقَرِيَّةَ الَّتِي
أُفَاتِيهَا اتِّصَالَ كَبِيرٍ . وَقَدْ بَدَأْتُ أَبَاسَ مِنْ رُؤْيَا
جَوَادِي وَمَا عَلَيْهِ مِنْ سَرَجٍ غَيْنٍ وَبَسْتُ كَذَلِكَ مِنْ
رُؤْيَا مَلَابِسِي ، إِلَى أَنْ حَدَثَ فِي مَسَاءِ أَحَدِ الْأَيَّامِ أَنْ
فَلَاحًا كَانَ قَدْ ذَهَبَ أَخِيرًا إِلَى هَذَا لِيَسْتَنْتِلَ
فِي الْحَقُولِ وَعَادَ مِنْهَا طَابَسًا ، وَأَلْقَتْ كَلَامَهُ الَّتِي رَوَاهَا
بَصِيرًا مِنَ النُّورِ عَلَى غَاوَقِي فَقَدْ قَالَ : إِنَّ قَلْعًا عَظِيمًا
حَدَثَ لِقُدُومِ نَازَا كَشَى وَقَبَضَهُ عَلَى ابْنِ صَاحِبِ
النُّصْبَةِ وَأَخَذَهُ الْجَوَادَ وَحَمَلَهُ أَسِيرَهُ إِلَى الْعَاصِمَةِ مِنْهَا
إِيَّاهُ يَقْتُلُ شَيْخَ الْعُلَمَاءِ فِي طَهْرَانٍ . وَإِنِّي أَتْرُكُ الْقَارِيَّةَ
الْحَكْرَ عَلَى مَا شَمَرْتُ بِهِ عِنْدَ سَمَاعِي هَذِهِ الْقِصَّةَ فَقَدْ
أَدْرَكْتُ السَّرَقَ صَمْتُ الْمَلَانْدَانِ . وَرَغِمَ أَنْيْ شَمَرْتُ
بِأَنْ لَا خَوْفَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ فَانِّي كُنْتُ أَشْكُ فِي
دَوَامِ هَذَا الشُّعُورِ وَأَعْلَنْتُ فِي الْقَرِيَّةِ أَنِّي اسْتَرَجَمْتُ
كَامِلَ صَحْتِي وَاسْتَأْذَنْتُ مَضِيْقِي وَأَسْرَعْتُ إِلَى هَذَا
لَا تَحْقُقُ مَا رَوَاهُ لِي الْفَلَّاحُ

وَكَانَ وَالِدُ الْمَلَانْدَانِ مَعْرُوفًا فِي الْمَدِينَةِ فَلَمْ يَصْغَبْ
عَلَى أَنْ أَهْتَدَى إِلَى دَارِهِ وَقَدْ أَجْمَعْتُ عَنْ دُخُولِ

الدَّارِ وَالِاسْتِفْهَامِ عَمَاتِي فِي أَسْرَافَانٍ ، وَلَكِنِّي
ذَهَبْتُ إِلَى حَلَّاقٍ جَاوِدٍ لِنَرْضَائِهِ الْأَوَّلِ
أَنْفِي أَرَدْتُ أَنْ أَقْبِرَ شَمْرَ رَأْسِي وَوَجْهِي ،
وَالثَّانِي وَثُوقِي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَرَوْهُ لِي
حَقِيقَةً مَا حَدَّثَ بِمُخَافَتِهِ . وَقَدْ صَدَّقَ ظَنِّي
فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحَلَّاقَ تَزَانًا ، وَلَمْ أَكْذِبْ أَسَافَهُ
عَنْ أَخْبَارِ الْيَوْمِ فَالَّذِي لِي إِنِّي أَجْهَلُ تِلْكَ الْقِصَّةَ
الْمُجِيبَةَ الَّتِي حَدَّثْتُ أَخِيرًا وَالَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا الْقَوْمُ
بَعْدَ الْمَهْشَةِ حَتَّى تَرَجِعَ خُطُوبَتِي إِلَى الْوَرَاءِ مُتَمَجِّبًا
وَقَالَ : « مِنْ أَنْ أَتَيْتُ إِذْنًا حَتَّى خَفَيْتُ عَلَيْكَ قِصَّةَ
ذَلِكَ الْأَبْلَةِ الْمَلَانْدَانِ ؟ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَقْتُلُ شَيْخَ الْعُلَمَاءِ
حَتَّى لَبِسَ ثِيَابَهُ وَلَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ كُلُّ ذَلِكَ حَتَّى سَرَقَ جَوَادًا
مِنْ أَكْرَمِ جِيَادِ الْحَاكِمِ ، يَالَهُ مِنْ نَذْلٍ خَسِيسٍ بِأَكُلِ
الْمَالِ الْحَرَامِ ! »

فَرَجَوْتُ مِنْ مَعْدِي أَنْ يَقْبَسَ عَلَى كُلِّ تَفَاصِيلِ
الْقِصَّةِ الَّتِي تَنَظَّاهَرَتْ بِجَهْلِيهَا جَهْلًا تَامًا فَسَرَدَ لِي مَا بَاقِي
مِنْ غَيْرِ انْتِظَارٍ لِتَكَرُّارِ السُّؤَالِ :

« مِنْذُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ تَقْرِيبًا جَاءَ هَذَا الْمَلَا إِلَى بَيْتِ
أَبِيهِ رَاكِبًا جَوَادًا مَطْعَمًا وَلَا بَسًا حَلَّةَ تَلْبَقٍ بِعَظِيمٍ
مِنْ الْمَطَاءِ أَوْ قَائِدٍ مِنَ الْقَوَادِ ، وَلَيْسَ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ
الدِّينِ فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ شَيْلَانٌ مِنْ أَجْوَدِ الْأَنْوَاعِ وَكَانَ
يُشَبِّهُ حَقِيقَةَ شَيْخِ الْعُلَمَاءِ . وَأَحْدَثَ ظُهُورَهُ هَذِهِ
الْحَلَّةَ الْأَثِيْقَةَ وَهَذَا الشَّكْلَ الْبَدِيعَ تَأْثِيرًا حَرِيْبِيًّا إِذْ بَعْدَ
مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ قَبْلَ حَضُورِهِ كَانَ قَدْ شَاعَ عَنْهُ أَنَّهُ أَنْفِي
بِمَعْلُومٍ أَغْضَبَ الشَّاهَ فَطُرِدَ مِنْ طَهْرَانٍ طُرْدًا قَبِيْحًا
وَقَدْ تَرَجَّلَ عَنْ جَوَادِهِ فِي نِيَّةٍ وَجِبِّ ، وَحِينَ سَتَلَّ
عَنْ طُرْدِهِ مِنَ الْعَاصِمَةِ لَمْ يَأْخُذْ بِالْأَمْرِ كَثِيرًا وَقَالَ :
إِنَّهُ أَخْبَرَ بِصِفَةِ سَرِيَّةِ أَنْ غَضِبَ الشَّاهَ عَلَيْهِ وَتَنَى وَأَنَّهُ
لِلتَّقَابِلِ مِنْ وَقَعِهِ أَهْدَى إِلَيْهِ هَذَا الْجَوَادَ

الأمر التي رواها لي الحلاق وحزنت حزناً شديداً على فقدتي للجوادر واللابس الثمالية ولكنني حمدت الله على سلامتي حين فكرت في أنني لن أسأل من حوادتي الأخيرة إنفاً قطع رأس الملا نادان، وشمرت أنني لا أزال في حِفْظ الثغاية وصفاء الحظ بينما قدر على الملا أن يكون شقيقاً منكوباً، وإلا فلماذا استبدلتنا ملايسنا؟ ولماذا أخذ جوادى في وقت لم أجد فيه بداً من الخضوع لما طلبه مني؟

ولكن شعوري بأن الملا يستال عقاب ما لم يمين بدلا مني جعلني أحس ولو مؤقتاً بأنظر ما دمت في إيران. ولذلك سمعت على أن أبيع خطمي الأولي وأن أترك إيران دون إبطاء؛ وعزيت نفسي عن فقدان الجواد واللابس بما بقي لي من المال وهو الخمة وللتسعون طوماناً. وهذا المبلغ كان للأحتاج إليه الآن. وبعد ذلك تذكرت أن الله قادر على كل شيء. فأملت في المستقبل. وقد بما كانت هذه الثقة بالله تمزية وسلواناً لكثير من التمساء أمثالي وشمرت أنها ستقيني ما حيت من مصائب خفية

الفصل الثاني والسون

ماجي بابا، صبح بيه نصه الحرام نيزعج

عزمت على أن أزع ثوب المشايخ إذ لم يتبقى منه خير وتزيت بزي التجار ولحقت بقافلة كانت ذاهبة إلى كرمان شاه وانفقت مع رئيسها على استئجار بشل هزيل مقابل أجير كافه. ولما لم يكن لدى من البضائع غير ما أحمله على ظهري فقد اقتنمت به. ووصلنا إلى كرمان شاه في اليوم السابع من رحيلنا وهنا كان لا بد لي من البحث عن قافلة أخرى. ولما سألت قبل لي إن ذلك يستدعي شهراً من الزمن

وصدق كل إنسان روايته واستقبل في منزل أبيه بالأجلال والاحترام، ولكن لسوء حظه أنه كان في اليوم التالي يتأهب لركوب الجواد وإذا بناذا كشي يدخل المنزل وكان قد وصل من طهران ثم أخذ ينظر إلى الجواد ويقصص اللجام والسرّج المذهبين ثم استفهم من اسم صاحب الجواد فأخبروه أنه الملا نادان

قال مضطرباً: «الملا نادان! من هذا الكلب الذي تقولون عنه؟ إن هذا جواد سيدي الحاكم ومن يقول بشير ذلك فقد كذب سواء كان ملا أو غير ملا»

وفي تلك اللحظة حاول الملا أن يمتطي عن أنظار النازا كشي وهو أحد الذين أجلونا من العاصمة يوم عاره وفضيحتهم، وكان في لبس ملابس شيخ العلماء وعمامته ما أظهر أمام عينيه فظاعة جرمه. ولحنت عين الضابط فصاح بأعلى صوته: «أقبضوا عليه! أزمقوا روحه! إنه هو نفس الرجل! أقسم برأس على أن هذا قاتل شيخ العلماء»

وكان النازا كشي في تلك اللحظة قد ترجل وقبض على الملا بمساعدة أتباعه والحضور الذين أدرخوا أنه يعمل تنفيذاً لأوامر الحكومة وقد أخذ الملا يرى نفسه بالتقسيم بقلوه التقسم على أنه لم يقتل ولم يسرق وأنه مستعد أن يحلف على المصحف الشريف أنه براء

وقص الحلاق ما دار بين الملا وبين النازا كشي بصدق وأمانة، وكانت النتيجة أن أخذ الأخير الملا معه إلى طهران رغم توصلاته وتوسلات والده ورجاء أسدقائه ومساعدهم. وقد شمرت بما لم يشمر به إنسان من الحسرة والحزن على ما ألم بمصاحبي من

نقلها إلى كربلاء، وقال لي قائد القافلة وكان رجلاً كثير السلام زكى القلب كمادة رجال القوافل من أمثاله

« يظهر لي أنك غريب وإلا لما سألت عن أمر معروف مشهور. إننا نحمل أشياء عزيزة إلى كربلاء. فأجبت: « نعم إنني غريب قادم من جهة بعيدة ولا علم لي بشيء مما تقول. فحدثني بالله ماذا تفعلون إلى كربلاء »

فقال يحدثني: « ما هذا؟ ألم يصل إلى علك شيء عن مقتل اللاباشي؟ أما سمعت كيف فارق الحياة في الحمام وكيف ظهر شبعة بعد ذلك متمطياً جواداً ثم ظهر في منزل الحرم وكيف أن ذلك الشبح اختفى على جواد من حياء الحاكم؟ أين كنت تعيش أثناء وقوع هذه الحوادث؟ »

قال ذلك وهو يشير بيديه ويهز كتفيه أرفعني ما قاله الرجل فظاهرت بالجهل وطلبت إليه أن يشرح لي غليلي عن تلك الأمور التي تحدث عنها، فأجابني إلى ما طلبت بمحالة لولا أنني كنت متورطاً في نفس تلك الحوادث لأكرت عجبى ودهشتي، قال: « نرى أولاً أنني أقص عليك أموراً حقيقية لا مجال للربح في سمعتها لأنني كنت في مكان وقوعها في الوقت الذي وقعت فيه. ذهب شيخ العلماء في مساء أحد الأيام بعد أن أدى فريضة الفرب إلى الحمام ثم رجع إلى داره عاطلاً باتباعه ودخل إلى خلوة لينام تلك الليلة في جناح الحرم

ولست في حاجة إلى إخبارك بأن معظم حمامات إيران تفتح أبوابها للنساء أول النهار إلى ساعة معينة منه وبعد ذلك يخصص للرجال في صباح اليوم التالي لليوم الذي استعمر فيه

لأن المصوص الأكراد ينفرون على الحدود فلا تقدم قافلة على اجتيازها إلا إذا كان عدد أفرادها كبيراً. ولكن قيل لي إن قافلة من الحجاج قامت قبل وصولنا ليوم واحد إلى كربلاء وأنه يمكنني بقليل من المجهود أن ألحق بها قبل أن تصل إلى المنطقة التي يهددها الأكراد فلم أتردد في اختياري، ولحقت بالقافلة بعد ما خبات مالي في حزامي ولم يكن معي غير عصا غليظة ...

وفي مساء اليوم الثالث وبعد أن أنهك التعب قواي رأيت عن بعد نيراناً يتصاعد دخانها فشرحت صدري ورؤيتها وقصدت إليها وتبينت حين اقتربت منها بشالا وماشية ترمي في السهل للتنبسط فأدركت أنني لم أكن مخطئاً حين حسيت القافلة قريبة

وشاهدت حين اقتربت من الوهاد التي تكدست فيها الأحمال خيمة صغيرة بيضاء منصوبة في ناحية غير بعيدة وقد دلتني شكايها على وجود حجاج من ذوي السكاة بين أفراد القافلة وأنهم يصنعون نسائم لأنني رأيت هودجاً على مقربة من الخيمة فتقدمت من رئيس القافلة كأحد الحجاج، ورأيت منه استمداً كاملاً لا عطاءً ينال بمجملتي في سفرى وأردت ألا يقبته أحد لوجودي نظراً لحالتي الميئة التي كنت فيها غير أن الخسة واللتسين قطعة ذهبية التي في حزامي جعلتني لا أستطيع حبس خيالي وكظم زهوى كمادة مواطني الإيرانيين وشاهدت بين الأحمال على مقربة من مكان أكياساً عديدة خيطة على أجسام مستطيلة منتشرة على الأرض أزواجاً بشكل يدل على أنها كانت محمولة على ظهور الرجال. ولما كان منظرها لم تألفه عيناى فقد سألت عنها فقيل لي إن بالأكياس جثثاً يراد

فقد رأيته يسيى رأسى يعود من الحمام سالماً وأسلحت له الفراش وأأطى يقين أنه لم يمد ذلك فيه . وليس من الممكن أن يكون ناعماً في فراشه في نفس الوقت الذى يكون فيه ميتاً في هذا الحمام . كلا ! هذا إنسان غيره بلا رب »

وقد زادت هذه الملاحظة من رعب النسوة وذعرهن عن دى قبل لأنهن تصورن أن من رآه الخادمة كان بلا شك عفريت اللا يائى

وكانت زوج اللا قد عادت إلى رشدها فقالت مشيرة إلى وجه الجيفة : « أنظروا إلى هذا الخلدش الذى أحدثته في وجهه بالأمس فقط »

وقالت إحدى الخادماوات : « وهذا مكان خصلة الشعر التى اقتلعتها من ذقنه »

وسببت هذه الذكرى اللعينة إهمال المموج من عيني السيدة الأرملة فلم يوفقها إلا أن تؤكد الخادماوات بأن اللا يائى لا يزال على قيد الحياة . وقالت لها خادمة : « من إذن الذى أوسد الباب من الداخل وأمرنى بالانصراف ؟ ومن الذى سمعنا غطيته ؟ »

وقد اقتنعت الخادمة بصحة قولها فلبست ملابسها وأسعدت إلى الخارج لترى سيدتها ناعماً في حجرته دون شك ولا ريب

وهنا قالت إحدى الخادماوات مشيرة إلى الجيفة : « ولكن إذا كان سيدي ناعماً في منزله فلن هذه الجيفة التى رآها »

فقالت أخرى : « يجب أن يكون هذا عفريت سيدي إذ لا يفل أن يكون الإنسان ذا يدين يعيش الواحد ويموت بالآخر »

وقالت ثالثة ذات صوت أجش : « هذا غريب

(٧)

اللا يائى ذهبت زوجته بين أتباعها وعبيدها إلى نفس الحمام ، وكان ذهباها عند شروق الشمس وكانت هي ومن معها أول من دخل الحمام في ذلك اليوم

ولشدة احترام أتباعها لما لم تستطع إحداهن أن تتقدما إلى منطس الماء الساخن ، وكان لا ينير قبو الحمام غير شمع الفجر ، فنزلت زوج اللا يائى إلى المنطس في ظلام داس ، فتخيل رعبها وخوفها حين تقدمت خطوتين في الماء فوقمت يدها على جسم من اللحم قائم

ولم تستطع السيدة إلا أن تصرخ صرخة حادة وإلا أن تسرع إلى الخروج من الماء ثم أغشى عليها من فرط ما نالها من الرعب

وتخيل ذعر الخادماوات مما حدث فقد كانت كل واحدة منهن تتقدم وفي يدها مصباح لترى السبب في رعب سيدهن ثم لا تلبث أن تصرخ صرخة وترتد مذعورة صرغمية إلى الوراء ، ولم تتحقق واحدة منهن ذلك الجسم النائم في الماء ، وأخيراً تشجعت رئيسة الخادماوات للمجوز ونظرت متجذبة إلى المنطس . ولشد ما كانت دهشها حين رأت أن الجسم النائم جثة رجل ثم تبص ذلك صرخات عديدة وصياح حاد أهد رشاد زوج اللا إليها وجعلها تشارك خادماتها ، ولكن لم يعرفن الجيفة التى انتفضت وتغير لونها ثم جى بمصباح ونظرن إلى وجه الجيفة فصرخن جيباً : « إنه اللا يائى ! إنه اللا يائى » وعادت السيدة إلى إغمائها وبدأ الرقيات في صراخهن ، واختلط حابلهن بالنايل حتى ظن من رآهن أنهن في يوم القيامة . غير أن إحدى الخادماوات قالت في وسط ذلك الصراخ والويل الذى اشترك فيه جميع النسوة : لا يمكن أن يكون هذا سيدنا

مدمش لا يتصوره العقل»

وكان قد دخل الحمام في ذلك الوقت نسوة أخريات للاستحمام . وبينما كان نسوة شيخ العلماء يفكرن في أمر سيدهن ويفرضن للفروض إذ بالجارية التي كانت قد ذهبت لتتحقق من وجود اللاباشي في منزله قد عادت وأخبرتهن بأنها لم تجده ولم تجد غير آثار نومه على الفراش ثمالت للصراخات وارتفع صوت المؤبل ، ونجا الظير إلى خارج الحمام فتجمع حوله عدد كبير وطلبوا السماح بدخول السكان . وقبل أن يتمكن النساء من لبس ملابسهن وستر أجسادهن المارة استأذن الحمام بالرجال ولم يحدث قط أن حماماً في طهران اختلط فيه الرجال بالنساء كما حدث ذلك اليوم

وكان النظر محجياً من نسوة يندن ويكيبن ، وأخريات يصرخن ويلطمن ويبحرن فزعات من رؤية الرجال الحن ومن حاربات . ثم جاء أقارب الرحوم وأسدةؤه ومهم الناسلون الذين أخذوا الجثة إلى مكان آخر فسلوها وحفظوها وأعدوها للسفر إلى كربلاء حيث تدفن فيها كما تقرر من ذي قبل . وأبدت زوج القتييل رغبتها في مرافقة الجثة . واستأجر القوم بثلاً لهذه المهمة . ففي هذه الحمية التي تراها هناك زوجة القتييل مع جواربها ، وأما الجثة فهي بين تلك الأكياس . وأما الجثث الأخرى التي تراها فهي بجثث من باتوا في طهران وفي البلدان التي مرزنا بها أثناء السفر . وقد جئ بها لتدفن في كربلاء في كرامة شيخ العلماء إذ قد يشفع فيها يوم القيامة ليدخل أصحابها الجنة»

وهنا سكنت مدني وكنت قد ألهج لساني المخوف الذي استولى على أثناء سرد القصة فلم أنكم ،

وفكرت في أنني قد أردت الخلاص من خطر دام فألقيت بنفسي في ذلك الخطر ، إذ قد يعرفني خادم من خدم شيخ العلماء . ومنهم من كان يبي وبينه معرفة وصحية فيستكشف أمرى ويظهر تنكرى وأردت أن أعرف هل لاحظ القوم ملابسى التي كنت تركنها في ركن من أركان الحمام ، فقلت لرئيس القافلة : « ماذا تم بعد إخراج الجثة من الحمام ؟ »

فأجابني : « لست أذكر ما حدث ، على أنني أعلم أن الروايات اختلفت وأن الاشاعات تمددت وأن كل رجل كان له رأى يخالف رأى الآخر ، فقال البعض : إن شيخ العلماء بعد أن قتل غرقاً رؤى في خلوته وبعد ذلك نام في فراشه . وقال البعض : إنه ظهر في الصباح للتالى في منزل رئيس الجلادين وذهب محتطياً جواداً من خيرة جياده . وقد أظهر رئيس الجلادين نفسه ورقة عليها غم الملباشي وقبها إذن بشرب النبيذ . وبالاختصار فإن اختلاف الروايات وتمدها بجلا الرء لا يعرف بأنها يصدق ، غير أن القوم ارتبكوا وتبعروا في تحليل خروج الملباشي حياً من الحمام (وبذلك شهد جميع خدمه وشهد صاحب الحمام) ثم وجدوه بعد ذلك في المنطس غريقاً ، وكلما ازداد الناس في البحث وأكثروا من التحليل زادت حيرتهم وكثر ارتباكهم إلى أن استكشف أمر أتى على تلك الظلمات قبساً من النسياء إذ وجدوا بعض الملابس الممزقة في ركن مظلم من أركان الحمام ، واستدلوا في غير عشاء على صاحب تلك الملابس وهو شيخ مأفون يدعى حاجى بابا كان تابياً للاثمان عدو شيخ العلماء اللدود والذى اشتهر بأثرة للشغب والهياج .

كنت أحمد كل ذي سحنة منكبة وملابن خليفة وهيئة رثة لئلا يكون حسن ظلمي شيئاً في أنجاء الأنظار إلى . وقد خفت الاقتراب من خديم السيدة زوجة الرحوم خوفاً شديداً فكنت أدور وجهي إذا ما نظروا إلى الجهة التي كنت فيها وذلك رغم شوق إلى أن أعرف هل فيهم أحد من بمارقي . وصر اليوم الأول من رحيلنا دون حدوث أمر فوضت رأسي على وسادة من الأمتة التي كنا نحملاها ونمت الليل كله نوماً هادئاً . وكذلك صر اليوم الثاني وجملي اعتقادي بحسن حظي على أن أبحث عن رقاء في السير أفضل من سائق البنال والجرلين وأخذت أحدث أسقفاً أرميكاً وأبتسط سه حتى جعلته يشمر بواجب الشكر والامتنان لرجل مسلم يميزه شيئاً من اهتمامه . وصر في هذه الأثناء يجاني أحد الخدم الملاعين فوجف قلبي خوفاً من أن يعرف حقيقتي . ولو أن الملا يمشي نفسه ظهر في هذا الحين لا كان ازواجي من رؤيته أكثر من ازواجي عند ما رأيت هذا الخادم . وأدبرت وجهي إلى جهة أخرى غير أن الرجل صر ولم يتيه لوجودي وأدلت هذه الحادثة إلى نفسي الحذر الذي كنت أتجنبه فمزمت على أن أرجع إلى موقفي الأول بين البنالين وتركت الأسقف يفكر في شؤنه

وكنا سنمر في اليوم التالي بالجهة غير الآمنة التي تقيم فيها عصابات الأكراد وسيكون كل فرد في شاغل من خوفه على نفسه عن أن يفكر في . ومنى اجتراً تلك الجهة أصبحنا في أرض غير أرض إيران . ويمكنني إذا عرفت أمري أن أجا إلى حاية الأتراك

وجاء ذلك اليوم الخفيف : اليوم الذي لن أنساه

ولما علموا ذلك صاح كل واحد من الموجودين : « حاجي بابا هو القاتل ! لا ريب في أنه هو الذي قتل العالم الأكبر ويجب أن ينال القاتل جزاءه » . وأخذ جميع سكان المدينة يبحثون عن حاجي بابا وقد قال كثيرون إن نادان هو القاتل .

وأرسلت الرسل للبحث عن نادان وحاجي بابا وإحضارهما إلى طهران حينئذ أو مبينين ، ولست أرجو أكثر من أن أصادف واحداً منهما فأقال مكافأة تعادل أجرة جميع هذه البنال المسافرة إلى كربلاء . أتذكر لكم جميعاً أن تصوروا ما كنت أشعر به عند سماعي ذلك الحديث إذا علمت أنني لم أتعود مقابلة المطلوب والكاره بقلب جري وأنني ظالماً فضلت سرعة قدي وخفتي في الفرار على أية وسيلة أخرى من وسائل الأمن والسلامة . ولكنني أدركت أن التفتقر في موقفي الحاضر لا يجديني نفعا بل هو شر من الثبات والتقدم إذ لم يبق بيني وبين حدود إيران غير مسافة قليلة أسير بعدها في أرض حكومة أخرى فمزمت على أن أخفي نفسي ما استطعت وأن أسير في طريق يحذر من يعلم أنه يحاط بالخطر من كل ناحية

الفصل الثالث والستون

حاجي بابا يستكشف أمره ويضيق عليه غير أنه صر مظهر يمكنه من الهوص

تابعت القافلة سيرها في الصباح التالي . ولكي أتجنب الأنظار اخترت أن أسير بين البنالين والجرلين وتقدمتنا زوجة شيخ السلافي هودجها ومنمها أتباعها ومن خلفهم الجمال التي تحمل الخبث وبعد ذلك بقي القافلة من بنال محلة تسير في خط متمرع طويل في طريق كربلاء

وكنيت على وشك الترمس على نفس غير أن الدليل خفف من جزى وقال : « لقد كنت آخر رجل التحق بالقافلة وقد تستطيع إخبارنا من المكان الذى يظن أن الامس على خان موجود فيه على الحدود » فاجتبه قللاً مضطرباً ، بيد أنى جعلت أطيل النظر إلى عبد الكريم وكذلك أخذ هو يحدق فى بعينه اللتين ترسلان النظر حاداً نفاذاً فكادت تنخلع أسلامى ويثب فؤادى من الرعب .

وظل عبد الكريم ينظر إلى كنى كان يشك فى أمر يينا كنت أحاول الفرار من أمامه . غير أنه لم يلبث أن استجمع أمره وصاح : « وجدته ! وجدته ! إنه هو بعينه ! إنه الرجل الذى ضحك على ذقى وسلب مائة الطومان » .

ثم وجه الخطاب إلى الواقفين حولنا وقال : « إن كنتم تريدون لصاً فها كم هو الامس . اقتبسوا عليه بحق النبي الكريم ! »

فبدأت أحتج احتجاجاً شديداً وأذكر التهمة التى ينسبها إلى عبد الكريم وكان من المحتمل أن أجيح فى إقناع الواقفين حولي . بأننى أهتيت ظلاماً وعدواناً وأننى برىء لولا أن جاء لسوء حظى فى تلك اللحظة المأذون الشرعى وعمرى لأول وهلة ونادى باسمى قائلاً : « امرئى وأهتيت . يقتل شيخ العلماء . وشنت هذه الحادثة كل من كان فى القافلة وأحدثت لنتلاً شديداً وجلية وضوءاً حتى نسي الخوف من قطاع الطرق الأكراد إلى حين ، وأقبل على كل فرد فى القافلة ينظر إلى سمعتى ويحدق فى وجهى . قبض على وربط يداى إلى ظهرى وأوشكت أن أسحب على وجهى فأعرض أمام زوجة شيخ

طول حمري والذى سأطل أذكره ما دمت أذكر شيئاً من حوادثي . وذلك أن القافلة مشيت مشية عسكرية وشهر كل من كان معه سلاح سلاحه . وذكرنى ذلك النظر بمنظر آخر يشبهه وقد قصصته فى جزء آخر من هذا الكتاب حيناً كنت فى حجة عياناً وأنا ولاقينا جملة التركان . وما أشبه خوفى ورعبى فى هذه الحادثة بخوفى ورعبى فى تلك . وإنى أصدقكم القول أن الزمن لم يغير من حمري ولم يغير أعصابى ولم يسكن فؤادى

سارت القافلة فى نظام وعلى استعداد لكل طارىء تحت قيادة جاويز وتقديمها الدليل فكون هو وأنياب زوجة اللاباشى ما يشبه طليعة الجيش وأما أنا فقد كان غلوفى على نفسى أكثر من سبب واحد . وذلك اختلطت رجال القافلة وحدت الله على أن ليس منى من المتاع غير المال الذى أحله فى جزاى

وكنائس فى سكوت تام فليكن يسمع إلا صوت أجراس القافلة . وسبحت فى بحر من الخيال وجعلت أفكر فيما سأفعل بالخمسة والتسعين طوماناً عند ما أسل إلى بغداد إذ حانت النفقة منى فرأيت دليل القافلة قادماً إلى يسبحه أعجمى حسن الهندام وقد أشار الدليل بيده نحوى وقال لرفيقه : « هذا هو الرجل نفسه »

فقلت لنفسى : « ورأس على لقد قلب الحظلى ظهر الحين وتكرلى القدر بعد أن سافناى » . نظرت إلى رفيق الدليل ولم ألبث أن تبينت فيه شخص عبد الكريم الذى استوليت منه على مائة الطومان فى قرية سراجادوبو أسلة الخطاب الذى كتبته وبصمت عليه بخاتم المرحوم للملابشى .

من ينتظرون له قدية . وعلمت أن نجم حياتي قد عاد إلى تالفه وإشراقه ، لأن من يملك متاعاً أو بليس ثياباً ثم على نعمة وثناء قصد إليه اللصوص ، أما أنا وبنتي الحفيرة فكنا في حالة لا تسترعى أنظارهم ولا تستدعي أى اهتمام ، فسرت بلا مشقة ولا عناء في طريق إلى مقصدي وليس دوني طائق إذ لم يكن لي بين الجثث المنتشرة هنا وهناك قريب أو صاحب أضع عنه قدية ، وكنت حراً كالهماء طليقاً كالآء ، فتأملت طريقى حتى تخلفت من تلك الأخطار ونجوت من المصائب التي كانت تحيط بي بمجزة عجيبة أشبه بالسحر قائلاً : « يارك الله في قدر يرانى وحظ يخدمنى وتوفيق ليس بعده من توفيق »

الفصل الرابع والستون

الوصول إلى بغداد - مقابلة حاجى بابا لسيده الأول
اتجاه نظره للبراءة

تركت أرملة اللاباشى وعبيدها وأتباعها بين أيدى الأكراد وأسرت في طريق لا ألوى على شيء محاذراً أن يحدث أحداً بعد الذى حدث أخيراً بل اتبعت في سيرة خطلة لا تسترعى الأنظار ولا تثير الاهتمام

رأيت في طريق بعض من أفتوا من الأكراد ولكلهم لم يبتعدوا عن مكان الحادثة كثيراً إذ كان لكل منهم بشية في القافلة غاموا حولها رجاء التمكن من متاع أو مساعدة صديق

وكنت أنا الوحيد الذى لا ناقة له في القافلة ولا جل قبم أن سرت فرسخين أو ثلاثة أمنت الطريق الذى لم يشاركنى فيه أحد وصرت بخاطرى حوادث حياتي كلها واستمرضت أمام غيبي

العلماء وإذا بالخط يساعدى ولقد يجد لي سبيل الخلاص

سمعت فجأة صرخة عظيمة دوت عن بعد ، ورأيت كوكبة من الفرسان تتعذر إلينا من جانب التل الجاسور فأدركت وأنا أبتهل فرحاً أن هؤلاء الفرسان هم الأكراد الذين ألقوا الرعب في القلوب وخشيتهم القوافل

سرى الخوف والاهور في القافلة كلها وحل فيها الاضطراب والارتباك فلم تستطع المقاومة ، إذ كان يموذها الاقدام والقوة فهرب راكبو الدواب وخاف البناؤون على بناتهم فقطعوا حبال الأحمال وتركوها منتشرة في السهل في تناول يد اللصوص وتحت رحمتهم ، وكذلك أتى ما كان على ظهور الجمال من الجثث فكانت ترى مبعثرة في كل مكان وقد لاحظت أن الكيس الذى فيه جثة الملا باشى سقط في نهر هناك وكأنما القدر لم يكتف بإغراق شيخ العلماء حتى أغرق جثته . وبالاختصار فقد سمعت القوضى في القافلة وانتشر الهياج وبذلك انفردت بنفسى خلقت وثائق بسهولة ولاحظت أن الأكراد وجهوا جل اهتمامهم إلى المودج ومن حوله من الأتباع لأنهم توقعوا أن يجدوا به من هو خليف بالأسر من ذوى المسكة ، وسرنى وأتبع صدى أن أجد من كانوا منذ لحظة يسيرة يدبرون لي وسائل الخراب والهمار وينظرون إلى " كنى قفى عليه أسبحوا هم أنفسهم في نفس الحالة التي اختاروها لي وحل بهم الخطب الذى كنت فيه والمصائب الذى نجوت منه

ولقد ذهب تهديد أتباع الأرملة ووحيدى سدى ولم يجد مقاومتهم ولم يمنع مهاجمهم غلاظ الأكباد متجبري القلوب ، مانع عن السلب والنهب وأسر

الأسئلة قد كان قوم ينتظرون القافلة من آخرة لأخرى
وكان التجار ينتظرون وصول بضائعهم بفارغ الصبر
وعلى الجميع أن في إمكان الانقضاء إليهم بما يودون
أجبت إجابات تناسب المقام غير أنني عزمت
على أن أترك قوماً فضوليين لا يفرغون من أسئلتهم
كقولا للقوم وأن أرحل عنهم إلى مكان آخر
أختفي فيه

وعلى ذلك تركت بغلي تحت رحمة الأنداد معللاً
النفس بأن صاحبه لا يلبث أن يحضر وبأخذه ويمعت
ناحية أخرى من نواحي المدينة

بدأت بإتمام تنكري فغيرت قلنسوتي المصنوعة
من جلد الثم بما ينسبه أهل المدينة على رؤوسهم
وهو كيس طويل أحمر اللون من قماش يتبدل أعلامه
إلى الظاهر. وربطته على رأسي بقطعة مملوءة من الحرير
وابتعت ثوباً قديماً من الثياب التي يلبسها الأتراك
عادة. ولما ليسته فوق قفطاني ظهرت كالتأينين سواء
بسواء ثم أكلت هنداي بمخاضين لونهما أحمر

وبعد ذلك فكرت في أن أقدم نفسي إلى عائلة
سيدي القديم عثان أنا لأنني بواسطتها أستطيع
أن أتصل بمعارف في المدينة وأن أقدم في ميدان
التجارة

وانطلقت في المدينة أسير في أسواقها لأسأل
عن ضالتي وكنت أقف على كل بائع جلد إذ كنت
أذكر أن صاحبي منرم بتجارة الجلود، وذكرت أيضاً
كل ما كان يقصه على أثناء رحلاتنا حتى تصورت
أنني أسأل إلى باب داره من غير سؤال

وأخيراً انتهت حيرتي هذه بأن وقفت أمام
حانوت كبير من حوانيت البخاريين وبسات أصحابه
عما إذا كانوا يعرفون شيئاً من رجل اسمه عثان أنا

ما شأهت وما غابته وانتهيت إلى النتيجة الآتية:
قلت في نفسي : « ما دمت بمخدمتي الحظ
ويساعدني القدر فلأستعين إلى ماطسى ولأجرب
وراء أغراضى ورجوت أن يكون فتلى الأخير
مقدمة لتحقيق آمالي وإدراك ما أطمع فيه من نعمة
وثرء »

وقلت : « في حزاي خمسة وتسعون طوماناً
وطريق العمل مفتوح أمامي قل أن الملا نادان تقطع
جسمه على آلة للتذويب وأرملة شيخ اللماء قبض
عليها الأكراد وقتلوهما فاذن بمنى من العجب
في مشيتي والتهيه في مسيري كأحسن رجل في
إيران ؟ »

وأخيراً رأيت قباب بشداد ومبانيها ثم وصلت
إليها فدخلتها غريباً جاهلاً بأحياءها، وكنت أعلم أنني
أستطيع الشور على خان في كل بقعة من المدينة
ولكنني تركت البئيل بقودني حيث شاء

وكان البئيل على دراية تامة بطرق المدينة
وشوارعها فوصل بي إلى خان كبير لاشك أنه كان
معتاداً أن يبيت فيه في رحلات القوافل. وعند
اجتيازه عتبة الخان نهى بضع نهقات منتظراً سماع
الجواب من رفاقه في اسطبل الخان

وكنت أشعر بضييق وإقباض صدرى وزاد في
اغتيابى وسعادتي، إن سح أن يسمي ما كنت أشعر
به سعادة أنني أبصرت جماعة من مواطني في رجة
المدار، ولم ألبث أن أدركت أن الخان مكان تلاقهم
جملت أخفف عن نفسي بقول إن مظهرى
لا يدعو إلى الالتفات ولا يجلب النظر وكم كانت
خبيثي حين ظهر أن الأمر على عكس ما ظننت
إذ ما كنت أترجل حتى وجهت إلى آلاف من

هل يلقي بك أن تامل صديقاً قديماً هذه المألة ؟
 فأكدت له أنني لم أكن أسى إلا إلى سعادته ،
 ولم يكن في الأمر غاية أخرى ، وأنى حبيت أن
 تلك السيدة التي كانت جارية للشاه ذات جمال ومحاسن
 تسبقها إلى آخر أمها ، واعتقدت أنها بذلك فوق
 ما يمتنى رجل مثلك قضي أعواماً عديدة في رفقة الجلال .
 فصاغ صاحبي : « جال ! أقول الجلال ! إن
 تلك الجلال لو قورنت بالشيطة التي أتيتني بها لكانت
 مثل اللانك . لنتك زوجتي من ناقة بدلا منها ،
 فقد كان في مكنة ذلك الحيوان التمس أن يكون
 هادئا في عثرتي ساكتا في مصاحبتي ، وأن يتركني
 أذهب حيث أشاء ، وأقل ما أريد . بيد أن تلك
 الحية الخبيثة لم تجد ما يقطع وقها من غير التزم
 بأنها أسمدتني وشرقتي . لأنها كانت تقود الشاه
 من ذقنه وتضطره إلى إجابة رغائبها بحفة روحها
 ورشاقة قددها ولا لها وغنجهما . وكان لا يمسى الشاه
 أسرا إذا داعبته بلطمة خفيفة »

ثم قال محدني وقد لطم خده بيده : « أمان !
 أمان ! إنني أكاد أشعر بوقع تلك الطلقات الآن »
 وأخيراً اقتنع الرجل بأنه لم يكن لي دافع إلى
 تزويجها منه غير الرغبة في إسعادها . ثم دعاني إلى
 ضيافته ، وأن اتخذ مقامي في بيته مدة إقامتي في بغداد
 فقبلت منه ذلك مسرورا بلا تردد

حدثت هذه المناقشة بيني وبين عتيان أمّا في
 الحجرة الخلفية من حات التاجر البخاري ، وقد
 سقاني عتيان آغا مقداراً وافراً من القهوة التي كان
 يستحضرها من شرب جاره ، وبعد انتهاء الحديث
 عرض على الذهاب إلى حات ولده في نفس السوق
 بمد بضعة حوانيت

وكان اسم ابنه سليمان ، وكان سليمان هذا في

من بشداد ، فسمعت صوتاً تعرفه أذاني حق المعرفة
 يجيئني : « من يردني ؟ أنا عتيان أمّا »

وتصور أيها القارئ مقدار سروري ودهشتي
 فقد كان للتكلم هو نفس عتيان أمّا ذلك الشيخ
 الهرم ... دهشت غاية الدهشة من مقابلتي إياه كما
 دهشت سابقاً من رؤيتي له في طهران ، وكذلك
 دهش هو من مقابلتي وقصصت عليه من حكاياتي
 ما رأيت أن أقصه عليه سرورا ودوي لي هو الآخر
 حديثه الآتي :

ترك عتيان أمّا طهران وفي عزه مواصلة السير
 إلى الآستانه لجهلها مركزاً تجارته ولكنه سمع أن
 أخطاراً عظيمة تهدد السافرين بين أربقان وأرشروم
 إذ لا يسلم المار في تلك الجهة من السرقة ففكر في
 زيادة بشداد ووصل إليها وهي موطنه الأصل بمد
 غياحه عدة أعوام ، وقد وجد أن ابنه قد كبر وباع
 مبلغ الرجال بمد أن أقام مائمه والده الضائع وأخذ
 في الأسرة سر كره بين والده وأخته . ولكنه بمد
 أن رجع والده لم يظهر أي امتناع بل امتثل كسمل
 صحيح الاسلام للاية القرآنية الشريفة التي تحض
 على البر بالوالدين وتوجب ألا يقول لها أف ولا ينهرها
 ويقول لها قولاً كريها

ثم أضاف محدني إلى ذلك أنه وجد زوجته حية
 تزرق وابنته في سن يؤهلها للزواج ، وبعد أن انتهى
 الرجل من سرد حوادثه على التلف ونظر إلى نظرة
 شذراء لم أعدها فيه من قبل وقال لي : « يا حامي بابا
 قل لي بحق نبينا محمد ما الذي دفعك إلى تزويجي
 من تلك الشيطة الخبيثة في طهران ؟ هل أردت
 أن تجلبني أنسى متاعبي وهو أم أجدها بين
 ذراعي تلك المعجزة التيبيخة ؟ وحق ما بيننا من ألفة
 قديمة وصداقة متينة لقد كانت أبيي معها أتمس
 وأحس من الأيام التي قضيتها في أسر التركان !

أخصص وقتي وأقصر جهدي في المستقبل على الحصول على عيش نامم بواسطة التجارة . وقلت كذلك إن كثيراً من الناس أدر كوا القنى وجمعوا أموالاً طائلة رغم ابتدائهم بحالة أسفر من القنى أريد أن أبتدىء بها ووافقتى عثمان أنا وولده على هذا الرأى ، وعندما انتهينا من أمر الثروة القنى سألناها قال عثمان أنا بيت الشعر القنى وعاد أثناء رحلته وهو :

« يسقط الماء من بين الصخور نقطة نقطة حتى يصير في النهاية بحراً » .

وحين وصلنا إلى هذه النتيجة أخذنا وجهتنا عثمان أنا ونجله وأنا إلى المنزل القنى كان يقع على مسافة غير بعيدة من السوق .

« بيع » عبر اللطيف النشار

أثناء غياب أبيه قد تزيا بى التجار ، وحاش عيشة طيبة ، جالساً طول يومه — عدا أوقات الصلاة — على مصطبة دكانه ، ومن حوله بضاعة مرسوسة رسماً بديماً على رفوف مرسكة على الحوائط وكان سمياً قصير القامة يشبه أباه أتم الشبه وحين علم أنى حاجى بابا رجب بى وحش فى وجهى وزرع غليونى القنى كان يدخن فيه من فقه وناولنى إياه

وقد رجوت أن أمتنع بعيش رغد ومقام طيب فى بغداد فى حجة هؤلاء القوم الأخيار ولكنى لا أظهر بمظهر المال عليهم أخبرتهم بأن لدى خمسة وتسعين طوماناً واستشرتهم فى أن يجمع وسيلة أنبعا لأربح منها فى التجارة وقلت لهم إننى قد تميت من حجة التجارب وكثرة الطواف وإننى عزمت على أن

بنك مصر

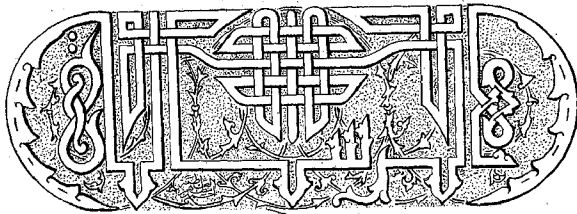
أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتؤسس الاستقلال الاقتصادى

علامه . وعاملوا شركاء . كثيرا . النصر ليهودكم

« لمبت مطبعة الرسالة بنشراح المبرورى — هاجبيه »

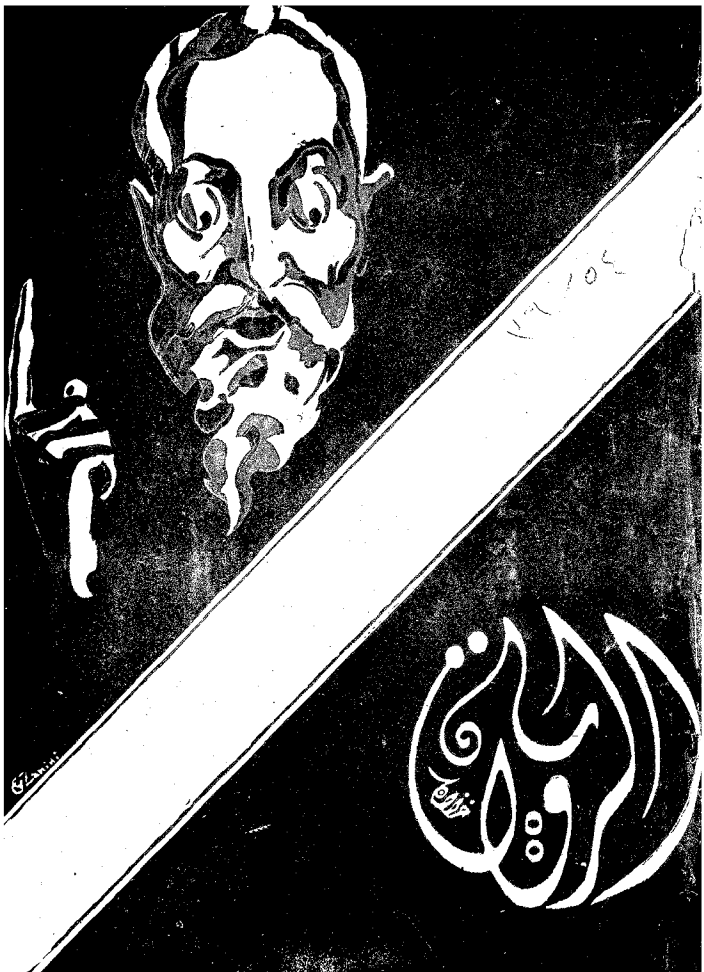


مَجْلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ أَسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ التَّطَوُّرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دَيُّوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُّ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الْإِسْتِزْلَامِ الْأَخْلَاقِ سَوْنِ قَرِيْبًا ، وَالْحَاجِجِ مَا يَسَارَى مِنْهَا مِصْرِيَاءَ ، وَالْبَهْدُودِ الْعَرَبِيَّةِ بِمُخَصَّمِ ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السئول
احمد حسن الزيات

برل الاشرافك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

ادارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٢٣٣٩٠

الحرورية

مجلة اسبوعية للفن والفكر والادب

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

السنة الثالثة

٢٥ صفر سنة ١٣٥٧ — ١٥ إبريل سنة ١٩٣٩

العدد ٥٤

من احسن القصص



فهرس العدد



صفحة		
٣٣٨	انتقام	أقصصة مصرية
٣٤٩	صندوق النذور	أقصصة مصرية
٣٥٦	المارد الذي يحب نفسه ..	لكاتب الانجليزى أوسكار وايلد
٣٥٩	تعب القلب	عن الانجليزى
٣٧٠	عذرية	أقصصة مصرية
٣٧٦	حاجى بابا أصلهائى	لكاتب الانجليزى « جيمز مور »
	بقلم الأستاذ محمود الحفيف ...	
	بقلم الأستاذ درينى خبطة	
	بقلم الأستاذ نغرى شهاب السيدى	
	بقلم الأستاذ عبد الحميد حدى ...	
	بقلم الأستاذ عبد الفتى على حسين	
	بقلم الأستاذ عيسد الطيفى النشار	

ونظرت إليه نظرة صارمة فيها
الجزر والاستخفاف والغضب ، وفيها
كذلك التهديد بأنها لم تمد تطبيق منه
هذه الحال التي جعلت عيشتهما تكداً
على تكد ؛ وفهم الرجل مغاى نظرتها
فأطرق يخشى أن ينفق قتريده كلماتها
ضيقاً على ما به من ضيق

من مواريف أنفثام أفضوضنة مصيرة للأستاذ محمود الخفيف

وكانت امرأته في الخامسة والأربعين من عمرها
لا تزال تحتفظ بقسط كبير من جمالها السابق ، فإ
يزال في وجهها بقية من ملاحتها وصباحتها ، وما زال
يحمل جسدها نصيباً من سالف نعومتها وطراوته ،
وعيناها الواسعتان اللامتان ما يزال يختلج فيها
قبس من ذلك الإغراء ، ثم من ذلك السلطان الذي
طالما صمكت به في فتیان القرية أيام الشباب والحب ،
ذلك السلطان الذي أذن له عثمان وبرهن على إذعانه
بما أنفق في سبيله من مال حصل عليه ثمناً لفقدان
من أجود أرضه باعه في غير تردد ولا إبطاء
وانتهرت زوجها قائلة :

— فيم هذا الغم كله يا رجل ؟ دائماً تجلب لنا
التكد من غير سبب ... ماذا جرى ؟ في هذه السن
تسمع كلام الكاذبين ؟
— لا شيء ... لا شيء ... الحرشيد ... أنا
أشكو الحر ... أنا تبان

ووصلت في تلك الساعة إلى الدار ابنتها نبوية
تسحب البقرة والجاموسة ، فرفع إليها أبوها بصره
وفي عينيه مثل ما يكون في عين نمر غاضب يكاد يتميز
من غضبه ، ولكنه عاد فأطرق مسرعاً خشية أن
تقع عليه عينا امرأته ، وإنه ليحاول أن يخفي ما تركه
في جسده مرأى ابنته من رعدة بلغت حد الانقباض

جلس أمام داره وقد غربت الشمس وأخذت
تتلاق في سماء القرية ظلال المساء ، وتشيع في زرقه
الأفق حمرة الشفق ، كما أخذت تسم أنفاس الليل
تستروحها الأنفاس الضائعة التي كاد يزحفها حر
النهار ...

ودار الشيخ عثمان بوجهه يستقبل النسبات
الرواية التي كانت تنساب إليه متقطعة من ذلك الفضاء
الذي يمتد أمام بصره من موضعه إلى حيث تنبسط
الحقول البعيدة ، وكان ذلك القروى الشيخ يفتح
صدره لتلك النسبات وينشق منها ملء رتقيه ، وكان
يبدو من تبرد وجهه وقلقه وما يختلج في عينيه
الذابلتين أنه يلمتس فيها فضلاً عن طراوتها روحاً
لنفسه من همومه التي بات يؤودده حملها

كان الشيخ عثمان يذلف للستين ، ولكنه كان
يبدو مما يثقل قواده من هم كأنه أرنى على الثمانين !
فقد اخترم ذلك الهم جسده أكثر مما اخترمته
السنون ، وترايدت في وجهه التجاعيد حتى ليحبج
الناظر إلى ذلك الوجه كيف كان خلوا منها في يوم ما !
ودنت منه امرأته فسمعتته يتهد تهداً عميقاً ،
ويش أبنناً لا يكاد يطلقه حتى يكتمه مستمسكاً تارة ،
برماً ضائفاً بالحياة تارة أخرى ؛ ولما ألغاهما إلى جانبه
تظاهر أنه إنما يشكو الحر

تكتمه عني ولكنك تقول إنك تتق بذلك الرجل ،
فإن كان ما جاءك به لا يصدق فاطلب إليه أن يخلف
بمين الله »

ومضى الشيخ عثمان منصرفاً إلى داره وكانما
خفف ما أشار به عليه الإمام بعض آلامه ، فهو
في سيره خفيف الخطى ، لا يتوكل كثيراً على عصاه
كما كان يفعل في ذهابه إلى المسجد أو كما كان يفعل
منذ نعى إليه ما كدره وأحزنه

أسفر الصبح وأفاق الناس من نومهم ولما يبد
وجه الشمس ، وعاد الشيخ عثمان من المسجد ، فما كاد
يصل إلى عتبة داره حتى كانت ابنته خلفه قد عادت
في سرب من صاحباتها يحملن من التربة جرارهن
ويسرن بها خفيفات في وجوههن بشراً ونورهن بشر
الصباح ونوره ، وفي وجعها دونهن كدرة وشحوب
لم تقو على إخفاها

وأسند أبوها عصاه إلى جدار الدار ، ومد يده
تحت إبطه فأخرج شيئاً ملففاً بورق ؛ وفض الورق
فتبينت بنته مصحفاً صغير الحجم عرفته لأنه شبيه
بمصحف أخيها مصطفى الذي طالما شدد عليها ألا تمسه
إذ هي فتحت صندوقه ؛ ولقد دق قلب الفتاة دقاً
عنيفاً حتى لقد سمعت أمها تلك الدقات وهي تماونها
على وضع جرتها فوق المصطبة ، ذلك أمها ظنت أن
أباها ما جاء بهذا المصحف إلا لتقسم هي به .

ولكن الرجل كان يدور بعينه بين الفينة والفينة
بحو مدخل حارة من الحارات القريبة ينتظر مقدم
شخص يريد ، ونظر بعد هنيهة نظرة تمشت على أثرها
صفرة في وجهه السنون المتفرض ، فها هو ذا حسن
يسير نحوه .

ودخلت نبوية فعلقت المشاشية ، وألقت بعض
الماء في أواني الطير لتجدها سائلاً إذا أصبح الصبح ،
ثم ذهبت لتهيء الطعام لأخويها فقد عادا من الحقل
وجلسا ينتظران بالباب

غص بسجد القرية قبيل العشاء بأهلها من كل
ناحية ، وما حان موعد الصلاة حتى كان الناس
في ذلك المسجد الكبير صفوفاً خلف صفوف من المنبر
إلى البابين الكبيرين ، وقد نهضوا على تكبير الإمام
يقم الصلاة في صوت رنان يسمع وانحفاً في أركان
المسجد كأنما يحمله مكبر صوتي ، وركع الناس وسجدوا
ثم سلموا وخرجوا من صلاتهم يريدون دورهم
إلا الشيخ عثمان فقد سار مسرعاً نحو المحراب حتى
جاء الإمام فداناً منه وسلم ثم تناول يده فلقمها على كبره
وسأله : « يا سيدنا الشيخ كيف تتبين ؟ سمعت
في الصلاة ما أفهم منه أنه يجب علينا أن نتبين
إن جاءنا ... »

وأجاب الإمام « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
أى انظروا في هذا النبأ أهو نبأ صحيح أم كاذب »
— ولكن كيف أتبين ؟ أخبرني رجل بشيء
لم يره غيره فكيف تكون البينة ؟

— وهذا الرجل هل تتق به ؟
— نعم إنما هذا شيء لا يصدق وإن كان ليأكل
الهم بعده قلبي

قالها الرجل والسموع تنحدر من محجره فتجزي
في أخاديد وجهه ، وكان في ذلك الوجه لوعة وجزع
لم يتمالك الإمام لها دمة فتندت عيناه ولكنه ابتدر
الرجل قائلاً :

« على أى حال لست أفهم ذلك الشيء الذى

— كفى كفى يا بني.. أهتني في شرفي وأهتني في عرضي... الحمد لله أنك كاذب وإلا فهو العالم ماذا كان يحدث لها أولى .

لاحظ الناس أن الشيخ عثمان يفتل بلب داره عليه بعد الغروب، وأنه هو وابنيه يستروحون نسيم المساء على السطح بدل مدخل الدار، وعجب الجيران أن أصبحوا يرون حسناً بدير وجهه مغضباً كلما مر بتلك الدار، وأنه لا يلقى التحية على الشيخ عثمان إذا صادفه في الطريق . وكذلك عجب الجيران أنهم لم يعودوا يرون أحمد يجلس لدى الباب مع مصطفى وعبد الصمد ولما كان يتخلف ليلته في الصيف عن ذلك ...

وظل هذا شأن الشيخ عثمان وأهل داره إلى أن كانت ليلة قراء يهب فيها النسيم غير وإن ولا متقطع، فكأنما جذب السكان لدى مدخل الدار الشيخ عثمان جذباً حينما وصل من المسجد فجلس وفي نفسه ألا يظيل، ولكنه لم يكذب يجلس حتى مر به الشيخ مبروك فسلم وجلس، وماهى إلا برهة حتى مر الشيخ عبد المطلب، فجلس ثم مر من بعدهما الشيخ عمر واثنتان غيرهم من الجيران فمن هم دون هؤلاء سناً وهما اللبثي وعبد الفتاح فجلسوا جميعاً حول الشيخ عثمان وسأله الشيخ مبروك قائلاً :

ياشيخ عثمان إله حكاية الخلاف بينك وبين حسن أبو سالم ؟

— لا ، مسألة بسيطة، لا خلاف ولا غيره وتجهم وجه الشيخ عثمان وأحست نفسه الضيق فلا بد أن الجيران قد نبى إليهم سبب القطيعة بينه وبين حسن ، ولعل فيهم من يفهم الأمر على غير

— السلام عليكم يايم الشيخ عثمان ، ما هذا ؟ هل نويت أن تصبح قتيها ؟
— عليكم السلام . اجلس يا حسن أنا عاوزك . لا ، قم بنا إلى داخل الدار .

ودخل حسن الدار وراه، ونظر الرجل فلم يجد أحداً قربه وأنصت فسمع صوت امرأته في الحظيرة فأدرك أنها وابنتها مشغولتان في حلب للماشية فغول على انتهاز الفرصة ، وأخذ يد حسن قائلاً :

« هات يدك ، ضمعا على هذا المصحف ، قل أحلف بكتاب الله ... »

وجذب حسن يده متمجباً وقاطعه قائلاً : « فيم هذا ؟ ماذا جرى يايم عثمان ؟ »

— احلف على المصحف أن ما قلته لي بخصوص أحد والبلت صحيح ؟

— أحلف أنها تحبه وتتودد إليه وأنه يتودد إليها ويعطها أشياء يشتريها لها من ماله .

— إذن أنت الآن يا بني تغير ما سبق أن قلته . يا بني هذا حرام لا يرضى الله . تهتم بنتاً في عرضها ؟ حرام عليك ، حرام على كل من له ولاية ... أهكذا يا بني تحرمي النوم وتسخر من ذقني ؟ دا أنا أكبر من أليك ، منك لله .

— ما هذا ؟ قلت لك أحلف أنه ...

— هل تحلف على ما سبق أن ذكرته ؟

— لا أحلف على شيء نسيت .

— لا لا يا حسن ، الله يجازيك بذنبك ، يا بني كفى ما جرى ، من اليوم لا تدخل داري وكل واحد منه لله .

— أنا يايم عثمان أدخل دارك من اليوم أو من البارحة ؟ أنا أدخل دارك منذ سنين حصل مني إله ؟

هذا أن يهمل جانب هؤلاء أو يفرط في محبتهم .
ولقد خشي الناس كذلك على الشيخ عثمان أن
يمسه شيء من غضب حسن ؛ ولكن الشيخ عثمان
نفسه كان لا يعبأ بذلك . وكثيراً ما كان يقول لمن
يجاوره في هذا الأمر إن كل شيء عنده يهون
في سبيل محافظته على شرفه ، وإن الأمر كله بيد الله ؛
ثم يتمم في يقين قائل : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب
الله لنا »

ولقد أحسن الشيخ عثمان صنعاً بأن أشار على
أحمد كذلك ألا يدخل داره ؛ وإن كانت امرأته قد
خالفته في ذلك وجادلته فيه جدالاً شديداً ، لأنها
كانت تحب أن يكون هذا الشاب زوجاً لابنتها وإنها
لتعلم ما بينهما ... ولكن الرجل أصر ولم يعبأ هذه
المرّة بإرادة امرأته مهما ترتب على ذلك المصائب
وكأنه أراد أن يثبت لها سلطانه ولو صرة ...

ما كانت نبوة لتقدر أن تسلي عن صاحبها ،
وكذلك ما كان يقدر أن تسلي هو عنها ، وهيهات
لقليل يربط بينهما الحب أن يفرق بينهما إلا الموت !
لذلك كانا يتسلسان السبل للقاء وهما أشد ما يكونان
خوفاً وحذراً أن تراهما عين فيصل خبرها إلى أبيها
أو إلى حسن فتكون الكارثة

كانت نبوة في العشرين من عمرها كالزهرة
في ريمان الربيع اكتملت نأواها وتمت روعتها
وتوفى لها من معاني السحر والفتنة ما تمنى لو كان
لهن بعضه الكثيرات من فتيات القرية ؛ ترى الأعين
في وجهها الصبوح ملاصقاً لها وترى في عينيها ذلك
الإغراء الذي أخذ يتلشى في عين الأم ، والذي
يأمر ويتحكم اليوم وينبث من مقالي الفتاة كما
تنبعث السهام

وجهه كما هي المادة في كل الإشاعات ، أو لعل فيهم
من يصدق ما افتراه حسن على أحد من حديث ،
وإلا فلما يلهم يعبرون الأمر هذا الاهتمام فبأولاً ؟
وراح الشيخ عثمان يتهد تهداً عميقاً ويعقب
كل مرة من تنهده بقوله : « يا الله يا لطيف ... »
وما درى أنه بذلك إنما يزيد هؤلاء المتسائلين شكاً
ويستثير فضولهم . ولكنه لم يكن يستطيع كتاباً همه

تفكر الفتيان أحدهما للآخر يريد أن يثار منه
لنفسه ؛ أما حسن فقد كان يضرع السوء لأحمد
منذ عرفا نبوة ، ذلك أنه كان يعتقد أنه يفرمها بالفاظه
المسولة ووعوده الخلابية ، ولكنه كان يداريه حتى
لا يصل إلى الناس أمر خلافهما ؛ وأما أحمد فقد كان
يمتق حسناً لأنه يخشى أن يأخذ الفتاة من أبيها
قسراً بما كان له من بطش لا يجمله أحد في القرية
لم يكن من إعلان الخصام بد بعد أن طرد حسن
من بيت الشيخ عثمان فليس في رأيه من أوجر صدر
هذا الشيخ حقاً عليه إلا أحمد . وبلت من يعلم نبأها
مشفقين أن ينال أحمد من بطش خصمه ما لا قبل
له به . ومنذا الذي يستطيع أن يفلت من هذا الفتى
إذا اعترم الكيد والانتقام ؟ ليس في التفتين في القرية
والتنمرين من يدانيه في إشعال الحرائق وتسميم
الماشية ، وقيادة الأشرار إلى إتلاف الزرع . وليس
في المجرمين من يفوقه في سعة الحيلة وإحكام الجريمة
والقدرة على الإفلات من سطوة القانون
على أن أحمد على الرغم من ذلك كان مطمئناً
بعض الاطمئنان ، ذلك أن وشائج النسب قد ربطت
بينه وبين كثير من أسر القرية على نحو غريب ،
وفي عصبية حسن نفسه بعض ذوى قرباه ولا يستطيع

وتجنب كل من الفتين مجلس الآخر وكره لقاءه حتى ما تقع عين أحدهما على الآخر إلا وفيها من معاني البغض وأمارات الشر ما يندب بالويل والخطر وانطوت الأيام على هذا الحال ونعم الشيخ عثمان زمناً يهدوء البال وحلت في وجهه محل القلوب والمبوس بسمه الرضا والدعة والاطمئنان، فلقد استراح من بواعث الخوف ودوايى المم وأسباب القيل والقال

وظل احمد يتلمس السبل للقاء فتاته دون أن يعلم بذلك أجد إلا أمها واثنين من صاحباتها، إلى أن كان ذات صباح من أصباح (هاثور) وقد بثت الريح في إقباله الحياة في كل ناحية من نواحي الحقول، وأوحت إلى النفوس براعمه الوليدة معاني الأمل والبث والقوة، وحدثت أزهاره قلوب الفتيان والصبيا أحاديث الهوى والسحر والجمال، وألهمت شواذى الفصوص من طيره المحيين سر المرح والخفة والانتشاء، وذكرتهم المشاش للأهولة أن هذا هو زمان الوصل والمناجاة والألفة والبناء

في هذا الصباح خرجت نبوية تسبق الطير قاصدة إلى التربة لتتلأ جرتها وسارت وحدها وإن نفسها لتفيض بمعاني الحبور والجلد والنشوة كأن هامساً يهمس في سمعها بأحاديث المني ويشهرها بما طال انتظارها إليه من نعيم وسكن؛ وكانت ترى في هذه البكرة أروع ما تكون بجلاً وفتنة، وأعذب ما تيدو رشاقة وملاحة ودلالاً، وقد اتسق مجالها في جمال الكون من حولها حتى ما يعرف على وجه التحديد أسرت إليها من الربيع الفتنة والحسن، أم ألفت هي محاسنها ومفاتنها في محاسن الربيع ومفاتنها فأضافها إلى معانيه وزاد بها في مسراته ومباهجها؟

ولقد نشأت نبوية مدللة يحنو عليها أبوها كأنه لم يرق من البنات والبنين غيرها، وتولها أمها حنان الأم ومحبة الأم كأعظم ما يكون الحنان والحب، ثم ترى فيها صورة منها فيجعلها شعورها أن مرد هذا الجبال إلى جبالها هي على العجب والزهو، وتستشعر نفسها القبضة والسرور أنها بابتهاجها اليوم في ماضيها؛ فلئن كان لها أسس السلطان والدلال بما وهبت من جمال فإن لها اليوم الفخر والزهو بما أنجب ذلك الجبال وما كانت تختلف نبوية عن أمها في اعتدال قوامها ودقة خصرها وبضاضة جسمها، ولكنها كانت تختلف عنها في لون بشرتها فكانت شديدة البياض إلى حد غير مألوف في قرى مصر، يتجلى لك ذلك البياض على طبيعته إذا شرحت عن ساعديها أو إذا كشفت عن ساقها، أما وجهها ونحرها فقد طبعت شمس الريف عليهما لون الورد الأحمر حتى لتحبس أن عليهما طلاء وما مسهما الطلاء يوماً... وإذا انحسر مندبها إلى أعلى قليلاً عن جبينها المستدير السمع، رأيت في موضعه من البياض فوق هذه الحمرة ما يشبه الغرة تسيل فوق جبين مهرة جميلة... أما ضفائرها الذهبية فما يدرك مبلغ سحرها إلا تلك القلوب التي طالما هفت إليها وأحست كأنها علقت بها: قلوب الشباب في أنحاء القرية، وقلوب الشابات التي كانت تحس لديها مع الإعجاب معاني الحسد والغيرة والتغنى

تصرمت الأيام وانقضى الصيف ولم يعد يرى أهل القرية حسناً ولا أحد يساعدان الشيخ عثمان في حقله كما كان يفعل كلاهما من قبل، كذلك لم يعد يراها الناس عند داره كما تعودوا أن يروها...

خالطت لفحات الصيف شيئاً فشيئاً أنفاس
الريبع الرخية ، ونضجت سنابل القمح وراحت
عبدانها الذهبية توحى بمنظرها وخشخشتها إلى
المزارعين أغاني الحصاد ورنين المناجل وسحر العشايا
والبكر وروعة القمر في تلك الليالي التي تشيع الهبة
في النفوس ويحي الزهاف في القلوب ، ونحي كثيراً
من الشبان والشواب بتحقيق الآمال للنشودة
وحلول الأيام الموعودة

وعاد مجلس الشيخ عثمان سيرته الأولى أمام داره
عقب صلاة المساء كل ليلة حافلاً بأهل الناحية من
الشيخ والشباب . أما الشيخ فقد أحبوا عشرته
وأولعوا بحديثه ؛ وأما الشباب فقد توثقت بينهم
وبين ولديه أواصر المودة . ولكن السر الحقيقي
في اجتماعهم حول داره لا يكاد يخفى على أحد ، فلقد
كان كل من هؤلاء الشبان يعني نفسه أن تكون له
نبوة ، ولولا ما كانوا يحشون من بطش حسن
لراحوا جميعاً يتنافسون في طلب يدها

وطال الحديث ذات ليلة وتشعب ، فمن ذكريات
قديمة يستعرضها هؤلاء الشيخ عن حياتهم في القرية ،
إلى الكلام فيما وعوه عن آبائهم من أحداث
« كالعلمية » في عهد سعيد و « هوجة » عرابي
ومنها من شهداها ، إلى غير ذلك مما طوّه الأيام ؛
وكان الشبان ينصتون إلى حديث الشيخ في اهتمام ،
فإذا تكلم أحد الشيخ ناعياً على شباب اليوم أحوالهم
تهامس الشباب ساخرين أو تناهضوا بالأحداق ،
وقد منهم احترامهم هؤلاء الشيخ أن يردوا عليهم
بما يخالف آراءهم

وانفض السامر والشيخ عثمان يرد على المسلمين
تحية الإسلام ودخل ابنه الدار ، وبينما كان هو يهيم

وصلت إلى التربة وكانت غير بعيدة فوقفت إلى
جانب شجرة من أشجار التوت قد رد عليها الربيع
رداءها جديداً رائع الخضرة فأمسكت جذع الشجرة
يبسراها ووضعت رجلها اليمنى على حجر في الماء قرب
الشاطئ ثم أدت جرتها حتى امتلأت وهي تنصت
إلى ضحكات المساء في فوهتها ثم جذبتها بكلتا يديها
فأخرجتها وأسندتها إلى الشجرة وأصلحت حويتها
فوق رأسها ودارت بعينها تبحث عن فتاة قادمة
أو غلام أو رجل يعينها على حملها . ولكن عينها
الجليتين لم تقم إلا على حقول القبول الداكنة وحقول
القمح التي أخذت تمشي صفرة النضج في خضرتها ،
فجلست على حافة التربة تنتظر ، ثم بدا لها فكشفت
عن ساقها وأخذت تلقى عليها الماء وتنسل عقبها
كأنما تأتي أن يعلق التراب بهذا المرص الناصع الذي
تدل به وترمي

ورفعت عينها ولكنها لم تكد تلتفت حتى التقت
تاتك العينان بعيني أحد وألفت نفسها بين زراعيه
القريتين فأنمت وغالبت ، ولكن أنى لها أن تدفع هذا
الميام أو أن تكبح هذا الشوق ؟ وراح هو كالحنين
يلقى على ثمرها قبلاً مختلفة الطول ، فمشرة متقطعة
في زمن واحدة ، وواحدة متصلة في زمن عشرين !
وذملت عن نفسها برهة ثم أفاقت فدادت تدفعه
وقد دب الخوف إلى قلبها أن تراها عين ، ونهض
على رغبه ونهضت فتناولت حويتها وأعانها على حمل
جرتها وجرى إلى حيث كان بين شجيرات القبول ،
وسارت هي نحو القرية بتفض جسدها انتفاضاً .
وتتنازع عيهاها الأبلج صفرة المفاجأة وحمرة النشوة ،
وتحتلج على شفيتها بسبات الرضا حيناً وسمات الخوف
والقلق أحياناً

ما يحسه من مرض ، وهي تحاول أن تسرى عنه حتى نام أو تظاهر أنه نام .

وتراحت في رأسه الوسواس والأوهام حتى صار غيولاً أو كالمجنون ، وكان يطلب إلى الله ضارعاً أن يريحه بالموت أو أن يصيب ابنته بكارثة من غرق أو حريق أو علة تودي بحياتها ... ثم ترجعه تلك الأفكار فينتفض جسده ويتصب عرقه ، وتكاد ترهق روحه .

وأخذته سنة فرأى فيها يراه النائم أنه مصدق مشقة الجلاد ليوشك أن يصح الحبل في عنقه ، وبنته على مقربة منه وهو يتوسل إليها أن تمفيه فلا تحيب؛ وظل على هذا الحال رهة ، ثم تقدم الجلاد فهم به ليشقه ، ولكنه أفاق قبل أن يموت على تلك الصورة !

وراح يسأل نفسه أي مظلومة ؟ وإنه ليرجو الله أن تكون كذلك ، ويسأله أن يبين له الحقيقة ... ولكن الشك لا يلبث أن يستولى على نفسه فيحس كأن نارا حامية تمتشى في جسده كله حتى لهب وأفاق ثم يهدى كأن به جنة .

وانامت الدار فلا تسمع فيها حركة إلا ما تأتيه الماشية في حظيرتها من حركات وأصوات ، وكانت نبوية تنام وحدها على سطح الدار تتوسد حضيراً وتلتحف بملاعة خفيفة ، وكانت في تلك الليلة تنقط في نوم هادئ ووجهها إلى السماء يقابل ملك الليل فيكون من وجههما قران أحدهما حالم في نعاسه ، والآخر حالم في سبه

ونفض الشيخ عثمان فشنى في فناء الدار كأنه شبح من أشباح الليل لا يسمع لوقع أقدامه أى صوت كأنه لا يبطأ بهما الأرض ، ودخل حظيرة الماشية

بالدخول استوقفه شبح يقرب منه فنظر. فإذا هو حسن ، فلرب وجه الشيخ عثمان وأخذته ربكة اهترت لها أوصاله ، وأخرج حسن مصحفاً من جيبه فنأوله بإياه ثم وضع يده عليه وراح يقسم على ما رآه بعينه وهو يخشى بين شجيرات الفول قائلاً إنه إنما سكت هذه المدة لأنه كان يجتهد أن يتحرى مبلغ الصحة في إشاعة عليها ولكنه لا يستطيع أن ينطق بفحواها . ولم يحب الشيخ عثمان بكلمة ودخل داره يجر رجله جراً وإنه ليكاد يتهدم من الضعف . ولم يقرب النوم من جفنيه طول ليله ولم تفارقه الوسواس لحظة ؛ وإنه ليوشك مما بلغ به من الضيق أن يلفظ النفس الأخير كلما صورت له هواجسه ما عسى أن تكون غوى تلك الإشاعة التي أشار حسن إليها

وعجب الناس أن رأوا الشيخ عثمان في اليوم التالي يكاد يسقط من الإعياء ، وهالهم أن يذبل وجهه وتنطق غيابه ، وقد كان بينهم بالأمس موفور المرح بادی المافية ، وراح هو يوم السائل أنه إنما يشكو مرضاً في صدره هو سبب ما هو فيه .

وصبر حتى جنة الليل فذهب كمادته إلى المسجد. ولما صلى المشاء ذهب إلى حيث كان يجلس الإمام فذا منه وسلم ثم سأله هل يكون جزاء القاتل جهنم مهما كانت دوافع ارتكاب الجريمة ؟ وكيف يساق إلى جهنم من يقتل حفاظاً عن نفسه أو دفاعاً عن عرضه؟ وأجابه الشيخ إجابات زائدة حيرة على حيرته. فانصرف وفي نفسه شك من كل ما يقول به ذلك الإمام ...

فعاد من المسجد فشرب بعض الماء وعافت نفسه الطعام فأوى إلى مضجعه مبكراً شاكياً إلى زوجه

يعوض علينا ربنا في عقلك . خلاص بقيت زى اللبنة .
 فى أيدي العيال . ازل . الله ينتقم من اللى كان السبب »
 وانهمرت دموعها ساخنة على خديها فتمسحها
 بكفيها ، وجرو زوجها فالتفت إليها قائلاً :
 « الله ينتقم منك أنت ومن بنتك ... يا رب عجل
 بالموت ... ما ذنبي يا ربى حتى أصاب بهذه القضيعة
 التى تعلق بشيئى ... الله يصيبك بالعجز والعمى
 يا نبوية يا بنتى ... أنا برىء منك إلى يوم الدين »
 ولا زلنا إلى فناء الدار أخذت الأم تنتحب
 وزوجها صامت لا يجيب ؛ ثم قالت وهى تنسحق من
 فرط السمع : « ساخذ ابنتى وترك لك الدار لتسريح »
 ووقفت هذه الكليات فى نفس ذلك الشيخ
 وقفاً أليماً ، فهو لا يطيق أن تبعد زوجة عن الدار
 ساعة ، ولحبت هى أثر كلاتها فى نفسها فاستطردت :
 « حكاية عيال من أولها إلى آخرها ... وإذا كنت
 تريد أن تطلعن على شرف ابنتك فى الصباح تقسم
 لك على المصحف وأمرنا الله »
 — أى نعم أريد أن تقسم على كتاب الله أمها
 ما فرطت فى عرضها
 — يا رجل ، استغفر الله هل يصح الكلام ده
 على ابنتك ؟
 — أقسم لى حسن على المصحف أنه ...
 — أعرف هذا كله ... وما قيمة عين واحد
 فاجر زى ده ... يا رجل افهم ، واحد ما يخفنى من
 ربنا يقوم يخاف من المصحف ؟
 — وهل أنت تنكرين أن ابنتك تحب أحمد
 وأحمد يحبها ؟
 — وإليه يعنى ... داشى يحصل بين كل
 شابة وشاب

فأخذ منها شيئاً ، ثم سعد على السلم إلى حيث تنام
 ابنته ، وجلس إلى جانبها فى رفق ، وقد ارتمش جسمه
 وجد رفيقه ، ثم مد يده المروقة فوضعا على بطنها
 وداح يتحسها فى هودة ، ووسوس له الشيطان أن
 فى بطن ابنته علواً لا يكون فى بطن الأكار ، فارتفع
 الدم إلى وجهه وهانت الدنيا فى نظره ثم عقد النية
 على تنفيذ ما اعترزم ، وواتته وقتئذ جرأة عجيبة حتى
 ما يفكر فى شئ ... وغشيت القمر فى تلك اللحظة
 سحابة فكأنما راح يتوارى من سوء ما يرى ، وتناول
 الشيخ عثان الحبل الذى أحضره معه وقد أعده على
 شكل عنقبة ليشد طرفها حول عنق ابنته ورفع
 يسراه رأسها من فوق الوسادة . وبينما هو يتأهب لوضع
 عنقها فى الحنقة أفاقت مذعورة وقد خرج القمر
 من خلف السحابة بنته فومقت عيناها على وجه أبيها
 وعلى الحبل فى يده فصرخت صرخة دوت فى السطح
 وشاعت فى فناء الدار ، ولطمها أبوها لطمه قوية على
 وجهها وقد سقط الحبل من يده ثم أمسك عنقها
 وشد عليه بكلتا يديه وصاح بها : « يا فاجرة »
 وهرعت الأم إلى السطح وقد ألقي فى روعها
 ما حدث وأقبلت على زوجها فدفعته فى عنف فألقته
 على ظهره وراحت تكيل له الشتائم ، ثم أخذت بنتها
 بين ذراعيها وراحت تهددها وهى من فرط ذعرها
 فى غيبوبة شديدة يعلو صدرها ويبط ، ويدق قلبها دقاً
 متوالياً ينذر بالخطر حتى لقد كادت تصرخ الأم
 لولا أن خشيت أن توقظ الجيران ...
 ولا ذهب عن ابنتها الروع وضمت رأسها على
 الوسادة وألقت على جسدها ملائمها ، ثم جذبت بعلمها
 من يده فطاولها ومشت تجرعه حتى السلم فدفعته دفعة
 كادت تلقيه على وجهه وهى تقول له : « ازل يا رجل

جميعاً حباً لم تستشعره نفسه من قبل؛ وما كدر عليه صفوه ما تحدث به الناس عما عسى أن يفعل حسن، فلقد ملك الفرح عليه شعوره حتى صار لا يفكر إلا فيما هو مقبل عليه، ولكن حدث أن جرى بينه وبين سليمان أحد لداته حديث ذات يوم فاستطال ذلك عليه وآله حتى لم يطق أحد صبراً فتهده وتوعده؛ ولولا أن تدخل بعض الشبان فباعدوا بينهما لعظم شرهما وتفاقم أمرهما ..

أما حسن فقد تظاهر بعدم البالاء لا يشير إلى هذا النبأ في أحاديثه ولا يلتفت إلى أحاديث رفاقه عنه، فإذا خذه أحدكم عنه حمل محده في دهاء على أن يصدق أنه لا يحفل به وأنه انصرف عن تلك الفتاة ولو أن له فيها رغبة ما وقف في سبيله أحد وفي ذات ليلة روع أهل القرية بمنظر النار على

بعد تجرى في حقل من حقول القمح، وقد صعد النسوة على أسطح الدور ينظرون ويتبين الجهة وكل تحسب النار في حقلها أو حقل قريب لها ويعلمو صراخها، وجرى الفتان والرجال نحو الحقول ولكن أي لهم أن يدرکوا شيئاً وقد كانت النار تجرى في ذلك المشيم في سرعة هائلة مرموعة؟ وعاد الناس بعد قليل يعلنون أن النار لم تترك في قح سليمان عوداً واحداً... ولم تنحصر الشبهة أول الأمر في أحد فما كان يسمع على ألسنة الناس إلا قولهم: «ربنا يعوض عليه» أو قولهم: «ربنا يؤذي أولاد الحرام». ووجد رجال الشرطة من معانة الحقل عدداً من الكرات القماشية المحسوة بالبارود وتراحت الصودا والكبريت، تلك الكرات التي اخترعها الفلاحون ليحاروا بها زوح الضرع في التجديد! وإنهم ليجعلون لها فتية يفتن

--- عال قوی! شیء يحصل بین کل شاب وشاب؟
--- اسم الله على عقلك، هو ما حصلشی بینی وبنیک؟ افکر یا رجل الی علمته علشان تأخذنی. وهو أما یوما فرطت لك فی عرضی؟ یا رجل حرام علیك دانت من الی یصلوا الفجر، والیذت علی کل حال تطلع لأمها

ولاحظت المرأة شيئاً من الاطمئنان يخالط نفس الرجل لهذه العبارة، فأقبلت عليه وأخذت بيده وقالت: «قم يا شيخ بكرة تسترخ فيستحلف لك ابتك على كلام الله»

وذهب الرجل إلى فراشه وصعدت الأم إلى السطح فوجدت ابنتها ما تزال تبكي، فإذالت بها حتى اطمأنت ثم رقدت إلى جوارها حتى أصبح الصبح ***

وثق الشيخ عثمان من راءة ابنته فصحت عن زمته على أثر ذلك أن يزوج نبوة من أحمد في أقرب فرصة وتتمكن في موسم القمح هذا. وسرعان باذاع هذا النبأ ففره جميع أهل القرية... وجزع من كانوا يمتنون أنفسهم بنيل يدها من الشبان، وأشفق كثيرون على أحمد من كيد جس من حتى لقد أخذ بعضهم يؤكد أن هذا الزواج لن يتم وفي جسد حسن عرق يفيض. ونصح بعض من أشفقوا للشيخ عثمان أن يرجع عن هذا فرقص في شدة ماعرفوا عنه مثلها من قبل، وعاد يتمتم بتلك الآية التي كان يتمثل بها أبداً «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»

وفرحت الفتاة فرحة جاءت مضاعفة بعد ما كانت فيه من بلاء وغم، أما أحمد فقد أصبح من فرط ما سره هذا النبأ في شبه ذهول يتقبل تهاى أقرانه فتقع كتابهم على قلبه برداً وسلاماً، وكأنما هو يحبهم

يقفوا فلا يتبعوه ، وتوسل إليهم أحد أن يفعلوا ، وكانت أمه وأختاه يبكين بكاءً بفتت الأكباد كأنما كان يساق فتاهن إلى الموت ، وهذا هو آخر عهدهن به ولم ينقطع دعاؤهن أن يتغم الله من ظلمه .

واقرب أحد من دار الشيخ عثمان فذق قلبه وهو جلدته ومشى بجرحه ، ومر بالدار فلم يلتفت إليها كأنه لا يعرفها فلقد كره أن تقع عينه على نبوية وهو هكذا مغلول اليدين يساق على رغبه إلى حيث يساق المجرمون .

وسار أحمد يتبعه الشرطي على جواده في الطريق المؤدية إلى الحقول ليسلكها إلى طريق العاصمة ، وقد اشتدت حرارة الشمس حتى كانت لفحاتها في الوجوه كأنها أسنة من اللهب ! وكان أحمد مطرقاً في مشيه يقاسي نارين : نار الشمس في وجهه ، ونار التضييق في صدره ... ورفع عينه وقد اقترب من شجرة عند منعطف الطريق ، ولم يكده ينعطف حتى وجد نفسه أمام نبوية ! فاقترب منه عن ابتسامة ما لبثت أن انطلقت فيها شاع في وجهه من شحوب وكدره ؛ فلقد رأى فتاته تحاول حبس دموعها فلا تقوى فتجشش وتشهق وتئن أنه مكتومة فندت إلى أعماق قلبه ، وحاولت الكلام فلم تنفجر شفقتها ، وحاول هو أن ينطق فاستعصى عليه الكلام كأنما انعقد لسانه . وأخذت الشرطي الشفقة فاعزبورت عيناه

ودار بوجهه لينع لها حرية الكلام ولكنها خلا جامدين . ثم إن الفتاة تقدمت فندست في جيب الفتى بعض درهماتها وألصقت صدرها بصدره فراح يبالغ الحديد في يديه على غير وعى منه ، والفتى نحو الشرطي فلما وجده لا يراه قبل فتاته بين عينها ... وانطلق بعد ذلك في سبيله ، ووقفت هي إلى جانب

في الزيت ، ومتى مست النار ذلك القليل سرت فيه على سهل حتى تمس تلك المواد فتنبعث النار وتشتب ، وفي تلك الآونة يكون ملقى الكرة في هدفها قد بعد تمام البعد عن مكان ذلك الهدف ...

وسرعان ماجرى اسم احمد على ألسنة أهل القرية وأخذ الناس يتهايمسون بالاتهام ، وما لبث سليمان أن اتهمه في غير تردد ، وقام الشرطة بتفتيش داره فوجدوا فيها بعض الكرات وكان قماشها من نفس قماش تلك الكرات التي وجدت متناثرة قرب الحقل كما كان حشو هذه كحشو تلك لا تفرق عنها في شيء . وتقدم بعض الشبان فشهدوا بما ثبتت الجريفة على السكين ولم ينف عنه إنكاره ودفاعه وصدق الكثيرون من الناس أنه هو المجرم ، وإن كانوا يميلون لذلك أشد الميل فما عهدوا عليه شيئاً من هذا ، وما كان الشر من طبعه أبداً ... أما القليلون فقد كانوا يتسمون لهذا ابتسامة الألم والسخرية ، وفي عيونهم أمارات الخبيث التي تنطق بأنهم يعلمون كل شيء . ولكنهم على عادة أهل القرى في مثل تلك المواقف لا يستطيعون أن يفصحوا عن شيء . وإلا لخلعهم هم أيضاً مثل ما لحق هذا البائس من كيد وغدر ، وما أيسر أن تدس الكرات أو غير الكرات في أية دار من الدور !

فرغ المحقق في مركز الشرطة من تحقيقه ، ووضع الحديد في يده أحمد وسارمواً لولا أمام شرطي على جواده يسوقه إلى عاصمة المديرية ، وكان الوقت بعد الظهر تباعاً ، وقد حبس القبط الناس في دورهم فلا يرى أحد في دروب القرية كأنما كان الوقت منتصف الليل ؛ وأمر الشرطي أهل المتهمة أن

إحدى الدابتين إلى العين والأخرى إلى الشمال فكان من
الجبل مخنقة دارت بمنقه ، والدابتان تمنعان في الابتعاد
إحداهما عن الأخرى وتجريان معاً إلى الأمام في وقت
واحد فتجران هذا الذي علق بينهما ... وما هي
إلا لحظات حتى كان جثة هامدة وقد كسرت ذراعاه
عند مفصل الكتف !

وهكذا كانت المخنقة من نصيب هذا الفتى ،
وقد كانت يسبب ما أقرى ودس استدور حول عنق
آخر ضعيف هين لا يستحق إلا أن يدور حوله عقد
العرس

النفيف

الشجرة تشيمه بنظراتها في جزع يتقاصر عن وصفه
أى كلام

مضت أيام كان لا حديث لأهل القرية فيها
إلا ذلك الحادث ، وبات الناس يرجون أن يقف
الأمر عند هذا فلا ينال الشيخ عثمان من بطش
ذلك القادر الفاجر حسن ما يعجل به إلى القبر .
ودخل أحمد السجن ليقيض فيه ستة أشهر طويلة ،
وتلفت نبوية ذلك النبأ في صمت كان في الواقع صمت
البأس ، وظلت على صمتها هذا يمتشي السقم في بدنها
ويفشئ الحزن وجهها فيلبس جامها روعة على روعة
ويترك على عيها طابع الشكوى الدائمة والضراعة
وحصد الناس قبحهم وامتلأت البيادر والأهراء

وسعد من سعد من الفتيان والصبايا إلا نبوية فقد
حيل بينها وبين ما اشتته نفسها ، وحل محل الأمل
في قلبها الضراعة والسكنة والمذلة . وجعل الشيخ
عثمان يصبر نفسه وأصبح لا يحتم صلاته إلا بطلب
الانتقام من الله ، على أنه ما تسرب إلى قلبه خوف
بند ما حل بأحمد ، حتى لقد دهش الناس من بسائته
وتباته على رأيه وإصراره على أن زوج ابنته من
صاحبا مها حدث وهو في تلك السن

ولم يمض شهر حتى وقع في القرية حادث نفاقه
أهلها بمزيج من الدهشة والرهبة والاعتبار ، وكان
جانب العبرة فيه أقوى تلك الجوانب ، بخالط أئمن
القرويين إزاء شعور الراحة والنبطة والاطمئنان ، فيبدا
كان حسن في طريقه إلى حفلة ذات صباح رأى
غلاماً يسحب دابتين ربط حبل إحداهما بحبل الأخرى
فأسرعت الدابتان لأمرها وجذبتا الغلام فتقدم حسن
لتجديته وأمسك بالحبل المتصل من وسطه وانجذبت

الفصول والغايات

مبصرة الشاعر اللاتب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طوبقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقداً أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صحه وشرحه وطلبه الأستاذ

محمد حسن زناي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »

ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

وكانت الهامة الكبيرة البارزة
المتفتحة بالكسفير النين تلتقي في
القلوب رهمة، وكانت عينا محمد أفندي
عبد الغفور لا ترحم عنها . لكنه
كان يتشم أو يحني ابتسامه خيثة
ضايقت صديقه الشيخ على عبد الواحد
الجالس إلى جانبه بتمتع بأدعية خافتة

صندوق النذور

اقصص مصريّة
بقلم الأستاذ د. يحيى خبطة

وصلوات طيبات ..

وكان اليوم يوم جمعة، وكان الوقت فصي، وكان
زارو المقام الكريم قد أخذوا يقبلون أفراداً أفراداً،
أو أزواجاً أزواجاً، أو جماعات جماعات، لكن
الزحام كان نادراً وخفيفاً على كل حال، لأنه لا يكون
على أشده إلا بعد أداء صلاة الجمعة حين يقبل الناس
متراحين متدافعين لنيل البركات والتماس النفحات
وأقبل فتاة ناهد ذات جمال وذات رواء تنب
كالجملة فوق السجاد السميد، فجعلت تطوف بالضريح
سبعاً وكلا أعت مرة وقتت عند صندوق النذور
فدست فيه قطعة كبيرة من القندكان يسمع رنينها
في الداخل حين تدفع أخواتها في الصندوق لتحفل
مكاتها بينها ... فلما أعت الفتاة طواضا وقتت عند
رأس الشيخ الذي تحسبه قاراً تحت الهامة الكبيرة
الخضراء، ثم راحت تتمتع وتهمهم، ثم تسر وتغمغم،
ثم وقفت لحظة ساكنة صامتة، ثم المجددت من
عينها دمة ترفقت فوق خديها الجليلين الأسيلين،
وشهقت شهقة عميقة حارة ثم انصرفت ذاهلة
أو كالذاهلة ...

وقد ذعر قلب محمد أفندي عبد الغفور عند ما لح

كان مقام المعارف بالله رضى الله عنه وأرضاه
هادئاً ساكناً فيه روعة وفيه جلال وفيه خشوع .
وكانت القبة الساقطة الشاهقة تمكس فوقه أخيلة
رفافة يزيد بها البلور الملون، والقاشاني المعجب،
وألواح الرخام والمرمر والبلستط، وقاراً فوق وقار،
وجلالة فوق جلالة، ونوراً دنيوياً فوق ما يفيض
عليها من نور الآخرة، وسناء التقوى، ولألاء المثوبة
ووضاء الرضى ...

وكان أراج المسك يبعث في أرجائها، وريحان
التنقي يغلأ بشناه أجواءها، وكانت شبابيك الضريح
النحاسي تلعب وتزجي وتبتسم، والثريات من فوقها
تتألق وإن لم تكن مضاءة، وببيض النعام المعلق فوق
الضريح يروح مرة ويحيى مرة، وما هزته ريح،
ولا حركته ... وكانت السفينة المعلقة بين بيض
النعام تهتز قليلاً فتكون كأنها فوق موج رفيع بها
حذب عليها يهددها في أمن ودعة إلى بر السلام .
أما الضريح فكان مكسوا بغطاء أخضر زيتوني
نقشت عليه آيات من القرآن الكريم خيطة فيه
بخطوط من حرير وعملت بصنعة دقيقة باهرة برزت
فيها سلوك الذهب والقضة فجعلت تتألق وتمكس
ربيقاً هادئاً خفيفاً .

- الفتاة ، وعند مشاهدتها تخطر رايه فيثأنة بأربعة المحاسن
 جة المئان ، فلما تنبه إليه صديقه على ، وهو يوشك
 أن يلتهم الفتاة بعينيه الجامعتين اعتدل في جلسته ،
 وترك أدميته وصالواته وقال له ، ثم قال محمد له :
 - إتق الله يا محمد فأنت هنا في حرم حرام
 ومكان مقدس ... غص من طرفك يا صديقي وانظر
 أمامك !
- أناظر أمامي لأرى ماذا ؟
 - لتري هذا الضريح يكاد ينشق فيلهمك !
 - يا حفيظ ! وكيف ينشق يا أخانا الشيخ على ؟
 - لقد رأيته يتحرك تأفقاً من فعلك !
 - يتحرك تأفقاً من فعلي ؟ وماذا فعلت ؟
 - لقد كنت تهيم ببصرك في إثر الفتاة !
 - وكيف لا أقفل وقدماهما جيئتان ناصمتان
 كأنهما خلقتا من مرمر يتدفق فيه دم ؟
 - ما هذا الكلام يا أخي ؟ إتق الله يا شيخ ...
 أنت هنا في مكان طاهر له حرمة وله قداسته !
 - لكن المجال الذي زار هذا المكان الآن
 أفنك بالنفس وبالقلب وأشد تأثيراً فيهما من قدسية
 هذا المكان !
- استسحي يا شيخ ! تأدب في حديثك هنا !
 - هذه لهجة شديدة يا شيخ على فهذب
 حديثك قليلاً !
 - أقسم لك لقد شهدت الضريح يتحرك
 تبرماً بك !
 - الضريح يتحرك ؟
 - أجل ... ولا شك في أنك قد رأيته !
- وكيف يتحرك الضريح ، ولماذا ؟
 - ماذا أقول لك وأنت رجل رقيق العقيدة
 ضعيف الإيمان !
 - ولماذا كنت عندك رقيق العقيدة يا شيخ
 على ؟
 - لأنك تنكر ما وقع أمامك الآن من كرامة
 هذا الشيخ المبارك !
 - أية كرامة يا صديقي ؟
 - اهتزاز الضريح من السخط عليك
 والضييق بك ؟
 - أنا لم أر الضريح يهتز ... إنك وام ...
 لقد تركت الخيال يستولى على نفسك والوهم يغشى
 ناظريك
 - إتق الله يا شيخ ... أسكت ... أسكت
 وإتق الله !
 - أنا أشد لله تقوى منك ... ما هذا الذي
 تقول ؟
 - بل إبليس أشد لله تقوى منك يا عازي ...
 إنه لو رأى الفتاة التي خلبتك لما حاول أن يأكلها
 مثلك !
 - وأنت ؟ ألم تصب إليها عجبك الله ؟
 - إحصاً ... إنني أعرف منك بقداسة هذا
 المقام الكريم ... أنظر !
 - أنظر ماذا يا شيخ على ؟
 - يبض النمام !
 - ماله ؟
 - إنه يهتز !
 - وما ذاك يا عم ؟

- هذه علامة سخط الشيخ !
 — أى شيخ ؟
 — سيدى شمس الدين ... سيد العارفين بالله !
 — سيدنا شمس الدين ساخط ؟
 — إنه ساخط لا شك !
 — وفيه يتسخط أو لا يتسخط ؟
 — ساخط عليك
 — وماذا بينه وبين بيض النمام ؟
 — بينهما سر !
 — بينهما سر ؟ ماذا تقول ؟
 — أجل ...
 — وكيف ؟
 — نعم أنه إذا غضب غضباً هيناً اهتز البيض ،
 فإذا غضب أكثر اهتزت هذه الثريات ، فإذا اشتد
 غضبه اهتز الصريح ، فإذا حنق وامتلأ غيظاً رأيت
 هذه السفينة تهتز وتملأ وتهبط وتروح حبيثة وذهاباً
 كأنها فوق سطح اليم المضطرب !
 — يا حفيظ !
 — هل تسخر ؟
 — كلا ... لست أسخر
 — بل أنت رجل لاعتقيدة لك ولأدب عندك !
 — عوّذ إلى العقيدة والأدب ...
 — أنصحك يا محمد أفندى !
 — وبم تنصحنى ؟
 — قم فوضاً وصل ركعتين لله عسى أن يففر
 لك الشيخ ؟
 — وهل بملك الشيخ أن يففر أولاً يففر ؟
 — يا شيخ ! إني الله يا مسلم !
 — من منا يجب أن يبق الله ؟ أنا ؟ أم أنت ؟
 — بل أنا ... يجب والله !... بل أنا يا سيد محمد
 فلا تحزن !... أنا لأننى لا أستحي من النظر إلى
 ما حرم الله وأفضل هذا المنكر في مقام سيد العارفين
 بالله ... !
 — على كل حال أنا لم أكفر بالله مثلك !
 — إخساً قاتلك الله ... أنا أكفر بالله !
 لا بارك الله فيك !
 — وكيف تنكر ذلك وقد جملت لله شركاء ؟
 — أنا ! غفرانك اللهم !
 — أجل أنت ! ألم تقل إنه يجب أن أوضاً
 وأصل عسى أن يففر لي هذا الشيخ الذى اتخذتم
 ضريحه وثناً ؟
 — نحن اتخذنا ضريح العارف بالله وثناً ؟
 — أجل ...
 — نحن ؟ المسلمين المصلين !
 — أجل ... إنكم اتخذتم منه ما هو شر من
 الوثن !
 — ماذا تقول يا محمد ؟ وهنا تقول هذا الكلام ؟
 — أقوله هنا لأنه مبكر ؟
 — قاتلكم الله يا شباب ! مقام سيدى شمس
 الدين منكرو ؟ أى كفر هذا ؟
 — يا لهذه الهامة وإلهذا الكشمير ! ماذا
 يكون الوثن إن لم يكن هذا الصريح وثناً ؟
 — ثم ماذا أيضاً ؟
 — ثم هذا البيض الملن الذى يفيض على

عقولكم شعبدات ، ماذا هو ؟ !

— ألا تقصروا يا محمد أفندي ؟

— حدثني عن تلك السفينة ؟ أسفينة نوح هي ؟ !

— أأنت أعقل من الدولة إذن ، وأهدى من

وضع هذه الآثار ؟ !

— الدولة لم تملق هذه الآفات ، وليس من

وضعها بمن هدى الله !

— أليست الدولة هي التي شيدت هذا المقام

الشاهق ؟

— بلى ، لقد شيدته الدولة التي كانت تفكر

كتفكيركم !

— واليوم ؟ أليست الدولة هي التي تتولى صيانتها ؟

— كل هذا منكر سيئعله الله !

— ولماذا تبقى عليه الدولة ما دام منكر ؟ !

— ببقية لأنها تخشى الرعاع ، ولن تكون بخير

حتى يأتينا الله بدولة تهدينا السبيل ولا تخشى

في محاربة الأوثان لومة لأثم !

— السلام عليك إذن ... هداك الله أيها الأخ .

إن كلامك شيء لا يطاق ... مسكين ! ... أي بلاد

سيحل بك ... اليوم أو غدا ... ومن يدري ؟ فلمله

يحل بك الساعة ... قاتل الله المدينة وقاتل الله شباب

العصر !

ونهض الشيخ على وجل معه خُفَّيه ، ثم

ذهب إلى ناحية أخرى قصصية في المقام واستقبل

القبلة وكبر ، ثم راح يصلي لله ركعتين يحسبهما

الرجس الأثيم الذي علق بأذنيه من حديث محمد

أفندي عبد النفور

وأراد محمد أفندي أن يتخذ من هذا الأمر دعاية

فنهض ويجمع شطر الشيخ على ، ولا وجهه يصلي

تبسم ثم قال له : « عجبت لكم كيف تتخذون من

مقابر موتاكم مساجد وقد نهاكم النبي صلى الله عليه

وسلم عن ذلك ... أليس هذا منكراً ؟ ! ... »

وسمع الشيخ هذا الكلام ولكنه كبر تكبيرة

ثم ركع ، ثم قام ، ثم أهوى إلى الأرض ، ثم ظل

ساجداً سجوداً طويلاً خاشعاً

ثم تلفت محمد أفندي فلمح الفتاة ... بعينها ...

الفتاة الجميلة الأسوأة جالسة في رهط من أتريابها

في الركن الغربي من أركان المقام ، فآثر أن يجلس

حيث هو ليطالع القمر السافر الذي يحيل مقبرة

المعارف بالله جنة وارفة من جنان الحب ... لكنه

ما كاد يفعل حتى رأى شيخ المسجد يقف حياله ،

ويتفوس فيه ، ثم يمد يده فيقبض على ذراعه ،

ويدعوه إلى خلوة معه ... وما كاد يستقر بهما المقام

في خلوة الشيخ حتى يدوى المؤذن بأذان الظهر ،

فتتردد في جنبات المسجد الكلمتان العظيمتان اللتان

فتح الله بهما للإسلام فتحة المبين « الله أكبر ... »

الله أكبر ... »

ونتهى الصلاة ...

ولتلفت الشيخ إلى محمد أفندي ويطلب إليه ألا

ينصرف لأنه سيريه من آيات المعارف بالله عجبا ...

ثم يقصد وإياه إلى مقام شمس الدين ، فإيلافه

إلا بعد جهد وبعد طول عناء ، لأن الزحام يبلغ

أشدّه عقب الصلاة حينما يتدافع الناس نحو الضريح

ليطوفوا به ، وليأتمسوا من بركات الولي الكريم ،

ولتشملهم نفعاته ...

يا سيد العارفين بالله ... مدد
 مدد ، مدد يا نور العين ، مدد
 يا أبا الكرامات يا ولي الله مدد
 يا ساري في الليل مدد ، مدد
 يا كاشف أسرار الناس ، مدد
 خذ بيدي يا شمس الدين ، مدد
 من الهلال يا زين ، مدد
 أنت المقصود يا زين ، مدد
 مدد ... مدد ... مدد ...
 في القلب شجون ، وشجونه فنون ... مدد
 حبك بضني ، وهواك دواء ... مدد
 عرش الرحمن ، لك فيه إيوان ، مدد
 الخ ...
 وكان الرجل ينشد هذه الهفافات في صوت
 متهدج ، وفي لساننا الدارج ، ثم يزنها وزناً سليماً
 مستقيماً مع أنها ليست شعراً
 ووجه الناس ... ووقفوا لا ينبس أحد منهم
 بكلمة ... ووقف السيد محمد عبد الغفور مسبوهاً
 مشدوهاً ... فقد خلبه ذلك الإخلاص الحلو الذي
 كان يتدفق من فم الرجل فيحل برداً في قلوب
 الناس ، ويستولي على مشاعرهم ... فلما قال الرجل :
 — الشك حرام ... مدد ... مدد !
 — عبد الغفور ... اسمه محمد ... مدد ... مدد !
 — يا رب اهدي ... مدد ... مدد !
 — يا شمس الدين .. إشفه إشفه .. مدد ... مدد !
 شعر محمد أفندي بفيض من الشعور العجيب
 يسرى برداً في دمه ، وأحس كأنما الأرض تسوخ
 (٢)

ودخل الشيخ ... ووقف محمد أفندي عبد الغفور
 إلى جانبه ... وجعل رئيس المسجد يتم بصلوات
 ودعوات ، وجعل الناس يتدافعون نحو صندوق
 التذوق يدسون فيه قروشهم
 وكانت سيدة وقور تجلس عند الصندوق ، فأراع
 الناس إلا أن تقف فجأة وتأخذ مقصاً صغيراً
 ثم تناول غداًها الذهبية فنقطع كل (محمودية)
 وندهسها في ثقب الصندوق وتصنع هذا سبع مرات
 ثم تجلس قليلاً ، ثم تعود فتقف وتعمل المقص
 في غداها ... فملت ذلك سبع مرات ، ورئيس
 المسجد واقف يتم ويُسود ، ثم يسبحل ويحوقل ،
 وهو بين هذا وذاك يتفصد جبينه بالعرق فيدع
 جباهه تفرق فوق وجهه الشرق النير ...
 ثم يتدافع الناس فجأة فيفسحون طريقاً لرجل
 فقير أشمت الشعر خلق الثياب عاري القدمين نابي
 الميثة ، قد علق في ذراعيه حلقاً ثقيلاً من حديد ،
 وجعل في رجليه سلاسل وأغلالا ، وأغرب من كل
 ذلك وأجبح جملة في شفتيه قفلاً ثقيلاً من فولاذ ،
 وفي يمينه سيفاً مفلولاً من خشب له غمد زرى
 كتيب ...
 وقف هذا الفقير حيال ضريح الولي ، ثم أخرج
 مفتاحاً قدسه في القفل التدي من شفتيه ، وكواه
 فافتتح ، وسلك اللسان الطويل من ثقبين كبيرين
 في شفتيه ، وراح يصلي صلاة خافتة أول الأمر ،
 ثم جعل ينغم مرارة ويهمهم أخرى ، ثم راح يعصف
 بصوته ويقصف ، ويجعل كل رعد ، ويقول :
 يا سيدي يا شمس الدين ... مدد

من وجناتها وهي تصنع ذلك ...

وخلا المقام من الزائر إن لا قليلاً .

ثم شعر محمد أفندي بيد تقبض على ذراعه من خلف ، وسمع صوتاً يقول :

— ألا تستغفر يا محمد أفندي !

والتفت محمد أفندي فبصر بالشيخ على عبدالواحد فدار الحديث بينهما ، واشترك فيه رئيس السجد :

— أستغفر الله يا شيخ على !

— ألا تلتبس الصفح من سيدي شمس الدين ؟

— بلى ... ألتبس منه الصفح بعد أن شهدت بعيني وصممت بأذني !

ثم قال رئيس السجد :

— حقاً ! لقد ألتقت الدنية قلوب شبابنا ، وأضعفت قوتهم بأولياء الله ... ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ...

فقال محمد أفندي وهو يستعبر :

— أجل ... لكننا معذورون ... فثأله إن هذا أول يوم أرى فيهم كرامة لولي ، وثأله لا تكون خادماً بعد اليوم لسيدي شمس الدين ... وثأله لأخجلني إلى مقامه تحمفاً وآيات من الآيات ...

ودعا له الشيخ الفقير ، ثم أخذ قفله فجعله في شفتيه ، وذهب يجلجل بسلاسله ، ويضرب في الهواء بسيفه الخشبي .

ونظر محمد أفندي في الركن المبارك حيث جلست الفتاة في رهط من أهلها ، وكان فيهم رجل شيخ كبير ، فاستأذن رئيس السجد في أن يمضي معه إلى الرجل ، فلما لقياه سأله محمد أفندي إذا كان هو

تحت قدميه ... وخيل له أن القبة ترقص مع الرجل وتهبط وتعلو وتروح ذات اليمين وذات الشمال . ثم نظر إلى الناس فوجدهم جميعاً يرقصون على نغمة الشيخ ، وينغمسون بهتافاته

ثم هلل رئيس السجد غفاة وكبر ... فسكت الرجل الفقير وصمت الناس ، ووقف الهواء وأمسك الحاضرون أنفاسهم ... ورفع اربليس يديه نحو العمامة الكبيرة المكورة ، فاهتز بيض النمام ورجفت التريات ، وتأرجحت السفينة بمنة ويسرة ، ثم مضت لحظات على هذا الحال ... ثم اشتد الصمت وظل الناس مأخوذين بروعة المشهد العجيب ... لكنهم هللا في صوت واحد وكبروا ، حينما لمحو العمامة الكبيرة الهائلة تهنئ وتتحرك ، ثم يتحرك الضريح كله حركة هينة لينية لكنها ملحوظة لأنها حدثت مرتين أو ثلاثاً ... ثم خرجت أصوات جميلة من داخل الضريح تقول :

« الله ... الله ... لا إله إلا الله ! »

فما كادوا يسمعونها حتى تدافعوا بالجَنُوب والناكب نحو صندوق النذور ... وكان جميعاً أن يسبقهم الرجل الفقير فينثر فوقه كثيراً من الريالات المصرية الكبيرة كان الخادم يجمعها ثم يقذف بها في الصندوق كما يقذف القروش والملايم والبرائر وأنصاف البرائر وأثمانها ... وحاولت السيدة التي كانت تقطع الذهب من غداثرها أن تدس في الصندوق إحداً (عموديتها) ، لكن الخادم (رجاها) أن تستأني حتى يفرغ الزوار . ومع ذلك فقد استطاعت أن تدس (عموديتين) ، وكانت فرحة بطلق البشر

هذه الجمعة قُلَّاتُ الصندوق وهديت الصال وزوجت فتاة ... فانما صنعت أنت الجمعة السالفة ؟
فقال له صاحبه : « حقاً إنك لشيطان ! ...
لكن الذى ساعدك هذه المرة هو الشيخ
أبو السلاسل ! » فقال الأول : « لقد لقنته الرئيس
دوره فأاده على خير وجه ... لشد ما كنت أفزع
أن يضيق أحد اليرالات ! »

ولم يكن الخادمان يريان محمد أفندى وهما يتناحيان
هكذا ... فلما ربت على كتف أحدهما وأبصرابه ...
فزعا فزعاً هو أقرب إلى الخجل والحياء
لكن محمد أفندى عبد الغفور كان أشد استحياء
على كل حال ... ومع ذلك فقد تزوج الفتاة ، لأنها
وقعت من قلبه موقماً عظيماً ...
دربى مشبه

والد الفتاة . فقال الرجل : « نعم يا بك ! » . فقال له
محمد أفندى : « وابنك هذه متروجة ؟ » . فقال
الشيخ : « كلا يا بك ... سهّل الله لها . » فقال له
محمد أفندى : « فهل تزوجنى إياها وأنا لها كفى .
وهؤلاء شهودى ؟ » . فقال الرجل : « أنظرنى
أياماً يا بنى ! » .
فقال محمد : « وأرجو أن أنال القبول إن شاء
الله » فقال الرجل : « القبول إن شاء الله »
ثم جرت نفسه إلى الشيخ وعمرقه ، وقرأ
الجميع الفاتحة ...

وما كاد يخطو محمد وصيد الضريح حتى سمع
خادماً خبيثاً من خدم المسجد يهقه ويقول لصاحبه :
هل رأيت ؟ أنا أم أنت ؟ ... لقد دخلت الضريح

صدر كتاب

قافله الأيام

مجموعه من البصائر المصرية الحديث

تأليف

عبد اللطيف زكي

يبيع خمسة قروش بجميع المكتبات بالعالم العربى
ومكتبة النهضة المصرية

آلام فتر

للتاعر الفيلسوف مبره الاولانى

مترجمة بقلم

أحمد مسعود الزيات

ومى قصة علمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونحنها ١٥ قرشاً

إدراكه كل إنسان ؛ ولست أسمع
لأحد غيري باللعب فيه أبداً !
ثم قام فصنع له جداراً رفيعاً سور
به بستانه ، ورفع لوحة كتب عليها
هذا الإعلان :

سُجِّزَى المخلوفون
بئس الجزاء

المارد الذي يحب نفسه

للكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد
بقلم الأستاذ فخري شهاب السعيد

فياله من مارد لا يؤثر أحداً بالحب سواء !
ولم يبق حينذاك للأطفال الساكنين ملب
يرتمون فيه . لقد حاولوا أن يتخذوا لهم من الشارع
ملعباً ، ولكنهم زهدوا فيه حين وجدوه مليئاً بالأزهار
والأحجار ، وظلوا كذلك يحومون حول الجدر
الرفيعة — حين يتبهون من دروسهم — لاهين
بجمال ذلك البستان الذي وراء تلك الأسوار ، وبأيام
سعادتهم التي انتهت ، يقولون :

— ألا ما كان أسعدنا هناك !

ثم قدم الربيع واشتدت بمقدمه الأزهار
والأطيار في كل ناحية على الأرض غير بستان هذا
المارد اللئيم الذي لم يبرحه الشتاء . إن الأطيار
لم يعمها أن تغرد فيه حين غاب عنه الأطفال ؛ وإن
الأشجار قد أنسيست أن تروق أو ترهره ...
ولقد أخرجت إحدى الأزهار الجميلة مرة رأسها من
بين الأعشاب فهاها وأحزنها أن ترى لوحة الإعلان
تمنع الصغار من غشيان البستان ، وانسلت هاربة
لتستأنف نومها الميمى الذي كانت مستغرقة فيه .
ولم يكن في العالم أحد قد استولى السرور عليه غير
« الثلج » و « الجليد » اللذين قالا في نفسيهما :

— إن الربيع قد أنسى هذا البستان ،

كان الأطفال قد اعتادوا دخول بستان المارد
واللعب فيه حين يمردون من المدرسة عصر كل يوم .
وكان بستاناً واسعاً ، رقيق الحواشي ، قد اكتست
أرضه بالمشب الأخضر الطرى ، وانتشرت في أرجائه
الأزهار الجميلة كأنها النجوم . وكانت فيه اثنتا عشرة
شجرة من أشجار الخوخ التي تفتق في الربيع عن
أزهار رقيقة زاهية الألوان كأنها اللالي ، تتحول
في الخريف إلى ثمار يامعة سائفة . وكانت الأطيار
فيه تمتلئ غصون الشجر وتغرد في عنوبة تصرف
الأطفال عن ألعابهم . وتستوقفهم مأخوذين ،
فلا يملكون أن يعبروا عن نشوتهم بغير هذا القول :

— ألا ما أسعدنا في هذا المكان !

غير أن المارد عاد يوماً من زيارة أحد أصدقائه
التيلان ، بعد أن لبث معه سبع سنين ، أنهى
في خلالها كل ما أراد أن يحدثه به — فإن عاديته
كانت محدودة تنتهي ولا شك — عاد الممارق إلى
قصره فرأى الصغار يلبسون ويمرحون في البستان !
فصرخ فيهم بصوت خشن غليظ قائلاً :

— ماذا تصنعون هنا ؟

فانطلق الأطفال من فورهم هارين ! ثم استأنف
المارد صراخه قائلاً :

— إنما هذا البستان ملكي ، وذلك ما يستطيع

— ما أحسب إلا أن الربيع قد جاء أخيراً .

وقفز من فراشه ، فذا رأى ا

إنه لمنظر جد جميل !

أولئك هم الأطفال الصغار ، قد دخلوا البستان من خلال نقب صغير وجدوه في أحد الجدران واعتلوا الأغصان وبقوا هنالك جالسين . وقد أبهج الشجر بمقدمهم فأورق ، وماس على رؤوسهم في حب وحنان ، وكان الطير يشدو حيناً ويطير حيناً في جداول أنهاره ، والزهر يرنو إلى ذلك نسام الثغور من بين الأعشاب — إنه حقاً لمنظر بهيج !

ولكن الشتاء لا يبرح تلك الراوية القصية التي وقف فيها أصفر الأطفال يعول طوراً ، ويطوف بما حوله طوراً آخر ، والشجرة المسكينة التي تقر به ما تزال شاتية .. إن ذلك الطفل لم يتمكن من الوصول إلى العين لصغره ، وكانت الريح الشمالية تصصف حوله ، والشجرة تنحني له ما استطاعت وتدعوه قائلة :

— تسلق أيها العنكب الصغير ... ولكنه ما يقدر على شيء من هذا !!

... وأدركت المارد عليه الشفقة حين رآه فقال :

— ألا ما كان أشد إثاري لنفسى لقد عرفت الآن سبب انقطاع الربيع عن المي إلى هنا .. سأذهب إلى ذلك الطفل فأشبهه على الشجرة ، ثم أنثى على الجدار فأهدمه وأجمل من بستانى هذا ملعباً وفقاً على الأطفال حتى الأبد ... واشتد أسفه على ما كان يدر منه

ثم إن المارد نزل وفتح باباً في هدوء وساز في بستانه ؛ ولكن ما إن رآه الأطفال حتى أوغلوا هرباً ، وعاد الشتاء إلى البستان من جديد ؛ ولكن صديقاً واحداً منهم لم يهرب ، ذلك هو الصغير الذي ملأت عينيه الدموع لما رأى المارد قادماً إليه وتسلل المارد إلى الطفل ورفعه بلطف فأجلسه

ولذلك فإننا سنحيا هنا طوال العام !

وكذلك طنى « الثلج » على الأعشاب وأسبل عليها طرف رداءه السائب ، وانتشر « الجليد » على الأشجار فكساها حلة من الفضة ازدانت بها ؛ ثم إنهما أمرا ربح الشمال أن تبقى معهما فلبت أمرهما ، وجاءت ملتفة بالفيراء تصفر طوال النهار خلال البستان والمداخل ، فرحة بهذا المكان البهيج

ثم إنهم قرروا دعوة « البرد » فنزل وأنشأ يتحدر كل يوم ثلاث ساعات بشدة حتى يكسر بلاط القصر ، فإذا تم منه هذا أمعن همها حول البستان يطوف بأقصى ما أوتيته من سرعة ! لقد كان برداً عجيباً أعجب ، وكانت أنفاسه بيضاء كالثلج ! وقد جلس المارد للشم ذات يوم في الشباك المطل على البستان الأجرد الشاق ، وقال يحاور نفسه :

— ما أقدر أن أفهم سبب تأخر الشتاء حتى الآن ؛ وما أظن إلا أن تغيراً قد طرأ على الجو .

ولكن الشتاء لم يأت ، ولا جاء بعده سيف

ولا خريف ... بل إن الخريف نفسه جاء وأنضج

الثمار في كل بستان إلا في بستان هذا المارد الذي

كان يعرفه الخريف لثماً لا يحب أحداً غير نفسه !

وإن المارد لمضطجع ذات صباح في فراشه

إذ سمع أنشاداً شجية تطرق أذنيه خيّل إليه لغوبتها

أنها من فرقة موسيقى الملك حين كانت تجتاز في

الطريق ، ولم تكن تلك الأنغام العجيبة غير صدى

طائر صغير كان يشدو على بعد من نافذته . لأنه ما كان

سمع من أمد بعيد يشدو طائر ، فظن أن ما طرقت أذنيه

أعذب ما في العالم من ضروب الألحان !

ثم إن البرد وقف نتهاه من حوله ، وريح الشمال

قطعت هزيزها ، وجاءت المارد من النافذة نفحة

من أريج عبق جميل . فقال المارد في نفسه :

الجميلة . ولكن أجل منها في نظري هؤلاء الصغار
وفي صباح يوم شات .. وقد أصبح الشتاء
الآن لا يفرح المارد ، فما هو الآن عنده غير إغفاءة
قصيرة لا يلبث الربيع بعدها أن ينهض بأزهاره
وتهاويله . في صباح ذلك اليوم ، بينا كان المارد
يرتدى ثيابه إذ بصر بشيء هائل ، فكذب نظره وكذب
نفسه ... إنه منظر مدهش عجيب : أفي الإمكان هذا ؟
شجرة حالية بالنوار الجميل في تلك الزاوية القصية
وتحتها طفله الصغير الذي أحبه وأثقا ؟

هرول المارد نازلاً يستخفه الفرح ، وجاز أرجاء
الحديقة مسرعاً حتى جاء إلى الطفل ، وما كاد أن
يقرب منه وبراه حتى طأ غضبه واربد وجهه ،
وسأله قائلاً حين بصر بآثار مسارين على يديه ومثلهما
على رجله :

— من ذا الذي تجرأ فجرحك ؟ قل من ذا الذي
تجرأ عليك ففعل ؟
فأجاب الطفل الصغير :
— كلا . ما تلك بيجروح حقيقية . إنها
جروح الحب !

وهنا استولت على قلب المارد الرهبة والخشوع
نفر ساجداً أمام قدي طفله وسأله قائلاً :
— من أنت إذا ؟

فأجاب الطفل باسمًا : أنا الصبي الذي سمحت لي
مرة بالحب في بستانك هذا ، جئت لأخذك معي إلى
بستاني الذي هو الفردوس

وحينما جاء الأطفال عصر ذلك اليوم كعادتهم
وجدوا المارد ميتاً في مكانه تحت تلك الشجرة ، وقد
ثرت على جفائنه الأزهار والنور الأبيض الجميل
« بغداد » فخرى شهاب السعيدى

على الشجرة فإكان أسرعها حين أوقفت وازدهمت ،
وما كان أسرع الأطيوار حين تساقطت عليها مفردة
حائطة حول الصبي الصغير الذي كان يحولها عنه إلى
عنق المارد مسروراً . ثم انحنى الطفل على المارد قبله ،
فلما رأى أحبابه ذلك أمنوا المارد وعادوا وعاد معهم
الرييح ، فقال المارد مخاطبهم :

— إنه بستانكم أيها الصغار الآن . ثم تناول
ممولاً كبيراً فهدم به الجذر القائمة حول البستان .
فكان الناس إذا مروا به في طريقهم إلى السوق
في منتصف النهار رأوا المارد يلعب بالأطفال في أجل
بستان. تقع العين عليه !

وظل دأب الأطفال كذلك ، يلعبون طوال
النهار ، حتى إذا أمسى السماء وخيم الليل ، جاءوا
إلى المارد فغيوه وانصرفوا ...

وقد سألم المارد مرة عن صديقهم الصغير الذي
كان رفعه على الشجرة ، فأجابوه بأنهم لا يدرون
عن أمره شيئاً ، فانه ذهب ولم يعد ... إنهم لم يروه
من قبل ، ولا رأوه من بعد ، ولا يعرفون أين
يسكن . لشد ما حزن المارد على ذلك الطفل الصغير
الذي قبله !

بقى الأطفال على هذا : يختلقون إلى البستان
عصر كل يوم بعد انتهاء دروسهم ، فيلعبون مع
صديقهم المارد ... غير أن الطفل الصغير وحده كان
المتخلف من بينهم أبداً . ولكم كان المارد يشتاقه
ويحبه ، ويتحدث عنه ويتمنى أن لو رآه .

ومضت على ذلك السنون تبهما السنون ، فشاخ
المارد وعجز عن مشاركة صغاره اللعب . فكان يجلس
على مقعد وثير ليترجع عليهم هائماً مغتبطاً . وكان
يقول في نفسه :

— إن في هذا البستان لكثيراً من الأزهار

تعب القلب

عن الانجليزية
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

الدكتور جون سيمور إحدى مريضاته؟

أجابت حنا في لهجة الجد :

— لأنه زارها صباح اليوم ،

وليست حالتك الصحية بداعية إلى

زيارة ثانية

— ولكنى مريضة بقدى . فقل

تظنين أن الطبيب لا يحضر إلا لزيارة

مريض يحتضر ؟ إن هذا هو البخخ يا عزيزتى !

والآن هاى علة الزينة ، وسأريك فى الحال لماذا

يهم الدكتور جون هذا الاهتمام بمريضته ؟

فأجفت حنا وقالت منكرو :

— علة الزينة ؟ ولكن لا يجوز أن تصبنى

وجهك ولو الآن على الأقل

— ولماذا ؟

— لأن الطبيب قد يمدح بلون الصبغ عن

لونك الطبيعى .

فغمرت فيث بيمينها لمرضتها وقالت :

— إن طبيبى لن يمدح ، وعلى كل حال لقد

تحسنت صحتى ، وليس فى ما أشكو منه . والحق أننى

لا أدرى لماذا يقضى على بأن أؤم الفراش هذا

الوقت الطويل . إنى لأرى أن المسألة كلها مؤامرة !

فقالت حنا متلطفة :

— يجب أن تتجمل فترة أخرى قصيرة .

— واه ! لا تلجئى إلى هذا الأسلوب الذى

يخاطب به المرضى يا أخت حنا ! ولتغطى اللعط إذا

كنت لا تسمحين بأجر الشفاء . ولتلمى أن الرجل

المرز إنما يحضر ليرانى لا ليؤمر الربة رقم ٩٩

فنفرت حنا فى سكور إلى جسم مريضتها الجميلة

الرشيقة . فقرأها جذابة فى مرضها كما هى جذابة

« إذا كان الطبيب شابا شديد المجازية فانه خلق
بأن يجد كل مريضة يزورها مصابة بـ «تعب القلب»

ساحت المريضة الشابة الرافدة على السرير فى

لهجة ساخرة :

— أيتها الأخت حنا ! يا أخت حنا ! من عساك

ترين من الشباك ؟

فتلفت حنا مبتعدة عن الشباك وقد ألهم

خداها بجمرة الخجل ، فلقد أصبح عادة لها أن تقف

فى الشباك مترتبة كلما دنا موعد ساعى البريد

وسارت المريضة حتى دنت من مريضتها فأنحنت

عليها ناظرة إلى وجهها الجميل الشاحب ، وقالت عن

غير قصد :

— لا أرى أحداً غير الدكتور سيمور ، وما

أظنه قادماً إلى هنا

فضحكت فيث ميرون عكحة خفيفة مستهترة ،

وقالت :

— ولم لا ؟ لم لا يحضر إلى هنا يا أخت حنا ؟

فأجابت حنا منبهة المريضة فى شئ من الرقة :

— أنا لست أختاً إن أنا إلا مريضة عادية .

— ولكنك تظنين وقت فراغك كله فى رقب

إنسان ما أو شئ ما ، إذن يجب أن تكوفى الأخت

حنا . ثم أحب أن أعرف لماذا لا ينبغي أن يزور

— مرمى يادكتور جون ! هل جئت لتوقع ورقة الوفاة ؟

فوقف الطبيب أمام السرير وأبحنى ينظر إلى المريضة وقال :

— أظن أنني أستطيع أن أرحي ذلك إلى ما بعد يوم أو يومين

ثم وجه الطبيب الحديث إلى الممرضة وقال :

— سأغبر الدواء للمس مارتون يا حاضرة الممرضة.

ولوت فيث وجهها وقالت :

— إنك تحسن لو مضجت بالدواء نوعاً يقرب

طعمه من طعم الكرز ...

— هذا الطيب يذكركي بأن أقول لك إنه بعد

شفائك يجب أن تستعري فترة من الزمن منقطعة

عن السكوكاتيل والتدخين والمهر الطويل

فقطبت فيث وجهها وقالت :

— ليس لأحد من الرجال أن يتدخل على هذه

الصورة في شؤوني الخاصة فإن الحياة تفقد مياهاها

في نظري يادكتور إذا أنا كلفت نفسي كل ما تسألني

أن أكلنها من حرمان ! وإنه ليحلم بي عند ذلك

أن أمزق حذائي في الحال

فلم يجب الطبيب على هذا الكلام ولكنه أمسك

بالمصم التحيل بين أساليبه ونظر إلى مريضته نظرة

الجد . وانتهزت الممرضة حنا هذه الفرصة لتنتظر

إلى صفحة وجهه نظرة المختبر الدقيق . وما من شك

في أن الطبيب كان جميل الوجه ، فلا يجب إذا أحبته

مريضاته وأعزهن به ، ولا يجب إذا أرادت فيث

مارتون أن تتجمل وتتخذ من أسباب الزينة ما يزيداها

فتنة وجاذبية استعداداً للقائه

وحدثت الممرضة نفسها وهي تنظر إلى المريضة

وطبيبها بأنهما إذا تزوج أحدهما من الآخر كانت

في صحبتها حين تجرى من مكان إلى مكان مع أصدقائها
الرحلين . فلا يجب إذا رأى الدكتور جون سيمور
أن الضرورة تقضي بزيارتها .

وجبت حنا في صديدها زفرة كادت تخونها ،
إذ من المؤلم أن يرى الإنسان سعادة غيره من الناس
وقصص غرامهم ، في حين لا يشعر هو بالسعادة ،
ولا ينعم بقصة غرامه أو على الأقل في حين تتجه
سعادته وقصة غرامه اتجاهاً خاطئاً .

فقد مضى عليها الآن أكثر من خمسة عشر
يوماً منذ تسلمت آخر رسالة جاءتها من روبن ، فليس
بيداً أن تكون صيحة تلك الإشاعات التي اتصلت
بها عن العلاقة بينه وبين الفتاة روت . فكيف
السبيل إلى التأكد من الحقيقة ؟ ! فهذا الشك
الفتيل هو الذي كاد يقتلها .

وابتسمت فيث لمريضتها بعد أن أصلحت
شعرها وقالت :

— أنظري الآن يا أخت حنا ! هل ترىني

أعجب من رأيي ؟

فأومأت حنا برأسها بإيماءة إيجابية وقالت :

— إياك لفتاة ياسيدي .

فقال فيث وفي عينيها معنى الخبث :

— هذه هي الفكرة ، فقد أعد السرح ونحن

الآن في انتظار دخول البطل

وفي هذه اللحظة سمع نقر على الباب ففتحت

حنا وتحت مفسحة الطريق للدكتور جون سيمور

وكان الطبيب شاباً طويل القامة ، أسمر اللون ،

تبدو على فمه إماراة الجد وفي عينيها معنى الإنسانية ،

وكانت حنا ترتاح لنظره

فمدت « فيث » للطبيب يدها البيضاء النحيلة

وقالت :



الرغم من أنه يعلم كما تعلم فيث وكما تعلم حنا أن حالة مريضته لا تدعو إلى القلق . بل هي على العكس من ذلك قد وصلت إلى مرحلة النقاهة . ولكنه استمر جالساً وأطال الجلوس
وقالت فيث على أثر انصراف الطبيب تخاطب المريضة :

— أئذ كرين ما قلته لك ؟ هل هناك من رجل يبدى من دلائل الحب العميق أكثر ...
قطعت المريضة على مريضتها الحديث بقولها .
— لقد حانت الساعة التي يجب أن تنأهب فيها للنوم ...

فنبست فيث وقالت :

— لا تكوني هكذا كالقطط المشاكسة !
ألا أستطيع أن أحدث عن الدكتور جون إذا أنا أردت ذلك ؟ يجب أن تتعرفى بأنه جميل إلى حد مزعج .

فصاحت حنا في حدة :

— إنه لأجل جداً من أن يكون طبيباً

(٤)

زيجتهما صفقة رابحة ، فإن أموال فيث تساعد طبيباً قروياً مثله على النهوض بمهله الضئيل وتوسيع دائرته ، وحزم الدكتور جون كفيل بأن يكبح جماح هذه الفتاة المرحلة الفارغة الرأس التي ظنت أن خير ما في الحياة هو اللهو والبيت . فإن الأصدقاء تستطيع دائماً أن تحسن العمل إذا سارت جنباً إلى جنب واستمر الدكتور جون جالساً وقتاً طويلاً على

فقلت فيث منهمكة :

— أحسب أنني كنت أقدم في طريق الشفاء بأسرع مما توقعت لأنه كان ذا لحية وخطها الشيب يسير متكئا على العاصا حسن ، إنني لن أفعل ذلك ، وسألتك في طريق الشفاء وسأكون مريضة تسترعى اهتمام طبيبها مادام يريد هو ذلك . غيما ، إن الرجل المسكين لا بد أن يكون معذورا في إطالة قبضه على يدي ! ألم تلاحظي أنه اختبر سرعة نبضي ثلاث مرات هذه الليلة ؟

بلى ، لقد لاحظت حنا ذلك

وألفت فيث رأسها على الوسائد مسترخيا وقالت وهي تنظر إلى حنا :

لقد كنت أخشى أن يصبح هذا المرض عبئا يشغل عني حمله ، ولكنني أرى الآن أنني لا أبالي به مثقال ذرة ، ففي حضرة طبيب جميل يحمل قلبه على كفه ، ووجود أطول وأرق ممرضة في العالم ، لا أجد موضعا للشكوى على الإطلاق .

فتأثرت حنا تأثرا غائيا وانجحت على مريضتها فقبلتها ، فقد كان في تكوين فيث شيء يجذب إليها الناس ، وكانت على بينة من شعور الدكتور جون ، كما كانت تعلم أن الحب هو أحسن علاج في الوجود ، وقد أحدث المجائب في مرض فيث . وعمما قريب تصبى في غير حاجة إلى ممرضة

وسأملت حنا نفسها بعد أن طافت هذه الأفكار برأسها :

وماذا عسى أن يحدث لي عندئذ ؟ أأبحث عن مريضة أخرى أسهر عليها أم تراني أزوج من روين ؟ لقد كانت الفتاة منذ سنتين على استعداد للزواج من روين ، وقد أنهت — في غيبتها — كل غريزة في جهاز العرس ، كما ربت في عناية أمات كل غرفة من غرف بيتها الخيالي

غير أن « روين » كان دائم الاعتذار . فهو مرة غير مطمئن إلى البقاء في العمل الذي يشغله ، ومرة لا يجد بيتا يستأجره ، وتارة يقول إن الوقت صعب والمال شحيح ، وطورا يقول : خير أن يتزوج الإنسان في سعة من أن يتسرع ثم يندم ساعة لا ينفع الندم !

فلم يكن أمام حنا إلا أن تستمر في التمريض بينما « روين » مستمر في الاعتذار

وما تشك الفتاة في أن خطيها يحبها ، لقد كانت من ذلك جد واقعة وكل هذه الإشاعات التي أثيرت حول علاقته بالفتاة « روث » لا تستند إلى أساس من الحقيقة ، فإن هي إلا نقولات بليدة سخيفة يختلقها أناس بلاء سخفاء . وقد اعترمت الفتاة ألا تصدقها وألا تعني إلى مروجها

صاحت المريضة تدعو الأخت حنا مكررة النداء وكانت حنا واقفة في ممرها من الشباك تنظر إلى الطريق على عادتها . وكان ساعي البريد قد اعتاد في الأيام الأخيرة أن يعطيه في الحضور ، بينما اعتاد الدكتور جون أن يكر في مواعيد زيارته . ورأت حنا عربة الطبيب العتيقة ذات القمدين تقف أمام مدخل الباب ، فردت على نداء المريضة :

— ها هو ذا قد أقبل يا عزيزتي

فصاحت المريضة :

— أصرعي بالرائة إلى ، فإني لأكاد أشبه

الغراب !

كان من المأدة أن تقف حنا من العمل ساعتين كل يوم بعد الظهر ، وأن تتنصف نصف يوم كل أسبوع ، وكانت الخادم يحل محلها لدى المريضة في أثناء راحتها أو غيابها ، فلما عادت في أحد الأيام بعد عطلة نصف اليوم ، وجدت سيارة الدكتور جون واقفة أمام الباب ، فصعدت السلم مسرعة خشية أن تكون

رون ! فهو لا يزال يحبها ، أما الفتاة روث فلا تشغل أية ناحية من نواحي تفكيره

فصت حنا غلاف الخطاب في لهفة فلم يجده خطاباً طويلاً ، ولكن الإنشاء لم يكن من مواضع قوة « رون » وجملة واحدة تكفي لكشف غرضه من الكتابة ... وهذا ما جاء في الخطاب :

« في نفسى شيء أريد أن أسر به إليك ، ولكننى لا أعرف كيف أصفيه كتابة . فهل لك أن تقابلنى حيث تشائين في يوم عطلتك من الأسبوع المقبل ؟ على أنى أنتهز هذه الفرصة لأبلغك أنى قد تحسن مركزى على غير انتظار ، فقد دعانى الشيخ تشارلتون يوم أمس إلى مكتبه وأخبرنى أنى قد ارتقيت إلى مركز شريك أصغر ، فأرايك في ذلك ؟ »

لقد أدركت حنا معنى هذا الذى قرأته ، وليس معناه إلا أن أيام عملها مبرمة ولبالها المضطربة قد أوشكت على نهايتها . فرون يريد أن يتحدث معها في المستقبل وما يجب أن يبدأ له . ولقد حال الخجل بينه وبين أن يكتب ما يريد أن يقول ، ولكنهما حين يجتمعان ... وهنا التهب وجنتا حنا بحمرة الافعال السعيد ...

ولما عادت حنا إلى غرفة المريضة فاجأها هذه بقولها في لهجة الناقد الدقيق :

— إنك أيها الأخت حنا أجمل جداً من أن تكونى مبرمة
فاخر وجه حنا حياء ومضت فيقول في لهجة التائب اللطيف :

— ويجب أن تزوجى
فلم تستطع حنا أن تجيب على هذا الكلام بأكثر من قولها :

مرضايتها قد ساءت حالها على حين غفلة ، ولكنها اطأنت حين سمعت صوت الدكتور جون الحنون يصل إلى أذنها من خلال الباب نصف المفتوح ، وهو يقول :

— إننا لن نتناقش في ذلك مرة أخرى إذا كان الأمر يضايقك ، وما أريد منك في هذه اللحظة أن تقضى برأى في الموضوع ، فالوقت لا يزال متسعاً أمامنا ، وما زلت أنا شاباً ؛ ولا يزال في مقدورى أن أكون مستقبلي على ما أريد ، ولكنك تستطيعين أن تساعدني إذا أنت أردت ، وإنى لاحتاج إلى إنسانة مثلك .

وما سمعت حنا هذه الكلمات حتى انصرفت تسير على أطراف أصابعها ، فلم يكن مثل هذا الحديث بالذى يقصد به إلى أن تسمعه ، واستمر الطبيب بعد ذلك عشر دقائق في حضرة المريضة ، ثم انصرف ، وارتدت حنا ملابس التمريض وذهبت إلى مكانها في غرفة فيث ، وكانت فيث لأول مرة مستلقية ساكنة هادئة يبدو عليها الاهتمام في التفكير ، فقالت للمريضة :

— آسفة لأننى كنت في الخارج عند ما حضر الطبيب

فقدمت « فيث » :

— لا بأس في ذلك ؛ فقد كان لدينا ما يحسن أن نتناقش فيه متفردين
واتجهت حنا إلى الشباك وأطلت منه فرأت سيارة الطبيب قد بدأت تتحرك في الوقت الذى وصل فيه ساعى البريد على دراجته . فطارت الفتاة إلى الدرج تهبط عليه في سرعة البرق وقد اشتد نبض قلبها ، وهي تقول في نفسها : هذه المرة ... بالتوكيد هذه المرة ...

وسلمها الساعى خطاباً وكان من رون ! غدقت فيه كأنها لا تصدق عينها فيما تراءى . إذن لم ينسها

— قد أتزوج يوماً ما . وقد يكون هذا اليوم

قريباً ...

الزواج ! هو الحلم الذى يشغل رأس حنا ! إنها لترنو إلى اليوم الذى يصبح لها فيه بيت خاص بها ، إلى اليوم الذى تستطيع أن تنفق فيه المال ، وتتابع الملايس ، وتعنى بمحبتها ، لا يقلق نومها صوت الجرس الذى يذق في منتصف الليل ، وأتات المرضى التوجعين ، والواجبات التى تصدع الرؤوس . اليوم الذى تتحرر فيه من قيد مواعيد قياس الحرارة ، ومن إعداد قناتى الماء الساخن ، حرة فى أن تعيش كما يجب أن تعيش ، حرة أن تمتع نفسها بما تصبو إلى التمتع به .

وترقية روين التى أنبأها خبرها هى الوسيلة إلى تحقيق هذا الحلم السعيد ، لأنها تمكنهما من الزواج بعد هذا الانتظار الطويل .

وبعد أسبوع قابلت حنا خطيبها روين فى مقهى الطير الأزرق فى كلثون ، فلما مدت إليه يدها مصافحة ضغط أصابعها ضغطاً مؤلماً وهو يصيح :

— مرسى ، يا حنا !

فلمت عينا الفتاة وهى تقول :

— إنه لن السعادة أن أراك ثانية ياروين ؟

فرد الفتى على هذه التحية بقوله :

— ألا تشعرون بحاجة إلى فئجان من الشاي ؟

فضحكت حنا وقالت :

— هل عرفت فى حياتك ممرضة لا تحتاج

إلى الشاي ؟

وجلس الاثنان على مائدة فى أحد الأركان . وشربت حنا قترغ له الشاي فى فئجانه ، غير ناسية أنه يضع دائماً ثلاث قطع من السكر فى الفئجان الواحد ، وأنه يحب الشاي القوى ، وشمرت بأن

صب الشاي لروين أشد إثارة للنفس من صب قطرات الدواء للمجائر المصابات بالروماتزم . وعمّا قريب ستكثر من مشاركة روين مجلس الشاي .

ونظرت حنا إلى صديقها بعين مستحبة وقالت :

— لقد كان عظيماً نبأ ترقيةك يا روين !

فتناول روين طبقاً فيه نوع من الفطير وقدمه إلى حنا وهو يجيب على قولها السابق بعبارة مضطربة إذ يقول :

— آه ... آه ... نعم ... ألك فى شيء من

هذا الفطير ؟

فقالت الفتاة :

— أنسيت يا روين أنى لا أستطيع أن أطمع

هذا النوع من الفطير ، إنى أفضل قطعة من الخبز المادى المحمر

ومضى الفتى يتحدث فى شؤون مختلفة كالأشرطة السينمائية التى شهدتها والروايات التمثيلية التى حضرها والكتب التى قرأها . فأصفت حنا لهذا الحديث متجلدة كالوكانت تصنى إلى حديث مريض مشاكس ولكنها لم تلبث أن تنهت إلى أن روين ليس بمريض ممن تسهر عليهم . فسألته :

— متى تبدأ ياروين عمالك الجديد شريكاً أصغر ؟

فبدأ على الفتى شيئاً من الحيرة وقال :

— التمتب فى الموضوع يا حنا ... هو ...

هو أننى لن أشتغل هنا بعد الآن ، فقد قررت

الشركة إرسالى إلى نيويورك

فصفت الفتاة طرياً وصاحت :

— مرسى ! لقد كنت أصبو دائماً إلى الحياة

فى أميركا . ألا ترى يا روين أن الحياة هناك ستكون مثيرة لمواطنى ؟

ولكن روين لم يجب على هذا الكلام ، وسادت

— هل يضايقك أن أستعير هذه التسمية من
الس ميرتون ؟ فقد كانت هي التي تناديك هذا النداء
أم ترينى غلطاً ؟

فأجابت حنا وهي تجلس إلى جانبه :

— نعم يا دكتور هي التي تنادي بي بهذا النداء
فحرك الطيب العرية وهو يقول :

— هذا حسن جداً ... وعلى فكرة لقد كنت

أراك دائماً تظلين من الشباك على الطريق ...

فعمضت حنا شفتها ، وقالت في نفسها : إنه لن
يراهما في الشباك بعد الآن ، فلم تعد بها من حاجة
إلى الترقب ، ولم يعد أمر ساعي البريد لهما في كثير
أو قليل

وجرى الحديث بين حنا والطيب في أثناء الطريق
على الرصيف فقال الطيب :

— ستفاد مسس ميرتون الفراش بعد قليل ،
وقد لاحظت أن لهؤلاء الفتيات الحديثات تكويناً
عجيباً . وهي في الواقع أصبحت في غير حاجة إلى
مرضة

فقالت حنا في شيء من السكر :

— ولا إلى طيب أيضاً !

فقطب الطيب جبينه وقال :

— ولكن لا بد لي من أن أزورها بضع مرات

أخرى فالأمر كما ترين ...

ثم جلس الطيب الكلام في فمه وعاد فقال :

— آسف فقد كدت أفشى لك سراً ، وقد

طلبت مني فيث أن أحفظ به لنفسى إلى حين

فلم تقل حنا شيئاً ، فقد كانت على علم بما يرى
إليه ، فليس من المفروض أن يقع الأطباء في غرام
مرضاهم ، ولكن من ذا الذي يستطيع أن يملك
نفسه دون الوقوع في حب فيث ؟ وفيث نفسها

الجو فترة سكوت طويل عميق غامض ارتجعت له
نفس حنا ، فلم تلبث أن نظرت إلى وجهه وروبن وقد
علته حمرة الخجل ، فأدركت الحقيقة على حين غفلة
وسأله في هدوء :

— إذن كان صدقاً ما شاع عن العلاقة بينك
وبين روث يا روبن ؟

فهز روبن رأسه إيجاباً وقال :

— أخشى أن يكون ما شاع صحيحاً ، ولقد
كنت أحاول منذ جلستا هنا أن أخبرك ولكنني
كنت أجهل من ...

فقطعت حنا عليه الحديث قائلة ، وقد ملكت
عواطفها :

— ولا شك في أنك تكون أجهل من ذلك
إذا أنت تزوجت من امرأة لم تحبها . وإني لأستطيع
أن أحتمل هذه الصدمة يا روبن ؟ وأتمنى لكما
السعادة في الحياة

لأنها لعل أن تجلس حنا في ذلك المقهى نصب
الشاي لروبن متذكراً ما يحب وما لا يحبه من قوة
الشاي وقطع السكر ، وعجبت إذا كانت روث تعلم
أيضاً بهذا الاجتماع وما يجري فيه

لم تدع عين حنا من أثر الصدمة التي أصابها
ولم تمتدح على صاحبها ، واقتصرت على أن صاحته
مودعة ، وانصرفت تمشي الهويني في شارع هاى
استريت ، بينما عاد روبن مسرعاً إلى محطة سكة الحديد
ووقفت سيارة الدكتور جون على حين غفلة إلى
جانب حنا فقال الطيب :

— هل أستطيع أن أوصلك أيتها الأخت حنا ؟
فوثبت حنا إلى العربة وكانت هذه هي أول مرة
يدعوها فيها الدكتور جون ببساطة « الأخت حنا »
وتحملك الطيب لما بدا من إفعال الفتاة وقال :

والأنس ، ولحرماتها الصداقة الوفية التي بدت من
جانب الدكتور جون

فكرت الفتاة فيما عسى أن يكون المستقبل غيباً
لها ، فقد تجد عملاً عند مريض آخر وقد يكون
شيخاً مضطرب الأعصاب ، يتمها بطلباته فلا تقف
لها قدم عن الحركة طوال الليل والنهار ... فهي غير
راغبة في مناداة هذا البيت

شفيت فيث ، وجاءت ساعة الوداع فماقت
مرضتها وهي تقول :

— سأشعر بوحشة للأخت حنا ! ولا بد لي من
أن أتزوج سريعاً ، وسيكون لي كثير من الأطفال
وسأعيلك إلى بيتي مرة أخرى يا عزيزتي
فابتسمت حنا وقالت :

— أرجو أن تزوجي منه قريباً ، وإني لواقعة
من أنك تستطيعين أن تهيئيه بأجل مظاهر السعادة
فخلقت فيث بنظرها في حنا وقالت :

— أتزوج منه ؟ من هو الذي تقصدين ؟

فخلقت حنا بدورها في فيث وقالت :

— أقصد بالطبع الدكتور جون !

فضحكت فيث ضحكا عالياً متصراة وقالت :

— هل جئت يا عزيزتي ؟

فجلست حنا مندهشة وقالت :

— ولكنكم متحابان !

فهرزت فيث رأسها وقالت :

— يجوز أن يكون قد أحبني ، ولكني ما زلت

طليقة القلب ، ولا شك في أنني أعترف بأنه مليح

صفحة الوجه ، وله شعر متواج جنباً ولكنني أطلب

من الزواج شيئاً أكثر من ذلك ، وأخشى أن يكون

ذوقى منصرفاً إلى البحوث البخارية والسيارات

والطليازات وما إلى ذلك ، وإنه ليحزنني يا عزيزتي

كانت تداعبه في خلعة حتى في حضرة حنا نفسها !
ووقف الطبيب سيارته أمام البيت وقال :

— لن أدخل الآن ولكن أرجو يا حضرة
المرمزة أن تتصلي بي إذا احتجت إلى ...

فقال حنا مبتسمة :

— سأفعل يا دكتور

فقال الطبيب :

— وعلى فكرة ! أيتها الأخت حنا ...

ثم تردد لحظة عاد بعدها يقول :

— أرجو متى انتهت مهمتك في هذا البيت أن
تحضري زيارتي فسأجد لك عملاً عند مريض آخر
فأجابت في هدوء :

— أشكرك يا دكتور .

وقالت الفتاة في نفسها وهي تصعد السلم :
« مريض آخر ! لقد تبعت من المرضى والسهرة عليهم
إني لأسبو إلى النعم والخيال والحب ، وكل شيء
مثل الذي تنعم به فيث ! »

وكانت فيث الآن في دور النقاة ، فهي تجلس
وتنتقل من غرفة إلى أخرى وتخرج قليلاً إلى الشرفة .
وأدركت حنا أن أيامها في ذلك البيت قد قاربت النهاية
فلا بد لها من أن تغادر قريباً وأن تبحث عن عمل
آخر .

وبعد قليل كانت فيث في الحديقة تقود سيارتها
وتستقبل أسدقاءها ؟ وكانت حنا تحزم حقيبتها
استعداداً للرحيل .

ولم تكن الفتاة راغبة في ترك ذلك البيت الذي
كانت تنعم فيه بنوع من الراحة والسعادة على الرغم
من جناية روبن ... وستشعر بمد رحيلها بوحشة
لا تتبادها عن فيث وما يحيط بها من مظاهر الرح

محل الجدد . ولابد أنني كنت في ذلك المساء جد بلهاء
عند ما أجيئك « بنعم » ولكنني على كل حال لم أعن
ما قلت

فلم يزد الطبيب على قوله : « صحيح » وكان
صوته غاضباً وقد خرج من الغرفة وأغلق الباب وراءه
في عنف ثم اندفع إلى الدرج بهبط عليه مسرعاً .
فلحقته به حنا مسرعة فأدركته في الردهة وأمسكت
بساعدته وقالت :

— أوه... دكتور، أرجوك العفو إذا كنت
قد سمعت شيئاً من حديثك فقد كان صوتك عالياً ،
ولكني أرجوك ألا تسمي الظن فبيث، وتذكر أنها
كانت مريضة فلم تكن مالكة أعصابها ، وسيأتي
اليوم الذي تدرك فيه الحقيقة ، وأنا أيضاً أعرف
صدمة الغشل في الحب ... فأرجوك ...

وقطع الحديث صوت فيث وهي تتأدى :

— الأخت حنا ! الأخت حنا !

فأسرعت حنا في الصعود وهي تقول :

— ها أنا ذى حاضرة يا عزيزتي

ووقف الدكتور جون لحظة ينظر إلى الفتاة

الصاعدة السلم وقد بدت عليه أمارات الدهشة

ولآخر صرة سمعت حنا صوت فيث يناديها في
لهجة الهكم ضاحكة :

— أيها الأخت حنا ! يا أخت حنا ! من عساك

ترين من الشياك؟ هذا ساعي البريد يود إلينا والدكتور
جون يذهب !

فتلقت حنا بمجلة وهي ترى من غير الطبيي أن
الطبيب يغادر البيت على هذه الصورة . وقد أنساها
التفكير في الطبيب وما أصابه أمر ساعي البريد الذي

ألا أستطيع أن أمثل لك الرواية الغرامية التي تخيلتها
فظفرت إليها حنا نظرة قاسية وقالت :

— إذن كان يجب ألا تشجيه

فظفرت إليها فيث بدورها مندеше وقالت

— أشجعه ؟

— وقالت حنا وقد شمعت بصدمة من
تصرف فيث :

— نعم ... لقد كنت نحاولين أن تظهري

في أحسن صورة كلما زارك

— ولكن ما أظنك يا عزيزتي كنت تريدني
أن أظهر كما جدى العجائز للمعدنات ، والحق أن المرض
ليصبح حملاً ثقيلًا لا يطاق إذا لم يستطع الإنسان
أن يداعب طبيبه قليلاً

جزعت حنا لهذا الموقف وأدركت أن فيث

لم تكن إلا غاشية . ولكن ماذا يكون وقع هذا
الأمر في نفس الطبيب ؟ إنه أكبر جداً من
أن ينظر إلى الحب هذه النظرة الطائرة . لقد حضر
في ذلك المساء ليري فيث فلما صاحبت حنا إلى غرفتها
قال :

— أريد أن أرى الس ميرتون على انفراد في أمر

خاص فإن كان ذلك لا يضايك فأرجو ...

فاكتفت حنا بهذه الإشارة ومضت ، ولكن
صوت المتحدثين كان يصل إلى أذنيها غامضاً . وأخيراً

فتح الباب وسمعت صوت الطبيب يقول في صوت
مرقق ولهجة غاضبة :

— ولكن لماذا شجمتني هذا التشجيع كله

إذا كنت لا تقصدين إلى تحقيق ما وعدت به ؟

إني غاضب منك أشد الغضب يا فيث !

فأجاب فيث في طلاقة :

— إنك تحمل كل شيء يا دكتور جون على

— كنت أظن أن هناك مسألة شاب وخطبة
فأجابت حنا في ثبات :

— لقد كان ذلك ، ولكن لا وجود لهذا
الشاب في نظري بعد الآن ، ولقد مهد لي فرصة
جديدة للعودة إلى ماضى ، ولكننى أفضل أن أجد
عملاً آخر

فقال الدكتور جون في هدوء :

— أريد أن أعرف منك يا حنا ماذا كنت
تظنين على وجه الدقة ، فيما يتصل بالعلاقة بيني وبين
مس ميرتون ؟

فاخر وجه حنا وقالت له متلثمة ...

— ولكن ... لم تكونا ... أنت ... وهى ...

فhez الطبيب رأسه وقال :

— لقد كنت جد غخطنة في ظنك . فالأمر كله
أننى كنت أحاول إغراءها بأن تنزل عن شيء من
مالها الكثير الذى تبخره في الهواء لبناء مستشفى

قروى . وقد وعدتني بذلك ثم أخلفت الوعد

فتنهبت حنا وقالت في دهشة :

— أوه ...

فحدق الطبيب في الفتاة وقال :

— ولكن ما الذى حلك على أن تقضى غير ذلك ؟

فأجابت حنا في لهجة الجد :

— لقد كنت أنت تعلم وكنت أنا أعلم أن حالة
المريضة لم تكن تدعو إلى أن تزورها مرتين في اليوم

فابتسم الطبيب وقال :

— ولكننى لم أكن أحضر لزيارتها ، إنما
كنت أحضر لأننى لم أكن لأستطيع الانقطاع
طويلاً عن رؤية الأخت جينا الصغيرة وهى تنظر
من الشباك وديبة فتاة

وصل في ذلك الوقت ، إلى أن جاءتها الخادم بخطاب
جاء به هذا السامى

إليه خطاب من روبن ... فضت حنا غلافه
وقرأت فيه ما يأتى :

« عزيزى حنا ...

أرجو أن تغفري لى ! فقد كنت أبله سخيلاً !
فأنا أعلم الآن أنها أنت وأنت فقط ، لقد هزمت رووث
بفكرة الذهاب إلى نيويورك ، وفسخت خطبتنا ،
فهل تتفضلين بمقابلتى مرة أخرى يا حنا ، ناسية
للماضى مفتقرة لى ذنبى ؟ حبيبك (روبن)

وما أنهت حنا من قراءة الخطاب حتى سألتها
فيث عرضاً :

— أخبار طيبة يا ممرضتى ؟

فملت الحجرة الشديدة وجه حنا وقالت :

— لا أدري ... على أنى أظن أن الوقت قد

حان لندهاى

وهبطت الفتاة إلى الطابق الأول وطلبت من

« كارثر » أن يحمل متاعها في السيارة إلى محطة

سكة الحديد وخرجت إلى الطريق ماشية

وكانت الساعة ساعة العمل في عيادة الدكتور

جون سيمور ، لذلك اضطرت أن تنتظر حتى ينتهى

من عمله . حتى إذا دخلت عليه الغرفة نظر إليها

منما وقال :

— خير ؟ أرجو ألا تكونى مريضة ؟

فجلست الفتاة أمام الطبيب وقالت :

— لقد قلت لى منذ أيام يا دكتور جون إنك

مستعد أن تجد لى عملاً إذا أنا احتجت إلى ذلك .

والآن جئتك أطلب العمل

فنظر الطبيب إليها نظراً مستقيماً وقال :

تخففت حنا نظرها وقالت :
 — أوه ... عجيباً !
 ففى الطبيب يقول :
 — وكانت ترقب على ما أظن مجيء ساعى البريد
 يحمل لها رسالة من جيبها
 فقالت حنا :
 — نعم كان ذلك أول الأمر . ولكنها لم تكن
 فى الأيام الأخيرة لهم بأمر ساعى البريد حضر أولم
 يحضر . وعند ما انصرف الدكتور جون من البيت
 هذا مساء ... أحست هى ... هى ...
 ثم رفعت الفتاة رأسها ومضت تقول :
 — لقد نسيت ما جئت من أجله ، فانا إنا
 جئت أطلب منك العمل الذى وعدتني به ، فأن
 هو هذا العمل يا دكتور ؟
 فتظاهر الطبيب بأنه يفحص بعض الأوراق
 على المكتب وقال :
 — آه ... نعم ... إنها حالة محزنة حقاً . حالة
 شاب فى مقتبل الحياة ، أمامه مستقبل حسن يشر
 بالنجاح ، وبكل شيء طيب ، ولكنه يشكو من
 تعب القلب ، وكان يظن أن مرضه غير قابل للشفاء .
 ولكنك إذا توليت أمره ياغنىزنى حنا ...
 فسألته حنا فى هدوء :
 — وما اسم هذا الشاب ؟
 أجاب الطبيب :
 — جون سيمور
 فغير المثير ممدى

التأمين ضمان المستقبل

أمنوا على أموالكم وأرواحكم

لدى :

(شركة مصر لعموم التأمينات)

تحافظوا على مقتنياتكم ضد :

والنقل بأنواعه ...

كوارث الحريق ...

وأعطار السيارات ...

— هل السيدة موجودة ؟

الخدم — أية سيدة ؟

الآنسة — ...

الخدم — من حضرتك ؟

الآنسة — ...

فتردد الرجل برهة ثم تركها وخف

إلى الداخل فتاب حيناً ثم عاد فدعاها

إلى الدخول . ومشى أمامها على طنفسة بنفسجية

في ردهة صقيلة تكاد حوائطها تقى ولو لم يضنها

مصباح ، وأدخلها حجرة رحبية يشيع فيها ضياء

هادئ وردي اللون جميل ، وجلست الآنسة ففاصت

في نخل وحرر

وخرج الخادم موصداً الباب وراءه . وبعد حين

سمعت الآنسة وقع أقدام مسرعة ، وفتح الخادم

الباب إلى أقصى اتساعه ووقف ممسكاً به في احترام .

وخطرت إلى الحجرة ربة القصر ، سيدة نصف

في العمر ، قد ضمت الحسن من أطرافه مجلوه وغير

مجلوبه ، جمعت الأنوثة الكاملة الناضجة والعقل الراجح

المتقف ، في عينيها سيال خنان ، وفي فمها كنز

محبة ، يتقدمها أريج كأنه نفع من جنات الخلود

جلست السيدة والأنسة متقابلتين . قالت السيدة

بعد سكوت : « خيراً يا عزيزتي ؟ ! » قالت الآنسة

في تكرار وعثار « علمت أنكم . . . ياسيدي . . .

بحاجة إلى فتاة متعلمة لتربية الأطفال . . . فجئت ...

أطلب الخدمة ... فظفرت إليها السيدة في دهشة

وقالت : « من أنباك هذا ؟ ! » قالت الآنسة في ارتباك

ظاهر : « ... عرفته ... »

كان للسيدة أطفال قامت على تربيتهم إلى اليوم

بنفسها دون استعانة بغيريات ، فقد ارنات ألا تمهد



في أحد الأحياء المترفة بمدينة القاهرة ، وفي

طريق أفقرت من المارة في ليلة من ليالي الشتاء ،

مشت آنسة نحيفة البود ، شاحبة اللون ، تلبس على

عينها عيونات وتحمل يمينها حقيبة ثياب ، يبدو

عليها الإعياء الشديد ، وتنتظر أمامها في شبه ذهول

ووقفت الآنسة فجأة والتفتت نحو مبنى أنيق

من طابقين ومشت إلى باب سوره بخطى وثيدة

ومدت يداً نحيلة فمالجت الباب الحديدى فطاوعها

وافتح ، وأسفر عن روضة بديعة التنسيق . مشت

الآنسة إلى درج من الرخام الأملس ، على جانبيه

صفان من أصص الياحيين . وتوقفت حائرة وهمت

أن تعود ثم عدت ، ومضت ترقى الدرج في بطء

شديد كأنها تبحر بقدمها طن حديد ، ووقفت أمام

باب نغم عريض قد من أعين البلور وازدان بإطارات

لجينية . ومدت يداً مرتهجة إلى ضاغطة عاجية

فستها فاز الجرس وتلا الأزيز وقع أقدام خفيفة ،

ثم افتتح الباب وأطل منه خادم نوبي في قفطانه

الناعم ، وحزامه القاني ، وخفه للمقوف

فقرس الخادم في الطارقة المجهولة ووقف برهة

صامتاً وأرجع إلى الآنسة فوقفت هي أيضاً صامتة

ثم تملكست نفسها وقالت :

بل تقول إنها تعرف 11... « قال البك : » « أدخل على هذه الزائرة إذا سمحت » فأرسلت في استدعائها . وأقبلت الفتاة وجلة صفراء ، غياها البك متلفعا ودعاها للجلوس . ثم قال بصوته الجهوري : « من قال لك أننا بحاجة إلى مربية ؟ » قالت الآنسة : « هذا يا سيدي يحتاج إلى شرح ، وأنا متعبة جداً الآن ، وستعرفون ذلك متى بعد استخداي » فنظر إليها البك بارتياح . قال : « أتعرفين أحداً من خدم هذا المنزل ؟ » قالت : « لا » فنظر إليها بارتياح أشد . وسكت قليلاً ثم قال : « هل سبق أن اشتنت مربية ؟ » قالت : « لا » قال : « أتعرفين أحداً يمكن أن يعرفك إلينا ؟ » قالت : « لا » قال : « اسمي يا آنسة ! لا يمكننا أن نستخدم شخصاً لا نعرفه ، ولم يقدمه إلينا شخص معروف وأوجه معروفة .. متأسف ! » ودار بكرسيه ليواجه أوراقه

فنهضت الفتاة واقفة ، واغبرورت عيناها ، ونمعت نحو الباب . ثم توقفت وقالت : « أيمكنني يا سادتي أن أبيت هنا الليلة ؟ » . فنظر البك محرجاً ثم قال : « أليس لك مسكن ؟ » . قالت : « لقد طردني أخي » وأجهشت بالبكاء . قال البك : « من هو أخوك ؟ » فلم تجب . قال : « أليس منك نقود ؟ » فلم تجب . فأخرج من جيبه نقوداً ومد يده قائلاً : « خذي هذه واقضي الليلة في فندق ... و ... تعالي إلى في الند ، وأنا أنظر في أمرك » . فأبت الفتاة أن تأخذ النقود وغادرت الحجرة

عندئذ نادى سيده الدار قائلة : « إدريس ؟ » . فجاء الخادم النوبي . قالت : « لا تدع الزائرة تخرج ... أدخلها حجرة الاستقبال ... أغلق الباب » . ثم التفت إلى قربنها وقالت : « ماهذه القسوة يا عزيزي !

إلى غيرها بأول واجباتها وأسمى وظائفها . ولكن حدث أن دعيت للاشتراك في جمديات نسوية فلبت داعي الجهاد في ميدان النفع العام . ولم يكن ذلك في البداً ليشغلها عن أطفالها ، أو يستغند من وقتها إلا يسيراً . ولكن نشاطها الاجتماعي نما وتشعب ، وصار يشغل من وقتها بضع ساعات في أكثر الأيام تضطر فيها إلى ترك بنيتها في رعاية خادمات جاهلات . لذلك رغبت في استخدام مربية متعلمة تتفهمها بعناية وتشرف على عملها ما استطاعت .

أما موضع الدهشة فهو أن هذه الرغبة لم تخطر ببالها إلا يوم أمس ، ولا يعلم بها أحد سوى قربنها الذي لم تقاومه فيها إلا ليلة أمس ، ولم يتفقا بعد على التنفيذ . فمن أين جاء الفتاة عليها ؟ ! كررت السيدة على الآنسة السؤال ، ولجت الآنسة في الارتباك .

قالت السيدة : « اسمحي لي ... برهة ... » ثم غادرت الحجرة ، ودخلت على قربنها في حجرة مكتبه ، وهو مكب على أوراق يستمرضها ، فقد كان مديراً لشركة هندسية وزعيماً اقتصادياً كبيراً .

قالت : « عزيزي ! ... هل أعلنت عن حاجتنا إلى مربية ؟ » قال : « لا » قالت : « ألم تخاطب أحداً في هذا الشأن ؟ » قال : « لا » قالت : « شيء غريب ! ! » قال : « ماذا ؟ ! ! » فروت له حديث الفتاة .

فتبسم البك وقال : « لا بد أنك حادثت أحداً في هذا الأمر ولا تذكرين » فهزت رأسها بالنفي المؤكد ، وكان البك يعرف أن قربنته تمنى دائماً ما تقول .

قال البك : « لعل الآنسة طرقت بابنا مصادفة للسؤال عن عمل » قالت : « إنها لم تسأل ...

جثت السيدة بجوار الآنسة تغلب فيها وتحبس
نفسها ، ووقف البك لا يفعل شيئاً . بل لقد خطر له
أن الأمر كله رواية مدبرة وهيناً فصل منها . قال
إدريس : هل أدعو الإسماعيل ياسيدي الباشا ؟ .
(والباشا) هو اللقب الذي اعتاد إدريس أن يمنحه
لسيده . فلم يجبه سيده بشيء ، وأشارت إليه سيدة
أن احملها ، وتقلوها إلى حجرة نوم ، وطفقت السيدة
تسمعها بما في مقدورها دون أن تفتيق

قال إدريس : « هل أدعو الإسماعيل ياسيدي
الحامم » . قالت سيدة : « لا... بل استدع الدكتور
فلان ... بالتليفون ... أسرع ... »

وحضر الطبيب ، فلما فحص المريضة هن رأسه
في بأس ، ثم طفق يعالجها بالحقن والأشربة القوية
والنهنات والتدليك وهكذا طويلاً دون أن تفتيق .
قال الطبيب : « لا أمك يا سادتي أن أمكث
أكثر من ذلك ، ولكن أرى المريضة بحاجة
إلى عملية فنية متواصلة مما لا يتيسر إلا في مستشفى ،
وحيث أنها زائرة مجهولة لكم فالرأي عندي أن تنقل
إلى قصر العيني بواسطة الإسماعيل »

فتقدم إدريس ليلقي الأمر باستدعاء الإسماعيل .
ولكن الطبيب مضى يقول « غير أني أمارحكم
القول بأن نقلها شديد الخطر على حياتها . والحل
الأخر هو أن أذهب أنا ، وأبعث إليكم بجمرة
مزودة بما يلزم من التلميحات والأدوية تقهر عليها حتى
الصباح » قالت السيدة : « ليكن ذلك يا دكتور »
وذهب الطبيب ، وجاءت الممرضة .

وهم السيدان بالخروج إلى الفراش فقالت الممرضة
« أرجو ياسيدي الحامم أن يكون أحد الخدم على مقربة
منى طول الليل ، فقد احتاج بعض أشياء » قالت

فتاة ضعيفة ، نحيلة الجسم ، رقيقة الثياب ، مشردة
في هذه الليلة الباردة ، تهيب بنا أن نؤسها ، فندفع
بها إلى الشارع ولدينا سعة لبيت عشر مثلاً ؟ »
قال قريبها : « مراك يا عزيزي ! ألا ترين في أمر
هذه الفتاة ما يدعو إلى الريبة ؟ نحن لا نعرف من
أمرها شيئاً ألبتة ، وهي تأتي أن تقول أي شيء عن
أمرها ، وكل احتمال بشأنها جائز عندي . وحتى
لو صدق ما قالت من أن أخاها طردها فأكبر الظن
أنها أنت أصرأ إذا حل أخاها على طردها في هذه
الساعة من الليل »

قالت : « قد يكون شيء من ذلك . ولكن
ألا يجوز أن الفتاة سليمة التية ؟ »

قال : « هذا جائز أيضاً . ولذا قدمت إليها تقوداً
لتأوي إلى فندق ، ودعوتها للعود في الغد لأتريف
أمرها في فسحة النهار » . قالت : « قلبي يحدثني أن
هذه الفتاة تستأهل العطف . إن لي حاسة سادسة
تمكنني من الحكم على الأشخاص حكماً صحيحاً دون
استدلال منطقي » . فتبسم البك وقال : « أنا
يا عزيزي لا أعرف شيئاً عن هذه الحاسة السادسة ،
وليس لي إلا خمس حواس فقط بعضها في غاية البلادة
وليس لها جز مثلي إلا التحويل على المنطق والمقول .
أنا لا أرتاح مطلقاً لبيت هذه الفتاة هنا الليلة »

وفي هذه الاظلة أنبث من الردهة صوت رضى
ثم طرق باب الحجرة بلهفة ، وفتحه الخادم لإدريس
قبل أن يؤذن له ، وصاح : « النجدة ياسيدي ... !
الزائرة سقطت في الردهة مشتبهاً عليها »

فنهض السيدان وخفا إلى الردهة . ومشي إدريس
في إثرها يقول : « دعوتها إلى حجرة الاستقبال
فأبت ، وظلت واقفة ، ثم سقطت هكذا »

ولجأة وضع الباشا قدحه في الطبق قائلاً :
 « تذكرت ... تذكرت تماماً ... أنترف يا سيدى
 البك فلانك الأديب الشاعر الذى توفى منذ بضع
 سنين ؟ ... جاء إلى عيادتي ذلك الرجل الفاضل رجة
 الله عليه ، منذ نحو عشرة أعوام ومعه ابنة له في نحو
 الخامسة عشرة ، وقال إنها مصابة بمرض عصبي ،
 ففحصتها ، فلم أجدها مرضاً عصبياً ، بل وجدت
 ضمناً عاماً فقط ، وعالجتها حتى شفيت ، وكان اسم
 الفتاة عذرية ، وهى هذه بيننا ، فقط كانت تليس
 على عينيها عيونات » فأشار رب الدار إلى عويناتها
 وكانت على نضد بجوار الفراش

وتعجب الجميع من هذه المصادفة

قال البك : « وما الذى حل أياها على الظن بأن
 مرضها عصبي ؟ » قال الباشا : « سألته في ذلك ،
 فقال إنها تذهل أحياناً ، ثم يبدو كأنما حجب الغيب
 تكشف أمامها ، فتقول مثلاً : إن فلاناً قريبنا في
 مكان كذا يعمل كيت وكيت ، أو ترشدنا إلى شيء
 نبحث عنه ، أو تنصحننا في بعض الأمور » قال :
 « فطلعت الزجل وأفهمته أن مرضها قد زال ،
 أما هذه الحال فلا خوف منها وهى طبيعية »

قال البك مندهشاً : « ... طبيعية ! »

قال ألباشا : « نعم . هى خاصة نفسية معروفة ،
 تنجلي واضحة في بعض حالات النوم المضططبي ،
 وتنشأ ذاتية عند بعض الناس ، ويمكن إزهاؤها
 بالتصوف ، وقد عرفت في كل المصور ، وبلدت
 أوجها في الأتنياء »

قال البك : « اغفر تطفلي يا باشا ولكنى بحاجة
 إلى زيادة إيضاح »

قال الباشا : « أنت تعرف يا سيدى البك أن
 ماندركة بنحو اسنانا الحس وبالأجهزة العلمية التى اخترعت

الحام : إدريس ! إمسهر مع السيدة إلى الصباح ،
 وتناولها ما قد يلزم » ثم انصرفت .

ومضى إدريس مهموماً ، فجاء بكرسيه الخشبي
 ووضعه على باب الحجر ، وهو يزجر بلهجته التوبية
 قائلاً : « ليلة طويلة بتاعتو . جاي منين البلاوى دى »
 وأصبح الصباح فبادرت ربة الدار بالسؤال عن
 المريضة . قالت الممرضة : « إنها كما هى ، ولكنها
 تنهت بضع دقائق أثناء الليل ، فأردت أن أحادثها
 فلم أجدا ما أقول إلا السؤال عن اسمها ، فقالت إن
 اسمها عذرية ، وهو اسم لم أسمع به قبل اليوم يا سيدتى
 الحام » .

وفي مساء ذلك اليوم اجتمع بحجرة المريضة
 ربا الدار ، والطبيب . قال الطبيب : « إني متحير
 في مرض هذه الآنسة ، وأرى عرضها على فلان باشا »
 وأسمى نطاسيا مشهوراً ، وأستاذاً كبيراً . فوافقت
 ربة الدار على استدعاء الباشا ، وأصرت عليه .

وجاء الباشا ، فلما فحص المريضة قال « هبوط
 عام ، ولكنه ليس خطيراً ، وسأصف لها دواء أعتقد
 أنه سيسفيها » وبينما هو يكتب الدواء رنا إلى الآنسة
 وقال : « لقد رأيت هذه السحنة مرة ، ولكنى
 لا أذكر متى ولا أين » وأنهم وصف الدواء ، ثم سأل
 عن اسم المريضة فقالوا : « عذرية » قال رب الدار
 « اسم غريب بإسعادة الباشا » قال الباشا : « نعم
 غريب ، ولكن الأغرب منه أنى سمعته مرة ورأيت
 هذه السحنة مرة ، ولكنى لا أذكر متى ولا أين »
 وطفق يفرك جبهته مكرراً « متى ؟ وأين ؟ » .
 ثم قال « لا أذكر » ونهض مستأنفاً في الخروج .

ورجاه رب الدار أن يتناول القهوة ، وكان
 الخادم قادمًا بها ، ثم جلسا يتحدثان في
 شئون عامة .

أخي » ومضت تقول : « لما توفي أبوك كنت في مرحلة التعليم الثانوي ، وكان أخي قد نال شهادة عالية وألحق بوظيفة حكومية هامة ، ولم يترك والدي أي مال ، فانقطعت عن الدرس ، وعشت من مال أخي في منزله . ثم وسوس الشيطان لأخي فبدأ يستغل سلطة وظيفته في الحصول على منافع مادية ، وأحسست إحساساً خفياً بأن الرزق غير نقي ، وكان والدي منذ وفاته يتمثل لي في بعض غفواتي وأشاهده مشاهدة أشد وضوحاً من مشاهدات اللحظة ، وجاءني أبي يوماً فقال : « نبه أخاك إلى سوء المصير الذي ينتظره إليه . إنه سيفتح من بطش القانون في حياته الدنيا ، وهذا من سوء حظي ، فالويل الذي ينتظره في آخره لا يوصف »

قالت : « قابلت ذلك لأخي حرصاً على حاله ولكنه غضب ، وحقد عليّ حقداً شديداً ، وتغيرت معاملته لي . إلى أن كان فجر اليوم الذي جئتكم فيه فتمثل لي أبي وأخذ يبدى ، وقال : « تعالى ممي » ثم أحسست أننا ننقل ، وإذا بنا نحلق في أجواء منمبشة ، وأنوار بهيجة ، ونشرف على رياض ناضرة وأنهار صافية ، ومساكن طيبة ، ومشاهد لا تصور جمالها ريشة أي فنان ، ولا تتساق إليها أحلام أي شاعر ، وثمة رجال ونساء كلهم في ميمة العسايا ، وعلى أقصى غاية الجمال . قال أبي : « هنا الفردوس ، — وإلى هنا يأتي كل من قضى حياته الدنيا عاملاً لإسماد البشر ، ساعياً بنفسه وبهم إلى التسلية . إلى أقيم هنا يا ابنتي ، وما كنت أحلم أن جهودي للتواضعة تستحق عشر معشار هذا الأجر » قلت : « يا أبي هذا العالم حقيق محسوس ، وهو موجود في سماء الوجود ، فما بالنا على الأرض ننظر فلا نراه ؟ » قال : « إنه في الأنثى . إن كل أشياء هذا الكون

في مدى قرنين أو ثلاثة ، لا يمد قطرة في محيط هذا الوجود ، فاعلم يا سیدی أن في الناس شواذ يستطيعون الحس ببعض ما لا تدركه بالحواس ولا بالأجهزة العلمية المعروفة حتى الآن ، كأنما وهب هؤلاء الناس حاسة سادسة أو امتداداً في حواسهم الحس »

قال البك : « إن قولاً كهذا من عالم كبير مثلك يا سیدی الباشا يفتح الباب واسماً أمام الدجالين والشعوذين » قال الباشا : « إلى أفرک علی هذا مع الأسف الشديد ، فإعاء هذه الخواص للتبرير بالجمهور أمر ميسور ، والذين يرتزقون من هذا السبيل في مجموعهم محتالون أدعياء ، ولا حيلة إلا أن يبطش بهم القانون بلا استثناء » قال البك : « ألا ترى أن الأولى إنكار هذه الخواص كية لقطع السبيل على الدجالين ؟ » قال الباشا : « قد يكون ذلك ولكن الحقائق الباقية لا تنكر ؟ ثم إن إنكارها للحماية الناس من الدجل قد يجر إلى ما هو شر من الدجل فهو يمهد للهزة بكرامات الأولياء واعتبارها خزعبلات ، ثم إلى إنكار النبوة نفسها واعتبارها دجلاً ، ثم إلى الإلحاد المطلق »

قال الباشا ذلك ونهض مستأذاً ، وودعه رب الدار إلى سيارته بالتجلة

تمت المريضة الشفاء بسرعة بفضل دواء الباشا وتولت مهمتها في المنزل كريمة ، وأنس أهل البيت فيها الدماء وسحو الخلق والتغوى ، فازدادوا اطمئناناً إليها يوماً بعد يوم

قال البك ذات يوم لقرينته : « ألم تروك الآنسة شيئاً من ماضي حياتها ؟ » قالت السيدة : « لم أفتحها في ذلك فقد يكون فيه ما يؤلمها » فاستدعاه البك وقال : « نحن لم نهمل عليك سوءاً فما الذي أغضب أخاك عليك ؟ » فاطرقت الفتاة قائلة : « عفا الله عن

حالا أفضل من حاله فيا لطول حسرتة وعذابه وبعد الشقة التي تنتظره حتى يصعد إلى أرض النعم»

وأشار إلى ناحية وقال: «أنظري هنا يقبع الذين كانوا يرتشون ، يخونون الأمانة ويفسدون الخلق ، ويمطون الحقوق لنير أربابها ويفوتونها على أمحايها . وأشار إلى أحدهم فرأيت يطم خده ، ويمزق جلده ويقطع شعره ويكي بدمع سيخين ويندب قائلاً: «ويلي ! ويلي ! والله لو أوتيت ملء الأرض ذهباً لافتديت نفسي به ولو ساعة واحدة مما أنا فيه»

ثم أخذ بيدي وأحسست أننا نصعد ، وإذا في حجرتي ، قال أبي: سأتركك الآن على أن تصفي لأخيك مارأيت . إن كلامك قد لا يفيدك ولكن افعلي ... ثم اخنق وعدت إلى نفسي

قالت الأنسة : فانتظرت حتى عاد أخي في المساء وقصصت عليه ما رأيت . فمبس وبسر ، ومن على إعالي وإطماي ، وأقسم عينا غليظة ألا أمكث في منزله بعد ذلك لحظة واحدة . فجمعت ملابسي وخرجت حائرة لا أعرف أين أذهب . وإذا بهاتف يقول : أنظري أمامك ، فنظرت فرأيت هالة من النور ، قال الهاتف : تنبئ هذا النور ، فتبته حتى صرت أمام هذا المنزل ، وافقتدت النور فوجدته على باب سور الحديقة ، ثم سمعت الهاتف يقول : «ادخلي هنا فهم بحاجة إلى مربية أطفال»

وسكنت الأنسة ثم أطرقت وعينها تدمعان فمضت الشهور والسنوات والأنسة كأنها فرد من أفراد الأسرة وأحبها كافة من بالزل ، حتى أن إدريس نفسه بدأ يشمر نحوها بحب واحترام خالصين . ولم يعد يسميها «البلاوي» بل تعلم أن يقول «السيدة عذرية»

عبر المفتي على صدين

حتى المسادة التي تحسونها إنما هو موج في الأثير ، ولكنكم لا تحسون إلا صغفاً واحداً من الموج وهو المادة

ثم أخذ بيدي . وأحسست أننا نهوى في سرعة وإذا بنا على أرض جرداء لا تبت فيها ولا شجر ، مظلمة الأجواء ، فيها أكوخ عاطلة من كل زينة ورجال ونساء عليهم سبا الفقر والقنوط ، قال أبي : «نحن بالقرب من سطح الأرض ، وإلى هنا يأتي الذين لم يهتموا في حياتهم الدنيا بغير نفوسهم ، ولم يصب العالم منهم خيراً ولا شراً . إن حوامهم الروحية ميتة ، وكياهم الروحي كثيف» قلت : «وهل يظنون هكذا ؟» قال : «نعم . إلا من بدأ يشعر بما فوت على نفسه من فرص فيعوضه الندم وتحرقه الحسرة ، وهذا الذباب يوقظ من خواسه الروحية ، وينقص من كثافته ؛ فيرتفع في بطء وعناء إلى عالم النور»

ثم أخذ بيدي ، وأحسست أننا نهبط ، ولكن في صعوبة وبطء ، فقد كان الجو كثيفاً قائماً وازداد الجو كثافة وقاماً ، وصار حاراً كريهاً خائفاً لا يطلق قال أبي : «أمنع النظر» فإذا بي أرى أشباحاً صروعة ، ليس فيها من الصورة الأدمية إلا أثراً ، وجوه شوها وأطراف طويلة وعيون جاحظة وأجسام من ظلام ، فيها التمزج حتى التكور والأخف حتى المظلم . قال أبي : «هنا الذين اجترحوا الشيئات قد رسبوا إلى الحضيض ، وحشدوا معاً ينهش بعضهم بعضاً ، ويسخر بعضهم من بعض ، ويوسوس بعضهم إلى بعض وإلى من على شاكلتهم من أهل الدنيا . أكثرهم لا يؤمن بالله ، ويعتقد أن ليس في الوجود إلا هذا الذي هو فيه . أما من أحسن منهم بخيئته وبواره ، وأدرك أن في الوجود

خارجي بابا اصيفهاني

لِكَاثِ الْاَيْلِيَشِيْزِيْ جِهِنْ مُوَر
بِقَلَمِ الْاَيْسَازِ عَيْنَا الْطَيْفِ الْاَيْسَازِ

الفصل الخامس والستون

تجارة الغموسين . باب ابن عثمان أغا

كان منزل عثمان أغا يقع في حارة ضيقة تتصل بالشارع الموصل إلى سوق من أكبر الأسواق في المدينة، ورأيت أمام باب المنزل كتباً من القاذورات عليه عدد من الدجاج وبعده كتيب آخر عليه كلاب صغيرة تحرسها أمها، وكان غواء هذه الأجزاء خليفاً بأن يمنع الطائفة والهدوء عن النفس، وبين هذين الكتبيين باب منزل عثمان أغا الذي دخلنا منه، وكان المنزل بناء صغيراً يحتوي على حجرات قدرة لا أثر للنظافة فيها ولا يَمُ شكلها عن نعمة وتراء . ولم يكن لدى من المتاع غير سجادة صغيرة فانتقلت من المكان الذي تولت فيه إلى منزل الأغا، وجعلت مقاي في ركن من أركان حجرته الخاصة ووضع هو فراشه بجانيه ونام بجوارى

ولكي يحتفل في عثمان أغا ذبح لي كبشاً وسواه وأحضرت لي صحناً من الأرز وأضاف إلى ذلك بلحاً وجبناً وبصلًا، وقد جهزت ذلك الطعام زوجته نفسها وابنتها تساعدها جارية ليس في المنزل سواها من الخدم، ولم أكن إلى تلك اللحظة قد رأيت واحدة منهم إذ وصلنا إلى المنزل في الظلام . ولم يكن من حسن الخلق أن أسأل عثمان عمن إلا بقدر ما يسمح هو بإخباري

وشاركنا في المأدبة تاجر جلد دعاه عثمان أغا للحضور، وكان قد عرفه في رحلته في بخاري . ودار الحديث في الشؤون التجارية التي كنت أجهلها ولذلك لم أشترك فيه إلا ما ندر، فرغم إرادتي الشديدة في التحدث مع الرجل عن تلك الشؤون اكتفيت بأن أنصت إلى كل ما يقال، وجلست أسمع مناقشة في التجارة تدور بينهما وقد حذراني من الاتجار في الجلد وشجمني على شراء الفلايين للتبغ لأن سوقها في ارتفاع ولأنه لا ينتظر هبوط أسعارها

انتهت الوليمة وذهب الضيف وقد شغلني ما سمعت حتى لم أعد أفكر إلا في الفلايين وفي الاتجار بها . وجلست طول اليوم في ركن هناك أحسب كم غليوناً تبتاعها طوماناني وكم أربع من ييمها في الأستانة . وحين وصلت بخاني إلى تلك الثروة التي سنهبط على من تجارة الفلايين قلت في نفسي : « ما أربحه منها أبتاع به تيناً من أزمير وأذهب به إلى أوروبا، وهناك أبيعهم بأثمان باهظة أحصل منها على ربح وافر، ثم أشتري طرايش أجعلها في القاهرة وأبيعها هناك فيجتمع لدى مال كثير أضفه في أكياس وأذهب به إلى الحبشة فأشتري منها عبيداً وإماء أبيعهم بأثمان غالية في اليمن ومنها أشتري بنا وأعود به إلى إيران فأناول ربحاً كثيراً ثم أستريح في موطنى الأصلي إلى أن أتمكن من شراء منصب من مناصب الدولة قد ينتهي بي مع الزمن إلى رئاسة الدولة في حكومة ملك الملوك

وحين رتبت أموري على هذه الكيفية شرعت في تجارتي بمزعة ونشاط، وبعد أن تخيرت أحسن

الطرق وأفضل الوسائل تماقت مع خطاب على أن يذهب إلى جبال «لور» وهناك يجد غابات من شجر يصنع منه الغلايين فيختير منها أصلحها ثم يمود إلى بغداد حيث تجهز وتصنع لها الملباس وتصدر إلى تركيا وعلى هذا النظام سرت ولكن في أثناء انتظارى رجوع الخطاب أصبت بمرض لا يسلم منه المقيم في بغداد فضلك عن الغريب الزائر، وانتهى في ذلك المرض إلى قرحة حين تجف تركت ورامها أترأ خبيثاً في الجلد يطلقون عليه اسم «أخت بغداد»

وكانت قرحتي في وسط الخد الأيمن فوق نهاية شعر اللحية. وهناك تركت أثرها الخليل بعد أن نجلت جزءاً من الشعر وترك بقعة قبيحة الشكل زرية المنظر. وحملت تلك البولي بصر وجلد رغم ما كنت أشعر به أحياناً من الضيق على القدر والحدق على الحظ لاختيار ذلك المكان من وجهي وكان لها أن يختاراً من جسمي أى مكان آخر. ثم نهدت وقلت لنفسى: «فليكن ما أراد الله؛ فلو خير كل حجر لاختار أن يكون ماساً، ولو استشير كل رجل في مكان قرحته لما رأيت وجهاً قبيحاً في بغداد

ثم عزيت نفسى قليلاً بأن وجه عثمان أنا لا يمدله وجه في الدامة والقيح رغم أن قرحته لم تصبه في وجهه. وقد سر عثمان أنا من مصيبتى بدلاً من أن

يعزبنى ويشاركنى في الألم فقد قال لى: «إنما لم يصبك في حياتك إياحى بابا غير هذه القرحة في وجهك فدها نعمة من الله. ثم لقد شوّهت نصف الوجه ولكن النصف الآخر بقى سليماً بحمد الله»

قلت في نفسي: «بئس هذا الرجل! إن قبيح الصورة لا يطبق رؤية الحسن كما لا يطبق خيار الناس أشرارهم»

ورغم ما أصبت به في وجهي من التشويه فقد رأيت أننى أصبحت فتنة في نظر «ديلارام» وفي قلبها. و«ديلارام» الجميلة هذه هى ابنة عثمان أنا التى لم تترك وسيلة إلا ابتغتها لتفهمى شعورها بحوى. وكانت هى وأمها على دراية تامة بعلاج هذا المرض الذى أصبت به، فأخذتا تفتيانى في وعمر زائنى وكأنا كانت قرحتي وحيد ديلارام لى. كأنا كان الأمران على موعد فقد ظهرا معاً وتقدما معاً. وفي الوقت الذى بلغ فيه مرضى أشده بلغ حب ديلارام درجة لا تطاق. والحق أقول إن عدوى ذلك الحب لم تصبني إذ كانت فانتقى صورة صحيحة من والدها وكنت لا أستطيع أن أميز وجه أحدهما من وجه البعير. وكنت كلما نظرت إلى وجه «فانتقى» انقبض صدرى وتداغت إلى غيائى الأفكار السوداء. ولذلك تلتقيت خبر اجتماع القافلة للذهاب إلى القسطنطينية بسرور وانشراح. وجمعت غلايئى وربطتها ودفعت أمتانها واشترت ملابس السفر. وكم كان سرورى حين أعلن أن القافلة ستتحرك عند أول فرصة. مسكينة تلك الفتاة ديلارام! لقد جعلت تنظر إلى خدى المصاب نظرة يأس، وما كاد يذهب الورم عن خدى وفك آخر الأربطة عنه حتى حسبت أنها فكت كل قيد كان يمنهما من الابهتاج والسرور

الفصل السادس والستون

في طريق القسطنطينية

بدأت القافلة مسيرها في طريق القسطنطينية في صباح يوم من أيام الربيع وجلست فوق حمل من أحمالي وسأرتها حولى، وكنت أنظر إلى القافلة نظرة ارتياح وأسنى إلى أجراس البغال كما لو كنت أصنى إلى نغمت الزمار

موطنى الأصلى فإذا فى أرى ما لا عداد له مما يضل
النظر فيه . ولئن كانت أصفهان نصف الدنيا فهذه
المدينة هى الدنيا بأجمعها ! وأين من هذه المباني الفخمة
مباني أصفهان ؟ هنا مباني مقامة على ساحل مترج
جميل وهى تطل على الماء الأزرق الزجاج ، وهناك
مبان أحاطت بها الجبال الجرداء

ولا اتساع المدينة وبجالتها ووقوعها على ضفاف
البحر تظهر كأنها منمكسة على سطح مرآة فيتضاعف
اتساعها ويكثر رونقها وبجمالها . ولئن أردت وصف
كل ما فى المدينة من جمال يسحر النظر ويحلب القلب
فلست بمتمته أبداً ... آلاف من القوارب المختلفة
الأشكال والأحجام تسبح على سطح الماء ، وبوارج
لساريلتها شكل الناقة ملأت ذلك الرفأ الجليل وجعلت
للبناء شكلا رهيباً

قلت لواحد ممن كانوا حولي : « والله هذه جنة
فليتني لا أفارقها ! » ... غير أنني ما فكرت فيمن
بأيديهم هذه الجنة ولا فى المداواة التى بين قوى
وبينهم ؛ ولما فكرت فى ذلك ذكرت أنهم قوم
لا تصلح لحام مكانس لأبناء وطني، وشعرت بتزلى
العظيم وبوضى من قدر نفسى باختلاطى وإقامتى مع
هؤلاء القوم . وخرجت من تأملاتى بتمزية واحدة
تمزيت بها ، وهى أن هؤلاء القوم الذين أراد الله أن
يتمتعوا بتلك الجنة ويمرحوا فى جنباتها فى هذه الدنيا
لهم يوم رهيب تصطك منه الفرائص وتنخلع من
هوله القلوب وهو آت لا ريب فيه

بعد أن انتهينا من الأعمال التى لا بد منها
فى الجرك دكبت أنا وأصحابي زورقا ألقنا من
أسكوئارى إلى دار السعادة وتزلنا بمتاجرنا وأمتعتنا
فى خان يؤمه تجار إيران واقع فى الجزء المتوسط من

وكان فراشى معقوداً إلى سرجى وقد حسبت
نفسى تاجراً عظيم القدر مغبوط الحال . ورافقتى
فى رحلتى عثمان أنا وصاحبه تاجر الجلود البخارى
الذى تشرفت بلياقه فى الوليمة وتاجر أو تاجران من
تجار بندگان . ورأيت فضلاً عن هؤلاء كثيراً من
مواطني من بلاد مختلفة يقصدون إلى الآستانة فى
أعمال تجارية وفيهم من كنت أعرفه من قبل
وكانت قصتى مع المرحوم شيخ العلماء قد نسبت
تماماً ؛ وقد جعلتني ملايبى التى اخترتها لهذا السفر
والمرض الذى أصاب خدى أظهر بمظهر أهل بندگان
حتى لم أعد أخشى كثيراً أن يمس شكلى على أنى
إيراني . ولا أريد أن أنسب القارى بوصف مسهب
لما حدث أثناء مسيرنا فى تركيا وهو يتلخص فى خوفنا
من اللصوص وزناغنا مع البغالين وتزلنا فى الخانات .
ويكنى أن أقول إننا وصلنا إلى مقصدنا فى سلام، غير
أننى لا أستطيع إخفاء شعورى عند مشاهدتى
للآستانة

إننى كلما برأى أصفهانى كنت معتاداً أن أحسب
بلدى الأصلية خير بلاد العالم وأرقاها فلم يخطر ببالى
قط ولا دار يخطئى أن بلدة أخرى يمكن أن توازن
بها حتى لقد كنت أمحك مستهزئاً بمن يصف عاصمة
أزفروم بما يفوق بلدى حسناً . ولكن أية دهشة
استولت على وأى ذهول شملنى حين رأيت لأول مرة
تلك المدينة الضخمة

كنت أحسب أن مسجد أصفهان الشاهانى
المبني فى الميدان الأكبر أضخم مباني العالم وأحسنها
فإذا بي أرى هناك مائة مسجد أعظم وأخبر مما كنت
أحسب وكل مسجد يفوق الآخر حسناً وبهاء
لم أكن أظن أن مكاناً أوسع وأرحب من

عن صداقة الأتراك؛ ولكن مواطني من الإيرانيين كانوا فضوليين وكانوا يشعرون بالإهانة عند أقل إعراض عنهم فلم يلبثوا حتى عرفوا من أنا ومن كنت . ثم جعلوا ينظرون إلى نظرة لا تنطوي على شيء من الاحترام . وعلى أية حال فقد أجهت أن أعيش على وفاق معهم ، وتركوني أسلم من شرهم ما دمت لا أنازعهم في أي شأن من شئون التجارة وكنت أعلن عن نفسي في محال اللو العامة أنني من أغنياء بغداد وقد أكد قولي وأبسه ثوباً من الصحة أثر اللة التي اتباني والتي كنت أعدها مصيبة عظمى قبل أن أجن بسببها الرح

ولم أجد أسهل من غش الأتراك وخداعهم بالظاهر الخارجية ، وحاكيهم في سكوتهم وقارم وفي سلوكهم الهادي الرصين حتى وفي مشيهم البطيئة وألفاظهم المرتبة ، وقد رجوت أن اتقن كل ذلك في وقت قصير حتى إذا ما تم لي ذلك اندمجت فيهم وكنت أكثر من ذكر الله بصوت خافت ضعيف ومن عد المسبحة حتى كنت أستقبل في المقهى الذي كنت أرتاده بكل احترام وتعظيم

وكان صاحب المقهى يصنع قهوق بيده ويصحبها بحركة فنية ولم ينس مرة أن ربح بي ويلبني بلقب أنا . وقد بلغ من نفوذى على القوم وعظم قدرى في نفوسهم أنه إذا حدثت مناقشة حادة أو جدال عنيف في المقهى عن الخيل أو الكلاب أو السلاح أو التبغ (وهي الأشياء التي تدور حولها مناقشاتهم) كان يشار إليّ بإلبنان ويكني أن تلفظ شتاتى كلمة « نعم » أو « لا » لكي أنهى الجدل فيمود الحديث إلى ما كان عليه

المدنية وعلى مقربة من أسواقها ، وقد شعرت أنني ضئيل لا قيمة لي عندما فكرت في أنني لست إلا فرداً واحداً بين تلك الجموع الهائلة التي تنساب في طرق المدينة ليل نهار من غير انقطاع ، وحين شاهدت النفائس الغالية تملأ المخازن ، والملابس الفاخرة يرتديها كل ساكن ، والتبلاء والأغوات على صهوات الجياد المظلمة لا يتقطع لهم مرور ولا يقف لهم تيار ، وتهدت مجدناً نفسي : « أين من عظمة القسطنطينية وجلالها وأبتها وغناها فقر إيران المدقع وفاقها الشاملة ؟ »

ثم استأجرت مع عثمان أعا حجرة في الخان الذي أودعنا فيه بضائعنا وجعلت أثناء النهار أفرش غلابني على أحد الأرصفة ، ولجودة بضاعتي ورخص أثمانى أخذت أبيع كيات وافرة وأحصل منها على ربح عظيم ، وجعلت لسأ رأيت المال يعود إلى جيبى ثانية أمتع نفسي بملاذ لم تكن تخطل لي على بال من قبل : جلت نفسي بملابس أكثر حسناً وهنداماً وابتعت شباكاً جيلاً ونجمرت بشال له ألوان زاهية

واشترت كيساً حريراً للتبغ ولبست حذاء أصفر لامعاً وحملت خنجرآ له ريق يحطف الأبصار كنت محاطاً بكل ما يدعو إلى الإنفاق ويفرى بالتبذير ، وبدأت أنظر إلى ما في الحياصة من مباحج وملاذ - نظرة المتعلق المشغوف؛ وكان بالمدينة محال كثيرة أستطيع أن أظهر فيها أمام الجماهير بشكلى الأنيق ولم أحجم عن ارتياد المقاهى الفاخرة بالناس أجلس على دكة عالية وأتسكى على وسائد ناعمة وأدخن في غليونى وأرتشف القهوة كأحد أفراد الطبقة العليا وقد علمتني الحوادث وما قاسيت في إيران أن أحضر أبناء جلدتى وأجنهم فتجنبتهم وجعلت أبحث

الفصل الخامس والستون

حادثة جاجي بابا مع أرملة الأُمير

ظلت أعيش كما وصفت مدة من الزمن إلى أن لاحظت في ثلاث ليال متوالية حوالى الغروب أثناء خروجي من المقهى أن امرأة عجوزاً تقف في ركن من زقاق ضيق تجاه المقهى وتحدق في وجهي وتظهر عليها الرغبة في محادثتي، وكانت بين كل آونة وأخرى تنظر إلى نوافذ المنزل الذي اتخذت بأسفله المكان الذي تقف فيه ثم تدعى بعد ذلك أُمير في طريقى . لم أعرها شيئاً من الاهتمام أول مرة فإن وقوف سيدة عجوز في ركن من أركان زقاق صغير ليس بالأمر الذي يدعو إلى الاهتمام أو الملاحظة، ولكنني دهشت في المرة الثانية وانتهت إلى نفسي، وأثارت المرة الثالثة عجبى

ورببني، وصحمت في رابع ليلة إن أنا وجدتُها في مكانها أن أعرف مقصدها . وعلى ذلك لبست أخضر ملابسى معتقداً أن جمال طلعتى وحسن حظى كفيلاً، وبقاتبى ثم خرجت من المقهى ومشيت متمهلاً مختالاً إلى جهة تلك السيدة الغريبة، وكنت على وشك لقاءها إذ فُتحت نافذة من نوافذ المنزل فجأة ورأيت وجهاً نساءً ساحراً أمام ناظرى وكان آية في الجمال والحسن وفي يد صاحبتها وردة أدنتها من وجهي ووضعته على فؤادها ثم ألقته إلى وأغلقت النافذة بسرعة مدهشة حتى لقد ظننت أن ما حدث كان خيالاً ظهر ثم اختفى

ظلت واقفاً فأنما في ناظر إلى النافذة حتى شعرت بيد العجوز تجذبني من كفى وقد التقطت الوردة وناولتها لي فالتفت إليها وقلت لها : « ما هذا بالله عليك ! أمن الإنسان ذلك الوجه الصبيح أم من الجن ؟ »

فأجابتنى تلك العجوز : « ألا تزال غراً فلا تعرف معنى إلقاء هذه الوردة إليك ؟ إن لك ذقناً طويلاً ولست غلاماً ؛ ويظهر أنك سافرت كثيراً وتغربت ولكنك إن كنت لا تعرف ماذا تقصد السيدة من إلقاء وردة إليك فقد سافرت بلا نتيجة ولم تعلمك الاغتراب والتجارب شيئاً »

فقلت لها : « بلى، إننى أعرف أنها تريد القرب وتعنى المحبة والالتفاف وتشير إلى أن رأسينا يجب أن ترفعهما وسادة واحدة : تعلمت هذا من أسفارى وتجاربى ولكن الأسفار والتجارب علمتني فوق ذلك أن أمثال هاتيك الحوادث لها مالها من خطر وضرر وأن رأسينا قد تقطعان بدل رفعهما على وسادة واحدة »

فقلت محدثني متأثرة منفعلة : « لا تخف شيئاً . أقسم لك بحمرة نبينا الكريم إنه لا خوف عليك ولا ضرر . إننا نقوم عظماء وقد تفوتك ثروة إذا لم تقبل ما أعرضه عليك . هل وصل بك الحق والغباءة أن تخشى الأوهام وتخاف الظلال ؟ إن خوفك لا أساس له »

فقلت لها : « حديثي من هذه السيدة التي رأيتهما وماذا يجب أن أصنع ؟ » فأجابتنى : « لا تتمتعل كثيراً . لا يمكن أن يتم أمر في هذه الليلة وعليك بالصبر فإن الوقت والمكان غير ملائمين . قابلي غداً وقت الظهيرة عند مقبرة أيوب وستعرف كل ما نود معرفته . سأكون جالسة على قبر أول أمير على يمينك ويمكنك أن تميزني عن سائر النساء بشال أحمر تراه على كفتي الأيسر فانهب الآن والله منك ! »

وافترقنا على ذلك فرجعت إلى حجرتي في الخان أفكر فيما حدث ولم أشك في أن خيراً ينتظرني، غير

وتزوجت سيدتي واسمها « شكرليب » أى « معسولة الفم » من أمير هرم واسع الثروة ، وكان يأبى أن يكون له أكثر من زوجة واحدة لأنه عرف من تجاربه أن يتنه لا تحل فيه الراحة ، ولا تزوره السعادة إن هو سمح لنفسه بالإكثار من الزوجات معتمداً على إباحة دينه جواز التعدد .

وكان مغرمًا بالسكون والراحة العائلية ، وظن أنه باقترانه من فتاة صغيرة السن يستطيع أن يمودها طباعه ويعرّفها على ميوله فلا تعارض له رغبة ، ولا تمصى له أمراً . ونجح فيما أراد إذ لم يخلق الله من هي أرق طبعا ، وألين جانباً من سيدتي . ولكن أمراً واحداً ظل منشأ الاختلاف ومصدر النزاع بينهما فلم يكن في استطاعة الزوجين أن يتفقا عليه . وكان ذلك الأمر من الموامل التي أدت إلى موت الأمير فيما بعد .

وكانت سيدتي تحب الفطائر المحشوة بالزبد ، ويحبها الأمير عشوة بالخبز فظلاً خمس سنوات يتشاحنان على مائدة الإفطار كل يوم إلى أن حدث منذ ستة شهور أن الأمير الهرم تناول كثيراً من الفطائر المحشوة بالخبز والى يحبها فأصيب بتخمة ومات على الأثر ناركاً لزوجته حسب الشريعة المحمدية ربح أملاكه من عقار ومتنول وعبيد وغير ذلك

وقد رغب في سيدتي الكثيرون لشبابها النض وجمالها الفتان وثروتها الطائلة ، ولكنها أوتيت ذكاء وحكمة نادرين فيمن هو في مثل سنّها من النساء فلم تقبل أن ترتبط بعقد جديد وآتت على نفسها أن تصبر حتى تتاح لها فرصة الزواج من رجل يحبه حباً حقيقياً ولا يكون الدافع له ثروتها أو مركزها ولوقوع منزلها أمام مقعى من أعظم المقاهى

أننى كنت أسمع عن غيرة الأزواج الأتراك قصصاً عجيبية وخفت أن أصير ضحية غيرة شديدة وأن يقتلنى زوج على مذبح غضبه ، ثم تالت على مخيلتى ذكرى كل حب عار ، وحادثة كل غرام ضائع ، فذكرت زينب ورحها ، ومرهم ويوسفها ، وديلارام وقرحيتها تخففت كل رغبة كانت عندى في مجارة عواطفى ، وخفت أن تكون النتيجة شؤماً على .

غير أن دم الشباب كان لا يزال يجرى في عروقى فزمت على أن أقبل كل ما تطلبه . وفي ظهر اليوم المعين ذهبت إلى مقبرة أيوب وبجئت عن أول قبر لأمر فرائته ، ولهذا القبر شاهد عليه عمامة خضراء . ووجدت هناك العجوز بوشاحها الأحمر ، وتجنبت معها الطريق المام واتخذنا مجلسنا في ظل شجرة عالية في جانب المقبرة ، وهناك جلسنا وأماننا منظر الميناء البديع وبدأنا نتحدث في موضوعنا . بدأت السيدة بشكرى على احتفاظى بمبادئها ثم أخذت تؤكد لى أن ما سطره على لا خوف منه . وكان للسيدة حكمة المعجزة ومكرهن . وأخذت تكلمنى بنجبت ودهاء دون أن تقترب كثيراً من موضوعها وصرحت لى بيلها لى ورغبها في قضاء الأوقات معى .

وكنّت أخشى أن يضيق معظم كسبى من الغلايين فلم أتركها تسترسل كثيراً وأوقفتها عند ذلك الحد ، وطلبت إليها أن تغبرنى عن قصة الغادة الجميلة التى رأيتها في النافذة فحدثتني الحديث الآتى قالت : « إن السيدة التى رأيتها والتى أخذتها هى ابنة أحد التجار في حلب . وكان لأبها خلافاها ولدان ، ومات الوالد من زمن ليس بالبعد خلفه في تجارتها وولدها وهما الآن تاجران لها ثروة طائلة ، ويقعان في نفس هذه المدينة .

قسوة وخشونة وسبياً في إساءة زوجها إن لم يكن في ضياعه »

ولم أكن مستعداً لثل هذا السؤال . ولكن سرعة البديهة التي أدركت بها مقدار ما ينتظرون من جاء وثروة كانت عوني في الإجابة من غير تردد، وقلت: أسرقى ! أتقولين عائلتي؟ من في العالم لا يعرف حاجي بابا؟ سلوا إن شئتم من أول حدود اليمن إلى آخر حدود العراق ومن بحار الهند إلى شواطئ قزوين فستجدون اسم حاجي بابا أشهر من نار على علم

فقلت: « ولكن من يكون أبوك؟ »

قلت بعد أن سكت برهة: « أبي ! أأبي تمنين؟ لقد كان أبي صاحب سطوة وجاه عظيمين وكم من رؤوس خضعت للإشارة من أصبمه وكم من رجال أحتت أمامه رؤوسها وسحبها من ذقونها وفعل بها ما لم يفعله رئيس الروائيين »

وكنيت في أثناء قولي هذا قد وجدت من الوقت ما يكفي لخلق قصة مناسبة في غيالي وظللت أقول للسيدة ما يدعشها فأطالت التحديق في وجهي، وقلت: « إن كانت سيدتك تريد دماً نينباراً وأصلداً كريماً ومنبتاً فاضلاً فإلى يجب أن تتجه نظراتها، وإلى يجب أن يكون مصيرها . إنها وإخوتها هما بلغ من أمرهم فلن يفوقوني حسباً ولا نسباً . كان جدى المنصوري من بطن نجد في جزيرة العرب وقد أقامه الشاه اسماعيل شاه المعجم العظيم مع قبيلة في جهة من أخصب مراعي العراق فأقام فيها منذ ذلك الحين

وكان جدى لأبي يدعى خاطر بن خور بن أسب ابن المدين من قبيلة قريش وهو شريف من سلالة النبي عليه الصلاة والسلام »

فصاحت المرأة: « ماشاء الله ! كفى ! كفى !

في المدينة أخذت تراقب من يرتادها من الزوار . ولست في حاجة إلى إخبارك أنها رأتك أجل من وظللت قدماه القهى، ورأت فيك الرجل الذي كانت تحلم به »

ثم قالت المعجوز بعد ذلك: « وأخي هو صاحب القهى فطلبت إليه أن يستعلم عنك ويعرف من أنت وما شخصيتك . وقد أطربت سيدتي إجاباته واجتهداً بعد ذلك أن تلفت نظرك إلينا وأن تعرف عليك إن أمكن، وأنت تعلم كيف كلال مسعانا بالنجاح . ولك أن تحكم الآن هل ترائى قدمت لك خدمة عظمى أم لم أقدم »

وقد شعرت بأنى كفى أفرج عنه بعد الحكم عليه بالوت إذ لم أكن أتصور في أول حديثي مع تلك المعجوز أننا سنصل إلى هذه النتيجة . واختفى من أمام ناظري ما كنت أتخيله وأخشاه من عجائب وأسرار ومن تسلق الحوائط وقفز من التوافذ ومن مؤامرات تركية وخناجر ودماء . وحل محل ذلك كله تصور الثروة والراحة من عناء وكد . ورأيت باب السعادة مفتوحاً أمامي على مصراعيه

لم أردد ولم أحجم بل قلت لها: إننى سأكون لسيدتها محباً متفانياً في الحب إلى الأبد واستعملت كل ما وهبني الله من كلام معسول، وقول خلاب وأنسمت لها أننى سأجزل لها العطاء مكافأة على خدمتي

فقلت المعجوز: « إن أصرأ واحداً طلبت منى سيدتى أن أستوثق منه قبل أن ترضى بك وتبدلك وهو مركز أسرتك وقيمة ثروتك إذ يجب أن تدرك أن أخوتها وأقرباءها متكبرون فإذا ما أقدمت على زيجة لا تليق بمركزها كان ذلك مدعاة لعاملتها بكل

قطعتين ذهبيتين أخذتهما بغير اعتراض . ثم تركتني في تأملاتي وسارت .

الفصل الثامن والمستون

نواج حاجي بابا من شكر لبيب

لم أبق في موضعي تحت شجرة الصفصاف كثيراً إذ كان يجب أن أؤدي جملة أعمال قبل أن يحين موعد التلاقي ، وعدت لألبس لباساً يدل على النعمة وينم على الثروة والجاء ، ولأحمل كيس دراهم مملوءاً ، ولأظهر بمظهر يليق بمركزي الجديد . وفوق ذلك فقد سرني أن أجل شخصي ما اسطمت بأن أذهب إلى الحمام فأغتسل ثم أتمطر وأطيب ، وجعلت أثناء مسيرى أحدث نفسي مسروراً : « إله يا حاجي بابا ! لقد برهنت هذه المرة على ما بين العاقل والنبي من فروق ... لقد أحسنت وأجبت يا ابن النصورى ويا ربيب قريش ! »

وصلت إلى الخان وأنا أسبح في لجة من الأفكار وبحر من الآمال . رأيت الشيخ عثمان أفا جالساً في ركن من أركان الحجر يد ما ربحه من بضائعه ، ورأيت في الركن الآخر غلابيني وقد وازنت بين هذه التوافه وبين مايجول بخاطرى من عظيم الآمال حتى ظهر على تأثير هذه الموازنة وشرعت بكبرياء وعظمة لم أشعر بمثلها من قبل . ولست أدري إن كان عثمان أفا قد لاحظ شيئاً من ذلك ، ولكنه ذمّر حين طلبت منه أن يعطيني بغير إهمال خمسين قطعة ذهبية على أن أودع بضائى رهينة لديه ضماناً لآله

قال لى : « ما هذا الذى تطلبه يا بنى ؟ ماذا تريد أن تفعل بمثل هذا المبلغ الكبير وبمثل هذه السرعة ؟ هل جنت أم أصبحت من نضحايا الميسر ؟ »

إن كنت أنت من وصف فسيدنى لاتطلع في المزيد ؛ ولئن كانت ثروتك تناسب مع شريف أملاك فليس لنا بعد ذلك أى قول »

فأجبته : « أما من جهة ثروتى فأبني لا أنغر بما لدى من مال عيني وثروة مجموعة فأى تاجر لديه مال أو ثروة من نقد ؟ لكن مال التاجر في بضائعه المنتشرة في كثير من بقاع العالم والتي لا تلبث حتى تعود بربح عظيم . إن حرارتى وبضائى الأخرى من قطيفة وديباج في طريقها إلى خراسان وسأستحضر بدلاً منها جلوداً من بخارى وعملاً في اليوم في مشهد بما معهم من ذهب وعطر لشراء شيلان الكشمير وأحجار الهند الثمينة . وفي استراخان يستبدلون بالسمور وأنواع الزليج بضائى الهندية أما بضائى في حلب فسند إلى بدلهما طيالس وشيلان على أننى لا أأحد ثروتي ولا أحصيها ولو أردت ذلك لكنت كمن يريد عد حبات القمح في المزرة . وإنما قولى لسيدتك في غير مبالغة إن الرجل الذى وقع عليه اختيارك لو جمع ثروته لأذهلك وأذهل أسرتك مقدارها »

فقلت الراء : « حمد الله وشكراً ، هذا ما كنا نتمنى ولم يبق إلّا أن أجمكما ما فلا تنس أن تكون في ركن من الزقاق عند ما يخيم ظلام الليل حتى أقدمك بكل حيلة وحذر إليها . وإذا رقت في عينيها لم يخل حائل بين زواجكما وسعادتكما . ولم يبق إلّا أن أنصح لك نصيحة وحى أن تحب الفطائر الحشوة بالزبد وأن تبدي نفورك من الحشوة بالجبن وأما فيما يتعلق بأى موضوع آخر غير هذا فسيدنى لا تعلق أهمية ولا تبدي اعتراضاً »

ثم سلمت على متأذنة بالذهاب فوضعت في يدها

الباب . وأردت أن أظهر في شكل الرجل الوقور فلففت نفسي بأطراف عباءتي ودخلت حجرة يضيئها مصباح واحد يليق بنوره على ما بها من متاع . وكان بالحجرة إيوان عليه عطاء من أطلس ثمين لامع أزرق اللون ، ورأيت في زاوية منه بقرب النافذة من أتيت لرؤيتها .

لم أتمكن من رؤية شيء منها غير عيين سوداوين ظهرتا كأنهما تضيئان في سماء حياتي . وأشارت إلى يديها أن أجلس ، فأيت احتراماً لها ، ولكنني حين وجدت أن الإيلاء لا يجدي خملت نعلي وتربعت على البساط وأدخلت يدي في أكام ردائي وتكلفت حياة وخجلاً لأن أزال إلى اليوم أثمك حين أذكرها . جلسنا متقابلين بضع دقائق لم نتحدث في غير المألوف من ترحيب وتسليم ، وبعد ذلك أمرت السيدة خادماتها عائشة (وكان هذا هو اسم التي قادتني إلى المنزل) أن تترك الترفة وتخرج ثم تظاهرت بالليل تريد أخذ مروحيتها المصنوعة من ريش الطاووس وكانت على الوسادة فسقط ثقلها ورأت عيناى أجل وجه خلقه الله وكانت حركتها هذه دليلاً على انعدام الكلفة فأخذت أنظر إلى معبودتي نظرة هائم مدله مظهراً لها شدة إخلاصي وإعجابي ببها وشوقي وهياي بها حتى لا أجعلها تتردد لحظة واحدة في الاعتراف برقة فؤادي ونبيل شعوري ودقة فهمي وسلامة ذوقي ، ولم تنالك أرملة الأمير من أن ترى في الرجل الذي تتفاه في أحلامها ، وعلمت أنني أرضيتها وقلت ثقها حين اتهمتني على أسرارها وأطلعتني على دخال نفسها وقالت : « إنني في مركز حرج وحال مرتبكة فقد فلتت عيون الحساد ففعلها في حياتي وأنت تعلم أن زوجي أسبغ الله عليه رحمته

فأجبت : « غفر الله ذنوبي ! لست مجنوناً ولا مقامراً ولا يزال عقلي مهيئاً وقد أقبلت على الدنيا بعد إدبارها ، فأعطيني المال أولاً وسأفص عليك خبرتي بعد ذلك »

ولم يتردد الرجل طويلاً في إجابتي إلى رغبتني إذ كان يعلم قيمة بصاعتي ويعلم أن الصفقة رابحة ، فأخرج المال وعد خمسين قطعة ناولها لي ، فأخذتها وتركته وخرجت فاشتريت ملابس في غاية الواجهة وأسرعت إلى الحمام فاغتسلت وأتممت كل ما كنت أريد من زينة وحسن زى وخرجت كأحد الأغنياء وكان في أثناء ذلك قد حل عماد القابلة فسرت بقلب يخفق ويبيض إلى المكان المعين ، ووجدت المعجوز في الانتظار . وبعد أن نظرت حولها لترى هل من أحد بلاحظتنا تقدمتني إلى باب في مكان مخفي في المنزل ودخلت فتخلت وراءها ، وسررت من السكون والهدوء الشاملين للمنزل إذ كنت أنظر إلى نفسي كأني صاحب المنزل ، وسيد من فيه .

ذهبتنا إلى الجناح المخصص للسيدات وكان حذرنا واحتراسنا كما لو كان الأمير لا يزال حياً يرزق . دخلنا من الباب إلى ردهة كبيرة فيها نافورة ماء . ثم صعدنا سلماً خشبياً فرأينا في نهايته ستاراً متعدد الألوان وتحطيت الستار إلى حجرة أخرى لم أر فيها من المنقولات غير أحمذية نسائية وغير مصباح معلق تركنتي قائدة في هذه الحجرة ، وذهبت تخبر سيدتها بقدومي ثم سمعت أصواتاً عديدة من الحجرات المجاورة فظننتها لصاحبات تلك الأحذية . وأخيراً فتح باب في طرف الحجرة — وكان بالحجرة أربعة أبواب غيره — وأشير علي أن أقدم . وأنا أقدم إلى ذلك أخذ قلبي يخفق في عنف ، وأنا أقدم إلى ذلك

سماحه . ولقد خافت التأخير فأسرعت ببناء خادمتها المجوز عائشة وأمرتها أن تقودني إلى المأذون الذي حدثني عنه والذي كان ينتظر أوامرها في مكان آخر من المنزل . ورأيت مع الرجل إنساناً آخر أحضره معه ليكون الوكيل عني في العقد . وقال لي المأذون الشرعي إن ذلك واجب من جانب الرجل كما هو لازم من جانب المرأة ثم عرض سجل العقود وكان قد قيد فيه ما تملكه العروس من مال وضياع ومتاع وطلب إليّ أن أخبره بما يقيده ليضيفه إلى ما كتب

وهنا أخذت وذعرت، غير أنني لم أجد خيراً من أن أحييه بمثل الذي أحببت به عائشة من قبل قتلت : « إن الساجر لا يستطيع تحديد ثروته المتفرقة في مختلف الجهات وشتى البلدان بضاعة ومتاجر إلا أنني أهب كل ما أملك لزوجتي فزواجنا أبدي لا افتراق بعده ولا طلاق »

قالت العروس : هذا حسن غير أننا نريد ذكر شيء محدد فقل لنا ما تملكه هنا في دار السعادة على سبيل المثال . إنك لم تحضر طبعاً إلى هذه المدينة إلا لأعمال هامة فاذكر لنا ثروتك التي تحت يدك وذلك بكفي مؤقتاً

فتظاهرت بدمد الاكثرات وقلت : « ليكن ذلك ! فليكن ما تريد ! اصبري قليلاً » ثم سكنت كأنني أحسب ما ممي من بضائع . وبعد لحظة قلت في ثبات وجراءة : « إنني أعطيت زوجتي عشرين كيساً من الذهب وعشر حقائب من الثياب »

ودار بعد ذلك حديث بين أرملة الأمير وبين المأذون . وبعد مفاوضة قصيرة انتهى الأمر برضاء وقبول وبصمنا جميعاً على وثيقتي الزواج والهبة بعد (٧)

وغير أنه ترك لي مالاً كثيراً فأصبحت بإضافته إلى مالي الخاص على درجة من النفي تحرك الأطماع وسببت لي ثروتي الطائلة متاعب وآلاماً كادت تذهب بعقلي

ادعى كل من أقربائي حقوقاً لا أصل لها وطلب كل من يمت إليّ بصلة طلبات كأنني أنا جزء من بيت المال وكان ثروتي ثروة عامة . وأظهر أخوأي أفكاراً خاصة ودرغبات معينة في اختيار زوج لي كأنما الزوج الذي أختاره يجب أن يوافق مزاجيهما قبل مزاجي، ويجب أن يرتاحا إليّ دون نظر إلى عواطفى وميولى، وكان لزوجي ابن أخ من رجال القانون وقد ادعى أن التقاليد القديمة تحول تقرب الميت حقاً على زوجه وأن في استطاعة ذلك القريب أن يظهر رغبته في التمسك بمحمق ليلقى عيابه على أرملة قريبه المتوفى وادعى قريب آخر أن لا حق لي في كل ما ورثت وما أملكه الآن وهددني بأخذ ثروتي . فساورتني المصوم والمتاعب ولم أجد في ظروفى التي ذكرتها لك من يقفدني ويمد لي يد المساعدة غير زوج أختاره أنا وقد أرسلت القدر إلى فالحمده لله على ذلك » ثم أعلمتني بكل ما أعدت لعقد زواجنا العاجل

وأشارت في حديثها إلى رجل من رجال الشرع اختاره لكتابة الوثائق وقالت : إن الرجل موجود بالمثل وعلى استعداد لإتمام العقد فشرعت باضطراب عنيف إذ لم أكن أنتظر مثل ذلك الانتقال من حالى التي كنت فيها إلى سماء العز والنفي؟ غير أنى لم أنس أن أظهر لها الحب الكامن في صدرى وقلت لها : إن حبي سيكون أبدياً وإن عاطفتى لا تزول ما بقى في عرق يبيض وفؤاد يحنق، ولم أقل عن نيائى ومقاصدى إلا كل ما تطرب له ويرقص فؤادها لدى

في إخبار أخويها بزواجنا وقالت : إن الزواج وإن كان شرعياً إلا أن دوامه متوقف على إرادتهما إذ هما من أغنياء التجار ولهما نفوذ كبير في المدينة فيجب ألا تدخر جهداً في مرضاهما
وكانت عروسي قد رأت أن تخطو خطوة في سبيل غرضها في حذر وإتباء، فأعلنت أن في عزها أن تتزوج من أكبر تجار بغداد غني وجاهل ، ولكنها لم تقل إن الزواج قد تم

وكان لإشهار زواجنا يستدعي أن نولم وليمة ندعو إليها كل أفراد أسرتها ، ونسذل عن سعة لتكون الوليمة أنغر الولائم ، ولكي يقتنع أهلها بأنها لم تلق بنفسها بين أحضان فقير أو محتال

وقد وجدت مني مليكاً لرغبتها مطيعاً لأوامرها وسرت بسنوح فرصة سريعة يذيع فيها أمر ثروتي وبدأت في استحضار سرب من الخدم كل منهم له عمل خاص ولقب يناسبه . واستبدلت بقصات التدخين التي أحضرها الأمير للرحوم بقصات أخرى أحسن منها وأغلى ثمناً وأحدث طرازاً . وكذلك أحضرت طفاً جديداً للقوة يبيع الصنع نالي الثمن بمض قطعه موشى بالذهب والبعض الآخر مطعم بالماء وفيه طبق أو اثنان طعم بالأحجار الكريمة لاستمالي خاصة

ثم اخترت من أحذية الأمير ما رافى في نظري وكان الأمير مفرماً بانتقاء فاخر الملابس وغالبها من عبادات وقفاطين وفراء تصلح للملوك ، وقد أخبرتني زوجتي أن تلك الملابس من آثار عائلة الأمير وخلفائها الثمينة فلم أحجم عن اتخاذها لنفسى ووجدت قبل أن يحين يوم الوليمة من الوقت ما يكفي لإعداد ما يليق بأنا من أعظم الأغوات . وإلى أعتقه رغم كوني

أن انتهى المأذون من خطبة الزواج . وبذلك تم المقد على حسب الشريعة وهنأني الحضور وشكرت لهم ولم أنس أن أكا في الشيخ وابنه وأن أعطى الخدم وأرسلت مبلغاً ليقيم على القيمين بالقصر جميعاً . وبدلاً من أن أرجع إلى عثان أنا وأنام على وسادة من غلابين دخلت إلى مكان الحرم تحف في مظاهر العظمة والحلال وأحس كافي رجل آخر غير الذي تعرفه أيها القاري

الفصل التاسع والستون

مع تأخير غروبى الى أفا عظيم
مناهي من شخصيته المستفارة

سرعان ما أدركت أن أماري طريقاً وعمراً وأني مقابل عقبات كثيرة . ولقد قيل إن فيلسوفاً صينياً قال مرة : إن عملية الأكل لو اقتصرت على ما يحدث بين الفم وطبق الطعام لكانت أسهل العمليات وأطيبها ، ولكن هناك المعدة وأجهزة الهضم بل هناك بقية أعضاء الجسم كله وهي التي تحيكم إن كانت عملية الأكل طيبة أم خبيثة

وكذلك الحال في الزواج فلو اقتصر الأمر فيه على ما بين الرجل والمرأة لكان الخطب ولكن هناك الروابط العائلية وعلاقات القرابة تقرر سعادة الزواج أو شقاءه وراحة العروسين أو تأسهما

أخذت عروسي الفتاة بعد زواجنا تحدثني أياماً متوالية وليالي طوالاً بأنه الأحاديث وأخبرها عن أفراد أسرتها وتنازعهم وغيرتهم وبفهمهم وعن كل ما يشعرون به نحوها من شر وما يردونه لها من أذى حتى ظننت أنني إنما دخلت وكرت ما بين وعش عقارب ولقد فضلت زوجتي أن تستعمل نهاية الاحتياط

أخوى زوجتي عاملان بلطف ورقة ورجبا في قائلين :
 إنني زدت أسرتهما شرقاً وغرباً باقرا في من شقيقتهما
 ولاشتغالها بالتجارة تحول مجرى الحديث إلى الشئون
 التجارية فاجتهدت أن أدخل في روعهما أنني تاجر
 عظيم ، وأن تجارتى منشرة في أنحاء المعمورة .
 فتدقت في الحديث تدفق الماء على أنهما أخذاً يسألان
 عن تجارة بغداد ، وعن التاجر في جزيرة العرب ،
 والهند ، والصين ، وأخذاً يطلبان إيضاحاً دقيقاً عن
 الحاصلات ، وأحوال السوق فأسرت إلى اقتضاب
 الحديث ، وتحويل وجهته إلى المعلومات العامة .
 وأجبت إجابات لا تفيد شيئاً ، وحين انتهت شعرت
 بأنه لا يزال ينقصني شيء ، وهو أن يرى عثمان أنا
 ما أنا فيه من سعادة ، وأن أخبره بأمر زواجي ،
 وأدعوه إلى الوليمة .

ولكن هل أنا سعيد حقاً ؟ هل أنا صاحب
 هذه الثروة الطائلة ؟ إنني أشعر بأن أمثل دوراً
 لا حقيقة له . وهنا خفت أن يفتضح أمرى وتظهر
 حقيقتي ولم أجرؤ على الثقة حتى ولا بهمان أنا لثرتة
 ولعلمه بحقيقة حالى

وصممت على ألا تكون لى به ولا بأى إنسان
 من مواطني علاقة ما ولو إلى أجل موقت إلى أن
 أشعر بأنى في أمان وأنى قد ثبتت أقدائى في مركزى
 الجديد فلا أخاف الافتضاح

الفصل السبعون

زراع الزرومين

انقضت الوليمة على أحسن حال وأحسب أنني
 نجحت في إقناع الضيوف بأنى نفس الرجل الذى
 زعمت أنني هو وأن شخصيتى حقيقية لا ريب

ابن حلاق أن ليس لأحد من الشكل والأخلاق
 وحسن التصرف ما يؤهله لإيقان دورى هذا الجديد
 خيراً منى ، ويجب أن أذكر أنني قبل ذلك الاحتفال
 العظيم لم أنس أن أזור أفراد عائلتى الجديدة كما يقضى
 الواجب . .

كنت أحسب لتلك الزيارة ألف حساب متخوفاً
 من نتيجة مقابلتي أفراد الأسرة ولكننى حين سرت
 في شوارع المدينة راكباً جواداً من جياذ الرحوم
 محيطى بى جمع غفير من الخدم والحشم ذهب عى
 الخوف وشعرت بالطمأنينة والانفراح . وإن من ينظر
 إلى الجموع السائرة وهى تنسج فى الطريق وتتطلع
 إلى ثم تضع أيديها على صدورهم عند مرورى ، وإن
 من يرى جوادى وهو يضرب الأرض بحوافره
 ويتبختر في مشيته فخوراً بمن يحمل على ظهره ، وإن
 من يتنعم بما كنت أنعم به من جلسة على ظهر جواد
 كريم بينما يمضى الآخرون على أقدامهم - كل من
 يرى ويشعر بما كنت فيه ولا يأخذ الدهول ويمسكه
 العجب فليس آدمياً

ويجب أن أضيف هنا أنني حين خرجت في شكلى
 التقدّم وقت عيني على بعض مواطني وأبناء بلدى
 « الأعضاء » ممن رافقونى في القافلة من بغداد وكانوا
 فى أسال بالية وحال زرية وكأنما كان ظهورهم أمامى
 فى شوارع المدينة باعثاً على ذكر ما أنعم الله على
 وشكر ما أعطانى

ولم أعرف إن كانوا قد تبيينوا حقيقة أم جهلوا
 أمرى فإننى أدرت وجهى وسرت مجتهداً أن أخفى
 ملائحتى فى ظل عمامتى الكبيرة ولحييتى الطويلة
 وكانت نتيجة زيارتى فوق ما كنت أتصور ،
 ولست أعرف ماذا كان شعور أصهارى غير أن

أدخل فيه جلست وسألت عن عثمان أنا فجاء الرجل وجلس على طرف بساطي بكل خشوع واحترام دون أن يعرفني أو يخال . وأخذت أكله في غير اهتمام مدة ما . وقد لاحظت أنه كان ينظر إلى نظرة التشكك ثم صاح : « بحق النبي الكريم ألسنت حاجي بابا ؟ »

قال ذلك بعد أن عجز عن ضبط نفسه وإخفاء ما كان يدور بخلافه .

وتحكت كثيراً من منظر الرجل ومن قوله ثم تعارفنا وقصصت عليه مجمل أمري وكيف تحولت الخسوف قطعة ذهبية التي اقترضتها منه إلى تلك الثروة التي يرى علاماتها بعيني

ولا حظت أن عثمان أنا لم يتأثر من انتقال الفجائي إلى ما كنت فيه من نعمة وثرء ولم يحركه منظرى وقصتي كثيراً إذ كان له عقل فيلسوف قليل الاهتمام . غير أنني لاحظت أن مواطني حينما علموا أن لابس تلك العمامة الكبيرة والثياب الغالية وراكب ذلك الجواد وصاحب هؤلاء الخدم إنما هو حاجي بابا الذي كان بائع سلع مثلهم لم يستطعوا كظم غيظهم ولا إخفاء حسدهم فأدركت ولكن أخيراً جداً أنني أخطأت خطأ جسيماً في ظهوري بذلك المظهر أمام أبناء بلدي وأردت أن أنسحب في سكون من غير جلبه أو ضوضاء وإذا بأحدهم يقول :

« ماشاء الله ! هذا حاجي بابا ابن الحلاق الأصمفاني ! دنس الله قبر أبيه وفضح أمه ! »

وقال آخر :

« أجنت وأحسنت يا ابن الأحماء ! لقد هزئت من ذوق الأتراك فليمت الله إليك من هزأ بك ، ويسخر منك »

في صدقها ، ومن ثم بدأت أطمئن على نفسي وأخذ شبح الخوف يثيب عن عيني فانسرفت إلى اللذات والتعرف على أصحاب القو وإخوان السرور وأن أبس أغنى الثياب ، وكان منزلي موضوع الأحاديث ومطلع الأظار في المدينة ، ولست أستطيع أن أنكر أنني كنت أزداد كل يوم شعوراً بأن مديني بكل ما أملك لزوجتي وألمني ذلك الشعور وتنص على عيشتي ، وقد أدركت أن ستقوم بيننا منازعات عديدة على موضوعات أخرى غير فطائر الزبد وفطائر الجبن حتى لقد قلت في نفسي : « ما كان أحسن حظ الأمير الشيخ ! لقد استطاع أن يعيش مع هذه الزوجة ثم لم يختلف معها إلا على أمر واحد مع أننا نختلف على كل أمر حتى لست أجد ما لستنا مختلف عليه »

وكنت قد علقت نفسي بأمنية غريبة وهي أن أظهر أمام مواطني في الخان الذي يقيمون فيه بشكلى وأهبي . وأن أمتع نفسي بما يظهر على عثمان أنا عند رؤي من الدهول والارتباك ؛ فلما رأيت أن لا خطر عليّ وأنني أصبحت أمتاً مطمئناً لم أرد أن أقوم تلك الرغبة فلبست أحسن ثيابي وامتطيت خير جيادى وسار حولي كل خدعي وأتباعي وسرت في ذلك الوكب في أكثر ساعات النهار حركة إلى الخان الذي كنت قد أقمت فيه باسم تاجر غلايين أول يجئني إلى الأستانة

لم يعرفني حينما تخلفت باب الخان أحد بل اجتهد السك في خدمتي واختارني ظانين أنهم سيجدون منى شارباً لكل ما لديهم من البضائع ، وجاء خدعي ببساط ثمين من أنس الأبسطة وأغلاها وفرشوه لأجلس عليه . ونولوني كذلك شيبكاً غالى الثمن

وقال ثالث :

« أنظروا إلى عمامته الكبيرة ، وسراويله الطويلة ، وعلبونه الثمين . والله إن أباه لم يرمثل هذه الأشياء حتى ولا في أحلامه » .

وظل آل بلدى يوجهون إلى الكثير من هذا التقريظ إلى أن استجمعت كل ما أمك من عطفة ووقار بعد الذى كان ، وقت من مجلسى فامتطيت جوادى ، وتركتهم يشيعونى بالنكات المرة والصحكات الزرية والسخر والاحتكار .

حنقت أول الأمر عليهم ثم حنقت على نفسى بعد ذلك حنقا شديدا . وقلت : « لقد جوزيت يا حاجى بابا جزاء عادلا ، وحق رأس أليك كربلاى حسن الحلاق لقد كوفت على رعونتك ، وغباثك ! هل يجرؤ يوما كلب أن يمشى بين ذئب مفترسة ؟ هل قدر غي من أغبياء المدن أن يسير بين وحوش العرب بدون أن يسرقوه أو ينهبوه .

قد يصير حاجى بابا عاقلا حازما فى يوم من الأيام ولكن يجب أن يذوق مر العذاب ويتجرع كؤوس الألم قبل أن يصل إلى تلك الغاية

ثم قبضت على لحيتى بيدي وتأوت قائلا : « ماذا أفادتنى هذه اللحية وماذا أكتسبتى شعرائها الطويلة ! لقد أصاب من قال : إن المرء لا يسره أبدا أن يرى ابن وطنه فى ارتفاع وارتقاء اللهم إلا إذا كان مرتقا إلى المشقة ! »

وبقيت أحدث نفسى بأمثال هذه الخيالات إلى أن وصلت إلى منزلى وهناك دخلت إلى محل الحرم محاولا أن أجد الراحة من عناء اليوم ومتاعبه غير أنى لم أصب ما أردت فإن زوجتى زادت فى كربي وبلانى كأنما كانت تدفعها الشياطين وتحرضها أبالسة الجحيم إلى مضايقتى

طلبت إلى أن أقدم لها حالا كل المبلغ الذى ذكرته فى وثيقة زواجى . وظلت تلخ فى طلبها وتردده بحالة لم أحملها مع ما كنت فيه من غيظ وضيق صدر بسبب ما حدث بينى وبين أبناء بلدى ولم أشعر إلا وقد انفجرت انفجارا شديدا وجعلت أهذى هذيانا مريبيا مصحوبا بالإشارات المنيفة وأمطرت أبناء بلدى وزوجتى وأبلا من اللعنات والشتائم القبيحة والسباب البذى حتى غدوت أنا الذى كنت وديما لطيفا أكثر شراسة من الوحوش الضواري

ذهلت زوجتى مما أبدته وقوهت به وتراجعت قليلا إلى أن وقت ومن ورأها خدما وعبيدا وأتباعها تتقدمهم عائشة منتظرة فرصة تستطيع فيها الكلام

وأخيرا تكلمت وتكلمت حتى بدا ثغرها أصغر من أن يسع كل مانقوهت به من ألفاظ وما خرج من فها من كلام

ولم يمنع عائشة ومن معها من الخدم والآتياع ما كانت تقوله سيدتهم من الكلام فتكلمن حتى كأنما هبت فى الحجرة عاصفة من ألفاظ عنيفة وشتائم متوالية كلها موجهة إلى

كنت أرغب فى المقاومة غير أنى لم أستطع فقد كانت الحجرة كأنها ساحة ضييق وسوق شتائم وصراخ وضاعت الحجرة عن أن تسمعنا جميعا . وكنت أول من فكر فى التفهقر والهرب فانسجبت من مسكن الحرم بين اللعنات والسباب والضجيج والتدافع والتلاطم وعلى رأس الجميع زوجتى العزيزة فكانت هذه المخلوقات اللطيفة أشبه بالشياطين منها بالحوار التى وعد الله بها عباده المتقين فى الفردوس النشود .

اللحظة الدرس الذي تعلمته في مشهد
ثم فكرت في حالي قائلاً : « ولكن أليست
شكرليز زوجتي رغم كل ما حدث ؟ إنها زوجتي
شرعاً مهما يكن ما حدث أو ما سوف يحدث، ولئن
كنت قد بالنت قليلاً في مقدار ثروتي فأني لم أفعل
لذلك غير الذي يفعله كل أبناء آدم »

ثم التفت إلى خادى وقلت له : « بحق النبي دع
القوم بأنون إلى هنا وأحضر لنا القهوة والتلاين »
رفع الخدم فراشي ونظفوا حجرتي ودخل الزوار
واحداً بعد الآخر في صف طويل وجلسوا على إيواني
وهم أخو زوجتي وأخو زوجها الأول وابنه ورجل
آخر متجهم الطلعة شرس المنظر لم أكن قد رأيته
من قبل

جلس هؤلاء ورأيت غيرهم سرباً من الخدم
والأتباع وقوفاً في آخر الحجرة وبينهم رجلان بشعا
الشكل قد تساحبا بالصبي الغليظة ووقفاً أمام الخدم
ينظران إلى نظرات تنطوي على الشر ولا تدل على
صفاء ولا خير. اجتهدت أن أكون ساكناً رزيناً
وَأَلَّا أظهر بمظهر الخائف ما استطعت وتظاهرت
بالشر والارتياع لتلك الزيارة ورحبت بالزوار فلم يكن
جوابهم على ما أريدت غير تتممة لم أفقه لها معنى

أمرت بإحضار القهوة والتلاين ورجوت
أن أعلم السبب في تشريفي فقلت لشقيتي زوجتي
الأكبر : « أسمع الله صباحك يا عزيزي . هل
أستطيع أن أؤدي لك أية خدمة في هذا الوقت البكر
من النهار ؟ ليس عليك إلا أن تأمر فتقطع »
فقال بعد أن لم الصمت رهة : « حاجي بابا !
أنظر إلى ! هل تقلنا حيوانات لا تقفه ولا تنفع ؟
هل تمد نفسك رجل اليوم فلا قرين لك ولا نظير
فتضحك من ذقوننا وتبث بكرامتنا ما شئت وشاء
لك عقلك ؟ »

أويت إلى حجرتي منهوك القوى مضطجع العزم
خائر النفس مما حدث في يومي من أرزاء وخطوب
وأوسدت باب حجرتي وجلست فيها وأنا أشعر بأني
أتمس خلق ديب على الأرض رغم ما يحيط بي من
عز وأبهة ورغم أني صاحب كل هذه الرياش والثفاش
وجملت أُنْدب سوء حظي متوقفاً ما يجيء به الند .
وشعرت بما يشعر به المسجون من الظنون والريب
وكان من الواضح أني لو حاولت أن أخفف من بلوى
باختلاق أكاذيب جديدة فإن أخرى ستكون شر
آخرة ومصيرى أقيح مصير

ثم قلت لنفسى في ألم وحيرة : « رحم الله أبايما
كنت فيها حراً طليقاً فلو كنت لم أرتبط بمقود
وأخاتم لتكرت زوجتي تفعل ما تستطيع دون أن
أفعل بما تفعل ، ولكنني الآن تقيدت بكلمات
رسية عليها توقيع وسأظل أمام العالم كذوباً محتالاً

الفصل الحادى والسبعون

ما حي بابا بسكشف أمر اختيار ويفقر زوميرة
بت لياني قلماً مسهداً لازمني فيها الأرق فلم ندق
عيناي الكبرى حتى سمعت المؤذنين يملنون انقضاء
الليل وبزوغ الفجر ويدعون الناس إلى الصلاة .
وكان استيقاظي إذ ذاك قبل أن تمر ساعة واحدة
على اغتياض عيني ، على صوت نجيعة غير عادية في
رحبات السزل . وأخبرني أحد خدعي أن أختا
زوجتي قد حضر إلى المنزل يصعبه قوم آخرون .
فأصابني رعشة شديدة أفقدتني كل ما كان لدى
من عزيمة وقدره . وقام في ذهني خمسون خاطراً
كل منها يزيد على الآخر أهمية وخطورة ، وبدأت
أشعر بأصابع قديمي قد أصابها خدر شديد فلم تقو
السنون التي مضت على إضاعته ، وذكرت في تلك

فضله ! إن حاجي بابا تاجر لا نظير له فإن حراثته وديباجه في الطريق إلى بخاري لتسبيل بها جلوده ، وإن شيلانه في طريقها إلينا من كشمير وإن سفنه قد حجبت سطح البحار ما بين الصين وبوشر ! » وقال ابنه متمماً : « ونسبه وأصله ! هل قلت إياك ابن حلاق ؟ حاشا لله ! اللهم رحمتك وغفرانك فإن نسبه ينتهي إلى قريش وليس هو من قريش فقط بل هو شريف من العترة النبوية . من ذا الذي يوازي أسرة النصورى ؟ ! »

وكنتم قد لاحظت أن العاصفة على وشك الهبوب فجعلت أكرر : « ولكن لماذا كل هذا ؟ إن كنتم تريدون قتلي فافعلوا يا قوم ولا تنزعوا جلدي قيراطاً قيراطاً بقارص كلامكم »

فقال الرجل للتجهم الوجه المبوس الطامة بعد أن ظل صامتاً أثناء كل هذه الأحاديث : « أأأتولى إخبارك عما ترى وتسمع أيها الكافر المنافق . إياك خيس نذل لا تستحق أن تعيش فإن لم تترك ادعائك ومظاهرك السكاذبة وتترك زوجتك وهذا المنزل وكل ما يحتويه بغير إبطاء فانت ترى هذين الرجلين (وأشار إلى المشردين الواقفين أمام الخدم بالمصى النليظة) وهما يزعمان روحك من جسدك النجس كما تنزع بقايا التبغ من الغليون . لقد أخبرتك بما سيكون وتتركت لك الخيار فاختر لنفسك ما يحلو »

وكأنما أثرت ألفاظه في جميع الموجودين فأطلقوا لأنفسهم العنان وصبوا على اللعنات والشتم دون مبالاة ولا احترام . وظللت صامتاً في تلك العاصفة الثائرة لم أنبس ببنت شفة ووجدت من صمتي فرصة للتفكير .

رأيت أن أتين ماذا تكون نتيجة المفاوضة فقلت لصاحب الوجه المبوس : « ولكن من أنت حتى

فأجبتني بقولي : « ما هذا الذي تقوله يا سيدي الأغا ؟ إنني لا أدعى أى دعوى ولست إلا رجلاً وضيعاً لا وزن قبضة من التراب »

فقال أخوه الثاني في حماس وحدة : « أيها الرجل كيف ترغم أنك لا تدعى الدعاوى العراض ؟ ما الذى صنعتك بنا إذن ؟ هل حسبنا أغناماً حتى نتحمل مشقة الحلي من ينداد إلى هنا لكي تسخر منا ؟ » فصاحت متألماً : « يا الله ! يا الله ! ما هذا بإساذى ؟ لماذا تتحدثون بهذه اللجة المرة ؟ ماذا صنعت حتى أستحق منكم كل هذا ؟ تكلموا بحق السباء وأصدقوني ! »

فقال عم زوجتي وهو يهز رأسه ولحيته البيضاء : « ما أخبتك يا حاجي بابا ! ما ألام طبعك ! لقد صاغك الله يوم صاغك من خبث ورياء فظننت أن خبتك يجوز علينا ورياءك يظلي على عقولنا . كلا كلا ! إن ذلك لن يكون »

فقلت له : « ولكن بحقك يا عماء ماذا جنيت ؟ تكلم ! »

فقال ابن عم زوجتي : « ماذا جنيت ؟ أتقول ماذا جنيت ؟ إياك قد كذبت وسرقت وتزوجت امرأة بعد أن خدعتها . ألا رضيك كل هذا ؟ أنك لا تستحي ولا ماء في وجهك . هل تظن أنك لم تأت أمراً ؟ »

وهنا قال صهرى الأكبر : « ربما ظننت أنك أكسبتنا شرفاً عظيماً وأن ابن حلاق أصفهاني قد تواضع فرضى بالزواج من ابنة أسرة من أغنى أسر الأستانة ! »

وقال آخر : « ربما خطر ببالك أو صور لك الزم أن باع قصباب التدخين تاجر عظيم يستحق أن يقد له على شقيقى »

وقال عنهما ساخراً : « نحمد الله ونشكر

« نعم نعم بحق النبي ! أتركوه يذهب إلى سبيله .
بالله عليكم أرمحونا من طلته »

صدرت هذه الكلمات وآلاف من قبيلها من ناحية الباب فنظرت إلى جهة الصوت من مسكن الحرم فرأيت عند بابي زوجتي على رأس جماعة من النساء كأننا أحضرت للشهد ضدّي ولتبدي رغبتها في الانفصال عني

وأخذت النسوة يصرخن ويعلنن ناقيات نادبات كأننا ليستهن روح غفريت وكأنني كنت رجساً من عمل الشيطان ويجب تنظيف المنزل منه

وجدت نفسي وحيداً غريباً في بلدة لا مساعد لي فيها ولا معين ، ورأيت أن لا حيلة لي أمام قوة عظيمة لا أستطيع الوقوف أمامها فتجلدت قليلاً وقت من ماضي وأنا أقول :

« إن كانت هذه هي رغبتكم فيلكن ما تريدون إلي غير راغب في شكر ليل ولا في مالها ولا في أخوها ولا في عمها ولا في أي شيء مما يملكون ما داموا جميعاً لا يرغبون في » غير أنني أقول اليوم إنهم عاملوني معاملة لا ياملها مسلم لأخيه ، ولو أنني كنت كلباً بين جماعة من الكفار لعولمت بأحسن مما أعامل به الآن . وفي يقيني واعتقادي أن العذاب الذي سيناله من أساءوا إلى النبي سيناله يوم القيامة من أساءوا إلى واضعهم »

ووقفت في وسط الحجرة بين الموجودين وقد تشجعت وتحسنت بسبب ما ألقته عليهم من الكلمات وخلفت جميع ما كان عليّ من الملابس التي اشتريتها أو أخذتها من مال زوجي ورميت بذلك على الأرض في احتقار وعزّة نفس كأنما هي وياء يخشى منه ثم طلبت حبة قديمة كانت لي ووضعتها على كتفي وانطلقت إلى الخارج وأنا ألعن كل من تركت

عبد اللطيف الشار

(يتبع)

تجرؤ على دخول بيتي ومعاملتي كما يامل الكلب الأجير ! إن هؤلاء أصهارى ، وهم في منزلهم ، وأهلاً بهم ومرحباً ، ولكن أنت ماذا تكون قرابتك من زوجتي ؟ لست بأبيها ، ولا بأخيها ، ولا عمها فإذا تصنع هنا ؟ إنني لم أتزوج ابنتك أو أختك فإذا بهم ؟ »

وكان أثناء حديثي بحتدم غيظاً وغضباً ، ونظرت إلى كما ينظر الأسد إلى فريسة بهم المهجوم عليها . وقال وسوته يشعل فيه الغضب والحلق : « إن أردت أن تعلم من أنا فسل الذين أتوا بي إلى هنا . إنني ورجالي نعمل بأمر الحكومة وسلطة القانون ، فإن قاومت كان الأمر وبالك عليك وخسرانا » .

فأدركت أن الرجل وأتباعه من رجال الشرطة قفلت وقد خفضت من لهجتي وألنت من ألفاظي : « ولكنك إن أردت أن تفرق بيني وبين زوجتي التي تزوجت بها على كتاب الله وسنة رسوله فأتك في فرصة أستشير فيها رجال الشرع إذ كل مسلم تحميه نصوص القرآن الشريف وأظنك لا تأتي عليّ استعمال هذا الحق . وفوق ذلك فإن زوجتي لم تسد رغبتها حتى الآن في الانفصال أو قبول ما تعرضه عليّ أنت ... إنها هي التي بحثت عني ولم أكن الباحث عنها ورضيت بي بملأ وأحبتي دون أن تفكر في أي أمر مادي مما تشيرون إليه . وحين قبلت أن أفترق بها لم أكن أعلم من أمرها شيئاً ولم أكن أعلق أية أهمية على غناها أو مركز أسرته . لقد كانت إرادة الله السابقة هي التي جمعتنا وأنتم مسلمون فهل تمارضون تلك الإرادة ؟ »

فقال أكبر أصهارى سناً : « لا نجهد نفوسك في الكلام عن إرادة شكر ليل ورغبتها فإنها تسمى الانفصال أكثر مما تنماه نحن »

وسمعت في هذه اللحظة جملة أصوات تصيح :



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الوزارة

دار الرسالة بشارع البديوى رقم ٣٤
عابدين - القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠

الحرورية

مجلة أسبوعية للفصحى والنثر

نصدر مؤقنا في أول كل شهر وفى نصف

السنة الثالثة

١١ ربيع أول سنة ١٣٥٨ - أول مايو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٥

من إحصان القصص



فهرس العدد



صفحة

- | | | |
|------------------------------|--------------------------------------|-------------------------------------|
| ٣٩٤ هذا القرن ... | أقصوة مصرية ... | يقلم الأستاذ نجيب محفوظ ... |
| ٤٠٣ لم يرغب أحد فى وجودى ... | عن الانجليزية ... | يقلم الأستاذ عبد الحيد حدى ... |
| ٤١٥ زئير الصين ... | للآسة منيرة سم شاه ... | يقلم الأدب أبراهيم ت. ج. ما ... |
| ٤٢٢ الحب أقوى من الموت ... | للكاتب الروسى ديمترى ميرجيكوفسكى ... | يقلم الأدب محمد عبد الفتاح محمد ... |
| ٤٣٣ حانى بابا أصفهانى ... | للكاتب الانجليزية « جيمز غوير » ... | يقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ... |

جسمه الدقيق صورة صليب
متساوى الأطراف على وجه
التقريب ...

ولم ير السائق بداً من إيقاف
سيده فقال بصوت خافت :

— سعادة الباشا ... سعادة

الباشا ...

فلم يبعث نداءه فيها أى أثر للحياة ، فرفع
الرجل صوته قائلاً :

— سعادة الباشا ...

واستطاع نداءه في هذه المرة أن يوقظه فتحرك
رأسه ، واضطرب شاربه كأنه جناحاً تسر يخفقان ،
وقال بلسان ثقيل متلعثم :

— من ... ؟

— وصلنا يا صاحب السعادة ...

— وماذا تريد ؟

— عفواً يا صاحب السعادة ... تفضل بالنزول

لتصعد إلى مخدعك

ففتح الباشا عينيه المحمرتين وكأن النور اللطيف
الذى يدير المسكان أذاهما ، فأغمضهما بسرعة وتحسس
بيده ذراع زوجته العارى كأنه قرية محلوقة بالياه وقال
بصوته الثقيل :

— يا هانم ... زينب هانم ...

فشهقت المرأة شهقة قوية لو أصاب تيارها الباشا
لا بقلته ، وقالت بتبرم وسخط :

— من ... ؟

— وصلنا ...

— وماذا تريد يا باشا ؟

— تفضلي لتصعد إلى مخدعنا

هَذَا الْفَرْزُ ط

أَفْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بقلم الاستاذ نجيب محفوظ

انتصف الليل ، وخيم السكون ، وشمل الصمت
الدور والطرق ، وانتشرت أنوار المصابيح الباهتة
كأنها تونس وحشة الأشجار الغروسة في الأفانيز
وقد مزق السكون الآمن بوق سيارة أتت
مسرعة من مبتدأ شارع العباس ، ثم وقفت أمام
الباب الحديدى المغلق لفيلا آية في الأناقة والجمال ،
ونفخ السائق في البوق مرات ، فخرج البواب من
كوخه الخشبي وفتح الباب ، واندفعت السيارة إلى
داخل الحديقة التى لا يبدو منها إلا أشباح الأشجار
ودارت دورة غير كاملة ، وصعدت منحدراً ثم وقفت
أمام الباب الداخلى للقصر ، ونزل السائق مسرعاً
وضغط على مفتاح كهربائى على كتش من الباب
فأضاء مصباح وأرسل نوراً أزرق هادئاً ، ثم فتح
باب السيارة ووقف كالتمثال ...

وانتظر لحظات وثوانى ودقائق ، ثم أخذه المعب
فأرسل ناظره إلى داخل السيارة ، فرأى الباشا
وزوجه مستترقين في نوم ثقيل ، وكانت السيدة ملقبة
بأنسها إلى الركن ، وجسمها الضخم الهائل ممدداً ،
يسدو في الفستان اللامع الللتصق به ، كفسرس
البحر ، وكان الباشا مسنداً رأسه إلى كتفها يحسبه
من رآه لفضالة جسمه ونحافته وقصر قامته — غلاماً
صغيراً . لولا شاربه النليظ الطويل الذى يرسم مع

- أصدد ؟ أنا لا أستطيع أن أتحرك فكيف لي بالصعود !
- ما العمل ... هل تقضى الليل في السيارة ؟
- ولم لا ؟ ... المقعد وثير لين كالفرش ، وهذه نجمة مريحة فما معنى التعب ؟
- فقال الباشا للسائق وهو ما زال مغمض الجفنين :
- يا حسن ... إذهب أنت .. سننام هنا فارتبك السائق وقال يتحرج :
- العفو يا صاحب السعادة ... هذا غير طبيعي . وسيرى البواب في الصباح ويرى الخدم ...
- فانثى الباشا إلى زوجه قائلة :
- يا هانم هذا غير طبيعي وسيرى البواب في الصباح ويرى الخدم !
- من الذى يكلمك ؟
- السائق
- أف ... لاتصافىنى ... ماذا همنا من البواب أو الخدم أو السائق ؟
- فقال الباشا للسائق بنفس اللهجة :
- أف ... لاتصافىنى ... ماذا همنا من البواب أو الخدم أو السائق ؟
- فسكت الرجل ولكن لم تطلعه نفسه على الذهاب فوقف ينتظر ، أما الباشا فأخرج متدبلة وجفف عرقه ، وقال وهو يفك ربطة عنقه :
- الدنيا شديدة الحرارة ...
- فاعتدلت المرأة في جلستها ، ولم تلبث أن صاحت :
- يا لطيف !
- مالك ... ؟
- المقعد مريح بي كفى في أرجوحة ! وأرادت أن تسك بشيء ، فوقمت يدها التخبطة على شارب الباشا ، قتالم الرجل وزرع شارب من كفها وهو يقول ضاحكا :
- دعى شاربى ... هل تحسبته جبل الأرجوحة ؟
- أنا فى غاية التعب
- شربت كثيراً يا زيب هانم ... شربت أكثر مما ينبغى لك !
- وماذا كنت أستطيع أن أفعل سوى ذلك ؟ الكل كان يشرب رجالاً ونساء ... أنت نفسك شربت كثيراً يا باشا
- أنا متمود على الشراب يا هانم ... أنا أستطيع أن أشرب جانة كاملة في ليلة واحدة !
- ومع هذا لم تماك أعصابك الليلة ... وعلا صوتك بالضحك على غير عادتك ، بل وتحكمت منى أنا يا ناقص !
- كيف ذلك ؟ ... هذا مستحيل
- مستحيل ! ... ألا تذكر ساعة خروجنا من البوفيه ؟ ... كنت تسير ورأى فظطرت إلينا عذيلة هانم تلك المرأة الوقحة وقالت : « كان الله في عون إبراهيم باشا فهو زوج ومروض » وتحكمت جميع المدعون وتحكمت أنت أيضاً !
- أنا لا أذكر هذا !
- طبعاً لأنك لم تكن في وعيك ، ومع ذلك فانت تزعم أنك تستطيع أن تشرب جانة في ليلة واحدة ... أليس كذلك ؟ ولكنكى انتفعت منك

- فضحكك منك مع الضاحكين بعد ذلك مباشرة
— وكيف كان ذلك ؟
— كان جماعة من الحاضرين يتمجبون لنحافة
فدك فاعتذر الأمير الذي فتحى بك عن صغر حجمك
بقوله « إن شاربك الثقيل يعوق جسمك عن النمو »
فضحكك مع الضاحكات والضاحكين ... وواحدة
بواحدة
— ياله من ضابط وقع !
— أنت المسئول عن جعلنا أضحوكة في كل
مكان ... لماذا لا تقص شاربك ؟
— أقص شاربي ؟ ... هل جنت يا هاتم ؟ !
— وما وجه الجنون في هذا ؟ ... إنه حمل
ثقيل على جسمك الرقيق
— لا يكون الرجل رجلاً بجسمه !
— أيسكون رجلاً بشاربه ؟
— معلوم ! أنظري إلى مثلك ، فانت امرأة
ولك جسم فيل .. ولكن هل توجد امرأة بشارب ؟
— الحق أقول لك إنى هممت مرة بقص شاربك
في أثناء نومك ... لولا الخوف
— وما الذى أخافك ؟
— أشقت من أن يصبح زوجنا لاغياً
— وله ؟ هل أنت زوجي أنا أم زوج شاربي ؟
— الحقيقة أنك بغير هذا الشارب تغدو غلاماً
لما يبلغ السن القانونية للزواج !
— هذا هذر سكارى والأولى بك أن تنحني
جسمك الهائل ، فضخامته الشاذة هي الدعاة الحقيقية
إلى السخرية ... ألم ترى صديقانك الليلة ..؟ كلهن
- نحيفات اللحم الإرامية هاتم وهي على كل حال لا تزن
نصف وزنك ...
— أنت المسئول عن وزنى
— أنا !
— نعم ... لأنك كنت دائماً تؤكد لي أنك
تحب اللحم المجالى والبقرى ... وأنتك تحترق الوزن
(الهاتف) ٢ ... وها أنت ذا تملص من تبعاتك
كما كنت تفعل وأنت وزير !
— ما شاء الله .. هذا قول أعدائى السياسيين ،
وأرى أنى أحجذ فى بيتى كما جحجت من قبل فى ميدان
السياسة الملون وأنى خسرت الدنيا جميعاً
— بل ربحت شيئاً مؤكداً ...
— وما هو ؟
— أنك صاحب مقام رفيع !
— يا هاتم أنت فى سكرتك كالحشاشين ، والحق
أنك تستأهلين رتبة ولكنى لا أدرى أى رتبة
تناسبك ... فلا أفكر قليلاً ... ما رأيك فى لقب
الصدر الأعظم ؟ !
... وهنا قطع حديث الزوجين طرق عنيف
على باب القصر الخارجى ، وشق الصمت الخنم صوت
متكر يصيح :
— يا بواب ... يا عم محمد ...
فسكت الزوجان دهشة واعتدلاً قليلاً فى جلستهما
وأرهما السمع ، وخف السائق مسرعاً إلى الباب
ليرى ما هنالك ...

كان الشرطى المكلف بالحراسة الليلية يسير

- الهوينى فى شارع العباس ، ولما بلغ قصر الباشا .
 سار بجذائه وعرج ملازماً للسور إلى شارع الإلهامى
 واتبه من سهوة إلى حركة فى أعلى السور فنظر إلى
 مصدرها فرأى رجلاً يقفز من الحائط ويسقط على
 بعد ذراع منه ، وقد تولاه الذعر لظهور الشرطى
 المفاجئ فتسمرت قدماء بالأرض .. وأسرع الحارس
 إليه وقبض على ذراعه بقسوة وهو يصيح به :
- يا ابن الملعون ! أتحسب البلد بلا حكومة ؟
 وكان المقبوض عليه أفندياً ، أنيق اللبس ،
 كشف نور المصباح الخافت فى وجهه عن ملامح
 وديمة ونظرة أدنى إلى الرقة والجبن منها إلى الشر
 أو التجدى ، ففحصه الشرطى بنظرة شديدة وهو
 يتحسس جيوهه وقال له متهمك :
- إخالك لم تسرق سوى هذه البذلة !
 فقال الشاب وهو يلهث من الإضطراب والخوف :
 — أتركى يا حضرة الشاويش أنا لست لصاً
 كما تتوهم
- عفارم عليك ... فمن تكون يا مولانا ؟
 — أقسم بالله العظيم أنى لست لصاً ... ولم أسرق
 فى حياتى قط وهالك جيوهى قشتمها كآشاء
 — آه ... هل كفت فى القصر زائراً إذا ؟
 — أنا ... أنا من أهل القصر
 — فهمت يا سيدى فهمت ... أنت ابن الباشا
 بلا شك وما تفكر من السور إلا رياضة بدنية كنت
 تقوم بها فى هذه الساعة المتأخرة من الليل !
 — بل أردت أن أخرج بسرعة
 — وما الذى يدعوك إلى الخروج بعد منتصف
 الليل ؟
- سغرا يقبل التأجيل
 أو ليس للقصر باب ؟
 — لم أجد وقتاً لإيقاظ البواب
 — يا مغيث ... هذا حقاً عصر السرعة ...
 وليس يبعد أن أرى غداً من يقفز من نافذة الطابق
 الثالث أو الرابع لأنه ليس لديه متسع من الوقت
 يهبط فيه السلم ... عوفيت يا سيدى عوفيت ...
 — أراك لا تصدقنى يا حضرة الشاويش ...
 أؤكد لك أنى من أهل القصر ... غير أنى استسهلت
 أن أقفز على هذا السور القصير
 — معلوم ... معلوم ... ليس الذنب ذنبك .
 ولكنه ذنب من يحتم تعليم الألعاب الرياضية
 والتدريب العسكرية ... على أنى أجد نفسى مضطراً
 إلى تأخيرك يوماً أو عدة أيام وربما عدة أشهر
 قال ذلك ودفعه أمانته .. ولكن الشاب ألصق
 قدميه بالأرض وقال بتوسل :
- لست لصاً ... لست لصاً والله ... أنا من
 أهل القصر
 — إذا كان ما تقوله حقاً فما عليك إلا أن تدخل
 القصر ثانية فأصدقك
 — حسن ... أترك ذراعى وسترى ...
 — أدخل البيت من بابه ... تعال
 وساقه إلى باب القصر وطرقه ، وهو ينادى
 البواب ...
 وأنى السائق على صوته مسرعاً وأيقظ البواب
 فقام الرجل ساخطاً وفتح الباب ، وأحدث ظهور
 الشرطى والشاب المقبوض عليه دهشتهما ، ونظرا

إليهما متسائلين ، فقال الشرطي :

— قبضت على هذا الشاب وهو يقفز من سور

القصر ، فادعى أنه من أهل الدار فهل تعرفانه ؟

فأضاء البواب المصباح الكهربائي ، ونظر السائق

إلى وجه الشاب الشاحب وقال مسرعاً :

— هذه هي المرة الأولى التي تقع عليه عيناى ...

وسأل البواب الشرطي :

— هل وجدت معه شيئاً ؟

— سيفتش فى القسم

وفى تلك اللحظة سمع صوت الباشا الثمل يصيح

فى سكoon الليل :

— يا حسن . من عندك ؟

فهرع السائق إلى الباشا ، وطمع الشرطي

فى سماع كلمة ثناء من صاحب السعادة فساق الشاب

أمامه وتبع السائق ، وقال حسن لسيدة :

— قبضوا يا صاحب السعادة على لص يقفز

من سور القصر .

فقام الباشا واقفاً وغادر السيارة ، وهو يقول :

— كيف ؟ دى لولو كانت فى البيت وحدها

ومر عن نحو الباب الداخلى وتبعته زوجته فى تعثر

ظاهري وكان الباشا يصيح : لولو .. لولو !

وفتح الباب وظهرت غادة جميلة فى لباس النوم

الأبيض الشفاف ، أشرفت فى الظلماء كالشمس ناشرة

فى الجو عطراً يفعل بالأعصاب فعل الموسيقى العذبة .

فصاح والدان :

— الحمد لله .. هل أنت بخير يا لولو ؟

فأجابته بصوت له فى الأذن وقع كالمنطر

فى الأنف :

— نعم ياماما ... ماذا حدث ؟

فقال الباشا :

— قبضوا على لص يقفز من سور القصر .

نفخ فلب الفتاة وقالت بصوت متهدج :

— لص !

— ألم تسمى حركة ؟

— كلا ...

— الحمد لله ...

وسار الباشا إلى حيث يوجد اللص والشرطي

والسائق والبواب وتبعته زوجته ولولو ، وزأت الفتاة

وجه القديوس عليه على ضوء المصباح الهادئ فاشتد

خفقان قلبها ، وزاغت عيناها ، وخففت بصرها

ذاهلة مضطربة ...

وقال الشرطي :

— يدعى هذا المجرم أنه من أهل البيت

يا صاحب السعادة

فأنعمت زينب هائم النظر فى وجه الشاب بعينين

أطفأت الخمر نورها وقالت :

— كذب ... هذا لص جرى .

ولكن ساورها شك فى صحة بصرها فالت إلى

زوجها وسألت بصوت خافت :

— أليس كذلك يا باشا ؟

فنظر الباشا إلى الشاب بعينين ذاهلتين كميني

زوجه وقال :

— بلى ... بلى ... هذا لص ولا شك

ثم مال على أذن لولو وسألها :

— أليس كذلك يا لولو ؟

ولم تجب الفتاة أو على الأصح لم تسمع السؤال .

فسأل الباشا السائق :

إصلاحه بالمحروب فوقعت في يدى الشرطى .. لست
لصاً ... قتشونى فلن تمشروا على شئ»

— وماذا شربت ؟

وكان السائق فى حالة سيئة من الغيظ والجنى
فقال :

— هذا لص كذاب يا صاحب السعادة وبينى
أن نسوقه فى الحال إلى القسم

ولكن الباشا انتهره قائلاً : لا تقاطع التحقيق
وسأل الشاب وهو يهز رأسه بدءاء :

— ماذا شربت ؟

— ويسكى يا صاحب السعادة

فسأله زينب هامم :

— بالصودا ؟

— نعم يا سيدتى

فالت المرأة على أذن زوجها وهمست :

— معذور ...

فرد عليها قائلاً بصوت خافت :

— نعم ... الويسكى بالصودا شراب ملعون

ثم دنا من الشاب وهو يقول : دعنا نفتشك

أولاً ... فاستسلم الشاب إليه ، ودس الباشا يديه

فى جيوبه ولم يجد سوى حافظته فأراد تفتيشها ،

ولكن الشاب لم يمكنه منها ، وأثارت مقاومتها

شكوك الحاضرين ، فقبض الشرطى على يديه بقسوة

وأخذ الباشا الحافظة ، وكانت لحقت به زوجته وابنته ،

وأخرج محتوياتها وكان بها ورقة من ذات الجنيه ،

وعدة بطاقات وصورة صغيرة ، ولاحظ منه نظرة

عارضة إلى الصورة ، فأيقظت انتباهه وشحنه بصره

— هل تعرف هذا الشاب يا حسن ... ؟ هل
هو من أهلنا ؟ !

وكان السائق حسن يختلس من لولو نظرات
ملتبهة ويراقبها بإرتياب ، فقال بانفعال :

— هذا لص مجرم يا صاحب السعادة

فقال الباشا للشاب بلسان متلعثم ثقيل :

— كيف تسول لك نفسك ادعاء قرايى ؟

— لست لصاً يا صاحب السعادة

— فإذا كنت تفعل هنا ؟

— لا أدرى يا صاحب السعادة

— ما شاء الله ... هل سقطت من طائرة فى

حديثى ؟

— كلا يا سعادة الباشا . . . ولكنى وجدت

نفسى بفتة فى الحديقة ... لا أدرى كيف ساقنى

قدمائى إلى هنا ! !

فقال الشرطى :

— ستجد نفسك بفتة فى السجن إن شاء الله

وغضب الباشا لمقاطعة الشرطى وقال له بعنف :

— يا عسكرى ... لا تقطع على التحقيق ...

فقال الشرطى بسرعة :

— حاضر يا أفتدم

وسأل الباشا الشاب !

— كيف تدخل إلى الحديقة وأنت لا تدرى ؟

— أنا آسف يا صاحب السعادة ، كنت سكران

وقادتنى قدمائى إلى هنا من غير أن يرانى أحد ونمت

على الحشائش بضع ساعات ، ثم استيقظت فى حالة

أدنى إلى الزوى والانتباه ، فأدركت خطيئى ، وحاولت

- فنظر إليها بإيمان فرأى صورة لولو ، لولو بذاتها ، هل يصدق عينيه ؟ ... أم أنها الحجر ؟ ... ونظر إلى زوجه يستعين بينهما فرأى بهما دهشة وإنكاراً ، والتفت إلى لولو فرأى أنها تنسحب بخفة وتمود إلى القصر تسير بخطوات مترنة مثقلة غير مبالية بشيء ...
- وسمع الشرطي يسأل بصوته الغليظ :
- هل وجدت بها مسروقات يا صاحب السعادة ؟
- فرد محتويات الحافظة إلى موضعها وأعادها إلى صاحبها وهو يقول بلسانه المتلثم :
- كلا ... ما بها يخصه دون غيره ...
- وكان السائق على بعد قريب من مولاه فاستطاعت عينه الحاد أن تريا ، فارتد إلى حالة جنونية من الغضب والغليظ وقال لسيده بصوت متهدج :
- إن عدم الشعور على شيء معه لا يعرته بحال وهو ولا شك قد حاول السرقة فلم يفلح .
- فقال الباشا :
- سأتحقق مما إذا كان سكران ...
- ومال على فم الشاب يشمه ثم قال :
- الآن حصحس الحق ... هذا الشاب سكران بغير شك ...
- فكاد السائق يمين وقال بغضب :
- العفو يا صاحب السعادة ، المادة أن الإنسان إذا كان شارباً لا يشم الحجر في أفواه الآخرين !
- فانتفض الباشا غضباً ، وقتل شاربه بقطرسة وصاح بالسائق :
- إنه شارب يا كلب !
- العفو يا صاحب السعادة ... أنا أغنى ...
- لا أقبل منك كلاماً ياسفيه ، لقد قضت سفاهتك على أسباب رزقك في هذا البيت. يا عسكري دع هذا الشاب لي الآن ، وخذ هذا الوقع خارجاً ...
- وصدع الشرطي بما أمره ، وخلا المكان إلا من الباشا وزوجته والشاب .
- قال الباشا للشاب بلهجة ترم على التهديد والوعيد
- ألا تعرف من أنا ؟
- أعرف طبعاً يا صاحب السعادة ...
- فكيف إذا تبول لك نفسك انتهاك حرمة بيتي ؟
- أنا غايي شريفة يا صاحب السعادة ...
- وهل يوجد شرف بعد منتصف الليل ؟
- وسأته السيدة :
- ما صناعتك ؟
- موظف ...
- هذا يعني أنك صملوك ...
- صملوك !
- نعم ... إن الكاتب الحقيق الذي لا يجد له وظيفة تشرفه يطبع على بطاقته كلمة موظف وهي لا تمنى في الواقع إلا أنه كاتب حقير ... أليس كذلك ؟ ...
- ... !
- في أي وزارة ؟
- المساحة ...
- ما شاء الله ... وما هي مؤهلاتك ؟
- ... !
- ما هي مؤهلاتك ... أجبتني ؟ !

فوقعت في غرام صملوك متشرد بمن يسموهم
بالموسيقين !

— لا تتكلم عن صهرك بمثل هذه الألفاظ ،
فليس هو الآن بالصملوك ولا بالمتشرد ، ولكنه
مفتش موسيقى محترم بوزارة المعارف !

— أنا الذي عينته في هذه الوظيفة التي هو غير
أهل لها بحال ... أنا الذي خلقتة

— اخلق هذا أيضاً من أجل لولو
ولكنه غير قابل للخلق ... لقد كان الأول
معنياً فاستطعت أن أصنع منه مفتشاً للموسيقى وإن
كان لا يفقه شيئاً في الموسيقى ، ولكن ما عسى
أن أصنع بهذا وكل مؤهلاته البكالوريا ؟ ... الأوفى
أن نطرده !

— ليت ذلك كان ممكناً ! ... ولكنك تعلم
أن لولو عنييدة صلبة الإرادة ، فلنوار سؤأتنا ونصنع
منه شيئاً ...

— مهما فعلت فلن يكون أكثر من كاتب
— حنانيك يا باشا ، هل شح الزمان حتى
تزوج ابنة واحد باشا مثلك ووزير سابق (ووزير
لاحق إن شاء الله) من كاتب ؟ !
— وما ذنب الزمان إذا كانت ابنة الباشا مجنونة
مثل لولو ؟

— دعه أحاديث الغضب جانباً ، وقل لي ألا يمكن
إلحاقه بأي وظيفة في مفوضية أو قنصلية ؟
— مفوضية أو قنصلية ! .. أهذا كلام يقال
على واحد كل مؤهلاته البكالوريا ؟

— أف .. أنا أعلم جيداً أنك متعب ومهما
(٢)

— البكالوريا ...

— بس يا خير أسود .. وما هيته ؟

— ... !

— وما هيته .. أتوسل إليك أن تجيبني !

— ستة جنهات !

— عال .. ولماذا تحب ابنة باشا ؟

— سيدتي ..

— لماذا لم تحب ابنة كلب من طبقتك ؟

— ونهد الباشا من قلب مكوم وقال للشاب :

— تفضل مع السلامة ..

وصعد الزوجان إلى خدعهما وقد نال التبع
منهما كل منال فارتعى الباشا على « الشيزلنج »
واستلقت السيدة على الفراش وكأنا واجين
حزينين ...

ونهد الباشا وقال لها :

— أيعجبك هذا ؟

— أنت دائماً تلقى على تبة كل شيء ..

— أنا رجل ينوء منكجاء بعب قفيل سواء

في الوزارة أو مجلس الشيوخ أو الشركات ، فأنت
وحذك السئولة عن فساد أخلاق بناتك !

— لا تتكلم يا سيدتي عن بناتي بهذه الهجة
التي لا أقبلها بحال ... إني أعلم أنهم أشرف النساء
جميعاً !

— إذا أنت ترضين عن هذه الأفعال

الشائنة ؟ ...

الأترين أن مأساة الأخت الكبرى تتكرر؟ تلك
الفتاة البائسة التي أردت أن أزوجه من طبيب كبير

يكن من أمر فينبني ألا تكون درجته أقل من السادسة وألا تقل ماهيته عن خمسة عشر جنبها ... وأمامك أصدقاؤك الوزراء فليختره أى واحد منهم سكرتيراً له ..

— ليس الأمر سهلاً يا هانم كما يبدو لك فالصحف تقف بالمرصاد للحسوبيات والاستثناءات — وهل يرضى الصحف أن تزوج ابنة واحد بأشأ من كاتب بستة جنيهات ؟

— إن للصحافة هوماً لا تدع لها وقتاً للتفكير فى مسألة زواج لولو !

— وإن مستقبل لولو لفوق الصحافة وهوما فينبني أن تخلق هذا الشاب من جديد ...

— هل كتب على أن أخلق كل يوم شاباً من جديد ؟

— أرجو أن تذكر أنك كفت موظفاً بأشأ حين تزوجتك وأنه لولا المغفور له والدى ...

— إن أباك لم يخلقى ولكنه أتاح الظروف المناسبة لعظمى الكامنة !

— صه .. لولا أبى لكنت الآن موظفاً بالدرجة السابعة على أكثر تقدير ؟

— أبهذا الكلام تدافعين عن ذوق بناتك القصر ؟

— معلش يا باشا ، إنهن ورثن عنى ذاك الذوق الذى حملن فيه مضى على الزواج منك !

وكان السائق هائجاً غاضباً ، يلمن ويتوعد ، والشرطى يهدى دوعه ويمزيه عن « قطع عيشه »

يجب محفوظ

آلام فتر

للساهر الفيلسوف موم أبو طاني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة علمية تمد بحق من آثار القرن الحادي

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ومنها ١٥ قرشاً

لم يرغ أحد في زوجي

الحان
عن الانجليزية
بقلم الأستاذة عبد المجيد حمدي

المشوعة من عمل السنوات
المديدة، بقطة الصوف الزرقاء
الطروحة على ركبي وقد بلغت
في ذلك اليوم السادسة والسبعين
من عمري فالיום هو عيد
ميلادي ولكن أحدا لم يذكر
ذلك ولم يشعر به، لاني هاري
الذي أعيش الآن معه ولا امرأته
الينور الذكية الجليظة ولا ولداها.

قضيت اليوم كله أدأب أملك حبيبا حزينا في أن
يتذكر أحدهم فيحضر لي ويقبلني ويقول لي :
« عيد سعيد يا عزيزتي ! » . ولكن لم يكن هذا
الأميل إلا حافة، فقد كانوا جميعا مشغولين بشؤونهم
الخاصة . لذلك نسيتي هاري والينور وحفيداي ،
وكذلك نسيتي أبنائي الآخرين : توم وهو محام
في برمنجهم ، وآلان الطبيب في نورثامبتون وجورج
الذي كان يبحر جريده في مدلاندرز ، وجين التي
تميش في لندن وتكتب لإحدى المجلات النسائية
مقالات تتقاضى عليها أجورا عالية وقد قضيت عندها
جزءا من شتاء العام الماضي

ولكن لا بأس ! فانا امرأة شبيخة وأبنائي
جميعا جدد مشغولين ولهم من نجاحهم في الحياة ما يليهم
عن الاهتمام بأمر عجوز مثلي . ولم يعرفوا بعد الشقاء
الذي يشعر به الإنسان عند ما يشيخ وبري الحياة
تمر به مندفة وتتركه وراءها . إنهم لا ينتظر منهم
أن يدركوا ما في الشيخوخة من قسوة ووحدة .
يا لهول ما في الشيخوخة من وحشة وخوف !
لقد كان كل شيء قبل ثلاث سنوات ، مخالفا
فما يتصل بحياتي لما هو كائن اليوم ، إذ كان زوجي
جون لا يزال على قيد الحياة فلم أكن أبالي بالشيخوخة

« هل هناك مسألة أعظم من أن يكون
الإنسان غير مرغوب في وجوده ؟ هنا قصة مثيرة
عن امرأة واجهت هذه المشكلة وما زالت تواجهها
لي أن ... »

جلست إلى جانب شباك غرفتي الوحيدة التي
فيها أنا وفيها أجلس ، في خط رفيع من شعاع
الشمس المائلة إلى الغروب ، وقد طرحت على ركبتني
قطعة القماش التي كنت أحيكها

ونظرت بعينين كليتين إلى المجدران العارية
القائمة على الجانب الآخر من الطريق ، وهي كل
ما يمكن أن تقع عليه العين من شباك غرفتي ونحن
الآن في شهر مايو من فصل الربيع وقد تفتحت
الزهور وعطر شذاها الجو

وقد مضى على الآن ثلاث سنوات لم تقع عيني
في خلالها على زهر الخزامى الجليل ، وهو يستقبل
الربيع باسم جذابا ، ولا شممت شذى اليليق المنعش
للصدور . مضى ثلاث سنوات على اليوم مات
فيه زوجي جون ، فاضطررتي موته لأن أعيش متنقلة
بين بيوت أبنائي ثلاث سنوات طويلة جواف قضيتها
وحيدة في عزلة عن الناس !

جلست إلى جانب الشباك تعبت أصابعي الحشنة

فقد علمتني هذه السنوات الثلاث ألا أقول شيئاً وأن أبتعد عن طريقهم . لقد كان لهم من مشاغلهم وضيق وقتهم وشدة ملهم ما يحملني باطافة الأمومة على أن ألتص بهم في أعماق قلبي المذر من عدم إقبالهم عليّ

كانوا يتبرمون بطراز ملابسى ، كانوا يكرهون القماش المطبوع الذى أخط منه الملابس ، والمترد الأبيض الذى كنت ألبسه فوق ثوبي . فابتاعوا لى رداء من الحرير الأسود ليسته إرضاء لهم ، ولكننى كنت أشعر أننى فيه غريبة غير مرصاة ، أشعر بالوحشة إلى جلايى القطنية القديمة الطراز

كذلك كانوا يتبرمون بأسئلى إذا خطر لى أن أسألهم سؤالاً ، ولقد سمعت لندا امرأة «آلان» تقول فى كثير من الضجر :

— إن أمنّا متعبة تشبه الأطفال فى أسئلتها ذكرت هذا كله فى جلسئى هذه فسرى الجزع لى نفسى

وذكرت أن جين انتهرتني مرة إذ قالت غاضبة : — إنك تتبرين أعصابى يا أمى بكثرة كلامك على أمور قد مضت . ألا يمكن أن تفهم ابنتى أن الماضى هو كل ما أمك فى الحياة ؟ لقد سرت نظرة التاذى على وجهى عند سماع هذه الكلمات وأمتلأت عيناى الكليتان بالدموع البطيئة ولكن جين لم تلحظ شيئاً من ذلك

لقد تبين لى الآن أننى كنت دائماً عتية فى طريقهم ، كما حاولت المساعدة فى بعض الأعمال التزلية ، وما كنت أقصد بذلك إلا لأن أجعل نفسى بينهم قائدة وأن أملاً فراغ ساعات أىامى الطويلة

تنزل بى وهو إلى جانبى . لقد كان جبه وقربه منى يملآن نفسى شجاعة ومحيطان حياتى بالهدوء والسعادة والآن قد ترك جون هذا السلم وتركنى وحيدة تكتنفى الحيرة والخوف فى عالم هو فى عيني شديد الاتساع والحدأة وسرعة الحركة

ولقد عزائى عما أنا فيه أن جون لا يستطيع أن يعلم الحقيقة ، فلقد كان واقعاً من أننى سأكون هنية وفى خير بعد ذهابه . لقد قال لى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة :

— سيعنى بك الأولاد يا مارى ولن تكونى وحيدة يا عزيزتى ، سيحبك أبنائنا ويرفون حياتك نعم ، فبعد أن انتهى كل شيء وبعد أن رأيت جون يوضع فى مقره الأبدى بمقبرة البلدة الصغيرة أخذنى أبنائى معهم . فأقت أول الأمر مع آلان ثم مع توم ، وبعد توم أخذتني جين فقصت معها فترة من الزمن وأنا الآن مقيمة مع هارى . لقد أدى الجميع واجهم ، ولكن يبدو لى على صورة ما أنهم أصبحوا لا يشبهون أبنائى الذين من لحي ودعى . فهم ياملوننى كأننى غريبة فى بيوتهم ، غريبة لا تفصل بهم ولكن يجب أن يتحملوا عبئها

لقد أعجبني ذلك وشعرت فى أعماق قلبي بشيء صغير جازع يصبح بهم طالبا للحب والراحة والتفاهم ويرجوه أن يقتطعوا من حياتهم الملوءة حركة فترة وجيزة يقولون لى فيها إنهم لا يزالون يحبونى ويحتاجون لى ويرغبون فى وجودى لى جانبهم ، كما أجبونى واحتاجوا لى ورغبوا فى وجودى عند ما كانوا أطفالاً

ولكننى لم أنطق قط بهذه الصيحة الدفينة ،

أيضاً : ترى ترحب لندا بقدمي ؟ وهل يتبسم عند ما أقبل عليها وتقدمني لضيقها ؟ من يدرى ، ولعلها أيضاً تسمح لي بمساعدتها في تقديم الشاي والقطاير الصغيرة . لقد كنت أرجو من أعماق قلبي المهجور أن تسمح لي بأن أجالس المدعوين

فتحت الباب في استحياء ودخلت ، فتلفت لندا وإذ رأني قطبت جبينها علامة عدم الارتياح لوجودي . ثم قالت في جفاء :

— لقد حسبك ستبقى في غرفتك

فأجبت :

— لقد أتيت لقضاء فترة وجيزة يا لندا وكانت عياني وأنا أنكم تمسولان إليها في أن تسمح لي بالبقاء وأن تشفق على

فتنهت لندا تهادي المتهور وأشارت إلى كرسي في ركن بعيد من أركان الغرفة جلست عليه في هدوء وأخبارات يدي المرتجفتين في حجري حتى لا يلاحظ الضيوف اضطرابي .

وتكلم النسوة في أمور لا أعلم من أمرها شيئاً وتجاهلن محاولاتي المتواضعة التي كانت تنم عن رغبتني في الاشتراك في الحديث ، فسعرت بأنني قد زجرت وأنا بوحيدة لا موضع لي في ذلك المكان . لذلك وقفت في الحال ، وتركت الغرفة في سكون ، مقفلة ورأى الباب في بطن ، ثم تسربت إلى غرفتي فترعت ثوبي الأسود ، وفككت دبوس الأمايست ، وبقيت فترة طويلة مسكة هذه الهدية الزوجية العززة في يدي النحيلية المرتجفة ، بينما سالت الدموع على وجنتي المجدبتين .

ولم ألهم أن قلت لنفسي :

الفاخرة . كنت أود أن أذهب إلى المطبخ فأسوي من حين إلى حين بعض القطاير ، كما كنت أحب أن أصليح ملابس أخداني أو أنظف غرفة الجلوس ولكني لم أكن أقدم على عمل من هذه الأعمال لأول مرة حتى عبت البنور وقالت وهي تلوي رأسها :

— إنني أفضل أن تترك ذلك للخادم

وطلبت مني لندا ألا أتدخل في شؤون بيتها قائلة في صراحة :

— إنه (يعني) ك تعلمين وأنا أفضل أن أرتبه

على الطريق التي أراها

وشعرت من جراء عدة أمور صغيرة كهذه أنني قد جرحت وأنا لم أكن في بيوت أبنائي إلا غريبة طفيلية . وهكذا تعلمت أن أكتف ساعدي وأن أؤرم غرفتي وإن كنت أشعر فيها بالوحدة والفراغ

وحدث مرة في بيت آلان ولندا أن كان هناك بعض الضيوف لتناول الشاي ، فلبست ردائي الجديد الأسود ، وجمعت شعري الأبيض الرفيع ، وشبكت بئيتي بدبوس رأسه من حجر الأمايست كان زوجي جون أهدانيه في الذكرى الثانية لزوجنا ، ثم نظرت إلى المرأة نظرة الناقد لأرى إن كان في منظري ما يدعو إلى التفور ، وممرت بلطف بكبي على ردائي وعلى شعري ، ثم هبطت السلم إلى غرفة الاستقبال حيث كان الضيوف جلوساً ، على أنني عند ما وصلت إلى الباب وقفت لحظة مترددة .

وأحسست في وقتي بارتجاف يدي من التأثير العصبي كما أحسست بقلبي ينبض بشدة . ترى أكان في منظري ما يدعو إلى الاشتراز ؟ لقد سألت نفسي هذا السؤال غير مطمئنة إلى الجواب . وسألت نفسي

— إنني لشيخة حقاء إذ أبكى .

لم يبق من أثر لأشعة الشمس حيث جلست على الكرسي الواطي في غرفتي ، ولم تلبث عتمة النسق أن ملأت الجو ، على أنني ما زلت جالسة في مكاني مطبقة جفني مطلقة لفكري العنان يسبح في ذكريات الماضي السعيد الغامض .

عاد الخيال إلى مزرعتنا الصغيرة في كورنيش ، تلك المزرعة التي لا تنفك عواطفني تحن إليها كلما شمعت بالفراغ الذي يكتنفني وسط المدينة الآهلة فارست أمام عيني صورة الريشة والحقول والبيت الأبيض الخشن المنظر الذي ولد فيه أبنائي الخمسة وشبوا ، ورأيت غرفة النوم الكبيرة وقدهت ورق جدرانها ورأيت السرير الخشبي الكبير المزخرف الذي كنت أعاني عليه آلام الوضع كلما أخرجت أحد هؤلاء إلى عالم الوجود .

رأيت نفسي بعين الماضي شابة صغيرة رشيدة سرية الحركة لا عجوزاً بطيئة كما أنا الآن ، ورأيتي متغلة في خفة من مكان إلى مكان أمجز عمل البيت وأرأي الصغار . رأيتني أغسل الملابس والآنية ، منحنية على الوجاء متعبة شاحبة ، مشتغلة في الحديقة في أشعة شمس الصيف الحارة ، معدة نار الشتاء يبدن خشبهما وشققهما الصقيع ، معنية بتغذية الأطفال وتطعيمهم وتشبثهم على الصدق ومعرفة الحقائق ، مجتهدة في إقناعهم معنى الشرف والبصير والكرم ، ولا أذكر أنني أهملت في ناحية من هذه التواحي ، وإنني لأشعرهم الآن كما كنت أشعرهم أطفالاً يرتلون صلاتهم كل نساء .

إني لأذكر كيف كنت أنا وجون نقتصد ونقتز على نفسنا لنستطيع أن نتابع للأطفال أندية جديدة ولنسددهم نفقات التعليم في المدارس ، ولتكنهم من أداء مدة التمرن للهن التي أعدتهم لها دراساتهم وإنني لأسمع جون وهو يكرر قوله :

— إن أبناءنا هؤلاء يماري ليستحقون كل هذا العناء والتمب فسيأتي يوم نفخر بهم فيه ، وسيكونون مبث رفاهتنا في شيخوختنا .

ولقد صدقت زوجي حينذاك ، وتطلعت إلى الزمن الذي يصبح فيه أبنائي رجالاً ونساء ناجحين في الحياة يؤلفون بيوتاً هنية سعيدة زورها أنا وجون ، فنجد فيها أحفاداً لنا أعزهم وأدلمهم وأهمز مراجيحهم لأنهمهم

مرت في هذه الذكريات وأنا جالسة في مكاني ساعة النسق فالتبست ، فإن أبناءنا لم يدعوني وأبهم لزيارتهم إلا نادراً ، وبعد أن غادرنا الواحد بعد الآخر بقينا نحن الاثنين في مزرعتنا زوجين شيخين وحيدين منسيين

أما الأحفاد ، فقد كانوا في الحق أطفالاً من الطراز الحديث فلم يسمح لي بأن أدلمهم أو أهزهم ، بل إنني حتى لم أر قط « آن » ابنة جورج ، فقد كانت في المدرسة التي ألحقها بها أبوها في سويسرا ، عندما مات جون ، ولم تحضر جنازة جدها

نظرت إلى يدي الجائفتين المشوهتين البسوطتين على ركبتى ، وذكرت كيف كانت هاتان اليدين تلتصقان في سرور في سبيل العناية بالأطفال ، فأصبحتا الآن عديمتي الفائدة شيختين مشوهتين لا يرغب فيهما أحد .

وفي هذا اليوم يوم ذكرى ميلادى هيات لى
الحاجة أنهم سيحضرون لى مهنتين معينين عن حجم
لى وعطفهم على !!

أخيت رأسى فى بطء وأطبقت جفنى
وفي صباح اليوم التالى بكرت فى المهبوط لى
الطابق الأول لأستطيع الاجتماع بهارى وحده، فلما
وجدته فى غرفة الطعام ابستمت ابتسامه مرترجة
وقد جهدت فى تلك أعصابى والترود بالشجاعة،
وقلت وقد بدا فى صوتى الرفيع أثر الاضطراب على
الغمم منى :

— لقد كنت أفكر فى أمرى يا ابنى وقد
وجدت أن أبى حاجة لى تغيير الهواء، وإبنى لأحب
أن أبقى هنا معك أنت وإلينور، ولكنى أرى أن
أسافر الآن لى جورج، فهل لك أن تكتب لى
لتنخبره بأبى ذاهبة لى لى الحال ؟

لم يكده هارى يسمع هذه الكلمات حتى بدا أثر
الارتياح على وجهه، فوخز ذلك نفسى، وألقى أن
أرى أبى أيضاً مسروراً للتخلص منى .

فرد جورج فى شىء من التذمر يقول لى مستند
لاستقبالى إذا كان من الضروري أن أذهب . فأجابته
إلينور برسالة تلمرافية إن ذلك من الضروري جدا .
وهكذا أعددت حقبتى المتقبة وأر كيتى هارى القطار
وقبلنى قبة وداع عاجلة معتذراً بأنه مضطرب أن
يسرع فى الذهاب لإرتباطه بجموع هام يتصل بأعماله؛
على أنى لم أكيد أشعر بما فى عمله من إهمال لشأنى،
لأنى ببند أن علمت أن ليس بين أبى من يرغب
فى وجودى لم يبق ما هو أشد من ذلك لإلزاماً النفسى .

وبينا أنا غارقة فى هذه الأحلام إذا صوت إلينور
الحاد يخترق غشاء رأسمى ويقطع على أحلامى، متسرّباً
خلال باب غرفتى نصف المفتوح، كانت مقبلة من
الردهة، وكان كمها خذاثها الباليان يقرعان الأرض
بشدة تيمث فى الجو صدى عالياً، يسرهارى لى جانبها
فى خطوات بطيئة ثقيلة ... سمعتها تقول له :
— أقول لك إن سبرى قد فرغ يا هارى !
ويجب أن تبعدها عن هذا البيت، لأنها تتدخل لى
بعيد فى ترتيباتى الاجتماعية

سألت نفسى متجيرة : ترى من هى التى تريد
إبعادها عن هذا البيت ؟ أمى الخادم الجديدة
أم لى الطاهية ؟

ثم سمعت صوت هارى بطيئاً تبدو فيه الحيرة
وهو يقول :

— ولكنى أرى لى إلينور، صحيح أنها عجوز
كالأطفال ومتعمية قليلاً، وأنا أيضاً لا أحب بقاءها
هنا ولكن ماذا أستطيع أن أفعل ؟
فقلت لإلينور فى حدة :

— يجب أن تعمل شيئاً، وبحسن أن ترسلها
لى جورج، فإنه لم يتحمل قط نصيبه من هذا العبء
وليس يهمنى أين ترسلها ولكن يجب أن تبعدها عن
هنا فى أسرع وقت

سمعت صوت إقبال باب غرفتهما وجلست فى
الظلام مصمومة لا أستطيع حراكاً
لقد كنت أنا التى يدور الحديث حولى أنا التى
يراد إبعادها عن البيت ! أنا « المجوز كالأطفال
المتعبة قليلاً » كما قال هارى

بوجودى إلى جانبه ! وجدت من يرى أنه محتاج إلى
لقد كان ذلك معجزة ! كان إجابة لصلواتى ودعائى .
فأطبقت عيني التمتين لأخفى الدموع التى غمرتها
بجأة ، والإنسان إذا كبر كانت دموع الفرح أسرع
إلى عينيه من دموع الألم والبكاء .

وكانت « روث » امرأة جورج تنتظرنى فى
البيت ، ولم أكن قد رأيتها غير بضع مرات منذ
زواجها من ابنى ، وأذكر أنها كبيرة الجسم شقراء
ممتدة بنفسها زرقاء العينين قاسيتهما مرتفعة الصوت .
ولقد رأيتها الآن قد تغيرت قليلاً ، إذ أصبحت أقل
نشاطاً مما كانت وأشد تحكماً ، ولكن صوتها كان
كما عهدته مرتفعاً ، وكذلك كانت عيناها على عهدى
بهما قاسيتين

رحبت بى امرأة ابنى فى فتور وقبلتى قبلة باردة
وإلى لأظن أن « روث » من هؤلاء النسوة اللواتى
يحسن أن الشيوخ من الآدميين كالخيل التى أتلفها
الممل الشاق يجب قتلها متى أصبحت عذبة النفع «
نظرت إلى « آف » نظرة تقيص بالجزع
والرعب ، فابتسمت لى ابتسامة تبت الاطمئنان إلى
النفس الحائرة وقالت :

— لقد غادر أبى البلدة اليوم لحضور اجتماع
سياسى ، وسيعود إلى هنا صباح الغد ، فقمى إلى
غرفتك المجاورة لفرقى ، وسأفك لك حقيقتك لأنى
أعلم أنك متعبة يا جدتى

ثم تأبطت ساعدى ومضت بى
وشعرت وأنا أسعد معها السلم متباطئة بماطفة
الشكر تغمرنى وقلب فى نفسى : « مهما حدث الآن

قد أصبح قلبى كبيراً يذى كل قلب مجوز
كبير ...

كان كل ما أملكه هو أن أحاول الترفيه عن
نفسى بأن جورج يعيش فى بلدة صغيرة على مقربة
من المزرعة التى أحببتها وتعودت حياتها وفى ذلك
بعض المراء . غير أننى كنت أضطرب كلما ذكرت
أننى ذاهبة إليه غير مرغوب فى وجودى .

زلت من القطار فوقفت على إفريز المحطة دائخة
متعبة من الرحلة غريبة بين الناس حائرة فيما أفعل
ثم سمعت ورأى خطوات تجرى بسرعة ، وشعرت
بيد تمسك بساعدى فى لطف وسمعت صوتاً يقول :

— هل أنت جدتى ؟

فتلفت فرأيت أمامى فتاة طويلة رشيقة بنية
الشعر مرسلته لها عياناً واسمعتان صافيتان ، تبدو
على فيها المذوبة والزناة . فقلت :

— نعم أظن أننى لا بد أن أكون جدتك

فظلقتى بساعديها الفتيتين القويتين وقبلتى قبلة
حارة ، هى أول قبلة حقيقية تمتعت بها منذ ثلاث
سنوات . وقالت :

— أنا « آف »

وقادتني حفيدتى إلى سيارتها الصغيرة الزرقاء
فساعدتني فى الصعود إليها ، حتى إذا أدارت المحرك
ابتسمت لى وقالت :

— حقاً إننى لسعيدة يا جدتى بقدمك !

وقعت هذه الكلمات من نفسى موقع النداء من
نفس الكلب الخائض ، والكسب الخائض اختلطت
هذه الكلمات تنهفة : لقد وجدت أخيراً من يسعد

فإنني سأجد «آن» إلى جاني»

لقد صدق ما توقعته ، ففي الأشهر التي تلت ذلك اليوم ، كانت «آن» هي المستندة دائماً للدفاع عنى في حماسة وغيرة ، وهي التي كانت تغمر أياي بضوء الشمس وبالسعادة ... كانت تجيب على أسئلتى المتواضعة وتحدثني بأخبار أصدقائها وما بهم من الشئون ... كانت تمرض على مسألتها طلباً لنصيحتي ، كانت تعاملني على أنني إنسانة حية ، لا على أنني عبء ثقيل عديم الفائدة ، فكنت أقابل هذه المعاملة بأرق ما أستطيع من مظاهر الشكر وعرفان الجليل

ولولا «آن» لكانت حياتي في بيت جورج كئيبة موحشة كما كانت في بيوت أبنائي الآخرين . ولم يكن في تصرفات جورج ما يدل صراحة على عدم شفقتة ، وكل ما هنالك أنه لم يكن ليهم بي على نوع ما . فقد كان كل همه محضوراً في الصحافة والسياسة

وكان اهتمام «روث» منصرفاً إلى عملها الاجتماعي وإلى تدبير زيجة طيبة «لآن» ، ولم أثبت أن أدركت أن «روث» إنما قصدت «بالزيجة الطيبة» أن تزوج «آن» من ستيوارت با كستون ابن أحد مديري البنوك

وكنت قد التقيت بهذا الفتى على أثر وصولي إلى بيت جورج . وإذا كنت تعودت ملاحظة وجوه الناس منذ خمسين سنة وأكسبتني التجربة صدق الحكم على أخلاقهم السائدة وراء مظاهرهم ، فقد دقت في وجه ذلك الفتى القصير النحيل ثقيل الحركة التي رأيت فيه «روث» الزوج الصالح لابنتها ،

فطرت إلى عينيه الصغيرتين الزرقاوين الماكرتين ، وإلى فمه الرقيق الضعيف الذي يدل على القسوة فلم أحجب ما رأيت ، لقد كان وجهه مجرداً من أمارات القوة والشفقة وكرم النفس ، وهذا هو الرجل الذي تخيرته «روث» ليكون زوجاً لابنتها !

شعرت عند ما رأيت هذا الفتى برعشة الخوف تسرى في نفسي ، ورجوت ألا تكون «آن» قد أحبتة ، فقد كنت أشفق عليها من ذلك الحب لغامى بأن الشباب متلف إلى الخيال تعميه في سهولة الهالة التي تحيط بالثروة والمركز العالي

ثم قابلت «كن ادامس» فلم تلبث أن تلاشت جميع خوافي فيما يتصل باستيوارت با كستون وعلاقته «بآن» ، ففي مساء يوم من أيام شهر يونيو بينما كنت جالسة في الحديقة أقبلت «آن» ومعها فتى طويل القامة قدمته لي بقولها :

— هذا هو «كن» يا جدتي

قالت هذه الجملة في صوت متهدج ، فظفرت إلى الفتى نظرة حادة عند ما تناول يدي المجددة وأمحي عليها مقبلاً

كان «كن» ذا عينيّن واسعتين رماديتين ضاحكتين ، في وجهه الأسمر بساطة ، شعره أسود سيمك ، فمه واسع سار . ابتسامته شيء ذكرني بزوجي جون وقد أحببته حباً شديداً لأول مرة وقع نظري عليه . وكان رداؤه قديماً رثماً وكان هو النحيل الجسم ، وعلى الرغم من ذلك قلت في نفسي : «هذا هو الرجل الذي يلقب بآن» ولكن هذا إذا أسكن أن تحبه الفتاة

« أن » من مقابلته في أى مكان آخر . وكان ستيوارت باكتون يزور البيت كل ليلة على التقريب وكان الجميع ، ما عدى وأن ، يقابلونه بالترحيب القلبي الحار

وفي مساء يوم من الأيام خرجت لأتباع بعض الحاجات فلقيني « كن » في الطريق ، فرأيت أنه قد ازداد نحولاً وشحوباً عما كان من قبل ، وقد استوقفتني إذ رآني وقال :

— خبريني يا مسز مارتن ماذا عسانا نستطيع أن نفعل « أن » وأنا ؟ إنني أحبها حباً شديداً وأبواها لا يسمحان لي بأن أراها . وإني لأعلم أنني غير كفء لها لأنني رجل فقير ، ولكن سياى يوم أولف فيه كتاباً يعود على « بالرخ ، وعندئذ أستطيع أن أقدم لها كل ما تحتاج إليه ، وإلى أن يحى هذا اليوم أعطيها كل ما في نفسي من الحب فابتسمت لما في حديثه المتحمس من لهجة جادة وقلت :

— إنى أظن أن حبك كاف « لأن » فلا تفقد الأمل يا « كن » فسينتهى الأمر نهاية طيبة على وجه من الوجوه

واجتهدت أن أساعد « أن » بتبنيي « روث » إلى عدم ارتكاز بنفسها « كن » على أساس معقول ، ولكنني بذلك قد زدت الأمر سوءاً . فقد أجابني في جفاء :

— أرجو أن تهتم بشؤنك الخاصة ، وكفى تدخل في شؤون « أن » فإن ما تسببه لي من المتاعب كاف بدون تدخلك

ثم رأيت « أن » تنظر إلى « كن » نظرات ملتهبة ، ورأيها تنقسم له ابتسامة حيية مضطربة ، فملت كما لو كانت هي التي خبرتني بأنها تحبه من أعماق قلبها حباً يدوم إلى الأبد

ولكن الأمر عند أم « أن » كان على العكس من ذلك ، فقد كانت تبغض « كن أدامس » بغضاً قتللاً لا يرتكز على سبب معقول . فقد قالت لي مرة في لهجة غاضبة :

— إنه رجل أفق لن يصلح لها بحال ، فإنه لا يحصل حتى على مرتب محترم ! والحق أنى لا أدرى أى شيء فيه يوجب « أن » !

ف نظرت إلى « روث » في دهشة ، فقد أعلم جيد العلم ما الذى يوجب « أن » من « كن » فقد أعجب بمثله من زوجي جون ، فيه الطيبة والهجعة والقوة والشرف والرفقة في معاملة المرأة التي يحبها ، وهذه هي الللال التي تحمل الفتاة على أن تعمل وتعمل المتاعب من أجل رجلها وتشعر في الوقت نفسه بأنها تاتي الجزاء الذى يروض عليها المشقة والتعب .

لن تكون لـ « كن » يوماً ما مثل ثروة « ستيوارت باكتون » ولكن الحياة مع « كن » ستكون أغنى من نواح أخرى ، نواح عظيمة هامة كالصحك والحب والسلام والمؤانسة

ولكن « روث » لا تستطيع أن تفهم ذلك ، فقد كانت مصممة على أن تتزوج « أن » المال والثروة ومعنى ذلك أن تتزوج من ستيوارت باكتون . فلم تسمح لـ « كن » بوضع قدمه في البيت وأمنعت

قط . لقد كنا فقيرين ، كما ستكونان أنت و«كن»
في أول الأمر ، ولكننا كنا سعيدين . إنكما صغيران
وفي نفسيكما شجاعة ، ويجب أحداك الآخر ،
فلا تسمحا لأي شيء بأن يحطم حبكما .
فرفت الفتاة رأسها ، ورأت الدموع تنحدر
على وجنتيها ، وقد بدا في عينيها بريق لطيف ،
وقالت هامة :

— شكراً لك يا جدي ، فاني الآن أعرف
ما يجب أن أفعل ، وسأهرب الليلة مع «كن»
فباركينا يا عزيزتي .

فضممتها إلى صدرى وقبلتها ، ثم تناولت مفتاحا
من فوق مائدة إلى جوارى ، وكنت قد وضعت عليها
استعداداً لما توقعت أن سيكون ، ثم وضعت في يدها
وقلت :

— هذا مفتاح بيتنا القديم في المزرعة ، والمزرعة
في كورنويل على مسافة خمسة أميال من ليسكيد ،
وستجدينها على خريطة الطريق ، والدار لا يسكنها
الآن أحد ، فستطيعان أن تقصداها وتعيشا فيها
إلى أن يجد «كن» ما هو خير منها ، وعلى الأقل
إلى أن يؤلف الكتب التي ستجعل منه رجلاً ذائع
الصيت

وهنا اتسمت لنفسي في الظلام ثم أتممت حديثي
في رقة :

— وليبارك الله لك يا عزيزتي
ثم همت من فراشي فلبست رداءى الصوف ،
وتسللت أنا وآن إلى الممر الخارجي ، ثم مررنا
متلصصين في الظلام بباب الغرفة التي رقد فيها أجورج
وروث ، وهبطنا بعد ذلك السلم إلى دحمة الطابق

وسمعت روث بعد ذلك تتحدث مع جورج في
أمرى فبقول في لهجة الغضب :

— إذا كنت لا تريد أن تتزوج ابنتك من
هذا الأناق المفلس فيجب أن ترسل هذه المعجوز
إلى أحد إخوتك ، فإني لا أريد بقاءها في بيتي !
وفي هذه الليلة نفسها نشأ بينهما وبين «آن»
شجار عنيف ، حتى إذا انتهى تسلك «آن»
إلى غرفتي ، وكان جسمها يضطرب لشدة انفعالها ،
وكانت تبكي بكاء شديداً وركمت في الظلام إلى جانب
سريري فوضعت يدي في لطف على شعرها الأحمر
المجد ، وقد قالت لي هامة :

— ماذا أصعل يا جدي ؟ إنهم لا يريدون أن أرى
«كن» وأنا أحبه حباً شديداً وسيرغنى أوى وأبى
على الزواج من ستيوارت ، ويقولان الآن إنك
سترحلين من هذا البيت ؟

فربت على وجنتها المبللة بالدموع وقلت :
— إسمي يا عزيزتي لقد أكون مضطرة لمغادرة
هذا البيت إذا طلبوا ذلك مني ، ولكنهما لا يستطيعان
أن يرغماك على الزواج من إنسان لا تحبينه .

— سيفعلان ! نعم أعرف أنهما سيفعلان ذلك !
إنك لا تعرفين كيف يتصرفان إذا هما اتفقا على أمر ،
وتشيثا به فإن أوى ستجعل حياتي كلها شقاء إلى أن
أتزوج من ستيوارت ، ولكنني أبغضه .

فنظرت إلى خط من ضوء القمر على نهاية
سريري ، ثم قلت في تأن :

— إنني عندما كنت في مثل سنك يا «آن»
أحببت شاباً كما تحبين أنت «كن» فهربت معه ،
وتزوجت منه بعيداً عن أهلي ، ولم أندم على ذلك

« كن » فما تقها في شدة كآبه يخشى أن تغفل من بين يديه وهو لن يسمح بذلك أبداً

وابتسمت وأنا واقفة في ضوء الردهة الضئيل متذكرة الماضي — لقد كان ساعداً جون فتيتين قويتين كساعدي « كن » وكان قلبي ينبض شوقاً وعيناي تشعان ببريق الأحلام السعيدة شأن عيني « أن » في هذه الساعة

وقبلاني قبلة الدواع ثم جريا عسكاً أحدهما بيد الآخر إلى حيث كانت سيارة « كن » المتيقة في الانتظار عند الباب الخارجى

وأقفلت الباب وأوصدت رتاجه ، وأطفأت مصباح الردهة الضئيل ، ثم تسلت في هدوء إلى غرفتي ، ولم أثبت أن نمت نوماً عميقاً هادئاً ، وأنا لا أزال أشعر بمذوبة قبلة أن على وجنتي المجعدة المعجوز ، عالة بأن هذين الصغيرين يسرعان في الظلام في طريق الحرية ، ولم أعد أبالي بما قد يصيبني بعد أن مهدت « لأن » الطريق إلى السعادة وبعد أيام قليلة تسلت لتفرأاً جاء فيه :

— لقد تزوجنا ونحن سعيدان ونحب المزرعة والحياة فيها ، شكرًا لك يا جدي وتقبل حبنا وكانت الرسالة موقوفة في كبرياء باسى « أن » وكن آدامز »

وعندئذ هبت الزوينة ، فهزت روث هذاها جنونياً وطلق جورج بمباراة شديدة لا تقبل الفران . وجلني كلاهما مسئولية هرب « أن » وزواجها وقالاً لهما لن يغفرا لن ذلك أبداً ، وقد نصصا على حياتي في الأسابيع القليلة التي تلت ذلك الحادث ، رافضين أن يبادلاني الحديث إلا إذا دعت

الأرضي حيث آلة التليفون ، فأضأت « أن » مصباحاً كهربائياً في الجدار

وتينا وقت عند قاعدة السلم أقرب وأنصت لأية حركة تبدو أدارت أن رقم تليفون « كن » ، وفي هذه اللحظة سمنا صوت تشقق لوح من الخشب فوق رأسنا ، فنظرت كل منا إلى الأخرى جاحظتين فإذا بفعل إذا كان جورج أو روث قد سمع حركتنا وجاء يستطلع الخبر ! ومضت لحظة سكون خفيفة ثم إذا كل شيء في البيت نائم في هدوء

ولجأة جمعت أن نفسها على آلة التليفون التي حملتها في يدها وسمعتها تقول مستفهمة في صوت خافت :

— « كن » ؟ أنا « أن » أريد أن أقول لك إنك كنت على حق حين قلت لنا يجب أن نهرب ، وسنهرب البليقة نترج أسرع ما يمكن ! نعم سنهرب في اللحظة التي تصل فيها إلى ... نعم ! نعم ! أنا أقصد ما أقول ... إلى أحبك يا عزيزي !

وإني لأستطيع أن أتصور النشوة والجلل اللذين غمرا « كن » عند سماع هذه الكلمات

وأعادت « أن » سماع التليفون مكانها في هدوء وعانتني بكل ما فيها من قوة ، وكانت عيناها ترفقان من شدة الانفعال ، وقالت :

— شبكي أصابعك من أجلنا يا جدي إلى أن نبتعد عن هذا المكان

وعدنا فصدنا السلم متصلصين ، وساعدت « أن » في سرعة صامتة لإعداد حقيبتها ، ثم حملنا الحقيبة إلى الطابق الأرضي ، وفتحت « أن » رتاج الباب بأصابع مرتجفة ، ولم تكدها تخطو إلى العتبة حتى وثب

وقد قال في لهجة متفغلة :

— لقد وجدنا معدن الصفيح في الحقل الجنوبي .
وجدنا معدن الصفيح ، فهل تفهمين معني ذلك ؟
ستصبحين غنية يا جدتي ! فأتخضري في الحال
تركت سماعة التليفون فوجدتني أنا أيضاً اضطرب
انفعالاً ، وحضر جورج وروث إلى الردهة ونظرا
إلى محملتين وتساءلا :

— ماذا هناك ؟

فأجبت :

— لقد أخبرتني « كن » الآن أنهم قد وجدوا
معدن الصفيح في الزرعة
فنظر جورج مهوئاً وقال :

— الصفيح ... مرحى مرحى يا أمي إنك
ستصبحين غنية
واندفقت « روث » نحوى فطوقتي بساعديها
وصاحت :

— يا للمعجب ! لا تفكري في مغادرة هذا البيت
أيها الأم العزيزة ! يجب أن تفكري رباط حقيقتك
في الحال ! وإنك لتستطيعين أن تنتقلي إلى غرقتنا
فهي أحسن غرفة في البيت . وسيذهب جورج
إلى الزرعة ويتولى الإشراف على العمل بنفسه ،
ألا تذهب يا جورج ؟ والآن يجب أن تكلمي إليه
كل شيء

ولكنني ابتعدت عن روث وقلت في خوفي :
— لا ، وشكراً لك فإن « كن » و « أن »
في انتظارى وسأذهب إليهما ، فالزرعة مزروعاتي
والصفيح صفيحي وسأتولى الأمر بنفسى
فهذا الحزن على روث وقالت :

لذلك ضرورة ملحة ، فأشعراني بذلك أنني ازددت
عن أي وقت مضى بأنى غريبة في بيوت أبنائى
وكنت آخر الأمر خطاباً إلى ابنتي جين أسألهما
فيه في تواضع إذا كنت أستطيع أن أزورها ،
فأجابتنى بأنه يستحيل عليها أن تقبلني في دارها قبل
انتهاء فصل الصيف

وكانت خطابات « أن » هي الشماع الوحيد
الذى يضيء ظلام حياتي . حتى إذا جاء شهر أغسطس
تلقيت منها خطاباً تقول فيه :

« إجزى حقيقتك يا عزيزتي واحضري إلى
الزرعة . إننا هنا سعيدين كل السعادة ونشعر بالحاجة
الشديدة إلى وجودك معنا . فكل بيت يحتاج إلى
جدة ترعاه ! و « كن » يشتغل بالفلاحة في النهار
وفي الليل ينكب على تأليف كتبه . وهو راغب أشد
الرغبة في حضورك . ويمكنك أن تخبري بقية العائلة
أن ليس بأحد منهم من حاجة في إيوائك فانت لنا
دون غيرنا ! لقد مهدت طريق السعادة « لكن »
ولى فنحن نحبك من أعماق قلوبنا »

قرأت هذه الكلمات المذبة من خلال الدموع
التي ملأت عيني ، ففاض قلبي بشعور عظيم من
الراحة والرضا . فقد أيقنت أن الحياة لن تكون
بعد اليوم حرباً على ، فقد وجدت من يحبني ويحتاج
إلى وجودي معه ، وقد أصبحت ملكاً لأناس
يحبوننى . إنني لن أكون وحيدة بعد اليوم وستصبح
الحياة عذبة سعيدة

وفي ساعة مبكرة من الصباح قبل بضعة أيام
من الموعد الذى حددته للسفر إلى الزرعة تكلم
« كن » مع تليفونياً ، وكان صوته يهتز انفعالاً ،

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الألب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طرقتة ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقداً أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

محمّد وشرحه وطبعه الأستاذ

محمّد حسن زباني

تمت ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لا مريتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً

— ولكنك لا تستطيعين أن تذهبي ، بل يجب
أن تبقى هنا معنا يا عزيزتي وهذا البيت ينتك ...
ونحن ... نحن محتاجون لوجودك معنا ...

فأبستمت في نفسي .. فصحيح أن دروث محتاجة
الآن إلى وجودي معها ، فقد أصبحت شبيخة غنية
بعد أن كنت عجوزاً مفلسة . هذه هي أخلاق دروث
كذلك كان أبنائي الآخرون على شاكلة جورج
ودروث ، فلم يكذبوا ولم يأخذوا من الجبر حتى
حضرا الزيارات ، وقد حملا دعوتين ملتصقتين من
زوجتهما الماهرتين ترجوان فيهما أن أعيش معهما
وكذلك أرسلتا لي جين تلفرافاً تسألني فيه أن أذهب
في الحال إلى لندن ، ويظهر أن وجودي قد أصبح
خفيفاً عليها فلم يقلق راحتها في شيء .

وجاءني أيضاً تلفراف من هاري وإليثور بؤكدان
فيه أن الوقت مناسب جداً لعودتي إليهما ، فأبستمت
مرة أخرى ابتسامتي الخفيفة . وقلت في نفسي :
— إنهم جميعاً يفكرون في أنني ساموت بعد
قليل ، ويتطلعون إلى الثروة التي ستأثر بها .

كان هذا شأنهم جميعاً ما عدا « آن » و« كن »
فهما اللذان احتاجا إلى عند ما لم أكن إلا جنة .
لم أزد على أن كنت شبيخة ضئيلة الجسم متواضعة
حنونا أحببتهما من كل قلبي .

فالأآن سأذهب إليهما ، وستكون الثروة التي
يدرها عليّ منبج الصفيح روثهما بالغا ما بلغ مقدارها .
لقد كان الله رجياً كريماً يواسي القلوب الكريمة
بأسلوبه الحكيم ، لقد أفاض تعالى نعمته على عباده
الحائرين صفراً وشيوخاً ... نعم لقد كان الله كريماً
رجياً . . .
عبد الحميد محمد

زبير الصَّيْنِيّ

مَسْرُوحِيَّةٌ فِي فَصْلِ وَاحِدٍ

لِلْآنَسَةِ مُنِيرَةِ سَيِّمِ شَاهِ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ إِبْرَاهِيمِ ت. ج. مَا

منيرة سيم شاه محرومة - مجلة الكتلة
الاسلامية . وقد وصفت فيها المؤلفة
معضداً صغيراً من معاهد مقاومة
السكان للدنيين المسلمين في الصين
المستعمرين . والقصة الفصل في هذه
المسرحية حقيقة واقعة ، فهي جذرية
إذن بإهتمام القراء

الزمانه : أول أيام سقوط
تسجين في يد اليابانيين (٤ ابريل
سنة ١٩٣٨)
المكان : في الجامع الأكبر بمدينة
تسجين . ولاية ساتونج بالصين

الشخصيات : الشيوع -

الامام وانج (في الصين يسكن الامام عادة في الجامع
ويتولى عدا الشؤون الدينية الجزء الأكبر من شؤون بي
دينه وهو شيخ بلعية طويلة)

الؤذن ما : رجل من بلعية طويلة

الوجه يانج : رجل من بلعية طويلة

أشخاص أصغر منهم سنا : -

الوجه لي

للرأة أ

الشيخان : -

سينجنان يانج (ابنة الوجه يانج)

أنيانج يانج (ابن الوجه يانج)

الرجل آ

الجنوع : -

اتنا عشر رجلاً وامرأة لاجئون في الجامع

اتنا عشر جندياً يابانياً

المشعر : وجهة قاعة كبرى . نظيفة جداً . آية في

غامة البناء . حوائطها مدهونة باللون الأخضر ومزينة

بتقوش بالغة العزبة على شكل أهله ييشاه . وللي جانبي

القاعة بابلان . وبجوار الباب الأيسر لوحة مزينة بالرسم

والخطوط العربية . وقد علفت في هذا المكان لاختفاء

مخرج مفلق

وفي القاعة منبر ولوحات صغيرة عملة بالخطوط العربية ،

وأرضها مفرشة بالأبسطه البنية ، من صناعة سينجنانج ،

والقاعة مقسمة تسعين مجازي خشي متقل (بارافان)

رفع الستار : صوت مطر يسمع من الخارج ، فيحدث

أغصافاً في النفس ، وجو ساكن يحزن في الجزء الأمامي

من القاعة ينشر برفق وقوق كرامة قاذحة . الامام وانج

يسير ذهاباً وإياباً مضطرب الأعصاب . ويتنهد حيناً بعد حين

نوتة للمصمم

محت الشعوب من سبائنا العميق على دوى المدافم في البلاد
التسعة الجديدة ، ولم تفتد عن عهده القاعدة بلاد الصين
التي يبلغ عدد سكانها ٤٥٠ مليون نفس منهم ٥٠ مليوناً
من المسلمين . لقد عرفت الصين المدنية منذ أقدم العصور ،
حينما كانت سائر الشعوب غارقة في ظلمات الوحشية ، وحلت
مصالح الحضارة فأضادت الطريق للأمم بواسطة فلسفتها
السنية . وأخيراً دجبت بحظي سريعة في سبيل التقدم
والنهضة منذ اتحادها في سنة ١٩٢٦ فبرهنت للأمم الصديقة
أنها تستطيع التسج على منوالها والمير على مثالها والحياة معها
على أحسن ما يرام من الوفاق والوفاق

لكن هذه النهضة المباركة التي نالت إعجاب الأمم والمعوم
لم ترق لبلد كانت تربطه بالصين صلات الأغواء والجوار ،
بل كان أول من ورت عنها المدنية والحضارة . فقد اعتقد
هذا البلد أن تقدم الصين سيكون خطراً عليه . إلا أنه أخطأ
كل الخطأ ، لأن الشعوب للقبية في الجمهورية الوسطى ليست
من سلالة جنكيزخان أو تيمورلنك

وفي ٧ يوليو سنة ١٩٣٧ بدأ الهجوم على هذا الشعب
الآمن السالم ، إذ هجم أعداؤه دون مبرر مقول على بلاده
المستقلة مبتدئين باحتلال قنطرة لوكو (المعروفة عند الأوروبيين
باسم قنطرة ماركوبولو)

كم تحمل الشعب الصيني من صنوف الإهانات والاعتداءات ،
وأخيراً عيل مصيره وهو الشعب الذي اشتهر في التاريخ
بتحمل السكان دوت أن يشكو . فوج الصينيون
على حب السلام ، مما جعلهم ينفرون من تسوية الأمور
بالسيف والنتار . أما الآن فقد غيرت معروف القادير طباعهم
فأصبوا شعباً مجاهداً ، مولوا بالحروب ، شجعوا مدافعين
نفسه ، فزال بذك وإقبال الجبابم وتقدروهم
وليا على مسرحية قصيرة في فصل واحد ، بقلم الآنسة

ما رأيكم في أن نذهب لمقابلة اليابانيين
الوجيه لي — أظن أن هذا هو الحل الوحيد ،
سنفهمهم أننا رجال مثلهم ، وأنه يجب أن يكون عندهم
شيء من الرحمة (استؤنفت الطرفان بشدة خلف اللوحة
وساد الوجوه في القاعة)

من خلف اللوحة (صوت رجل) : أيها المؤذن ما !
افتح الباب ودعنا نخرج . إننا لا نستطيع البقاء
مختبئين في هذا المكان . زيد الخروج . إن الحالة
لا تطاق هنا

المؤذن ما — (مقترباً من اللوحة) إزيموا الهدوء
قليلاً ، حملوا الظلام بصبر . ألا تعلمون أن اليابانيين
قوم لا رحمة في قلوبهم ؟

من خلف اللوحة (صوت امرأة) : دعنا نخرج ،
زيد أن تحدثك في أمرهم

الوجيه يانج — (متجهياً نحو اللوحة) : منجتنان !
يبقى منجتنان ! إن اليابانيين هنا . إنهم في الشوارع
الجاورة . أصغى قليلاً إلى دوي المدافع الرشاشة
والبنادق (تسمع أصوات المدافع) . إبقى في مكانك
ولا تتحرك . إصبري قليلاً في الظلام . فقد ينقذ
حياتك وحياة أخيك وزملائك من الهلاك الحق
من خلف اللوحة — (صوت امرأة) : سمعنا
كل شيء يا أبته ، لكنني لا أستطيع تحمل الظلام
أكثر من ذلك ... بالعار ! واخجله من الشباب
الصغير !

من خلف اللوحة — (صوت رجل) : احتس
من الذهاب للقائه اليابانيين أيها المؤذن ما ، إنهم
أناس لا رحمة في قلوبهم . إنهم شياطين لا يتحدثون
عن العدل ولا يدركون له معنى . فإذا ذهبت فلن
تعود بالفشل تحسب ، بل تمرض حياتك للهلاك
الحق . ألم بأنك خبز ما ارتكبه من المذابح في البلاد

تحتها صمغاً مداعباً لحينه بحركة عصبية . والوجيهان وانج ولي
جالسان على مقعدين في حالة وجوم ، ولبثان بين وقت ووقت
ينظرهما على الإمام وانج . ثم لا يلبث أن ينقطع صوت المطر
ويضرب عليه دوي المدافع الرشاشة .

الإمام وانج — (يقف فجأة) اسمعوا . لقد دخل
اليابانيون المدينة

الوجيه يانج — (مرتعداً) آه !
الوجيه لي — (رافضاً يديه إلى السماء) اللهم إليك
نسلم أمورنا ، لقد قطعنا ستة لا تسمح لنا بحمل
السلاح ، للدفاع عن المسجد ، وعن حياة الآلاف
من إخواننا . اللهم نسألك معونتك (ثم أطرق رأسه
بيناً أخذت أصوات المدافع الرشاشة والبنادق تزداد وضوحاً)
الإمام وانج — (واقفاً أمام الجدران ، وقد وضع
يده على جيبه كإنه أدرك شيئاً) كلا . إن الله لا يحب
الجبلاء وبرغم تقدمنا في السن ، يجب علينا أن نسير
إلى الأمام ونواجه الحوادث ، حتى ننفذ الآلاف من
إخواننا . لنقل لليابانيين إن هذا هو المسجد فيتمتع
منحتنا امتيازات وحمايتنا . (للمؤذن يدخل من الباب
الأسير بخطى سريعة ثابة وهو يرتدي جلباباً أسود)

المؤذن ما — أصبت يا سيدي الإمام وسأذهب
ملك لمفاوضة هؤلاء اليابانيين ، والإسراع خير من
الانتظار ، لأن مئات من الناس أسلموا لنا أرواحهم
فأؤيناهم في المسجد فهل يمكن أن يظفوا إلى ما شاء
الله في الظلام . (اقتربت طلائع الرصاص . وسمع من
خلف اللوحة التي تحت باب الخروج طرقات قوية متوالية)
الإمام وانج — (مشيراً إلى اللوحة وعاطباً ما)
كيف الحال هناك ؟

المؤذن ما — (أخرج مفتاحاً من جيبه) الحالة
حسنة ، والباب معلق بالمفتاح ؟ لكن الظلام جالك
وعدهم كبير
الإمام وانج — (عطفاً يانج ولي وهو يتهدد)

الإمام وأنج - على أنه لو نزل بنا مكروه لما أسفنا على ذلك أمام خالقنا وبني ديننا .

المؤذن ما - هذا صحيح يا سيدي الإمام . سنبدل أقصى جهودنا لمعادتهم ، وإن أخفقنا ففسوى الأمور بهذه (معبراً إلى بقية يده - الجميع يضمكون بصوت عال)

من خلف اللوحة (صوت رجل) : علام عولتم هل تواجهون اليابانيين ؟ إنه جنون . ستلاقون حتفكم جميعاً . دعونا نخرج ، فمن واجب الشباب أن يذهب لتسوية الحساب مع العدو . (صوت امرأة) : لا . لا . أوسل إليكم . لا تذهبوا . إذا وعدتم يقاتلكم كففتنا عن المطالبة بالخروج ، ولزمنا الهدوء ولم تضايقكم (صوت نهد)

الوجيه يأنج - وهو كذلك . الزموا السكنية فالشيوخ لن يخطروا بحياتهم (بصوت خات) ومع هذا ... من خلف اللوحة (صوت رجل) : لا حرية بلا قوة .

(صوت امرأة) : إذا لم نعصم بالقوة ، فلن يأتينا العدل من السماء .
الوجيه يأنج - (بصوت مرعيف) : هل نذهب لنناقى خفتنا بظلفتنا . كلا .

الإمام وأنج - (بصوت متهدج) : لم يبق لنا إلا هذه البارقة من الأمل .

الوجيه يأنج - إهدأوا يا أولادى ستفتح لكم من خلف اللوحة - (صوت امرأة) : حقاً . ما أسعدنا : إذا ستبقون هنا معنا .

الوجيه يأنج - نعم يا أولادى من خلف اللوحة (صوت رجل) : هيا بنا لنخبر الآخرين يا منجنات . إنه لنبا عظيم (وقم أقدام وتنفيد وطني حماسى ... القسامه . القسامه ... اقتراب يوم (٤)

التي فتحوها ؟ ألا تدرى أنهم يجهلون البسادی الإنسانية ولا يفهمون إلا فلسفة الدم ؟ ... لهم وحوش ضارية يقتسون بني الإنسان ...

الوجيه يأنج - (مقاطعاً) : حسن جداً ، كلنا نعرف اليابانيين على حقيقتهم . فالزموا السكنية انتظاراً لقرارنا ...

من خلف اللوحة - (صوت امرأة) : يا أبتاه قل للمؤذن (ما) إنني لأستطيع الانتظاراً أكثر من ذلك ، أريد الخروج بل أفضل الموت على البقاء هنا . إن اليابانيين ين يدبنا . أريد الدفاع عن نفسي والمهجوم عليهم باسم أمي وديني وشرقي . أنت تعلم أنني كنت دائماً سريعة التأثير قليلة الصبر ، فهل يرضيك أن أختنق هنا حية ؟ ... أبتاه ... أبتاه ... دعني أخرج ... (صوت رجل) : ماذا ننتظر هنا ، الموت أم الحياة ؟

الوجيه يأنج - واحسره ... ولكن ... (متجهاً إلى المؤذن في حرة عصبية) افتتح الباب ودع أولادى يخرجون . لا مانع لدى ما داموا يريدون التضحية بحياتهم في سبيل الأمة والدين . بل إنه لشرف عظيم .

الإمام وأنج - (اجتذب إليه الوجيه يأنج وممس في آذنه) لا تتسرع في الأمر . واعلم أن اليابانيين لا يرجون الشباب ، فالأفضل أن نذهب نحن ونحذتهم بهدوء ، لن يزلوا بنا أى عقاب ، أو كد لك ذلك . (ظل الوجيه يأنج صامتا واكتفى بالإيعاء برأسه ثم تبع الإمام)
الوجيه لي - أنظر إلى لحانا الطويلة . لهم لن يلحقوا بنا أى أذى ، وسيحترمون بلا شك الرجال التقدميين في السن ، أو يتسامحون معهم على الأقل . ومع ذلك فهل هم يهتموننا أحياء أو ياكلوننا لحاً وعظاً ؟

جريح . وقد بدأ أصفر سنا برغم السماء المحض بها جسمه .
ينشم أبسامة مرة . ويئنس جرحه . فيحاول النهوض ،
ولكنه يسقط مضطجاً عليه . صمت دقيقين على السرح ، ثم
تسمع أصوات الطلقات على مسافة بعيدة للدلالة على أن الهدوء
لا وجود له تحت الأحذية المهدية التي تغطى بها جيوش
الامبراطورية اليابانية أرض الأعداء

من خلف اللوحة — (صوت امرأة) : أحي .
أنظن أن مصاباً حل بأيتنا ؟

— (صوت رجل) : إفهمي جيداً يا منجتان .
إن مئات الألوف يذبحون بسيوف اليابانيين الماضية
فن ذا الذي يضمن أنه لن يحدث شيء لأبي ولنا

أيضاً ؟ لقد أمرنا الله عز وجل أن نصعد هجرات العدو .
فلماذا نبقى مختبئين هنا . إن هذا الجين يؤلم نفسي .
أكد أجن من شدة الأمسى . وأتساءل : لماذا لجأنا
إلى هذا المكان ؟ يا للعار ! ألا يفتح لنا المؤذن ما
هذا الباب لنخرج ؟ ... نعم يا أختاه ، لقد أصبت

في قولك : إن اليابانيين بين أيدينا . فيجب أن نلقي
عليهم درساً قاسياً ، احتراماً للأمة وللدين ولأنفسنا
— (صوت امرأة) : نعم يا أحي ، لقد فهمت

ولو كان أبي ... فيجب أن أذكر في بني وطني
الذين يتألمون .. لا .. لست مريضة .. (تصرع الباب)
افتح لنا . أيها المؤذن ما ...ريد أن نخرج لنقتل
اليابانيين (طرقات قوية جداً)

الوجيه لي — (يستيقظ ويش أيقنا مؤلماً) آه !
آه ! إلى أتألم .. أتألم ألماً شديداً .. (تتك الطرقات)
آه ! آه ! يا لهول المصاب !

من خلف اللوحة (صوت رجل) : أسمعين ؟
تري من هذا ؟

— (صوت امرأة) : من أنت ؟ هل أنت أبي ؟
من أنت ؟ أجب !

الوجيه لي — أنا ... أنا ... إلى ...

من خلف اللوحة — هو المي . ماذا حدث
لك ؟ أين الآخرون ؟

الانتصار والهدوء ... ثم يبتعد صوت النفثيد) ... (أما
الأشخاص الظاهرون على السرح فيلزمون الصمت ... ثم
يضرب المؤذن ما الأرض بقدمه متحمساً غاضباً)

المؤذن ما — لقد أن أو أن الاستشهاد يا إخواني
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبيه الدم
فأقدم هو الطريق الوحيد للحياة الأبدية الخالدة ،
أليس من واجبنا أن نشيد صرح السلام في هذا العالم
الغارق في الدماء ؟ لقد نشدنا الحق فوجدناه . أنظر ،
إنه شاخص أمامنا . الله أكبر . الله أكبر .
(ارتسم السرور على جميع الوجوه)

الإمام وأجي — (وعد رفع الأربعة أيديهم مبسوطة
إلى السماء أمام صدورهم) الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم . اللهم سدد خطوات جميع محبي السلام ، آمين .
(ثم يخرجون من السرح وتسمع خطواتهم من خلف اللوحة)
من خلف اللوحة — (صوت امرأة) : أيتاه .

(صوت رجل) : أيها الإمام وأجي . (صوت امرأة) .
أيها المؤذن ما . (تسمع طرقات شديدة خلف اللوحة ثم
تخف الطرقات شيئاً فشيئاً . وجاهة تسع طلقات نارية
على مسافة قريبة من السجد . وتليها ضحكات عالية وحشية)
(صوت امرأة) : آه إلى أشعر بضيق في صدرى .
قلبي يتحدثني بأن الكارثة على وشك (صوت جسم يسقط)
(صوت رجل) : منجتان . استيقظي . استيقظي

أنهضى (وقع أقدام وأصوات كثيرة متضاربة) شكراً
ياسيداتي وسادتي . لقد تحسنت صحتي الآن بعد أن
أغشى عليها فزعاً من أصوات الطلقات النارية .

(صوت امرأة) : هل تعلم يا إنشياج أن أبي
وزملائه ذهبوا للملاقاة اليابانيين ، ترى هل أصيب أبي
ورجال الدين بمكرهه ؟

(صوت رجل) : لا . لا أظن ذلك . أغضى
عينيك واستريحى قليلاً يا منجتان

(تخف الممرخات وكذلك طلقات النار ويعود صوت
الطرق . يشن من الباب الأيمن رجل زاحف على بطنه مخيف
الشكل بلبلة نياحة بالاء والدماء . هو الوجه لي . ويظهر أنه

— (صوت امرأة مضطرب) : إني خائفة يا أخى ..
خائفة جداً
الوجيه لى — إنهم ... إنهم ... آه آه آه
ما أشد آلامى !

من خلف اللوحة — (صوت رجل) : سنأتى
إليك فى الحال يا عم لى ... إنا على استعداد ...
(ركلات أقدام قوية على الباب الذى تخفيه اللوحة ، حتى
كادت تسقط من شدتها)

الوجيه لى — تمالكوا قليلاً .. لا يوجد شىء هنا
(لكن ركلات الأقدام على الباب تشتد فيصيح صوت الشيخ
غير مسدوع) لا .. لا شىء ... إن الذين يريدون
السلام راقدون الآن فى سلام ... لا تخرجوا
(يزحف على الأرض متناسياً آلامه للبرهة) أنا ...

لم أسبب بشىء ... لكننى أخشى عليكم (وأخيراً
تسقط اللوحة من شدة الضربات وتخرج جوع من الرجال
والنساء كالنيل الجارف بعد كسر الباب . وقد بدا على
وجوههم المول والفزع وأثر السجن الطويل . وتظهر ثافة
« فى القعدة » . ثم تملكهم الدهشة عند ما يرون الوجه لى
غارقاً فى دماغه)

منجتان يا بيج — (تقرب بسرعة) عمى (لى)
انشيا بيج يا بيج — (يبعث مع أخته) الدم يسيل
من جبهته (يبعث فى موضع آخر) لا ... لا شىء
فى موضع آخر (يزق قبضه ويطلبه أخته) خذنى
ضمدى الجرح هنا

منجتان يا بيج — (تضمد جرح لى) إنه لفخر
عظيم أن تسقط جريحاً يا عماء ... والآخرون ؟
(ترنم) وأبى ...

انشيا بيج يا بيج — (يرفع لى ويسنده إلى صدره) عماء
الوجيه لى — (عيناه مضطربتان . يفتحهما قليلاً
وينظر إلى الشبان) أما أنتم ... أما أنتم ... فاخرجوا
من هنا (مشيراً إلى الباب الأيمن)

الرجل أ — نعم (يضم قبضة يده بشدة) سنفخرج
لنهم أولئك اليباتيين الشياطين

الوجيه لى — هيا . إذهبوا ... إذهبوا ...
(بدو على شفاهه ابتسامة مرة وحركة تدل على محاولة
إخفاء الألم) هيا ... إذهبوا ... إن الذين أجوكم
راقدون فى ركن الشارع التبرى . أنقلوا إلى هنا
هؤلاء الشيوخ الأجلاء (يغمض عينيه) اللهم اسلمهم
ببركتك واجعل جنة النعيم ماؤم !

الرجل أ — باسم الله وباسم الدم الذى ورتناه
عن أجدادنا ، لن نخاف شيئاً وسنكافح إلى النهاية .
هيا بنا . هيا بنا ...

الجوع — هيا بنا . هيا بنا (اختفت الجوع
من المسرح ، وقد حاول منجتان يا بيج أن تنهض لتلتحق
بهم ، ولكن الوجه لى منعهما)

الوجيه لى — لا . لا . إبقى معى ، إبقى فى حاجة
إليك . إبقى منى قليلاً !

منجتان يا بيج — أسمرك يا عماء (تنظر إلى لى الذى
كان يبدو عليه ما يدل على رغبته فى الكلام ، بيد أنه صمت)
إنشيا بيج يا بيج — نتقلهم إلى هنا (عاطلياً لى)

إذن فأبى والآخرون جرحوا أيضاً وحالهم خطرة
جداً ، ولا يستطيعون السير على أقدامهم (منجتان
يا بيج تحق فى أخيهما)

الوجيه لى — لا . نعم .. إنهم .. (تسمع عيانه)
منجتان يا بيج — عماء .. إنهم ...

الوجيه لى — (مضطرباً) ستملئون ذلك فيما بعد
(مسكاً بيد انشيا بيج يا بيج) يا ولداه لم نشأ الاستعجال إلى
نصيحتك ، فكانت النتيجة أن الإيمان وأنج والثؤن
ما ووالدك كلهم ...

انشيا بيج يا بيج — (عدوا فى لى يهدوء تام وقد
انفتح وجهه ...)

منجتان يا بيج — (مضطربة) ماذا ؟ كلهم
يا عماء ؟ ماذا حدث لهم ؟

الوجيه لى — أصنى يا بیتی . لقد اعتقدنا أن
إخفاء كم فى ركن مظلم من المسجد ليس بالوسيلة

مبلاً بالأمم بالهم، وفي بادئ الأمر كنا معاً وحاولنا النهوض، ولكن جهودنا ذهبت سدى. كان بعضنا يصرخ من شدة الألم، وبعضنا يئن ويذكر اسم الله... وبعد دقائق قليلة سكنا... وأصبحوا لا يتحركون. ثم سمعت ديبب أحذية حديدية صرت بجوارنا تتخللها محركات سخرية. حاولت أن أقف فاستطعت، وبعد جهد جهيد اقتربت من زملائي ومسست أجسامهم فوجدتها باردة كالثلج. نعم. لقد رقدوا في سلام..

انشياخ يانج - حسن! سندر إلى أعدائنا تلك الطلقات النارية، سننتقم، سننتقم (ضحك مرمولم، الوجه لي) - (غاطبا متجان يانج) إلى متألم لمصابك، وبكاد قلبي تفتت من شدة الأسف. لكن صبراً جيلاً. فقد كان أبوك وزميلاه رجالاً صالحين في هذه الحياة الدنيا. واستشهدوا في سبيل أمهم. وهم الآن في جنات الخلد حيث يتممون بالجزء الحق ورضا العلي العظيم. (يسود السكون المشرح وبخلة احتجاب متجان يانج. تتعد أصوات الطلقات النارية ويدخل رجال يحملون ثلاث جثث مضرجة بالسما، تحمى متجان يانج ويتكى) إنشياخ يانج - (يترك الوجه لي وينهض): أبتاه. يا أيها الإمام. يا أيها المؤذن أقسم بالله أنني سأخذ بآركم (حاول الخروج فيسك بيباه الوجه لي) كلا. يجب أن أذهب (يمسح الوجه لي مرة أخرى) سأواجه الموت للانتقام. من أولئك اليابانيين اللعنين. إن وجهي يحمر خجلاً أمام بني وطني. على أن الوقت مازال متسعاً للانتقام (بكاء) الوجه لي - (يكسك عبراته) هيا اتقلوا جثث المتوفين إلى غرفة الأموات (رجال يحملون الجثث ويخرجون من باب آخر. غاطبا أنشياخ يانج) ساعدني على النهوض، لأنني أريد الاضطجاع على سرير لأسترخ (انشياخ يانج يساعده على النهوض... غاطبا

الثلث لإيقاظ حياتكم. وكنا نعلم حق العلم أيضاً أن لا جدوى من التحدث في العدل والإنصاف مع اليابانيين. ومع هذا فلم تردد في الالتجاء إلى محاولة أخيرة، عسى أن نجد في قلوب أولئك القوم شيئاً من الشفقة والرحمة. ثم إننا أدركنا ما في نصائحكم من سداد الرأي، لكننا ظننا أن اليابانيين سيحترمون سننا المتقدمة ولحنا الطويلة... وأنهم... أنهم... فهل هناك من يتصور أن الشيوخ الكبار لا يمكن أن ينجوا من براثن هذه القنابل الضارية؟ نعم. وأسفاه. هذه هي الحقيقة المؤلمة. لقد ذهبتا برغم ذلك. كانت الطرقات مقفرة كأنها قبور موحشة، أو ميدان الوغى غداة الوقعة. خرجنا إلى الشارع. سمعنا أزيز... ززز... (وأشار إلى الجهة الغربية بصوت خفقه البرات... على حين تبدو متجان يانج في أشد حالات الاضطراب) وأصابنا رصاصة.. أصابت.. أصابت... أبوك...

متجان يانج - لكنه لم يمض.. أليس كذلك؟ الوجه لي - مات... وأسفاه متجان يانج - آه. أواه. واحسرتاه عليك يا أبي (بكاء) وأبناه تقسم بالله العلي العظيم أننا سننتقم لك! (يسمر الوجه لي في الأيمن من شدة الألم... وتكف متجان يانج عن البكاء شيئاً فقيظاً) انشياخ يانج - سندر كرى إلى الأبد عدونا للدود يا شقيقى. أتسمعين ما أقول؟ متجان يانج - (تستأف البكاء)

انشياخ يانج - خبرنا يا عمى (غاطبا الوجه لي) ماذا حدث للإمام وناج والمؤذن ما؟ هل قتلوا أيضاً بأيدي أولئك الشياطين. (متجان يانج مطرقة الرأس تستمع باهتمام)

الوجه لي - لقد أصيبوا جميعاً لسوء الحظ. أصيبوا بطلقات الرصاص وقتلوا لساعتهم وجرحوا أيضاً ثم سقطت إلى جانبهم. لم أعرف هل كنت

ضحكا هاليا ... تنهض منتجان يانج قليلا نحو الباب الأيسر)
ها ... ها ها ... لا تهربي منا يا أنسة (تحضر المرأة
الأخرى مضطدة فيجلس عليها الجنود اليابانيون ويضدقون
ببصايمهم على منتجان يانج . تهرب من الباب الأيسر وتفر
للرأة الأخرى من الباب الأيمن ويركض الجنود للاحتكام.
تسمع من خلف الأبواب أصوات : أسكوا بهم .. أسكوا
بهم . وبعد لحظات يظهر الجنود المتقوفة أيديهم وأرجلهم
وينبهم على المسرح إفتيانج يانج ومنتجان يانج وفي يد كل
منهما بندقية يابانية

أنشيانج يانج — (يبعث في جيوب الجنود ويترع
منها المدسات وأكياس الرصاص . ثم يستر على حلي عتيقة
وغيرها من النفائس التي تزين بها السيدات) لا تخافوا ،
سنرد إليكم هذا الرصاص في الحال (ضحك سخرية)
الرجل أ — لنذهب بهم داخل الحجرة ليروا
الذين اغتالوهم وليؤدوا نحن ما جنت يدهام

أنشيانج يانج — سنقتضى على جميع الذين يأتون
إلى هنا باحثين عن الهلاك !

الجوع — لن يخرجوا من هذا المأزق (يذفون
بالجنود نحو الباب الأيسر . ثم تسمع ست طلقات نارية ...
وتضدق الطرقات على الباب الأيمن . فتضج المرأة نفسها ويظهر
على المسرح ستة جنود يابانيون آخرون . تستدرجهم منتجان
يانج إلى الباب الأيسر . وتخرج بهم موقتي اليمين واليسار .
ثم يذفد الجنود الستة إلى الباب الأيمن خلف المسرح ...
وأخيرا يهود الجميع وقد حل كل منهم ببندقية يابانية)

أنشيانج يانج — الآن وقد أصبح لكل منا
بندقية يابانية سنرد لهم رصاصهم (ثم يصطف الرجال ثلاثة
ثلاثة ويخرجون من المسرح وهم يذفون النشيد الآتي :)
هل تسمعون دوى مدافع الأعداء التي تخرب
حقوقنا ومنازلنا ؟

هل تسمعون أزيز الطائرات التي تلقى بقنابلها
تفحق مدنا الآلهة ؟

فلننهض ! فلننهض !

سنكافح إلى آخر قطرة من دمنا لحماية وطننا
المزمار

سار

منتجان يانج : ضى القفل في الباب (الوجه لى يسير
بطء متكا على كفت أنشيانج يانج . وتضع منتجان القفل
في الباب)

منتجان يانج — (واقفة بجوار الباب تنظر إلى الم
المنخفضة به الأرض) : الدم ... الدم ... هذا دم أبى ...
هذا دم أبى وطنى ... لقد سقطت مدينة تسليج
في يد الأعداء . لقد هُزمت جيوشنا القوية ... هذا
هو اليوم الأول الذى أصبحنا فيه بلا أهل ولا أب .
اغتيال الإمام وزملاؤه . أين أبى وطنى ؟ هل هربوا
أم قتلهم العدو ؟ ... هذا هو اليوم الذى دخل فيه
اليابانيون بلادنا . ترون ماذا سيحدث بعد هذا ؟
إلى أى مصير نحن مسوقون ؟ هل سنعيش إلى الأبد
عبيداً أذلاء . اللهم ارحم عبادك . لقد سئمت الحياة ،
ولا أهبل القل (ينخفض صوتهما ... ثم يرتفع غاة) :
كلا . أريد أن أقتم ... أريد أن أقتم ... أريد أن
أثار لأبى ولبنى وطنى . نعم . نعم . لقد قررت هذا
(تفتح من الباب الأيسر ... ثم يسمع ديب أحذية جديدة
من الباب الأيمن يخله ضحكات عالية)

منتجان يانج — (فى يدها سكين مطبخ) الانتقام
الانتقام (تنهض من الباب الأيمن فتسمع طرقات وضحكات
وصراخ من الأعداء) آه (دهشت ثم وقفت وفكرت
وفكرت وفهمت كل شيء ... عادت أدراجها واصططبت
سها امرأة أخرى .. طرقات قبضة اليد أولا ، ويليها
طرقات بقوة النادق)

منتجان يانج — من الطارق ؟
من خلف الباب — ها ها ها (ضحكات عالية)
إفتحوا يا أنسات . إفتحوا لنا الباب ، نحن عشاقكم
منتجان يانج — (تضحك ضحكة قاتلة) : هيه .
(ثم تمجرى إلى الباب ، وتنفخ بين كلات بصوت منهفخ
ثم تخرج وتسير إلى المرأة الأخرى بفتح الباب) : إفتحي
الباب .

المرأة — (تفتح الباب يظهر على المسرح ستة جنود
يابانيون سكارى) آه ... (ثم تنهض عدة خطوات)
الجنود اليابانيون — (يرون منتجان يانج فيضمكنون

من أخص القصص

الباقوي من الفتى

للكات الروبى ديمترى ميرىجكوفسكى
يقسم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

وما من أحد يستطيع أن يتبادل
الثكات الرحة وياق الملح الطريفة
على السابلة ، أو الجيران ،
أو المشتري في حلق ومهارة كما
كان يفعل ألقى القصاب ،
وما من أحد كان يقدر أن
يتحدث بمثل تلك الزلاقة والإلمام
عن الأحداث السياسية للشعب

الفلورنسى أو عن تاريخ سلاطين
آل عثمان أو عن مؤثرات ملوك
الفرنسيين

وما كان يسوء مزاج القصاب
وهزله من الناس إلا قليلاً؛ وكان
يطبق عليهم المثل « إن الزاح
لا يسوء الجار الطيب، وإن اللسان
لحاد مرهف في المزاج كاللوسى »
وكان أخوه ماتيو - تاجر
الصوف - على خلق مختلف :

كان حاد الذهن في دهاء ومكر ،
سياسي الطباع ، صمو تاعوساً ، وقد
اطرد نجاح أعماله أكثر من جيوفانى
المهمل المهادر ، وكان له مركان
يقادran - كل سنة - ميناء
« ليفورنو » يحملين بالصوف إلى
نهر القسطنطينية . كان وأباً طامحاً
سلك في سبيل إعاء ثروته سلوك

السبيل إلى منصب في الدولة كبير ، وقد انخرط
في سلك الطبقات الرفيعة والجامع الأرستقراطية
أو « الناس السبان » كما كان يطلق عليهم آنئذ

نصريف بالقصة

كان ديمترى . س . ميرجكوفسكى
أحد كتّاب الروس الحديثين الذين
كتبوا فيها وراء بلادهم ، وربما
فعل هذا لأنه كان أقل عصية من
زملائه الروسيين . ولما رأى أن أدب
بلاده آيل إلى الانحطاط والتفكك ،
لقت نظر الكتاب إلى الرتبة
الفرنسية كوسيلة لانعاش الأدب
وإحيائه ، ولعل لهم إلى الأسلوب
الحزن الكئيب الذى يصورون به
آراءهم وأحاسيسهم نحو حياة هذا
الوقت ، وقد أحس سحر الخلفات
القديمة ، ولقد ما في القصص التاريخية
من تفاصيل غريبة وتصورات دقيقة
تناسب عبقريته ونبوغه ، وما هو ذا
يقدم لنا في قوة وبراعة « الحب أقوى
من الموت » ، ومرجع هذه القصة
إلى الأصل الايطالى قصة جنيفر كما
ظهرت في : « The Novellæ Do -
menico Manni » من آثار القرن
الثامن عشر الفلورنسى . وقد عمد
ميرجكوفسكى إلى كتابة القصة من
جديد مستمداً على أسلوبه الخاص
للترجيم

كانت أسرة « أنسرى »
السالفة - من أهالى فلورنسا -
في قديم الزمن تتجر في نوعين
من التجارة مختلفين ، فقد راح
البعض منهم يقصد « سانت
أنتوني » حالى القضاين ، على حين
اتخذ الآخرون شعاراً رسم عليه
صورة تحمل إذ كانوا يتجرون
في الصوف

وقد احترف الاخوان جيوفانى
وماتيو المرى - كسلانهم الأولين -
هاتين التجارتين ، فامتهن جيوفانى
تجارة اللحوم في مكان السوق
القديم The Marcato Vecchio
وأتخذ ماتيو مصنعاً لنزل الصوف
في « آرنو » ، وكان الناس
يتقاطرون على محل جزارة
جيوفانى ، لا أنهم يمدون لديه

أحسن اللحوم من خنزير طازج وجل طرى وأوز
سين حسب ، ولكن لأنهم - إلى هذا - يمدون صاحب
التجر لطباعه الرحة الهيجة ولسانه الحلو المعسول

وكان الراتب الذى أفرده لأرملة أخيه كل شهر جد ضئيل ؛ حتى أنها قاست أسباب الحرمان والفاقة لا سيما وهى ليست وحيدة ، إذ كان لها ابنة صغيرة عزيزة محبوبة اسمها جنيرفا . وما كان أحد من طلاب الزواج فى ذلك الوقت يقبل على العذارى اللواتى بدون صداق ، كما هو الحال الآن . بيد أن اليأس لم يتسرب إلى قلب مونا أرسولا المؤمنة الورعة إذ أخذت تصل بحماسة وإخلاص لكل قديس الله ورسله خصوصاً « سانت أنتوني » حلى القضاة فى الدنيا والآخرة . كان ألبها قويا فى أن الله - نصير الأرامل واليتامى - حتماً سيرسل إلى ابنتها التى لا تملك بائنة ، زوجاً صالحاً ثرياً .

وكان ثمة سبب آخر يشرها بقرب تحقيق ذلك الأمل ، هو جمال جنيرفا وسحرها . حتى أنه لما يصب تصديه أن جيوفانى البدن الهذار ينتجب تلك الابنة الطرية الفتيانة . وكانت جنيرفا دائماً ترتدى ثوباً أسود فضفاضاً وتضع حول عنقها الطويل الجميل قلادة من اللؤلؤ تنوسلها بقوة أثرية صفراء ، وتربط رأسها بعصابة من المسلمين تصل حتى منتصف جبينها شفاقة حتى أن الرء يرى خلالها خصلات شعرها الذهبى الباهت ؛ وكان وجه جنيرفا هو وجه المندراء التى صورتها ريشة الرسام قبلي لبي ، المندراء الطاهرة التى تبنت للقديس برنارد فى الصحراء ، وبأصابع كالشمع قلبت صفحات كتابه ...

كانت شفتاها اللتان كشفتى الطفل ، ونظراتها الهادئة الحزينة وحاجبها الخفيفان الماليان ، كان كل أولئك يحمل أقصى معانى البراءة والطهر . ومع أنها كانت ندية كالزهرة شابة كالربيع إلا أن منظرها كان يدل على ضئفها وقصر عمرها كالو كانت لم تخلق للحياة

فى فلورنسا . وقد أمل أن يسمو بأسرة ألقى إلى أعلى مرتبة اجتماعية . بل ربما يرى اسمه محلقاً على أجنحة شهرة خالدة وصدت باق ، ومضى ينصح لأخيه أن يهجر مهنة الحزارة لأنها مهنة ليست راقية وأن يضم أمواله إلى رأس مال ماتيو ، بيد أن جيوفانى أبى أن يأخذ بنفسيجته إذ كان يخشى أخاه بقدر ما يجب بمقدرته ، وراح يقول لنفسه دون تصريح « اسان ممسول وقلب خؤون »

وفى يوم قاطع عاد جيوفانى إلى متواه من دكانه تمكاً مكدوداً ، ومن ثم أترع بطنه بمشاء ثقيل كمادته وجرع كما كبيراً من خر مثلوجة ؛ فأصابته غثاة سكتة قلبية ، إذ كان يدين الجسم فى إفراط ، غليظ المتق فى قصر . قضى نحيبه ليلاً دون أن يجد القرصة لإشهاد أحد أو كتابة وصية . فسلمت مونا أرسولا أرملة - وهى امرأة طيبة القلب فى سفاقة وبلاهة - مقاليد بحارة زوجها إلى أخيه ماتيو الذى عرف كيف يخدمها بدعائه وكلاهة المسولة ؛ إذ استطاع أن يقنع المرأة الساذجة أن زوجها قد ترك « دفاتر حساباته » مضطربة نتيجة إهماله وتقديره وأنه مات وهو على شفا الإفلاس وأنها إذا أرادت أن تنقذ البقية الباقية فليها أن تلتق دكان اللحوم فى السوق القديم . وقد تناقلت أقاويل السوء أن ماتيو الباهية قد خدع الأرملة دون رحمة ليدير رأس مال جيوفانى مصانع الصوف تحقيقاً لرغبة القديمة . على كلر ، شيء واحد كان واضحاً جلياً ، هو أن أعمال ماتيو قد تقدمت تقدماً كبيراً منذ ذلك الحين ، وبدلاً من مركين اثنين مضى الآن يرسل إلى القسطنطينية خمسة أوستة مشحونة بأنواع الصوف الثوسكاني . وسمعان ما أضحى صاحب أكبر مصنع للصوف فى فلورنسا

لفلسفة أرسطو ومعاروات أفلاطون . على الجملة لم يكن يأمل تاجر الصوف (وهو الداهية الطلوح) في شخص ينتسب إليه أكثر نفعا وأسى مكرزا من هذا . وقد تمهد ماتيوي أن يهب ابنة أخيه بآنثة كبيرة على شرط أن يرتبط اسم أجولانتي باسم أئري

وقد صادف ذلك طبعاً هوى في فؤاد فرنسكو؛ غير أن جنيرفا مضت تمهل عمها وتؤجل موعد الزفاف من سنة لسنة ، وحيناً سألمها عمها حزم أمرها أعلنته بأن نمة رجلاً آخر تحبه أكثر من أجولانتي . وبالرغم من خوف مونا أرسولا ودعشها ، فقد صرحت باسم أئتونيوي رونديلي للثال الشاب الذي يقوم مصنعه في أحد الشوارع الضيقة في « بونت فيكيو » وقد تعرف أئتونيوي بجنيرفا في بيت أمها منذ أشهر قلائل . فقد استأذن أن يصنع تمثالاً من الشمع لرأس الفتاة الصغرة ابتداء بث جال جنيرفا في صورة بارزة للشهيدة المقدسة باربارة أوساه بها راهب ترى يشوى في إحدى ضواحي المدينة . ولم نشأ مونا أرسولا أن ترفض للمثال الشاب طلباً كهذا لوجه الدين . وإيان العمل وقّع المثال في حب نموذجة الجميلة ، ثم تلاقيا في المحافل الشعبية والجمعيات الشتوية حيث كثيراً ما كانت تدعى جنيرفا بحرارة وإلحاح ، إذ كان جمالها من أقوى أسباب الترحيب بها في كل حفل أو وليمة

ولما أن جهرت مونا أرسولا - مع إيداء أسفها واعتذارها - إلى ماتيوي بأن جنيرفا لها خطيب آخر تحبه ، وحينها ذكرت اسم أئتونيوي رونديلي ، تمالك نفسه وكبح جماح غضبه المتضرم وسدد إلى مونا أرسولا نظرات وادعة وقال في لين وهدهو :

- لو لم أسمع ياسيدتي ما قتله الآن بأذني

وعند ما كانت ابنة القصاب تتخذ سبيلها إلى الكنيسة في هدوء واحتشام بأعين مسيلة وبكتاب الصلوات في يديها كان الشبان المرعون إلى وليمة أو رحلة صيد يوفون خيلهم ويدلو وجوههم توأ أمارات الاهتمام ، ويختفي هزلهم وشحكاتهم ويمضون يتبمون جنيرفا الجميلة أبصارهم

وعند ما سمع الم ماتيوي كلمات المدح والإطراء تنصب انصباباً حول أخلاق ابنة أخيه الفاضلة ، حزم أمره على أن يزوجه من فرنسكو ديلاً جولانتي أحد سكرتيري الجمهورية وكان رجلاً شيعاً ، ولكنه كان محترماً من الجميع يرتبط بصلات وطيدة مع عطاء المدينة البرزن في ذلك الحين ، وكان فرنسكو أحد تلاميذ المدرسة اللاتينية الكبير ، وقد دأب على أن يكتب تقاريره ومضبوطاته بالأسلوب الفلسفي الذي كان الليقي وسألوس ، وكان بطبعه عبوساً متجهماً ؛ بيد أنه كان أميناً (كروماني قديم) لا يحمل سلوكه منفذاً للوم والتمنيف ، وكان وجهه كوجه أحد أعضاء « السناو » أيام الجمهورية ، وقد عرف كيف يرتدى عباءة موطي فلورنسا الطويلة الحمراء القائمة كأنها « روب » روماني حقيقي « Areal Roman Toga » وكان يحب اللغات القديمة حباً جماً حتى أنه حينما كانت اللغة الإغريقية شائعة في توسكانيا وحينما جاء العلم البيزنطي « عمانويل كريزو لوراس » من القسطنطينية يحاضر في قواعد اللغة الإغريقية في الاستديو (اسم الجامعة آنذاك) لم يستنكف أجولانتي بالرغم من سنه المتوسطة ومركزه كسكرتير في الجمهورية الفلورنسية أن يجلس جنباً إلى جنب مع الصبية الصغار على المقاعد المدرسية ، وقد أتقن اللغة الإغريقية حتى استطاع أن يقرأ النسخ الأصلية

عنها . يقدسها أكثر مما يبارك صور القديسين ،
والرسل الخالدة .. وقد حدثني بعضهم أنه ،
وتلاميذه يشرّحون الجثث التي يتناعم من حراس
المستشفى بأهبط الأعمان ليدرس عليها خفايا الجسد
البشري من أعصاب وعضلات ادعاء التثبث من فنه
والتضلع فيه ؛ ولكنه في الحقيقة يفعل كل هذا
إرضاء لمساعدته وناحه ، عدو غلصنا القديم ، الشيطان
الذي يوصي إليه بالشموذة السوداء . لقد أغوى ذلك
الضال بنتك الطاهرة واجتذب قلبها برقة الزائفة ،
وسحره الجهنمي وأساليبه الشيطانية »

بمثل هذا الحديث مضى ماتييو مخيف مونا أرسلوا
ليحملها على الاعتقاد أنه على حق . ولما أن أنبأت
ابنتها أنها في حالة رفضها الاقتراح بفرانسكو
ديلاجولانتى سيكلف عمها حتماً عن إعطائهما راتبهما
الشهرى . أزع الحزن واليأس قلب الفتاة ؛ بيد أنها
رضخت لحظها وجمعت أمرها على إطاعة عمها

وفي أثناء تلك السنة انقضت على فلورنسا رزية
فادحة ، معيبة تنبأ بها النجمون من قبل ، لأن
كوكب المريخ دنا منه كوكبا زحل والقرب دنا
كبيراً . كان عدد كبير من تجار الشرق قد أقبلوا
يحملون بين طيات أفشمتهم الهندية ميكرويات الطاعون
وتقدمت الواكب الرهيبية في الطرقات يرددون
الزماير حاملين صور جميع القديسين ، وسُنّت
القوانين تحرم تفرغ القمامات في المدينة وحرم على
المدايغ والمذابح تصريف فضلاتها في « آرنو »

وضرب نطق حول المرضى خشية اختلاطهم بالأحياء
وخوفاً من التعرض لعقاب الغرامة أو السجن بل
الموت أحياناً ، حرص الناس ألا يتروكا في بيوتهم
أولئك الذين ماتوا أثناء الليل إلى شروق الشمس
(*)

لما كنت أصدق أبدأ أن امرأة حكيمة فاضلة مثلك
تغير شاباً أرعن قليل الاختبار مثل هذا أدنى اهتمام .
لست أدرى كيف يحدث مثل ذلك في هذه الأيام ؛
ولكن في عصرنا لم يكن للبنت أى رأى وليس لها
أن تلتفت أى كلمة في اختيار زوجها . في كل شيء
كن يظن آباءهم ، وأولياء أمورهم . تبصرى قليلاً
في الأمر . من هذا الأتونيو التي شرفته ابنة أخى
باختيارها ؟ . لا يحتمل أن تكوني غير عالة أن المثاليين
والشعراء والمثاليين والمطربين الجوايين إنهم إلا أناس
لا يملكون ما يفعلون غير هذا ، ولا يصلحون البتة
لأعمال مشمرة مفيدة ؟ . إنهم أخف الناس عقولاً ،
وأكثرهم وهماً وخيالاً في هذه الدنيا الواسعة . إنهم
سكبرون بوهيميون ، كسالى ملحدون ، متفرون
مبذرون لأموالهم وأموال غيرهم . أما عن أتونيو ،
فلا إخالك لم تسمي بكل ما تمره فلورنسا عنه .
وسأذكر لك ببساطة إحدى ميزاته . تلك السلة
العلقة بجبل في دكانه ، في تلك السلة يضع أتونيو
كل ائال الذي يترع دون حصده ولا عد . وكل من
يرغب ، سواء أكان تلميذه أم أحدًا من معارفه ،
في استطاعته أن يأتي وينزل السلة دون أن يعلم صاحبها
أو يستأذنه ، ويأخذ ما يشاء من المال ، نحاس أو فضة
أو ذهب . فهل تحسبن يا سيدتى أنى أضع مالى
- البائنة التي وعدت ابنتك - في يد مثل ذلك المتوه ؟
« وليس هذا كل ما في الأمر . ألا تملين
أن أتونيو ينطوى على إلحاد خفى وإباحية مستبدة
غرمهما الشيطان في قلبه ، فجعله لا يذهب إلى الكنيسة
ويسخر بالسر المقدس ولا يعتقد في الله . لقد أنبأت
بعض الأخيار أن يبعد تلك التماثيل والأوتان الرخامية
التي تمثل الآلهة والأرباب ، والتي يشدّى يكشف

أوهام الشباب عقب الزفاف . وأن فرنسكو سيعرف كيف يكسب حب عروسه الصغيرة

ولكن آماله لم تكن لتنتج . فممت ما غادرت العروس الصغيرة الكنيسة ودخلت بيت زوجها بدأت تحس دواراً . وبخاء سقطت على الأرض كأنها ماتت . وبلغ ظن الكل أولاً أنها في غشية وحاولوا أن يثيخوا إليها رشفها ؛ بيد أن عينيها ظلتا مسبكتين وأخذ تنفسها يصف ووجها وسائر بدنهما يتحولان إلى صفرة الموت ، وسرت البرودة في أطرافها . وجاء طبيب بعد بضع ساعات (في ذلك الحين كان الناس يستدعون الأطباء رغماً عنهم وفي طي الخفاء كيلا يتسرب في المدينة خبر وجود مريض بالطاعون في البيت) ؛ ولكنه عند ما أذني امرأة من فم جنيرفا السلوبة الحياة لم يبد عليها أى أثر لأخف نفس

هناك اعتقد الجميع والحسرة تملأ نفوسهم والحزن يحيم على رؤسهم أن جنيرفا قد ماتت حقاً ولفظ الجيران أن الله قد صب جام عقابه على المرء لإقامته الزفاف في مثل ذلك الوقت غير اللائق . وأن عروس فرنسكو الصغيرة لها الطاعون فماتت عقب عودتها من الكنيسة . وقد انتشرت هذه الاشاعات سريعاً لأن أهل الفتاة كانوا في خوف من زيارة « الشياطين السود » لذلك كتموا خبر غشية الفتاة وموتها حتى اللحظة الأخيرة . ولكن عندما أقبل المساء أتى المفتشون الذين وقفوا على دقائق الحال من الجيران وطلبوا إلى أهل البيت أن يسلموهم جثة جنيرفا أو يدفنها توّاً ؛ بيد أنهم حيناً أخذوا « رشوة » جسيمة ، قبلوا أن يتركوا الجثة في بيت فرنسكو حتى مساء اليوم التالي .

لم يبق أحد من الأهل في مرية من موت جنيرفا

حتى ولو كان سبب الموت أدواء أخرى وانبث لذلك مفتشون يحرسون خلال الطرقات والسبل قارعين الأبواب سائلين عن مرضى في البيوت أو موتى . بل قد يفتشون البيت بأنفسهم إذا ساورتهم الشكوك والريب . وكانت ترى هنا وهناك العربات الملطخة بالقار بين دخان الشارع يحف بها رجال في ثياب سود صامتين مثلهم يحملون الخطاطيف التي يلتقطون بها نضاي الطاعون ويقلون بها في العربات انقاء مسها . وكان ثمة إشاعات أن هؤلاء الطلعة العتاة الذين يطلق عليهم الناس لقب « الشياطين السود » كانوا يلتقطون الأجساد التي ما زال بها رمق كيلا يعودوا إلى السكان عينه مرة ثانية

وظل الطاعون الذى انتشر في أواخر الصيف ، منتشر حتى وقت متأخر من الخريف ، بل حتى فصل الشتاء الذى أقبل مبكراً هذه السنة ، ولم يح آثاره ولم يقتل جراثيمه . وهرع أغنياء فلورنسا الذين لا تربطهم هام قوية بالمدينة إلى بيوتهم الريفية حيث الجو طاهر نقي من جراثيم الطاعون

وخوفاً من أن تغير جنيرفا رأيها . تعجل المماتيو يوم الزفاف بحجة أن مونا أرسولا وبنتها يجب أن ترحا المدينة بأسرع ما يمكن ، وأن فرنسكو ديلاجولاتي قد عرض أن يأخذ جنيرفا وأمها إلى جوسقه الجليل عند سفح « مونت ألبانو »

كانت هذه رغبة ماتيو ، وقد تحققت ، إذ تم الاتفاق على أن تكون ليلة العرس بعد أيام قلائل . فأقيمت الحفلة دون جلبة ولا ضوضاء كما كان سائداً في تلك الأيام الحزينة . وفي ليلة العرس وقفت جنيرفا كالغزال منمقة شاحبة يملو قسبات وجهها هدوء رهيب . بيد أن عمها أمل أن تزول تلك الأوهام ،

وقد حدث بعض الاضطراب في أخريات الحفل حينما حمل النمش من الكندراتية إلى الرمس لتوديعها بالقبلة الأخيرة. إذ شق رجل شاحب الوجه في عبادة حريرية طريقة إلى الفتاة المسجاة، ورفع عن وجهها غطاءه، وبدأ يحدق فيها بنظرات ثابتة. فطُلب إليه أن يلتحي ويتبمد، وأُخبر أنه عار عليه — وهو غريب — أن يدنو من جنيرفا، ولما يتركها أهلها بعد. فلما سمع الرجل المتفجع أنه وُصف بالغريب، وأن ماتيو وفرنسكو قد تبعًا بالأهل، ابتسم في مرارة وقبّل الفتاة الميتة في ثمرها وأعاد الغطاء على وجهها، ثم ابتعد عن الجمع دون أن ينبس. فدار الخمس بين المحشدين، وأشاروا إليه مرددين اسم اتقونيوي دي روندنيللي، الرجل الذي أحبته جنيرفا، والذي مات في سبيل حبه.

واخفت بقايا الشفق وانتهت الجنازة، وبدأ الجمع في الانصراف. فرغبت مونا أرسولا في قضاء الليل بجانب النمش، فعارضها المم ماتيو. إذ أنها بلغت من الحزن مبلغًا كان يخشى على حياتها من قصوته. فقط بقى الأخ ماريانو — وهو راهب دومينيكاني — بجوار التبر ليقرا الصلوات على الميت وتقصت بضعة ساعات. وفي هدوء الليل الشامل لم يكن يسمع سوى صوت الزاهب ودقات الساعة من أعلى برج « جيوتو » من حين لآخر. وأحس الأخ ماريانو بعد منتصف الليل بظلمة شديدة. فصحب زوجة من الخمر في عنف وأمال رأسه إلى الوراء، وتناول بضعة جرعات قليلة بسرور ولذة. ثم خيل إليه أنه سمع زفرة، فأرشف السمع فبلغت سمعيه زفرة أخرى. وفي تلك المرة بدا له كأن غطاء وجه الفتاة قد اهتز وارتمش. فتعلمه رعب شديد بث

إلا مربيها المعجوز التي يرميها الجميع بالجهل والغباء. فتوسلت إليهم في بكاء مؤلم ألا يدفنوا جنيرفا مؤكدة أن الطبيب مخطئ. فإن جنيرفا لم تمت، بل أنها في نوم عميق. وأنسبت أنها حينما وضعت يدها على قلب عزيزتها (أحست أن القلب يخفق في ضعف، في ضعف، بل أضعف من رفيف جناح فراشة). وتصرم اليوم ولم تبد جنيرفا أى دليل على حياتها فطويت في أكفانها ووضعت في نعشها، ثم حملت إلى الكندراتية. وكان القبر الجانف الخشن مرصوفة أرضه بالأجر التوسكاني، جانبا بين بابي الكنيسة في إحدى ساحات الجبانة تحت ظل أشجار السرو الشماء العالية، بين قبور أشراف فلورنسا وأعيانها. وقد دفع ماتيو في ذلك القبر عنّا باهظًا. ولكن المال أخذ من البائسة التي كانت ستدفنها جنيرفا. وكانت عملية الدفن يحف بها المهابة والوقار. إذ أُضيئت الشموع وأعطى كل فقير — لذكرى جنيرفا — كيارًا من زيت الزيتون مقابل نصف « سولودو »^(١). وبالرغم من برودة الجو وهول الطاعون كان في الجنازة جمع غفير. ولم يستطع البعض — حتى الغراب منهم — حبس دموعهم حينما سمعوا قصة موت العروس الصغيرة، وراحوا يتمتمون بحمالة بترارك الحلو

« يبدو الموت جميلًا على وجهها الجميل ».

وقد أتى فرنسكو على قبرها رثاء مقتبسًا ليس من اللاتينية غصب، بل من الإغريقية لأفلاطون وهو سُبُرس، وقد كان ذلك حديثًا جديدًا في هذه الأيام، أخذ بالباب جميع النصتين إليه حتى أولئك الذين لا يفهمون الإغريقية.

(١) « الصرلودو » عملة إيطالية

الجبانة . ثم إلى الساحة أمام المكتدرائية . وكانت أشعة القمر تنساب من بين السحب السريعة التي كانت الرياح تمزقها شر ممزق ، وبدا برج « جيوتو » الرخاى في ضوء القمر منتصباً في ضلابة وشم . وكانت أفكار جنيرفا صر تكة مضطربة ورأسها يتأيل ويترشح وقد خيل إليها أنها والبرج سيحملان إلى السحب المنمورة بضوء القمر . لم تدرك تماماً إذا ما كانت حية أو ميتة ، إذا ما كان هذا حلماً أم نقطة .

وسارت على غير هدى في شوارع مقفرة ساكنة . واسترعى بصرها بيت تعرفه ، فتوقفت ثم سارت إليه وطرقت الباب ، كان بيت عمها ماتيو وبالرغم من هذه « ساعة المتأخرة » لم يكن تاجر الصوف قد آوى إلى فراشه . كان في انتظار رسول من القسطنطينية إثر إخطار آناه . وقد كانت بضعة إشاعات قد بلغت المم ماتيو تدور حول غرق سفن كثيرة على مقربة من ساحل « ليفورنو » وخشى أن تكون سفينته ضمنها ، وأحس وهو في انتظار رسوله بالجوع . فأمر خادمه « نينسيا » . - وهي فتاة جميلة ذات شعر أحمر وثنايا بيض سواحر - أن تجهز له ديكاً محمراً . وكان المم ماتيو عزباً عجوزاً وفي تلك الليلة كان يجلس في المطبخ بجوار التيران حيث كان البرد شديداً في بقية الحجرات . وكانت نينسيا تجهز الديك بوجه مورد وذراعين يتشقرن : وكان لهيب النار يتمكس على الخرف البراق والأباريق المنسولة والصحون التي استوت على الرفوف . وقال ماتيو وهو يهرف السم :

— نينسيا . أما سمعت شيئاً ؟

— لأنها الرياح . سوف لا أذهب . لقد أرسلتني إلى الخارج ثلاث مرات .

في ميكله الرجفة . ولما كان قليل الاختبار في مثل تلك الأمور ، ويعلم جيداً أنه حتى من خبروا هذه الحالات تظن على أذهانهم خيالات وأوهام ، حين يتفردون بمجة أثناء الليل . فقد عوّل على ألا يلقى بالاً إلى الأمر ، ورسم علامة الصليب ثم مضى يردد الصلاة بصوت جهورى طنان .

واقطع صوت الراهب فجأة ، وتصلب مكانه ، وثبتت عيناه الجاحظتان على وجه الفتاة الميتة ، لم تكن هذه المرة زفرة ، بل أنين أنى من بين شفتيها . ولم يبق لدى الأخ ماريانو أدنى شك بعد ذلك ، إذ رأى صدر الفتاة يعلو ويهبط بيضاء ، فيهب الشفاف الذى على وجهها ، كانت تنفّس ، فرسم علامة الصليب وهو يرتد من الرأس إلى القدم . ثم اندفع نحو الباب ، وقفز فصار خارج القبر . ولما استعاد نفسه بفعل الهواء البارد حمل ما حدث على الوهم والتخيل وعاد إلى الباب مستعيذاً بالمعذراء ، ونظر إلى جوف القبرة ؟ فانفجرت من بين شفتيها صرخة مفزعة . كانت الفتاة الميتة قد استوت جالسة في نعشها بعينين مفتوحتين ، فأسرع الأخ ماريانو يمدو عبر الجبانة دون أن يلتفت خلفه . ثم عبر ساحة سان جيوفانى ثم طريق « ريكاسولى » . فقط كان يسمع وقع (سندله) الخشب على الشارع المرصوف المنطى بالثلج في سكون الليل الريب .

وعندما أفاقت جنيرفا ألمرى من نومها ، أو من غيبوبتها التي تشبه الموت ، راحت تفحص نعشها بعينين يشع منهما الجبل ، وانبت فيهما الرعب حيناً أدركت أنها دفنت حية . وبقوة يائسة قامت من نعشها وأحكمت أكفانها حول جسدها . ثم أجهت إلى الباب الذى تركه الراهب مفتوحاً ، وخرجت إلى

إنك ترمد كما لو كنت ذاهباً إلى الآخرة ... هيه ؟
 ليس ثمة فائدة من ذهابك . إبن هنا واحد الله
 أن لم يحدث لنا أسوأ من هذا
 وأخذت نينسيا زجاجة ملائ بالاء القدس
 ورشت منها على الباب الخارجي وعلى أرض البيت
 والسلم والطبخ ، وعلى ماتيو نفسه ... وأطاع
 الخادم ولم يُخَيِّب رجاها ، زعماً منه أنها أكثر
 معرفة في التصرف مع الأرواح . واستعطف نينسيا
 الروح بصوت مرتفع قائلة :

— أيتها الروح المبارك . إذهب برك .. الموتى
 الموتى جعل الله مثواك دار الحق
 فلما أن سمعت جنيفاً أنها خطبت كأنها ميتة
 أدركت أنه ليس ثمة داع لبقائها هنا ، فهضت من
 جلسها على مدخل البيت حيث كانت قد سقطت
 إعياء ، وضربت في الطريق تبحث عن ماوى
 سارت بقدميها التجمدتين في تم وإرهاق
 حتى وصلت إلى الشارع المجاور حيث يقوم منزل
 فرنسكو ديلاً جولانتي

كان سكرتير جمهورية فلورنسا في هذا الوقت
 يكتب رسالة فلسفية باللاتينية إلى صديق له في ميلانو
 يدعى ميشيو ديلو برتي كان مولعاً هو أيضاً باللاهوت
 القديمة . كانت رسالته في اللاهوت عنوانها :
 « خطاب للذكرى الروح التي ارتبطت برابطة الموت ،
 روح زوجتي الحبيبة ، جنيفاً أأرى » . ومضى
 فرنسكو يقارن بين مذهب أرسطو ومذهب
 أفلاطون ، مُفكِّداً وجهة نظر توماس أكويناس
 الذي يجزم بأن فلسفة أرسطو تتفق وتعاليم الكنيسة
 الكاثوليكية من ناحية الجنة والنار ، بينما ذاع
 فرنسكو يدلل في براعة ومنطق سليم أن أرسطو

— وما ذلك برح . امرؤ يطرق الباب . إنه
 الرسول . إذهي وافتحى الباب حالا .

فبدأت نينسيا المكتنزة تنزل الدرج الخشبي
 في تراخ وكسل بينما وقف المم ماتيو على رأس السلم
 ممسكاً بمصباح ينير لها السبيل . وسأت الخادم
 — من هناك ؟ ... فأجاب صوت خافت من
 وراء الباب :

— إنه ... إنه أنا جنيفاً أأرى ... فتمتمت
 الخادم في دعر :

— يسوع .. يسو ...
 وابتدأت ساقها ترتدنان ، ولتلقذ نفسها من
 السقوط تشبعت بسياج السلم ...
 واصفر وجه ماتيو وسقط المصباح من يده .
 وتوسلت جنيفاً قائلة :

— نينسيا . نينسيا . افتحي الباب . أسرعى .
 دعيني أدنى . نفسي . إني مقرورة أنبي عي أنه أنا
 وبالرغم من بداية الخادم ، اندفعت نحو السلم تجرى
 عليه مساعدة حتى سمع للدرج صرير تحت قدميها :
 — هو ذا رسولك الذى تنتظر . لقد أنبأتك
 أنه خير لك أن تذهب وتنام كسيعى مؤمن ...
 أوه ! أوه ! يطرق ثانية ... أسمع ؟ إن الروح
 المسكين يئن ويثأل . كم هو مؤلم أنينه . آه يا إلهي !
 أقدنا وارحنا نحن الذين صل من أجلنا أى قديسنا
 لورنس ... فقال ماتيو في تردد :

— اسمي يا نينسيا . سأذهب لأرى ماذا هناك
 من يدري ... ربما ... فصرخت نينسيا وهى تشبك
 يديها :
 — ماذا ستفعل أيضاً ... فكر فيه فقط ...
 يا للرجل الشجاع ! أو هل تظن أنى أدعك تذهب ؟

تمالك نفسه سريعاً . وخجل للرب الذي ران على قلبه حينما تذكر ما قاله بلوتونيوس الأسكندري ، وبروكلس عن ظهور الموتى ، تمالك نفسه توا وأطل من النافذة وقال في صوت ثابت :

— إذهب سواء أ كنت روحاً سماوياً أم روحاً أرضياً . إذهب إلى حيث كنت لأنك تحاول عبثاً أن تخيف ذلك الذي استنار عقله بالفلسفة الحققة . قد تستطيع أن تخدع عيني الظاهرتين ؛ ولكن عينا تحاول خداع عيني عقل وإدراكي . إذهب بسلام . الموتى للموتى .

ثم أغلق النافذة جامعا أمره ألا يفتحها ثانية حتى ولو أقبلت فرقة بأكلها من الخيلالات والأطيان البائسة تقررع الباب .

فصرعت جنيثرا تضرب في السير . ولما كانت على مقربة من السوق القديم فقد ألفت نفسها عند مأوى أمها .

كانت مونا أرسولا حائية أمام الصليب وبحوارها وقف الراهب جيا كومو شاحب الوجه ضيقاً واهناً من أثر الصيام . فرضت عينها الجزعيتين إليه وقالت : — ماذا أصنع يا أبت ؟ ساعدني . لا أحس صبراً ولا خضوعاً . ولا أشعر في نفسي برغبة إلى الصلاة . يبدو أن الله خذلني ، واجتواني وهجرني ، وقضى على روحي بالملاك . فقال الراهب يحتمل على الصبر :

— أطيعي الله في كل شيء حتى النهاية . لا تنضمري . هدي من صوت جسدك المنكسر . فإن حبك المحض لا ينتك إن هو إلا حب جسدي لا روحي . ليس الحزن لأن جسدها مات . بل الحزن لأنها مثلت أمام الله ولما تنب توبة صادقة . خطيئة

كان في الخفاء شاكاً ملجداً وأن « أفلاطون » المحب الكبير بالآلهة هو الذي كان يتمشى مع تماثيل الكنيسة المسيحية

وكان مصباحه الزيتي المثبت على مكتبه إلى جانب عدد كبير من الأدراج ، وأقسام الورق والخبر ، والأفلام ، يحترق في لهب هاديء لطيف . وكان المصباح عبارة عن تمثال صغير « لتريتون »^(١) يمانق إحدى غواني البحر ، وهذا يدل على ولع فرنسكو طوال حياته باقتناء التحف التي على هيئة التماذج القديمة وكان على المكتب أيضاً تماثيل من ذهب تمثل رقص كيبيد ، وملائكة تحمل أكاليل من زهور الجنة ينعكس بريقها على صفحات القراطيس الناعمة كالحرير ، السلبة كالعاج .

وكان فرنسكو يهتم بتحليل نقطة لاهوتية من مذهب تقمص الأرواح . ويُلمَّح في حلق ، ومهارة إلى مذهب « البيثاجوريان »^(٢) الذي يحرم أكل البقول زعماً أنها تحتوي على أرواح الأولين . عند ما سمع فجأة طرقة على الباب . فقطب حاجبيه ، إذ كان لا يطيق أى إزعاج لإيان عمله . على أية ، قد ذهب إلى النافذة وفتحها ، ثم أطل منها إلى الشارع وعلى ضوء القمر الشاحب رأى جنيثرا ملتفة في أكفانها .

ففسى فرنسكو أفلاطون وارسطاليس وأغلق النافذة في سرعة حتى أن جنيثرا لم تستطع أن تنبس بكلمة واحدة . ثم ابتداء يردد صلاة المنراء ، ويرسم علامة الصليب في رعب هائل مثل نينسيا ؛ بيد أنه

(١) تريون : نصف إله ، أحد نانفي البوق من أتباع نبتون إله البحار .

(٢) بيثاجوراس : فيلسوف إغريقي قديم عاش سنة ٥٢٢ ق . م .

وهت الأم مرة ثانية ومدت ذراعها نحو ابنتها
بيد أن الراهب ، في شحوب كاللوى ، وقف حائلًا
بينهما ...

فسقطت جنيرفا على الأرض وأحست البرد يكاد
يقتلها . وعقدت يدها حول ركبتيها ونكست رأسها
ثم عقدت النية ألا تقوم ثانية ولا تتحرك حتى
تموت ... ومضت تفكر « ليس للوئى أن يعودوا
إلى الأحياء » ثم ذكرت أتونيو فقالت في نفسها :
« أعتقد أن ينبدنى أيضاً ؟ » ... لقد فكرت فيه
من قبل ؛ ولكنها شمرت بالخيال بطنى عليها ،
إذ أنها لم تتأ أن تذهب إليه ليلاً بمفردها وهى
ذات بعل ... ولكنها الآن ميتة أمام الأحياء

واختفى القمر ، وأكست الجبال بالثلج ،
وانتصبت شاحبة أمام الصبح السافر . ومن مجلسها
فى مدخل بيت أمها وقفت جنيرفا ، ثم اتجهت إلى
بيت غريب بعد إذ ضاقت بها بيوت الأهل والأقارب
وكان أتونيو قد قضى الليل كله فى صنع تمثال
من الشمع لجنيرفا . لم ينتبه إلى مرور الوقت وكيف
تسرب الضوء البارد ، ضوء صباح الشتاء الأزرق ،
إلى الغرفة من خلال النافذة . وكان يساعده فى عمله
تلميذه المقرب بارتولينو وهو شاب فى السابعة عشرة
من عمره ذو شعر ناعم ووجه كوجوه القتيات
وكان وجه التمثال هادئاً . خيل إليه أنه بعيد
الحياة إلى المائتة ويهها بقاء جديداً . وبدت الجفون
كأنها ستتهز وتفتتح ، والصدر كأنه سيملو ويهبط
وكان الدم الحار يتدفق فى عروقها الجميلة
وانتهى من عمله ؛ وبينما كان يحاول أن يرسم
على شفتى التمثال جنيرفا ابتسامة طاهرة ، إذ سمع
طرقاً على الباب . فقال دون أن يترك عمله :

— بارتولينو ! افتح الباب

فذهب التلميذ إلى الباب وسأل :

كبرى وذب عظيم . وفى تلك اللحظة سمع طرق
على الباب :

— أوى . أوى . اختفى سريعاً . إنه أنا . دعنى
أدخل . أسرعى

— جنيرفا !

قالتها مونا أرسولا فى دهشة عنيفة وهت
بالاندفاع نحو بنتها . ولكن الراهب تصدى لها :

— أين تذهبين ؟ إن ابنتك الآن فى قبرها
ميتة ... ولنى تقويم حتى يوم الحساب . إن هذا
إلا الروح الشريرة تتحدثك بصوت ابتك . بصوت
جسدك ودمك . توبى وصلى . صلى قبل أن يفوت
الأوان وتولى الفرصة . صلى من أجل نفسك وروح
جنيرفا الخاطئة . هذا ما يتفدك من الحسران المين
— أوى . ألا تسمعين ، ألا تعرفين صوتى ؟

إنه أنا . إنى على قيد الحياة ... لست ميتة !

— دعنى أذهب إليها ، أوى أبى . دعنى

— اذهبي . ولتعلمي أنك بذلك لا تعرضين

نفسك للحلاك فحسب ، بل روح جنيرفا أيضاً ...
عليك لعنة الله فى الدنيا والآخرة

وامتلاً وجه القس بآيات البغض الشديد وتوهجت
عينها ببريق من النار غريب ، مما جعل مونا أرسولا
تقف خائفة وجملة . ثم شبكت يديهما وجثت تحت
قدميه تصلى

فأبى الراهب جيا كومتو نحو الباب ورسم إشارة
الصليب وقال :

— باسم الأب والإبن والروح القدس ...
أستحلفك بدم المسيح الذى صلب أن تخفنى ... أن
تذهبي أيها الممونة . إنها أرض مقدسة . أوى إلىهى
لا تقعدنا إلى الغواية والضلال بل خلصنا من السوء
والويل ...

— أوى ... أوى ... رحمة فى ... إنى أموت

وحده. فنادته، فلما جثا بجوارها حدثته بكل ما مر بها من حوادث، ثم عقيبت قائلة :

— أوه يا غنزي ! أنت وحدك الذي لم تخف حينما جثتكم ميتة. أنت وحدك الذي يحبني حباً صادقاً فسالها أنتونيو : هل أستدعي أمهلك ؟ أمك ، وأمك ، أو زوجك ؟

— ليس لي أهل . ليس لي زوج ولا عم ولا أم . إنهم جميعاً غريباء إلا إليك . إنني ميتة في نظرم ... ولكنني على قيد الحياة في نظرك أنت ... وأنا لك . وبدأت أشعة الشمس الأولى تنصب في الحجرة فتبسمت له جئرفاً . وكان لون الحياة بقيء إلى خديها كلما تجلت الشمس . وجرى الدم حاراً في عروقها وحينما انحنى أنتونيو عليها ، وضعا إليه وقبلها في ثغرها ، أحسّت كأن الشمس تميد إليها الحياة ، وتسبها حياة أخرى خالصة . وهمست تقول له :

— أنتونيو ! تبارك الموت الذي علمنا الحب . تبارك الحب . إنه أقوى من الموت .

محمد عبد الفتاح محمد

— من هناك ؟

فأجابها صوت كصوت نسيم المساء لا يكاد يسمع :
— أما جئرفاً أأرى
ففز بارتولينو إلى أقصى مكان في الغرفة شاحباً مرتمداً ، وراح يهيمهم وهو يرسم علامة الصليب :
« الميتة ... ! »

بيد أن أنتونيو عرف صوت حبيبته فاندفع إلى بارتولينو وخطف منه المفتاح خطفاً فمأجله التلميذ قائلاً وأسنانه تصمطك :

— فكر في نفسك يا أنتونيو . ماذا أنت صانع ؟ فأسرع أنتونيو نحو الباب وفتحه ؛ فالتفت جئرفاً ملقاة على عتبته كأنها جثة هامدة ، وقد تجعدت الطل على خصلات شعرها الناعم ، ولكنه لم يحس أى خوف إذ كان قلبه مقبهاً بحنو شديد . انحنى فوقها تنثأركلمات الحب من فيه . ثم حملها وعاد إلى مثنواه . أرقدها على بضع وسائد وغطاها بأحسن غطاء لهيه ، ثم بحث بارتولينو إلى السيدة المعجوز التي استأجر منها غرفة عمله . ثم أوقد ناراً في الموقد وأدفاً عليها بعض الخبز وسقاها منه قطرات . فتفتقت بيد

ذلك في راحة وسهولة وهي وإن كانت لم تستطع الكلام ، إلا أنها فتحت عينيها . فامتلا قلب أنتونيو بالفرح ، وقال لها وهو يذرع الغرفة غدواً ورواحاً :
— ستقبل المرأة حالاً ، لقد برت كل شيء . فقط اغفري لي تلك الغفوى التي تزين ياسيدي جئرفاً وأزل أنتونيو السلة خجلان حيران وأخرج منها بعض المال ناوله بارتولينو وأخبره أن يسرع إلى السوق ليشتري لحماً وخبزاً وخضراً للطعام الإفطار . ولما أقبلت المرأة المعجوز ، أمرها أن تهنيء حساء فزوج ساخن

وأسرع التلميذ إلى السوق بأسرع ما في مكنته ، بينما ذهبت المعجوز تذبح فروجاً وبقى أنتونيو مع جئرفاً

صدر كتاب

قافله الأيام

مجموعه من القصص المصري الحديث

تأليف
عبد اللطيف كركي

يبلغ خمسة قروش بجميع المكتبات بالمعالم العربي
وبمكتبة النهضة المصرية

حاجي بابا اصفهاني

لکھنؤ والا علی غازی جہنم پور
بقلم الأستاذ عبد الحفيظ الشار

الفصل الثاني والسبعون

حادثة في الطريق - حاجي بابا يمر
في نجمة عثمان أغا عزيز رسولنا

خرجت من المنزل لا أُلوي على شيء وأسرعت في مشيتي وظللت مدة لا أشعر بشيء ولا أسمع حتى ولا وقع قدمي إذ كنت مشوش الأفكار مهموماً محزوناً أحس باللوعة تكاد تغرق صدري وبالأسي يوشك أن يفتت كبدي . وحين وقع نظري على البحر جعلت أقول : « إن من الحكمة أن ألقى بنفسي فيه » غير أنني أثناء اجتيازي ميداناً فسيحاً من ميادين المدينة رأيت حادثاً كان له رغم قهاته أثر عظيم في نفسي إلى حد أنه غير مجرى أفكارى وأنفذني من الانتحار وقفت أشاهد معركة من معارك الكلاب مما يكثر وقوعه في شوارع الآستانة فقلل كلب إلى حظيرة جماعة من الكلاب واعتدى على حقوقها بأن سرق قطعة عظم وجرى بها . وتبع ذلك عواء شديد ونباح وانطلقت الكلاب جميعاً وكادوا يصلون إليه . وهنا تصادف أن قابل الكلب السارق بعض رفاقه فطلب منهم المونة ورجع بهم إلى مهاجرة مطارديه وبذلك بدأت المعركة وقد خطر في خاطر أثناء وقوفي أشهد هذا المنظر قلت : « يارب ما أعظم قدرتك وأحكم إرادتك

وما أقل عقل من يندم على شيء أنت أردته وقدرته : يارب لقد شامت قدرتك أن أمر من هنا لأتعلم درساً ولأعلم الطريق الذي يجب اتباعه . إن المونة والمساعدة في متناول الذي يطلبها . ذلك هو الدرس ، وإني لنتبمه إن شاء الله رغم أن الكلب هو الذي علمني . ثم يجب أن نعتب من حكمة تأتي بها الحيوانات ويقوت الأدي إدراكها ، فلن أدع اليأس يتسلط عليّ وسأبحث عن صديق أجد العزاء والبلوان في تجاربه كما رأيت هذا الكلب يفعل الآن وأنجحت خطواني إلى حيث كان صديق الأيمن ومرشدي وناصي الشيخ عثمان أغا فهو على الرغم من كونه تركياً كان يعاملني كما لو كان مواطناً لي ومشاركاً لي في عقيدتي

استقبلني في سكوت وهدأة كمادة ، وحين قصصت عليه بلواي صعد نفساً طويلاً من غلونه الذي لا يفارقه وتهد قائلاً : « الله كريم ! » ثم قال لي : « أعلم يا صديقي أنك حين حضرت إلينا بكل ما عليك من مظاهر النعمة ودلائل الثراء والذي وراك مواطنونك كذلك تنبأت لك منذ تلك اللحظة بضربة تصيبك ومصيبة تحمل بك ... إنك لا تزال صغيراً ولم تجعل على كفتيك من الأعوام الطويلة والتجارب القاسية مثل الذي أحمل ، فانت لا تدرك أثر النعمة الحادثة في نفوس الأشياء المناكيد ... أكنت تصور أن قوماً من طبقتك في الحياة يرحون تحت ما يعانونه من العمل المتواصل والسكد العنيف لا يعتمدون في رزقهم إلا على قصبة تبغ يبيعونها أو كيس تبغ شيرازي يتجرون فيه ، أكنت تحبهم يطيقون أن يروا زميلاً عليه من مظاهر الثراء والنفى ما لم يتصوروه

فقلت له : « قد يكون حقاً ما ظننت، وقد يكون الأمر قد انتهى ونفذ السهم وليس لنا غير السكون والصبر؛ غير أنني مسلم يا صديقي أعتقد في عدل الله ولم أسمع قط أن امرأة طردت زوجها من بيتها وإن كان العكس كثير الشيوع . ولست أعلم ولا أستطيع أن أعلم بأى حق تقبلنى هذه السيدة زوجاً ثم لا تلبث أن تطردنى من منزلها في هيئة تحجل الكلاب . إنها امرأة خبيثة سرها أن تماشرنى في الصباح ثم تهجرنى في المساء

إن في المدينة قضاء وشيوخ إسلام كما هي الحال في كل بلد إسلامي فلماذا لا أرفع مظالمتي إليهم؟ لهم يقبضون مرتباتهم لإقامة العدل ورد المظالم فكيف يجلسون مطمئنين إذا سمحوا بمنزل مظالمتي ولم يردوا العدل إلى نصابه؟ إنني باحث بإذن الله عن حق » فقال صديقي عثمان أفا : « هل جئت يا حاجي بابا حتى تطلب مقاضاة أرملة أمير من أعظم أمراء الإسلام ، بينما يجمعها أخواها وهما تاجران من أغنى تجار الأستانة؟ أين عشت كل حياتك حتى لا تعلم أن الذهب والمال هما الحق والعدل؟ إنك لو ظهرت أمام المحكمة تطلب بحقك ومعك ما شئت من حجج وبراهين ووقف أمامك صهرك بماله وجاهه، هل تشك في أن الحق يكون في جانبه؟ »

فقلت متأوها : « إرحمني يا أرحم الراحمين اهل ضاع العدل وفقد الناس الدم؟ بئس عالا هذا شأنه ! إنني لا أستطيع أن أنزل عن حقوق وسأطالب بها . وجعلت من يأسى وحسرتي أبكي بكاء مرأاً وأنتحب تحمياً شديداً وجلست من يأسى وحسرتي أبكي وأنتحب وترعت بعض شعرات من لحيتي فحاول عثمان أفا أن يهدي من زوحي ويسكنني بين هياجتي

في أحلامهم أو يتخيّلوه طول أيامهم؟ إنك لو كنت تفوقهم حقاً أو تبزهم مقدرة وعزماً ثم ظهرت أمامهم بلباس أحسن من لباسهم وحال أنعم من حالهم، أو رأوك تمتلئ الجياد وقد اعتادوا ركوب الخيل لغان الأسر ولما أغرقت صدورهم وأثرت حزازات نفوسهم. ولكن الذي أوقد نيران الحسد وأشعل لهيب الضغينة ظهورك بلباسك الأنيقة وجليونك المذهب وجوادك المظم بين خدمك وحشمك وما كنت فيه من عظمة وكبرياء ومحب وخيلاء . وإن ذلك كله كان مفاجأة لم يسبقها امتياز لك عليهم ولا تدرج في التفاوت بينك وبينهم . فاذلّتهم بذلك وحطمت عزائمهم فلم يحتملوا الأمر وحقدوا عليك ووطدوا العزم على إرجاعك - إن أمكنهم - إلى حالتك الأولى، فمن الخلل أنهم هم الذين أسروا إلى أسهارك أنك لست بالتاجر البندادي ولكنك ابن حلاق في أصفهان وأنتك بائع سلع حقيرة

ولم يشك أسهارك في صدقهم بسبب الرية التي كانت تحوم حولك ولتلاعبك في عقد الزواج وحيرتك في تحديد ثروتك . ومن الواضح أيضاً أن أسهارك أدركو كذبك فيما ادعيت من شرف الأصل وكرم المنبت وسعة الثروة، فمن متاجر في بخاري إلى مرابك تسبيح في بخار الصين . ولو كنت ظهرت أولاً في غير جلبة ولا منوأة بظهورك الحقيقي لكنت نصحت لك وحذرتك من الظهور أمام أبناء بلدك بشيء يدل على النعمة أو يرمي على الفنى . ولكن الأمر انتهى ووقع القدر ولا حيلة لنا اليوم فيما حدث . وكل ما أوصيك به الآن أن تتعلم من ماضيك ما ينفعك في مستقبلك »

وبعد أن انتهى الرجل من حديثه عاد إلى غليونه

ولما تكلمت معهم أدرکوا أنني واحد منهم رغم ملابسی التركية ، ووعدوني أن يدخلوني إلى سيدم من غير عناء .

غير أنني كنت أريد قبل أن أدخل إلى السفير أن أعلم شيئاً من طباعه وأحواله حتى أستطيع أن أظهر أمامه بالشكل الذي يريد ، وأحادثه باللغة التي يحب .

لذلك تحدثت مع أحد الأنبايع من غير حذر أو مواردية عن كل ما أستفهم عنه ، وكانت نتيجة حديثي أنني علمت أن السفير اسمه فيروز ، وقد ولد في شيراز من أبوين محترمين ، ولو أنهما ليسا من عليّة القوم خلا أمه التي كانت شقيقة وزير قديم ذي سطوة وجاء ، والذي كان السبب في ارتقاء الشاه إلى العرش .

وتزوج السفير من ابنة خاله الوزير المذكور ، وساعده ذلك الزواج أن ينال مركزاً في الحكومة وكان قبل ذلك قد مارس عدة شؤون جملة يزور كثيراً من الممالك ، ونتج عن ذلك أن اختاره الشاه وزيراً لشؤنه الخارجية .

ثم قال : « إنه رجل ذكي القلب سريع الخاطر جبار العقل سريع الغضب غير أنه مع غضبه كثير التسامح ولو أنه حين يغضب لا يسلم المرء من شدته وقد وهبه الله ملكة الخطابة والتأثير ، وهما استطاع أن ينجز في مركزه من أية ورطة يقوده إليها مركزه وحده طبعه ، وهو يسامل خدمه وحاشيته بالحم والرقّة أحياناً وأحياناً بالشدّة والقسوة فيسمح لهم في بعض الأحيان أن يقولوا ما يشاؤون في حضرته ، وفي البعض الآخر لا يمرّ أحد أن يقترب منه ، ولكنه يفلب عليه التيسيط في الحديث

فأخذ يذكرني بجماليات الماضي ويجردنا وما شاهدناه أثناء سجننا لدى التركان وقال لي : « إن الله قادر وحليم وكل ما يصيننا في حياتنا فهو مكتوب مقدر فليس لنا إلا الرضوخ لما قدر علينا »

نظرت لي خاطر جديد وقلت : « ولكنني إراني فكيف أقبل ظلماً من تركي ؟ إننا أمة عظيمة لها تاريخها وعظمتها من عهد جتكين خان وتيمور خان ونادر خان الذين رفعوا شأننا وأذاعوا فضلنا بين المالين ، والذين قتلوا رجال الترك ونهبوا ديارهم أبنا وجدوم . سأسى إلى سفيرنا وأقصّ عليه الأمر . فإن كان رجلاً شهماً رد لي حقوق من مقتصبها . نعم . نعم . إن السفير سيرد زوجي إليّ . ما أحسن هذا الخاطر وأطيبه ! ثم سرى من يستطيع أخذها مني ثانياً » .

وكنّت قد تشبعت بهذا الخاطر ، وامتلاّت به نفسي حتى لم أقف لأسمع ما يقول عثمان أغا في الموضوع وانطلقت ممثلة نشاطاً وإقداماً أسى إلى ممثلي ملكتنا الأعظم الذي كان لحسن الحظ قد وصل قريباً في شأن من شئون البوالة مع الباب العالي .

الفصل الثالث والسبعون

عثره غي صديقه - بعض أهباء ميرزا فيروز علمت أن السفير يقطن في حي اسكوتاري . فبعمت ذلك الحى ، وجعلت أرتب أفكارى وأنظم خواطرى لأقدم للسفير مظلة جدية بالاهتمام . وبعد أن زلت من القارب سألت عن منزل السفير . فلما وصلت إليه رأيت حديقة حافلة بالأنبايع والخدم ، وقد ذكروني بموطنى الذى يختلف كثيراً عن البلاد التركية بما بدا لي من ملاحظهم وسرعة حركتهم .

والرقة واللين وحب الزاح .

ذلك هو الرجل الذي قادوني إليه . وقد رأيته جالسا في أحد أركان الغرفة كمادة أهل إيران ، وبسبب جلوسه لم أعرف أطويل هو أم قصير ... غير أن وجهه كان من أجل الوجوه ، وهو عريض الكتفين ، عريض الصدر ، أنفي الأنف ، واسع العينين متألقهما ، جميل الفم جذاب ، له لحية يحسده الراؤون عليها . وكان مثالا للجمال الفارسي ، وبعد أن تبادلنا السلام قال لي : « هل أنت إيراني ؟ » فقلت : « نعم » .

قال : « إذن لم تنزيا بالزي الشباني ؟ إن لنا بحمد الله ملكا ودولة لا يتجمل من الانثناء إنهما أي إنسان » .

فأجبته : « لقد قلت حقا . ولما لبست ثياب الأتراك وقشيت بهم صرت أحقر من كلب ورأيت أيام يؤس لا توصف ، وتفتت كبدي أسى حيث اختلطت بهؤلاء القوم اللعابين ، وليس لي من حام غير الله وغيرك » .

فقال لي : « وكيف ذلك ؟ تكلم ! هل نال أحدا أصفهانين ، إذ يظهر من لهجته أنك أصفهانى ، ضرر أو أذى من تركي ؟ عجب هذا والله ! إننا ما حضرنا إلى هنا ، وما قطعنا كل هذه المسافات الشاسعة إلا لنديقهم العذاب لالكي يذبونا » . قصصت عليه كل أمرى منذ البدء إلى النهاية وكنت كلما تقدمت في الرواية ازداد هو إقبالا على وانشراحا بحديثي إلى أن وصلت إلى قصة زواجي فأخذ يضحك ضحكا عاليا متواصلا من الرواية التي رويتها عن زوجتي ، وقد سره ما أخبرته به من أمر الولية التي أنقها والاحترام الذي قوبلت به وأبهى

وعظمى اللتين ظهرت بهما ، وكنت كلما ذكرت شيئا من خديمتي لمجول الأتراك (كما كان يسميهم السفير) وغشى لهم زاد سروره وانشراحه وكثر ضحكه وأخذ يقاطني بقوله : « بارك الله فيك يا أصفهانى ! بارك الله في ذكائك أيها الفليس ! والله لو كنت في مكانك ما صنعت خيرا مما صنعت »

ولكنني حين قصصت عليه ما فعله مواطني من حسد ومضغيتهم وما تم أخيرا في منزلي ، والشتائم التي أنهالت على من النسوة وأطرب زوجتي . وحين مثلت له حالتي حين خرجت من المنزل رأيته بدل أن يظهر الشفقة والأسى لا نالني أخذ يضحك ويتأيل من شدة الضحك وقد احمر وجهه وانتفخت عروق جبهته ولم يلبث أن استلقى على وسادته من تأثير الضحك الشديد

فقلت له : « أؤسل إليك بإسدى أن تفكر في مركزى الحاضر . لقد كنت أمام على فراش من ورد فأصبحت لأجد ما أتوسده . وكنت أمتلئ خير الجياد فأصبحت أتمنى أن يكون لي حمار فقير

إنني حين أنصور ما كان لي من ثروة وغنى ، من ثياب فاخرة وخدم وحشم وحمامات من رخام وغلايين وقناجين وكل ما يمكن أن يشتهي المرء » ثم أرى نفسى اليوم لا أملك ما أتناه به ؛ حين أنصور ذلك أعاني حسرة أية حسرة ! وأكابد لوعة أية لوعة ! إن هذه الذكريات لتثير كل شعور في نفسى إلا السرور ، وتحدث كل شيء بنفسى إلا الضحك مهما يكن تأخيرها في نفسك »

فصاح السفير ضاحكا : « إن هؤلاء الأتراك معانيه وإننى أتخيلهم الآن بإحلام الطولية ورووسهم الصلحاء ، وقد انطلت عليهم رواية الإيراني الخبيث وأكاذبيه . ولولا أن أبلغهم الأمر فارسيون من

كثير الهم والتفكير، فكأما من حيث الحياة الناعمة والمعيش الطيب قد ذهبت أدراج الرياح ورأيت نفسي مضطراً إلى الكد والنصب لأحصل على ما يقوم بأموري

وأخيراً قلت لنفسى : « لئن فقدت المنزل فقد عثرت على صديق وليس من العقل أن أرفض حمايته ولا شك أن العناية التى حفظتنى والقدر الذى سدد خطواتى سيتمهداننى فى مستقبلى وقد أصل يوماً من الأيام إذا شادت المقادير إلى حالة لا أقان معها على الحياة »

وصممت على التقرب من السفير ، وسرنى أن رأيت أن البشاشة التى أظهرها عند أول مقابلة قد زادت ، وكثر عطفه على مع توالى الأيام . وقد استفاد السفير منى إذ جعلنى أستطلع له الأخبار ، وأودى له خدمات حكومية ، وأخرى خاصة بمهمته التى جاء من أجلها .

وشغلتنى عن البحث فى مستقبلى الاتهام بالحوادث العامة ، والأمر الخارجى ، وكنت لا أعرف عن الأمم من قبل غير أمى وأمة الترك ، وأسماء بعض الأمم الأخرى مثل الصين والهند والأفغان والتاتار والكرد . وكنت أعرف العرب كذلك ، وأعرف من الأفريقيين بعض أجناس كنت أراهم يتجذمون فى منازلنا .

وعرفت من الفرنج الروسين (إذا كان هذا هو اسمهم) وقد كنا كثيراً ما نرى بعض رجالهم فى إيران . وصممت عن الإنكليز والفرنسيين .

فلما دخلت إلى الأستاذة دهشت إذ سمعت بوجود أجناس أخرى من الفرنج غير الثلاثة الأجناس التى ذكرتها ، ولكنى كنت مشغولاً بأمورى الخاصة

جنسه لظلوا فى حمايتهم ولا خافهم شك ولا ريبة . ثم قال لى : ماذا أستطيع أن أعمل ؟ لست والدك ولا عمك لأدخل فى أمر زواجك ، وأفنع أهل زوجتك ، ولست قاضياً ولا مفتياً لأفصل فى موضوعك » .

فأجبت : « نعم . لست واحداً ممن ذكرت غير أنك حائى هنا ونصيرى ، وأنت تمثل ظل الله على الأرض فلا تتدخل عني ولا تسمح باضطهاد يصيب مسكيناً غريباً مثلى »

فقال لى : « هل ترغب فى استرجاع زوجتك على أن تظل عرضة للقتل فى كل لحظة ؟ ماذا يفيدك النعم والثروة والجاه والسطوة إذا وجدوك قتيلاً فى صبيحة اليوم الذى تستردها فيه ؟ كلا ! كلا ! كن عاقلاً وأصنع إلى قولى واستمع لنصيحى . ألقى كل ما عليك من ملابس الأتراك وارجع كما كنت فارسياً . فإذا ما استمعت شكك الأول فكرت فى أمرك ، وفيما يجب أن أعمل من أجلك . لقد أطربتنى قصتك وأعجبني ذكاؤك وفطنتك وصدقتى أن فى الحياة ما يفوق النوم على فراش من ورد ، والتدخين طول اليوم فى قصبة تبغ أوركوب جواد ضخم قالت هنا وإذا اشتقت يوماً إلى الو والضحك أحضرتك لتقص على قصتك ثانياً » .

وعند ذلك تمت فقبلت أطراف ثيابه شاكرًا فضله . وتراجعت غير عالم بما يكون من أمرى فى حالتي هذه .

الفصل الرابع والسبعون

هاجى بابا بموزة السفير

لقد قيل إن الحاجة لجواد يبدو براكمه فيصل إلى ما لا يصل إليه الجواد السابق . وكنت قلقاً

والعزف على آلات الطرب وغير ذلك من الشئون المزرية ، وأن اشترى للحزم المسمى حراث ورياشا وبذائع وطنافس ... لقد أشمنا ذلك لتضائل الجمهور وإخفاف غرضنا الحقيقي ، فلم يرسلني الشاه لأمثال هذه المخافات بل حضرت في غرض أهم وأثرف مما ذكرت . حضرت في مهمة فوق ما تصور ، ولا ينتخب الشاه لثلثها إلا الذي الحصيف ، وقد وقع اختياره على " فارهف سمك لما أقول . منذ بضعة أشهر وصل إلى طهران عاصمة إيران سفير من أوربا قال : إن الذي أوفده هو امبراطور اسمه نابليون بونابرت شاه الفرنسيين . وقال إنه يحمل رسالة وهدايا للشاه وتحدث ذلك السفير كثيرًا عن قوة الامبراطور وأعماله وصفاته ، وأكد رغبة سيده في عقد محالفة مع الشاه . وقال السفير : إن لديه من التعليلات ما يحوله عقد المحالفة ، وظهر في كلامه وحرارته بمظهر عظيم حقًا ، وصرح بأن باقي الأمم الأوروبية أي أم الفرنج ليست إلا مواطلي أقدمه لا تستحق منه أي اعتبار ووعدها السفير بأن يتخلل لنا الروس عما فتحوه في جرجان ، وأن يعيد إلى الشاه قنصليس وغيرها من المدن التي كانت للفرس في الزمن الماضي وقال إنه سيفتح الهند ويطرد منها الانكليز ، وأنه يهيننا كل ما نطلبه وتصبو إليه نفوسنا .

وقد كنا سمعنا من الفرنسيين أنهم يمجيدون غزال الأبقشة وبضع صناعات أخرى غير أننا لم تكن نعلم أن في استطاعتهم تنفيذ ما كان يبدىه ذلك السفير . وسمنا فوق ذلك شيئًا من أخبار هجومهم على مصر إذ ارتفعت على أثر ذلك الهجوم أثمان البن والحناء . وذكر أحد العظماء سفيرًا فرنسيًا من قبل ملك فرنسا لويس ولكن أجدًا منا لم يعلم أن ذلك البونابرت

فلم ألفت كثيرًا إلى ما يختص بهذه الأجناس . فلما انضمت إلى أتباع السفير ، وصرت في معيته سمعت عن أشياء لم تكن تخطر ببال من قبل وسر السفير إذ علم أنني أسس إلى مرضاته ، وانتبه أمره بأن منحني ثقته التامة .

ففي صباح أحد الأيام بعد أن تعلم رسالته الرسمية ، أرسل في طلبي وقال : إنه يريد محادثتي على انفراد في أمر هام . وأمر كل من كان موجودًا بالانصراف وأجلسني . ثم قال لي بصوت منخفض : « يا حاجي بابا . إنني أريد أن أحادثك . فإن القوم الذين تتكون منهم معي لا يفقهون ما أريد . وهم فارسيون أذكاء إلا أنهم لا يدركون من شئون الدولة شيئًا ، ويطولون الأعمال التي حضرت من أجلها أكثر مما يساعدوني على إنجازها . غير أنني والحمد لله قد وجدت فيك الرجل الذي أطلب . فأنت فوق هؤلاء الرجال خبرة ودراية ، وقد رأيت من العالم وحوادثه وتجاريه فوق ما رأوا ، ويمكن الاستفادة بك . إنك تستطيع أن تضحك من الدفوق ، وتستخرج لباب الأمور من غير أن تلمس ظواهرها . وأنا في احتياج إلى رجل مثلك . فإن أخلصت لي وللشاه ملك الملوك كان ذلك سببًا في رفعتنا سويًا ، وفي ارتقائنا وعظمتنا » .

فقلت له : « إنني وما أملك من قوة ونشاط رهن بإشارتك . فما أنا غير عبدك وخادمك ، وليس على سيدي السفير إلا أن يأمر بقطع أمره على الرأس واليمين » .

فقال السفير : « قد يكون وصل إلى سمك مما تتداوله الألسن أن مهمتي التي قد جئت من أجلها هي شراء الرقيق للشاه من نسوة بارعات في الرقص

عرشي ويقبل على أهل الشمال والجنوب وسكان
القرب والشرق ويقدمون إلى الهدايا والنفائس ،
لأصبح لهم بالقلعة تحت قدمي فليقدم منهم من يتقدم
وليفد على منهم من يقد فآله منا »

وعند ما تركت باب الشاه كانت فارس تنظر
قدوم سفير الإنكليزي . والخطابات التي تسلمها الآن
تنبي بأخبار طلبه السماح له بالقبالة والمحاربات الدائرة
بهذا الشأن غير أن الشاه لا يستطيع البت في الأمر
قبل أن تصله أخبارى لأنه حين علم أن في الآستانة
كل الأجناس الأوروبية وأن لكل أمة سفيراً فيها
رأى جلالته بما له من الحكمة وسداد الرأي أن يستشي
إلى هنا لأحصل له على المعلومات التي نحن في حاجة
إليها حتى يزول من فارس كل ريب يتعلق بالفرنسيين
والإنكليز وحتى أعلم إذا تمكنت حقيقة ما قالوه عن
أنفسهم .

وقد رأيت يا حاجي بابا أنني رجل واحد هنا
والعمل الذي كلفت به يحتاج إلى أكثر من خمسين
رجلاً فالفرج أُم مختلفة وأجناس لا عداد لها كما
لاحظت هنا من تباين اللغات واختلاف السحن
واللهجات ، وقد أخبرتك أن رجال حاشيتي لا يعرفهم
ولا منفعة منهم في مثل أبحاثي فوقع اختيارى عليك .
وهذا نذا أنتظر نتاج مجهودك وثمره أبحاثك ويجب
أن تتعرف على بعض هؤلاء الكفار . ولمعرفتك باللغة
التركية تستطيع أن تستعلم منهم عن كثير ممن نود .
وسأقل لك نسخة من تعليمات الشاه في هذا الصدد
ويجب أن تحفي هذه التعليمات في أبرد مكان من عقلك
غير أنك تسير على مقتضاها فاذبح الآن إلى أن
أستحضر لك هذه الأوامر وأجلس في مكان منفرد
وفكر طويلاً فيما يجب أن تتبعه من الطرق وتتخذ
من الوسائل »

قد صار ملكاً على فرنسا . وعلمنا من تجار الأرمن
الذين طافوا بلاد العالم بوجود رجل بهذا الاسم وبأنه
مثير هياج ومسبب شغب وقلق . وقد قبل الشاه
بسبب ماعله من هؤلاء التجار وبسبب ظروف أخرى
أن يسمح للسفير بالتول بين يديه . غير أن أحداً من
الناس لم يستطع أن يعرف إن كانت الرسائل التي
أحضرها ذلك السفير مكتوبة بخط يمكن تفسيره
أولا يمكن وأن ما قاله السفير كان حقاً أو باطلاً ، فأعيا
الأمر وزرنا ما كبيرهم وصغيرهم ولم يستطع الشاه أن
يدرك شيئاً رغم عمله الواسع بكل ما تقع عليه أشعة
الشمس وإذا استثنينا « الخواجة عبيد » الأرمني
الذي كان قد وصل إلى مرسليليا وهي بلدة في فرنسا
وظل فيها سجيناً أربعين يوماً ، وإذا استثنينا كذلك
« ناسيس » القس الفرنجي الذي تلقى العلم مع الدراويش
في جهة من جهات تلك الممالك المجهولة . إذا استثنينا
هذين الرجلين لم نجد ياب الشاه من يستطيع إرشادنا
أو يقي على ظلمات عقولنا شيئاً من النور أو يستطيع
على الأقل أن يخبرنا إذا كان هذا اليوناني وسفيره
معتالين أو صادقين ؟ وهل جاءنا السفير لينهب بلادنا
أو ليرفع من شأننا ؟ ثم لم تفلح حيرتنا فإن الإنكليز
الذين كانوا يتجرون بين الهند وإيران ويقطن بعضهم
في « بوشير » حين علموا بمجيء ذلك السفير أرسلوا
إلينا الرسل والرسائل ويثبوا بعامل منهم يحفنا على
عدم السماح لذلك السفير بالتقرب منا وحاولوا كثيراً
أن يمنعوا تقدمه ونجاحه حتى أدركنا أننا نستطيع
الاستفادة كثيراً من هذا النزاع بين الإنكليز
والفرنسيين

وقد قال الشاه : « وعزتي وتأيي إن العناية
الإلهية هي التي أحدثت ما حدث . إنني أجلس على

كشف مسألة حيرت ألباب الفارسيين وشوشت عقولهم وهي كيف أن انكلترا ولونديرا قد اختلطتا واشتبكنا فهل انكلترا جزء من لوندرا أم لوندرا جزء من انكلترا؟

ثم أمر السفير أن يستعلم فوق ذلك عن حقيقة الإمبراطورية ومن أو ماهي وكيف وجدت العلاقة بينهما وبين انكلترا وهل الإمبراطورية امرأة عجوز كما يتردد على بعض الألسنة أم تتكون من جملة تجار؟ وهل ماروي عن عدم قابليتها للفناء مثل (لأما التبت) خرافة أم حقيقة؟ ثم يستكشف حقيقة بعض أمور غامضة خاصة بالحكومة الإنكليزية ونظمها

ومن مهمة السفير أيضاً معرفة بعض أبناء الدنيا الجديدة. وأخيراً أمر السفير أن يكتب تاريخاً عاماً عن الفرنجستان وعن أحسن الوسائل المؤدية إلى تنفيرهم من شرب الخمر وأكل الخنزير وإلى اعتناق دين الإسلام

وبعد أن قرأت هذه التعليمات وفكرت ملياً رأيت أن خير من يجب عليها هو كاتب في خدمة (الريس افندي) كنت قد تعرفت به إبان الزمن القصير الذي كنت فيه أتيق الظهر

وكنت أعرف القعي الذي اعتاد أن يجلس فيه والساعة التي يذهب فيها وكان من عادته ألا يكثر من الحديث ولا يسترسل في الكلام غير أن رجوت أن تشرح نفسه ويحدثني عما يراه في هذه المسألة إذا ما شرب قهوة ودخن غليوناً كما كان يحدث من إقباله عليّ بالحديث في بعض الأحيان

ولما اقتنمت هذه الفكرة أخبرتها السفير الذي سمرتها واعتبط لي جذاً أنه عزاها إلى نفسه وقال لي: «ألم أخبرك بهذا؟ ألم أقل لك إنك ذكي القلب

وبعد ذلك أمرني بالانصراف فتركته وخرجت وقد فتح أمامي طريق جديد من طرق الحياة

الفصل الخامس والسبعون

مهرد هاجي بابا في الحياة العامة ورفع لمخدره

خرجت بعد أن أعطاني السفير صورة من تعليمات الشاه وعمت مقبرة مجاورة لأتولها على انفراد بهدأة وسكون وقد أقيمت الورقة ملفوفة في طيات عمامتي، ولأن هذا العمل كان أول عمل لي في الحياة العامة فقد ظلت محتوياتها منقوشة في ذهني ثابتة في مخيلتي وكان أول أبحاث السفير متجهاً إلى معرفة حقيقة تلك المملكة التي تسمى الفرنجستان وهل ملكها الذي يلقبونه في فارس بشاه الفرنج موجود حقاً وأين عاصمته إن كانت له عاصمة؟

وكان السفير فوق ذلك يريد أن يستعلم عن عدد قبائل الفرنجستان وهل هم ينقسمون إلى سكان مدن وسكان صحراء كما هي الحال في إيران ومن هم رؤساء قبائلهم وكيف يحكمونهم ثم يستعلم بعد ذلك عن فرنسا وعن اتساع أقاليمها وهل هي قبيلة من قبائل الفرنج أو مملكة مستقلة ومن هو ذلك البونارت الذي يلقب نفسه امبراطور تلك المملكة؟ وأمر السفير أن يوجه كثيراً من التفاهة إلى معرفة حقيقة هؤلاء الإنكليز الذين يعرفونهم في فارس بأفشتهم الرضيعة وساطتهم وخناجرهم، ويبرف من أي طبقة من طبقات الكفر؟ وهل يقيمون طول العام في جزيرة من غير أن يكون لهم مصيف ولا مشى وهل يعيش معظلمهم في المراكب ويقتصرون في قوتهم على الأحماك؟ وإن كان هذا هو أمرهم فكيف استطاعوا الاستيلاء على الهند. ثم يبدل جهده في

عديدة لكل منها اسم خاص وحكم وهذه القبائل رغم ذلك تكون أمة واحدة»

فقال: «لك أن تقول أمة واحدة إذا أردت وقد تكون هذه هي الحقيقة إذ كلهم يحملون ذنوبهم ويرسلون شعورهم ويلبسون القبعات على رؤوسهم، وكلهم يرتدى الملابس الضيقة وبأكل كل لحم الخنزير ويشرب النبيذ ولا يؤمن برسول الله. غير أن من الواضح أن لهم ملوكاً كثيرين. ألا ترى هؤلاء السفراء المديدين الذين يتوافدون على الباب العالي؟ إنهم لا عداد لهم حتى لا يسع المرء أن يحصيه»

فقلت له: «تكلم! تكلم بحق رسول الله! وسأكتب ما تقول. أشهد الله أنك رجل واسع الاطلاع غزير العلم»

فسرح الرجل شعر لحية وأخذ يقتل شاربيه ويستجمع أفكاره ليحصى أمم الفرنجستان، بينما كنت مشتتاً بإخراج الدواة من حزامي والاعتدال أمامه استعداداً للكتابة

وبدأ الرجل حديثه بقوله: «ولكن لماذا تشغل نفسك بهذا الأمر؟ إنهم جميعاً ملاعين من منبت نجس وخرج دفيء، ويوم القيامة سيميلون نارا حامية»

ثم قال وهو يمحى على أصابعه: «أولاً هناك المتساويون جيراننا وهم قوم كثيرون التدخين يرسلون إلينا الأقمشة والصلب والزجاج، ويحكمهم شاه من أعرق عائلات الكفر وأقدمها وله مثل عندنا نطمه ونكسوه. ثم هناك طائفة المسكوب وهم أمة فطرة لعينة مملكتهم كثيرة الاتساع حتى قيل إن لها طرفاً تقطيه الثلوج الدائمة والطرف الآخر نار القبط اللهبية. إنهم أعداء أبناء لنا وقد طلبا حاربناهم

حاضر البديهة. اعترف إذن بأن لي بصيرة نفاذة ونظراً ثاقباً، وأنه يجب أن يكون المرء متوقد الذكاء والفضيلة ليقرأ أقدار الرجال ويميز الكنايات! لولاي لما أتجهمت أنظارنا إلى هذا الكاتب ولما فكرنا فيه. سيخبرنا ذلك الكاتب بكل شيء ويساعدنا على انتشار الإسلام في جميع أنحاء الكون»

ثم أخبرني السفير بأن في إمكان أن أعد ذلك الكاتب بالهدايا إذا وجدت صعوبة في الاستعلام منه وإن استعصى على الكاتب أسر فله أن يستفهم عنهم نفس الرئيس افندي

ودفعت في الوقت المناسب إلى المقهى فوجدت الكاتب هناك ودونوت منه مظهر البشاشة والترحاب والود ثم دعوت الساقى وطلبت أن يحضر لنا فنجانين من القهوة اللذيذة التي يصنعها من البن اليمني. وجلست أمام الكاتب وقد تصادف أنه أخرج ساعته فوجدت الفرصة ملائمة للبدء في مأموريتي. وقلت: «هل هذه الساعة من الفرنجستان؟»

قال: «هذا صحيح فليس في العالم من يستطيع عمل الساعات غير الأوروبيين»

قلت: «عجيباً! يظهر أنهم قوم غير عاديين» فقال: «أجل غير أنهم كفار»

فقلت وقد أخرجت الثغليون من فمي وناوته إياه: «بالله عليك يا صاحبي أن تخبرني بشيء عن هؤلاء الفرنج. هل الفرنج مملكة عظيمة؟ أين يقيم ملكهم؟»

فأجابني: «ماذا تقول يا صديقي؟ أقول مملكة عظيمة؟ نعم ممالك كبيرة لا يحكمها ملك واحد بل ملوك كثيرون»

فقلت: «ولكنني سمعت أن الفرنج قبائل

وهؤلاء يرسلون إلينا سفيراً خاملاً يقوم بشئون تجارتهم وتصرف ساداتهم من حين وزيد وسمك محفوظ . غير أن حكومتهم قضى عليها ظهور بونابرت وبونابرت هذا رجل في مقدمة الرجال حليق بأن نضمه في صف نادر شاه الفارسي وسلطان القانوني التركي دون أن نخجل أو نحط من قدر أنفسنا . وهنا لن نملك أن نطعم الكاتب وقلت حين سمعت اسم بونابرت : « بونابرت » . هذا هو اسم الرجل الذي أريد معرفة شيء عنه فقد سمعت أنه كافر لا نظير له مقدم شجاع ، وأرجو أن أسمع منك شيئاً عنه »

فقال صاحبي : « هل تظنني أستطيع أن أحصى أخباره ؟ لقد كان جندياً بسيطاً من عهد قريب ، وهو اليوم سلطان أمة عظيمة ، وهو الذي وضع لبلاده قانونها ، وحاول جهد استطاعته أن يقضى علينا باستيلائه على مصر فأرسل جيوشاً جراءة لفتحها . غير أنه نسي سيوف المجاهدين وقتل المؤمنين فاضطره المصريون إلى العودة بعد أن خوف بضعة بماليك ، وأرغم الأعراب إلى الابتعاد للصحرى »

فسألت الكاتب : « ألا يوجد بين الكفار قبيلة اسمها الانكليز ؟ لقد قيل إنهم أقل القبائل عدداً وإنهم يقيمون في جزيرة ، ويصنعون الآلات الحادة » .

فقال مجيباً : « أجل ذلك صحيح ، وقد حظي الانكليز منذ قرون بما لم يحظ به غيرهم من أمم الفرنج لدى الباب العالي فنالوا ودم ، وهم قوم بحريون لهم أسطول كبير ، ولا ياتلهم أحد في صناعة الساعات ، ونسيج الأقمشة »

فقلت له : « وماذا تعلم من أسرار حكومتهم ؟

صارحين بأعلى أصواتنا « الله أكبر : في سبيل الله ! » وبحكم الرجال والنساء على حد سواء . ولكنهم ياتلوننا في قتل حكومتهم والثورة على ولادة أمورهم . ثم يجيء بعد هؤلاء من طوائف الكفر طائفة البروسيين وليس غير الله يعلم لماذا يرسلون إلينا سفيراً لا حاجة لنا به ولا منفعة ؟ فإننا أبعد من أن نهم بمثل ذلك الحقيق ؛ غير أن الباب العالي مفتوح على مصراعيه يلججه النجس والحقيق . كما يدخل منه المؤمن الوقور فتشمل الجميع عتايه

ثم ماذا أقول بعد ذلك بحق رسول الله ؟ توجد طائفتان أخريان من طوائف الكفر تسكنان في شمال العالم وتقيان في آخر حدود الأرض ، وهما طائفتا البامركيين والسويديين وهؤلاء قبائل صغيرة رجالها قصار القامة لا يذكرون بين الرجال رغم ما قيل من أن شاه البامركيين من أكثر ملوك الفرنجستان اطمئناناً على ملكه وراحة في عيشه لا يزجه مخرج ولا يخبئه منازع . بينما شاه السويد مشهور بالحقافة والجنون فقد أثار حسرة في أوروبا حرباً شعواء لم ينظر فيها إلى البلاد التي يجارها بل كانت الحرب غايته ومقصده ، وقد أدى به جنونه وساقته حماقته إلى اختراق حدودنا التركية . فأسرناه كما يؤسر الوعل الشارد .

وكانت هذه الحادثة سبباً في معرفتنا تلك الأمة . ولولا ذلك لكتنا ظلتنا إلى ما شاء الله لانعم من أسرار هذه الأمة حتى ولا وجودها .

وسأذكر لك قوماً آخرين يقال لهم أمة الفلنك ، وهم كفار أقبية فقال الظل باردو الطبع ينظر إليهم الفرنج كما تنظر نحن إلى الأوروبيين لا يفكرون إلا في جمع المال ، ولا يطمعون إلا في الثروة والغنى

الإنكليز المجانين ، وعلى أنه أوجدنا في أمة راقية
رزينة ندخن غلاييننا مطمئين آمنين على ضفاف
البوسفور
فقلت : « ما أغرب ما تقص عليّ وما أنجبه !
لو لم أكن قد سمعت منك هذه الأمور لما صدقت
منها حرفاً واحداً ؛ غير أن شيئاً واحداً بقي وهو
مسألة الهند فكيف استطاع الإنكليز أن يحكموها
مع أن حكامهم نساء عجائز »
فأجابني : « لا يدهشني والله أي أمر أسمعه
عن هؤلاء القوم فليس لهم عقول . ولكن لم يصل
إليّ على أن الهند تحت حكمهم . قد يكون ذلك
وقد لا يكون والله وحده يعلم . وكم للمجانين أفعال
شاذة وأمور غريبة »

فقلت بعد برهة ضمت : « والأّن هل قصصت
علىّ كل ما تعلم أم لازال عندك علم بكفار آخرين ؟
قل لي بحق الصداقة إذ من كان يعلم أن في الدنيا
الغريبة التركيب والتكوين أمّا بهذا الشكل ! »
فقال بعد أن فكر قليلاً : « أجل لقد نسيت
أن أذكر أمّتين أو ثلاث أمم ، غير أن ما نسيت
أن أذكره غير جدير بالحديث . هناك غير ما ذكرت
الأسبانيون والبرتغاليون والإيطاليون وهؤلاء أقوام
يتنذون بالخنازير ويمدون الأصنام وليس لهم أية
قيمة حتى بين الفرنج . وقد وصل علمنا إلى أولاهم
بسبب قدوم الفضية المتداولة بيننا ، وبقد من الثانية
بعض اليهود ، وتبنت الثالثة الينا دراويش يدفعون
مبالغ طائلة لبناء الأديرة ودق الأجراس . ويجب
أن أذكر لك شيئاً عن البابا خليفة الفرنج فهو يقيم

ألا تتكون من شيء آخر غير الشاه »
فأجابني : « كيف يمكني أو يمكنك أن نفهم
عقلية هؤلاء القوم المجانين ؟ لست أنكر أن لهم
شاهاً ولو أنه من المضحك أن ندعوه بالشاه
إذ لا ينطبق عليه هذا الاسم فهم يطمونونه ويكسونه
ويسكنونه في القصور الشاهق ويقررون له مراتباً
سنوياً ويحيطونه بكل مظاهر المظلمة وأبهة العرش
بل ويلقبونه أضخم الألقاب وأعظم الأسماء سخرية
منهم لأن الألقاب البسيط من أغواتنا يملك من النفوذ
أكثر مما يملكه هذا الشاه الإنكليزي الذي يبلغ
من ضعفه أنه لا يستطيع حتى جلد أحد وزرائه
مهما كانت جنايته . بينما يستطيع الألقاب عندنا إذا
أراد أن يصلح أذان نصف المدينة ولا يجازي بشيء
التشجيع والمكافأة . ولهم محال مملوءة بالمجانين
الحق يجمعون فيها للجلد السخيف والتطاحن
والترشق بالألقاب إذا قال فريق منهم عن شيء هذا
أبيض اللون قال الآخر لا بل هو أسود ، ويشيرون
نخبة عظيمة من مناقشات وردود وخطابات حول
أية مسألة عادية يكفي أن يقطع فيها بالرأي أي مفت
عندنا فتفرض على قطر بأسره . وجملة القول فإن
أمراً واحداً لا يمكن أن يقرر في تلك المملكة دون
أن يثير الشعب تلك الضجة الحقاء والمناقشات الجوفاء
مهما بلغ من نقاهة هذا الأمر كقطع رأس أغا ناز
أو مثل ذلك من الأمور البسيطة . إن الله جلت
قدرته وعظمته قد أعطى العقل لبعض الأمم وحجبه
عن البعض الآخر ، وليس لنا إلا أن نخضع لما أراد
وعليّنا أن نشكره تعالى على أننا لم نخلق بين هؤلاء

وقد سر السفير من التقرير الذى قدمته إليه مما قصه على الكاتب . وظل السفير بمد ذلك مدة لإقامتى فى الآستانة يرسلنى يومياً فى شئون أخرى واستعلامات شتى إلى أن حسبتنا سوياً أن فى استطاعتنا بما لدينا من المعلومات أن نكتب تاريخ أوروبا الذى كلفه مليكه بكتابه عند عودته . فأخذت أشتغل بمجد فى وضع ذلك التاريخ وبعد أن فرغت من كتابة مسودته عرضتها على السفير لتفقيها وتصحيحها لتوافق أغراض الشاه فنقحها وزاد فيها مآراء لازماً وحذف منها ما يجب حذفه ، وحين انتهى منها سلمت إلى كاتب قلمها بخط جميل فأخرجها مجلداً قىاً مرتباً ترتيباً بديعاً ووضعها فى كيس من الحرير قال السفير إنه حرى بيد الشاه ، واعتقد السفير أنه أتم مأموريته التى جاء من أجلها وأعلن أنه سيأخذنى معه إلى إيران بل زاد على ذلك أننى سأستمر فى خدمة الحكومة بعد رجوعنا إلى طهران ، وقال إن رجالاً له مثل هذه الدراية والخبرة الواسمة بأحوال الفرنجستان سوف ينفعنا نفعاً كبيراً فى معاملة السفراء الموجودين فى إيران »

ولم أكن أتمنى فوق ما عرضته على السفير إذ أن سوء المعاملة التى لقيتها من الترك جعلتني أكره الإقامة بينهم فلم أعد أرى فى مدينتهم ما يجملها فى عيني ، وكنت كلما ذكرت شكرليب على صدرى بالغيظ والحقد الشديدين

وكان قد مضى زمن طويل على حادثتى مع شيخ العلماء فى طهران ، وكنت قد علمت أن الملا نادان قد مرق جسده على آلة التعذيب وأن أرملة شيخ العلماء التى تركتها بين أيدي قطاع الطريق لم ترجع

فى إيطاليا ولا يبق عن السى فى نشر دينه ، غير أننا لانهم به وقد توقعنا إلى هداية كثير من تابعيه وهذا لا يمنع من العذاب الذى يصيبهم على ما قدمت أيديهم قبل اعتناقهم الإسلام ديناً »

فقلت لصاحي : « لم يبق غير سؤال واحد ليس لى بعده سؤال وشكراً لك على ما قدمت ، هل تذكر لى شيئاً عن الدنيا الجديدة فقد سمعت أخباراً متناقضة حيرت عقلى . كيف وصل الناس إليها أمن تحت الأرض أم بأية وسيلة ؟ »

فقال الكاتب : « ليس بيننا وبين من ذكرت علاقات كثيرة ، ولذلك لا أستطيع أن أقص عليك كثيراً من أخبارهم غير أن المرء يستطيع الوصول إلى الدنيا الجديدة على سفينة إذ رأينا هنا كثيراً من سفن الدنيا الجديدة وكلهم نصارى ضالون » ثم تابع حديثه متنهداً : « كلهم نصارى مثل سكان الدنيا القديمة وسيكون مقامهم فى جهنم وبئس المصير . هذه إرادة الله وحكمته »

ورأيت بعد ذلك أن الكاتب بدأ يتذمر ويتضجر فلم أسأله عن شيء آخر ، وكنا قد مضى علينا وقت طويل ونحن نتحدث فلم أطلب قهوة ولم أذخن وافترقنا بعد أن توعدنا على القابلة تانياً

الفصل السادس والسبعون

مواجه بابا يكتب تاريخ أوروبا

ورجع مع السفير إلى ابراهيم

عنت إلى السفير فرحاً طروباً بما مى من الأخبار وبنجاحي فى أول مهمة كلفت بها فى حياتي السياسية

التي لانهاية لها . وكان الذي يسميهم في احترامهم هذا وتعظيمهم لا يخطر بباله أننى نفس الرجل الذى ضحكوا منه وشهروا به منذ أقل من شهرين بل يمتد أننى رجل بلغ من سلطانه وقوته أن حياتهم أو موتهم يتوقفان على إشارة من بناته

غير أننى لما استأذنت من عثمان أغا لم ألاحظ عليه أى تغيير ، ودلى كلامه على أن عاطفته نحو ابن حلاق أصفهان هى حى لم يطرأ عليها أى تبدل وقال بلهجتة العادية حين اقترعنا : « إذهب يا بنى . إننى سأصلى وأبتهل إلى الله أن ينيك ما تصبو إليه نفسك من رفعة ونجاح ، وأن يسدد الله خطواتك أينما ذهبت وفى أية حالة — سجيناً عند التركان ، أو عالماً من العلماء ، أو بائع غلايين ، أو أغا تركيكا أو سفيراً فارسياً — كن ما شئت وسادعو الله لك فى صلاتى »

وترك السفير اسكونارى بعد أن انتهى من حفلات الوداع ، واستأذنت الحكومة فى الرحيل ، وصحبه كثير من الفارسيين فى مسيره وظلوا معه نحو فرسخ ثم استأذنه فى العودة

وكانت رحلتنا هادئة لم يحصل فيها ما يستحق الذكر من يوم أن بدأنا السير إلى يوم دخولنا فارس وسمعتنا فى « أريفان » أخباراً مهمة غير واضحة عما يشغل بال القوم وعما يحدث فى البلاد إلى أن وصلنا إلى تبريز التي يحكمها عباس ميرزا فقلنا أهم المسائل التي تشغل بال القوم وأهمها التشاحن بين السفيرين الفرنسى والإنكليزى وسمح الشاه لأولها بالتول بين يديه وعدم استطاعة الثانى التول أمام جلالاته بعد وسمعتنا أخباراً عدة عما يبذل السفيران من الجهد

قط إلى فارس فاستنتجت من كل ذلك أن فى مقدورى أن أعود إلى الظهور فى فارس دون خوف وقلت فى نفسى : « وإذا عرفت وظهرت حقيقى فمن الذى يجرؤ أن يعسب بأذى وأنا فى حماية رجال الحكومة ذوى النفوذ والجاء ؟ لقد استرد رئيس الجلادين جواده ومناحه عند القبض على اللانادان ، وأغلب الظن أن الشيخ عبد الكريم قدلقى مالمقته سيدته أرملة اللاباشى إذ لم يسمع عنه أى خبر فلست أخشى أن يعود إلى مطالبى بالمائة الطومان ، وأى شئ أخشاه بعد ذلك من العودة إلى طهران ؟ »

لم أر ما يجب على أن أخشاه إذ يكفى أن يعلم القوم أننى فى خدمة الشاه لأسير مطمئناً فى تيه وعجب واختيال فى كل أنحاء البلاد الفارسية مهما يكن من ذنوبى ، وشجعت غريبتى هذه الأفكار فأخذت أجهز نفسى للرحيل مع السفير . غير أننى عقدت النية على أن أزور قبل رحيل الخان الذى فيه أبناء وطنى لأشتمكن من الظهور أمامهم بظهر ذى النفوذ والسلطان بمد مالمقته من الخزى والمار فى حادثى الأخيرة

وقد تمكنت فى إقناعهم بأننى من موظفى السفارة ثم لم أخش بعد ذلك أن يهزأوا بى ويشخروا منى إذ لم يكن يستقر فى عقولهم أننى من أتباع السفير القرين حتى كنت محل عنايتهم واحترامهم ، وكانت الكلمات التي يوجهونها لى لا تقل عن : « إذا تفضلت » أو « إذا قبلت مكارمكم » أو « نرجو من مكارم حضرتكم » ، وغير ذلك من كلمات التبجيل والاحترام التي لا تنقطع وخطابات التعظيم والإجلال

لكم طريقاً في أرضنا أو نمدى أصدقاءنا القدماء :
الانكليز .

وقال سفير الانكليز من جهة أخرى : « ليس
للفرنسيين أى غرض في الجي إلى فارس إلا مضايقتنا
ومنازعتنا فريد ألا تقبلوهم في فارس » .

فقال الشاه : « كيف تريد أن نفعل ما تأباه
قوانين الضيافة ؟ إن أبواب قصرنا مفتوحة لكل
قاصد »

فقال السفير الانكليزي : « ولكن يجب أن
تتخبروا صداقة أحدنا وعداء الآخر ، فلما أن تستمروا
أصدقاء لنا فطردوا السفير الفرنسي وإما أن تقبلوه
فتكونوا أعداءنا »

فأجاب الشاه : « ولم نمدى الناس لنسركم ؟
إننا نريد أن نكون أصدقاء الجميع » .

فقال السفير : « ولكن في استطاعتنا مساعدتكم
على نمو قوتكم وإعطائكم ما يلزمكم من المال »

فأجاب الشاه : « عافاك الله ! هذه مسألة أخرى
فأخبرني ما قدر المال الذى تدفمونه فينتهى كل أمر ؟ »
كانت هذه هي الحال عند وصولنا إلى تبريز . ولما
كان وصول متبوعى السفير إلى طهران منتظراً بفارغ
صبر فلم تترث في سيرنا ولم نلبث كثيراً عند الأمير
عباس بل أسرعنا إلى السير . ووصلنا إلى مقر السلطان
في صباح أحد الأيام فشاهدنا في طريقنا صفّاً طويلاً
من الفرسان معهم أمتعتهم ولا حظنا أنهم ليسوا
فارسيين وقد تبينا عند الاقتراب منهم أنهم من الفرنج
وكان يصحبهم ضابط فارسي من قبل الشاه
أخبرنا أن هؤلاء هم رجال السفارة الفرنسية راجعين
إلى بلادهم بعد أن أرسل إليهم الشاه خطاباً رقيقاً

في الوصول إلى أغراضهما ، وقد وصل التمتع
والاندھاش من الفارسيين مبلغهما عند رؤيتهما
النصارى يتركون بلادهم متحلمين كثيراً من المشقة
والتعب ليتشاحتوا ويتبادلوا أمام شعب كامل يحترمهم
ويعتني لهم الملاك والموت العاجل .

أخذ السفير الفرنسي لكي يحصل على مطالبه
يذكر ملكه وعظمه مملكته وسيادتها في جميع أنحاء
أوروبا وعدد الجيوش الجرارة التي يمكن أن ينزلها
امبراطوره إلى الميدان ، وقد أجاهبه الشاه عن كل
ذلك بما يأتي :

« قد يكون ما قلت صحيحاً ، ولكن مالنا نحن
ولقوتكم وعظمتكم ، وأية علاقة بين فرنسا وبين
إيران ؟ أى غرض لكم تسعون إلى تحقيقه ؟ »

فقال السفير : « غرضنا أن نفتتح الهند ونخرجها
من يد الانكليز ، ونرجو أن نسمحو لنا بطريق
نمر منه في بلادكم » .

فقال الشاه : « وماذا نستفيد نحن ؟ قد تكون
رغبتكم في الهند قوية ، ولكن أى شأن لنا في هذا
ولم نسمح لجيوشكم بالمرور من أرضنا ؟ لا رغبة لنا
في ذلك » .

فأجاب السفير : « صبراً . فسنتفتح لكم جرجان
ونغلحكم قتلوس ، ونحميكم من اعتداء الروس على
أرضكم في المستقبل ! »

فقال الشاه : « هذه مسألة أخرى غين تبرهون
لنا على صدق أقوالكم ، ونرى نتيجة أعمالكم ،
ونسمع أنه لم يبق روسي على جوانب القوزاق تتماقد
معكم ، ولكن قبل ذلك الوقت لانستطيع أن نفتتح

في فهم كلة واحدة مما يرطنون به . وكل ما حسب
نفسى قادر آلى تذكره أو رسمه ثلاثة ألفاظ سمعتم
يكررونها ، ويعيدونها كثيراً في حديثهم . وحى
« سفير » و « باريس » و « الأميراطور » .

وخطر ببالى أن هؤلاء الفرنسيين لن يغيروا
شيئاً من مراحهم أو يحكمهم ومجوعهم يوم تحوهم
أار جهنم في النار الآخرة ، وأن حالم فيها ستكون
مثل حالم التى رأيتهم عليها فى مقر السلطنة . وافترقنا
فى الصباح التالى فصاروا ضاحكين ضاحكين فى طريقهم
وسرنا نفكر خائفين مما عسى أن يستقبلنا به الشاه
ملك الملوك

الفصل السابع والسبعون

وصف الاستقبال باستقبال سفير فرنسا

استقبل رئيسى ميرزا فيروز فى قصر الشاه
بالخفاوة والإكرام ، ومر الشاه من الإجابات الحاضرة
التى كان يتلقاها من سفيره على أسئلته المتعددة
الخاصة بشئون أوربا فأظهر السفير بذلك أنه خليف
بمركزه جدير ببنائة مولاد وأن أحداً غيره لم يكن

ليقوم بما قام به فى المهمة التى انتخب لها
كان لا يتوانى لحظة فى الإجابة على أسئلة الشاه
ولا يتلهم ولا يتلجلج ولم يبد عليه الجمل ولا وقفت
أمامه عثرة ولم ينطق أمام الشاه بكلمة « لا أعرف »
قط فقد كان يعلم أن هذه الكلمة مما لا تحتمل أذان
الملوك

وكان يرسل السكيات فى رصانة وريانة وثبات
ويتم القول قوياً مقمناً حتى لا يمكن أن يحضر

يرجوم فيه مفادرة البلاد . وأخبرنا ذلك الضابط
أن السفير الإنكليزى وأتباعه سيحلون على الفرنسيين
قريباً . وأستنتجنا مما رأينا بجمل سير الأمور فى
حكومة إيران وأن الشاه أيدى الله بنصر من عنده
قد استفاد من النزاع والشحناء بين الفرنسيين
والإنكليز . وقد دهش السفير الذى أحبه من تلك
النتيجة ومن البت فى الأمر بهذه السرعة وعدم
انتظار الشاه له مع ما يحمل من أخبار أوربا ، ولكن
سرعان ما فسر هذا تأثير المال الذى لا تقف أمامه
عقبة مهما عظم شأنها

سحت لنا هذه الفرصة للملاحظة الفرنسيين
الذين سمنا عنهم كثيراً فى الأيام الأخيرة . ولم يدم
السفير الفارسى وسيلة يتعرف بها بالسفير الفرنسى .
وانتظرنا أن نجد الفرنسيين منقبضى الصدور
منحلي المزجة بسبب طردهم من حضرة الشاه ولكن
دهشنا كانت عظيمة حين رأينا الأمر على نقيض
ما ظننا . لم تر إيران قبل هؤلاء القوم قوماً أكثر
عجوباً ولا عبثاً ولا جونا فقد كانوا يرقصون وينفون
ويضحكون طول اليوم ، وكانوا يتحدثون جميعاً
فى وقت واحد بأصوات تختلف فى الملو والارتفاع
من غير فارق فى المراتب إذ يظهر أنهم جميعاً من طبقة
واحدة فى نهاية الانحطاط .

وكانوا يدوسون أبسطتنا بغير احترام مما أثار
عواطفنا وحرك نفوسنا . وإذا كنت أحسب نفسى
ذا خبرة واسمة بأحوال الفرنجة لما قاسيته فى الاستسلام
عنهم فقد حاولت أن أعرف إن كان يوجد تشابه
أو مشابهة بين لفتنا وبين لفتهم ، غير أننى لم أجمع

سبق السفير وحرصى على أن أظهر دونه علماً ومنزلة
فكنت بين عاملين عامل الخوف من الظهور بمظهر
الجاهل ومحاذق أن أظهر بمظهر العالم
وعلى أية حال فقد نظر إلينا الفارسيون أبناء
وطنتنا كما ينظرون إلى أصحاب المعجزات إذ لم يكن
بينهم من يستطيع نقض ما نقول. وذكرنى ذلك بحكمة
رددتها الألسن وهي: «إن أى صوت يظهر كأنه النعمة
اللذيذة في بلاد البكم، ولو كان الصوت صوت حمار»
عبد الطيف النشار (يبيع)

على بال سامعيه خاطرة شك في قوله، وإن من أصنى
إليه وهو يتكلم عن أوربا ليخال أن السفير إنما ولده
ونشأ وترى بينهم
وشاع بين القوم أن السفير استخدمنى في تصيد
أخبار الأوربيين وفي كتابة تاريخ أوربا فقلت شهرة
في معرفة العالم والعلم بأحوال الناس، ولم يكن لى مثل
ما للسفير من قوة الحجج: والمقدرة على الإقناع غير
أنى عرمت على أن أعمل ما في وسعى في الإجابة
على الأسئلة التي تلقى على بسرعة رغم خوفي من

شركة مصر للملاحة البحرية

شركة مساهمة مصرية

مط راب فاضل وسريع بين الاسكندرية - جنوى - مرسيليا وبالعكس

أسعار الصيف ابتداء من ١٥ مايو إلى ٣١ أكتوبر سواء للسفر
من مصر أو من أوربا

(من الاسكندرية إلى جنوى أو مرسيليا أو بالعكس)

الباحرة كوتز

الباحرة النيل

جك

جك

١٦

١٧

—

١٢

١٠

—

—

٩

٥

—

٣

—

درجة أول

درجة ثانية

درجة ثانية : مخفضة (سياحة)

» ثالثة : (خصوصية)

درجة رابعة

كوتز

ويتمتع للذين يستخرجون نفاسا من الذهب والاياب ما خصم ٢٠٪ على قيمة تذكرة الاياب .
والاجور للجنة اعماله بالعملة الانجليزية تحصل بواقع ١/٢ ٩٧ قرشا للجنبة الانجليزية .

٢٢ يونيو

الباحرة كوتز

» ٢٩

» النيل

٦ يوليو

» كوتز

» ١٣

» النيل

» ٢٠

» كوتز

» ٢٧

» النيل

مايو

» ١٨

» ١

» ٨

» ١٥

مواعيد السفر من الاسكندرية :

الباحرة النيل

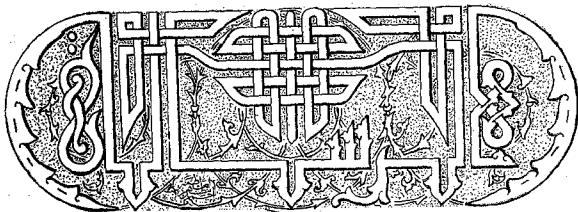
» ٢

» ٣

» كوتز

» النيل

» طبع بمطبعة الرسام بشمارع المبروكى — عابدية »



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْطِبُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ التَّهَضُّفِ الْمِصْرِيِّ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ أَسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصَّدُ ظَوَاهِرَ النُّظُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْلَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْتَرِكِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُّ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الدَّوْلَةِ الْمَلِكِيَّةِ فِي قَاهِرَةِ الْمِصْرِ ، وَالْمَجْمُوعَةُ مَبْدُوءُهَا مِصْرِيَّةٌ ، وَلِلْبَلَدِ الْعَرَبِيِّ بِمَجْمُوعِهَا ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ تمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الهرولة

مجلة أسبوعية للفن والفكر

نصدر مؤنفاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٥ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — ١٥ مايو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٦

من احسن القصص



فهرس العدد



صفحة	
٤٥٠	الذي أحبه أي ... عن الإنجليزية ... بقلم الأستاذ عبد الحيد حدى ...
٤٦٥	سر السونو ... قصصة مصرية ... بقلم الأستاذ دوي خشة ...
٤٧٢	البث ... للكاتب الفرنسي جى دى موياسان ... بقلم الأديب عادل الجمال ...
٤٧٦	الراعبة ... قصة مسرحية في فصل واحد ... بقلم الأناة جيلة الملايلى ...
٤٨٢	عندما افتتح الباب ... للكاتبة الإنجليزية ساره جراندى ... بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ...
٤٨٨	فراق ... للكاتبين ماركس ووال وجورج مونتيك ... بقلم الأستاذ ناصى الخطاوى ...
٤٩٦	حاجى بابا أسفهانى ... للكاتب الإنجليزي « جينز مور » ... بقلم الأستاذ عبد العظيم النشار ...

الحياة ويفهمها علينا ، فإذا
أحس منا أقل رغبة في شيء
من الترف والكاليات أسرع
بتحقيق رغبتنا ، حريصاً على
أن نعيش في مستوى عال من
الحياة

الحب الذي أحببته أمي

قصة استحققت جائزة مائتي جنيه
عن الإنجليزية
بقلم الأستاذ عبد الحليم محمد

ولعل شعورنا نحو هذا

الأب الكريم كان أقرب إلى الاحترام منه إلى المحبة ،
فلقد كنت أنا وأمي في جسم الأسرة كالمضنون
الآكلين وكان أبي هو الرأس المدبر الناجح فيما يعمل .
فلما قتل في حادث تصادم في سكة الحديد — وكان
في الثالثة والأربعين من عمره — شعرنا بالخسارة
التي أصابتنا شعور البحارة بالخسارة التي تصيبهم
بموت ريان السفينة ، وازدادت الرابطة بيني وبينها
توتقاً في سبيل المضي في الحياة بغير قائد

ولم يكن في خيانتنا ما يشغلنا من الناحية المادية
فقد ترك لنا أبي وثيقة تأمين على الحياة بمبلغ كبير ،
فصنيت في حياتي المدرسية على ما كنت في حياته .
وقضت ظروف التعليم بأن نتنقل من البلدة الصغيرة
التي ولدت فيها بمقاطعة وورشرشرير إلى مدينة
كبيرة من مدن ميدلاند حيث التحقت بالجامعة ،
ولما كنا عربيين في تلك المدينة فقد كان السكثريون
من يرونا يحسبون أننا أخوان ، وكان البعض
يبتسمون لنا ابتسامات لا تخلو من معنى التساؤل
عن نوع العلاقة التي بيني وبين السيدة التي
ترافقني على الدوام . . . ولقد كنا نترك هؤلاء
التساؤلين يتيمون طويلاً في خيرتهم قبل أن نطلمع
على الحقيقة

و هل يستطيع أن يفهم يوماً ما كان يشغل
قلب أمه وزوجها ، تلك الأم الجميلة التي لا يمكن
أن يتم منظرها عن غير نساء عفراء لم تدخل
بند دور الأمومة ؟

لا أستطيع أن أذكر الوقت الذي بدأت فيه
العلاقة بيني وبين أمي تتشكل في صورة صداقة
بين رفيقين متقاربين في السن . وحتى في حياة أبي
— وقد كنت في الثانية عشرة عند موته — كان
سلوكي مع أمي سلوك الأخ مع أخته . ولعل السبب
في هذه العلاقة غير العادية بين أم وأبنا أن أمي
تزوجت وهي فتاة صغيرة من رجل يكبرها بأربعة
عشر عاماً ، ولم تكن سنها يوم ولدتني تتجاوز
السابعة عشرة . وحين شبت وبدأت أعرف ما يدور
حولني في العالم الذي خرجت إليه ، أخذت أدرك
أن متاعها ومشاعلي الصبائية من الأمور التي يمكن
التفاهم عليها وحلها مع أمي الشابة الرقيقة الشمور
بأسهل مما يمكن ذلك مع أمي السكهل الذي تلزمه
طبيعة السكولة نوعاً من العيوس الجدي

وما أقصد بذلك إلى أن أقول إن أبي كان رجلاً
عسير الماشرة فالأمر على العكس من ذلك ، فلقد
كان يسندل على الدوام كل ما في جهده ليسهل لنا

نادرة بين الأهميات والأبناء

وكان يحدث أحياناً أن أرافق شياناً من سنى
في بعض الجولات ، وأن تخرج أوى وحدها لبعض
الأغراض الاجتماعية ، ولكن لم يكن أحداً يسأل
الأخر عما عمله أو عن الأشخاص الذين التقى بهم
فلم تكن تمت من حاجة إلى مثل هذا السؤال . فقد
كننا صريحين في أن يفضل كل منا في بعض
الظروف ما يلائم ذوقه من الترتيبات التي تتصل
باجتماعه ببعض الأصدقاء أو المعارف

وإني لأذكر جيد الذكر مناقشة جدية نشأت
بينى وبين أوى على مائدة المشاء على أثر عبارات تفوهت
بها عن مركزنا الاجتماعي إذ قلت :
— أحسبك تعلمين يا أوى أنه يجب أن نعمل
شيئاً في هذا الموضوع . فسألتني :
— أى موضوع تعنى ؟

فاحتجست الكلمات لحظة في حلقى ثم قلت :
— لقد سألت اليوم إحدى الفتيات أن تخرج
مى مساء يوم السبت المقبل ، فرفضت طلبى دون
أن تبدى أول الأمر سبباً لهذا الرفض ، ولكننى
حين ألححت عليها في تعرف السبب أجابتنى صراحة
بأنها لن تشبك نفسها بأى رجل متزوج ! ولقد
اقتضانى الأمر نصف ساعة لإقناعها بأن السيدة
الجميلة التي يراى الناس معها أحياناً ليست امرأتى
فلم تجب أوى بشيء على هذا الكلام ولكن
بذت على وجهها نظرة غريبة
وبعد لحظات قالت أوى ، وقد انتقلنا من غرفة
المائدة إلى غرفة الجلوس :

كانت هذه الغلظة العامة في تقدير العلاقة التي
بينى وبين أوى من أكبر بواعث تسليتها ، فكانت
تشمع دائماً بروح الشباب والمرح ، وكان ذلك مما
يقوى رغبتها في الحرص على جمال شبابها ، أما فيما يتصل
بشخصى ، فقد كان انهماكى في تكوين نفسى
يحملنى على التفكير فيما سأضطلع به في المستقبل
حين أصبح رب أسرة ، وكنت أشعر بشيء من
الكبرياء والفخر حين يراى الناس في صحبة «أختى»
الجميلة ...

وحدث في ذات ليلة عند ما خرجنا آخر الليل
من حفلة ساهرة كنا من حضورها أن دنا أحد
الضيوف من أوى وقال لها إنه قد سمرأن يلتقى بزوجها.
فارتبكت لحظة — عند سماع كلامه — ولكنها
لم تلبث أن أدركت أنه كان يقصدنى بما يقول ، ولم
نلبث أن تبادلنا الالبسام ، وفي أثناء عودتنا إلى البيت
ضحكنا لهذا الحادث من أعماق قلوبنا
وقلت لأوى مازحاً :

— لقد بدأت أشعر بالإهانة في أن يحسبني
الناس زوج سيدة مجبوز مثلك !
فردت على بدورها برد لعل لم أنتين معناه على
حقيقته قالت :

— وما ذلك بشعورى حين أراى مضطرة
لأن أسلك سلوك تلميذة بلهاء ؟
نعم . لقد ازدادنا ارتباطاً وتلازماً على مر السنين.
كنا نحضر الحفلات معاً ، وكنا شريكين بأسباب
اللو والمرح ، وكنا نرحب مشتركين بأصدقائنا ،
وفي الجملة نتم بجميع مباحج الحياة على صورة

— لم يا « تيم » لا تكثر من اصطحاب الفتيات ؟
قلت :

— فضحكت وقلت :

— ولم أكثر من ذلك ولم يبق في الوجود فتيات من ذوات العقول، فكل ما تستطيع الفتيات أن تمعله الآن هو صبغ الوجوه وارتداء الثياب، واحتساء الكوكيتيل بغير حساب، وهذا هو السبب الذي يجعلني على أن أفضل الخروج معك يا أي فلقد جمعت كل شيء : الجمال والذكاء

فقلت أي :

— إني جادة يا « تيم » فيما أقول، فهذا هو

الوقت الذي تبدأ تنظر فيه إلى الأمام، فبعد قليل

ستحصل على إجازاتك العلمية، وستجد لك مركزاً

تشغله، ثم تشمر بمحبتك إلى الاستقرار، والأيام

الطيبة التي قضيتها ولا تزال تقضيها معاً هي من

الأوقات السعيدة حقاً، ولكنني أحسبك تعلم أنها

لن تدمر إلى الأبد، لأننا كلينا يا بني تكبر مع الزمن

وأنا الآن في السادسة والثلاثين

فقلت مازحاً :

— طفل في الناية !

ولكنها قالت ملحمة وقد بدت عليها سمات الجد :

— إن عليك أن ترسم خطتك في حياتك

الشخصية، وأنا أريد منك أن تكثر من الخروج

وأن تقابل أناساً من سنك وأن تتعرف بأهل

عصرك ..

فقلت أناقشها :

— فليكن، ولكن ماذا تفعلين أنت؟ ألم تفكري

قط في أن تحيطي نفسك ببعض الأصدقاء ؟
قلت :

— ولكنك تعرف يا « تيمي » أن لي أصدقاء

وأهمهم كثيرون ... وأنا ...

فقاطعتها بقول :

— أقصد أصدقاء من الرجال ! فإنك ما زلت

صغيرة وفيك من الجاذبية ما يلقى أي رجل على قدميك

ولا يزال أمامك نصف حياتك تتمين به، ويستطيع

بعض الرجال أن يهيئ لك حياة بالغة السعادة حقاً.

إذا أنت سمحت له بذلك

فضحكت أي فضحة غير مترنة وقالت :

— دع عنك هذا البله يا « تيم » إذ أية حاجة

تدعوني لأن أطلب الزواج مرة ثانية ؟

قلت :

— ألا تريدن أن يكون لك بيت خاص ؟

ألا تحبين أن يكون إلى جانبك رجل يحمل التبايع

المالية عن كتفك ؟ وإنك لتعلمين أنني لن أفيدك

أبداً من هذه الناحية، فإنا لا نأبى إلا طفل كبير مدلل

لا فائدة منه ... وأنت المسؤولة عن ذلك !

وطالت المناقشة بيننا عنيفة مشبعة بروح المحبة

ولكننا لم تنته إلى نتيجة، فغثت زحاجة من التوبيخ

المعتق الذي يحتفظ به عادة لبعض الظروف الخاصة،

وشربت نخب الاستقلال الجديد الذي لم يعترف أحد

منا بأننا محتاجان إليه

وبقيت أي لحظة بعد هذا الحديث مشغولة البال

وقد ظهر لي أن المناقشة أثقلتني قليلاً. وبدأ لي أنني

عرفت السبب في ذلك. فلقد قضيت عدة أعوام

وكنّت أسائل نفسي : ترى ما شأن هذا الرجل أو ذاك ، وهل يمكن أن تكون أُمّي قد أحبّت واحداً من هؤلاء الأصدقاء ؟ وهل يمكن أن يصبح هذا الذي أحبّته زوجاً لها صالحاً وأباً لي طيباً ؟ على أُمّي كنّت أشعر بأن في كل منهم نقصاً في نوع ما . ويبدو لي أن رأى أُمّي في هؤلاء الأصدقاء كان متفقاً مع رأى فيهم . فقد كنّت أرى على وجهها بعض الأحيان إشارات واضحة تتم عن نفس منكسرة يعالها اليأس ، كأنما قد روعتها سرعة مرور الزمن وهي وحيدة لا شريك لها في الحياة . وأردت في يوم من الأيام أن أستعيد فترة من فترات مرحاض الماضي قبلها في شوق وقلت :

— لا فائدة يا أُمّي في هذه الحياة الجديدة . فما أستطيع أن آلف هؤلاء الفتيات اللواتي أخرج معهن . فما أجد فيهن من الفطنة والذكاء ما يحبيني في عشرين

فابتسمت ابتسامة السّفهم وقالت :

— أي شيء تشكو الآن يا تيمى ؟

— لقد خرجت مرة أخرى ليلة أس مع جوديت كارتر فقطعتنا مرحلة في السيارة ، ثم وقفنا حيث أكلنا قطعتين من الساندوتش وشرينا فاجاتين من القهوة ، وبعد ذلك استأنفنا السير . فما فعلت في أثناء ذلك غير أن لعبت العواطف بنفسها على حين فجأة ، فبدأت بقولها إنني شاب مدهش ، ثم انتهت بأن خطبتني إلى نفسي بالفعل ، أليس عجيباً أمر هؤلاء الفتيات ؟ !

فضحكّت أُمّي ضحكة بدا فيها أثر التصنع وقالت

متلازمين في معزل عن الناس وكناراضيين بحياتنا . أما الآن وهذا العالم الخارجى حولنا منتظر أن يدعونا لنفسه منفردين وأن يسلكنا في حياة الأمر الواقع فإن الخوف قد بدأ يستولى على أُمّي ، وكذلك شعرت أنا بالقلق من التغير الذي يتعارض مع أسلوب حياتنا ومن ذلك المساء سارت حياتنا على نمطها الأول مع فاروق أُمّي بدأت أزيد من اختلاطى بالفتيات والفتيان من سنى ، وأن أُمّي أخذت تكثر من دعوة الأصدقاء إلى بيتنا بدل أن كانت تكثر من الخروج . كذلك أ كثرّت أنا من الخروج في غير صحبتيها ، ولكنني كنّت في كل مرة أخرج فيها من غيرها أزداد شعوراً بعدم الاستقرار في نفسي . ولم يكن في مقدورى أن أتصور ما هو طارىء على من تفرّج وكنّت أعجز في أمرى في لحظات غريبة فأنا الآن إذ أنظر إلى الماضي أرى أنه لم يكن من الأمور العادية المألوفة . إن الحياة تتحدانى بما في نفسي من رغبة ملحة في العمل ، وبما فيها من مغريات مطالها وقضاياها الكبيرة . فما أنا بعد بالصبي ولكنني قد أصبحت رجلاً وبدأت أدرك إدراكاً تاماً ما على من المسؤوليات

كذلك أصبحت أُمّي تظهر اهتماماً متزايداً برجال مختلفين ممن كانوا يأتون إلى بيتنا ليصبحوها إلى الخارج أو ليقضوا بعض الوقت في التسامر معها ، ولقد أحببت أنا أكثرهم ، وكنّت أتحدث معهم وأساسجلهم فيما يتصل بلعبة الكريكت أو حفلات بطولة الملاكمة المقبلة أو الحوادث الجارية . وكنّت في كل مرة أشعر بوجود أُمّي وبأهمية هذه الزيارات

يضرب إلى السواد ، غصة الحيا لا تكاد العين تقع في وجهها على أثر خط من خطوط الزمن ، ولم أملك أن ساءلت نفسي إن كانت جوديت ستبدو حين تبلع السادسة والثلاثين في مثل جال أمي ونضارتها ؟ ثم دخل في حياتنا عنصر جديد ، ذلك هو ميخائيل رجب

ومن اللحظة الأولى بدت لي عدة أمور : الأول أن ميك — وقد بدأت أدعوه بهذا الاسم الصغير في ناك مرة لزيارته بيتنا — كان رجلاً محبوباً للدرجة غير عادية . والثاني الأسلوب الذي انتهجته أمي في معاملة هذا الرجل الطويل الحلي الهادئ الصوت . فقد ظهر عليها في اللحظة الأولى التي دخل فيها ميك الغرفة ، أنها قد دخلت في حياة جديدة وأن شرارة جديدة قد سرت إلى نفسها

تعرفت أمي بميخائيل في أحد الاجتماعات ، واشتد ميل أحدها إلى الآخر عندما تبين أن بينهما ميلاً متبادلاً إلى الشعر ، وعلى وجه أخص شعر أحد شعرائنا الحديثين . وأحضر ميخائيل في إحدى زيارته كتاباً قدمه هدية لأبي فوطد ذلك دعاء الصداقة بينهما ...

أصبح ميك بعد ذلك زائراً لبيتنا -مواطناً ، وأصبحنا جميعاً نتطلع إلى المشاء معاً ، وإلى تبادل الأحداث وإلى التروض جماعة في سيارته

ومضت فترة من الوقت قبل أن أبيع لنفسى الاعتقاد بأن بين أمي وبين ميك حباً متبادلاً ، وحتى بعد أن اعتقدت وجوة ذلك الحب لم يكن في مقدوري أن أحلل المركز تحليلاً دقيقاً . فقد كانت

— يميل إلى أنك قد أكثرت من الاجتماع بجوديت أم تراني غطتة ؟

— بل أظن الأمر كما ترين . فإني أجتمع بها مرتين في الأسبوع ولكن ليس بيننا شيء جدى — قد يكون ذلك من ناحيتك ؛ ولكن لعل

الأمر في نظرها أكبر مما توهمته أنت يا تيم . فإن المرأة لا تخرج مع الرجل مرتين في الأسبوع فترة من الزمن دون أن تحمل الأمر بينه وبينها على محل الجد ؛ وجوديت فتاة قد عثرت على الرجل الصالح في رأيها ، فأى شيء أقرب إلى الطبيعي من أن تبدأ تحمل باليت ، بالسعادة الداعة ؟

فأجملت عن سماع هذا الكلام ، وشعرت على حين نقاة بالحيرة والقلق يستوليان على نفسي وحاولت أن أمحك من كلام أمي ققلت :

— كلام فارغ يا أمي ! إنك لا تستطيعين أن تتخلصى مني بمثل هذه السهولة ، فأنت وأنا ملتصق أحداً بالآخر ويجب أن نستغل ذلك على خير الوجه وهنا روعت مرة أخرى بما بدا على وجه أمي من أثر الاضطراب النفسى والشعور باليأس والوحدة فهل يمكن أن تكون قد وقفت في لحظة من لحظات الانفعال من أحد الرجال مثل موقف جوديت مني ؟ لقد خطرت لي هذا السؤال فتمنيت أن تكون هي أيضاً قد وقفت على الرجل الصالح في رأيها !

نظرت إلى أمي نظرة الناقد الدقيق فرأيت كما رأيت في ظروف عديدة أنها حقاً جد جذابة . والحق أنها لم تبد يوماً في نظري كاهنة جاوزت الخامسة والعشرين من عمرها . كان شعرها غزيراً لونه نحاسي

— هلم يا ولدى « تيم » ستصبح ولك أب جديد
فذا رأيك في ذلك ؟

ولكن هذا اليوم لم يأت ، وصرت الأيام ثم
لحقت بها الأسابيع وتبعها الأشهر ، وشعرت بأن
في الجو توترا غير طبيعي ، ولم أستطع كشف السر
في ذلك ، واستمر ميك جاعلاً من بيتنا مركزه
الرئيسي ، أما فيا يتصل بجميع المظاهر الخارجية
فقد تقدم حبه أي في طريق جديدة ، وقد بدأ يظهر
في عينه ما يبعث عن التخاذل والتعب ، كذلك بدا لي
أن أي تزوج تحت عبء نفسي ثقيل فقد أصبحت
تستسلم على غير عاداتها للانفعال أحياناً ، وعلى الرغم
من أنها كانت تسرع فتستمر من انفعالها ، فإني
كنت ألحظ أن هناك شيئاً غير طبيعي .

واستقر رأيي في يوم من الأيام على أن أكشف
الحقيقة وقد وجدت أي مشتغلة بكي اللباس فخلست
على مقربة منها وأشعلت سيجارة ثم قلت :

— متى تزوجين من « ميك » يا أي ؟

وقد حاولت أن أبدو في صورة من خطر له هذا
السؤال عرضاً .

ولم تدهش أي لسؤالي ولم ترد علي أن ابستم
وقالت :

— لست أدري يا تيم ، فإن ميك يقول : إنه
لا يرغب من المال ما يكفي لحياة الزوجية . فقد أصابه
سوء الحظ في السنوات الأخيرة وتآبى عليه كرامته
النفسية أن أمده له يد المساعدة !

إذن ، لقد تكلمنا معاً في موضوع الزواج ،
وإذن كنت مصيباً فيا ظننته ، فشعرت في آن واحد

أي حتى ذلك تبدو متعالية فوق شؤون الحب وتنظر
إليها نظرها إلى هزات من أعمال الفتيات الصغيرات
لا من أعمال أمهات لمن أولاد في سن التاسعة عشرة
على أنني احتفظت بأرائي في نفسي واعتزمت
أن أترك الأمور تسير في مجراها الطبيعي ، فهما يكن
من أمر ، وسواء تزوجت أي من ميك أم لم تزوج
منه فليس ذلك من شأني . وصحيح أن هذا الزواج
سيرتك شيئاً من الأثر في حياتي ، ولكن لما لم أكن
أظن في الرجل إلا كل خير فقد شعرت بأنني لن
أثبت أن آلف التغيير الجديد في حياتنا

وعلى كل حال كان من الحسن أن أشهد حياة
جديدة وأن أرى شعاع النبضة يبدو من عيني أي ،
ولقد شكرت للأقدار أن هيأت لها قطرة من السعادة
ورجوت ألا تندم يوماً على اختيارها

ومشت قصة الترام سريعة الخطى ، فكانت نادرة
تلك الليلة التي لا يجتمع فيها أي بميخائيل ، فكانا
دائماً يخرجان معاً في السيارة ويوزران أصدقاءهما معاً
أيضاً ، وكانا أحياناً يختلطان إلى دور التمثيل أو إلى
الحفلات الموسيقية . أما أنا فقد تركت لغزائي التي
لا تمتني إذ بدأت أزداد اهتماماً وتعلقاً بمجوديت كارتر
فقد كانت فتاة ماهرة نضجة ، لم تعبت الخلعة
بأخلاقها ، ووجدت أنني أستطيع قضاء سهرة معها
أن أنعم بخير مما كنت أنصوّر أنني مستطيع أن
أنعم به

وكما صرت الأيام ازدادت تعجيباً لتأخر النتيجة
التي كنت أتوقها ، فقد كنت كلما عدت إلى البيت
ووجدت أي مع صديقها انتظرت أن أسمع منها قولها :

بالسرور والأسف وقلت :

— وعلى فكرة أيمكن أن تقول لي بم يشغل ميك ، فإني لم أعرف قط شيئاً يتصل بعمله في الحياة .
أجابني أي :

— إنه يشغل مركز كاتب في أحد المصانع الكبيرة بالدينة ، فقد أضاع كل ماله وخسر عمله السابق ، فاضطر أن يقبل هذا المركز ليستعين به على الحياة .

ميك — كاتب صغير !

لم يكن الأمر أمراً المركز الذي يشغله الرجل ولكن ما كان يبدو على ميك من مظاهر الثقة الهادئة وحسن الجرونة كان ينم عن كفايته وعن استعداده لأن يكون الأمر المطاع ... ولقد كان يخجل لي أنه على أقل تقدير من السباسة أو اللدبرين اللالين ...

وبدا ميك يكثر من شرب الدخان ولست أدري إذا كان الباعث على ذلك رغبته في أن ينسي ما أخذ يتحجم على مجتمعا الثلاثي من الببوس والوجوم ، أو إن كان هناك باعث آخر لا أعرفه . وكل ما أعرفه أنه أصبح الآن يأتي إلى البيت مسلحاً بقنبنة من الوسكي ، كان يخلط به أنواعاً أخرى من المسكرات كذلك بدأت أي تشرب الخمر من حين إلى حين وقد ألفتني ذلك ، وإذا كنت عصرياً في كل شيء حتى فيما يتصل بالخمر ، فإني لم أكن أعارض في شرب كأس من الكوكيتيل في بعض الظروف ، ولكن أي كانت دائماً محافظة في كل شيء ، تكتفي بتعرف مثل بحرية من الحياة هنا وهناك : أما الآن

فقد بدا لي أن هناك نوعاً من الضجر الغريب يشغل نفسها ، كما لو أن هناك حاجة ملحة تدفعها مرغمة في الطريق التي تسلكها .

ولاحظت في إحدى الليالي — بعد انصراف ميك — أن خطوات أي لم تكن على ما عهدتها من الثبات والازمان ، ولم ألبث أن صمعت إذ تبينت أنها كانت منتشية من الخمر ، فاستولى الغضب فجأة على نفسي . ثم بدأت أقول :

— ألا تظنين يا أي أنك قد اندفعت أخيراً في طريق الحياة اندفاعاً قد يكون شديداً بعض الشيء ؟

— فأزاحني من طريقها وغطت عينيها بكفيها وقالت :

— إذهب إلى فراشك يا نيم وأتركني وحدي ولكنني أصمرت على موقعي وقلت :

— يخيل لي أن ميك الذي يرى أن موقفه المالى السيء لا يسمح له بالزواج ، ينفق في الوقت نفسه مالا كثيراً في ابتلاع الخمر ولأول مرة في حياتي رأيت أي تغضب غضباً حقيقياً ، فاقتربت مني ووقفت إلى جانب كرسى ، وكانت عيناها ترفان غير مستقرتين وقالت :

أريد منك يا نيم ألا تقول مرة أخرى مثل هذا الكلام . فإني أنك وأنا ... على كل حال إن ما نعمله هو من شئوننا الخاصة ، وأريد منك ألا تتدخل في أمراًنا .

كانت هذه هي المرة الأولى بين أي وبينني ، فأخذت كل منا لحظة في وجه الآخر ، ثم تلفتت .

من الأثاث المبعثر، وكانت آلة الراديو تذيع في أعلى درجاتها نغامت موسيقى «جاز» من النوع الواطئ، وكان الجو مشبعاً برائحة الوسكى ودخان السجائر وكان ميك وأى مشغولين أحدهما بالآخر، وكانا يتبادلان الضحكات الفاترة المستهترة فلم يشعرَا بدخول

وشعرت بدافع جنوني يدفعني إلى الوثوب على الرجل والقبض على عنقه، واستولى على الخوف من الانفعالات الشديدة التي بدأت تنقل في صدري وتقدمت إلى آلة الراديو فوقفت حركتها، ومضت لحظة لم يصل فيها أثر السكون الذي طرأ على الغرفة إلى عقليهما اللذين غيبتهما الحمر، ولكن يظهر أهما قد تنها على حين فجأة إلى أن الراديو لا يمكن أن يكون قد سكت من تلقاء نفسه، فالتفتنا وأحدنا في وجهي

وأظن أن أى لم تدرك في الثواني الأولى القليلة لشدة ذهولها، انظر الحقيق لحضوري في ذلك الوقت.. جلست في مكانها وقد التصق شعرها بكل ناحية من وجهها، ونظرت إلى نظرة بلهاء. ولم أستطع أن أنظر إليها فخصرت نظري في ميك، وما رأيت عينيه المغمضتين ووجهه الملتهب حتى انقلب شعور الغضب والغضب الذي استولى على إلى احتقار واشتزاز! أليكون ميك الذي وثقت به واعتقدت فيه أخلاق السادة هو المجرم الذي يرتكب هذا!

على أن مخيلتي لم تلبث أن طمسها ثورة مفاجئة فتقدمت خطوة نحوه، ولكنني مع ذلك لم أمسه (٢)

وأجمعت إلى السلم فصعدتها، وإذا شعرت بشقل في قلبي وجزعت فجأة من شيء لم أستطع أن أتبينه، فقد أويت إلى فراشي وحاولت أن أنام، ولكن النوم لم يعرف طريقه تلك الليلة إلى جنوني

وبعد ليال من هذا الحادث خرجت مع جوديت في سيارتي، وسألها أين تريد أن نذهب، فأجابت بأنها لا تفضل مكاناً على آخر، فقلت وأنا أشعر بشيء من الانقباض:

— لست أشعر برغبة في الذهاب إلى السينما، فهل توافقين على أن نتجول بعض الوقت في السيارة؟

فوافقت الفتاة على رأيي استقر في نفسي أن العمل بهذا الاقتراح هو خير الوسائل لتخلصي من التفكير في أمور معينة، فقلت لجوديت:

أظن أنه يحسن بنا أن نعود إلى البيت لأنى بصديري من الصوف فإن سرعة السيارة تريد شعورنا بشدة البرد

وأدركت السيارة في طريق البيت حتى إذا وصلنا أمام الباب الخارجي وثبت من مقعدي تاركاً جوديت في انتظارى وأخرجت مفتاحي الخاص وفتحت الباب، وتذكرت أن أى وميك لا بد أن يكونا في هذا الوقت لا يزالان في البيت ... فأجمعت إلى غرفة الجلوس ...

وما أحسب أن للنظر الذي وقعت عليه عيناى سيفارق مخيلتي ما حيث، فقد كانت الغرفة مجموعة



بيدى . لقد كنت أكبر منه جسماً وأقوى عضلاً
غير أنى رأيتى غير مستطيع أن أمد إليه يداً بالأذى
فابتعدت عنه كما يبتعد الإنسان عن الأذى
ووجدتني بعد ذلك أتحرك كاللعبة المرة التي
تحرّكها يد اللاعب بخيط متصل بأجزائها ، فإذا يدي
تبحث عن أحد أدراج المكتب ففتحته وأخرجت
منه مسدساً كان لأني ، فحرك مفتاح الأمان ،
وصوبت فوهة المسدس إلى ميك . ، وقلت في نعمة
جامدة :

— ميك ... قف بعيداً فساقتك !

ولكنه جلس في مكانه مترحماً محاولاً أن يلتقي
نظره بنظري ، وقد أخذ خطر المركز يتبين له في ببطء
فرفع يداً مضطربة وقال :

— لا تطلق النار يا نيمى ! وضع جانباً هذا
السدس قبل أن ينطلق !
فقلت :

— إنه سينطلق ، فقف وانتقل إلى هذه
الناحية ولا تحاول أن تبتعد عنها ، فإنك لن تخرج

أبدأ من هذه الغرفة حياً

عندئذ صاحت أمي صيحة وحشية يائسة ردت
إلى رأسي كل ما أطاره المنظر من ضوَاب . ولم تلبث
أن وثبتت من مكانها فوقفت حائلة بيني وبين ميك .
وقد تجسم الرعب في عينيها وأخذ أثر الحمر يتلاشى
مسرعاً ، وقالت :

— نيمى ! نيمى ! لا تطلق النار ! نيمى إنك
لا تدري ما أنت فاعل !

كنت في هذه اللحظة أرتجف من قمة رأسي
إلى إخمص قدمي ، وأحسست بجسمي كله يهزه

وليس لدى ياتيم ما أعترض به مما حدث اليلة ، وإلى متفق معك في أنني أخطأت ، وأفهم جيداً كيف يبدو الأمر في نظرك ، وكل ما أستطيع قوله هو أنني آسف لرؤيتك لنا في هذا الوقت ، ولست ألتبس لنفسى المذنب من استسلامي للضعف ، ولكننى ضعفت أول الأمر في مقاومة الحزن فلما خضعت لها زادنى ضعفاً على ضعف

فقاطعتني في عنف قائلاً :

— أسرع وأوجز يا ميك فلم يبق أمامك في الحياة غير لحظات فتهد الرجل تنهداً طويلاً وقال :

— إن ما قلته ياتيم ، عن أمك منذ لحظة صدق كله ، ولا يزال صدقاً ، ففي كل الوقت الذي عرفتها فيه لم أسمع منها كلمة نابية ولم أشهد منها عملاً حقيراً ، ويجب أن تثق بأن هذا هو شأنها الحق — سواء أصدقت مثل ذلك فيما يتصل بشخصي أم لم تصدق ، ولكن اسمح لي ياتيم أن أسألك سؤالاً واحداً ، فقد حدث أنك شربت شيئاً من الحمر ، وما من شك في أن الحمر قد أثر في رأسك أحياناً ، كذلك لا بد أن تكون قد شربت الحمر مع بعض الفتيات ، فهلا توافقني إذا قلت إنه قد يسهل أحياناً حين ينتشى الإنسان بالشراب ، أن يندفع غير مدرك إلى الشطط في تصرفاته ؟

ما سمعت هذه الكلمات حتى شعرت فجأة بشيء من الضعف والدوار يستولى عليّ ، فأغمضت عيني وأسندت يدي إلى المائدة لأحفظ توازني . ثم فتحت

الغضب الذي ملكني هنأ عتيقاً . وشعرت بثقل شديد في معدتي . وفجأة رأيته مندفعاً للدفاع اليائس لإنهاء هذا الموقف أسرع ما أستطيع وخرجت الكلمات من بين أسناني المتقلصة بطيئة قتالة

أهتمت الرجل — أهتمته بكل ما استطاع عقلي الشاب أن يتصوره ، فابيض وجه الرجل من قسوة التهم وحقاتها ، ولكن لم يبد في عينيه أى أثر للخوف . وكأنه به وهو يبحث عن الكلمات التي قد تميد إلى هذا الموقف الجنوني شيئاً من الهدوء والسكون ، ولكنه لم يهتد إلى هذه الكلمات وسألتني أى في صوت ضعيف متهدج :

— ماذا أنت فاعل ياتيم ؟

فلم أنظر إليها ولكننى أجبت على سؤالها ، وقد جززت على أسناني وصوت مسدس وقلت :

— سأقتل ميك

فقال ميك في صوت هادئ هدوء غريباً :

— لا ، ياتيم ! إنك لن تقتلني قبل أن تصني إلى لحظة

قلت غاضباً :

لن يكون فيما يمكن أن تقول ما ينجيك فاستمر في حديثه كأنه لم يسمعي وقال :

— إلى أحب أمك ياتيم ! أحببتها منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها ، وأعتقد أنها هي أيضاً تحبني ، وقد اعترفت أن أزواج منها ، ولكن الناحية المالية هي التي جعلت هذا الزواج حتى الآن مستحيلاً

- ما هذا يا تيمى ؟ لقد بدأت أظن أنك
إنما تنسج الصديرى نسجاً ، ولكنك مع ذلك
لم تأت به !
ولكنها لم تكذب ترى وجعي حتى قطعت حديثها
ونظرت إلى نظرة استفهام فقلت :

- هل يضايقك يا جوديت أن أوصلك إلى
بيتك مباشرة ؟ لقد حدث شيء لا أستطيع الآن
شرحه .

ولاشك في أنها لاحظت ما أنا فيه من اضطراب
فقد أجابتنى في صوت خافت :
- فليكن ما تريد يا تيمى .

بقيت أسبوعاً كأني في حلم مزعج ، أحاول
ما استطعت أن أصرف عن مخيلتي ذلك المنظر الذى وقع
عليه نظرى في تلك الليلة المشؤمة . ولم أحاول قط
أن أتصل بأى ، واستأجرت غرفة في أحد الفنادق ،
ولم أقرب مرة من البيت

وفي نهاية الأسبوع وجدنى قد أصبحت هيكلاً
محطاً مضطرب الأعصاب ، أقضي الليالى في أرق
فلا تتذوق عيني طعم المنام ، وفي النهار لا تفارقني
صورة ذلك المنظر الشنيع . واجتهدت أن أخطط
بالناس لأنسى ، فكانوا يتلقوننى في بشاشة وترحيب
ويسألوننى عن أى . وأخذت شيئاً فشيئاً أنمود
الحياة الجافة ، وقد خيل إلى أنه من المستحيل أن أجد
في الحياة لذة بعد الآن

واستقر عزمى آخر الأمر على أن أهر البلد ،
وصممت أن أبحث عن عمل وأن يكون عملاً شاقاً

عيني مرة أخرى ونظرت إلى ميك ... ميك الذى
كان واقعاً أمامى مستقيماً أبيض الوجه . ومع ذلك
كان شعور الاحتقار يملأ قلبي ، وما من شك
في أن ميك قد لحظ ذلك في عيني فتمز بعينه وهو
يديمم :

- والآن إذا كنت لا تزال يا تيمى مصعباً على
قتلى فاضبط هذا الزناد واقض أمرك !

لحدقت في الرجل ، وشعرت فجأة بأن جميع
أعصاب التوتر ترتجى في كل ناحية من نواحي جسمي
وبعد أن كان كل همى أن أقتل أصبح كل ما أطلبه
الآن أن أهرب . أردت أن أندفع خارجاً من الغرفة
فلا يقع نظرى بعد ذلك عليها ، ولا على الشخصين
الذين فيها . أردت أن أستبدل رائحة الوسكى ،
والدخان المطبق في جوار الغرفة بنسيم الليل الرطب النقي
في الخلاء .

فالتفت إلى أى وقلت :

- ليكن ما تريدن ، ولتندفعا في طريقكما
على ما تشتهيان وسواء أتزوجكما أم لم تتزوجا فإن
الأمر عندي سواء . ولكن لا تتظن أن تربننى
مرة أخرى ما حيت ! لا تحاول أن تبخى عني ،
فإنى لم أر بي من حاجة لأن أنظر إلى أى منكبا
بعد الآن !

ثم التفت وخرجت من الغرفة فشعرت بنسيم
الليل كنفحة من نفحات المطر الزكى ، وقصدت
إلى السيارة فتلقتنى جوديت بضحكة قصيرة مرححة
وقالت :

أن أفكر إلا في أننا قد اجتمعنا معاً مرة أخرى ،
وفى أنني لسبب سخي ف قد أعددت حقيبة ملائ
بأمتي كما لو كنت ذاهباً إلى سباحة طويلة ،
أو ما يشبه ذلك :
وقلت مدمداً :

— لقد ... لقد كنت أعزم الذهاب

فذهبت وتلقت بي وقالت :

— لا تذهب يا تيم ! فسيكون كل شيء على
ما يحب . لقد انتهت من ميك وهجرة . وقد قلت له
إنني إذا خيرت بينه وبينك فإني أخذك . وهذا أناذي
لم أراه من ذلك اليوم

وحاولت أن أستعين بجميع الأسباب التي
تمكنني من التمسك بعزى الأول ، ولكن كل
ما استطعت أن أحس به هو الشفقة على هذه المرأة
التي هي أمي . لقد كانت تمغيب عذاباً شديداً وهي
تنوّل إلى الشخص الوحيد الباقي لها في الحياة ليفر
لها ويساعدها . فكان كل ما قلته :

— لا بأس ، سنسي ، سنسي كل شيء ،
ولن نذكر اسمه بعد ذلك أبداً !

وخيل إلى أن الأمر سيصبح بعد ذلك سهلاً .
ظننت أننا باتفاقنا على أن نخرج ميك من محيط
حياتنا مستطيماً أن نستأنف سعادتنا الماضية .

ولكن لم يكن ذلك إلا وهماً لم يتحقق
فلم أستطع أن أنسى . فقد كنت إذا جلستنا
إلى المائدة أو تمددنا في غرفة الجلوس أخلس النظر
إلى أمي من حين إلى حين فأراها محدة في تقابل

لا تخلص من الحال التمسة التي أخذت تكثفني
واتصلت تليفونيا بالبيت معتماً أن أغير صوتي
إذا تصادف أن ردت عليّ أمي ، ولكن مضت فترة
لم أتلق جواباً على الدق المتواصل فعملت أن ليس من
أحد في البيت ، فأسرعت إلى سيارتي ومضيت بها
إلى هناك ، منتهزاً فرصة غياب أمي لأنني لم أكن
أريد أن ألقى بها ، وقد اعترمت أن أفقد تهديدي
بقطع كل علاقة بيني وبينها

وجدت البيت على الحالة نفسها التي تركته عليها
فشعرت لحظة الحنين إلى الدار ، فلقد كانت هذه
داري ، وهذا هو مربى الذي ألقته ، فالذي أصاب
السعادة التي نعمنا بها حيناً ؟

تسللت إلى غرفتي وبدأت أحزم حقائبي ،
حتى إذا انتهيت من عملي وأصبحت على استعداد
للمغادرة البيت ففتح الباب ودخلت أمي تحمل على
ساعدها كثيراً من أنواع البقالة . فلم تكدر ترائي
حتى وقفت فجأة وحقق أحداً في الآخر . ولم تلبث
أن طرحت أحمالها وقذفت بنفسها عليّ وهي تفر
زفيراً هستيرياً وتصيح :

— تيمي ! تيمي ! أين كنت ، لقد بحثت عنك
في كل مكان . آه يا تيم لقد خيل إلى أن نهاية العالم
قد حلت بنا

لم أدر ما أقول ، ولكنني أحسست أن عزيمتي
أخذت تتلاشي . فمن العجيب أنني شعرت بشيء
من السعادة إذ وجدتني مرة أخرى على مقربة من
والدتي ، وأحس ساعديها يطوقان عنق . ولم أستطع

بيدها ، وحاولت أن يكون صوتي رقيقاً نداعباً وأنا أقول :

— يا أمي ! إن بنيك الصغير يئس سيضرب الصخر برأسه إذا لم تعودى إلى مداعبته
فقلت :

— حسن يا يئس ، وسأجهد ، سأجهد ..
ثم اختنق صوتها . فظفرت إليها متألماً وقلت :
— ما هذا يا أمي ؟
فقلت :

— لا شيء يا يئس ، كل ما هناك أنني كنت تيمسة شقية ، وإلى لسرورة أن أراك في البيت
بت تلك الليلة يقظان أفكر وقد غمر اليأس
نفسى إذ قويت أنه على الرغم من المظاهر التي تبدو
على حياتنا فإن شيئاً غريباً قد أصابنا ولن نكون
أبدًا كما كنا من قبل أمًا وولداً . فهناك دائماً
ذلك الرمز ، ذلك الشيء الذي لم نستطع أن ننساه ،
هذا الشيء سيظل علينا دائماً هازناً بنا يشعرنا
بالتعاسة والشقاء

وفي يوم من أيام الأحاد بقيت وحدي في البيت
واسقتلت أمي السيارة لزيارة بعض صديقاتها وقالت :
إنها لن تعود إلا متأخرة

فلما وجدت نفسي وحيداً خطرت لي أن أجدول
في غرف البيت لغير غاية معينة ، ثم شرعت أقرأ
الصحيفة اليومية فلم أترك فيها سطرًا لم أقرأه .
ولما انتهيت منها اضطجعت ودخت عدة سجاثر
مجهدة أن أجد طريقاً للخلاص من الموقف الذي
بنتا فيه

نظرتى بابتسامة حزينة أقابلها بابتسامة متكلفة ،
ولكن كان كل منا يعرف ما يفكر فيه الآخر ،
لقد كانت ذكرى مزرعجة تلك التي تلازمنا في كل
مكان : أم مدنسة في نظري أنها ! أوجد شيء يستطيع
أن يطمس معالم هذه المأساة !؟

لقد أجهدت رأسي في البحث عن الوسائل التي
أستطيع بها أن ألين ذلك التوتر الذي أصاب حياتنا
فابتعت لها كثيرًا من الهدايا ولكن الهدايا
لم تكن غطاء للفران الذي لم أستطع أن أسبله عليها
وحاولت أن أدخل في حديثنا الملح والنكات على
ما تعودنا قبل أن تافرتنا السعادة ، ولكنها كلها
كانت تبدو مبتذلة جوفاء . وأخذت أعصابنا ترداد
كل يوم تضعفنا ، وعلى الرغم من أننا كنا نحاول
أن نكون لهجانتا هادئة لا يتخللها شيء من الغضب
والانفعال فقد كنا نشعر أن لا بد من نهاية لهذه الحال
غير الطبيعية .

عدت ليلة إلى البيت فوجدت أمي تنظر من
النافذة جامدة ، وكانت الغرفة مظلمة . فلما أدت
مفتاح الكهرباء رأيت عينيها محورتين كما لو كانت
تبكي ...

وأحسست طوفاناً من الندم يعمري وتمثل أمام
عيني رمل الأسف والحسرة يحول بين أمي وبينى ،
وكان يسخر منا في موقفنا المأزج ، وليس في يدنا
ما نستطيع أن نمعله للتخلص من برائنه .

كان يبدو على أمي الانكسار والضعف والشعور
بالعزلة المؤلمة فلم أتحالك أن ركمت إلى جانبها وأمسكت

كذلك أنه أهدى أُمى هذا الكتاب .

وعلى حين فجأة خطر لى الحل الذى أبحث عنه ، فكان كالشعاع الذى ينبثق فجأة فى زاوية مظلمة ، إن الحياة بين أُمى وبينى لن تعود سيرتها الأولى حتى نعالج السبب الذى أدى إلى ما نحن فيه ، ولم تكن حتى الآن قد عملنا شيئاً غير محاولة النسيان . فكان مجهودنا فى استرداد سعادتنا الضائعة مجهوداً رجعياً والحياة لا يمكن أن تعود إلى الوراء . لقد حاولنا أن ننسل إلى السكن الذى كنا نعيش فيه قبل أن تحل بنا المأساة ، ولكن منذ ذلك اليوم وقع من الأحداث ما يترك فى نفوسنا أثراً دائماً يحول دون ما نبتغيه ما لم نحول هذه الأحداث إلى الطريق التى تلائمتنا . وهناك أمر واحد ما فيه من شك ذلك أن

أُمى قد أحبت ميك وهى لا تزال تحبه !

شعرت فجأة بالحرارة والافتتاح بملآن نفسى فوثبت مندفعاً إلى آلة التليفون ، وأدريت رقفاً فوصل إلى أذننى صوت ألفته من قبل حتى شعرت كأن شرارة كهربائية سرت فى كل جسمى وقلت :

— ميك ... ! ميك ... ! مرحى ... ! هذا تيم الذى يخاطبك ... ليسألك إذا كان لديك ما يحول دون مجيئك إلينا هذا المساء ؟ أرجو أن تحضر فالأمر جد هام ... فانا ... أنا أريد أن أعتذر من عدة أمور ... أود أن أصالحك ... وأسألك إذا كنت ترغب فى مساعدتى فى رد السعادة إلى أُمى ؟ ماذا تقول ؟ ستحضر ؟ أشكر لك يا ميك ! بقيت فى البيت وكأن فى حلقى سداً يكاد يخنقنى

ولم أملك نفسى من التفكير فيما رأيت من إهمال أُمى فى ارتداء ملابسها وهى تستعد للخروج ، ولا فى المظهر الحزين الذى بدا عليها وهى تحتاز عتبة الباب

ولم يلبث نظرى القلق أن وقع على كتاب فوق المائدة ، وكنت قد رأيته عدة مرات من قبل ولكنى لم أفتحه قط ، أما فى هذه الليلة ففتحته ، ونظرت متكاسلاً إلى غلافه ، لقد كان ديواناً من دواوين الشعر ، وهو الديوان الذى أهداه ميك إلى أُمى ، منذ زمن طويل ، وقرأت فى الورقة البيضاء التى تلى الغلاف هذه الكلمات : « تحيات إلى صديق جديد من ميخائيل دوج » ورجع تاريخ هذه الكتابة إلى عشرة أشهر مضت

حدثت فى الاسم مندهشاً كيف لم يعد يؤثر فى نفسى ، ترى هل ضعفت ذاكرتى ؟ كم ترانى دخلت فى دور الجلود وعدم الاكتراث ؟

قلبت صفحات الديوان فوقع نظرى على كثير من الأبيات التى رسمت تحتها خطوط بالخطب الأحر ، وكان جلياً أن ميك هو الذى رسم هذه الخطوط وقد قرأت فوق أحد الأشعار هذه الكلمات : « لعل هذا يفسر لك بأسهل مما أستطيع ما حاولت أن أشرحه لك فى الليلة الماضية

وقرأت الشعر فتأثرت بما فى فكرته من جمال ورقة أدركت إذئذ أن ميك قد أحب هذا الشعر وقد أوصى أُمى بقرائه ، لقد كنت نسيت أن مثل هذه الأفكار قد خطرت يوماً برأس ميك ونسيت

والوحدة وأشباه الذكريات السوداء التي كانت
تملأ حياتنا ...

لما وقفت بعد شهر من هذا اليوم ، أنا وجوديت
في بهو الكنيسة الصغيرة المزينة بالأزهار وشهدنا
التسليس يعقد زواج أمي وميك ، ساءت نفسي
مندهشاً كيف يستطيع ابن أن يرير إتهامه أمه ،
لأى سبب من الأسباب ، إذا هولم يكن أهلاً حتى
لأن يفهم الأمور التي يمكن أن تحتفظ بها أمه سرّاً
في قلبها ؟

أما وجوديت فقد أبدت إعجابها بحفلة الزواج
وجملها ، ومن رأيها أنه يكون جيلاً أن تتزوج في
الكنيسة نفسها ... في الخريف المقبل
هبر الحيدر مرعي

إلى أن جاء ميك . فتلفت يده ، ودفعته إلى أحد
الكراسي ، وساد السكون بيننا فترة طويلة كنت
في أثنائها أطل من الشباك محاولاً تملك نفسي ،
ولم ألبث أن سمعت صوت الرقيق المتعب من ورأى
يقول : « هنا ظلتناهم ياتيم بأنني كنت هنا طوال
هذا اليوم . فقيم كنت أنت شاغلاً نفسك كل هذه
الساعات ؟ »

وهكذا نجح ميك حيث فشلت أنا ، في وضع
الأمر على أساس متين .

ترى هل بي من حاجة لأن أصف مظاهر
الدهشة والسرور التي ملأت وجه أمي عند ما دخلت
البيت فرأيتني ألعب الورق مع ميك ؟ أبي من حاجة
لأن أصف كيف تلاشت هباء جميع التلاعب

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
المصر لموسيه ، والأديسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعه
ومثولة .

التمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

نواع مجموعات الرسالة مجلدة باللاتمانه الابنية

ح

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

شرب السِّنْفِ

اقصوَصُهُ مِصْرِيَّةٌ
يَقُلمُ الأَسْتاذُ د. بِنِي خَشَبَةَ

يكون ملك الموت الكريم
ما يزال يرف على القصر وينظر
في حزن إلى الزهر الأسوان
والشجر الكاسف أو أن يكون
قد قبض الروح هناك، وشهد
ذاك الندى هنا، فيحمل إلى الله
التي رسالة البشرية الطالمة مع
رسالة الموت الحق في آن،
والله بكل شيء عليم...

لقد علقت الملكة أخت الملك وهويته كما هويت
زوجة العزيز نبي الله في مصر، وكما هويت أختايا
بليروفون في اليونان

لعلك لا تعرفين هذه الأسطورة! إنها بعينها
قصة يوسف، تلك القصة الرائعة التي تمثل على

مسرح الزمان في كل زمان ومكان

علقت الملكة أخت الملك الذي شغفها جبا، وقد
تردد أخو الملك أول الأحرار، وجعل يصارع جبروت
الحب، لكن الملكة كانت جميلة وساحرة، وكان
لها جسم ممشوق يثير النداء القديم في القلوب المحيطة
به... لقد كانت تمس كالطغي، وترو بينين مثل
عينيه، تمهد لها ابتسامات النعم الجميل الدقيق المشعل
كل سبيل إلى كل قلب... لذلك لم يستطع أخو
الملك أن يقاوم طويلاً... فاستسلم، وجرفه تيار
الحب، ووقامت الملائق الأثيمة بينه وبين الملكة

ولما كانت الملكة هي التي تطارد عاشقها بحبها
فلم تكن تخشى شيئاً في سبيل لقاءه والانفراد به...
لقد كانت تنسرق في ظلام الليل من خدغ الزوج
الوفى المريض لتتقلب في أحضان خليلها المسكين،
حتى إذا بلت أوام قلبها الشرير عادت دون أن تستشعر
(٢)

كانت تنسقي إلى حديثه في انتباه شديد ودهول،
وكانت الحرة الفاتنة التي طالما تأججت بالنزول الملتهب
في خديها قد استتحات إلى شحوب وصفرة، وكانت
غيتهاها التجلاوون قد أخذتا ترتعشان، وقد بدا فيهما
أثر البكاء الصامت

وكان نعمان يروي لزوجته الجميلة الهيفاء أسطورة
ساذجة مما يطالعها الناس عفواً في بطون الكتب
ولم يكن يدور بخلده أن حديثه يتدفق في قلب فتاته
فينير فيه الهم ويمكر عليه الصفو، ويتزعها من
أحلام الحاضر الجليل فيقذف بها في عالم الذكريات
— فلما مات الملك صفا الجو لأخيه الذي غامت
الشياطين في فؤاده، ووقعت الأبالية في رأسه،
فلم يطق على لقاء الملكة الفاجرة صبراً، بل انطلق
في جنح الليل البهيم للقاءها... وكأنما كانت وإياه
على موعد، فقد تركت جثة الزوج الراحل الوفي
مسيجة على سريرها، وذهبت دون أن تدرف عليها
دمعة لتبادل البشريات والهاثي هي وعشيقتها الآثم
وهناك... تحت الموحة الخزينة الباكية التي
شهدت غرام الملك، وسمعت عين الملكة، أهوى
الباشق الجديد على النعم القادر يقبله، غير مبالي أن

يقولون إن سرباً من الكراكى وعصافير السنو
كان آيياً من رحلته الطويلة إلى الشمال فشهد الغلام
مستلقياً عند جذع الشجرة ، فذهب رائد الطير
ليتحسس الخبر ، ثم عاد إلى السرب ، فأهـى إلا لحظة
حتى أقبل الطير كله يحمل الزهر الجميل فجعل يلقيه
فوق الطفل ، ثم أخذ الطير يف فوق الغابة ويعود
بازهر ليصنع منه مهاداً وثيراً لولى العهد ...
وانطلقت العصافير والكراكى ... وأصبح الصباح
وأرسلت الشمس أشعتها كحلل الأفنان فسقط
منها شمع فوق الطفل الذى لم يستيقظ بعد ...

وأقبل كركى جميل فجعل ينـى ويهتف بالطفل ،
لكن الطفل ظل نائماً ولم يستيقظ ... وأقبل كركى
آخر وأخذ ينشد ويفرد ، ويقف على الجبين الباهت
الناصل الشاحب ... لكن الجبين الباهت الناضل
الشاحب ظل ساكناً ولم يتحرك

وهنا وصل المسس الكثير ، ووقف الحراس
مسيوبين مشدوهين ... وتقدم رئيسهم فأنهى فوق
الجنة الهامدة لعلها ، وجعل يطرها بدمه الكريم
الحزين ...

وحزنت الملكة أياًما ثم قامت إلى هواها
فأخذت فية من جديد كأنه لم يحدث هذا الحادث
المؤلم لولى العهد .

— انتظري فسأروى لك حديث الطفلة ... فهم
يذكرون أنها ظلت أياًما تنـى ، وتسال أين ذهب
أخوها ، وكانوا يقولون لها إنه ذهب ليحضرها بأفات
الورد من الغابة ، وإنه لا يلبث أن يعود ... فلما مضى
العام أو تصرم معظمه ولم يمد ولى العهد ، أخذت
وحشة الفتاة اليتيمة تتضاعف ، وبدأت تحس مرارة
الميتش بعد أبيها الملك وأخيها ولى العهد ... وبدأت

وخزة من ضميرها الميت ، فتجد زوجها ينـى ويشكو
من علته ، ولو درى لبكى وشكا من زوجته
ولم تمض أيام حتى كان الماشق وصياً على العرش
وقائعاً مقام الطفل الصغير ولى العهد ، وراعياً للطفلة
البائسة التى فقدت أباهما أشد ما تكون فى حاجة إليه
ومضى عام أو نحوه ، ثم قيل إن ولى العهد
مريض ، وإن علته قاسية قاتلة ، وإنه فى حاجة إلى
الشمس المنعكسة من الثلج فوق قمم الجبال
ترين ، هل كان مريضاً حقاً ؟ أم أراد الوصى

على عرشه حاجة فى نفسه فهو يخفيها لحينها ؟ !
ودهبوا بالطفل البرى إلى قمة جبل منيف شاهق
فى مملكة مجاورة ، وخصصت له طائفة من الخدم
من بطالة الوصى

ولم تمض أشهر حتى جاء نى ولى العهد ، ولكن
ليس كما يحبب نى أحد من الناس . لقد قصوا فى ذلك
قصة عجبية لو صدقت لكأنت أسطورة فى أسطورة
ذكروا أن العلة اشتدت بالغلام الذى كان يضيـق
بالدواء وبالخدم ، فتفنل حراسه وانسرق فى غابة
قريبة ، فلم يزل يتغلغل بين الأشجار حتى أمن الأنظار
ثم انتحر ...

— أجل ، سأقص عليك كيف فعل ، فأنهم
يروون فى ذلك قصة هى إلى الخيال أقرب منها إلى
الحقيقة ...

يقولون إنه ما زال منطلقاً فى الغابة لا يدري
أين يستقر ولا ماذا عساه يفعل ، وكان الطقس بارداً
والريح زهريراً ، فلما غربت الشمس أو كادت ،
تطرح الغلام عند جذع شجرة هائلة ، ثم أخذت
فغنيه سنة من النوم فاستغرق فى سبات عميق
— انتظري ، فسأروى لك كل شيء ... ثم

الذكريات والموتى ترقص في هواء الحديقة الخائقة الكريه ... وأخذت قبلات الغرام الأثيم ترقص مع الذكريات سافرة منهكة مطلة على الملكة من حديق النوار ومقل البنفسج وأعين النرجس ، وآفاق البنسيه . وكانت هذه القبل تسقط كالسهم في حشاشة الملكة لأنها كانت تنشر رائحة الماضي كأنها تنشر رائحة صارخة من قبر قديم ... ومضت سنوات فلائل ... ولم يعرف أحد أين ذهبت الأميرة الصغيرة التي لم تكن قد بلغت السابعة من عمرها بعد

ووقت الجفوة بين الوصي الذي أصبح ملكاً وبين الملكة التي لم تصبح شيئاً ... ولم يكن الملك يجمل ما يقوم بنفس صاحبه من غيظ وحقد فكان يحومها بالجواسيس ويرصد لها العيون كل مرصد ، وكانت هي تحس بهم يحقدون بها ويعرفون كل حركة من حركاتها ، ولم تكن تجمل أنهم يفعلون ذلك بأمر الملك ، ويتقنون إليه خبر كل نفس من أنفاسها ، وعدد الخطوات التي تخطوها في كل حجرة وفي كل مكان

عرفت ذلك الملكة لحفظته وأضرته وظاهرت بالسكون ، وآثرت العزلة ، ثم راحت تدبر خطتها للقضاء على غريمها

وقد عاونتها في ذلك خادمة عجوز من خدمها اللواتي أقصين عنها بأمر الملك ، فما زالت تتملق بعض عيونها عليها وترشوه وتمنعه بالأعطيات والهدايا واللى ، حتى أصبح أطوع لها من بناتها ، فلما وثقت به أسرت إليه بما تحاوله من إنقاذ للملكة من عسف الملك ، فارتدت فرائضه أول الأمر ، ثم لأن قليلاً قليلاً ، ثم وعددها أنه سيعمل بما ترسم له حتى تنجو الملكة ...

الدنيا تنقلب في عينيها وفي قلبها ظلاماً حالكاً برغم مباحج الملك المحيطة بها ، وبرغم الموسيقى التي تبنى كل صباح ، وكل مساء في حدائق القصر ، وبرغم الأنوار الخاططة المتأففة التي تحارب ظلمات الليل ، فتطغى عليها الظلمات ، وتنتشر على لآلئها ظلال الحداد والحزن ... لأن ظلمات الليل وجدها تعرف كل شيء ولأنها شهدت كل شيء

— ثم أصبح الصباح يوماً وجاءت وصيفة الفتاة إلى الملكة وهي تصرخ وتندب وتتشق جيهاً ، لأن الفتاة فرت ، ولأنهم بحثوا عنها في كل مكان فلم يبقوها على أثر !!

هل ذهبت تسأل الناس عن الغاية لتلقى أخاها ؟ إن الغاية في أرض مملكة أخرى غير هذه المملكة فيا ترى أين تذهب الفتاة ، ومن يدها على مكان أخيا ، وهل يذكرها أحد أنه جثة هامة ، أوفات سحق في قبر ضيق مظلم ... ؟

والجديد اليوم أن الملكة أخذت تستيقظ من أحلام هواها ، لقد كان حزنها الجديد أمض على نفسها من كل حزن ، لأنه حزن متجنح متمكن ، ولأنه حزن صادم ما تنفتح في نفس الوصي على العرش من آماني ومآرب .. لقد شعرت الملكة أنه يريد أن يتخلص من كل الأشخاص الذين يضايقونه ليخلص له الملك ، وليصبح الأمر الناهي ، وليكون السيد المطلق ... ولقد شعرت أيضاً أن دورها قد جاء مثل دور زوجها الملك ، ودور ابنها ولي العهد ودور ابنتها البريقة الضعيفة التي أبت لأهلها لم تستطع ذلك البعد القاهر المرير عن أخيا

جلست الملكة وحيدة فريدة تحت الدوحة المهدودة تفكر ثم تفكر ... وأخذت أطياف

وقد أفلح تدير المجوز ، وكان الرأي على أن تفاجئ الملك عسبة من الرجال الأقوياء ممن لم يقرأوا تصرفاته في الوصاية ، ومن شوار أئمة الجريمة تنتشر في كل تصرفاته منذ وفاة الملك ، فقدسوا الخناصر على القصاص منه لسيدهم وولى عهدهم ، وإن كانوا يعلمون أن للملكة في كل ما تم يدأ بجرمة تستحق القطع مثل يد عدوم وأشد تنكيلاً ...

وفي هداة ساكنة من ليالى أغسطس ، كانت أشياح ملثمة تنهذى كالظلال في حديقة القصر ، وتقفر من شباك هناك إلى حجرة الملكة

وقبل أن يتنفس الفجر صمعت هذه الأشياح كلها ، لأنها سمعت صوتاً مدوياً في ردهة العرش الجاورة لخنوع الملك ينذرهم فيقول : « مكانكم أيها الأشقياء وإلا قتلتم جميعاً ... ليترك كل منكم سلاحه على الأرض وليتقدم نحو السور ، ثم ليقف هناك حتى يؤذن له ... »

وألقى المتآمرون أسلحتهم ، ثم نظروا فرأوا أشباحاً ملثمة أخرى تصوب نحوهم سهاماً لوطارت عن قسيبها لنفدت في مسدورهم فقضت عليهم قضاء مبرماً

وأشرقت الشمس واستيقظت المدينة ، وما دعى الناس إلا أن يروا شوارعهم تنج بجنود كثيرين يهتفون باسم ولى عهدهم الذى زعموا أنه انتحر بالورد منذ عشر سنوات ... أو الذى زعموا أن عصفير السنونو قد قضت عليه بالورد حين قصدت أن تمهد له منه فراشاً

وظل الجنود يهتفون للملكهم الشرعى ويطوفون في المدينة برأس الطاغية ، وعرف الملك الفتى ما كان ينتويه الرجال المثلثون فغفا عنهم ...

أما أمه ... نعم ... أمه ... يا لهول اللقاء ! لقد وضع فوق وجهها لثاماً حتى لا يراها وهو يكلمها ...

— أجل ، هي لتلك البهيمة التى حسنت لك قتل أبى ، ثم ائتارك بى لألحق بوالدى حتى يخلو لك الجو أنت وخليك

— لعف عنى يا بنى واصفح ما دام الله القادر قد حرسك ، وإنى لأقسم لك إن صدقت لى قسماً أننى كنت أريد به ما صنعته أنت أمس !

— ولم لا تريدن له ذلك وفي طبيعتك الشر ... إن مثلك لا يفكر إلا في الجريمة لأنه فطر عليها

— يا بنى إنه الشيطان قد أضلنى فلا تقتلنى بكلامك ألف مرة قبل أن تقتلنى بسيفك مرة واحدة ! — الشيطان ! ولكن يا بنات حواء ! دائماً

تهيمن الشيطان بما ليس يحسن شيئاً منه كما تحسنه إطمئنى ، فلن أقتلك ... لقد خسرت قيمتك لأنك شهدت عقبي تدير

— حقاً يا بنى ! وإنى على كل ما كان لأسفة ! — أحب أن أسألك قبل أن نفترق إلى الأبد لماذا عاشرت أبى وأنت لا تحبينه ؟

— ترفق بى يا ولى !

— لا بد أن تحبى ؟

— أقسم لك إذن أننى لم أحبه ، و . .

— إذن لماذا تزوجته ؟

— لأنه ملك وللناج بريق يجلب أبواب العذارى

— أى أنك آثرت بريق الملك على عنى القلب

— هذا هو ! ولأن كان لى عقل ناضج فافلت ذلك !

— وماذا كنت تحسبن نحوى باعتبارى ابنتك

الوحيد البكر !؟

— ألا أراها؟

— لن ترها على أنك أمها ، فقد أخبرتها منذ
عاش سنوات أنك ميت ، ففرحت ، ولم تدرب
عليك دمة كما تفعل البنات الصغيرات إذا
توفيت أمهاتهن .. وتقي أنها إذا علمت أنك ما تزالين
حية فإنها تنقلب إلى طبيعتك الإجرامية تقتلك ..
أنا بالطبع لم أذكر لها شيئاً عن جرائك لأن مثل
هذا لا ينبغي أن يقال للصغار
— إذن مُر أن أراها مرة واحدة قبل أن
أموت ...

— سترينها ، وإن كنت أكره لها ذلك ،
لأن نظراتك تدنس كل إنسان تلمحه
— ما أقساك !

— جاء اليوم الذى تدفين فيه كلمة قاسية أشد
من قتل زوج وإلزامك روح ابن ، وهدم سعادة
أسرة وتقويض مملكة ... يسمى ... احذرى أن
تذكرى لها شيئاً ، فإنك إن فعلت فإنها سوف
تسفهك ولن تصدق من دعواك شيئاً ...
ثم لقيت الفتاة أمها دون أن تدري من هى ،
وإن تكن قد عجبت للدموع التى كانت تنهمر من
عينها ... وعاشت الأم بعد ذلك فى شبه ذئب تصلى
لله وتستغفره ، ثم ماتت ... ومن يدري ، عسى
أن يغفر لها الله ...

— انتظرى فسأروى لك كيف فر ابن الملك ،
وكيف كانت أسطورة عصافير السنونو والورد كذباً
مفتراً ، وكيف نشأ الفتى فى بلاط أحد الملوك من
أصدقاء أبيه ...

ولكن عزيزة لم تشأ أن تصنى إلى الحديث

— ألا تترقبى يا بنى ؟

— قالت لك لا بد من أن تجيبى قبل أن نفرق
إلى الأبد ، وأحب أن تصدق
— كنت أحس نحوك بكل محبة وعطف إلا
إذا ذكرت أنك

— فإذا كنت تحسبن إذن ؟

— كنت أمقتك ، لأنك عمرة زواجنا الذى
لم يبق على دعائهم من الحب
— وأختى ؟
— أختك ؟

— أجل ... أختى التى فرت من عسفكم
— إني أجند زيجها فى كلامك ... أصدقى
يا بنى كما صدقتك ، هل تعرف أين هى أختك ؟
— وماذا يهلك منها ؟

— يهمنى منها أننى كنت أحبا حياً لم أشعر
به لا نحوك ولا نحو أبيك ... لقد قتلتى بعدها عى
إن الواقعة التى تمت بينى وبين عمك كان سببها بعد
ابنى ... لقد كرهته وكرهت الدنيا كلها حين قيل
لـ إنها فرت !

— عجيب أن توجد هذه القطرة من الخير
فى نفسك !

— ألا تقول لى إن كانت ما تزال على قيد الحياة؟

— إذن فاطمنى ...

— إذن هى عائشة

— إنها عائشة

— وهل هى قريبة من هنا ؟

— بل هى هنا ... فى هذا القصر !

— بنى ! ...

— ماذا؟ ..

- أكثر مما فعلت ... لقد كان القلق يادياً عليها ،
وكان الوجوم يشتد بها ثم يشتد كلما أوغل نمان
في قصته المؤسسية المشجية
- ما هذا ؟ ماذا تقولين ؟ أنت مريضة ؟
— لست مريضة قط !
— إذن ماذا حدث ؟
— أفضل ألا تعرف
— بل يجب أن أعرف !
— إذن ... وما دمت مُصيراً ، فاعلم أنني
خدعتك !
— خدعتني ؟ وكيف ؟
— خدعتك يوم بكيت لك ليلة زفافنا لتغفر لي
زلاتي ... ألم أقل لك إن شاباً أغواني ؟
— بلى ، ولقد غفرت لك ونسينا كل شيء ...
— إذن فاعلم أن أحداً من الناس لم يغفروني ،
بل إلى كنت متروجة زوجاً لم أحبه ، فلما عاشرتُه
ضقت به ثم هربت ، وقد لقيتني أنت فمطفت على
عطفاً جعلني أحبك بل أعبدك حتى نسيت السنوات
الثلاث التي عشتها مع الرجل الأول
— وما في ذاك ؟؟
— ألا تدري ؟
— لست أرى في كل ذلك شيئاً !
— كلامك غريب يا نمان
— ليس غريباً كما تظنين !
— عجيب !
— أي عجيب ؟
— كيف أكون لك زوجة وأنا زوجة رجل
آخر ؟
- لقد نهضت وقد راح السمع ينهمر من عينيها
المحزوتين ، ثم ذهبت إلى مخدعها ، فهب نمان
في إثرها وقد ظن أنه سبب لها الألم بروايته تلك
المأساة ... هب ليلاطفها ويرفها عنها ، ويذهب عن
قوادح الحزن ... لكنها أغلقت الباب وراءها ، ثم
قالت له حينها هتف بها : « انتظر قليلاً أرجوك ... »
وهتف بها ثانية فلم ترد عليه ، فجلس على كوسى ذى
مستدين ، وراح يفكر فيما آلت إليه الحال من أمر
تلك القصة ...
- وبعد قليل انفتح باب المخدع ، ثم برزت منه
عزيزة في ثوب ضافٍ أسود ، وليس في وجهها أثر
من دمام (تواليات) وفي يدها حقيبة صغيرة متفتحة
قليلاً ، ثم قالت :
- نمان ... الوداع يا عزيزي !
— الوداع ؟! عزيزة ! ماذا تقولين ؟
— أقول لك الوداع ... إلى ذاهبة !
— رباه ماذا حصل ؟!
— لا شيء ...
— أصدقيني يا عزيزة ... أأنت زوجتي ؟
— بلى ... أنا زوجتك ، ولكنى أرجوك
أن ترسلني ...
— رباه ... أكاد أجن ... أريد أن أعرف
ماذا حدث !
— لم يحدث شيء ... الأفضل لنا ممّا أنت

— مشكلة !
— ألا ترسلني يا نعمان ؟
— لا قيمة لكلمة الطلاق لأن زواجنا باطل !
— إذن وداعاً ... وداعاً أيها الرجل الذي
حافى ومد ظله عليّ ... وداعاً برغمي يا أعز الناس
عليّ ... ماذا أعمل ... لقد ذكرت نجيباً وصفيّة
فدارت الأرض بي ، وضاعت عليّ بما رحبت ...

هذه هي القصة التي رواها لنا نعمان أفندي
عبد الجليل عند ما قابلناه مرة يتردد على مستشفى
المجاهدين حيث كان يزور زوجته عزيزة ، وقد ذكر لنا
أنها جنت لأن زوجها طردها لأن ابنها نجيباً ، وصفيّة
كانا قد اختارها الله ، ولأنه كان قد طلقها منذ
زمان بعيد .

دريّ فزينة

آلام فتر

للساخر الفيلسوف مورت الوطاني

مترجمة بلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونحنها ١٥ قرشا

— وما العمل إذن ؟
— سأذهب إلى زوجي الأول
— وأنت لا تحبينه ؟
— أجل !
— وكيف يكون هذا ؟
— لأنني لا أريد أن تكون آخرتي مثل آخرتي
الملكة بطة قصتك ؟ !
— ماذا تعنين ؟
— أعني أن لي طفلين مثل الطفلين في قصتك !!
— تعنين أنك تفضلين أن تعودى إليهما !
— أجل ... هو ذاك !
— وعبد الحميد !
— أوه ! عبد الحميد ! مسكين !
— هذه مشكلة يا نعمان !
— مشكلة وأي مشكلة !
— لكنه ما يزال صغيراً ، وسينسى !
— أتعينيه بغير أم ؟
— هذا من غير شك عزيز عليّ ، لكنها
مصيبة ذات شطرين ، ولا بد ...
— لا بد ماذا ؟
— لا بد أن تقسما معاً .
— وهل تضمنين أن يقبلك رجلك الأول ؟
— من غير شك سوف يقبلي ، لأنه كان
يعبدي ...
— وإذا لم يقبلك فما العمل ؟
— سأرى أولاً ...
— وكيف أقدمت على الزواج مني وأنت متزوجة ؟
— هذه زلة ، وإن تكن كبيرة ، لكنك
ستغفريها لي

البعث

للكاتب الفرنسي جى دى فوباسان
بقلم الأديب عادل الجسّال

في عينيهِ حين ارتشف كأسه
الأولى ... فما كاد يأتي على
الثانية حتى كان يلهمها بعينيهِ
في نشوة وشراعة .. واستقرت
محتويات القدر الثالث في جوفه
فتم قائلًا دون أن يتم جلته :
« لو كان في إمكانك فقط
أيها الآتية ديزيرية ... »

ومع فراغ القدر الرابع كان باتان ممسكاً بشوب
الفتاة وهو يحاول تقبيلها
وتعددت الكؤوس ... واكتملت عشاء ...
وحينئذ أرسل أوبان المعجوز ابنته إلى الخارج وراح
هو بنفسه يشرف على خدمة البقية الباقية من زائنته
الساهرين . كان أوبان رجلاً حاذقاً لا يخفى عليه
خافية ... فكان يترك ابنته تنقل برشاقها بين الموائد
لإغراء الزبائن حتى يستريدوا من حمرة تاركا لها
مطلق الحرية في توزيع ألبساماتها الرائعة وإرسال
سهام عينيها إلى أفئدة المحمورين وهو واثق منها كل
الثقة دون أى محاولة من جانبه لاكتشاف سر ذلك
البرق الذي كان يشع من عينيها .. الزين النامض
الذي كان يتمسك في أغوارها كلما حاول امتحان
عواطفها لئلا يزل رجل من زبائن الحانة

وأصبح ووجه ديزيرية مألوفاً لدى باتان من طول
تردده على حانة أوبان ... فكان يراها ماثلة أمامه وهو
في مركب صيده تأسراً شباكاً في اللياء المسادة
أو الصاخبة على حد سواء ... أو كان يتخيلها تومي
إليه في حلقة الليل الساجي . أو تحت ضوء القمر
الفضي الساهر ... فكان يطيل التفكير فيها ...
وكم كان يهتأ بذلك التفكير وهو في جلسته عند

- ١ -

لم يكن هناك في قرية « فيكاسب » من يجمل
تاريخ الأم « باتان » المحافل بألوان الشتاء ...
كما لم يكن يختلف اثنان في الحكم على قسوة معاملة
زوجها لها طيلة حياتها
اتخذها باتان زوجة له منذ عدة سنوات حين
كانت في نضارة الصبا وقد جباها القدر بقسط وافر
من الجمال والجاذبية ... في حين كان هو بحاراً
ماهرًا عملاً اعتاد الذهاب إلى حانة المعجوز « أوبان »
لتناول أربع أو خمس كؤوس من الكحول
ولم يكن ذلك هو الحد الأعلى للمزاج فراح معدته ...
بل كثيراً ما ارتفع ذلك الرقم إلى ثمانى أو عشر
كؤوس ... ربما زادت على ذلك قليلاً إذا ما كانت
صفقة صيده رابحة . وكانت ابنة أوبان هي التي
تشرّف بنفسها على خدمة رواد الحانة الذين أسرتهم
عيناها الحالكتا السواد، وامتلكت أفئدتهم بقوامها
الرائع المشوق

وبوم جاء باتان إلى تلك الحانة للمرة الأولى ...
اكتفى بإطالة النظر إلى الفتاة في شوق وحنين
وهو يشير إليها من طرف خفى . وازدادت فتنتها

بحرف . بل راح يكيل لها ألفاظ السباب الحادة ...
فقابلها الفتاة بأحد منها ، إذ كانت طبيعة والدها
الهمجية متأصلة فيها . وكان ذلك مما يزيد في غضب
زوجها وإيلامه . ولكن تلك الآلام لم تبلغ الذروة
إلا في تلك الليلة التي اعتدى عليها فيها بالضرب
وخلال السنوات العشر التي تعاقبت بعدئذ .
لم يكن هناك من حديث يدور بين أهل البيت إلا عن
تلك المعاملة القاسية التي كان يقيمها يانان مع زوجته ،
لا شيء إلا لأنه كان موهوباً بالسليقة بلهجة في
سبابه لم يكن هناك في فيكاسب من يضارعه فيها
وعاشت المرأة المسكين في جوم من الخوف والرعب
عشر سنوات كاملة اعتادت أثناءها الوحيدة والسكون ،
عشر سنوات كاملة كان فيها الكفاية لتجمل منها
هيكلاً هزيلاً يشبه هيكلاً سمكة صغيرة جافة .

— ٢ —

استيقظت المرأة فجأة ذات ليلة على صوت أنين
الرياح وهمهمة رياح البحر ... فجلست على فراشها
وراحت أفكارها تتجمع في نقطة واحدة حتى تركزت
في ذكرى زوجها الغائب في مركبه وسط ذلك البحر
الثائر ، وسكن الصوت ... فاستلقت على فراشها
ولكنها لم تكد تنمض عينها حتى هبت فزعة
وقد روعها صوت العاصفة ، وقفزت من الفراش
ثم هزولت نحو البيت التي كانت قد امتلأت
بمجموع النساء وقد حلن في أيديهن المصاييح يزن
بها الطريق للرجال الذين هرعوا بدورهم إلى هناك
لمحاولة نجدة من يحتاج إليهم من الصائدين ... وظلوا
محدثين في المياه السوداء الممتدة أمامهم في جلال
وروعة وقد بدت أشباح مرآكب السيد الصغيرة
وهي ترتفع وتنخفض فوق الأمواج الصاخبة ،

(٤)

مؤخرة المركب ، ويده مستقرة على سكانه ... بينما
ارتكزت رؤوس بحارته الأربعة على أيديهم ، وقد
راحوا تحت تأثير نومة استسلام هادئ لنيد بعد
إجهادهم اليومي المرهق ... وفي كل تلك الحالات
التي كان يتخيلها فيها ... كان يراها تنبسم إليه وهي
ترفع يدها لتلمس كأسه بالرحيق اللون هامسة وهي
تنأهب للاعتماد عنه :

— أليس ذلك هو كل ما تطلب ؟

وأحس أخيراً أنها أصبحت تشغل حيز تفكيره
كله ... فلم يستطع كبت تلك الرغبة التي كانت تلح
عليه في أن يتخذها حليّة له . وطلب يدها من أيها
وأجيب يانان إلى مطلبه : فقد كان يمتلك مركباً
وشباكاً ، علاوة على منزل بالقرب من الميناء ...
في حين كان أوبان المجوز لا يمتلك شيئاً ... وتمت
معدات الزفاف دون تأخير .

واقضت ثلاثة أيام استيقظ بعدها يانان من الحلم
الذي كان يعيش فيه ، وهو يجب كيف أنه اعتقد
يوماً أن تلك البتاة ديزيره مختلف في شيء عن غيرها
من النساء . وابتدأ ينعت نفسه بالجنون ، ويعيب
عليها ضعفها وخضوعها لذلك القيد الذي قيدت نفسها
به ... القيد الأبدى الذي استسلم إليه تحت تأثير
الحلم ... نعم ! لقد كانت الحُر هي السبب في ذلك
الزواج ... الحُر التي كان يعتقد اعتقاداً جازماً أن
الفتاة قد مزجتها ببعض المفاير السحرية للايقاع به
ولم يكف يانان عن سب نفسه طوال ذلك
الوقت ... وما كاد يصل إلى ذلك الحد من التفكير
حتى أتى فضلات التبغ التبقية في غليونه ، وراح
ينقل أسماك الواحدة إثر الأخرى ، وهو ينغمض غاضباً
وعندما وصل إلى منزله وجد زوجته — ابنة
أوبان المجوز — قابعة هناك كمادتها . فلم يحبها

وأخيراً .. انتقلت ملكية البنايا وقفصه ليزريه
بعد أن رفعت ثمنه لأربعة فرنكات وخمسين سنتياً
وتعمت المرأة قائلة بغضب لها رأت نقطة
من الدماء تلوث يدها حين لامست رقبته وهي تضع
له شيئاً من الطعام في حجرتها

— يا الله ... لم أكن أعلم أنه جريح
وتوجهت إلى فراشها بعد أن وضعت للطائر
شيئاً من الطعام وإناء صغيراً مملوئاً بالماء
ولم تكن أنوار الفجر الوردية قد بدت بعد، حين
تعالى إلى أذني مدام باتان صوت واضح جلي يقول:
— ألم تستيقظي بعد أيها المتكورة؟

لقد رجع زوجها أخيراً ... فذلك الصوت
صوته وتلك عادته في مناداتها إذا ما استيقظ في
الصباح. وأحست برعشة تسرى في عروها فدفنت
وجهها تحت الوسادة بينما راح جسدها يرتجف
ارتجافاً واضحاً وهي تتمتع قائلة لنفسها:

— يا إله السموات ... لقد رجع ثانية
وها هو ذا ... يا الله

وصرت تضع دقائق دون أن يملك غضفوا السكون
الشامل صوت .. فأخرجت رأسها من تحت الوسادة،
كانت متأكدة من وجوده بالقرب منها رقبها وهو على
أتم استعداد للانهيال عليها بالضرب كما كان في الماضي
البعيد ... ولكنها لم تر شيئاً غير أشعة الشمس التي
أبدأت تحترق زجاج النافذة، فعمست قائلة لنفسها:

— لا بد أن يكون مخفياً في مكان ما
وطلت تنتظر ... وطال انتظارها فنادوها
بعض هدوئها وغتمت:

— إنني لم أراه ... إذا ... لا بد أنني كنت
أهم في وادي الأحلام
وأغمضت عينها مرة أخرى في اللحظة التي
ارتفع فيها صوت باتان كالزعد قائلاً:

ودامت المصاصة خمس عشرة ساعة
وكان من نتيجة ثورة الطبيعة أن أحد عشر
صائداً قدر عليهم ألا يعودوا إلى منازلهم قط ...
وكان باتان من بينهم

ودفعت الأمواج بحطام سفينة باتان « أميلي
الصفراء » إلى أحضان شاطئ « سان فاليري » .
ولكنها لم تظهر أي أثر لجسد باتان

كان من الممكن أن يكون قد أصبح طعاماً
للأسماك ... كما كان من الممكن أن يكون قد انتشل
من المياه وأبحر مع متفديه إلى حيث بقصدون

وعودت المرأة نفسها الحياة كأرملة ... ولكنها
إلى جانب ذلك لم تكن تتمتع عن استقبال سائل
أو مسافر أو بحار داخل خدعها

واقضت أربعة أعوام على اختفاء رجلها
ومالت الشمس إلى الغيب ... وهبت نسائم
باردة تنذر بإقتراب الليل ... وفزعت الطياري إلى
أوكارها ... في حين كانت المرأة تسير في شارع

« اليهود » وقد لفت نظرها منزل قبطان عجوز ...
كان يقف يبابه « دلال » يتنادى على أثاث المنزل
لبيمه ... وفي تلك الآونة كان الرجل ممسكاً بقفص
قد استقر فيه يبناء وهو يهتف:

— ثلاثة فرنكات ... طائر يتكلم كرجل
القانون ... فقط ثلاثة فرنكات

وتعمت ليزريه لصديق كان يتأبط ذراعها:
— يجب عليك شراءه فسيكون لك ندم السعير.
إنني واثقة من أن ذلك الطائر يساوي ثلاثين فرنكا
تتقى من أنك تستطيع بيعه ثانية بشئرين أو
خمس وعشرين فرنكا

وارتفع صوت الدلال مرة أخرى قائلاً:
هيا ... أربعة فرنكات أيها السادة ... أربعة
فرنكات ... إنه يستطيع الترتيل، فياله من عجبوبة نادرة.

كان البقاء في قمصه يتابع كانه ، وهو يمدق فيها بيمينين كجمرتين .

ونظرت إليه والدهشة تنمرها ثم تمتعت :
— إذا ... إنه أنت . وتكلم البقاء ثانية وهو يحرك رأسه :

انتظري ... انتظري قليلاً ... فسألتك عليك درساً لتكوني أشد كسلاً منك الآن .

أي أحاسيس شعرت بها المرأة في تلك اللحظة ؟ لقد شعرت تماماً أن الزجل الميت قد بث مرة أخرى ... بث حياً في هيئة ذلك البقاء .

إذا ... سيمود مرة أخرى لإهانتها ... كما كان في الماضي ... وسوف لا يمر يوم بهدوء ... وجيرانها ... سيمودون حثاً للزه بها والسخرية منها وأسرت المرأة نحو القفص ففتحت . وأخرجت الطائر الذي راح يدافع عن نفسه بمخالبه فيدي يديها ... ولكنها لم تمأ به ... وتهالكت فوقه على أرض القرفة ... وراحت بكل قواها تضغط على رقبته حتى سكنت حركته .

لم يمد يتحرك ، لم يمد يتكلم . ولكنه كان مستكيناً استكانة الأبد بين ذراعها . وجمعت الريشات الخضراء المتناثرة هنا وهناك بيد من بحفة ووضعها مع الجسد المسجي على الأرض في لفافة صغيرة ... ثم هرولت إلى الخارج عارية القدمين ... وقذفت بالحزمة الحاوية لا ... للشئ الميت في مياه البحر الهادئة ... فبدت كحزمة من البرسيم الأخضر طافية فوق المياه الزرقاء .

وعادت إلى حجرتها فركمت على ركبتيها أمام قفص الطائر الميت ... وراحت تبكي .

كانت تشمر أنها ارتكبت إثمًا ... إنما هاتكاً كأكبر الجنايات وحشية ... فابتدأت تدعو الله أن يغفر لها .
عادل الحلال

ألا زلت نائمة أيها الملوثة ؟

وقفزت من فراشها وقد اتسبها فزع المرأة الطميلة التي ظلت أربعة أعوام كاسلة وهي تروح تحت عبء الذكرى الأثيمة ... ذكرى المذاب الذي كان يسببه لها صوت ذلك الرجل الكريه ... وهتفت :
— ها أنا ذى يا باتان ... ماذا تريد ؟

ولم يكن هناك من جواب وتلفتت حولها في دهشة ... ثم أخذت تبحث في كل مكان ... ولكنها لم تجد أحداً ... وتهالكت على مقعد بالقرب منها وهي تحس بروح باتان ترفوف فوق رأسها ... وأخيراً تذكرت الحجر الصغيرة الإضافية الواقعة فوق حجرة الطعام .. لا بد وأن يكون مختبئاً هناك في انتظار مفاجئتها ... ثم ... ثم العودة إلى نفس الحياة القاسية التي كانت تحياها من قبل ... ونظرت إلى سقف القرفة وهي تقول متسائلة :
— هل أنت فوق يا باتان ؟

ولم يكن هناك من جواب وتسللت إلى الخارج فأحضرت سلماً تسلقت به ونظرت في الحجرة الصغيرة لترى ... لتراه ... ولكنها لم تثر عليه ... جلست على الأرض وابتدأت تبكي وهي ترمد . ومن أسفل جاءها صوت باتان يقول :
— أي جو وأى رياح .. إني لم أتناول وجبة الصباح بعد
وصرخت المرأة من أعلى قائلة :

— إني هنا يا باتان .. ها أنا ذى في طريقي إليك لإعداد طعامك فلا تنضب .. ها أنا ذى آتية . وهبطت السلم بسرعة فاقمة . ولكنها لم تجد أحداً بانتظارها وأحست بضغمت يميني تنمرها من رأسها لأخمعي قدميها . وفكرت في أن تمرغ إلى الخارج مستغيثة حين ارتفع صوت باتان قائلاً :
— إني لم أتناول طعامي بعد أيها الـ ...

إيزيس (منهدة وقد خانتها
مدامها) — ما زلت أجهل
يا أختاه الفارق بين اليقظة
والحلم ، نحن نعلم دائماً حتى
في يقظتنا ، لذلك أعتقد أن
اليقظة هي الحلم الصريح والحلم
هو اليقظة المتحركة

كاميليا (تجلس بجانبها

حانية) — أراك في هذه الأيام تبحثين إلى العزلة ،
عزلة سكان الأرض (تشير إلى منزلها) حتى تشكك
بثب أنك لاهية عنه ... ما الخبر ؟ هل من جديد ؟



إيزيس (في هدوء) — كاميليا ... (يخونها
لإحساسها بالهم الغامض فتبكي بصوت خفيض)

كاميليا (في حرارة) — ربّاه ، أي شيطان
يرادها ؟ إيزيس هيا قومي إلى مخرباك ليعود إليك

الراهبة من

قصة مسرّحة في فصل واحد بقلم الأنيسة جميلة العلايلي

المشهد : إيزيس راهبة عذراء جميلة ساحرة في الخامسة
والعشرين من عمرها ، جالسة تحت ظل شجرة
كثيفة بعيدة من بناء الدير وحديقته في طريق
أشبه بالصحراء الموحشة ترمي المنزل في بلاء وتسند
رأسها الجميل إلى يدها اليمنى محدقة في الأفق يبصر
ساروح وذهن شارد ، ثم تحول بصرها لترقب
طلياً رف عليها ثم حلق ببسداً ، وأخيراً تنفض
الطرف لتتقن دموعها التي بدأت تتبل وجنتيها في
استحياء ولا تجد من قلبها غير بسمه شاحبة مريرة

تفاجئها زميلة لها راهبة صميمة قد جاوزت الأربعين من
عمرها ، عليها طابع العقل الرصين ، تنفض في هواذة حتى
تقف بجانبها تنفض يدها على كفها في حنو لائلة بصوت
خفيض يعلى :

— إيزيس ، طال بك المكث هنا والجو مكفهر

غير بهيج

إيزيس (تنظر إليها في بلاء ثم تقول بصوت أشبه
بنغم الحلم المبيق) — بالعكس ، ما رأيته أبهج منه
اليوم .. أنظري إلى هذا الغمام ! تأمليه . تأمليه جيداً .
الآن الزين اليقظة الحارة تسرى في شرائبته لتحبو
الكون حلاً يحمل خلاصة الرجاء والخنين ؟ ...

كاميليا (بلهجة الخائبة) — ما معدتك هكذا
تحلمين بممانى الدنيا وتخرجين من يقظة الحقيقة
القدسية ؟

اليوم أعمق فكراً وأغزر إحساساً ... لقد خلقني
الله لأقدم رسالة الكل إلى الكل ، ولشد ما أعجب
كيف يتمتعني الله حقاً وبحرمة على البشر !

كامليا (تاملها بوضع بدعا على فيها) — كنى
كنى لقد ازددت شططاً . خذار أن تسنمك الأم .
إنها لا ترجحك مطلقاً وإذا غضبت لا ترضها صلاة
أعوام طوال ... لأنها تنفض لليسوع المهان ...
قوى لنصل معاً وليفر لك الرب ، وليشفع لك
يسوع

إيزيس (بصوت البين) — الرب يعلم حقيقة
السرائر ويسوع يدرك الحقيقة . أما نحن فجلاء
آخون .. نحارب الإيمان بالإثم ونقول ذاك هو الإيعان .
ما أظن هذا ! قوى إلى عراك يا أختاه ، لأن من
يخاف لهب الشمس وبرد الشتاء ويفر من الوحوش
لا يبلغ عمق الحقيقة أبداً ... أبداً

كامليا — أى حقيقة يا بلهيا ؟ الحقيقة
هناك ... تنتظرك في معبدك القدسي تحت مصباح
المنذراء . أنظري (تشير إلى الصليب المعلق على صدرها)
هذا علامة الحقيقة

إيزيس (تهر رأسها مستفكرة ... يترى إليها
صوت نافوس الدير)

كامليا — الصلاة ... هيا
إيزيس — دعيني ... لا يمكنني الصلاة
الآن ...

كامليا — عفوك يا رب .. شد أزرها يا يسوع .
إهربي من الشيطان يا أختاه ... وتعالى مى لتستردى
إيمانك المفقود

إيزيس — من قال لك إننى فقدت إيماني ؟
ومن أنت حتى تعرفى خفايا الصائرا ؟ الله وحده يعلم
سراير القلوب .. ألا يحتمل أن يكون الشرير

صوابك فلا شك أن الشيطان قابض في هذا المكان
الذى ملأه بيسير السحر الكاذب والحلم الموهوم
(تحاول إيقافها)

إيزيس (تتنح عن القيام) — كامليا .. إستمعي
إلى . تعلمين أنني لجأت إلى الدير هرباً من أضايل
الجوع ، وتخلصاً من الذئاب البشرية التي تجري
وراء الفريسة النسوية في كل مكان ... هربت لأن
الله يقدر ما تمنحي من جمال ، وهب الآخرين جشع
الجسد وضعف النفس . وقد زعمت عني كل رغبة
بشرية وتحمرت من قيود كل شهودنيوى لا اعتقادي
أن السعادة في خلو البال وتحمر الجسد من النزعات .
أجل فررت من الرياض النضرة العاصرة بالأمان
والأحلام ولجأت إلى الصحراء القفرة مبهط الحقائق
والسلام ... ولكنني أدركت أخيراً أن كل حياة
مهما تنوعت صورها ناقصة مبتورة — كامليا —
أسدقيني ... ألا تشعرين بحاجة ماسة إلى شيء
مجهول . الأتمسحين في أعماق صدرك بعذاب الحرمان؟
ألا توسوس لك نفسك أحياناً أن تدفى ما تبق من
عمرك لقاء بعض أيام هنيئة مليئة بأعذب الآمال

كامليا (متنهدة في حراة) — ولكن هذا
الأمل عيب يا إيزيس ، لقد وهبنا أنفسنا للعدراء ،
وليس من حقنا أن نسترد الهبة .

إيزيس (في شبه ثورة) — المنذراء لا تحل
الباطل أبداً ... هذا وهم ... توارثته الأجيال .
لا يمكن أن تكون المنذراء أناثية وهي أطهر من
الطهر ... كيف نحرّم علينا حقاً مشروعاً ؟
لقد تنحمت المنذراء بحب وخيدها وتنعمت به إلى
حين ... ذاق الحب والأمومة ...

كامليا (متكللة بنطق المسكة) — اغفر لها يا رب
(تشير إلى الصليب) يا يسوع رد إليها صوابها
إيزيس (في هدوء) — لست مجنونة . بل أنا

كاميليا - لا شك أنه أصابك مس من جنون
لا بد من مغامرة الأم (تصرف)

الراهب - (بصوت لطيف) يا أختي الحسنة
أراك غاضبة نائرة، علام؟...
إيزيس - بدأت أفهم الحياة .

الراهب - خلقت الحياة لكي تكون خادمة لك
وأعتقد أن الرب يوم ولدت خلقك على مثال المنزلاء
جمالاً وظهرآ، لا أكرمك أنك أنى أزداد إيماناً وقوة
كلما لححت وجهك للتضير... أه ليت الدين حلل
للراهب أن يأتس بالجمال كما يأتس به ابن الحياة .
إيزيس - (متغاية) هل تمنى أنك تحبني ،
وتشبهني .

الراهب - في ثورة وحاسة - كل الحب والشهوة
إيزيس (في دهاء المرأة) - وإذا طلبت منك
الفرار من هنا لنعيش سونوا كأبناء الحياة ، أقبل ؟
الراهب (يردد ويطلق مفكراً ملياً ثم يقول) -
ولم لا نجمع بين الدين والثمة ؟ ... لم لا أفزع
بأخوتك مع تأدية رسالتى الدينية ...
إيزيس (متأكدة) - تريد أن تتمتع بي وأنت
في لباس الراهب ؟

الراهب - متعة بريئة طيباً
إيزيس - وهل تفرق بين النظرة الهمة
والاستمتاع الدني ؟

الراهب (خجلاً) - هناك فرق شاسع بين
نظري الماطفية إليك وبين استمتاعى بك
إيزيس (في جد) - لا أفهم هذا أيها الراهب؛
والذي أفهمه أنك أصرح ما عرفت من الرهبان ...
هم يحبسون شهواتهم وقد ينفسون في خفاء ونفاق

السفك أكره إيماناً من رجل يترياً بمسوح الراهب ؟
كاميليا (تحفف منادها) - إيزيس .. حسبك .
قوى واعتمدى على ذراعى

إيزيس - سأصلي هنا ... كل بقعة في الأرض
يجب أن تتألم حظها من عبادة الله . لأنه موجود في
كل مكان وهو يشرف على المحراب القدسي كما يشرف
على دار البنى ، يفتح الأول رضاه، ويبهث الثاني حكمة
الأناة ...
(يكرر في الجرس)

كاميليا (في ثورة الغاضبة) - عجلى يا إيزيس
الصلاة تدعوننا ...
إيزيس - اذهبي أنت ...

(يتراى إليها نشيد الراهبات، يبدو لطيف راهب يمشى
في طريقهما حتى يبلعهما ... ويهيمهم عن مشيته أنه كان
ينشداه) .

المشهد الثاني

كاميليا . إيزيس . الراهب
الراهب - طال بحثنا عنك ... ألم يلفك كداء
الصلاة ؟
كاميليا - التوت ساق إيزيس فصعب عليها
السير ، وهما نحن نان تنأهب للذهاب إلى الصلاة .
إيزيس - (عمدة) لم الكذب يا كاميليا ؟
كاميليا - (تنظر إليها غاضبة) قلت الصدق
يا إيزيس ... أبعجلك أن يسم الأخ أنك طفلة
لا تحسن السير ...

إيزيس - (متكة) أعرفت أننا لا نناز
عن أبناء الدنيا بغير قوة الكبت ، وبراعة التلغيق .
الراهب - ما معنى هذا ؟ لم أفهم شيئاً .
إيزيس - معناه أننا نكذب أيضاً وقد نسرق
وقد نقتل ونظلم . ولكن بأسلوب غير أسلوب الناس .
(تضلعك في شبه جنون وسخرية)

الراهبة — آه، تريد أن تترهب لتعلم الحقيقة من الدير وتمتلك في المحراب لتتطهر من الرجس الذى تظنه يقطن في كل بقعة من بقاع الأرض؟ خير لك يا سيدى أن تبحث عن الحقيقة في هذا المكان المظفر فإن فيه معنى لما. إبحث عن الحقيقة في النور وفي الضوضاء، وإبحث عنها في المراقص والملاهي ودور الفاسد... هناك النفوس عارية تعيش بحقيقتها الأصلية وإن أسموها حياة الكذب والخداع...

الخداع والتناق هنا حيث يستتر الإنسان بالدين ليقف الألسنة ويغمض العيون
المس كل شيء... وذق كل شيء... فإذا زهدت أخيراً فأنت من المؤمنين للتطهرين...
أما أن تبحث نفسك بين جدران الهيام لتتقى الشر وتوصون نفسك من إغراء الحياة... وتظن نفسك قاضياً فأنت أضعف الضمء وأكذب الكاذبين. إن استطعت أن تعيش وسط الظلم صابراً وبين المجون طاهراً وفي أعماق الأضاليل زهياً فأنت مؤمن قديس. أما أن تجلس نفسك في الدير فأنت بالحرمان المطلق تعيش في كنف عبودية مراسيم لا تفقه لها معنى ولا حقيقة فأنت أشبه بالكافر... وما الذى يجنيه من الدير؟ عقلك يصاب بالشلل

وقلبك ييليه السم، وأخيراً تموت
الرجل — سأمت عاجلاً أو آجلاً ولكننى أريد الموت على الصورة التى تحب إلى ظلمة القبر وتهوّن على وحشة الآخرة

الراهبة (متكة) — أى صورة؟
الرجل (بألمها طويلاً) — في صوتك حثاها وفى لحاتك معانيها وفى معانيك فلسفتها ووحشتها

أما أنت فقد استطعت أن تكون أكثر شجاعة وجراً... مبرة طيبة على كل حال... تقدرها المرأة... لكن في غير المأبد... لأن الرجل الذى يمسح عن كبت شهوته في المبدأ أكثر خطراً على المجتمع من الرجل الذى يقضى طوال النهار والليل في دور البغايا

الراهب (يحمر وجهه ويترق عيناه ويتم) — أراك أسأت فهم مرأى؟

إيزيس — ظن ما شئت وتركته في مكانه بعد أن رمته بنظرة شذراء وراحت تسير الهوى... تسمع صوت ناي بعيد يقترب منها رويداً... رويداً... فتتألمه... تقف مبتعدة وهى تشد جل صليها وتقول: يا يسوع... ما هذا الصوت؟ كأنه صوت الشيطان جاء ليردنى إلى حظيرة الذكرى المرة... آه... (يقترب الصوت حتى تظن أنغامه ويترأى لها صورة الطيف (هول بدمع) إنسان هنا.. تحاول الفرار) الصوت يستوقها... يا أختاه... يا أختا إيزيس (تقف) من ينادينى؟... يواجهها رجل في زى رعاة الغنم سقيم الجسم شاحب الوجه في صوته رنة حزن عميق دفين...

المشهد الثالث

الراهبة، إيزيس، الرجل

الرجل — أنا
الراهبة — أظاى أنت أم جائع أم تائه تبحث عن الطريق؟
الرجل — ظاى إلى الحقيقة، راغب في الموت ولكن بعد أن... (يهدج صوته تحت تأثير اضطراب قوى فيتلمس ويسكت ثم يقول بده عناه أهدأ الذى أراه هو الدير؟

الرجل (متناً) — بالضبط منذ عشر سنين ...

هل تعرفين راهبة دخلت في ذلك الوقت ؟

الراهبة — وماذا يهمك من هذه الراهبة ؟ هل

تعرف أن الراهبات تناسين أبناء الدنيا ؟ وهل تظن

أنها تسمح بمخاطبتك لو تقدمت إليها اليوم ... ؟

احفظ ماء وجهك ! !

الرجل — أريد أن أستغفرها

الراهبة — (مقاطعة وقد أحست بشعور مبهم)

علام ؟

لقد غدرت بها من أجل فتاة غنية صورت لي المجد

والعظمة في الثراء ؛ فأنستى المطالع المادية الحب

والوفاء . تركتها بعد أن تقبلت قلبها ... وتضجيت

عنها في جين ونذالة ، وآثرت فتاة الطو بثرائها ، عن

فتاة الحب بشرتها ، فذهبت المسكينة المظلومة إلى

الدير ، وكأنها ذهبت لتكون دعواتها أقرب إلى الله

فانتقم مني لها !

عبثت المرأة الغنية بزوجتي ، وهتكت شرفي

وكرامتي ، وأخيراً لم يستطع بريق الذهب أن يهون

على المصاب فيما بذلته من دماء شرفي ، ولم يستطع

الجاه المزيف أن يرد على مجد السكرامة

ولما ثارت كرامتي لزوجتي ... لطمتني المرأة

وطردتني كلما يطرده السكب غير المرغوب فيه ...

أدركت للتو أن الله انتقم للمسكينة اليائسة .

نجفت أبحث عنها راجياً أن أموت تحت قدمها

الراهبة — (بصوت منكسر حزين محاولة أن تخفي

مدامها) جئت بعد فوات الوقت . لقد ماتت !

الرجل (مغروراً صارخاً) — ماتت !

الراهبة (وقد ملكتها العفشة) — صورة من ؟

الرجل — (متلثاً) صورة ... آه صورة .. من

أبحث عنها .

الراهبة — عمن تبحث يا سيدي ... ؟

الرجل — كأن حقيقتها سكنت فيك .. ؟

الراهبة — آه ، تبحث عن الحقيقة .. تضحك

متبكرة ... كل الناس يبحثون عن الحقيقة ...

والحقيقة ظل كل شيء في الوجود . هي الضوء والنور ،

وهي الأمل واليأس ، وهي الفرح والحزن ؛ وأخيراً

هي الرجل والمرأة (تناود الضحك) أي حقيقة تنشد

يا سيد والحقيقة هي الصورة الرمزية للقدر ، هي القوة

والضعف ، هي العدل والظلم ، هي الرحمة والرجاء ...

وأخيراً هي الحب

الرجل — (مبهوراً) كأنك هي .. أكاد أجزم .

قلبي نباتي ... (يرمي على الأرض في شبه إعياء)

الراهبة — (وقد ملكتها الرحمة) إلى هذا الحد

أنت تعب ... مسكين ... (تساعد على الجلوس) ...

أنت جائع بلا ريب ... نعال معي إلى الدير لتأكل

وتسترشح

الرجل (يحاول أن يسترد قواه) — يا اختاه هل

تسمعين لي بؤسالك ؟

الراهبة — سل !

الرجل — امتصعة أنت بكل راهبات الدير ؟

الراهبة — بالتأكيد

الرجل — متى جئت الدير ؟

الراهبة — منذ عشر سنين (تنهد) قبل أن

يكتمل صباي ... كنت أخطو نحو الصبا في عجالة ..

الفصول والغايات

معجزة الشاعر اللاتب

ابن العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقذوا بني العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صحبه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زيناني

تمت ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

(٠)

الراهبة - (في اختناق) أجل ماتت فتاتك
الحبة ...

الرجل - إذن يجب أن أموت ... فأين قبرها
لأموت أمام بابي ، وأصلب نفسي على صليبه فأموت
شهيداً ... ؟

الراهبة (مشيرة إلى شجرة بيّدة) - هناك ...
حيث كانت دائماً ، وقد أوصت أن تدفن هناك
الرجل (يركع تحت قدميها) - باركيني يا أختاه
واذكريني عند ربك بأنني مت شهيداً إذ كفرت عن
ذنبى - باركيني يا أختاه قبل أن أموت - ولتشهيدى
موتى لتذكريني عند ربك بأنفاسك الطاهرة .

الراهبة - (تباركه) غفر الله لك .

الرجل (يغمى مولياً وجهه شطر الشجرة التي أشارت
إليها وهي تنبئه في صمت رهيب وحزن قاتل حتى يبلغ
الشجرة) - هنا دفنت ؟

الراهبة - أجل

الرجل - باركيني مرة أخرى

الراهبة (تشير بسلامة الصليب) - غفر الله لك

الرجل (يخرج الخنجر ويصوبه إلى صدره متمتماً)
متمتماً ... إيزيس ... إيزيس ... هاأنذا أجيبك
مفتسلاً بدي لأبلغك طاهراً

الراهبة (تأخذ الخنجر من يده صابحة) -
زكى ... ماتت إيزيس الساذجة ... وعاشت إيزيس
المتحصنة الماكرة ... وستحيا للحياة بعد اليوم ...

الرجل (صارخاً في بهر وعلافة) - إيزيس !

الراهبة - زكى !

إلى الحياة ... إلى الحقيقة ...

محمد الصلبي

الريححة والهاية السارة القنمة .

وقد لا نخلص من ضيق يسبه
لك استطلاع آثاره قصة براء
على حين تكون قد أنست
من القصص الكاملة كما
كبيراً

فقد ركب القطار في طريق
المود إلى مثنوى من إحدى

الضواحي ، وكان أن جلست في ثوبى به أشخاص
ثلاثة : رجل أسود الشعر قسم الوجه وسيمه بمحوم
حول الأريين ، وزوجان فصلت بينهما السن فالرجل
كما يبدو يكبر زوجه ، وكان يلوح أن زاعاً حل
بينهما قبل أن أُلج الثوبى ، فقد كانت سحب الغضب
والحدة تظلل وجه الزوجة ، بينما كان الرجل حزينا
مهموماً

وقد بادل الزوج جاره الغريب كلمات قلائل
بلهجة التعارفين من قبل حتى يسدل على ما حدث
ستاراً . أما السيدة — فقل النقيض — لم تحاول
أن تخفى شعورها فقد استوت سامة كأن على رأسها
الطير ، مقنعة رأسها تحدى في الظلام ، حتى إذا
ما وقف القطار ومد لها زوجها ذراعه ، غادرا الثوبى
فأمسيت مع الثالث وحدى

وأنا نأزرب الزوجين إذ يسيران سوياً ، وكان
طبيعياً أن يستأنفا التشاحن قبل أن يسيرا بضع
خطوات ، وكان رفيق السفر يواجهني ، فلما أن
اختفى الزوجان ثلاث أعيننا في نظرة كلها تقام
وإدراك ، وهن كتفيه هزة خفيفة ساخرة فرائيتني
أقول على رغم مني :

من رابع الأدب الانجليزي

عندما انفتح الباب

لللكانية الانجليزية نسا زوجه جرائد
بقلم الأدب محمد عبد الفتاح محمد

لطالما التمت في الحياة بأوقات لوامح ، وقت
لدينا حادثات خوارق ، دون أن نلقى إليها السمع
أو نحد البصر . حادثات بأوقات تضطرب في قاموس
الحياة المحادرة ، وتتوارى في رجات الدنيا الصاخبة ،
وتضيع وسط المصيج واللجب ، حادثات غامضات
ترف أمام الناس في المدينة الزاخرة ، والركبات
الفارعة ، وفي السيارات الملمة ، تتوابع على طوار
القطر ، في عربات تقف وتحر ؛ تترامى في أعمال
الناس منيرة درجت عليها حياتهم رتيبة نائمة طوال
الليل والنهار

وفي الحياة قصص أى قصص : قصص بَشَنه
شقي المواطف وألخلق ونسجته مختلف الشاعر
والأحاسيس : نبالة وبذالة وبطولة ، حب ومقت
ورذيلة ؛ وقصص يتوالى فيها تصاوير الأفراح وتهاويل
المأسى والآلام

ولو كان بين يديك قصة تقتصر على بداية
لحسب ، فأى شوق يحدوك إلى معرفة النهاية ؟ وإن
كانت نهاية فأى نصب تلقاء في تصوير البداية ؟
ولم لم يبر الفيط أن يكون في القصة البتراء من
الروعة ما تقتصر عنه القصة الكاملة ذات البداية

كل من يقرأ أن يقرأه . ومن رأى أنه إذا اندمست
الثقة بين الزوجين فلا يجديهما الشجار شيئاً ،
ولا تخلق الشجاعة بينهما هذه الثقة المفقودة . غير
أنى لا أجزى ترك الجبل على الغارب لفئة صغيرة
رعناء . إن ما تريد المرأة رقيقاً لا ولياً ، صديقاً
لا قتيلاً ، وكثيراً ما يأتى العقلاء - كما أسلفت -
في حياتهم الزوجية بأخطاء جسيمة منكرة . لقد
تزوجت بفتاة تصغرني بسنوات عشر ولا أظن
أن هذا الفرق في العمرين جد كبير إذا كان بين
الاثنتين توافق في الطبع وامتزاج في الخلق ؛
غير أننا كنا على طرفي نقيض . إذ كنت أهم
بالحياة المادية الساجية الفعلة بالفنون والأدب ،
وأملت ترجية الوقت بالثروة في الحفلات والولائم
مقتناً كبيراً ، وكانت زوجي تغنيق بكل ألوان الفن ،
وليس ثمة شيء يدخل على نفسها أسباب الرح
والسرور أكثر من وجودها بين جمع صاحب
وحفل جياش . وقد أجمت أمرى على أن أدعها
وما تهوى فلا أسألهما صرة البقاء منى في البيت
على أن تدعى هي أيضاً وما أبني فلا تطلب إلى
مصاحبتي إلى حفلاتها ومأكدها . وبالرغم من ذلك
الحب الكبير الذي يجمع بيني وبينها لم أستطع
أن أدرك لماذا جهد كل منا في العمل على توحيد
أمرجنتنا المختلفة وأخلاقنا المتباينة . إن الزواج لموفق
ناجح إذا كان أساسه التجانس في الأخلاق
والتجاذب في الطبع . وليت شعري لم يجلب
الزوجان المختلفان في المزاج التناقضان في الطبع على
نفسهما الشقاء والبؤس بالسعي في توحيد أخلاقهما ،
وفي وسع كل منهما أن يتخذ سبيله التي يجب على

— كم كان بوى أن أحضهما النصح .. فتهد
الرجل وقال :
— آه ! وأنا أيضاً ، ولكن ليس من اليسر
السبل أن يفعل المرء ذلك في هذه الحال
— أحسبك توقن بأن الناس يعلمون من أمرهم
أكثر مما يعلم الآخرون
— كلا ، فليس هذا من رأي ، فالنظارة ترى
أكثر مما يرى اللاعنون كما تعلمين ، ومع ذلك فن
البعث أن يحض المرء زوجين على خلاف وتنازع
نصيحة خاصة إذا كان كلاهما صلب السماغ خاطئ
الرأى ، وحتى الماقل الرزين من الناس ذو القلب
الطيب والمرى الشريف تراه يأتى أحياناً بأخطاء
فاحشة شنيعة على إدراكه فداحة هذه الأخطاء
وجسامتها . والآن هذا الرجل — كان هنا منذ
لحظات ، كان يقرب زوجه ويحملها على السكوت
ويبازم الصمت ، أو على الأقل يريد أن يبسط عليها
حمايته كالو كانت تجهل كيف تمسوس نفسها وتملك
قياد أمرها . في يقيني أنها ستحمل له الكره
والسخط والشجاء وسيحملها — ولا ريب —
على انتهاج سبيل رباها أن تسلكها ، ويتحاشى
أن تضرب فيها . أراى عاجزاً عن أن أفهم لم يبيع
الرجل لنفسه أن يتخذ من زوجه عبداً يعطيه
ولا يعصى له أمراً ، فانا أوتر أن أمنح المرأة حرية
غير موكوسة إلا في حالات خاصة
— ولكن غالباً ما يكون لهذه الحرية المطلقة
عواقب وخيمة ، وكيف يميز المرء هذه الحال الخاصة ؟
— أوه ! لا مصوبة أبنته في ذلك . إن أخلاق
النساء كتاب مفتوح في سنن الباكورة ، وفي وسع

وحدى، فأمسكت بكتاب وأملت سيجاراً؛ ولكن تبك ذهني وعزب لبي حيناً حاولت القراءة فتحيتُ الكتاب جانباً، واستويت في جلستي أذخن وأسرّح الخيال المضطرب في أجواء شتى

وبدأت أفكر: ترى ماذا تصنع زوجي في الكرنفال الآن؟ وهل قابلت أصدقاءها؟ وجال بخاطري أنها ربما لا تلتقي بهم. وقد يسبب لها ذلك شيئاً من الارتباك والحيرة. وإن مثل هذه الحفلات السامة لتتجمع خلقاً كثيرين من شتى الطبقات والأجناس. وهناك بعض الحيرة والإباحية لا سيما والوجوه ملثمة مقنعة. وزوجي حتى في هذا الثوب — ثوب الدومينو — تبدو جميلة ساحرة. وقد زعمها من لا أخلاق لهم من الذين ينشون هذه الحفلات كثيراً. وقد تكون الآن ترافق اصراً راغية عنه زاهدة فيه. أترأى أصبت في تركي إياها تذهب وحدها؟ ولجأة ألقيت سيجاري في الموقد وفزعت وافقاً ولا أهدأ لأمر. وأعملت فكرى قليلاً: آه! إن لى ثوباً تشكرباً ذهبت به مرة إلى إحدى حفلات الكرنفال عند ما كنت غرباً. كان ثوب «دون إسباني» من الخمل الأسود من عهد فيليب الرابع. وقد كان يحني زبياً جياداً اقتبس من صورة وأحكم صنعه. وقد كنت أعجب بنفسى أى إعجاب وأنا أرنديه. وذهبت إلى غرضي التي جمعت منها «استديو» وفي إحدى الخزائن ألقيت الثوب وقناعه

كان الوقت مبكراً. لماذا إذن لا أرنديه وأذهب إلى الكرنفال؟ لقد استقلت زوجي المركبة، بيد أنه بجوارنا اصطبل للربات. ثم استدعيت الخادم وأرسلته في طلب عربة

أن يرب بعض الفرص السانحة فيسمدونيم برفيقه؟ إنني موقن أن هذه هي السبيل الوحيدة المؤدية إلى السعادة في الحياة الزوجية القائمة على أساس متباين الأركان من الأخلاق والطباع. ألا ترين من أنهما يدعمان حياتهما بالتلاق من حين لآخر يتناقلان السكبات الحلوة ويتجادبان الأحاديث المسولة

أقول قد تركت زوجتي تضرب في طريقها كما اتخذت أنا أيضاً سبيلي. وقد أجدت هذه الطريقة وسيرت دفعة حياتنا على خير ما رجو. وكانت أحياناً تبدى رغبة أن أرافقها إلى الحفلات والولائم. كذلك كنت أحياناً ألح لها برغبتها أن تبقى معي في البيت. وبذلك استطعنا قليلاً أن نوفق بين رغباتنا وأخلاقنا. ولكني لا أستطيع الجزم بأن إنكار الذات على هذه الصورة قد صادف في حياتنا نجاحاً كبيراً...

وكان ثمة حفلة مقنعة أصرت على أن تذهب إليها. وأظن أنها لحت برغبتها في أن أرافقها؛ ولكنني تجاهلت تلبيحها ليقيني أني سأضيق بالحفلة ونصيحتها

وقد ذهبت إلى الكرنفال في ثوب قشيب على هيئة أحجار الدومينو موشى بخطوط قرنفلية باهتة، ومغوف بشرائط بيضاء ناصعة، وأخذت معها «مروحة» من ريش النعام الأبيض الثمين. وتبدل من قناعها شرائط حريرية ههنا فغطت قناعها المحمرى الدقيق. كانت رغبتها قوية في الذهاب؛ ولكن رغبتها منفتت حيناً رأت أني لن أرافقها. غير أنها ذهبت لارتباطها بمجموعة أصدقاء لها. ولا أنبأها أني سابق بالبيت وعدت ألا أقتنص في الحفل كثيراً وراحت على السأم والملل عند ما ذهبت وتركتني

وعند ما كفت الموسيقى عن العزف طلبت إلى بعض
المرطبات وأرقتى الطريق إلى المصنف. ولما أن نالت
منها كفايتها - وقد كانت كما كبيراً - فأبطلت
ذراعى، وراحت تدور في المكان. كان يبدو أنها
تعرف منه المداخل والخارج، وتلم بكل غرفة فيه.
وقد أدهشني ذلك كثيراً، إذ كنت أعلم أنها لم تر
هذا المكان من قبل، وقد سألها في ذلك فأجابت:
- أحضر هنا كثيراً؟ إلى أحضر عند ما
يحلونى.

وهل تعلمين زوجك؟

فتمجبت قائلة:

- أوه! زوجي؟ ومن أدراك أنى ذات بعل؟

- إن حسناء مثلك، ولها ظرفك، وسحرك

لا يمكن أن تغفل من قيود الزواج.

- وأى فرق بين الشاق والأزواج؟ أليس

من الجنون أن تزوج المرأة وفي مكنتها أن تلم
حولها المشاق الماميد؟

وشدت بيدها على ذراعى، ثم رفعت إلى من
تحت قناعها عينين تشمان فنته وإغراء... وعجبت،
أهذه المرأة زوجي؟ أم هي غاية قارحة تبحث عن
القوت من هذا السيل؟ كلا، لا أعتقد. وحلت
نفسى على اللظن بأن ذلك الأسلوب في الحديث وتلك
المواظف الحارة المائعة التي تبديها زوجي، إن هي

إلا من مستلزمات الكرفال، تحت ستار الأزاء
الغريبة والأشواق الشاذة... ولكن المرأة لا تتقن
ذلك الضرب من النزول إلا عن اختبار وتجربة،
وها قد اعترفت أنها تنشى المكان كثيراً، مما يبدو
لي أنه تصنع منها وتثيل أن لم الحظ عليها غشيان

وكان مكان الحفلة بخر بالناس، رجالاً ونساء
حين دلفت إليه. ولكن لحسن الحظ وقع بصرى
لأول وهلة على زوجي زبها، ومروحتها، وشرائط
الحرير المتدلّية من قناعها على فها. عرفت أنها دون
صمودية فاتخذت سبيل إليها قدماً. بيد أنى تنبت
حيناً اقتربت منها إلى أنها سوف لا تعرفني زبى هذا
إذ لم ترني فيه أبداً. بل ربما لا تعلم عنه شيئاً. على أية
حال لم أستطع أن أرد، وقد رأفتى أمشى إليها. وقد
أدركت أنى أقصدها فلم تترض، ولم تشج بوجهها
أوه! لا يمكن أن تسمح لرجل غريب أن يحدّها،
أو حتى تشجّه على الدنو منها؟ وساورتنى الرّيب
والشكوك. فأنزمت لأبلون إخلاصها ووفاءها.
وبدون أن أهتم باللياقة والتقاليد، قلت لها في رقة:
- يحيل إلى أنك في انتظارى، هلا أجيبت

بنعم؟

- حسن! إلى في انتظار متعة وهو.

قالت ذلك في لهجة رقيقة هي أيضاً كأنما آتت
مرماها من هذا الطفل البينص إذ كان في وقوفها
هكذا وحيدة شيء من المرض والإغراء

ورأت على عيني غشاوة، فلم أرو ولم أسمع من
الحفل شيئاً، ولكنى تمالكت نفسى. وبدأت
الموسيقى تنزف ألحانها الطرية الخنون فسلّتها أن
تتمحى هذه الرقصة فقات وهي تهنى بسمه مضينة:

- كم أسر بذلك!

ثم تناولت ذراعى، وقادتني إلى حلبة الرقص،
وأنا ذاهل مأخوذ. لا ريب أنها غامرت قبلى مع
كثيرين. ولكن هل يتأتى لقنص على وجهي
أن يسدل على شخصيتى كل هذا التستر؟
كانت في الرقص بارعة كأنما خلقت لترقص.

وقت ليس بقصير قبل أن أملك زمام نفسى . لقد أترع اليأس قلبى ، وتحطمت الآمال فى فؤادى . وددت لو ألتصق ركنًا مهادًا وأبكي ككفل صغير . وقد ران على " لا غضب " ثورة ، بل حزن وأسى فليس ثمة غضب حين ينسدم الأمل . كنت كالقاسم الذى يلقى بأخر درهم معه ، وطمعتُ النفس أن أوغل فى ذلك الغزل فأعطيها فرصة أخرى ، قلت :

— لقد سباني سحر ك . وأصابني جمالك وذلك الأمر الذى لا أطيق معه فراقك وهذا الزحام رهقى فهلى نفاذ المكان . إن العربة فى انتظارى . هلا أتيت مى ؟

فقلت ضاحكة كأنما تحدث نفسها :

— وعلام الرضى وهو عصى الزواج ؟ والآن . هذا حسن . صدقتى أيها « الدون » الكتيب . بنيت وجهك أنك لم تتعود أن تحبب امرأَةً بلفظة « لا » — وله ؟ ... حسن جداً ؟

— إن مزاجك المعصب يدل على توقد عاطفتك واضطرامها ، فالى أراك جامداً بارداً ؟ الحق أنى لا أهضم هذا البرود الذى تشتمل به

— إذن فعلى أن أبث فيك السروز والهبة أما وقد أحسست ذلك فسابذل كل ما فى وسى . هلا أتيت مى ؟

فضحكت ثانية ... يا لله ! هل يدل ذلك منها على الخضوع والاستسلام ؟ وقدتها إلى مخرج المكان برغبة الشاب الفتون فلم تمنع . بل قالت إنى نافذ الصبر . وقد كنت حقاً نافذ الصبر . كانت كل دقيقة تمر على كأنها ساعة مترعة بالألم والعذاب إلى أن انتهت المهلة . ولم يكن بوسى أن أعجل بإهانتها ،

هذه الحفلات أبداً . ألم تمسك بالذهاب إلى الكرنفال بحجة أنها لم تر حفلاً له من قبل ؟ وإنى أقرر ثلاث مرة أنى كنت مجنوناً إذ تركتها تذهب وحدها . وإنى وإن كنت أعلم عنها الرعونة والطيش إلا أنه لم يدرب بخلاى قط أنها مستهترة قارحة ليس فى عينها ملح . كنت أعتقد أنها أمينة على عهدي حافظة لشرفى فى كل مكان تشاء ، وكل حفل تحضره ، ولكنى عرفت هذه الليلة ما انطوت عليه نفسها الخبيثة الأتمة

ولا مربة أن أصدقانى قد عرفوها أجمعين وأشفقوا على من تذلها واستهتارها . كانت صدمة قاسية . كنت مشتت الذهن عازب البال طوال الوقت . كنت أنهبهما بالخيانة والتدر حيناً ، ثم أنلس لها الماذير وأبعد عني شبح اتهامها حيناً آخر . كانت كل القرائن ضدها . بيد أنى لم أستطع أن أنحر من حي لها واحترأى إليها فى مدى لحظات قصار . ومع كل ، فإذا صنعت لتستحق أن أوأخذها وأرسيها بالتدر والخيانة . حقاً لقد اتبعت فى الحديث سبيلاً ملتوياً مبتذلاً ، ولكنى لم أوغل معها فيه ، ولو أوغلت لأبديت ولا ريب استيادها واستنكارها . أترأها نفعل ؟

وكانت يدها مستقرة على ذراعى . فترددت قليلاً ثم أخذتها وضغطت عليها ، فضحكت لشروذ ذهنى ثم بادلتنى الضغط على يدي وقالت :

— ها قد صحت أنها الدون السيوس . إنك بارد العاطفة ، حليف الجهامة والسكابة . ألا ترى أبث الحياة والشعر ، وأنث الحب والسحر ؟ وسوف أبث كل أولئك فيك

فلى الدم فى عروق لهذه الكلمات . ومضى

ثم سقطت على أحد المقاعد . كانت المرأة التي أمامي غربية ، مخلوقة بشعر فاحم جمعد وعينين سوداوين وأهداب مصبوغة ووجه ملطخ . امرأة من النوع الذي لا يشرف المرء مسابقتها في أى مكان ، أو مصاحبها إلى أى حفل . وددت لو أجتو عند قدميها فأقبل طرف ثوبها . هكذا كان شعورى حينما تحررت من الوسواس والفنون ، وتمطل ذهني فلم أستطع شيئاً سوى التحديق في وجهها مبتسماً . وعمرتها هيئتي إذ حسبت أن ذلك منى إعجاب صامت يمت في الدهول من جمالها وحسبها ، فوقفت صامتة في هيئة مسرحية تمثل الخجل المصطنع والدلال الزائف ؛ وظلت الحال كذلك حتى نبتت إلى نفسي . كان أول ما خطر ببالي هو أن أخلص منها ؛ ولكن كيف أفعل دون أن أخدش كرامتها وأجرح عزمها ؟ كان عقلي يعمل بسرعة في استحصال عذر مقبول . ولكن قبل أن أهندي إلى شيء ، سمعت صوت عربية تقف بالباب ، ثم سمعت صوت المفتاح وهو يدار في القفل ، ثم خفيف ثوب من حرير ، ثم خطوات خفيفة تصعد السلم .

لقد بكرت زوجي بالموءدة كما وعدت . وأقبلت خطواتها نحو غرفة الاستقبال ، وهمت يدها بإدارة مقبض الباب ...

وكف عن الحديث ثم أطل من النافذة . كان القطار قد وقف منذ لحظات دون أن يحس به . قال الرجل في دهشة :

— « هال ها » لقد بلغت طينتي . وقفز من القطار عندما تحرك ثانية يواصل السفر

ولم أره مطلقاً منذ ذلك الحين . وأحسبني لن أراه أبداً ، لذلك سأظل طوال حياتي أككد ذهني في تصوير ما حدث له عند ما افتتح الباب .

محمد عبد الفتاح محمد

فقد كان الأمر جد خطير . وكان لا مندوحة عن الذهاب بها إلى البيت . وتسالت إلى الخارج بنفسى أبحث عن للركبة ، إذ خشيت أن يملن اسمي أمامها وأمرت الحوذي بالموءدة إلى البيت بينما كنت أساعدها على الركوب .

ولشد ما خشيت أن تنتبه إلى حقيقتي في ذلك الحفل العام . وكأنما مرّ دهر طويل على بدء تحرك العربية في طريق الرحمة إلى البيت .

ابعدنا عن جلبة الحفل وفيحيجه ولكني ظلمت صامتاً بضع دقائق حتى بدأت تنازحي كرة أخرى حول وجوي واكتشائي، وارتعت على مجسدها؛ ولست أدري أكان ذلك لامتناز المركبة أم عن فجور منها وفسق . على كل حال ، فقد طوقت خصرها بذراعي فلم تترص ، بل سألتني وقد اقتربنا من طينتنا :

— أين تقيم ؟ إن هذه الشوارع جد متشابهة ولا أستطيع بحال أن أعرف أين نحن الآن .

— على أية حال لقد وصلنا .

ووقفت الركبة تساعدها على النزول ثم فتحت الباب الخارجى بمفتاحي ، ودلفنا إلى الردهة حيث كان الضوء خافتاً ضئيلاً . فأمسكت بيدها وقدمتها إلى غرفة الاستقبال ، وكان الظلام يطعن في جو الحجرة ، بيد أنى بدته بأن أشعلت السراج ، ثم واجهتها، فرأيتها تضحك عالياً، ولكنها بدت كأنها لم تعرف أين هي !

قلت بلهجة شديدة :

— الآن فلترفع الثام يا سيدتي

وما ترددت ، بل أماطت لثامها ونضت عنها ثوب الدومينو .

فنهقت شهقة خادة وجحظت عيناى حتى كادتا تقفزان من معجزهما .

— (تظهر ملة) ثوب الآنسة

إيليان ؟ نعم يا سيدتى . لقد عملت فيه أنا وعمى حتى أنهيتاه برغم الأعمال الزدمنة لدينا الآن ، وقد أمرنى أن أسلمه إليك — (أخذت العلية) — نعم

سمعت عمتك . إن باستطاعة إيليان

أن ترديه الآن حالاً (تدخل إيليان من ناحية اليمين بزة حنة ولباس بسيط متواضع) ها هي ذى قد أتت (تخاطبها) أيها الآنسة خذى نوبك الجليل

إيليان (فرحة) — ما أسعد حلى... هاتيه حالاً يا أبى... أرجو أن يكون ملائماً

بوليت — لا تخرج الأنواب من بين يدي مدام بوفيت إلا حصة وملائمة دائماً

إيليان — حسن ، سأرديه يا عنتاه وسأبدو به كأننى لأحدى نجوم السينما (تخرج من ناحية اليمين) مدام إيدوان (تخاطب بوليت) — تفضلى بالجلوس قليلاً

بوليت (تمسك) — إن إيفك ظريفة جداً

— إنها ليست ابنتى

— سمعنا تدعوك أمها

— إنها تدعوى أمها منذ أن سلمتها من لجنة المساعدة العامة

— المساعدة العامة ؟

— أجل ، وضعت عندى منذ أن كانت رضية وكل الناس يعرفونها عندى ، ألم توضح لك مدام بوفيت الأمر ؟

— كلاك إنما تعمل بسرعة لإتمام الثياب وليس لسيها وقت للكلام ، ولولا ذلك لأحدثنى ... إذن فالآنسة إيليان ؟

فراوانى

للكاتبين : مارك صونال وجورج مونيك
بقلم الأديب الأستاذ ناجى الطنطاوى

أول شخصان : مدام إيدوان ٣٥ سنة ، إيليان ١٦ سنة ، الكونتس موفيل ٤٠ سنة ، بوليت ٢٠ سنة فى العهد الحاضر قرب بلدة تور الفرنسية ، غرقه ذات آثات بسيط ، باب فى منتهى الفرفة وإبان آخران على طرق السرح .. إلى اليسار تظهر أريكة ومنضدة شغل .. إلى اليمين مقاعد وأرائك .

المشهد الأول

مدام إيدوان — تم بوليت — تم إيليان

عند رفع الستار تظهر مدام إيدوان وهي تزين قبة جيلة بديرة زاهية . سكوت وضعت ، تنظر إلى الساعة فى يدها نصف الوقت

مدام إيدوان — الساعة الآن تبلغ الثانية والنصف ... ستم قبة إيليان عند ما تستيقظ من قيلولتها (تنهد) بعد أيام تخاية فى مثل هذه الساعة (تسلم للعدس) يجب علينا أن نوطن أنفسنا على تحمل ما لا مفر منه (يرد الجرس فى داخل الفرفة) من ذا ترى ؟ إننى لا أنتظر زيارة أحد الآن (تذهب لفتح الباب)

(صوت بوليت فى الزدمة) — هل أما الآن بحضور مدام إيدوان ؟

— أجل يا سيدتى ، تفضل بالدخول

بوليت (تدخل) — إننى قادمة من دار عمى مدام بوفيت

— الخياطة ؟ حسن ، هل أتيت بالثوب ؟

— ويدو لي أنها مي أيضا تكن لك من الحب مثل ذلك

— نعم إنها بحبي كثير (متضرب) وبعد ثمانية أيام على الأكثر سوف ...

— يد ثمانية أيام؟

— ستترك منزلي وهو منزلي لتذهب ...

— مال أين؟

— ستذهب لتتظن قصر ريكور وهو على بعد ثلاثين كيلو مترا من هنا

— مستحسنة؟

— كلا، إنها تتركك إذا لا يحق لي - حسب القانون - أن أبقها عندي ما دمت أحياء هذه الحياة البسيطة، فقد قُست لها ثروة كبرى ومُعرضت عليها حياة نفخة

— إنني لا أفهم ما ننتين

— أعني أن الكونتس مرفيل هي مالكة قصر ريكور، وهي أرملة ليس لها أولاد مثلي، طلبت مني أن أكون بقرها وأن أتني لإيليان شرعا

— مادامت السائلة مائة فية فباستطاعتك ..

— كلا لا أريد. إنني لم أبلغ بعد السن المخصصة للتبني، ولا أملك المال الكافي لأتفق على إيليان حسب رغبة اللجنة وتلخيصها، ولم يد هناك محال للمفاضلة بين حياتي التواضعة البسيطة وحياة الكونتس النخبة الثرية

— لا ريب في ذلك

— ومن أجل هذا سأتى الكونتس مرفيل يد أيام ثمانية لتأخذ إيليان وتدعني وحدي في هذه الدار أرى بيتي آثار إيليان وذكراتها دون أن أستطيع عمل شيء (تدفع يديها من عليها لتسحبها)

(٦)

— ما هي إلا بتيمة أتتني من لجنة المساعدة العامة، وأنا كما تعرفين يدعوني بالرضعة - فهمت ...

— إن بي ميلا شديداً إلى الأطفال وليس عندي أى طفل. كان زوجي قد سبقني إلى فكرة تبني الأطفال، فأودعوا عندنا حسب طلبه طفلاً كان أصله مجهولاً لم نستطع معرفته. ولقد سألتناه فما أجدى سؤالنا إذ أنه لا يذكر شيئاً، وقد نشأ هذا الطفل شديد الذكاء طول حياة زوجي، وبعد وفاة زوجي لم يعد في إمكانني أن أشرف على تربيته فأصبح كثير الشغب وغافاً سفيهاً قاسياً عطلاً لكل شيء، عاصياً لكل أمر - يعلم الله ما أصله

— فأدركت أن في ذلك خطراً علي، وبعد عدة حوادث رهيبة حدثت لي معه وأبقت له في ذاكرتي صورة غير حسنة، طلبت استبدال بنت صغيرة به - ألم تخاف أن تنشأ البنت كالوالد؟

— كنت أشعر برغبة ماسة لأن أرى بقرتي مخلوقاً يودني وأوده، طفلاً أحبه قلبي وأريه وأعني به حتى أراه ينمو ويكبر أمام ناظري، وأنا أعلم أن التجربة التي قُنت بها لم تكن ذات نتيجة حسنة ولكن خسارتك ستكون أقل مع طفلة صغيرة، وسيكون ترويضها وتهذيبها أسهل علي ... ولقد أصبت في ظني إذ أتتني وجدت في إيليان الحبيبة الطفلة التي كنت أنشد لها بل وجدتها أبهى مما كنت أتخيل ... كانت سنها عند ما عهد بها إلى أرملة أعوام، وهي تبلغ الآن من العمر ستة عشر عاماً، لقد قضيت بقرها اثنتي عشرة سنة كلها مسرة وسعادة وجور

مدام إيدوان — (تثير يدها إلى منضدة السفلى)
تجدين هناك كل ما يازمك... سأتركك قليلاً لهيئة
طعام الغداء (تخرج من اليسار)

المشهد الثاني

إيليان — بوليت

إيليان — أأزعجك الثوب؟

بوليت — لا حاجة لذلك فإن العمل لن يطول
(تأخذ خيطاً وإبرة وتبدأ العمل)

إيليان — لا تسرعى بالعمل فأنتى لست مستعجلة
وأرجو أن يعود الحزام ملائماً .

— سيكون ملائماً وعلى حسب رغبتك .

— (تأمل الثوب) أراه فانتى أليس كذلك؟

— جيد ، سيملوك طوباً وابتهاجاً ، حقاً إنه
من ثياب القصور !

— آه... أأحدثك أى شيء؟

— قالت لى إنك ذاهبة بعد ثمانية أيام لتسكنى
قصر بريكور .

— نعم ، وإنه لجميل جداً... لقد تناولت فيه
طعام الغداء مرتين . إنه قصر ساحر ، فيه روضة
كأنها إحدى روضات فرساي

بوليت — (بمناجاة) وفيه مياه كثيرة؟

— يمكن أن يكون كثير الماء . لم يكن لى
الوقت الكافى لأرى كل ما فيه .

— إن حظك عظيم .

إيليان (بابتهاج) — أليس كذلك يا عزيزتى؟

لقد رأيت غرفتى فيه ، إنها فاخرة ، نافذتان كبيرتان
وقطعة من الديباج ملأى بالورود ، وسرير جميل
مذهب ، وآرائك ينوص الجالس فيها ، ومنضدة من
الخشب الثمين ، وأخرى للزينة ، و... و...
ماذا أحدثك !

من الدعوى (أستميتحك عنراً . إن هذا ليس من
اللياقة ...

— لا تقولى هذا يا مدام إيدوان ... أنظفين
أن البكاء من فرط الألم ليس من اللياقة ؟ ولكن
أما كنت تاملينها معاملة حسنة وتطفلين عليها ؟
يجب أن يخفف هذا من ألمك ، ويجب أن يزيك
علك أنها مسرورة وسعيدة عند الكونتس

— صحيح ولكن ... (متألمة) ذهبت إيليان
لتتلقى دراساتها الابتدائية فى مدينة تور ، وفى دار
إحدى صديقاتى اجتمعت بالكونتس فشعرت هذه
نحوها بماطفة قوية وذكرتها بأبتها الوحيدة التى
ماتت منذ ست سنوات... وبعد أيام قلائل زارتنى ،
لتعرض على مشروعها فى التبنى وهو حقها الذى
يخولها إياه القانون ، فلم أستطع أن أقابل ذلك إلا
بالخضوع والتسليم ، وأنا أفكر فى مستقبل إيليان
ومستقبلى بعد إيليان ...

(تدخل إيليان مرتدية ثوبها الجديد وهو على أحدث
زى ومخيط باهتاء ودقة)

إيليان (تسلم وهي ضاحكة) — أقدم لسكان نفسى
إننى إحدى نجوم السينما !

مدام إيدوان (تنظر إليها) — حسن جداً
وموافق... لتتلقى يا ابنتى . إن هذا الثوب ذو جمال
باهر (تغالب بوليت) أرجو أن تبلى شكرى مدام
بوليت وتهنئى على نجاحها فى الخطاطة

بوليت (وهي تهنى) — سأبلىها ذلك وأعتقد
أنها ستسّر

إيليان — خبرتها أن الحزام طويل

بوليت — لا خير ، سأصلحه لك الآن فى
بضع دقائق

بدأته هذا الصباح (تخرج من البين ، وتخرج بوليت من أنسى الفرفة . وتدخل مدام إيدوان من البيار)

المشهد الثالث

مدام إيدوان — بوليت

مدام إيدوان — (تظن أن إيليان موجودة) لقد سمعت الجرس ين مرتين

بوليت — (داخلة) مدام الكونتس مر قبيل مدان إيدوان — (في ذمور) مدام مر قبيل ؟ وفي هذا اليوم ؟

بوليت — (بصوت منخفض) يمكن أن تكون هناك بعض تبدلات في القصر .

— أدخلها بصورة لبقة وبا احترام بوليت — (خارجة) هل تفضل سيدتي الكونتس بالدخول .

(تخفي بوليت وتدخل الكونتس وهي امرأة في الأربعين من عمرها ، ذات مظهر ارسطراطي قليلا ، تنجأ في أول الأمر)

المشهد الرابع

مدام إيدوان — الكونتس

مدام إيدوان — (في دمعة وتحفظ) تفضل بالدخول يا مدام كونتس

الكونتس — أنسى صباحاً يا سيدتي العزبة ، يديولي أنك دهشت لرؤيتي .

— نعم ، أعترف بذلك (تدم لها أريكة)

— (تجلس) لماذا دهشت ؟

— (تواصل كلامها) ذلك لأنك أتيت اليوم ...

يمكن أن ... تكوني عدت عن مشروعك عدت ؟

— نعم عن مشروعك

— ما أجل هذا القصر !

— وفي الروضة بركة قارب أخضر اللون

— هل تحسني التجديف ؟

— كلا ، ولكني سأتمله (تلمب يديها) كم

يسليني هذا !

— أكل ذلك بعد ثمانية أيام ؟

— نعم .

بوليت (وقد أتمت عملها) دونك الحزام فالبيسيه

إيليان (تضع الحزام) — موافق جداً ، أشكرك

حقاً إن هذا الثوب جميل ... أراي مضطرة للصعود على درجات القصر بثؤدة كيلا يفسد

— سيكون تحت إمرتك خادمة بلا ريب

إيليان (مسرورة) — طبعاً (تحتل دوراً هزلياً)

هل عادت مدام مر قبيل من زيارتها للكاهن أيتها الخادمة ؟

بوليت (تحتل دور الخادمة) — إن سيدتي

الكونتس عادت يا آنسة —

— خبرتها أنني في غرفتي

— أمرك يا آنسة

— سأزول لأراها بعد قليل .

— أمرك يا آنسة (تنفجران من الضحك ، ويسمع

رين الجرس من الداخل)

إيليان — ألا تسمعين الجرس ين ؟

— إحدى الزائرات ولا ريب .

— يمكن أن تكون الزائرة ثقيلة . ماذا يحدث

إذا رفضنا أن نفتح ؟ ولكن لا ، إن أمي لا ترضى بذلك (ين الجرس ثانية)

— لا تبدئي شيئاً ، سأفتح الباب ، وسأعلم

مدام إيدوان .

— أصبت ، وأنا ذاهبة إلى غرفتي لأنهم كتبوا

- أى عن تبني إيليان ؟
— معادية ؟ كلا ياسيدتى ... إن لهجتي كانت
حزينة جداً
— كلاً ياسيدتى العززة ... لقد نضج مشروعي
بعد أن فكرت فيه طويلاً ، ولقد تمت كل المدمات
ولم يمد هناك أى داع للدول
— (بجزن) آه ، حقاً أن ...
— سأشرح لك بكل بساطة سبب زيارتي الآن
قبل أن آتى إلى هنا . كنت فى زيارة المرأة التى علمت
إيليان حتى خرجتها ، وقد زرتها حسب وعد
قطعت له أن أكتب عاطفى أنا فى منها ، ولما خرجت
من عندها عرفت على أن أخذت إيليان منى اليوم دون
أن أكون بحاجة للعودة بعد ثمانية أيام
— (بجزن) اليوم ؟
— كيف صحة الطفلة ؟ (مدام ابدوان لا تحب)
سألتك هل صحتها جيدة ؟
— (تملك مواظمتها قليلاً) نعم يا سيدتى
— هل تمام القيولة بمد كل غداء ؟
— دائماً
— حسن ، هل فكرت فى تصويرها ؟
— نعم ، وإن صورتها الآن عند صانع الأطر
— هل ينجح التصوير ؟
— نعم
— سبق لك هذه الصورة ذكرى جميلة ،
وستعطيني طبعاً تكاليف التصوير
— كلا يا سيدتى إننى لست غنية وأنت تعرفين
ذلك
— حسن إذا كان هذا يسرك فلست أدرى
لماذا أريد أن أعرضك به ، ولكنك قلت لى ذلك
بلهجة معادية قليلاً
- معادية ؟ كلا ياسيدتى ... إن لهجتي كانت
حزينة جداً
— ذلك لأننى أتيت قبل مضى ثمانية أيام ،
ولا أراك تصافينى الود
— سواء صافيتك أم لم أصافك إن هذا لا يبدل
شيئاً ... أرجو أن تعلمى أننى أعد هذه الأيام الثمانية
دقيقة بمد أخرى ... وأراك اليوم بخاة تقولين إنك
ستأخذينها (تحضس صوتها) وتوحيين إلى بصورة غير
إرادية أنك آتية لتسرقها !
— (مالتة زمام نفسها) ولكنك يا سيدتى
العززة قد نسيت أن القانون كان باستطاعته أن
يسرقها - على حد تمييزك - منذ ثلاثة أعوام لى
بضعها تحت القميص ويسمح لها بأن تعيش حرة .
فأنت إذن قد ربحت أموال ثلاث سنين وهى أكثر
من ثمانية أيام فى السجن !
— إننى أن أناقشك فى هذا الموضوع الذى
يؤلمنى ، بل ألقى فى شفاف قلبى
— لقد كانت دهشتك أقل منها الآن عندما
أتيت أعرض عليك مشروعى ، أذكركن ؟
— هذا صحيح ، لم أكن أنظر إلا للسعادة
إيليان التى عرفت على أن تضمنى لها مستقبلها ، ولكن
تق أن هناك قلب أم حنون يتولى من الألم ، لقد
قلت ذلك قبل ساعة لابنة عمى مدام بوقيت
— مدام بوقيت ؟
— نعم الخياطة التى صنعت ثوب إيليان الجديد
— (رأت موضوعاً تتكلم فيه) هل انتهى الثوب
هل رأيته جميلاً ؟ كيف يبدى فيه ؟ أجيبينى بسرعة !
— لقد اتبوا فيه تعلباتك (صمت) آه لو أننى

المشهد الخامس

مدام إيدوان — الكونتس — إيليان

إيليان — سيدتي الكونتس؟ لشد ما أنتظرك!

مدام إيدوان (بحماس) — أنظري إلى ثوبها!

الكونتس — (بعد أن تاتق إيليان وعمل جينها):

— جميل جداً، لقد زادك جمالاً

إيليان — أرايت ياسيدتي؟ إن أمي قد أحسنت

بإعطائه للخياطة (تخاطب مدام إيدوان) سأقرأ لك

الكتاب الذي انتهت الآن من كتابته لأرسله إلى

أليس فابنيه (تخاطب الكونتس): هل تسمحين

ياسيدتي؟

الكونتس (سائكة) — أسمح

إيليان (هرا بصوت مرتفع) — « أعذريني

يا عزيزتي أليس إذا تأخرت في إجابتي على كتابك

الأخير الذي تسأليني فيه عن الحادث الجديد بانتقال

إلى قصر بريكور الذي وصفته لك »

الكونتس — (متسنة) جيد جداً

إيليان (تابع قراءتها) — « هذه الحياة الجديدة

بكل معنى الكلمة توقف في هذه اللحظة أفراحاً

ليست كلها صنيائية، ولكنها مع الأسف متبوعة

بلمحظات ألم. ذلك عند ما أفكر في الذكريات التي

سأتركها في هذه الدار التي عشت فيها سعيدة بقرب

التي وهبتني خالص حبها دون أن تعرف عني شيئاً،

كما تحب الأم الخنون ابنها الوحيد، وأظهرت لي

من المطف والود ما لا يفيه شكر »

مدام إيدوان (تفرك بالسوء) — إيليان!

إيليان (تم) — « إني أشعر أن ذكري

هذه الأعوام ستبقى منقوشة في أحماق فؤادي.

ثم إنك تملين يا عزيزتي أليس أنني لن أغادر هذا

تنبهت إلى نفسي، إني منذ اثنتي عشرة سنة أنتظر
حزناً عميقاً.

— ألا تفكرين في امتلاك البنت وتبينها؟

— كلا.

— أما أنا فأقول لك يجب أن تقول نعم لأنك

منذ اثنتي عشرة سنة تشعرين بالفرح لوجود هذه

الطفلة إلى جانبك، وإنك مصيبة في ذلك لأن هذا

الفرح أشمره أنا أيضاً عندما أكون أما دون أن

أفكر في الألم الذي سيحدثه لي فقدان ابنتي التي أحبا

حب العيادة.

— إني لم أكن أبداً أما، ومع ذلك فأنني

أفقد اليوم ابنتي في الوقت الذي تجدني فيه أنت

ابنة. إني لا أحسد أحداً، ولكنني لا أستطيع

أيضاً أن أمنع نفسي من التألم والحزن لحياتي الفقيرة

التي لا تسمح لي باستيقاظ إيليان

— حياتك الفقيرة...؟ إنك تتألمين

— كلا. إني أقول الحقيقة!

— سيدتي العزيزة، إني أكون تحت تصرفك

إذا...

— (بلاهة) أواه ياسيدتي، إني لا أطلب

صدقة، ولقد أردت فقط أن أقول إن دخل لو كان

كافياً للدرجة التي يطلبونها، لم أتردد قط في استبقاء

إيليان، إن الخطأ يكون في بعض الأحيان رهيباً

— لقد كان رهيباً لي قديماً عندما أفقدت ابنتي.

إننا لا نستطيع إلا أن ننحن أمامه كبيرنا وصغيرنا.

إن أوامر الله ومقدراته نافذة على الجميع (تدخل إيليان

حاملة يديها كتاباً، ويبدو عليها السرور) هذه هي

الطفلة العزيزة

مدام إيدوان — لشد ما أود ذلك ، ولكنك تعلمين جيداً أن هذا غير ممكن الآن .
الكوتنس (تخاطب إيليان) — إنني أشاطرك حزلك يا إيليان (تهدئها ببطء) ولكن يجب على أن أذكرك أن أمر مستقبلك قد وكل إلى وأنا مضطرة لتأمين سعادتك ، وثق أنني لن أرد لك طلباً .
لمسحى عينيك يا ابنتي المزرة وأذهي لتنهبي ، وسأبقى مع مدام إيدوان (تأخذا نحو العيين) حالاً يا ابنتي إيليان حالاً (تخرج إيليان)

المشهد السادس

مدام إيدوان — الكوتنس — ثم إيليان
مدام إيدوان — أرجو أن تعذر بها
الكوتنس — بل إنني أستحسن ذلك منها
— إنني أخاف أن ...
— لقد عجبت لصيحتها
— إن ذلك شيء طبيعي في فراق كهذا ، إذ أننا سنفترق لغير لقاء .
— فكرة جميلة . إنك ستريتنا غالباً هنا أيضاً .
سأقي بها إليك كل وقت أستطيع فيه ذلك بالسيارة
— يمكن ذلك في الشهر الأول .
والثاني أيضاً وكل الأشهر التالية ، لم لا ؟
— لأن الزمن يسير ، ويأتي معه الشبان .
إنني لا أشك أبداً في عاطفتك الحسنة ولكنني أخاف .
لقد عشنا معاً اثنتي عشرة سنة ، الواحدة منا قرب الأخرى . إنك ستأتين بها ، هذا صحيح ولكنها ستأتي زائرة ثم إنها ستسنان ، وأنا أيضاً سأسأها بحكم العادة
الكوتنس (تتذكر) — إلا إذا ...
مدام إيدوان — ماذا قلت ؟
— قلت ، إلا إذا

السكان دون أن أشعر بحزن قاتل » (تطوى الكتاب وتغاطب الكوتنس) أظنك فهمت عواطفني يا سيدتي الكوتنس — (بدهشة) نعم . نعم . ولكن ما الوسيلة لحل مقبول ؟
مدام إيدوان (تسمح مدوعها) — إنني أشكرك يا إيليان من أعماق قلبي
إيليان — بل أنا التي يجب على أن أقدم لك شكري الجرم بعد ثمانية أيام
مدام إيدوان — لم يبق هناك ثمانية أيام وأأسفاه
— كيف ذلك ؟

— إن مدام صريف قادمة لتأخذك معها
— (فرحة) اليوم ؟
الكوتنس — نعم يا ابنتي المزرة
إيليان — هكذا فجأة ؟
الكوتنس (بهدهو) — نعم . لقد وضعت السبب لمدام إيدوان
إيليان (بعد صمت قصير) — إذن أنا متهمة للذهاب بمك يا سيدتي
الكوتنس — لا تمنجلي يا ابنتي ، لن نذهب الآن ...

إيليان — ماذا يجب أن أدعوك منذ الآن ؟
الكوتنس — بوسعك أن تدعيني بكامة قصيرة وجميلة : ماما
إيليان (تضطرب) — ماما ؟
الكوتنس — نعم ماما . إذ أنني احتلكت مكان ...
إيليان (صاحبة بحزن) — كلا ، إن هذا لن يكون (ترغمي على عناق مدام إيدوان) ماما ، ماما
مدام إيدوان (تضمها) — يا عزيزتي
إيليان — لا أريد أن أتركك ، استبقيني عندك

— بامتنان (ترحى بيت ذراعى الكونتس
للبدويين ، تدخل إيليان)

إيليان — لقد تهيات ، لا ينقصنى إلا قبعتى
(تأخذ القبة من على المنضدة وتلبسها)

الكونتس — أنا ذاهبة لأرى المائى (تخرج
من أنسى الغرفة)

إيليان — إني لست واهمة ، لما دخلت رأيتك
تمايقن الكونتس

— (مسرورة) كلا، إنك لست واهمة يا عزيزى
إن مدام مرفيل طيبة القلب وكريمة ورجيمة

— نحوى . أما نحوك ؟

— نحوى أيضاً إذ ستأخذنى معها

— إلى قصر بريكور ؟

— إلى قصر بريكور لأساعدها فى إدارة الدار
وسأكون معك منذ أن أنقل أثأبى من هنا فى
وقت قصير

إيليان — أنا أحم ؟

— إنا لا تحلمين يا ابنتى . سترى كل منا
الأخرى كما كنا هنا تماماً

— (مسرورة) : كم أنا فرحة ومسرورة !

الكونتس — (نظهر) سيؤخذ الأثاث إلى
غرفتك فى القصر يا عزيزى وسنذهب معاً

— لقد قالت لى أى كل شىء ... إني سعيدة
جداً ، وأشعر بنحوك بحب عظيم

الكونتس (تأخذ بيدى بنو) — لقد أصبحت
فيما فعلت ، أسرعى الآن (تخرج)

إيليان — (ترجع إلى مدام يدوان فرحة) سأدعوها
أى إذا أردت ، ولكن أنت لا أدعوك إلا ماما ...

دائماً ماما

(دمعى) نأبى المنظارى

— (يظهر لها بريق أمل) إلا إذا ؟

— هناك ... من الممكن ... وسيلة ؟

— أية وسيلة ؟

— إني أفكر ... ليس بعيداً عن بريكور ...

لى صديقة عزيزة ذات قلب رحيم ... أستطيع
أن أطلب إليها ... إنك تبيعين أفشة جيدة

أليس كذلك ؟

— بقدر المستطاع .

— (تزيها القبة التى نسفتها مدام ليدوان)

وحى راقية .. أنظري قيمة إيليان الجميلة هذه ، إنها
خرجت من عندك كما أظن ...

— نعم .

إذا طلبت من صديقتى أن تأخذك لتببى الأفشة
عندها وتلاحظى الخدم وما يتطلب المنزل ، أرضين ؟

— إذا كان وجودى لديها يسمح لى برؤية

إيليان بسهولة وفى غالب الأحيان فأنى أوافق

— إذن ستركبن هذه الدار وتنقلين إلى

صديقتك ... وسترين إيليان متى شئت

— أذهب من هنا ؟ إني مستعدة لذلك ،

ولكن هل لى أن أسألك ...

— عن اسم هذه الصديقة ؟ هل قبلت ؟

— نعم وبامتنان عظيم ولكن ما اسمها ؟

— احزرى

— لا أستطيع

— (ضاحكة) تدعى الكونتس مرفيل

— (بفرح زائد) أنت يا سيدتى ؟

— (ضاحكة) نعم أنا بكل بساطة

— (بفرح عظيم) . أستطيع أن أرى إيليان

دائماً ؟ اسمعى لى أن أياقك ؟

حاجي بابا اصغر بائي

لكتابنا الاخوتي جهر مؤيد
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

(تسعة)

ويمكن أن يقال إن كل هذه التغطيات كانت أكثر مما يجب للترجيب هؤلاء الكفار وإكرامهم ومنحهم وسائل الراحة ولكن حين حل موعد التسميات نشأت صعوبة مهمة الأسباب دلت على وجود هؤلاء الضيوف وتكرارهم للفصل ، وكان السفير

أكثر خلق الله جوداً وعناداً ، فأولاً عند ما مثل بين يدي الشاه أي أن يجلس على الأرض وطلب كرسيًا يجلس عليه فأحضر له كرسي وضع في مكان بعيد عن العرش . وثاني الأمور التي دلت على عناد السفير مسألة الحذاء فلم يقبل ذلك الكافر أن يخلع نعليه أو أن يلبس جواربنا الحمراء . وثالث الأمور أن السفير أبدى رغبته في رفع قبضته عن رأسه أثناء انحنائه أمام الشاه رغم محاولتنا إقناعه أنه ليس من الأدب أن يكشف رأسه . ثم نشأت عن اللباس مشكلة كبرى ، فقد كانت أعدت للسفير ورجاله ملابس يرتدونها تغطي جميع أجسامهم فيمكنهم بها أن يظهروا أمام الشاه بمظهر لائق ، وأعلن ذلك للسفير فأياه إياه شديدًا وقال : إنه سيظهر أمام الشاه الفارسي بما تمود أن يظهر به أمام ملكه الإنكليزي من الثياب

ظهرت هذه المشكلة عسيرة الحل إذ لم يحدث أن أحد الفارسيين وجد يوماً في بلاط ملك من الملوك الأجانب ليعرف الملابس الواجب ارتداؤها أمامه . ففى وسع السفير ما دنا نجعل عادات بلاده أن يرتدى ثياب نومه ويقابل بها الشاه إذا أراد . غير أنني فكرت ملياً في الأمر فقد كرت أن من بين الصور الموجودة في القصر ذى الأربعين عموداً في أسفهان توجد صور بعض الأوربيين الذين كانوا

وكان السفير الإنكليزي قد وصل إلى طهران قبل وصولنا إليها بضعة أيام واستقبل بأعظم ما يمكن أن يستقبل به كلب من كلاب التصاري لدى خليفة رسول الله . وأما الاحتفال به فحجة في المدينة وصرح بعض كبار علمائنا بأننا قد ارتكبنا بعض الإثم باحتفالنا بكافر هذا الاحتفال العظيم وأننا سنعذب من أجل ذلك يوم الحساب عذاباً أليماً وذبحت البناج من عجول وأبقار تحت حوافر خيل السفير الإنكليزي ، وتثرت الأزهار في كثير من الطرق ، وصرح له بأن يدق رجلاه الطبل يوم دخوله المدينة ، وهذا لعمري فضل كبير لم ينله أحد غير أمراء إيران

ثم بدأت الضيافة كأحسن ما يمكن أن تكون فأعد خان كبير لتزول السفير ، وقرشت الأشرطة الفنية ، وأخذنا من الجيران ما احتاج إليه الخان وألحقتنا به حديقة بدمية . وأمر خازن المال الأعظم بإطعام السفير ومن معه من يث المال ما أرادوا الإقامة في المدينة وأرسلت اللابى والشيلان بعد أن جمعت من رجال الحكومة إلى السفير . وأعلن الشاه في جميع المدينة أن السفير وميئته في ضيافة جلالتهم الخاصة فلم يكن ، والحالة هذه ، بد من ملاطفة هؤلاء الأغراب والاحتفاء بهم خشية غضب الشاه

وجعلت رعيته تصيح : « من حشيشه ؟ من ذارا
ومن أنوشروان أمام شاهنا العظيم الجالس على
العرش ؟ »

ووقف الأمراء على يمين العرش وعلى يساره
فكانوا أبعي وأجل من الأحجار التي تتألق على حلة
أبيهم ، ووقف على مسافة من العرش وزراء الملكة
الثلاثة ورجال الحكمة وأصحاب المشورة ، واصطف
غلمان الشاه من كل أصبح الوجه أسود الطرف
ممتدل القد أمام الحائط يعملون تيجانا في أيديهم
فكانوا كاللائك يعملون الأنيام الزاهرة ليرسموا
بها قبة السماء

وأخذ الفرج مقاعدهم في وسط الجمع وأخذيتهم
في أرجلهم وعليهم أرديتهم التي ترتفع إلى خصورهم
وذقونهم حلقة فكانوا كالطير الذبيح المجرى من
ريشه أو القردة المريضة التي تساقط شعرها أو أى شيء
آخر خلا بني آدم إذا وازنهم بمن حولهم من السادة
الأنجاد ، وقد تجلدوا وتماسكوا فلم يرهم هول
الموقف ولم يرهم وجود الملك حتى خلنا أنهم مثلنا
ثباتا وجلدا في هذه المواقف

تكلم السفير الانكليزي فمدد مناقب الذين
يتثلهم ، تكلم على مثال لمجة قومه وعاداتهم في الكلام
فلم يجمل من لفظه ولم يحسن من قوله ، ولولا حذق
المترجم وذكاؤه لما لقب الشاه فيما نقل إلينا من حديث
السفير بملك الملوك وقبة المالم

وإني لأحاول مستحيكا إذا حاولت أن أصف
ما بين أخلاق القوم وأخلاقنا وعاداتهم وعاداتنا من
الفوارق التي لا تحصى والمفارقات العديدة ، وحاول
بعض فلاسفتنا أن يلماو بشيء منها أو يدركوا مبادئ
القوم فنزوها إلى أن مناخ بلادهم قائم رطب وإلى
(٧)

يفدون على الشاه عباس الكبير وبينهم من أقام
في المدينة

وتذكرت أن بين الصور صورة ظهر فيها نفس
الشاه عباس فلا شك أن الثياب التي تخطها تلك
الصورة والتي ارتداها الأرييون أمام الشاه عباس
هي الثياب الواجب أن يرتديها كل أوربي أمام
رأس متوج

فأسرعت بإخبار رئيسي بما رأيت . ونقل هو
حديثي إلى الوزير الأكبر وهذا أمر بأخذ نموذج
من تلك الصورة بواسطة أحد صناع أصفهان
في أقرب وقت ممكن . وعند ما وصلت الصورة إلى
طهران أرسلناها إلى السفير الإنكليزي وقتلنا له :
إن الشاه قبل أن يراه في ثيابه التي اعتاد السفراء
لبسها في البلاط الفارسي ، وإن نموذجاً منها مرسل
إليه ليرتدي هو ورجاله على مثاله وليقابلوا الشاه بهذا
الزي . ولم يكد الأشقياء الملاعين أن يروا الرسم
ويسموا خطابنا حتى علا صرخهم وكثر صياحهم
بشكل لا يمكن وصفه ، ثم قالوا لنا : « إننا لن نضع
هذه الثياب على أجسامنا » . وأصرروا على البقاء
بزيهم المتداد واضطروا أخيراً إلى الإذعان لرغبتهم
ساد السكون والهدوء بين القوم الذين حضروا
اجتماع السفير بالشاه بشكل لم يكن ينتظر من قوم
جهلاء لم يتمدينوا ، وعجبنا ودهشنا من قوم هذه الجاهل
من الجهل بأحوال المالم ثم يستطيون ضبط شعورهم
والسيطرة على إرادتهم في مثل هذا الاجتماع فلا يحدث
فيه ما يمكن الصفو

وجلس الشاه على عرش من ذهب وعليه حلة
مزر كشة بالياقوت والأحجار الكريمة ذات البريق
الذي يخطف الأبصار والوميض الذي يبهز الأنظار

كان الوزير الأكبر هو الرجل الوحيد في فارس الذي له تأثير على الشاه لما انتصف به من الحنق والمهارة وحضور الذهن وقد شغل منصب الوزارة على حكم الشاه لم ترعزعه التقلبات عامة كانت أو خاصة ولم تضعف نفوذه التغيرات فأصبح أئمة لفارس من أي رجل آخر

فأريت أن أول ما يجب أن أحاوله هو كيف أمال رضاء الوزير الأكبر عني وحمايته لي . وبدأت بالظهور أمامه يومياً ، وإذ كانت مسائل الأوربيين قد شغلت كثيراً من اهتمامه فقد كان يراني إلا سألني عن شيء من شئونهم ، وأدى ذلك إلى أن الوزير الأكبر كان يبعد إليّ رسائل إلى السفير الإنكليزي أعود إليه بالإجابة عليها مضيئاً من عندي مديحاً للوزير وإطراء وإعجاباً به وبقدرته العظيمة وتدخلت بين الأحزاب وغدوت محبوباً مقرباً من كبير الوزراء

وكان أحب ما تصبو إليه نفس الوزير أن تهدي له الهدايا ، فعملت هذا الأمر قبلي في علاقتي مع سفير الإنكليز وبذلت جهدي في الحصول منه على شيء يقدم للوزير فيرضيه ويكون مساعداً لي على نيل الخطوة لديه ، ولم يكن تبادل الهدايا إلا أمراً عادياً لا يجلب مظنة ولا يثير شبهة فالتفت كل اعتيادي في خدمة نفسي على هذا الأمر . وكنت قد نجحت مرة أو مرتين في المفاوضات لصالح أمتي ووطني ، فكان الوزير الأكبر ينظر إليّ بإعجاب وسرور

وكان في النية عقد محادثة مع الإنكليز وعين رئيس الوزارة مفوضاً من قبل الشاه فأخذت أحوم حول المفاوضات والمفوضين ككاتب يبحث عن قطعة عظم ، رغم أنه لم يكن لي أي عمل في المفاوضات ، وكنت أشعر بين آونة وأخرى بأنني على باب النجاح

أن الشمس لا تظهر على ربوعها : « كيف يمكن أن يشبه قوم يحيط بهم المياه ولا يشعرون بحرارة الشمس قوماً لا يمر بهم يوم لا ينعمون فيه بأشعة الشمس ويكادون لا يعرفون ما هو البحر — غير أن السامة أرضايم وأقمهم قول بعضهم : « إن كفر القوم وجحودهم أنزل عليهم اللعنة حتى في دنيايم ، ولو أسلم السفير وأتباعه وأمتة أيضاً واعتنقوا الدين الصحيح لتفيروا جميعاً في لحظة عين وأصبحوا مثلنا وزال عنهم ناهم فيه من نجاسة وأقدار ولكن ما لم الجنة في الآخرة يوم يسكنها الله عباده الصالحين

الفصل الثامن والسبعون

عاجي بابا تلخظ غناية كبير الوزراء

كان ما تقدم مساعداً لي على التقدم معيناً على النجاح فقد عهد إليّ بمعظم ما يتعلق بالأوربيين في فارس من الأعمال نظراً لما ظن في من العلم بأوربا والخبرة بشئونها وأدى ذلك إلى أن أسير معروفاً عند كبير الوزراء وزملائه الوزراء وذوى النفوذ والقوة في الدولة

ولم يكن ميرزا فيروز صاحب ثروة ، وانقطع عنه ما كان يعطى له نظير قيامه بأمر الدولة بعد عودته إلى طهران فم يستطع وهذا أمره أن يمدني بما أحتاج إليه للعيش ، وقد سررت أنه رأي أن قادراً على كسب قوتي والعمل لنفسى في الحياة . غير أنه لم يترك فرصة تمر إلا وامتدحتني فيها ممدداً مناقبي وكفايتي ذا كراً جدي واجتهادي ، وقد رهنحت على صدق ما قال عني فلم أهل ولم أهاون حتى أكتب رضاء الكل وأن أحول نظرم إليّ مسلمين وغير مسلمين فهجرتي نفس الطالع وتركني الشؤم

ما لا يمكنني أن أقوله . هل فهمت ؟ »
 فقبلت يده باحترام ورفعتها إلى رأسى قائلاً :
 « اطمئن ياسيدى وأقسم إننى إن شاء الله حامل إليك
 أحسن الأخبار ، ومبيض وجهى عندك »
 وانصرفت من لدن الوزير وقصدت إلى دار
 السفير الإنكليزى ، وكلى آمال طيبة فى حسن
 المستقبل . ولست أريد أن أذكر ما قلت وفعلت
 لأقنع السفير بموافقة رئيس الوزارة على آرائه غير
 أننى نجحت نجاحاً باهراً ، وعدت أحمل فى يدي
 كيساً مملوئاً بالذهب .

دهش الوزير الأكبر عند ما رآنى ألقى بالكيس
 أمامه ، وجعل ينظر إلىَّ ثم إلى الكيس مدة قبل
 أن ينطق بحرف ثم انطلق يمدحني ويقرظ ذكائى ،
 وقال : « حاجى بابا ! إنك أصبحت لى وحدى ولست
 أتركك دون أن أكلفك قتمن على ما شئت »

فقبلت أذكر له أننى خادمه الأمين وتابعه المخلص
 وأننى لم أفعل غير ما يحتمه علىَّ وأجبنى وأنى لا أطلب
 غير سماحه لى بالوقوف أمامه . فظهرت بظهور من
 الإخلاص للوزير والأمانة لا يمكن أن تتطرق إليه
 الريبة ، غير أنه فهم ما وراء هذه الكلمات وقال لى :
 « لا تسترسل فى كلامك على غير جدوى . لقد كنت
 أبحث عن رجل مثلك بحث اليأس حتى وجدتكَ ،
 وأنا أعرف قيمة الخدمة التى أدتها . تقدم بايَّ »
 فى طريقك الذى بدأت تحت حمايتى ورعايتى ، وعليك
 بالفرح فاسلب منهم ما تشاء فإن الذهب مقدس
 فى خزائهم ، وهم فوق ذلك محتاجون لينا . وماذا
 أقول لك أيضاً ؟ إن أهل إيران كالأرض العطشى
 يفعل فيهم الذهب ما يفعله الماء فى الأرض . يتظاهرون
 الفرج بالشعور القوي والإحساس الوطنى ، ولهم

وأخيراً أرسل إلى كبير الوزراء يطلبنى فى صباح
 أحد الأيام بعد جلسة استمرت طول اليوم السابق
 فى المفاوضات . وأمرت أن أقابل الوزير فى حجرته
 الخاصة التى لا يدخلها أحد غير الأخصاء من أتباعه
 وجده لا يزال فى فراشه ولم أجد معه أحداً
 آخر ، حين رآنى قال بصوت لطيف : « حاجى بابا !
 اقترب منى واجلس بجانبى إذ لى من المهام ما أريد
 أن أحدثك به »

عند ذلك شعرت برهبة وخجل غير أننى لم أستطع
 إلا الركوع بجانب الفراش إذ كان كلام الوزير
 بصوت منخفض جداً لا يكاد يصل إلىَّ . لم يبدأ
 الوزير كلامه بمقدمة ولم يستهل أى استهلال بل قال
 إنه فى مركز حرج جداً إذ طلب السفير الإنكليزى
 مطالب لا يمكن قبولها ، وقال إنه سينادر طهران
 إذا لم تقبل مطالبه

ثم قال الوزير : « وقد هددنى الشاه بقطع رأسى
 إذا سمحت للسفير بترك طهران ، ومن جهة أخرى
 فأننى والنفوس الآخر الذى يشاركنى مقتنمان تقريباً
 بأن الشاه لا يمكن أن يوافق على مطالب الإنكليز
 فما العمل ؟ »

فقلت بمخضوع وكأنا كان لكلماتى معنى آخر
 غير ظاهرهما : « ألا يمكن أن نرشوه ؟ »

قال الوزير : « نرشوه ؟ من أين تأتى بالرشوة ؟
 هذا إلى أن الإنكليز قوم أغنياء فلا يقبلون الرشوة .
 ولكن أصغ إلىَّ . إننا لا نشاركهم فى هذه التباوة .
 والسفير يريد أن ينال مطالبه بأى ثمن . وأنت
 بلا شك تعلم أننى ما تناولت أمراً إلا وأنجيزه ، فانطلق
 إلى السفير وكله بما لك من حق صداقته . قل له
 إننى مرسلك ، وإن فى استطاعتك أن تقول له

الأجسام وخيث الأرواح وبأن مصيرهم جهنم وبئس المصير .

وليس من شأني أن أبحث في طبائع هؤلاء الناس ولا في أذواقهم بل كل بحثي منصرفاً إلى كيفية الحصول منهم على المال . وقد أنتج عملي وأثر وعاد على بلال الوزير فلم يذهب تلمي سدى

ويذكر القراء عموماً أنني تحدثت في جزء سالف من هذا الكتاب عن طبيب أجنبي كان يحاول أن يوجد في فارس طريقة لملاجج الجدرى بالتطعيم

لم تنجح طريقته نجاحاً كبيراً وظلنا نعالج أطفالنا المرضى كما كان آبائنا يعالجوننا . ولكن الطبيب كان يظهر شغفاً شديداً بتحقيق فكرته ونشر طريقته .

وكان يخاطب بنفسه كل سيدة يتمكن من رؤيتها في وجوب التطعيم بمصل الجدرى حرصاً على حياة أبنائها . وقد رأيت أن في تقربه من النساء بهيئته الوسيلة خطراً عظيماً على الآداب مهما كان السبب الذي يتدرع به فأقنعت رئيس الوزارة بأن يجعل جندياً على باب هذا الطبيب لمنع كل امرأة من دخوله وكان هذا العمل قاضياً على كل أمل للطبيب فأدخل الطبيب على نفسه

فذهبت إلى هذا الطبيب الأحمق وقلت له : ما الذي يدعوك إلى الحزن مع أنك لم تستفد مالا في مقابل تعبك ؟

قال لي - وكان قد تامل لفتنا - وبذلك إنك لا تعرف معنى لما تقول . إن طريقة التطعيم يجب أن تتم في جميع البلاد لإيقاظ الأطفال من الموت

قلت : « وما الفائدة من ذلك ؟ لماذا لا يموتون وهم أطفال وأى نفع جيننا من حياتهم ؟ »

قال : « إذا كنت تريد النفع والفائدة فاني أدفع

إنما يخدمون مصالح بلادهم في كل عمل أو قول أو حركة ، وهذا لعمري ما لست أفقه له معنى . من يدري بعد موتي أو موت الشاه أن إصلاحاتنا باقية وأعمالنا لا تذهب بها الأيدي العائية ؟ إن للوطن رباً يحميه ويقيه كيد الكائدين ، فبئس ما يقول السكابدون إنهم يخدمون أوطانهم إذ ليس لفرد أن يفهم ما هي هذه الخدمة فكيف يقوم بها ؟ »

وكأنما أزال كلمات السفير حججاً كان فوق عيني ، وفتحت لي طريقاً جديدة للكسب ورنث في أذني كلمات الوزير : « إن الذهب مكسوس في خزائن الفرنج وهم محتاجون إلينا » وإلى هذه الناية وجهت عنايتي ...

الفصل التاسع والسبعون

لا قيت صعوبة كبيرة وبذلك مجهوداً عظيماً إلى أن توصلت إلى الإعلان عن نفسي في المدينة أنني صاحب الوزير الأكبر المقرب إليه ونشرت بين الفرنج أن أسراً واحداً لا يمكن إنجازه من غير وساطتي ، وسرعان ما أنتجت هذه الشهرة نتائجها وأغرمت ثمرها . وأخذت تنكثر لدى الطالبات بما يتيمها من الأجر والمنفعة . وكان أظهر ما في طباع ضيوفنا الإنكليز ميلهم الشديد إلى منفعتنا رغم إرادتنا غير مباليين بما يصرفونه في هذا السبيل ورغم ما نقوله نحن عنهم

وكانوا يشعرون نحونا بما لم نشعر به نحو أنفسنا من الود والمنفعة . ولم نستطع رغم ما بذلناه من بحث وتفكير أن نستكشف السر الذي حدا هؤلاء القوم إلى السعي في مصالحتنا ذلك السعي الشديد - نحن الذين لم نقطع قط عن رميمهم بالكفر والإلحاد ودين

كانت من الأطعمة التي تزرع في بلاده ولا يوجد مثلاً في فارس، وقد قال إنه يريد مساعدته على تعريف الناس بها لتكون أساس تجارة واسعة بين البلدين فامتص رئيس الوزارة وكلفني أن أذهب إلى السفير وأخبره بأن الأرض الفارسية ممتلئة بالخيرات وأنه لا يقبل مثل هذه الهدية بل يريد هدية من القماش الثمين الذي لديه

ولما أبلغت هذا القول إلى دار السفارة ضحك الشبان الذين فيها والذين ليس لهم لحي ولا شوارب وقالوا: «هل يريد رئيس الوزارة أن يحيل أغذية يستفيد بها الشعب إلى كساء يضعه على ظهره؟» وضحكوا ضحكاً عالية مني ومن الذي أرسلني ولكن السفير نفسه كان أعقل بكثير من هؤلاء الشبان تقابلي بمجتعي الأدب وأمر بتسليمي ما طلبته من الثياب، وفي الوقت ذاته أبلغني أن يسترد البطاطس الذي أرسله وطلب توزيعه على الشعب قائلاً إن هديته إلى الوزير علامة على الصداقة وهديته إلى الشعب برهان على الاحترام والتقدير

ولما عدت في ذلك اليوم إلى رئيس الوزارة أطرائني وامتنحني وقال إن منزلي عنده أكبر منزلة وإنني سأظل أقرب أخصائه ما بقي على قيد الحياة

الفصل الثمانون

الطائر

كادت تنتهي المفاوضات التي بيننا وبين الكفار على أن يرسل الشاه سفيراً من قبله إلى بلاد الإنكليز لتقوية الروابط بيننا وبينهم. وكان كل يوم يمر يزيد في إقناعي بكبر المنزلة التي نلناها عند رئيس الوزارة وكانت حاجتي إلى مساعدتي تزداد ظهوراً وجروراً الأيام

لك المبلغ الذي يطلبه وتركي أعود إلى نشر العمل الذي لم تكن ترى فيه فائدة قبل الآن»

هنا بدأت مفاوضات منه وأظهرت له مقدار المخاطرة التي أتحمّلها بالتكلم في شأنه مع رئيس الوزارة ثم اتفقت معه في النهاية على المبلغ وبعد أيام عاد الزحام على بابي ولم يقل أحد أي شيء عن مخالفة الآداب بمقابلة الطبيب للنساء

ومن حقايق هذا الطبيب أنه طلب تشريح الجثث الآدمية فقلت له: «هل تدعي في هذا الموضوع أيضاً أن العالم سيستفيد من تقطيعك أجساد المسلمين؟» فقال: «يستحيل أن تقدر الفوائد التي تعود على الإنسانية من علم التشريح ويستوى عندي تشريح المسلمين والنصارى واليهود»

ثم عرض عليّ مبلغاً كبيراً لأسمح له بذلك فهدت له الطريق وصرت أشق غيظي من الكفار بتقديم جثثهم إلى الطبيب لتشريحها وفي الوقت نفسه أجمع ثروة طائلة من هذا الطريق

ولقد كان السفير نفسه يزعم أنه يريد الإصلاح لبلاده وأنه سيخدم الإنسانية بتنفيذ مشروعاته في هذه البلاد، وكانت لمجته كهجة الطبيب وقد طلب إليّ أن أساعده على عمل آخر عند رئيس الوزارة ووعداً بهدية كبيرة جداً، ولما كان من عادات رئيس الوزارة أن يظل أنه غالياً مادام في الجو هدية فقد استمر يسألني كل يوم عن هذه الهدية بعد أن قصصت عليه الحديث الذي دار بيني وبين السفير وقد علم أن السفير أحضر من بلاد الإنكليز مقداراً عظيماً من المنسوجات الغالية وكان الوزير شديد الشغف بالثياب الفاخرة لكن الهدية التي أرسلها السفير من تلقاء نفسه

على الكذب والاختلاق . وقد أظهر الشاه من السرور به أكثر مما أظهر من السرور بأى إنسان . وقد سمعت أنه يضرع لى عداة شديداً وإن كان يظهر بأنه خادم مطيع ولم يجرئ إلى الآن على إعلان عداوته لأى إنسان أو على الدس ضد أى أحد . ولكننى لا أزال خائفاً منه حتى رحل عنا، فتنى بعد عن وجه الشاه السفر إلى بلاد الكفار استرحت من أكبر مسبب لتابعى وسأدر فى غيابه الخطط حتى إذا ما عاد طافراً من مهمته (وأسأل الله ألا يعود) لم يجد مثل ما له الآن من النفوذ »

وافقت رئيس الوزارة دون تردد وإن كان ضيقى غير مستريح إلى أى عمل أقوم به ضد هذا السفير الذى كان أصل نعمتى

وقال لى الوزير : « إننى لم أطلعك إلا على جزء من مشروعى فأنى أريد غير ما أخبرتك به — أن تذهب أنت أيضاً مع السفير بوظيفة السكرتير الأول وأنت جدير بهذا المنصب لما لك من الإخلاص والمعرفة التامة بما أريده ، والخبرة بمختلف الشؤون » ولقد سرتى تقليدى هذا المنصب ، ولكن لمرضه فى وقت واحد مع منصب أكبر منه ، واختيارى لأصغرهما امتنع ، وكنت من جهة أخرى أفضل البقاء فى إيران ما دمت لى أمان منصب السفير فإن مجال

الكسب والعمل فيها أكبر من مجالهما فى المنصب الذى اختاره لى . وكنت لا أزال أذكر أن ألم الغربة ، وأخشى أهوال البحر فى رحلة طويلة إلى بلاد الإنكليز التى سمعت عن ظلالها وبردها ما يفضنى فيها وعلمت من جود أهلها وتقلهم ما جعلنى أتصور الإقامة بينهم فوق الطاقه . وعلى أية حال فقد أجيبت

وفى اليوم التالى لتوقيع المعاهدة مع انكليترا استدعانى إلى غرفته الخاصة وقال لى : « أصغ إلى حاجى بابا فإن لى حديثاً هاماً أريد أن أحدثك به ولما كنت وأتقاً منك فأنى مقدر ما سبديه من الاهتمام »

فأظهرت له أننى عند ظنه وأكدت له ولائى وطاعى فقال : « سواء أكانت المعاهدة بيننا وبين الإنكليز حسنة أو سيئة فإنها قد تمت وقد قرر الشاه أن يرسل من يثقله لوندرا . وأنت تعرف الفارسيين كما أعرفهم وتعرف أنهم لا يقيمون مفادرة بلادهم وستجد صعوبة كبيرة فى اختيار من يصلح لهذه السفارة ممن يقبلون السفر إلى بلاد الإنكليز . وإنى واضع نصب عيى اسم رجل خاص أريد أن يفارق البلاد الفارسية بأسرع ما يمكن وأريد أن تبذل كل ما فى وسعك لإقناعه بقبول هذا المنصب »

فهمت لأول وهلة أنه يريد لى إرسالى وتقليدى هذا المنصب ، ولكننى لم أفهم لماذا يريد إخراجى من فارس . وعلى كل حال فأنى لم أشأ أن تفوتنى هذه الفرصة فأظهرت أننى فهمت وأننى شاكر ودعوت له ودعوت منه وقبلت يده وقلت له : « إننى عبدك الخاضع وسأبرهن فى كل موقف على خضوعى لك وولائى . منى وستجدين مطيعاً ولو أدى ذلك إلى موئى »

قال : « هذا كلام حسن يا حاجى بابا والرجل الذى أعنيه هو ميرزا فيروز »

فظهر التجهيم على وجهى وبنت على علام الأياس واستمر رئيس الوزارة يقول : « لقد وجدت نفوذه لدى الشاه أخذاً فى الازدياد ، وهو رجل قادر على الكلام والإقناع ، وهو داهية فى الرياء قادر

والخاطرات؟ وهل سأقطع السنة الذين كانوا يشتمون في ويميروني بأبي ابن حلاق أم سأزيدم شجاعة في؟ وأخذ فكري يحوم حول هذه الخواطر ومتشيت في الطريق متفخخاً بمجالة تسنلت الأنظار . وكنت أحلم بحسيري على جواد مطعم في أصفهان وتحتي سرج موسى بالذهب وفي يدي لجام مذهب وحول الجنود يحرسوني . وصلت إلى بيت ميرزا فيروز فوجدته مستعداً للكلام معي في شأن السفارة وظهر لي أن السفير الإنكليزي كله في نفس الموضوع التي كافني رئيس الوزارة بالكلام معه فيه، وقد سهل عليّ موقف الذي كنت أستصعبه أن ميرزا فيروز أظهر سروراً

شديداً واعتباطاً بمنصب السفير في لوندرة ، وقد سألتني هل أريد بعد أن استمدت مكاني أن أعود إلى زوجتي شكرليپ، فتخرجت من الجواب على هذا السؤال لأنني كنت أكره الذكرى السيئة .

وفي اليوم التالي أعلن الشاه أنه اختار ميرزا فيروز ليكون سفيراً في انكلترا . وصدر أمر رئيس الوزارة بأن أذهب إلى أصفهان لجمع الهدايا من هناك ولست أريد أن أجهد القاريّ بذكر التفاصيل عن هذه المهمة ويكني أن أقول لأنني سافرت إلى أصفهان كما يسافر إليها رجل كبير الأهمية وإنني كنت مغمم النفس بشعور من العظمة والجلال لا يمكن أن يدركه إلا أناس من الإيرانيين، وقد ظهر لي أن سنو الحظ فارقتي فصرت في مأمن منه ودلتني كل الظواهر على أن صفحة جديدة من حياتي قد فتحت ليكتب فيها القدر سطور السمدة .

ودخل حاجي بابا مدينته باسم ميرزا حاجي بابا نائب الشاه، وهل أريد بذلك أن أقول شيئاً؟

بكلمة القبول التي تمجدها حاضرة على لسان كل فارسي مهما كان شعوره الحقيقي ، وقلت له إنني قابل أمره على العين والرأس ، وإنني سأظل خادمه . ثم سكوت سكوت الحجر الأصم ففهم الوزير سريماً ما عنيته وقال لي : « إذا لم تكن تحب ما عرضته عليك فعندي مناصب أخرى ليس بالصعب تعيينك في أحدها ، ولكنني آرت صالحك ولا يزال موعد السفر بعيداً فاذهب الآن إلى أصفهان مندوباً من قبل الشاه واجمع من أهلها ما تستطيع جمعه من الهدايا لتقدم باسم إيران إلى البلاط الإنكليزي . ولك من هذا العمل مورد كبير للكسب »

لم أزع الوزير يشتم قوله فقد كان اقتراحه بأن أعود إلى مدينتي في مثل هذه المهمة مزيكاً لي وقلت بهلجة من استخفه الطرب : « أقسم بالخيز واللح الذي أكلته عندك وأقسم بحميائك وبرأس الشاه إنني مستعد لتلبية ما تأمر به وسأذهب إلى أي مكان تأمرني بالذهاب إليه ولو أمرتني بالذهاب تحت أطباق الأرض لأنني بشيطان من الشياطين »

وقال الوزير : « حسن ما تقول فاذهب أولاً إلى فيروز خان وأخبره إنه هو الرجل الوحيد الذي يصلح من بين الفارسيين لمنصب السفارة وأقنمه بالفوائد العظيمة التي تعود عليه من قبول هذا المنصب . وقل له إن رجلاً آخر يزاحمه عليه وأنه أعقل من أن يضيع هذه الفرصة فيمنعها منافسه . ومتى قلت له ذلك سهل لإنقائه »

تركت رئيس الوزارة وأنا لا أعلم هل أنا مساعد إلى السماء أم هابط إلى الأرض وهل تحققت كل أطاعي أم سأعود إلى حياتي الماضية الملوءة بالأخطار

وهنا يقول واضح القصة باللغة الانكليزية إنه قد اتبع نصيحة الدرويش الفارسي فلا يعود إلى سرد القصص إلا إذا أعجب بها السامعون، فإن شجته القراء وضع قصة أخرى يسرد فيها حوادثه بعد ذهابه إلى انكلترا وما حدث بعد عودته من انكلترا إلى إيران بعد أن عرف عن الغرب وشئونه ما ليس يعرفه الإيرانيون . وواضح هذه القصة في انتظار تشجيع القراء يستأذنهم في إتمام قصته

ويقول مترجم القصة إلى اللغة العربية إن واضح القصة باللغة الإنكليزية قد وفى بوعده فوضع كتاباً

وستوافي به القراء بعد حين
عبد اللطيف النشار

شركة مصر للملاحة البحرية

شركة مساهمة مصرية

خط رباب فاخر وسريع بين الاسكندرية - منى - مرسيليا وبالعكس

أسعار الصيف ابتداء من ١٥ مايو إلى ٣١ أكتوبر سواء للسفر من مصر أو من أوروبا

(من الاسكندرية إلى جنوى أو مرسيليا أو بالعكس)

الباحرة النيل

الباحرة كوكور

جك

١٦

—

١٠

—

٥

٣

جك

١٧

١٢

—

٩

—

—

كوكور

درجة أولى

درجة ثانية

درجة ثالثة : مغطاة (مساحة)

د ثالثة : (خصوصية)

درجة رابعة

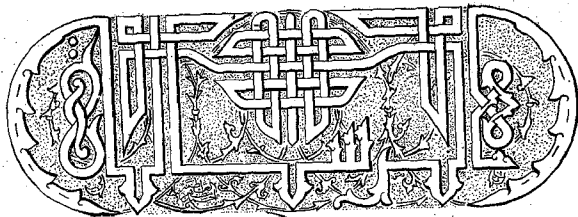
كوكور

ويمتد للذين يستخرجون ثمار كز القهاب والأياب ما خصم ٧٠٪ على قيمة تذكرة الالاب والأجور المبينة أعلاه بالعملة الانكليزية تحصل بواقع ١٧/٢ قرشا للجنبة الانكليزي .

مواهبير السفر من الاسكندرية

الباحرة النيل	١٨ مايو	الباحرة النيل	٢٩ يونيو
د	١ يونيو	د	٦ يوليو
د	٨	د	١٣
د	١٥ يونيو	د	٢٠
د	٢٢ يونيو	د	٢٧

طبع في مطبعة الرسالة بشارع المبردى - عابدية



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ أَسَالِيْبَ الْمَبَالِغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصُّدُ ظَوَاهِرِ التَّطَوُّرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْلُوعَةُ أَعْلَادِ هَادِي وَأَن الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُّ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

«لَشَرَّانِ الْأَخْلَاقِ شَرُّ قَرْنًا» وَالْحَاجِي مَاسَاوِي مِنْهَا مَصْرِيَاءَ ، وَلِلْبَعْدِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَجْلُومِ ٢٠/١٠



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

جلد الاشرافك عن ستة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ تمن العدد الواحد

الادارة
دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الهرولة

مجلة اسبوعية للقصص والنايخ

نصير مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — أول يونيو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٧



فهرس العدد

صفحة	
٥٠٦	الفريرة
٥١٦	أقصصة مصرية
٥١٩	أقصصة عراقية
٥٢١	أقصصة روسية
٥٤٠	أقصصة مصرية
٥٤٤	أقصصة مصرية
٥٥١	أقصصة مصرية
٥٥٧	أقصصة مصرية
٥٠٦	أقصصة مصرية
٥١٦	أقصصة مصرية
٥١٩	أقصصة مصرية
٥٢١	أقصصة مصرية
٥٤٠	أقصصة مصرية
٥٤٤	أقصصة مصرية
٥٥١	أقصصة مصرية
٥٥٧	أقصصة مصرية

ولكن ربما لأنها كانت
أتمسهن جميعاً ولأن تعاستها
هذه كانت السبب الخفي في
سعادتي بها زمناً طويلاً لن
يعود أبداً

ويرجع عهد معرفتي
بها إلى يوم من أيام عام ١٩٢٠
وكنت آنذا طالباً في اللعنة

الشربكة

أقصوصة مختصرة
يقلم الأستاذ نجيب محفوظ

الأولى بمدرسة الزراعة العليا ، استيقظت ذلك اليوم
في الصباح المبكر كمادني غلامتي والدتي وقالت لي :
— حسونه ... أرى أن أخبرك أن ضيفاً نزلت
ببيتنا ، وأنها ربما أقامت بيننا إلى أجل غير مسمى ...
فنظرت إليها بفرابة وقلت لها :
— من هي ...
— ذيب هاتم زوج اليوزباشي محمد راضي جاون .
فاستولت على الدهشة وقلت :
— لكنها ما زالت عروساً في شهر العسل ...
أليس كذلك ... ؟

— هو ذلك يا بني ، والظاهر أنها تسمة الحظ
لأنها اضطرت إلى هجر بيتها والالتجاء إلى في الصباح
المبكر ، وزوجها ولا شك رجل غليظ فظ لا تسهل
معاشرته ، وإلا ما تركها تبهم على وجهها وهو يعلم
أن لا أقارب لها في القاهرة ...
وكانت والدتي شديدة التأثر فقلت :

— مسكينة ...
فقالت بانفعال :
— كانت أم هذه الشابة سديقة صباي ، وإلى

الغالب على أحداث الشبان في هذه الأيام أن تنجس
بحو غرضين : النساء والسياسة ، وحول هذين
الموضوعين دار الحديث في مجتمع من الأصدقاء كان
من حظي المشاركة فيه عدداً ومنصتاً . وقد بدأ الحديث
فأرأيتني لا فم يستطع أن يجيب إلا بعض انتباهي ،
حتى تكلم ذلك الصديق البارع وتدفقت الذكريات
على لسانه الترب فألقيت إليه بانتباهي كله ، لأن حديثه
كان قصة مستوفاة العناصر ، ومثل هذا الحديث
يستبد بمشاعري استبداد المال بقلب اليهودي الشحيح
وإليك ما قصه صاحبي — قال :

لا يكاد يخلو تاريخ شاب من امرأة ، ولكنه
قد يخلو من المرأة المؤثرة التي تترك وراءها شاهداً
عميقاً لا ينال منه طمس السنين كالوشم في اليد
أو الصدر . وقد عرفت نساء كثيرات لا أذكر منهن
إلا أترأ ذاهباً من اللذة أو الألم ، أو أطياكاً غارقة
في الظلام والنسيان ، إلا امرأة ، بدت في فترة من
حياتي كالشوكب الذي ينير أبداً ويضيء ما حوله ،
فلا أنا أنساها ، ولا يفر النسيان حياتي التي غمرتها
بروحها الرقيق ... لذا ... لأنها كانت أجمل من
عرفت ؟ ... أو أحسن إلى قلبي ؟ ... لا أعتقد هذا

عهداً للتقاليد، وكانت المرأة المصنوعة تبدو دغماً وكأنها
عاطة بسمياج من الأسلاك الشائكة . وكان الحب
بمبدأً نسبياً عن التهتك والابتذال الذين صرعا
أخيراً وأورداه الإباحية والجفون، فكانت العواطف
تردهر في القلب وتنبت الآمال والأمانى ، وتنصره
في العقل وتخلق الأخيلة والأحلام ، وتكتسى بحل
نادرة من صنع الأوهام والأطيان ...

فكان يقتنى من زينب نظرة أختلبها من
وجهها الحسن أو جسمها البض ، لتكون زادى
في النهار والليل وفي اليقظة والنوم ، وأصبحت
وأمسيت في عالم أثيرى جميل بث في وجداني حياة
ناضرة كالحياة التي ينشرها الربيع في الحقول
والبساتين . على أن الأمر لم يقتصر على ذلك فجرى
الحديث بيننا مراراً ، ولعبنا الورق مرة والورد
أخرى ... وغالبتي غواطي فوسوست إلى نفسي
أن أنشجع وتساءلت بحيث لماذا لا أجرب حظي .
لماذا لا ألس أناملها في أثناء اللعب مثلاً ؟ أو أهدي
إليها مجدولين فتكون فاتحة حديث لذيذ لا يعلم ختامه
إلا الله ... ولكنني لقيت من التردد الشيء الكثير،
ولم تسمح لي الجراة التي تملتها فيما بعد ، وضاع الوقت
هباء حتى رجعت يوماً إلى البيت ، فوجدت والدتي
وحدها ... وكنت تمودت أن أراها إلى مخاضها ،
فأحسست بوحشة وضيق ، وكتمت رغبة تلج على
بالسؤال لأن تلوث نفسي أفقدني صراحة الأبرياء ،
وظننت السؤال فاضحى ، ولم تدعني والدتي فريسة
المذاب فقالت لي :

— شكراً لله فقد جاء جارنا الضابط واعتذر

أرجو صادقة أن تمشي بيننا سميحة ...

ثم أردفت بلهجة ذات مغزى

— وأن تكون لها يا حسنة أخاً كريماً ...

وبادرت قائلاً :

— طيباً ... طيباً ... يا أمه .

وذهبت إلى المدرسة وأنا أذكر كلمة والدتي
الأخيرة واللهجة التي قالتها بها ، وأحسست بمزيج
من الحجل والغضب . ترى هل تشفق والدتي من
سلوكي على ضعفنا ؟ ثم خطر لي أن أتساءل - هل
هي جميلة إلى حد تبرير والدتي ... حامت أفكارى
حول ذلك طول الطريق من مصر الجديدة إلى الجزيرة .
والحق أن كلمة والدتي البريئة أوجدت في نفسي منذ
البداية الاستعداد الذي كانت تشفق منه أيماء إشفاق .

وكان جو بيتنا غاية في الهدوء ، فوالدى كان
حينذاك قاضياً بمحكمة طنطا الأهلية ، وكان يقم نصف
الأسبوع في القاهرة ونصفه الثاني في محل عمله ؛
وكان أخى على في المدرسة الحربية ، وأخى عادل
في بثمة مدرسة الطب بالتمنسا . وفي ذلك الجو الغمور
بالهدوء والسكينة عرفت زينب هائم المروس
التعسة ... وقد خيل لي وأنا أتق عليها النظرة
الأولى أنى أرى صبية صغيرة . ثم كانت بضعة ممتلئة
بادية الأنوثة ، ولكنني قرأت في عينيها المسلمين
نظرة براءة وسذاجة . بل طفولة كاملة لولا ما يلوح
فيها بين العين والعين من الحزن العميق الذي لا تعرفه
الطفولة الحقة ...

وكان الشباب في ذلك العهد غيرهم الآن كانوا
أعظم استقامة وأدنى إلى العفة والطهر ، وأدعى

زوجوه وعاد بها لأنه نقل إلى أسيوط وقد كلفتني أن
أهدي إليك تحياتها ...

— هذه فرصة سعيدة

— يا حظك ...

— أى حظ تمنى ... أنت تعلم أن موظفى
الزراعة لا حظ لهم يحسدون عليه

فقال ضاحكاً :

— أنا لا أتكلم عن السكادر ... ولكن عن
فوزك بهذه الحجرة ... فيا حظك ...

— وما الداعى إلى هذا الحسد ... هي حجرة
دون حجرات الصف المقابل التى تطل نوافذها على
البحر ...

— هذا حق ، ولكن شرفها خمس شرفة
الحجرة رقم ٢٤ التى إلى يمينك ؛ وحسبك هذا ...
— وما شأن الحجرة رقم ٢٤ ... ؟
فقال وهو يتنهد :

— تقيم بها امرأة حسناء وحيدة ...
— وحيدة ... ؟

— نعم ... وإلى هذا يعود السبب فى أن
حجرات هذا الطابق مأهولة كلها

— لعلها ممثلة أو راقصة ...

— هو ما يظنه الرقم ٢٧

فقلت مستفهماً :

— الرقم ٢٧ ... ؟

— أعنى زميلتى الدكتور الصوائف المقيم فى
الحجرة رقم ٢٧ ، ولكنى لم أوافقها على ظنه ، لأننى
خبر بالصالات والمراقص جميعاً . والأعجب من هذا
أنها تبدو محترمة ولا ينقصها إلا زوج لتكون من
المصونات حقاً

وأحسست فى الحال إحساس الطالب الذى
يعنى بالسقوط فى الامتحان وهو يحلم باختيار الوظيفة
اللائقة به . وضاق صدرى ذلك اليوم بالبحث ففكرت
إلى الخارج لأخلو إلى نفسى بعيداً عن عيني والدنى .
على أن الصبا دائماً قادر على جرف الأحران والمهموم
فاستطلعت أن أبرأ فى مدة وجيزة ونسيت فى غمرة
الحياة والآمال تلك الحسرة التى عصرت قلبي أياماً
فكانت مثل « الزكام » الذى يفقد الإنسان طعم
الحياة حينما يزول سريعاً فكانه لم يكن ...

ودارت الأيام وانتهيت من الدراسة وحصلت
على الدبلوم ، ووظفت فى وزارة الزراعة سنة ١٩٢٥ ،
ثم انتقلت إلى تفتيش الإسكندرية بعد ذلك بخميس
سنوات . وفى الأيام الأولى لمبوطى إلى الإسكندرية
آثرت أن أنزل بفندق لأستريح من وعناء السفر
وأبحث فى هدوء عن مسكن مناسب ؛ ووقع اختيارى
على فندق (ريش) لحسن موقعه من البحر لأننا كنا
فى سبتمبر وهو من الشهور المحبوبة فى الإسكندرية
يطيب فيه الجو ويهدأ البحر ويصفو ؛ فحملت حقائقي
إليه ونزلت فى حجرة من حجرات الطابق الثانى .
وأذكر أنه لم يكده يتركنى الخادم وينلق وراءه الباب
حتى سمعت طرقة فدخلت إلى الباب وفتحته ورأيت
لدهنشيتى صديقتنا الدكتور أحمد شلبي ، واستقبلته
يشوق وأجلسته إلى جانبي وكان يقول لى :

— أحقاً هو أنت ...

نم أردف :

كنت تاركاً باب حجرتى مفتوحاً فلمحتك

بقلب خافق أن أطالع في وجهها آية التذكر، وتعمقت
 للسلام ولكن خاب رجائي، لأن نظرتها كانت جامدة
 لا حياة فيها ولم تلبث أن ولتني ظهرها وعادت
 من حيث أنت. وأأسفاه لقد نسيتي بغير شك ...
 وما من شك في أنها هي جارتنا القديمة وهي ما تزال
 تحافظ على جاهلها وأنوثتها، ولكن مالها تعيش
 وحدها في هذا الفندق ... وما الذي يحملها على هذه
 الوحدة الغريبة ... وأن زوجها يا ترى ...

وطال تفكيري في شأنها حتى قمت لارتداء
 ثيابي وغادرت حجرتي، ونشأت المصادفات أن يفتح
 باب حجرتها على أثر خروجي مباشرة، فتباطأت
 في خطاى حتى حاذقت وهبطنا الأدراج معاً ووجدت
 في نفسي رغبة شديدة في محادثتها ولم أكن أحجم
 في مثل ذلك الموقف فقلت لها بهدوء غريب :

— سعيدة يا هانم ... لملك تدكريني ...
 ففجعتني بنظرة إنكار، ولعلها ظنت أني أئذرع
 بالحيلة لاستدراجها إلى محادثتي، وأسرت الخطا
 فلحقت بها عند باب الفندق وقلت لها :

— أهكذا تنسيت جيرانك بسرعة ...
 ألا تذكرين جرم حسن بك هام القاضي ؟ ...
 فالتفت علي نظرة غريبة ولاحت في عينيها
 الأحلام وسمعتها تنتم :

— عدالات هانم ... شارع الزقاقين ...
 فقلت بفرح :

— نعم، هذه والذتي ... وهذا شارعنا ...
 فمشت لي وسارت إلى جانبي وهي تقول :
 — أأنت ابنها ؟ ... تذكرت ... كيف حال
 عدالات هانم ؟ ...

فابتسمت وقلت :

— عند الامتحان يكرم المرء أو يهان

— أوه ... كل الأرقام تطاردها مطاردة عنيفة

— ألم يفز أى رقم منها بظائل ... ؟

— في الظاهر لا، والله أعلم بالسرائر

وجالسى الصديق ربع ساعة، تحدثت فيها
 ما شاء له الحديث، ثم ودعني وانصرف إلى حجرته.

وكنت نعباً منهوك القوى ففنت ساعة نوماً عميقاً
 واستيقظت عند الفجر، وفتحت شرفتي وجلست
 فيها أستروح هواء البحر النعش. ولاحت مني
 نظرة إلى الشرفة التي إلى يميني، فتذكرت ما قال
 صديق الدكتور، وأدمنت النظر إليها باهتمام وشغف؛
 ولكنني استرددت نظري بسرعة لأنني سمعت صرير
 بابها وهو يفتح، ونظرت أمامي، ولحظت بروز
 شخص، وخيّل لي أنه امرأة، وتأكّد ظني
 عند ما عطلت، وحافظت على جودى وتظاهرت
 بعدم الاكتراث ... وغالباً ما يفيد البرود وهو
 إن لم يفد يمز عن الخيبة ...

ولكنني لم أثبت طويلاً، ونازعني الشغف إلى
 النظر فألقيت بصرى إلى جارتى. ورأيت امرأة أول
 ما رايتها منها شعور بعدم الغرابة سرعان ما تحول
 إلى يقين بأن رأيتها من قبل، وأنا أتمتع بهذاكرة
 لا تحب قط في حفظ الصور فلم أثبت أن ذكرت ...
 ذكرت جارتنا القديمة ... التي عاشت معي في بيت
 واحد بضعة أيام كانت كافية لإنضاج وجداني ...
 وتلكنتي الدهشة والاهتمام ...

ولاحت منها نظرة إلى فالتفت عيناها، وتوقفت

- فضحكت ضحكة رقيقة وقالت :
- لا ينقصك إلا أن تفتح محضراً للتحقيق
وتطالبني بالشهود ...
- نفجلت من فضولي ، وضحكت أداري خجلى ،
ولم تكن عواطفى تكف عن الطينيان قلت :
- ألا يحسن بنا أن نبحث عن مكان صالح
للجلوس ...
- فهزت رأسها وقالت بمناد طريف :
- كلا أنا أفضل المشى لأنى أريد أن أنحف
فنزرت إلى جسمها البض المثلج نظرة معذب
ووجدت فى كلامها فرصة ذهبية لا يبنى أن تقلت
منى فقلت بإعجاب :
- وما جدوى هذا التعب ... إن جسمك
كامل الفتنة ...
- فألفت على نظرة جمعت بين الانتقاد والدلال
وقالت وهى تشير إلى جسمها :
- هذه موضة قديمة
فقلت بحماس :
- هذا جميل وكفى ... وما عدا ذلك فلا وزن
له عندى .
- وعند الناس ... ؟
- نعم وعند الناس ... كنت أنسى هذا ، إذ خيل
إلى الوم الساحر أنى صاحب الشأن الأوتد ، وعلى
أنها قالت ما قالت وهى تبسم إلى ياغراء ، فاستخفى
الوم مرة أخرى واشتد به الطمع فقلت :
- أنت لم تتنبرى فى هذه الفترة الطويلة وكان
التي أراها الآن هى السيدة الجميلة التى أشرقت بفتة
- فقلت بسرور وقداً يقطصونها وجدى القديم بها :
- والذى بغير ... كيف حالك أنت يا هاتم ؟
- عال ، ولكن أين عدالات هاتم ؟ ...
- هل أنت هنا وحدك ؟ ...
- نعم ، الأسرة فى رأس البر لأن والدى
يحبها ويفضلها على الاسكندرية ، وأنا هنا بحكم عملى
— نسيت اسمك ...
- حسونة ...
- وكنيت نسيت اسمها كذلك ولكنى نفرت بطبعي
من سؤالها عنه ، فشيت إلى جانبها صامتة وكان
وجدانى فى بقطة قوية ، وأصارحك القول بأنى من
الذين لا يملكون عواطفهم إذا خلوا إلى امرأة
أيا كان مجالها ، وأن رغبتى فى النساء عامة لا تعرف
التخصص ، وقد كنت قبل نحو عشرين عاماً
ذا استعداد للحب ، ولكنى فقدت بمرور الزمن وإطراد
التجارب وكثرة الأهواء تلك الموهبة الجميلة ودنوت
كثيراً من الحيوانات الراقية . وكنيت فى ذلك
الوقت خاطباً ، وكنيت اخترت خطيبتي من بين
عشرات الفتيات ولكن ذلك لم يمنع قلبى — ذلك
اليوم — من التعلق السريع بتلك المرأة ومعاناة الرغبة
والطمع ، قلت لها :
- أنت وحدك هنا ؟ ...
- فقال بلا اكتراث :
- نعم !
- وزوجك ... ؟
- فى السلم
- ولماذا تمشين وحدك ... ؟

فتهدت وتعمدت أن أسمعا نهدي ثم قلت :
— فليكن ... ألا ترين من الحكمة أن
(ترك) فندق ريش ... ؟
— ترك ...

— نعم ... أنا أعني ما أقول ، وأعرف فندقاً
هادئاً في لوران فـأ رأيك ؟

ولم تجيبي ، ولأزمت الصمت حيناً ، وبدأ على
وجهها الاهتمام والتفكير ، تنفق قلبي وساورني
الخوف والقلق ؛ ولكنني أحسست فجأة بذراعها
تلتف بذراعي وسرنا مشبكين كالشاق أو الأزواج ؛
فأتلج صدري وغمرني الفرح والنور ، وقمت بذلك
جواباً ...

وفي مساء ذلك اليوم افتتحنا معاً مأدبة الحب ،
فعدنا إلى ريش وأخذنا حقائبنا ورحلنا إلى لوران
وزلنا في فندق أكس لاشابل ، وهو فندق هادي
منعزل يقوم على شاطئ البحر كزاهد عازف بولي
ظهره تضييع الحياة ويستقبل أفق الأبدية والأحلام
وعشت أياماً أذكرها دائماً كما يذكر السقيم
عهد الصحة والمافية ؛ كان الحب فيها الحاكم القاهر
المستبد الطاغى الذي لا يترك شيء مكاناً من عقولنا
أو نفوسنا ، وكنت أعلم أنها أيام وإن طالت قصار ،
وإن صفت فإلى انتهاء مريع ؛ فأقبلت عليها بنهم
وجشع ، أملأ من حسناتها قلبي وحواسي ، كيلا أدع
زيادة لمستريد ، غير مؤجل متعة إلى غد أو مبق على
لذة إلى حين ، أو تارك ثمرة بلا قطف والتهام ... وكانت
شريكتي سعيدة راضية يسكرها الحب وتستحقها
آيات العطف ، فتستريد منها كما يستريد النمل من الطرب
وتبين لي بغير كبير عناء أن آمالنا متباينة ،

في بيتنا بمصر الجديدة منذ عشرة أعوام ، وغربت
بفتة كذلك فتركنتي أحلم بها أياماً وشهوراً
فنظرت إلى يخبث وقالت :
— يالك من ما كر ...
فقلت ضاحكاً :

— ما وجه الغرابة في ذلك ... من يرى هذا
الحسن ولا يتمناه ؟

— الظاهر أني سأجد من الواجب أن أفاركك
لأنجو من أمانيك ...

— حاشا أن تفعل ... بل حاشا أن أتركك
تفعلين . إن فوزي بلغائك بمد هذا الغياب الطويل
نعمة من البطر الشرير الكفر بها ...

— إنك تحمديني كما لو كنا عاشقين افتراقاً ثم
تلاحياً ...

— هذا شعوري بحق ...

— هو أدنى إلى الوم

— أما من ناحيتي فلا ...

— وأما من ناحيتي فنعم ...

ولكنها قالت ذلك بدلال ورقة ، وهي تبسم
ابتناسمة عذبة تسيل اغراء (فلمت أن يمينها لم تخرج)
ولم أدهش لما تبدي من استسلام لأن حالتها في الواقع
كانت تدعو إلى الريبة ، وتذكرت ما قال صديق
الدكتور شلبي فقلت :

— إنني أعجب لماذا تقيمين وحدك في هذا الفندق ؟

— أراك تمود إلى التحقيق ...

— كلا لا داعي للتحقيق ... ولكنني علمت

أن القيمين بالطابق الثاني يضايقونك ...

— أبداً لهم يضايقونك أنت ...

وإلا يمكن أن يظهر بشفة في أفقنا الهادئ فتكون الطامة التي لا تدفع ...

وكانت هذه الأفكار تساورني خارج الفندق بعيداً عن ظلهما الخفيف ، ولكنني وجدت نفسي مسوقاً إلى مفتاحها بهذا الحديث وقد فملت ، فسألها يوماً :

— أما من أخبار عن زوجك ؟ ...

فأكفهر وجهها وأظلمت عينها وقالت :

— دعه هذا الحديث جانباً ...

فاضطرت - ساعتئذ إلى السكوت ، وفي نيتي أن أعيد الكرة مهما كلفني ذلك . وكانت تتخاضع هذا الحديث وتهرب منه ، ولكنني قلت لها يوماً بإخلاص وحزم :

— ينبغي أن تعلمي أنه ليس الفضول الذي يدفعني إلى معاودة السؤال ، ولكنه الاهتمام بشخص أعزّه وأحبه وأرجو دائماً أن يفتح لي صدره وقلبه ...

كم فرحت لكلامي هذا ... لقد التصقت بي بوجد وحنان وتهدت بسعادة وقالت :

— يا للسعادة ... طالما ضرعت إلى الله أن يهبني قلباً حنوناً عجباً ...

فدأبت حصلة من شعرها الأسود بيدي وقالت :

— إذأهيا - وصارحين بكل شيء ...

— ولكنه حديث مؤلم كريحه ...

فقلت :

— أنا لا أدري شيئاً ، لأنك لم تريد أن تطلعي على شيء ، ولكنني كنت أرجح دائماً أن حياتك الزوجية غير سليمة . ومهما يكن من أمر ، فينبغي أن أعلم كيف يتركك زوجك هكذا ...

فكنت لا أفكر إلا في حاضري ، وأود لو أمتص ما فيه من حلوة في رشفة واحدة ... أما هي فكانت تنظر إلى بعيد ولا تنفأ تذكر المستقبل وترغب رغبة صادقة في أن تطلين إلى دوام السعادة والحب . وقد عجبت لذلك وعلمت أني لم أفهم بعد تلك المرة ؛ وقد ظننتها حيناً امرأة مستهترّة متقلبة الأهواء ، تجوب البلاد بعيداً عن زوجها طلباً للحب الأكم وانتهاءً بالذات ... ولكنني وجدتني هادئة الطبع ، عظيمة المودة ، لا تسيطر عليها النزوات العمياء التي توردها أحبابها مهالك الفتن ...

وكانت أيامنا الأولى أيام حب خالص ، فلم يكدر صفوى مكدر ، إلا أن إفراطي الشديد ردني إلى شيء من اليقظة والانتباه فاستطاع فكري أن يتناول أموراً غير الحب ...

فكرت في أني أعدت لأول مرة على حرمة الزوجية ، ولم يكن سبق لي أن اقترفت هذا الإثم النكرو فوخزني شكك الألم وأحسست بخوف غامض ، وزاد من ألي أني كنت على عتبة الحياة الزوجية وساءلت نفسي في رعب ألا يجوز أن يقتص الله مني ويصيبني يوماً في القتل الذي ظلمت فيه الآخرين ؟ ...

— وهنا قاطعه أحد المستمعين قائلاً :

— وهل صدقت مخاوفك فيما بعد ؟ ...

وبحسب البعض ونظر عديتنا إلى مقاطعه شيزراً ثم استأنف حديثه قائلاً :

ثم فكرت في أمر آخر لا يقل عن سابقه خطورة . فكرت في أمر الزوج الغريب الذي يترك لزوجته الحبل على الغارب . ما الذي عساه يفرق بينهما ؟ وكيف يرضى عن هذه الحياة القريية ؟ ...

لاستعنت به على الصبر والرضا ولكني حرمت حتى
من هذا العزاء ...

وكانت تتكلم بتأثر شديد نغيل إلى أنى سأسمعها
إلى البكاء، وثرثرت في نفسي على الحظ التمس الذي
ضيق عليها الخناق، وخطرت لي فكرة قفلت لها :

— ألم يكن في وسعك إصلاح ما أفسد الحظ ؟
فضحكت ضحكة مريرة وقالت :

— الحظ التمس لا يصلحه شيء وأنا ما قصرت
قط ، وأصارحك القول بأنني كنت أحبه وما وافقت
على الزواج منه إلا لأنني أحببته يوماً ، ولكنه مضى
بعد الاستبوج الأول من زواجنا يقضى الليل خارج
البيت ولا يعود إلا قبيل الفجر ، وكنت إذا أبريت
لإصلاحه ومدافعة الشقاء الذي يهددني به سخر مني
وهزأ بمحاولاتي ، ولما ضاق بي ترك السخرية والهزء
وعمدت إلى الخشونة والفظاظة ...

وسكنت عن الحديث دقائق وهي مستسلية إلى
الشعور الأليم الذي أحدثته الذكريات ، ثم أردفت
بصوت أعمق ووجه أشد اكفها راو :

— وأذكرني اليأس منه ، ولما أتم شهرًا كاملاً
في بيتي الحديد ، وكان ذلك لحادثة محزنة لا يمكن
أن تخفى من ذاكرتي أبداً من الخير ودمرت
كل فضيلة في نفسي . ففي ليلة من ليالي شهر العسل
كنت مستغرقة في النوم بعد سهاد حزين ، وإذا
بهزة عنيفة توقظني من نومي فاستيقظت فزعة صارخة
ونظرت بعينين مرتبعتين فرأيتُه جالساً إلى حافة
الفرش ، وهممت بتعنيفه ، ولكن لساني لم يتحرك
في فمي لأنه كان في حالة سكر شديد كما تبين ذلك
من نظراته الذاهلة ووجهه المحترق والرائحة التي تنبعث
(٢)

فهزت منكبتها باستهانة وقالت :

— إنه لا يعرف مقرى على وجه التحقيق ...
— ما أعجب هذا ... أستطيع أن أفهم أنكما
غير متحابين ، ولكن الذي لا أستطيع فهمه هو
أن تبقيا زوجين بعد ذلك ...

— إنه لا يظلمني لأنه لا يستطيع الاستثناء
عن مالي ... وسوى ذلك فلم يكن زوجاً قط وهو
لا يطيق أن يكون زوجاً في يوم من الأيام ... على
أنى في الواقع لا أرغب في الطلاق ...
غدقت في وجهها دهشاً وقالت :

— هذا أعجب !

— لا تعجب لشيء . ألا ترى أنني هكذا مالكة
لحريتي ؟ ... ولو كنت مطلقة ما استطعت أن أذهب
إلى حيث أشاء . ولو كان لي من يمه أمرى ويحنو
عليّ بصدق لتغير مصيرى من بادى الأمر ، ولكني
وحيدة ، وحيدة في هذه الدنيا الواسعة . أنت
لا تدري ما الوحدة ... أما أنا فقد تجرعت مذاقها
المر طوال هذه السنين ... مات أبواي والتحق أخى
الأوحد بوظيفة في قنصلية اليونان ، ونفذني زوجي ..
فليس لي مكان آخرى إليه أو قلب يملطف عليّ ...
أنا منبوذة في هذه الدنيا ...

فوجت صامتة وغلبني التأثر الشديد . ورأيت
وجهها الجليل محتقناً كقطعة من الجمر ولحت دمة
حيسة في عينيها فقلت :

— إنك جميلة وغنية فاذا كان يريد هذا الآخر ؟
— إنه وحش حصار وقاس جحود ، لم أستطع
أن أعاشره كزوجة إلا أياماً معدودات ثم اضطررت
إلى حياة التشرذم والهيان ... ولو وهبني الله طفلاً

على أن يعطيني حريتي ، وقد كان ... وغدوت حرة
أقيم حيث أشاء وأفعل ما أشاء لأأسأل عما أفعل ...
وهالني الأمر قلت :

— وهل عشت سعيدة بعد ذلك ؟ ...
— فتهدت وقالت :

— ليت ذلك كان ممكناً ... ما تحببت على الله
من شيء مثلاً تحببت أن يسلبني حريتي هذه في لقاء
أن أحظى بالسعادة التي أحلم بها والمطف الذي أتحرق
إليه ، وأنا مستعدة دائماً أن أتنازل عن حريتي بأثمة
لن يهين قلبه وإخلاصه .. كم تبت وكم بحثت ...
وكم ضقت بحريتي ...

الآن علمت كل شيء ... لقد صرفت هذه المرأة
التسعة عشرة أعوام في البحث عن العبودية السعيدة
فهل ياترى وفقت إلى ما تريد ؟ ... كلا ... هي
لم توفق ولا ريب ، ولو أنها وفقت إلى الحبيب الصادق
ما ارتمت بين يدي أنا بهذه السهولة . لقد انصرمت
السنوات العشر في خيبة مريرة وخدع أليمة ، وما من
شك في أن الكثيرين تلقفوها بشرارة وجشع كما
أفعل الآن ، ثم رددوها قهراً بعد شيع إلى حريتها
البيضة . وهكذا فالحرية نفسها تهون وترخص أحياناً
وتعي في طلب المستبد الفاضل ..

ولما انتهت من سرد قصتها نظرت إلى بطلانينة
واستسلم ، ثم ألصقت جبهتها بجبهتي وسمعتها تهمن
في أذني قائلة :

— وأخيراً ...

وفهمت مدلول تلك الكلمة وعلمت أني ألعب
في روايتها بالباسة دور الأمل الأخير ، فإما أن أقوم به
كما تمنى أحلامها وإما أن أشفي بها على اليأس القاتل

من فيه ، وكان هنالك ما هو أدهى من ذلك ، كانت
تقف قريبة منه امرأة غريبة في مثل حالته من السكر
الشديد . كانت تنتظر بلاريب أن أوسع لها مكاناً
من فراش العرس ، ولم يعلمي حتى أفيق من فزعي
ودهشتي فقال لي بلسانه الثقيل الملتوى : (تفضلي
خارجاً) ولم تنتظر صاحبته ، فندت من الفراش وارتمت
إلى جانبي ، ولم أنالك نفسي ففزعت من مكانى
إلى أرض الزرفة وفقدت رشدي ؛ فانفجرت غاضبة
وانهلت عليه سباً ولعنات ، ولكنه هن كفتيه استهانة
واستلقى إلى جانبها فنادت الحجر في حالة جنونية ،
وأحسست برغبة لا تقاوم في هجر البيت ، وكانت
ثيابي في الدولاب داخل الحجر ، فأخذت غطاء
المائدة القطيفة وتلفت به وفتحت الباب ووليت
خارجاً ، والديوك تصيح معلنة طلوع الفجر ،
وهزلت في الطريق الوحش لا ألقى على شيء حتى
انتهت قدامى إلى البيت الوحيد الذي تمودنا الذهاب
إليه ... بيت والدتك ... ولعلك تذكر الأيام القلائل
التي قضيتها عندهم ... إلى لا أنسى تلك الليلة أبداً ...
ولن تزال قائمة في نفسي بجميع تفاصيلها ... وقد
كانت فاصلة في حياتي بين عهدين ...

إني أذكر تلك الأيام بلاريب ... ولكن كم
كنت أجهل ما تخفي من التماسه والبؤس ...

واحترمت فترة الصمت التي تلت ذلك ثم سألتها :

— كيف عدت إليه بعد ذلك ؟ ...

فهزت رأسها باشمزاز وقالت :

— في تلك الليلة انتهت خيالي الزوجية في الواقع
ولسكني كنت بلا مأوى وبلا معين فإذا أصنع ؟ ...
عرض علي اتفاقية قبلتها ، وهي أن أعطيه من مالي

تتجاهل كل شيء... لماذا لم تصارحن بشعورها؟
ولماذا لم تهب للدفاع عن سعادتها الوهومة...
لم يحدث شيء من هذا
وقد عدت ظهر يوم من عملي بالتفتيش فوجدت
حجرتنا خالية، وبحث عيناى عن آثارها اللطيفة
التي تمودت رؤيتها كالفنسين التي كانت تعلقها على
المشجب أو الحقيقة التي كانت تضعها على المائدة فلم أر
لها أثراً، وأسرت إلى الدولاب وفتحت على مضراعيه
فلم أجد سوى ثيابي، وناديت الخادم وسألته عنها
فأخبرني أن الهائم تركت الفندق الساعة العاشرة
صباحاً وأنه أحضر لها بنفسه التاكسي...
وبحث هنا وهناك عن خطاب أو ورقة لأنى
كنت أوقع أن تترك لى كلمة، ولكنى لم أعر على
شيء...

لقد تركتني دون كلمة وانتبهى كل شيء
وجلست صامتاً واجماً تتنازعنى المواقف،
ولم أشعر براحة للخلاص الذى جاءنى بدون مشقة،
وأحسست بنجل وألم ووحشة ثقيلة، ولم أجد رغبة
إلى الطعام فقممت من فوري أبحث عن مسكن جديد،
لأنه كان يتعدى على أن أبيت ليلتي فى تلك الحجرة
المهجورة...

وسكت الراوى لحظة ثم أرفف:
ومضت سنوات لم أرها فيها؛ ثم رأيته منذ
عهد قريب تسير شاباً أبيضاً في ميدان المحطة؛ ولكنى
لا أدري إن كانت ما تزال تبحث عن الحب والعطف
أم أنها استنامت إلى القنوط...!

عجب محفوظ

وأحسست بثقل تبعى وران على صدرى ثم
عظيم وتساءلت حيران ترى ما هى أحلامها؟ ...
أن تدوم هذه العشرة ... وكيف لى بدوامها وأنا
على قلب قوسين أو أدنى من الزواج ... ومضى تأثرى
الشديد لتعاسفها بهذا نوعاً، وأخذت أفكر فى نفسى
وأفكر إلى علاقتي بها بعين متشائمة، وأتساءل فى قسوة
وأسفا عن طريقة للخلاص ... وكانت تأتى على
أوقات أعجب فيها من أنانيتى وأتساءل فى اشتزاز
— ماذا كيف كان شأن من لم يشعروا بنحوها بغير
الشهوة والطمع؟ ... الحق أن عالنا الإنسانى عالم
شديد القسوة، وما أضيع الفلسفة التي تعب أصحابها
فى الدعوة إلى القسوة وتحقيق تنازع البقاء، فهي
فى الحق تحصيل حاصل وجهد ما كان أخرى بإذليه
بالضن به...

على أن الذى أزعجنى هو أن زيف فطنت لشاعرى
الخفية من غير أن أسارحها بها، وبدا لى ذلك فى
وجوها وبرودها وقنوطها. ولم أدهش لذلك فأنى
من الذين لا يدرون كيف يخفون ما بنفوسهم،
وتفصصهم أعينهم وإيمانهم. ولم أكن يئس قط
نية مصارحتها بما يتلجج فى صدرى أو بفكر
مما يجترق فى رأسى، وقد كنت أفكر فى خالتي بمطف
ومودة، ولكن المظف شيء والحب شيء.

وكنت أتوقع فى خوف وإشفاق أن تفتحنى
بما يقوم فى نفسها من الوسواس، وكان ذلك بضاعف.
آلامى النفسية ورجوت أن تنقش تلك السحابة
من سماء حياتي دون أن تترك وراءها أثر الحزن أو ألم
أو تأنيب ضميمها فقلبت حياتنا تمثيلاً ثقيلًا، وكان
كل منا يعلم ما يشمر به صاحبه نحوه ولكننا كنا

إكراماً وإرضاء لها ، ولكن
سريماً ما ذبلت الزهرة وطواها
الردى ، وخلفت له ابنة سمها
وحيدة !

ولقد كانت هذه تشبه
أصفاً كل الشبه ... عينا
متألفتان ، جبين منسبط ،

أنف دقيق ، شعر ذهبي غدير
جسم بض 'خلوة' شعى ، كلها آيات توحى الرقة
والإبداع ...

نشأت وحيدة في كنف والدها الذى أحاطها
بمطفه وحنا حتى أنساها موقع الأم التى قدتها !
وكان يتحفها بشئ الهدايا المناسبة أو لغير مناسبة .
وما كان أسعده عند ما يرى شبح ابتسامة تلوح على
فترها البديع !

ولما بلغت السادسة عشرة من عمرها السعيد
أُخت كُنْها الزهرة النضرة : فتاة ممثلة بالحيوية
ويوحى جسدها المشتعل أن فيه روحاً متوثبة مرحة ،
وفيه حياة تندفق كُنْها الشلال الصاخب لا يكف
لحظة عن الاندفاع ... سهلة الضحك ، تحب أن تقضى
النهار كله فى الحديث والمسامرة ، لا مع أيتها التى
كانت تتضابق كل المضايقة من صمتها الملل وسكونه
الدائم ولكن مع ابن خالتها « أمين » الطالب
فى كلية الطب ! !

كان جميل الطلعة ، برى التقاطيع ، صافى
المبتين ، دقيق الأنف ، يجمع بين نشاط الرجولة
ورقة الأنوثة

من صميم الراح وحيدة ...

أقصصة عراقية
بقلم الأستاذ نايجى محمود المزراوى

« مدعاة إلى الأستاذ الكبير الزيات اعترافاً
بفضله على الأدب والأدباء . . . ن . م

السيد كامل بك وهذا هو اسمه المعروف والذى
تنبى عنه بطلاقة ذات الحروف البارزة ، رجل فارح
الطول ، عريض التكوين ، يعجزك تقدير سنه ،
فعى ثمانى عشرة سنة أو خمس وخمسون أو ما بينهما ،
وهو من صنف الرجال الذين لا تذويهم الأعمار
لأنهم قط ما أزهروا (١) . . .

لم يكن كامل بك من ذوى المناسب المالية ،
والوظائف الكبيرة ، وإنما هو من أصحاب الثروات
الضخمة والمال الوفير الذى جمعه بالسمى الدائب ،
والتدبير المميز ، وإزبا الفاحش ، والشح الذى ،
والتقدير المملك (٢)

وقد تيسر له بهذا الثنى العريض أن يناسب
إحدى العائلات ذات الحسب العالى والشرف العالى
والصيت البعيد . فأحب زوجة الحب كله وبسط يده
المفلولة إلى عنقه ، فساد القصر الضخم وأتمه بالآثاث
الفضى ، واشترى السيارة المريحة : كل هذا وغيره

(١) برنارد شو
(٢) أحمد حسن الزيات

ألا نمكر صفو مودتنا بالتحدث في هذا الموضوع
مرة أخرى!...

ومضى عام ... عام، وفي الربيع زفت وحيدة
إلى الباشا!

كان زوجها قصير القامة، ناعل الجسم، أسمر
الوجه بارده، لا يثير عاطفة ما في نفس المرأة، ولهذا
بدأت تحس باقتراب في صدرها وبوحشة في نفسها،
وظنت أنها أصبحت حقاً وحيدة!

ولقد أثر فيها في البدء عطف زوجها وحده
عليها، لأنه دائم الحرص على راحتها، وتوفير أسباب
الهناء لها. وما من مرة لمحت بحاجتها إلى شيء
إلا أسرع فكفله لها، وإذا حدثت وأحست مرضاً
أو توعكا فإنه ينفى راحته في سبيل راحتها،
ويفرغها بمطف وحب كثيرين. كالتسرف
في خدمتها ويمده جيلاً منها لو أنها كلفته بالقيام
بأي عمل من أجلها، وأحاطها بحيش من الخدم
يلبون نداءها لأول إشارة، وما عليها إلا أن تأمر
فتقطع، ومع ذلك فهي تشكو وتندم!

أما أسعد الأوقات عندها فهي حينما يأتي «أمين»
لزيارتها، فيتسامران ويتأزحان، ويقرا لها أشعار
الحب والغزل، وتجدها أحاديث الغرام والوجد!
لقد رأت فيه رجلاً جديداً يختلف تمام الاختلاف
عن زوجها. وجدت في نفسه الرقيقة الفياضة
بالمعاطفة، صدى لنفسها المتعطشة إلى الحب،
وتأكدت أنها لو تزوجته لماشت حياة كلها مرح
وسعادة، تختلف تمام الاختلاف عن حياتها

ففي إحدى الأمسيات... كان يسير معها...
وكان الجو صحوً والنسيم عليلًا، والهواء مطرأً
بشذى الزهور، والقمر الماشق ينمر بأشعته الفضية
أطراف الحيين الدنقين... فتصحرحت عواطفه وفاض
غرامه... واعترف بحبه، وقبل أن تفيق من دهشتها
كان قد احتواها بين ذراعيه وسجل غرامه بقبلة
على شففتها!

ووقفت الفتاة أمامه مضطربة، مرتجفة...
وقالت:

— ولكن... لم يكن ينبغي أن تفعل هذا...

وترقررت الدموع في عينيها وأردفت:

— لو رأنا أُنِي ...

فقاطعها بلهجة الراضية:

— لا يهم، سأفصح والدك بالأمس...

وقصد إلى غرفة أبيها وفاتحه في الأمر، ولكنه
قال في لطف إنه وعد ابنته رجلاً آخر...

— رجلاً آخر؟ كيف! لمانا؟ ألسنت أخى

الناس بها!

ومع ذلك فهي تبادلني الحب، وما قالت لي
إنها غخطوبة؟

— لعلها لا تعلم، ولعلك نسيت أن تقاليدنا

في الزواج لا تجعل للفتاة أهمية في هذا الموضوع!

— ولكنها تبادلني الحب!

— اسمح يا أمين: إنك شرفني بطلب ابنتي.

ويعجزني أنني لا أستطيع إجابة طلبك، ومن الخير

التي يحياها مع زوجها الباشا !

ومضى عام ... و « أمين » العاشق المغموم يرى بأن وحيدة ضرورية لسعادته كما هو ضروري لها ! ولم يكن يستطيع أن يتصور أن وحيدة في كنف زوج مغموم بها وعليه أن يتركها ليسلو وينعمي وتنسى !

والمعجب من زوجها الباشا أنه ماشك يوماً في نية أمين . والحقيقة أن « أمين » ما فكر يوماً أن يبعث بقرينته ويتكحم حرمة الزوجية وقديسيها، ولم يكن يحظر على بال وحيدة أنها ستستسلم يوماً ما لأمين التي تمده عبادة أو تستعمل المستحيل للزواج به ثانية ! ولكنها امرأة ، ولكنه إبليس !

وفي إحدى الأمسيات المدهمة خرج الباشا زيارة صديق له فلم يجده . وفي ذلك الحين همت عين السماء بعطر كأنه أفواه القرب ، وازدادت الوحول واشتد زيف الريح فتاله من البرد والطر ما لم يتحمله جسمه الواهن فوقع فريسة الحمى والمرض ، واشتد عليه المرض فجاء الطبيب ووصف الدواء عذراً للزوجة من أن تنطليه أكثر من عشر قطرات في كل وقت وقامت في نفسها فكرة ... شرب زوجها الدواء فنام إلى الأبد ، وانتهت حفلة البغف ورجع الناس يمدون خصاله ويترحمون عليه ، وترك زوجته ثروة لا تعد ولا تحصى ، بلايين من الأصفر الزئان !

وهنا تقرب من الحاجة ، فبعد العدة بشهرين

زُفَّتْ وحيدة إلى زوجها الجديد الدكتور « أمين » الذي لم يكن يعلم مآثره وحيدة للخلاص من زوجها والزواج به

ولقد كان من سوء حظها أن تكتب يومياتها في مفكرة صغيرة عثر عليها أمين فقرأ فيها ما كان ، فهاله الأمر وبجأه أنها فعلت ذلك رغبة فيه . فخرج جات وحيدة فهاها أن تجد مذكراتها ممزقة ، مبعثرة تتطاير من هنا إلى هناك ، وأن أمين قد خرج ...

وقضت ليلة أرقّة مسهدة فيها محنة وفيها عذاب ، فضافت في عينها الدنيا ورمت بنفسها من النافذة فاذا هي على الأرض كومة من العظم واللحم والدم ! ...

بإمى محمود الغزاري

كتاب النقد التحليلي

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

هو أول كتاب في اللغة العربية على النقد الأدبي بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس التطبيقية للنتيجة . بناء المؤلف على نقد كتاب (في الأدب الجاهلي) للدكتور طه حسين ، ولكنه استطراد لدرس مسائل مهمة في قواعد النقد وأصول الأدب ومنهاج البحث حتى جاء الكتاب مرجعاً في هذا الباب وتوخذاً في هذا الفن . وهو في الوقت نفسه يفتح القارئ عن كتاب (في الأدب الجاهلي) لأنه تلخيصاً تلخيصاً وافياً .

يقع في ٣٢٦ صفحة من القطع المتوسط
وتمت ١٢ قرشاً خلافاً لأجرة البريد

ويطلب من إدارة الرسالة

دون ما مرهات تلقى أو خطب
تقال ...

فتشاب زابوكين وقال:

— الأيمن؟ آه، أنفى

ذلك السكر؟

— إنه هو ... ولكن

لا تنس يا عزيزى أن مادة

عشاء ستؤدب، وأجر العربة

سينفع، هيا يا صاح فما عليك

إلا أن تلقى بأحدى خطبك على القبر ... وستستس

بمينيك مدى إعجاب المشيعين بك وتقديرهم لك ...

فأجاب (زابوكين) طلبه دون ما تردد

ولا إحجام ... وتكلف الحزن العميق تأهباً

لما سيأتى. ثم قال لصاحبه: إني أعرف (الأيمن) ..

ذلك الوغد الزنيم .. عليه رحمة الله؛ وأدركا الموكب

وقد بلغ المقابر، وحُطّ التمش على الأرض، ووقفت

أم الفقيد وزوجه وأختها تذرفان الدمع الممتون —

تبعا للعرف — وما إن أزلّ التمش في القبر حتى

أعولت وزوجه وصاحت بأكية: دعونى أرحل معه.

إلا أنها لم ترحل معه؛ مع أن أحداً ممن حولها لم

يحل دون ذلك. ولعلّ ما حال دون أن تشار كمرسه

ذلك الراتب التقاعدى الذى ستنأوله. أما (زابوكين)

فقد سكت حتى شغل الجمع السكون، فأدار بصره

في الحاضرين وبدأ خطبته قائلاً:

يا ترى أبصرى وسمى صادقاً أن؟ إني أشهد

حلماً مرعباً يبدو لي فيه هذا الرمس الظلم الرحيب

وهذا الحشد الباكي الحزين ... وأسفاه ... إنها

الحقيقة. فليس ما أراه حلماً، وليست أبصارنا

— وبالأأسف — بخداعة .. إن من كان حتى

الأسى يفيض صحة ونشاطاً .. قد مات وودى في

التراب وأصبح ذكرى تستدر الدمع الساخن الغزير.

لقد سلبه الردى منا، وهو لا يزال في عنفوان قوته

من روائع الرواية الروسية مرثاة ... للقصصى الروسى أنطون تشيخوف بعلم الأديب فيصل عبد الله

في صبيحة يوم صاحر مشرق مات « عضو
التحكيم » (كبريل أفانوف بايلونوف) صريع
الداءين اللذين كثيراً ما أوديا بحياة الروس :
إدمان الخمر وقظاظة الزوج ... وكان الناس
في شغل بتشيع موكب جنازته الذى كان في طريقه
إلى القبر ... إلا أن (بولافسكى) وهو صديق حميم
للفقيد، أسرع فامطى عربة أدت به إلى صديق له
يدعى (زابوكين) . وزابوكين هذا قدرة على ارجحال
الخطب فاقته ، فهو يقولها أنى كان وحيثما يدعى ،
فلا تموت سنة ولا حى ولا سكر عن ارجحائها ...
سواء أكان في مأتم رثى، أو في حفل يلهج ويشيد،
كانت السكمت تتدفق من فيه كاللا غزير سلسالاً ...
وكان هذا ما حدا ببولافسكى أن يسرع إليه ،
ولا سباً والمطلب الذى أتم يحتاج إلى خطيب يعدد
مناقب الراحل الفقيد كزابوكين ... وقال بولافسكى
زابوكين حيناً لقيه :

— إني آت لأدعوك ... فهيا يا صاح ارتد
معطفك واتبعنى . لقد مات اليوم أحد زملائى ،
وموكب جنازته في طريقه الآن إلى القبر . وليس
لنا في مثل هذه الخطوب غيرك ... ليس لنا من
خطيب راشر مغوة سواك ... ثم يا صاح أنه
لو كان الميت وصيماً مركزه لما أجمعتك . ولكنه
(الأيمن) ... فلا يليق بنا أن نوسده التراب

وبها... وأوج قوته ونشاطه... وإن بك متقدماً
في السن... أية خسارة منينا بها... من ذا الذي
يستطيع أن يحل مكانه في قلوب عارفيه... لدينا
أيها السادة كثير من الموظفين... إلان (بروكوفي أوزيتش)
أوزيتش) كان جوهره نيتية فيما كان يزدهي به ويفخر.
وكان - أيها السادة - المثل الأعلى للرجل الكامل
الرفيع بحلقه، الساي بنفسيته. لقد كان الفقيد يأبى
الرشوة فلم يرضها يوماً. وكثيراً ما كان يدي مقته
واحتقاره لمن كان يلج عليه أخذها وقبيلها. لقد كان
يرفضها كل الرضى وزدري ضايف النفوس ممن كانوا
على قتيضه. كما لا أنظكم فيهلون أنه كان يهاب رآتيه
التافه على مشهد منا زملائه الموزين. وما أنكم الآن
تسمعون بأذانكم نجيب الأراميل والآيما الثلاثي كن
يمش من فيض إحسانه. لقد ذهب ذلك الذي وهب
حياته للبر، وتذر نفسه للخير، وإنكم لا تعلمون
بلاشك - أيها السادة - أنه كان أعزب ولم يزل
كذلك حتى وسد التراب... إني لأصوره الآن
بوجه الشرق الحليق ويسبانه الحالة السذاب،
ويخيل لي أنني أكا أسمع صوته الرؤوف الذي كان
يفيض جناناً وقطر رقة وإخلاصاً، فألى رحمة الله
يا (بروكوفي أوزيتش)... إلى الجنان الخوالد
أيها العزيز... وداعاً أيها الراحل الكريم...

وكان الخطيب مبدعاً حقاً في إلقائه فأحزب بهذا
إعجاب السامعين... إلا أن العارفين منهم بالليت
أدهشهم بما قاله أشياء. ذلك أنهم لم يفقهوا علة ذكر
الخطيب اسم الليت على أنه (بروكوفي أوزيتش) مع
أنه كان (كيريل أفانوقتش)... وثانياً أن الشكل
كان لا يجعل أن الليت قضى حياته في تمكيد صفو
حياة زوجه، فكيف يقول الخطيب إنه كان عازباً
عن الزواج؟ وأخيراً لقد كانت الليت لحيه جراء
كثة ولم يك بحليتها... فلماذا يصفه الخطيب بأنه
كان حليتها؟... واشتد عجب السامعين وتبادلوا

فيعمل عبراته

«بنداد»

مَعَهَا تَفْنَانُ

أَقْصَوْصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَسَاذِ دُرِّي حُشْبَةِ

— وأخى سيدة؟ أتبكين

يا سيدة؟

ولكن سيدة لم تكن تبكي
غضب... إنها كانت تذرف
روحها من عينيها الجليتين
المحزوتين.

لقد حاولت الفتاة أن تخفي
ما بها لكنها لم تستطع... لقد

انهمرت دموعها بشدة فقالت لها وداد:

— كلا يا سيدة! كلا يا أختاه! إنما لسان بهذه
الدرجة من الشقاء التي تنكأ في فؤادك مثل هذا
الآلم... يجب أن نصبر... إن الله القدير ينظر إلينا
وهو بنا لطيف خبير... افرضي أننا جلسنا حول
هذا المجين تبكي طول الليل، فإذا يكون حالنا؟ هل
تخزى دموعنا؟

فنظرت إليها سيدة، وهي تكفكف دموعها،
وراحت تقول:

— أنا والله لا أبكي لحالي يا أختاه... إنما يبكي
ما يقاسيه أخى من الجوع...

فضحكت وداد ثم قالت:

— أي جوع وقد نعدى منذ ثمانى ساعات فقط!

فقال سيدة:

— ثمانى ساعات! وكيف؟ إن لنا يومين لم نذق

خلالهما طعاماً!

فقال وداد:

— يومان، كيف؟ وجبات الأرز والعدس التي

سفها طاهر بمد الظهر؟

وتبسمت الأم المحزونة، ثم أومأت إلى سيدة

أن تشمل النار في الفرن.

كان المنزل حزينا واجماً... وكانت الأم الرؤوم
قد نخلت مسحوقاً أبحر اللون جافياً وأخذت تمجته،
وبحثت ابنها (سيدة) عن علبه القباب طويلاً،
ثم لم تجد بها غير عود واحد... عود واحد من
الكبريت في هذه الليلة الهائلة من ليالى أمشير
القطر... وصعدت وداد فوق السطح تجمع أعود
الحطب المبللة، وعليها أتمال لا تقى من البرد الذي
كان يشك السكينى كاشك الإبر... وكان الطفل
الصغير طاهر يبكي ويئن ويتلوى من الجوع والبرد،
وكان ينافل أمه فيلهم قطعاً صغيرة من عجينة السن
يسالج بها بطنه الخاوى، فلما شهدته أمه يصنع ذلك
جرت من عينيها دموع غليظة كانت يجاهدها بمجاهدة
عنيفة، وكانت تحرص على ألا تذرف حتى لا تفجر
أحزان العائلة البائسة... لكن الدمعة غلبت الأم
الضعيفة الواهية فجرت على خدها الشاحب المتقعر...
ولحمتها سيدة فتفجرت بالبكاء الذي كانت تحبسه،
فلما نزلت وداد ورأت هذا النظر قالت ضاحكة:

— أنت تبكين يا أماه!

— كلا يا ابنتى. إنها دموع تغلبني من البرد.

إلها من ليلة!

الناس ولا أن تساعد نساء الأغنياء في النسل والخير
ولو ازم المنازل . فتساعد بهذا زوجها الشقي بما
يؤجرها به عملها ، وتحف من ضيق ما يصنع الفقر
بأبدان أبنائها وما يشيع فيها من مرض وجوع
ووصب ...

على كل حال ... هذا قانون تصنمه العزة
ويشرعه التعفف ومصدره الفضيلة والحياة في نفوس
الفقراء ... وهذه هي الثرائر التي فصلت بيننا وبين
الحيوانات فجعلت لنا تيارات من التفكير تدفع منها
برغمنا أحراناً ودموعاً وشكوكيات

وكانت سيدة ابنة الشيخ محمد فتاة ممثلة الجسم
بضّة الظهر ، لها ابتسامة يحسبها الرائي مفتاح
القصص ... وكانت تلفت الأنظار إذا خطرت في
الطريق بقدميها الحافيتين الجليتين البيضاء ، وبجسمها
الممشوق الملتف في اللامعة السوداء الساحرة .
وكان للشيخ محمد صديق حدث السن ابن تاجر
غني يسمى خاله ، وكان هذا الصديق مولماً بسيدة
ولمّا شديداً ، وقد دخل غرامه بها إلى فؤاده عن
طريق قدميها . فكان غراماً قدراً لأنه نشأ من
التراب وتمرغ في الطين ، ولم يكن كهذا الترام الذي
تبثه الميون النجل فتطهره بالنار وتصره بالسحر
وترفعه إلى السماء .

وقد ظن خاله أن موت الشيخ محمد سوف
يسهل عليه قضاء لباياته من الفتاة التي خلّبت وسليت
فؤاده وأقامته وأقدته في هوى مبرح وغرام متقد
وفكر ساجم في جسمها البيض ، وقدّمها للنض ،
وجالها الفتيان

وكانت سيدة تعرف ما يتطوى عليه خاله من
حبا لكنها كانت تعرف أيضاً أنه يريد بها الشيطان

لقد ما كانت الريح تصصف هذه الليلة ! ولشد
ما كان البرد والصقيع يلفحان هذه الدار الواهية !
يا الفقراء !

توفي الشيخ محمد (الفقير) عن هذه الأسرة
الشقية ، ولم يترك لها ما يقيم أودها إلا برأصدقائه
وعطف عارفيه إن كان برالأصدقاء وعطف المارفين
بقبان في هذا الزمان أوداً أو يسدان رمقاً أو يستران
هورة ، أو يحسجان تلك الدموع التي جفرتها ألم البرد
وأعين الجوع وزهر برأمشير في تلك الميون الشقية
البائسة !

لقد كان المغفور له يشتري بآيات الله ما يتصدق
به الرزّؤون عند المقابر ، وما يشترون به رحمة الله
يستترلوها فوق الأحداث بالعيش والكمك والملايم
وأوصال القصب ... وكان المغفور له محبوباً من
الناس لأنه كان يخدم جميع الناس ، ويقضى لهم
حواسهم ، ويحمل أطفالهم ، ويحميهم مكر الطريق
وأذى الكلاب ... وكان قنوعاً لا يساوم في أجر
ولا يلحف في طلب ولا يثقل في سؤال ... وأحسب
هذا هو الذي حبا الناس فيه ... فهم كانوا يستفلون
قناعته البائسة في قمصه أجرة ، وهذا من ألأم طباع
الناس ...

وكان الشيخ محمد يحرص على إغراز عائلته
حرماً شديداً رغم هذا العوز الذي كان ملاقيه ...
فلم يكن يسمح لزوجته أو ابنتيه بالذهاب إلى منزل
أحد من أعيان المدينة في حاجة مما يدفعهن الفقر
إلى سؤالها ... ورفض ألب مرة ما عرضته عليه
زوجته من الخدمة في منازل الأغنياء « لأنه ابن
أصل وحامل لكتاب الله » ، كأنهم قالوا إن زوجة
ابن الأصل وحامل كتاب الله لا يجوز لها أن تخدم

في الهواء فتحسبها موسيقى تنزل من السماء كالحنيا
يهتز له الروض وتراقص تحته الأزاهير

كانت وداد بارعة في مضغ كلامها ومطه وإرساله
سهلاً هيناً ليناً ، وإمائه وترسيمه بطرف لسانها
أو بحس شفتها ... وكانت ترنه إذا شادت فيفجلجل ،
أو تحطفه فينقطع كالنشمة الصامته التي تقف حين
تقف أغلة الموسيقى على أحد أوتار المود

ما كان أجدر وداد بجنة من زهر وطير وأهبار
من لبن وخمر وعسل مصفى تمشي فيها مع الملائكة
الأطهار الأبرار !!

ما كان أجدرها بجنة من سحر وشمر وموسيقى
وغناء وجب !

ما أكثر وداد على هذا الفقر اللثيم اللعين !!
ولكنها ليست كثيرة على هذه الأم الفتوة ،
والأخت المنكودة ، والأخ الطفل الضعيف اليتيم ...
ليست كثيرة على هذه الأسرة البائسة التي غال الموت
عائلة فقضى عليها بالصبر والجور والحرمان ... إنها بارقة
تضحك مكبوتة في صدر مكروب حزين ... إنها بارقة
الأمل في حلك اليأس وليل الشقاء البهيم ! ...
فلتصبر أحزان أمها سعادة إذن ، ... ولتلعب
في مأساة أختها الناشبة بينها وبين خالد دور البطل ..
ولتنظر كيف تمثت نبث الزمان ، وكيف تبدد هذه
الآلام والأحزان ... وكيف تحمل عمل والدها الفقيه
فتبتر السمك وتحتال للرفغان ، وتربي الطفل للسكين
بملامح الحزاني وصداقات التكال وقروش المجانين !

كان الحطاب مبلأ ، وقد حرصت سيده لذلك
ألا يذهب عود الكبريت سدس فلا يكون خبز
ولا يكون أكل ولا يكون دفء ، ويكون عكس
ذلك جميعاً

وليس يريد لها الله الرحيم الرحمن ، فكانت تشيع عنه
دون أن تقطع حبل أمه ، وكانت تصلي لله أن يهديه
إلى سواء الحب ، فيثور على تقاليد البيثة ، ويفتح
لها بقلبه ، كما تفتح لها مجسده ، فيتقدم إليها خاطباً
لا أن يقم لها بكل طريق خاطباً ... على أنها مع
ذاك لم تحبه قط ، بل إنها لم تمل إليه ولو أقل الليل
وأهونه ...

أما وداد فكانت فتاة مرحلة لا ترى أن يكون
الفقر سبباً لهم أو طريقاً إلى ألم ... لقد كانت تشدو
شيثاً من التعليم حصلته في كُتّاب القرية ، وكانت
لذلك تشدو كثيراً من آيات الله وقليلاً من القصص
الديني ... وهذا الكثير من آيات الله والقليل من
القصص الديني إذا صادفا ذهنًا مستنيراً كانا غناء
لفتاة في مثل ظرف وداد وفي مثل طلاقها وإنسانها
وحدة ذكائها

وكانت مع ذلك جميلة ولو لم تبلغ من ذلك جمال
أختها ، لكن جمالها القليل كان أخطر من جمال
أختها الكثير ... لقد كان جمالها خطراً عظيماً على
كل قلب غريب ونفس خالية ... لقد كان لها عينان
تحتسنان النمز وتحيبان التكلم وتترفان طريقهما
إلى سويادات القلوب ... فإذا أرادت أن تغير فيها
الرحمة عرفت كيف تغير فيها الألم ، فيهنر من الميرون
دموعاً ... وإذا أرادت أن تنرفح في لجج الغرام
فلا نجاة لها ولا خلاص سلطت عليها سهاماً مرارشة
تدمي شفافها بل تحرقه ، بل تشب فيها ضراماً لا ينفج
فيه طيب ولا حيلة معه لدواء

هاتان عينتا وداد !
أما سويتها فكان سلاحاً لا يقل خطراً عن
مهلكات الغرام جميعاً ... لقد كانت ترسل نبراتهما

القش، فتصاعد الدخان الكثيف يملأ أرجاء المنزل ،
وقبل أن تنطفئ أشعلت الورقة الثانية وقد علا دخنها
وأغربت فيه حتى نهرتها أمها وصبت عليها جاماً كاملاً
من الشم واللعن والسباب ... ولكن ذلك لم يمنع
الورقة من أن تحترق وتطوى سرها معها إلى الأبد
كما طوت سرها الورقة الأولى آخر الدهر

وسألها سيدة ماذا كان يضحكها ، وكيف
سرّها أن تضحك على ما هم فيه من هذا الكرب .
فقالت لها وداد : « نحي ! »

فقالت سيدة : « وكيف أخمن ؟ »
فقالت وداد وهي (تبط) الرغيف و (تتدعه) :
« يجب أن تخمئي ! »

فالتشأطت سيدة ، وحجبتها بنظرة محنة
ثم سكنت

وأكلوا لا هنيئاً ولا مرهناً ... وكان طاهر
يتربص بالرغيف الأول الذي خرج من الفرن فالتهمه
بقليل من الملح ؛ ثم نام فوق الفرن وتنطفئ ، وأخذ
يرسل في أرجاء المنزل غطيظاً مزيجاً

وانطلق المؤذن يرسل في سماء المدينة أذان
الفجر ... فهضت العائلة المقدسة تنوضاً وتصلئ ،
وتنهياً لزيارة المقابر ، وكان اليوم يوم الجمعة المبارك
الذي تردد فيه الأرواح على رموس الوقي كما يزعم
الحزاني من أهل سكان القبور

وبدت لوداد فكرة خاطفة فلم تتردد في تنفيذها
قالت لأمها :

— اليوم الجمعة يا أمه ، فم تصدق على روح
المرحوم ؟

فقال لها الأم الموهونة :

— تصدق ؟ ولم تصدق يا ابنتي ، ويم ؟

وزهدت تبحث عن ورقة تشعلها تحت الحطب ،
ولكن عبثاً حاولت أن تجدّها ... فلم يكن في البيت
من كتاب غير كتاب الله القدير ، وغير الكتب
الدينية القليلة التي كانت تقرأها وداد في الكتّاب ..
وقد حاولت أمها أن يجعلها تأتي ورقة منها لا لزوم
لها فتشعلها لتشتعل النار وليخزوا ويأكلوا
ويستدفئوا ... لكن وداد دافعت عن كتبها النافعة
في دعاة وحزم ، وأبت أن تنزع منها ولو غلافة
داخلية لا تؤثر في بهجة كتاب الديانة ، إن كان
لكتاب الديانة القديم الرث بهجة — ولا تنقص
من كتاب التهذيب شيئاً ، إن كان للكتاب كله
وزن في هذه الليلة البلاء التي اشتد قهرها وفدح صرها
واشتد الأخذ والرد بين الأم وسيدة من طرف
وبين وداد من طرف آخر ... وعبست الأم ، لأنها
كانت تضيق بمزاج وداد ذرعاً ... ثم فاضت كأسها
فزججرت وراحت تسب وتشم وتلعن الكتب
والكتّاب وبنات المدارس ... والحمد لله فلم تكن
وداد منهم ، وإن تكن من بنات الكتّاب

وخشيت وداد أن تتناول الأم كتاب الديانة كله
فتشعله بالنقاب لكي تأخذ في عملها ... وفي الحق
لقد أوشكت الأم أن تصنع ذلك ... لولأن تضاحكت
وداد ثم طأنت أمها وأكدت أنها ستأتي لها بورقتين
جيدتين يبنى أن تحرقاً جالاً ، ويبنى أن تتخلص
منهما الدنيا بأسرها لا هذا البيت الحزين وحده ...
وزهدت إلى غرفة النوم والاستقبال وتربية
الكتناكيت والحزن ، وفتحت صندوق الملابس
والأطباق والقباقيب ، ثم عادت تحمل الورقتين
الكبيرتين وهي تضحك ضحكات ساخرة ، ثم أشعلت
عود النقاب ، ودب اللب في الورقة الأولى تحت

- لم تصدق؟ ألا تعرفين لماذا تصدق الناس؟
— أعرف لماذا تصدقون ... ولكن الناس كلهم لا تصدقون !
— أجل ، ولكن تصدق خيارهم !
— وهل الذين لا تصدقون هم شرار الناس؟
— وماذا يكونون إذن؟
— يكونون إما قادين على الصدقة ولكنهم لا يفعلونها ، وإما معوزين فهم بالصدقة أحق ... أليس كذلك؟
— ومن أيهم نحن يا أماء؟
— نحن من الناس الذين لم يكن عندهم أمس غير عود واحد من الكبريت ، وغير قدين من النخالة ...
— ولكننا أكلنا ودقنا والحمد لله !
— الحمد لله ... هذا ما لا شك فيه ! وهل يحمد على المكروه غير الله؟
— ونستطيع أن تصدق أيضاً !
— ولم لا نستطيع إذا كنا أغبياء مثلك؟
— مثلي أنا؟ ...
— والله يا ابنتي أنا لا أدري بأى أجزاء جسمك تفكرين؟
— أفكر برأسى طبعاً !
— إذن ترك رأسك الدبر للفكر الحصول على ما تصدق به
— إذن دعوني أنطلق إلى الترافة وحدى ، ولا تلحقوا بي إلا بعد الشروق ...
— وماذا تصنعين ثمة؟
— لا أستطيع أن أذكر لك هذا الآن ... ولكن أرجو أن تطلعتي إلى ما أنا صانعة
- إذهي وأنا غير راضية ... واذكري أننا قراء إلا من الكرامة يا ابنتي
— إطمئني يا أماء
— وهنا قالت سيدة :
— وماذا لو أتيت مملك يا وداد؟
— فقالت .
— لا ... لا أريد أن يأتي مني أحد ... بل إن لكم موعداً فلا تخلفوه ...
— وانطلقت وداد في ملائمتها السوداء الشاحبة ، وراحت تطوى الطريق الوحلة تحت قطرات الطل
- ***
- المدينة ما تزال ناعمة ، ولم يستيقظ من أهلها إلا عباد الله الصالحون ... وهؤلاء عادة هم الطاعنون في السن الذين ينظرون إلى شبابه المولى فيطمعون في شباب مثله يكون لهم في جنة عرضها السموات والأرض ؛ فيمبلون له بالصوم والصلاة وإدمان التفكير والضراعة إلى الله .. وهذا شيء محمود منهم ، وكان يحمد لهم أكثر لو أنهم فعلوه في فتوة العمر وشرخ الشباب وعنفوان الصبا ... حين يحمد للمرء مجاهدته للنفس الثائرة والقلب الجورح والفرزة الشابة . أما هذه التقوى التي تأتي عن عجز الجسم وموات القلب وعزوف الرغبات فهي تقوى الطمع والبكاء على ما فات ... على أنها تقوى محمودة ، وهي رغم ما قامت عليه من نقص خير من شئبة تصر على البني وتمرح في الضلالة ولا تأبى أن تعصى الله ...
- كانت تهادى وداد في غبشة الفجر بقديمين رشيقين كقدي دمية ، وكان الشيخ سيد أحمد قد خرج من المسجد بد صلاة الصبح يسبح ويحمد الله ويسأله أن يمد في عمره حتى يعمل عملاً صالحاً يرضاه

- وقبل أن يتحنى ليربط حذاءه حانت منه التفاته إلى هذه
الأنثى السارية وحدها في هدأة الصبح ، وقد شدت
ملاحتها حول ردفها شداً وثيقاً فجعل يهز ويترج ويمازج
الأبالسة والشياطين ، ويطلق الأفاعى والشهوات ،
ويسلط الفتنة على أمثال الشيخ من الصالحين الأوايين
ونسى الشيخ صلاته وتسبيحه ، وهرول وراء
الفتاة دون أن يعنى بربط الحذاء ، فالتصقت الأربطة
بالوحد ، وفي سبيل الشيطان ما يليق الفؤاد الهبان
وجعل السيد أحمد يتحنى ويرسل في الهواء
بعض ما كان يتقنه من لغة المنازل أيام الدنيا شباب
والمعرفين والقلب مشبوب ... وكانت وداد تعرف
ما أصاب فؤاد الشيخ وما انطوت عليه أضالمة ،
فكانت تتخلع في مشيتها أكثر فأكثر لتري ماذا
يصنع المدنف المتصابي ... وهكذا كانت وداد خبيثة
مرحة في طريقها إلى الموت ! !
وهرول الشيخ سيد أحمد ، وأسرت وداد ...
ثم برز من الظلام فتى عريض الكتفين مشدود
المضل طوال يبعث في القلوب رهبة ، ويثير في
النفوس حالاً من الهم لا تدرى مصدره ... فانطلق
في إثر الشيخ حتى إذا حاذاه قبض على قفاه بيد جبارة
عاتية وقال له :
- إلى أين أيها الولد !
- ومن أنت ؟
- ألا تعرفني ؟
- كيف أعرفك وقد أرخيت هذه البعابة على
أسك كالصوص والفتنة هكذا ؟
- أي لصوص وأي فتنة يا شيخ سيد أحمد ؟
- عجباً ! أتعرفني ولا أعرفك ؟
- إذن فاطمن لمعرفتي إليك على الأقل
- من أنت بالله عليك ؟
- ليس من شأنك أن أذكر ذلك لك ...
- ومن شأنك أن تكسر رقبتي يا ولدي ؟
- وما قيمة رقبة تخرج من المسجد لتنتقل
وراء امرأة كالكلب المسور هكذا ؟
- أنا يا ولدي ؟ أستغفر الله ... أستغفر الله !
- أحقاً تستغفر الله يا شيخ سيد أحمد ؟
- أستغفره وأتوب إليه ... لقد تركنا هذه
الصبوات لكم يا شباب العصر
- إذن أين كنت معتزماً أن تذهب ؟
- أزور مقابر المسلمين
- وماذا لك في مقابرهم أيها الأب !
- عظة وعبرة لمن لا يمتط ولا يعتبر يا ...
ما احلك إذن !
- أنا ... أنا عزرائيل !
- أعوذ بالله منك يا سيد عزرائيل ... أترك
رقبتي جملت فداك !
- لن أتركها حتى تصدقني ... ألم تكن تتبع
هذه المرأة الرذالة ؟
- والله إنك لا ذوق عندك !
- وكيف ؟
- لا أنت تركتني في سبيلي ولا أنت الذي
تسرع حتى ...
- حتى ماذا يا سيد أحمد ؟
- حتى لا تفوتنا يا خبيث !
- إذن هلم ...
وانطلق الشيخ والفتى في إثر وداد ، وكانت
قد ابتعدت كثيراً عنهما ، بيد أنهما لحقا بها بعد
جهد ، وكان الطريق قد انمرج ناحية المقابر ، وكانت

سكان هذا العالم الثاني؟ لا أحسب أن الفراق هو الذى يبكي الناس. إنه الفزع من ظلام القبروديدانه. الفزع من أن يأتى اليوم الذى تنبى فيه فى ظلمات التراب وتأكفنا ديدانه... نحن نخاف على أنفسنا؛ وذلك فنحن نبكى علينا لا على ذنوبنا. وإن يكن منا قليلون سيكون على أحبائهم!

أية فلسفة فارغة هى هذه الفليسة؟ أن وداد؟ آه! ها هى ذى جالسة على الثرى تتلو آيات من الكتاب! حقيقة إن فى الدنيا جملاً هو الذى يجب الناس فيها حتى ليؤروها على كل شيء، حتى على الحياة الباقية...!

ما أجل ما يرتل القرآن قبل الشروق بصوت ساحر هادى رقيق مثل صوت وداد؟! هذا هو القرآن المشهود... قرآن الفجر!

لقد اجتمع الناس من كل صوب ليسموا إلى هذا الترتيل كأنه ينطلق فى آذانهم من مزمارة داود... ثم سكنت وداد، فدنست الأم المحزونة الجالسة فوق ترى ابنها قطعة فضية من ذات القرشين فى يدها، وأقبل الناس يدرسون فى اليد نفسها قروشاً كثيرة تهلت لها أسارب القردة الجريئة. ولما انتقلت فى صف آخر من المقابر القريبة وجدت أغا الشيخ سيد أحمد عند قبر منفرد يتحدث إلى صاحبه الذى يسمى نفسه عزرائيل، فلما شاهداها صمتا... ثم رأى الشيخ أن يمزج كأن فرصة الزواج كانت مؤاتية، فقال لها وقالت له:

— ألك فى صورة تقرئها على موتانا يا ست

الشيخة؟

— ولم لا... أنا مستعدة يا شيخ سيد!

— يا خبر! أنت تمرقيني؟

رهبة الأبدية تنشر ظلها ثمة، وأشباح الموتى ترف فى فجر أمشير، لكنهما لم تكن تثير الرعب فى قلب وداد المعبود، ولا تزعج الرجل والشباب عن يتابسة الفتاة.

قال الشيخ وقال الفتى له:

— هل صليت الصبح يا... سيد عزرائيل؟

— صليت ما فى ذلك شك...

— وماذا أفادتك صلاتك، وقد جعلها الله لتنعى

عن الفحشاء والمنكر؟

— إنها إن لم تنهى هذه المرة فإنها سوف تنهى يوماً ما... لكنك أنت... هل صليت؟

— إنى أغالب نفسى على الصلاة فلا أستطيعها وأسأل الله أن يهدينى قريباً

— ومتى تتظر أن يهديك الله ياسيد عزرائيل؟

— أحسب أنى لن أهتدى قبل أن أتزوج

— وماذا يمتك من الزواج؟

— لا يمتنى شيء... فقط...

— فقط ماذا؟

— أخشى ألا أهتدى بالزواج كما لم تهتد أنت به!

— ستعود إلى ذنالك من جديد... أسرع..

أسرع يا مغفل... لقد فاتتنا الفتاة...

وكانت وداد قد فاتتهما بالفعل، وكانت قد غابت

عن أنظارهما كأنها ابتلعها المقابر

ماذا هنا فى هذا العالم الثانى؟!

لماذا يبكي الناس كثيراً هنا؟

هل هو الفراق الذى يفجر دموعهم وعلاً

أفقدتهم أجزائاً؟!

هل نحن فى هذه الدنيا الخاطلة أحسن حالاً من

رأسه ... أما هو فقد تبعها بعد أن عرفها ليرى إن كانت الفرصة تسنح ليخاطبها عن سيدة ؟ لكنها كانت خبيثة ، وكانت تعرف أنها ذاهبة إلى المقابر لتري إن كانت تستطيع أن تصل عمل المغفور له والدها العزيز الراحل ... لذلك لم تتسكأ ليكلما خاله ، حتى كانت أمام المسجد ، وكان ما كان من لقاء الشيخ سيد أحمد للسيد عزرائيل ...

وتربعت وداد على الترى اللبلل وأخذت في ترتيب آيات الذكر الحكيم ... فلما رتلت : (قل للمؤمنين يفضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ...) جعلت ترددها في خشوع وخشية ، وكان الأفق الشرق قد بدأ يصطبغ بأمواء الورد والبنفسج ، وكانت حواشي السحاب الرائع تنشر في الشرقيين أذياها فتضاعف جلال الترتيل ، وتترج بالصوت البكر والقراءة العذرية ، ثم تترقق جمالاً وتقوى في قلب خاله وفؤاد سيد أحمد ، الذي عرف من صاحبه أن الفتاة هي ابنة صديقه الشيخ محمد رحمه الله

وختمت وداد آياتها ، ثم هت بالانصراف ، فد خاله يده بقطعة فضية كبيرة ، وكذلك صنع الشيخ سيد أحمد ، ودست وداد القطعتين في جيبتها ثم ذهبت من طريق ، وذهب الرجلان من طريق آخر ، كما ذهبت الشياطين كلها من طرق شتى وفي وجوها حسرة ، وفي أفئدتها تلدد ، لما أصابها من الفشل في أداء مهمة الشر التي أبتت من الجنة بسببها ؛ والتي من أجلها قاسمت الله اللي أن تقعد للناس صراطه المستقيم .

— لماذا لم تحضروا ليما دمكم ؟
— كان أخوك ناعماً غشياً أن تركه وحده ...

— وكيف لا أعرفك وقد كنت صديق والدي

— والدك !

— أجل والذي ! هل نسيت ؟

— ومن والدك يا ست الشيخة ؟

— يا للوفاء ويا للأوفياء !

— لست أذكر ! من أنت ؟

— ألا تعرفني ؟

— لي الشرف !

— ما دام لك الشرف فاسمعي أقرأ لك أولاً

— فضلي !

— آمل أن يروقك ترتيلي ... أليس كذلك

يا سيد خاله ؟

— خاله ؟ ومن خاله ؟

— صديقك هذا ... أليس هو خاله أفندي

عبد النبي ؟

وجذب الشيخ سيد أحمد الغطاء عن رأس صاحبه فإذا هو خاله عبد النبي حقيقة ... وقد عجب عجباً شديداً كيف لم يعرفه وقد ماشاه كل هذا

الوقت من مسجد ولي الله إلى هذا العالم الثاني !

ولكن كيف عرفت وداد خاله ؟ ! المسألة

بسيطة جداً ... إن هذا الجسم الممتلئ الذي اكتنز

عضله ليس لأحد في البلدة إلا لخاله ... وقد كان

خاله المذنب بسيدة بنت الشيخ محمد يحوم حول حى

حبه في مثل هذا الوقت من كل فجر ... وكانت

وداد تعرف هذا الأمر ، وكانت غيرة خفيفة تدب

في قلبها من أجل أن التنص ليس قصصها ، فلما

خرجت هذا الفجر قاصدة إلى القرافة كان خاله يقطع

الطريق أمام المنزل الفقير جيئة وذهوباً ... وقد

عرفته برغم البساء الكبيرة التي كان يخفي في ثناياها

كان الله العلي قد زودها بهذا الصوت الساحر الذى
أخذ يلعب بأبواب الجماهير ويغلب أنفسهم ، والذى
لا تنقصه إلا صنمة قليلة وإلا عود مُرِن ، أو وتر
مرثان لينطلق مدوياً بين أصوات الفنانين !

وبعد ، فلقد ضاقت البلدة الصغيرة بمبقرة الفتاة ،
وأخذ الطائر المحتجب فى صدرها يهفو إلى جنات
أخرى ... إنها تسمع إلى راديو المقهى البلدى القريب
من منزلها فتعجب كيف اشتهرت هذه الأصوات
المنكرة وكيف تدوى فى آفاق العالم على حساب
شهرة أصحابها ، فى حين تتوى هى فى هذه البلدة
الصغيرة المجهولة كبوسف المحبوس وهو التنبى الوفى
الأمين ! !

ولسكن أين تذهب وداد وفى عنقها هذه المائلة
القدسة ؟ ! إن القاهرة قرية حقاً ، لكن كيف
السبيل إليها ، وبين مدينة الملك هذا اللالك
الحارس الذى هو أمها ؟ ! ثم ماذا تصنع فى القاهرة
الفاروقية التى لا تعرف فيها أحداً ؟

ولكن لماذا لا تجازف ؟ هل كانت تعرف أنها
ستبرع تلك البراعة فى ترتيب القرآن وإحياء المولد ؟
إن كل مشروع مفقود قبل كل شيء إلى القاحلة .
وكم أمل طويل عريض قضى عليه التردد ، ولوسنده
قليل من الأقدام لطار بصاحبه بجناحي نسر فى سموات
المجد والشهرة .

— سأسافر غداً يا أماء إلى القاهرة ؟

— القاهرة !

— أجل ... القاهرة العظيمة

— ما هذه المفاجأة يا ابنتى ؟

— لا مفاجأة ، ولا شيء ... لقد عزمت

أن أجرب حظي هناك !

عسى أن يكون الله قد فتح عليك يا وداد ! !

— الحمد لله حمداً حتى يرضى !

— وما هذا الذى فى (طرفك) إذن !

— خير كثير ومال !

— مال !

— ولم لا يكون مالا ؟

— ومن أين لك المال يا ابنتى !

— كما كان أبى يصنع صنعتا !

وجلست وداد تمد الرغفان والسكمك ، وأقبلت

سيدة وأقبل معها أخوها على أوصال القصب بمصانها
بشفق ، وهما بين الفينة والفينة يقضيان كمة
أوباً كلان قلمة من المعجزة المشورة اللبسة بالسهم
وكلا أبدت الأم انتقاداً لما صنعت وداد راحا يجادلانها
ألا سبيل إلى (السَّتر) إلا هذا السبيل ! !

أما النقود فقد أربت على الخمسة وعشرين قرشاً
فكانت وحدها أكبر برهان على عبقرية وداد وحمه
براهين سيدة ، وعقم مرارة الأم وفساد انتقاداتها

اشتهر أمر وداد القرنة وحماية ليالى المولد النبوى
فى كل القرى المجاورة ، وأخذت أنهار الخير تنصب
فى البيت البائس الفقير حتى عمرته ، وحتى بدلت
أتراحه ، وما راع الناس إلا هذه المارة التى جدت
شباب الزلزل وكسته باللاط ودهنت بابه وشبابيكه
فأصبح (فيلا الشيخ محمد ! !) ، كما كان الخبثاء من
أهل المدينة يسمونه ! !

ترى ! ماذا كان يحتجب فى أعماق وداد من
الأماني والآمال ! إن الله قد وهبها مسحة من الجلال
الساحر للعالمين تكنى لأن تكون رأس مال امرأة
تريد أن تلعب دورها فى الحياة بمهارة ... فما بالها إذا

- يا ابنتي لقد كبرت ، فكيف أطفئ عليك
في بلاد النوبة ؟!
- القاهرة بلاد غريبة !
- ألسنت ستكوين بميدة عني ؟
- ولماذا أكون بميدة ؟
- لا أفهم !
- ستلحقون بي بعد قليل
- كلنا !
- كلهم
- وماذا تصنعين هناك وليس في القاهرة
أحد يعرفك !
- سيرفني الكثيرون بعد قليل .
- وكيف تعرفين هذا !
- هاتف يا أماء ! هاتف جليل ما يزال يدعوني
وبوسوس بالأمانى البراقة في صدري . لابد أن أتبعه
لا بد أن أتبعه !
- ألا تسمعين نصيحتي يا وداد !
- ويم تنصحين يا أماء ؟
- بالأنا تدارى بلدتنا هذه
- ولماذا ؟
- لأنها درت علينا أخلاف الرزق
- وهل لا تدر القاهرة أخلاف الرزق ؟
- إن القاهرة يا ابنتي بلدة عظيمة شاسعة ،
وبناء الشهرة فيها من المضلات ... وليس أشأم
في حياة الإنسان من ترك ما هو فيه مما عرفه وخبره
من وسائل الرزق إلى ما لا يعرفه من وسائله ، خصوصاً
في بلد مثل القاهرة . وقد كنا في حال من الضيق
قبل أن يفتح الله عليك ، فيدل الله ضيقنا سعة وشقاءنا
نعماً وودعة ، فإذا سمعت نصيحتي فامكثي هنا وابني
- في تلك البلدة فعلى الأهل والوطن والحياة والمات ...
- ولماذا لا أجرب يا أماء ؟ إن لدينا من النقود
ما لا نحصى معه منبة التجربة !
- هذا كلام جميل ... لكن ...
- لكن ماذا ؟
- لكفى أخشى عليك من القاهرة يا وداد !
- ولماذا تخشين على منها يا أماء ؟
- إنها فتنة يا ابنتي ... وصنعتك أقرب ألوان
الصنعة إلى فتنة القاهرة وضلالها ، فإذا كان
الهاتف الذى يدعوك ويجذبك إلى القاهرة قوياً
مغنياً ، فإن هاتفاً أقوى منه قد قذف في قلبى الرعب
من مشروعه هذا !
- ليس هاتفاً هو الذى قذف في قلبك الرعب
من أجلى !
- إذاً ماذا عساه أن يكون ؟
- إنه قلب الأم
- ليكن هو الذى تقولين !
- من كان يصدق يا أماء أننى أحفظ هذا
الكثير من الكتاب ، ثم أتحرف هذه الحرفة التى
تريدن أن تربطيني ببلدتنا من أجلها ؟
- لم يكن أحد يصدق ... هذا صحيح !
- فلماذا لا أطلب المزيد من الشهرة والمال ؟
- الشهرة والمال !
- أجل ... الشهرة والمال ... أليس هذان
هما أكثر جوانب الحياة ريقاً ؟ أليس كل الناس
يطلبون الشهرة والمال ؟ فكفى يا أماء في حالنا قبل
أن يطير ذكرى في هذه القرى وقيل أن تتلى
أيدينا بالمال ... هل كان حال يسر ؟ أئذ كرين ليلة

الملكانه ، لأنها سرعان ما تبلى ويأكلها الصدأ وتقلب
حسنتها إلى سيئات ربما دفعت الدولة أموالاً طائلة
لتنقي غوائلها ...

— لقد أسرفت في مدح المال يا وداد
— ولماذا لا أسرف في مدحه وهو عندى كل
شئ . في هذه الحياة !
— كل شئ .

— أجل ، كل شئ . ، لأننا أصبحنا في عصر
تبدلت فيه الظروف القديمة؛ فتحول الناس عن صوفية
الفقر إلى صوفية الثنى
— ومع ذلك ، فأنا أخشى عليك من القاهرة ؟
— وماذا تخشين على منها يا أوى ؟ أخشين أن
يجرفني تيارها ؟

— كدت أقول هذا !
— إنه تيار جميل رخى لمن يحسن السباحة فيه
— ومن ذلك الذى يحسن السباحة فى تيار

القاهرة

— أنا !
— أنت ؟
— ولم لا ؟
— لأن التماسيح تسبح فيه بكثرة ، وهى كما
تملحن تسبح أحسن منك !

— إطمئننى ... فسأحمل بنديقه سيدي دائماً

لم تستطع الأم الروم أن تثق عزيمة ابنتها عن
السفر إلى القاهرة ... لأن إرادة وداد كانت إرادة
فولاذية لا تلين ، وفى الحق ، لقد كانت وداد تسمع
هاتفاً قويا يناديها ويلون لها الأمانى ويهرج لها
الأحلام ، ويقيدها بها جالسة على عرش عظيم مرد من

أشهير ؟ أما زلت تذكرين أخى طاهر ؟ وهو يلهم
قطع السجين ؟

— أذكر هذا كله يا وداد ، لكن الشهرة
والمال ليسا شيئاً قط ما لم يكن تحتهما دعائم من
السعادة !

— وماذا يصنع السعادة كما يصنعها المال ؟
— المال وحده لا يصنع السعادة يا وداد
— هذه أقوال الفلاسفة النظريين يا أماء ،

أو هى أقوال الساكنين والفقراء ، وهم يقولونها
ليسلوا أنفسهم ... إنها عائلة يملأون بها أدمغتهم
الفارغة .. إن الرجل الذى لا يسند له المال لا يستطيع
أن يعرف ما هى السعادة ! يشفق الفقراء فيقولون
وماذا ينفع المال إذا أصابت الإنسان مصيبة فى صحته
أو فى عرضه أو فى ولده ؟ ! كأن الفقير ينتجوه من
أن تصيبه المصيبة فى صحته أو فى عرضه أو فى ولده ،
وهى إذا أصابه فى شئ من هذا كانت مصيبته أفذح

من مصيبة ذى المال ، لأن مصيبة الفقير تصادف
قلباً مكتظاً ويدا فارغة أما مصيبة الثنى فتصادف
عكس ذلك . إنها تصادف قلباً فارغاً ويدا مكتظة
وشتان بين الحالين ... لا تصدق يا أماء أن الفقير
قيمة فى عالم الحقيقة ... إن أكثر قيمته ناشئ من
عطف الناس المصطنع ... وهم يقولون إن الفقير
ملكات قد لا تكون للثنى ، ولست أدري لماذا
لا يكون للثنى أحسن وأكثر من ملكات الفقير ؟

على أنه إذا كان للفقير ملكات فإذا ينهبها إلا المال ؟
إن الفقير يحتاج لشيء ينهب ملكاته إلى ملجأ أو جمعية
خيرية أو غنى من أهل البر أو حكومة منصفة عادلة
كي تأخذ بيده وتمينه بالمال حتى تنضج ملكاته ،
فإن لم يجد معينه الذى يسند له المال فلا قيمة مطلقاً .

- المجد والشهرة إذا هي ذهبت إلى القاهرة ، وقد
استجابت لندائه ؟ فذهبت إلى المحطة بعد أن ودعت
العائلة المقدسة ، وركبت القطار للمرة الأولى في حياتها
ولتها الشيخ سيد احمد غياها وحيته ، وجلسا
على مقعد واحد من مقاعد الدرجة الثالثة :
- إلى أين إن شاء الله يا ست الشيخة !
— ست الشيخة ؟
— يا ست وداد !
— هذا أفضل !
— وله ؟
— أنا ذاهبة إلى القاهرة ، فكيف أكون
الست الشيخة ؟
— زيارة لأهل البيت أم ماذا ؟
— سأزور أهل البيت إن شاء الله ، ولكن
ليس لهذا اعترفت السفر إلى مصر !
— لعله خير إن شاء الله ،
— خير ... خير عظيم إن شاء الله
ثم أخذ الشيخ يداعب ويمزح ، وذكر الفتاة
بفجر أمشير ، فقالت له :
- وبمناسبة فجر أمشير يا شيخ سيد ، هل
أعجبك صوتي يوما ؟
— أعجبني صوتك ؟ الله أكبر ؟
— لم أفهم !
— ما هذا السؤال يا ست وداد ! لقد سحرتي
صوتك وهو ما يزال يرن في أذني إلى اليوم !
— وهل سمعتي بعد ذلك ؟
— سمعتك كثيرا !
— وما رأيك في صوتي بصفتك من موازين
الفن في بلدنا ؟
- رأي !
— أجل ... أنا أسألك عن رأيك الحق ، ودع
عنك محاولة لإرضائي
— رأي أنك لم تخافي لبلدتنا الصغيرة باستوداد !
— ولأني البلدان خلقت إذن ؟
— أقول لك الحق !
— هذا هو ما أطلبه منك
— لقد خلقت للدنيا بأسرها يا وداد ، واعذربي
إذا خاطبتك هكذا
— أنت تبالغ يا شيخ احمد ... يا شيخ سيد ...
لا تؤاخذني فقد ربكتني
— والله إياك مخططة في البقاء هناك ! طيري
يا شيخة ! طيري إلى القاهرة فهي مهد الفن ، وهي
وحدها التي تتسع لك
— وماذا أصنع هناك وأنا لا أعرف فيها
إلا قليلين من أقاربي !
— ماذا تصنعين ! أترك لي هذا الأمر أدبره
وأنا أضرب بك كل فنان مصر والشرق !
— يا رجل ...
— أقسم لك يا وداد لو سلمتني زمالك لعدوت
ملكه الغناء في مصر ؟
— ملكه الغناء ؟
— أي نعم ، ملكه الغناء ... إلى أرى
ألا تقتصر حياتك الفنية على تريل القرآن وإحياء
الموالد ... إن صوتك المطاط الرنان هو أليق الأصوات
للغناء ، فلودرست الألحان وشدت شيئا من الموسيقى
لعدوت ملكه الغناء كما قلت لك !
— كلامك جميل ولكنه لن ينجدي
— ليس إلى خديعتك أردت يا وداد ... تق
أنني أقول لك الحق !

البال والصحة والحياة المادية في كسر بيت حقير .
فهؤلاء في رأيها مندورون لأنهم لا يملكون أن
يقولوا إلا هذا . وهم يقولونه وهم يرفقون أنهم يناطون
أنفسهم ويناطلون المنطق ، لأن الصحة في الغالب
لا تتوفر إلا للفني ، وراحة البال كذلك هي من
نصيب النفي قبل أن تكون من نصيب الفقير والحياة
المادية إن كان في هدوء الحياة شيء من الفضل ،
هي أقرب متناولاً للنفي منها إلى الفقير ، لأن الفقير
يخشى الجوع دائماً وهو من خشية الجوع ينسى
كثيراً من فضائل الإنسانية العالية ، فهو دائماً
يتملق من هو أعلى منه ، وهو دائماً ذليل يقضى
على الهوان ، ثم هو مع ذلك شديد الحقد شديد
الحسد ، ثم هو متبجح دائماً للجرائم . فإذا عفا عن
الجرمة فإنه كلما يف عن الحقد وحسد الأغنياء ؛
والدولة التي يشتد الفقر بين أفرادها هي أشد الدول
انحطاطاً وأكثرها عكوفاً على الوبقات ؛ والدولة
التي لا تعالج فقراءها بإصلاح أحوالهم الماشية وتفتح
أبواب الرزق لهم ، لن تستفيد كثيراً بالاستشفيات
والملاجئ والسجون التي لا تبنيها إلا للفقراء ، ومثل
هذه الدولة معرضة دائماً للحسد الأكبر ، والحسد
الأكبر هو البشفية ، لأن البشفية هي ثمرة حسد
الفقراء للأغنياء ، ثم هي ثمرة غريزة حب التملك ،
لأنه ليس صحيحاً أن البشفية تأتي التملك ، فلفقد
أراد معتقوها بأدى الرأي حرمان الأغنياء من
أملهم ليلكواهم باسم الدولة ، واللسكية هنا
وإن لم تمن حتى التصرف فإنها تمنى قائلتها الكبرى
وهي الانتفاع
استطاعت وداد هذه الفتاة الفتية المحدودة
الثقافة ، التي ازدهرت عبقريتها أول ما ازدهرت

— وكيف لي أن أتلم الألحان والموسيقى ؟
— هذا من أسير الأشياء عليك إذا رضيت
أن تأخذني برأيي !
— إذن ماذا نصنع !
— صدقي الشيخ زكريا !
— الشيخ زكريا ؟
— أجل ... إنه يملك الألحان والمود في
ثلاثة أشهر
— ثلاثة أشهر فقط !
— بل في أقل من ثلاثة أشهر يا وداد !
— هذه مبالغة لا شك
— ليست مبالغة ، لأنك فنانة بطبعك ، والطبع
كالأرض الخصبة التي لا تنقصها إلا البذر لتمطي
أكلها
— إذن ...
— اتفقنا ...
— اتفقنا يا شيخ سيد !
— وعلى ذلك نقصد من محطة مصر إلى منزل
الشيخ زكريا مباشرة !

المال !

هذه هي الأنشودة المائلة التي كانت تملأ خيال
الفتاة الفنانة وداد ! المال هو كل شيء في هذه الحياة ،
إنه محور السعادة في نظرها ... والسعادة في نظرها
هي التصور والبساتين والسفر وتعلق الفقراء بالأغنياء ،
وشعور القدرة على قضاء الحاجيات ، والتحكم في
مقادير الخلق ... المال هو كل شيء في حياة الأفراد
كما هو كل شيء في حياة الدول ... أما الفلاسون
الذين يذمون المال ويشتمونه ، ويفضلون عليه راحة

مرض وضعف ، ثم إن أمها لم تحض عليها من القاهرة إلا الفتنة ، وما هو من باب الفتنة من حب وغرام وضلالة أخرى

وكأنها عاهدت نفسها قبل أن تترك القطار إلى القاهرة إلا أن تحقق رجاء أمها فلا تنهزم أمام أبالسة العاصمة ، وشياطين الضلالات فيها ، فكانت دائماً تذكر ما حذرته أمها منه ، فلم تكن تأبه كثيراً لنظرات المشاق الطائرة ، ولا لكلماتهم المصنوعة ، ولا لأشاراتهم الفاسقة التي لا يريدون بها غير وجه الشيطان ، وغير إشباع اللبائث والشهوات .

برعت وداد في الفناء الفني براعة هائلة ، واستطاعت أن تبكر ألواناً جديدة من الفناء التجميل تارت بها على حرف التخت الشرق الجامد ، ولم تبال أن تخرج بين الفناء وبين الرقص التوقيى ، ولم تزل بأختها سيدة تطن في أذنها بالأمانى الجميلة والآمال المسولة حتى حبت إليها الحياة الفنية ، وجعلت تنغمسها برفق في أجواء السارح والسينات ، وكان أكثرهما أن تشاركها أختها في عملها ، فقد أوتيت سيدة من الجمال نصيباً لم يتوفر لوداد ، وجمال ريات الفن هو نصف رأس المهن ... فإذا اقتسمتا العمل فستكون وداد الفناء وستكون سيدة الرقص ، وجسم سيدة كفيف اجتذاب الجماهير ، لأنه جسم مرمرى سليم له بشرة وردية يتفرق فيها عطر ليست فيه رائحة ، ولكن فيه مغناطيس يكسبه زغب المذرية سحراً وقوة

ولكن الرقص ما يزال ممدوداً في مصر خلاعة إن لم يكن لجوذاً ، والناس - أو أكثر الناس - لا يعرفونه فتاً من أرقع الفنون التي لا تقل قيمة عن الشعر أو الرسم أو التصوير أو الموسيقى ، بل

بين القبور وثرى الموتى ، وفي بيت والدتها الفقير البائس العوز المنفور له الشيخ محمد ، استطاعت أن تفكر كل هذه الأفكار ، لأنها أفكار خفيفة سطحية تدور بخلد كثير من الناس فيما يتعلق بدولة المال ، لكنها امتازت عن هؤلاء الناس بأقدامها وحسن استغلالها لما زودها به الله من جمال قليل لكنه غامض ، وهنا مقدار فتك الجمال إذا أُجيد استخدامه ، ثم هذه الحنجرة الغالية التي اكتشفها وداد في جزمشير ، وعرف قيمتها الشيخ سيد أحمد فاقترح تقويمها بالألحان والموسيقى لتكون صاحبها ملكة الفناء في مصر .

وقد صدق الشيخ سيد أحمد ، فقد مضت ثلاثة أشهر تفتت فيها الفناء عقد الموسيقى العملية ، واستطاعت أن تلعب على العود فتأتى بنغم كان له الفضل الأكبر في تقويم صوتها ، لأنه كان كاللاد والساد صادفاً أرضاً صالحة فأثبتت من كل زوج بهيج وقد أعجب الشيخ زكريا بوداد ، وراعه منها حسن استعديدها وتوفرها على دروسه ، وكان يربكه منها جماله الغامض ، واستطاع أن يقاوم مغناطيس الحب في فؤاده شهرين متتابعين طويلين ، وفي الشهر الثالث صرعه التيار المنيغ فباح بحبه ، ولكن ليس بلسانه بل بدموعه ، ولم تسأله وداد لماذا يبكي ، فقد كانت أذى من تلك المنزل لكنها داعيته بكلمات طريفة نسي بها تباريحها ، ثم ظلت تحاصر هواء وتثبت به حتى برعت في الألحان وألّت بدروس العود ...

وحينئذ ... أخذت تقف منه موقف الفتاة التي لم يفتح قلبها للحب بعد ، لأنه قلب يشغله أمل أوسع من الحب دولة وأقوى منه سلطاناً ، ذلك هو أمل المال .. المال قبل الحب ، لأن المال صحة وقوة والحب

التي أعقبت الانتهاء من عرض المنظر الأول، والتي أطلقوا فيها أكتفهم وحناجرهم تصفق وتدوى بالتحية والإعجاب، وكانت باقات الورد والرياحين تنتثر فوق السرح تحت قدمي وداد، ووداد يتبسم ابتسامة رقيقة عتشة، وتنتظر نظرة واجفة نحو أختها سيدة لتتظفر ماذا تم من أثر هذا العرض في نفسها

وانتهت الحفلة، ونالت نصيبها اللأهاني من النجاح، وفي اليوم الثاني، بدأت طائفة من أكرم الهدايا تصل إلى وداد من شخصيات مصرية كريمة لا يمكن أن يكون تقديرها لآراء من رقص وسمعت من غناء تقديراً شائهاً إيليسيا كما تمود الآخرون أن يفعلوا؛ وقد انتقت وداد من الهدايا حلياً غالية وضعتها بيدها على جيسيدة وفي رأسها وإصبعها ... — أرايت يا سيدة !

— ... ؟ ...

— هل أصابني سوء مما فعلت يا أختاه ؟
— أنت جريئة ... جريئة جداً يا وداد !
— ولم لا تكونين جريئة أنت أيضاً يا أختي !!
— أعني أنت أكون كذلك ... ولكي لا أستطيع الآن !

— بل تستطيعين ... فقط ...

— فقط ماذا ؟

— تتملين

— وماذا أعلم

— تتملين ما تعلمت ... الأستاذ صادق فنان متقدم في السن، خمد الحاصل موفور الأدب طيب السيرة، وهو الذي تولى تلقيني هذه الدروس في الرقص، وهو الذي سيتولى تلقينك أيضاً !

يمدونه من نجارة تكسب المال بالأجسام، فهو عندهم باب الزنا. ولذلك فهم يمدون كل راقصة فاجرة تتجر بجسمها أمام الناس وتوزع محاسنها بالقروش على أصابعهم يأكلونها ساعة أو ساعتين ثم ينصرفون وقد تأججت شهواتهم بين أضالهم، وفي خلدكم صورة الراقصة السكينة ما تزال تيمس وتدل وتتأود وتثني ...

هكذا ينظر الناس في مصر إلى الرقص والراقصات، وقل منهم من ينظر إليه نظرة أرفع من هذه النظرة وأسمى، ولذلك فقد وقعت وداد أمام مشكلة هائلة وهي تجاوز أختها كي تقتنها بإحتراف الرقص، وكانت وداد قد تلقت دروساً في الرقص التوقيمي على يدي فنان عظيم، فلم يسمها يوماً إلا أن تدبر حيلة لتحارب في نفس أختها النور من تلك الحرفة الجميلة، فدرت حفلة مجانية في صالة من أكبر صالات القاهرة؛ ثم دعت إليها طائفة كبيرة من عليه المصريين الذين سمعوا بفنائها وعرفوا ما فيه من أسرار القوة والنبوغ، فلبوا الدعوة جميعاً، ولما حان موعد الفناء تجردت وداد من ثيابها العادية ثم أضفت عليها ثياب الرقص للمنظر الأول الذي أطلقت عليه اسم « أمل فتاة ». وكانت صور المنظر قد نقشت على ستائر السرح بأيدي كبار الفنانين المصريين الذين أوتوا في هذا السبيل نصيباً عظيماً من العبقرية وسلامة البوق في أداء المعنى وإضفاء الروح الشعرى على المنظر المطلوب... وبرزت وداد بعد إطفاء الأنوار وأخذت في الفناء وتوزيع الرقص في غمر جميل من الأشعة ذات الألوان المختلفة ... لله ما كان أجلها وما كان أروع تنبها وهي تتأود في قبض أشعة البرتقال ! لقد كان الناس معذورين في هذه التوبة الجنونية

المال الكثير والثروة المديدة ، واستطاعت أن يكون لها مسرح خاص أصبح قبله رواد محبي الفن الخالص المحرد الذي لا يستعين في استنواء الشباب بالأرداف والأخاذ والتجوى المحنثة والحلوة التي بطير فيها الميراث وتبديد الثروات ... وكان لوكريّا رغم صمود وداد منزلة للمحن الأول في المسرح كما كان لصادق رغم صمود سيدة منزلة مخرج أدوار الرقص ... وقد طال حب البطالين للبطلتين ، لكن الفتاتين لم تفتحوا قلوبهما لأحد ... لقد أصبح جمع المال وتنمية الثروة طبيعة لها ... فهما لا تعرفان حباً كحب الذهب ولا غراماً كغرامهما بالأسهم والسندات والدور والقصور والزارع والضياء ... لقد أصبح لهما من ذلك الشيء الكثير ... لكنهما مع ذلك صارتا عفاهما ، ولم يجعما مما جمتهما ملياً واحداً حراماً ، ولو قد التفتتا إلى جمع المال من طريق حرام لاجتمع لهما هرم كهرم خوفهن من الذهب . . . لقد كان غناه وداد دروساً في الوطنية وأغاريد في الحب والجمال وحفز الهمم إلى المالي ، وكان غناؤها يمتزج برقص سيدة فتكون حولها جنة كلها إيجاز وكلها حور ومياه دافقة وزهر وشجر وطير وثمر يانع جنات دان ودوح غصونها حوائى ... لقد كان فهما شيئاً جديداً في الفن المصري ... لأول مرة شهد الجمهور المصري رقصاً لا يثير شهوة ولا يشتمل النزوة الجنسية ، وإن يكن جسم سيدة جسماً يائماً يافساً فيبتأنا وإن يكن لهذا الجسم اليافع الفينان ثديان يقلقلان الفؤاد الخلى ، وساقان نامعتان مستويتان ، وخصر لطيف نحيل وذراعان لدنتان ، تنهيان بأصابع عجيبة تكاذ تنمقدن لين وطراوة . . . أما وجهها فودودة كاملة من الباهج والمفاتن ، وحسب الغم تلك الابتسامة الغريرة البريئة التي لم تعرف الخجل ، وحسب العيتين

— وأهى ياوداد! آه لو رأناك الليلة الماضية !
— أوى ! وما دخل أمنا إلا في المحافظة علينا من أن نزل !
— هي متقدأنا في حياتنا هذه أدنى إلى الخطيئة — لتعتقد ما نشاء ، أما نحن فنسأل الله أن يقينا مصارع الزلل
— وكيف نسأل الله أن يقينا مصارع الزلل ونحن نلقى بأنفسنا مكتوفين في ألم ؟ !
— هذا وهم كاذب ... إنك يا أختاه ستقومين بأداء أدوار من الرقص التوقيعي التمثيلي إما بمفردك وإمامي ، ولن يشترك معنا أحد ... إن آمالي الواسعة في عالم الفن مفتقرة إلى جسمك الخصب أشد الافتقار ... إن جسمك المشوق المثلى لم يخلق لشهوات الأزواج فقط يا سيدة ! إنه خلق للكفاح في دنيا الفنون ، وثق أن الله سيحفظنا من شياطين الإنس ما دمنا لا تقع في حبائلهم ولا تنغمس في خباياهم ... فهلمى ... أعينى يا سيدة ... يجب أن نعيش سعداء وأن نهض بترية أخينا الصغير ، ونضمن لأمننا آخرة سعيدة هائلة. أما نحن .. أما أنا وأنت ، فسترين كيف يصطوح العشاق تحت أقدامنا فتختار منهم زوجينا ، فإذا ولى الشباب ، ولم يعد لنا رونقه الذي هو أول ضرورات الفن ، اعتزلنا الرقص والغناء ، وأقمنا في قصرينا اللتين إن شاء الله ، تكلاً ما عينه ، ويستندا ما اذخرناه لهذا الغد المحتوم

آه لو كان للرجال مثل إرادة وداد !
لقد تألن فيهما في عالم النناء كما تألن نعيم أختها في عالم الرقص ... وقد جنّ الأستاذ صادق بسيدة كاجن الأستاذ زكريا بوداد ... لكن الأخنتين التزمنا الحفاظ أحوالاً ثلاثة استطاعتا خلالها اقتناء

— ألا أقول لك يا زكريا؟

— تقول لي ماذا؟

— لقد صرنا هربين يا صديقي ، والبنتان في شبابهما الريان ، ثم لا ننس أنهما أصبحتا من النني بكان يمدحها عنا كثيراً ... لإنهما تطمحن إلى من هم أ كفا منا وأعلى مقاماً ...

— ماذا تقول يا زكريا !

— أقول الحق يا صديقي ... والرأى أن نظل عائشين في ظلها نسمد ونشقى في وقت ممّا ...

وأطرق صادق رأسه ، ثم نظر إلى زكريا وفي عينه غيرة مترققة توشك أن تنهمر ، ولم ينس بكلمة ثم نهضا ليذهبا إلى منزل وداد ... أو قبيلا وداد بمصر الجديدة ، فقد كانا على موعد معها لثأن من شئون العمل

— أهكذا يكون جزأى يا آنسة وداد !

— أى جزء يا رجل ؟ إن كنت في حاجة إلى نقود فأنا أعطيك ما تريد !

— نقود ؟ أنا لست في حاجة إلى نقودك يا آنسة !

— إذن ماذا تريد ؟

— ألا تعرفين ؟

— ومن يدري ؟

— إذن أريد قلبك .. أو أريد قلبي يا عزيزتى !

— لغة لا أفهمها ... أسمع يا شيخ سيد أحمد ، لا تظن أنك تكلم مطربة ممن تعرفين في عرض الطريق

— طبعاً ... أنا أأكل الآتسة الفتاة الكبيرة

وداد بنت الشيخ محمد الفتى الله رحمه !

— رحمه الله رحمة واسعة ، وهل في ذلك ما ينقص قدرى !

(٥)

تلك النظرات الهادئة التي لم تلتفها الصنعة ، وحسب الحيين تلك الأشرافه التي تملأ القلوب نوراً ووضاءة ، أما شعرها فقد كان فاحماً ساجياً ينددون على الكتفين ، ثم تطير خصلة منه غير مصفوفة على الجيد ، في حين تنتشر أخرى في الهواء ، حسب ما يتفق الثنى في الرقص وكانت سيدت مع كل هذه المفاان لا تتير الحيوان في اصلااب النظارة ، بل كانت تبتسم في أفئدتهم روعة الفن ونعمة التلذذ به ممتزجاً بسحر التصوير وجمال توزيع الضوء ... ثم ... سمو الفناء الجليل الذى كانت وداد تبتسم مع النسيم من فوق القمم ومن صميم الوديان أو من بين السحب ! وتبسم الحظ الوافر للفتاتين

لكن زكريا لم يعد يطيق صبراً على حاله المبرحة من هيامه بوداد ؟ ولا الأستاذ صادق بمطيق التجلد على هوى سيدة

— لست أدري يا صديقي زكريا لماذا أرسلك القضاء إلى هذه الفتاة ! لقد أورتني حبها السقام ، وصرت من غرامى بها في جحيم وفي نعيم ، وأخشى أن يحرق جحيمي جنتى !

— أسكت يا صادق ! أسكت يا عزيزى ! والله إن قصة حبنا لتثير الشجون ... إن كنت أنت في جحيم وفي جنة ، فأنا في علة دائمة لا أحسبها تنقضى إلا بميتى ... عجباً لهذه الفتاة عجباً ! إنها لنزاً لإنها سر غامض .. أنصدق أنى لم أستطع إلى اليوم أن أنزع منها تصريحاً أو تلميحاً بأنها تميل إلى ولو بعض الميل ، ولو كصديق ، ولو كرجل لقنها ألقانها جميعاً وعلمها أسرار الموسيقى ! أنا ؟ لشد ما يحزننى أنها هممتنى ! أنا الذى لا أعلمها إلا بأحداث الحب وكلمات النزول وأهات الترام ! أعلمها كل ذلك وأعجز عن ابتعاث شيء ولو نافها من الحب في قلبها !

— ولماذا؟ هل أنا كذابة؟
 — أستغفر الله أن تكوني يا أمي... ولكن
 لأراها وليقتنع الشيخ سيد
 وكان خالد أفندي عبد النبي قد أقدم مع الشيخ
 ليخطب سيدة فتنحتج ثم قال إنه لا يظن أن الأنسة
 وداد تزيد عن ثمان عشرة سنة، وكان ثقلًا ثقيلًا
 ما كان أغناه عنه... وذهبت الأم ثم عادت بورقتين
 دفعتهما إلى وداد التي أغرقت في الضحك إغراقًا
 شديدًا، لأن الورقتين كانتا ورقتي عقد إيجار...
 ثم ذكرت وداد ليلة أمشير التي لا تنسى، وأنها
 جاءت لأمرها بورقتي الميلاد لتستعين بهما في إشعال
 النار... فكانت تسليط طريقة أشعكت الجميع...
 ولما هدأت العاصفة قال خالد:

— وأنا يا ست سيدة!
 — وأنت ماذا يا سيد خالد؟
 — إنه ليسعدني أن تبقيني زوجًا
 — أنا؟
 — طبعًا أنت؟
 — أنا لا شأن لي في هذه الأمور يا عزيزي
 — ولين الشأن إذن؟
 — سل وداد!
 — أسأل وداد وأملك حاضرة!
 — أي لا تجيد هذه الأمور كثيرًا!
 — وهنا ثارت الأم وزجرت ابنتها فقالت وداد:
 — تريد أن تقول إني وإياها شريكتان في عمل
 لا نستطيع أن نتركه، وعمل وعملها لا يسمحن
 بالزواج يا أمه، وإذا كان لا بد من زواج...
 — وهنا دخل الأستاذان زكريا ومصدق فجاء فقالا:
 — قسنا... أليس كذلك يا أنسة وداد؟

— ومن قال إن ذلك ينقص قدرك!
 — إسمع يا شيخ سيد! كم سنة عمرك؟
 — خمس وأربعون
 — وكم سنة عمري؟
 — خمس وعشرين!
 — كذاب!
 — بل أكثر من خمس وعشرين!
 وكانت أمها حاضرة هذا اللقاء، وكانت أمها تود
 من قلبها أن تزوجه ابنتها ودادًا، لأن الرجل ليس
 طاعنًا في السن كما تحسب الفتاة، ثم هو في سعة
 من الميش، ولم يكن أحد يظن أن مثل الشيخ سيد
 يرضى أن يتزوج بنت الشيخ محمد الفتى، فلما جاءت
 مسألة السن تدخلت وادعت أن ودادًا لا تزيد عن
 عشرين أو إحدى وعشرين، ثم قالت: إن شهادة
 ميلادها موجودة وكذلك شهادة ميلاد سيدة، ومع
 أن الموقف لم يكن موقف هزل، فقد تضاحكت
 وداد فجأة؟ ثم بالنت في الضحك حتى استلقت على
 كرسی الذراع القريب، وهي ما تكاد تمكك نفسها
 من شدة الضحك

— ماذا أضحكك يا وداد؟
 — لا شيء يا أمي...
 — لا يمكن... لا بد أن أعرف!
 — لقد ذكرت شيئًا...
 — وماذا ذكرت؟
 — شيئًا قديمًا... قديمًا جدًا!
 — تكلمي يا وداد
 — أمنا كدة أنت أن شهادتي ميلادي وميلاد
 سيدة عندنا؟
 — طبعًا... إني محتفظة بهما
 — إذن توثق بهما

- ثم قال زكريا :
 — ألسنا أحق من هذين ؟
 وقال صادق :
 — ألسنا أحق يا آنسة سيدة
 فقالت وداد :
 — إذن كنتما مختبئين ؟ وسعتمنا كل شيء !
 فقال زكريا :
 — أى والله !
 فقالت وداد :
 — إذن فابشرا
 فقال زكريا :
 — بورك الله بكل خير يا ... يا حبيبي !
 — ومن يرضى أن يتزوج مطربة ؟
 وقال خالد :
 — ومن يرضى أن يتزوج راقصة ؟
 ثم انطلقا غير مأسوف عليهما
 قالت وداد :
 — أسمت يا زكريا ؟ أعرفت لماذا نرفض أن
 نتزوج ؟ أليست حياة الفن شقاء في مصر ؟ ! وأنت
 يا سيدة ! هل عرفت أن المال لأمثالنا هو كل شيء ؟ !
 دسنى ضربة

لا تخشى على مجوهراتك
 لا تخشى على مستنداتك

اودعوها

خزائن بنك مصر الحديدية

فهي في الحفظ والأمان

بنك مصر يؤجر لكم خزائنه الحديدية القوية ويرعاها بعين ساهرة

الأعصاب المفروض أنه مصاب

به ... فقد قالت له أخته وهو يتأهب لرحلته الريفية :

— أنا عائلة بما ستكون عليه رحلتك ا فلسوف تدفن نفسك حيث لا تتحدث إلى مخلوق من الأحياء ، وعندئذ تضاعف الكآبة مرض أعصابك؛

وها أنا أكتب في الحال خطابات توصية أقدمك بها إلى جميع الأشخاص الذين أعرفهم هناك . ولقد كان بعضهم ، على ما أذكر ، وديماً ظريفاً »

تذكر فرامتون كلات أخته وتساءل في نفسه : ترى مسز سابلتون التي سيتقدم إليها بعد لحظة بأحد خطابات التوصية التي يحملها ، تدخل في نطاق هذا البعض الوديع الظريف »

ولإذ لا حظت الفتاة الزقيقة أن فترة السكوت قد طالت بينها وبين الزائر القريب سألته :

— أنصرف كثيرين من أهل

هذه الناحية ؟

فأجاب :

— أكاد لا أعرف أحداً

هنا . ولقد كانت أختي كأ تملين ،

مقيمة هنا في الأبرشية منذ حوالى الأربع السنوات ،

وقد أعطتني خطابات توصية لفريق من أهل هذه

الناحية ...

الباب المقتضب

للكاتب الإنجليزي الكبير «الناقي» عقلم الاستاذ عنب الالحمد محمد

تصريف

«الناقي» أو «ساقى» كما تطلق بالإنجليزية هو الاسم للستار الذي تخفيه الكاتب الإنجليزي الكبير هكتور هيويز وموزو لتوقيع مقالاته وقصصه المديدة التي نشرت في الصحف والمجلات الإنجليزية . وقد تغير هذا الاسم من إحدى ربايعات عمر الحيام التي يخاطب فيها (الناقي) بقوله : « إذا سربرت أيها الناقي بالرفاق للثنتين على الأعصاب انتثار النجوم ... الخ »

« وقد ولد موزو في بورما سنة ١٨٧٠ ومات أمه وهو في السنة الأولى من عمره ونقله أبوه هو وأخوه إلى نورث ديفون ليمشوا بين جدهم وعمتهم . ونحل موزو في فرنسا سنة ١٩١٦ في إحدى معارك الحرب الكبرى . وله كثير من القصص القصيرة والمفالات النقدية البارعة . وقصة « الباب المتروح » التي نرهبها هنا هي إحدى قصصه القصيرة الطريفة »

— ستحضر خالتي في الحال

يامستر «نقل»، ولكن يجب في الوقت نفسه أن تبذل في إلهاء حديثك مني

بهذه الكلمات بأذرت الفتاة ضيقها عند عودتها إلى غرفة الاستقبال، حيث كانت قد تركته ريثما ذهب لإخبار خالها بقدومه : وقتاننا صبية رزينة لم تتجاوز الخامسة عشرة من سنها

وحاول فرامتون نقل أن يتخير الكلمات اللاققة التي يستطيع أن يرضى بها ابنة الأخت المائلة أمامه دون أن يكون في هذه الكلمات ما لا يرضى بغير مقتضى ، الحالة التي ستحضر بعد قليل . وقد شك الفتى بينه وبين نفسه أكثر مما شك في أي وقت مضى ،

فما إذا كانت هذه الزيارات الرسمية التي يتقدم بها إلى سلسلة من العائلات التي لا تربطها بها أية رابطة على الإطلاق ، سيكون لها أثر فعال في علاج مرض

من رحلتهم ، لأنه عند اجتيازهم المستنقع للوصول إلى الميدان المفضل عندهم لعديد البكاشين ساخت أقدامهم في بقعة خادعة من الأرض اللينة ، حدث هذا في ذلك الصيف الذي كثرت أمطاره ، على ما تعلم حتى إن الأمانكن التي كانت مأمونة في السنوات الأخرى لم تقو على الثبات فانهارت ، وقد اختفت أجسامهم ولم يقف لها أحد على أثر ، وهذا هو أفظع ما في المأساة

وما وصلت الفتاة إلى هذه النقطة من قصتها حتى فقد صوتها ما فيه من رنة الثبات وغلب عليه التأثير ، ثم مضت تقول :

— ومسكنة خالتي لا تنفك تتصور أنهم سيمودون يوماً ما ومعهم كلهم الأسود الصغير الذي ساخ معهم أيضاً ، وأنهم سيدخلون إلى البيت من هذا الباب كما تعودوا أن يفعلوا كل يوم . وهذا هو السبب في تركه مفتوحاً كل مساء إلى أن يهبط النسق . وما أتوس خالتي العززة فلنكم كررت على سمي قصة خروجهم ، إذ كان زوجها يحمل مطف المطر الأبيض على ساعده ، بينما روني أخوها الأصغر ينشد أغنية : «لماذا تهب يا رني» ، كما كان يفعل دائماً ليقظها فقد كانت تقول إن هذه الأغنية تهز أعصابها ، ولا أخفي عليك يا سيدتي ، أنني في بعض الليالي الساكنة الهادئة مثل هذه الليلة ، يتسرب إلى نفسي غالباً شعور خفي بأنهم جميعاً سيمودون إلينا من خلال هذا الباب ... »

ووقفت الفتاة فجأة عن الكلام مضطربة بعض الشيء ، وأحس فرامتون بالفرج عند ما دخلت الحالة إلى الغرفة تسوق أمامها سلسلة من المماذير

وصاغ الفتى كلماته الأخيرة في لهجة تنم عن الأسف فتابعت الفتاة الرزينة حديثها قائلة :
— إذن أنت تكاد لا تعرف شيئاً إطلاقاً من أمر خالتي ؟
فأجاب الفتى :

— لا أعرف غير اسمها وعنوانها فهو لا يدري إذا كانت متروجة أو أرملة . ولكن شيئاً في الغرفة لا يستطيع أن يبينه على التدقيق كان يوحى إليه بأن في البيت رجالاً ... على أن الصبية لم تلبث أن قالت :

— لقد زلت بخالتي مأساتها الكبيرة في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنين كاملة ، ووافق ذلك الوقت الذي غادرت فيه أختك هذه الجهات فسأل الفتى الذي لم يكن ليتصور أن الماكسي تجد طريقها إلى مثل هذا المكان الهادئ الطمئن :
— تقولين مأساتها ؟

فكانت الفتاة وهي تشير إلى أحد الأبواب المطلة على الشرفة وكان مفتوحاً :
— قد يدهشك أن ترى هذا الباب مفتوحاً في مساء يوم من أيام شهر أكتوبر كيومنا هذا ؟
فأجاب فرامتون :

— إن الجو دافئ بالنسبة لهذا الفصل من السنة ، ولكن هل لهذا الباب أية علاقة بالمأساة التي تشيرين إليها ؟

فشرعت الفتاة تحكي القصة الآتية :

— في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات خرج من هذا الباب زوج خالتي وأخوها الأصغر منها سنّاً ليسعدوا الطير على عادتهم اليومية ، ولكنهم لم يعودوا

التامة وأن آجنب الانفعالات النفسية ، وأن أبتعد
عن كل شئ يتصل بالجهود الجسمي ، ولكنهم غير
متفقين اتفاقاً تاماً فيما يتصل بمسألة الغذاء

فقال مسز سابلتون :

— ألم يتفقوا ؟

وكان صوتها في هذا السؤال صوت الذي جاهد
التثاؤب في اللحظة الأخيرة . ثم لم تلبث أن ابتهجت
فجأة وبدا عليها مظهر التنبه الشديد ... غير أن هذا
التنبه لم يكن لحديث فرامتون . ثم صاحت :

— ها هم قد عادوا آخر الأمر في الوقت
المناسب لشرب الشاي . ألا يبدو عليهم أن الأحوال
تفطيمهم إلى رؤوسهم ؟

فارتجفت الفتى ارتجافاً خفيفاً ، ثم نظر إلى ابنة
الأخت نظرة تحمل معنى الإشفاق . وكانت الطفلة
تحدق من خلال الباب المفتوح ، وفي عينيها معنى
الزعب الخاطف . فدار فرامتون في مقدمه وقد أحس
بصدمة مرعشة من جراء خوف لا يدرك معناه
ونظر إلى حيث تنظر الفتاة

فرأى خلال النسق الحابط ثلاثة أشخاص
يجتازون الحقل متجهين إلى الباب المفتوح ، وكانوا
جميعاً يحملون البنادق على سواعدهم ، وكان أحدهم
يحمل ما عدا البندقية مطلقاً أبيض من حياطف
الطر أقاء على كتفه ، وكان يتقرب أقدامهم كلب
صغير أسود تبدو عليه مظاهر التعب . واقترب هذا
الجمع في سكون من البيت ، وإذا بصوت فتى أجش
يفنى في النسق :

« إلى أسالك يا برنى لماذا تلب ؟ »

لم تكذب عين فرامتون تقع على هذا المنظر حتى

لتأخرها في إصلاح زينتها وقالت :

— أرجو أن تكون « فيرا » قد سلتك
بحديثها ؟

فقال فرامتون :

— لقد كان حديثها جد شائق

وقالت مسز سابلتون في نشاط وخفة :

— أرجو ألا يسألك قصح هذا الباب ، فإن
زوجي وأخوي على وشك أن يودوا من الصيد ،
وقد تمودوا أن يدخلوا دائماً من هذا الباب ، ولقد
خرجوا اليوم لصيد البكاشين في البرك ، وما من شك
في أنهم متى عادوا تركوا على سجاجيدي المسكينة
آثار ما تحمل أقدامهم من الأحوال ، وهذا هو
نشاطكم أيها الرجال ؟ فهل توافقني على ذلك ؟ »

ومضت تتحدث في انشراح عن الصيد وعن
ندرة الطيور ، وبخاصة البط في فصل الشتاء ، ولقد
بدا هذا الحديث لفرامتون مزججاً فظيماً ، فحاول
جاهداً أن يحوله إلى مجرى أقل فظاعة وهولاً ،
فلم يتجح في ذلك إلا بعض النجاح ، وقد تبين أن
مضيفته لا توليه من عنايتها إلا جزءاً جد يسير ،
ولكن نظراتها كانت تنخطاه إلى الباب المفتوح
وإلى ما وراءه من حقول ومستنقعات . فام من شك
في أن زيارته هذه الأسرة في مثل هذه الذكرى
المؤلة لم تكن إلا مصادفة جد سيئة

وصور الوهم لفرامتون أن القوم الغريباء الذين
يجتمع بهم والذين هم معارف الصدفة ، عطاش إلى
تصرف أقل ما يمكن من التفصيل عن مرضه وعلة
ووسائل شفائه فقال :

— لقد اتفق الأطباء في أمرهم لي بأن أؤزم الراحة

الفصول والغايات

معجزة الشاعر اللاتب

أبي الغلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أساليبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
نافذ أبي الغلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صحه ودرجه وطبئه الأستاذ

محمود حسن زكّاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكتاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن إدارة « الرسالة »
التمن ١٢ قرشاً

أمسك في عنف بمصاه وقبسته ، وفي أسرع من
لمح البصر كان قد اجتاز باب الردهة والممر المرسوف
والباب الخارجي كأنه السهم المارق ، حتى أن رجلاً
مقبلاً على دراجة لم يبق التصادم به إلا في اللحظة
الأخيرة متحرفاً فجاء إلى السور

ودخل القادمون من الباب المفتوح وقال جامل
المعطف الأبيض :

— ها نحن يا عزيزي قد عدنا ملوثين بالأحوال
ولكن أكثرها جاف . ولكن من هو هذا الرجل
الذي تلاحق لجرد ظهورنا ؟
فقال مسر سابلتون :

هو رجل غريب الأطوار جداً اسمه مستر « نفل »
لا يستطيع أن يتكلم إلا عن مرضه ، ولم يكذب يوماً
حتى اندفع إلى الباب خارجاً دون أن يلقى بكلمة
وداع أو عبارة اعتذار ، حتى لكأنه قد رأى شبح
عفرت مخيف

فقال ابنة الأخت في هدوء :

— أظنه قد خاف الكلب ، فقد خبرني أن
بعض الكلاب الضالة هاجته مرة وطاردته حتى
أزمنته الحرب منها إلى مقبرة في ناحية ما على ضفة
نهر الجنج ، وقد اضطر أن يقضى الليل في قبر جديد
لم يدفن فيه أحد بينا الكلاب من فوقه تنبح
مكشكة عن أنيابها ، وفي ذلك ما يكفي لهرز أعصاب
أي إنسان

لقد كانت خاصة فناننا الرزينة اختراع الروايات
على البداة :

عبد الحميد حمدي

مَا خَبَّرْتَهَا؟ ...

أَقْصُوصُ صَبْرِيَّةَ مُصَرَّرِيَّةَ
بِقَلَمِ الْآنِسَةِ جَمِيلَةِ الْعَلَاءِ بِلَى

متقطع محوم ...

وشكت الممرضة في أمره ...

واستطاعت أن تفهم بحكم خبرتها

أن أمام ناظره خيال امرأة، قد

تكون سبب هذه الصدمة أوسبب

هذه الحلى ... الله يعلم

وانتهزت فرصة غفوة المميقة

فانسلت خفية إلى غرفته تبحث

في محفظته ... حتى رأت بين أوراقه رسالة موجزة

من فتاة تقول فيها :

أخي الفاضل

لا أحب أن أكون أكنزوية هائلة في داربح

حياتك ، إذن يجب أن تسدل الستار

واستمع إلى بعقلك ولملك لا تكون من الظالمين .

لقد تمارفتنا على غير ارتقاب ، وأحبائنا لغير غاية ...

ولملك تذكر يوم لقيتني في منزل الخالة وقسمي إليك

زوجها ... وكان ذلك في عيد ميلاد ابنته ...

وانتهزت فرصة خلو المكان إلا منا فحدثتني عن

نفسك في صراحة مطلقة أكبرتكم من أجلها ...

وصورت إلى في مرارة ما تمناني من حرمان وآلام

من جراء يتمك ... ولم تكذ تغفل إلى هذا الحديث

الحزن بأكيًا في هدوء حتى أحسست أن دموعك

خرجت من قلبك لتسكب في قلبي ، ولنا أوكد لك

أن دموعك وحدها هي التي جذبتني ... ثم عرجت

في حديثك على حياتك الخاصة فأفهمتني أنك تلهو

بالحسان وتقضي طوال الليل خارج الدار مع جمهرة

من الشبان وعلقت على ذلك بأنك مضطر إلى هذا

الفساد لخلو قلبك من الحب ولمدم توفيقك إلى امرأة

تحميك وترعاك ...

سحق الرجل عندما ما بلغه خبر خطبتها وكان على

يقين من أنها لن تزوج غيره ، لأنها أحبته بدليل

أنها بادلت الحب وارقتضت به زوجاً ، والآن ما عساه

يفعل ... هل ينتقم ؟ أم يتناساها ويحب غيرها ؟

أم يسمى إليها علها تعود إليه ... ؟

وارتوى الرجل على مقدمه موهوماً مفكراً يتخيلها

بجمالها الرائع وروحها الساحرة وعواطفها الطاغية

وعقلها النابه ...

استعاد كل ماضيه وما يحمله من ذكرى جاعحة ،

فأحس أن خسارته يفقدها لن تموض أبداً ...

أبداً ... وأنه لن يعثر على فتاة تتأمله عفة ورقة

وسحراً وذكاء ...

فأعظم المصاب !

بكي فلم يرقه السمع عنه !

وخرج إلى الشارع يتمشى كالشارد فاصطدم

بسيارة حمل على أثرها إلى المستشفى ... وظن الأطباء

أن الحلى التي انتابته من أثر الصدمة . ولو أنهم كانوا

بخفايا القلوب عاين لمرقوا موضع الداء الدفين ،

ولأدركوا أن الحلى في قلبه ، وسداها في غنه !

خائنة ... غادرة ... مجرمة ...

لم يكن لديه سوى ترديد هذه الألفاظ بصوت

ولكننى اتخذت الحب وسيلة إلى إصلاحك
لأنك أفهمتنى أنك لا ترتدع عن الإثم إلا إذا أجتكت
امرأة ...

ولم أفتك بل كنت أشفق على شبابك الذى
يذويہ الفجور وكنت أتمنى أن أخلق منك الرجل
الكامل ، ثم أدع الطبيعة بعد ذلك تدينى منك
أو تقصينى عنك ...

نوهت لى عن الزواج فلم أمانع ... لا حبا فيه
أو فيك ... بل رغبة فى أن أصل بك إلى مستوى
أرفع من مستوى الرجال ... خفيت فى سيبك على
ووقى وجعلتك محور تفكيرى وحسنى على أمل
أن تصلح ولكنك كنت تقول ولا تفعل ... كنت
تصارحنى بأنك ستعمل كذا وكذا ... وقد عملت
كذا وكذا ... فإذا اكتشفت الحقيقة واستوضحت
الأمر ... ظهر كذبك ونفاقك ...

رباه ... لشدة ما عذبني هذا وكنت أصبر راجية
أن تكون من المهتدين ...

كانت رسائلى وحدها كافية لإصلاحك وكان
حنوى وعطفي كافيين لإشباعك ... ولكنك
فى الواقع خلقت تغير الحب الأكيد - صدقى -
لم يكن فى نيتي أن أبغى بك أو أتزوج سواك؛
إذ كنت أريد أن أشعر بالثقة الخالدة ، لأننى خلقت
رجلا ... وعجيب أن يكون للماطفة شيطان يحولها
من الفضيلة إلى الرذيلة ومن الأمل إلى اليأس ومن
الحب إلى الكراهية ...

وكان شيطان حبي ... كذبك ... فطني عليه
وحوله إلى يأس مرير

ولطالما صارحتك بذلك وقلت لك إن الرجل الذى
يكذب مرة لا يصدق مرة. وأخفى أن تنفدنى بسبب
(١٦)

وافترقنا على أمل أن تكون كصديقين أو أخوين،
ولم أر غضاضة فى قبول صداقتك ما دامت تدفع عنك
الضر والشركا دعت ...

تراسلنا وتبادلنا وحاولت جهدى أن اتخذ من
رسائلى أداة لإصلاحك وأن أسيطر على عواطفك
كلما تأملتك لأوجهك إلى الطريق المستقيم ...

فلم أدع صغيرة ولا كبيرة تدفلك فى طريق المجد
إلا لفت نظرك إليها ...

أعربتك بكل ما فى قلبى من رحمة وبكل ما فى
عقلى من ذكاء لانتشاك من البؤرة الدنسة وأرفضك
من الأحوال إلى سماء الطهر والكمال ...

فكنت تكتب لى بأسلوب رائع لتوهمنى أنك
تسير فى الطريق الرجو فى غير هواة ... وأنت على
خير ما أتمنى لك من خير وفضيلة

وبرغم تصرفاتك الخاطئة التى كنت أكتشفها
بالمصادفة ... كنت أنسامح وأقول لنفسى من السير
أن يتحرر من قيود المجتمع دفعة واحدة ...

وفى الواقع يأخى أنت بارع فى تلفيق الأكاذيب ..
بدرجة أنى كنت أتقن فيك مع أن البراهين تؤكد
بنوء تصرفك .. والكذب عندك غريزة. أوه ...
لطالما ضايقى كذبك وأرقنى وأسلمنى إلى أسر الآلام
وأظلم الأحلام ... ورغم ذلك كنت أريد أن أجرب
قدرتى فيك ...

فكنت أجهل وأتسامح على أن أجهن فى تأدية
مهمتى ...

ولكن عبتا ...

كيف أجهن وأنت بمسند عنى تمشي هناك
كما يحولك ... مطمئنا إلى تسامحى وحبي ...
فى الواقع لم أجهنك ...

هذا الكذب غاذر ... فكننت تدافع في براعة
الحامين ولباقة السياسيين حتى أضطر للسكرتير لأن
إيمان وتسليم بل عن جد ورجاء ...
أخيراً ...

أجل أخيراً أيقنت أننا لو تزوجنا لا يمكن أن
نتفق أبداً ... أبداً ... وستكون وصمة في جبين
التفاهم الروحي الأكيد - فآثرت أن أقف بجانبك
موقف الأخت البارة تراك من بعيد بقدر المستطاع
مرحبة بالخطيب الحبيب لما بيننا من تفاهم وتألف ...
وأحد الله الذي وحد بين قلوبنا وروحنا ...

والذي أريده منك الآن ... أن تعود إلى رسائلي
وأن تستعيد ذكرى كل ما قلته ترى أنني أخلصت
لك يوم ظننت أنك تصلح لأن تكون مثلي الأعلى ...
فلسا واجهتني بحقيقتك تنبه وجداني ، فإذا بالحب
كظلك الذي تلاشي عند ما اختفيت عن نظري
في آخر لقاء ...

يا سيدي ... أو يا أخي إن شئت : الحب
كالبنيان تندك قوائم عرشه بالثقة وزعرعه التثاب
وأخيراً يحطمه الكذب والهتان

ونصيحتي إليك أن تحب المرأة صادقاً وتفهمها
صادقاً وتكشف لها عن مساوئك صادقاً ، ثم حاول
إصلاح نفسك صادقاً ، إنها تدفع دمها ثمناً لهذا الصدق.
والشيطان يسخر منك عند ما يحلل لك الكذب
غاذر ...

فهمت المرءة كل شيء ... فأشفقت على الرجل
وفكرت ، أترى المرأة أخطأت ؟
وكانت المرءة ذكية فلم تشأ أن تحكم لها
أو عليها حتى تراها ...

ولكن كيف ؟

آه ... ها هو عنوانها في الرسالة ...
إذن فلتكتب إليها فالمرضى يحتضر ويدعوها ...
وظل المريض يهذي :

خاتمة ... غادرة ... مجرمة ...
أندمل جرح الصدمة الطارئة ولم يتدمل جرح
القلب الدابي ...
حتى جاءت

مرضى يحتضر يدعوها ؟ ... ولم يجد غصاة
في عيادته .

وأفهمتها المرءة في حكمة ودهاء ... أنها يمث
إليها رحمة به لأنه يهذي باسمها وقد فهمت من هذيان
كل شيء .

فشكرتها الفتاة وولجت باب المريض في هدوء
ولحقة ... وبادته ...

فرفع بصره في بطنه ، وقد اربد وجهه فجأة ...
ثم غص طرفه ملياً ، وأخيراً ابتسم في مرارة وقد
انطلق وجهه وغغم ... كوتر ...

قالت : ساءني مصابك . لكن المرءة طمأننتي
فالحمد لله

قال : وهل تهملك حياتي ... خير لي أن أموت
قالت : كيف لا تهمني حياتك وأنا أرجو لك
كل خير وتوفيق ...

وهنا أحس الرجل بانتماش غريب فنسى ما كان
يشغله من الهواجس القائمة ، واعتدل في مقعده ثم
اقترب منها ليمزج أنفاسها البقية بأنفاسه الحمرى
فانكأ : أوتدكرين يا كوتر ما مر من حل الألام ...
فلم تشأ أن تدبر مجرى خياله وقالت : طبعاً أذكر
فابتسم وأعقب : أوتدكرين يوم اجتمعنا في غفلة

يا قرة العينين بل يا متسبية القلب العذاب
تفديك روى يا حبيبى فى حضور أو غياب
ما العيش بمدك فى الحياة سوى بريق من سراب
خذنى إليك ونجى مما أعانى من عذاب
أنا إن أعش فلاجل أن ألقاك عنوان الشباب
أنا إن أعش فلاجل أن أدنك من كل الرغاب
أمودى عند المساء وتاركى لضى ارتقاب
أعاطبى ؟ مهلا للى أن أعود إلى صوابى
يا مهجى الحرى حنا ناك قسست من العتاب
ماذا على إذا فتحت له لدى الترجيب بابى
ووهبته ما شاء من عطى وحى المستطاب
يا وبع نفسى هل أطيع غيابه بعد اقتراب ؟
أأطيع وهو هو الضي بخاطرى مثل الشهاب ؟
يا من هدته عواطفى فى كل مختلج الشعاب
أبدأ أحن إليك يا رضى الأمانى العذاب
وهنا انشرح ملياً ثم عاد يتألمها فى لهفة بادية
قائلاً : غنى يا كوتر ... أعيدى على مسمى هذا
النشيد ... إن كلامك أعذب من أغايد البلابل ...
غنى غنى ...

فاغتصبت بسمه وقالت بصوت تشيع فيه المرارة:
— عند ما تعاودك العافية كاملة أسمعك أجل
الأنشيد ...

فاتصبت واقفاً قائلاً :

— أنا بخير ... انظرى ... هاذا أتحرّك ...
وأسير أيضاً ... فى مقدورى أن أخرج الآن ...
ولابد أن أخرج منك ... لن أتركك تخرجين وحدك
فاشفقت عليه لأن آثار الحى كانت ما زالت
ظاهرة عليه وقالت :

القدر تحت خيمته فى إحدى الحدائق النائية وكنا
أشبه بصغورين اليقين ضمهما الوكر فى حى الصفاء ،
وأحسست يومئذ رغم حاجر العفة الذى كنت تحرصين
دأماً على إقامته بيننا أننا التحفنا بقطاع واحد —
لا أذكر كيف كان — أكانت ماديتنا هى التى
تنطق بروحينا ، أم نور الحب هو الذى كان يكتنفنا حتى
بننا كأننا نور من نوره . لقد كنت أجهل موضعك
منى وموضى منك ... ولما سألتك : أين أنا منك ؟
أجبتنى : وأين أنا منك ؟

ولم يكن كلامنا بهذه الحروف المهددة بل كان
بلغة الصمت الجليلة التى تنساب من قلب إلى قلب
كما ينساب النور فى الأفق . ولما قلت لك : تخيل
إلى لو أننى جردت نفسى من العفة واعتصرتك
لما ارتويت أبداً ... أبداً ...

فاشحت بوجهك عنى حياءً واجتمعت عنى ثم
قلت : لأنك بقدر ما تسلب منى أسلب منك !
فأهمرت دموى من فرط النشوة وقالت : كل
يوم يزداد حسنك كأن فى ميعتك كنزاً من الجاذبية
لا ينفى

قلت برأسك دلالة قائلة : من عند ربى . ولما
عادونى السهوم وأنت حيالى وبدا على وجهى ظلال
أحلامى ...

أهيت بي إلى مكائلك ... ولكنى كنت متفانياً
فى نفسك سارحاً فى جنبات قلبك

وظل قلبى يخفق ، ونظرك ينطق
وما زلت أذكر نشيدك الذى كنت أتغنى به
دأماً كأنه تمويذى الخالدة :

أخشى عليك من العباب يعطى عليك بلا حساب

— لاعودك في النداء وأصبحك إلى الخارج ...
والآن يجب أن أخرج ...

وحاول أن يستمهلها فاعتذرت وانصرفت وتركته
واجماً ساكناً لا يبدى حراكاً كالطفل الصغير الذي
تركه أمه فيمجز عن اللحاق بها أو استبقائها بجانبه

مرت الأيام وهي تموده ... حتى عوفى وترك
المستشفى ... وطلب إليها أن تزوره في منزله فوعده
وانتظر في اليماد فلم تحضر، ومرت الأيام تبعاً
ولم تعد ...

وعثر الرجل على الرسالة وكان نسفاً، أو لعل
الحى هي التي أنست له إياها فقرأها ...

تذكر كل شيء ... فثار جنونه واشتعل وجدانه
مفكراً فيما يصح أن يفعله ... حتى صبح غزبه على أن
يبحث بجميع رسائلها إلى خطيبها، وهي مجموعة موفورة
من الحب الشبوب المتأجج، وفيها ميثاقها على ألا تتخذ
منه بديلاً ...

قد يتخيل الحب أن في مقدوره أن يصفح
ويغفر وأن ينسى الإثم والبهتان
وقد يسهل ذلك على الحب العاقل النبيل إلى
حد ما ...

وقد يعتقد الحب أن حبيبه كان يجب من قبل
غيره ... ولكنه لا يساير هذا الاعتقاد إذ ليس لديه
ما يشبته ... حتى إذا حدث ما يؤكد هذا الزم
حدث ما لم يكن في الحسبان، فإما هجر لا لقاء بعده،
أو شك يظل يعذب صاحبه على طول الأيام ...
وخطيب الفتاة كان رزيناً حكيماً ولكنه إنسان

له غرائز البشر وخصائص الحب ...

لطالما قالت له الفتاة إنها عرفت كثيراً وجاملت
بعض المحبين، وسارت أحياناً في طريق الحب إذا تراءى
لها عفاً بريئاً حتى إذا تكشف لها عن خدعة تحت
عنه وابتعدت ... وكان يستمع إليها ويسامرهما دون
أى عبث أو ملام ...

ولكنه اليوم بعد أن تسلم رسائلها ساوره الشك
واعترته الريبة؛ وفاجأها نازلاً لا مئماً وكأنها تبدلت من
ملائكتها إلى شيطان رجيم أمام ناظره فاهتاج وراح
يرميها بأبشع التهم وهي ساكنة هادئة باسمة ...

حتى إذا انتهت قالت له: كلانا خدع في الآخر
يا سيدي ... أنت ظننتني ملكاً كريماً فأحببتني
وأنا ظننتك الثلل الأعلى للرجولة الكاملة فأحببتك.
والآن ... ليس ثمة ما يدعو للغضب ما دمنا في أول
الطريق ... فليبحث كل منا عن شريكه ...

فاغتاض وقاض شكه وقال: آه في الطريق
أكثر من رجل ينتظرك لأنك رميت شبكة الخداع
على كثيرين ... أصدقيني هل أحببت هذا الرجل؟

قالت: أجل، كما أحببتك قبل اليوم. فدهش
الرجل لجرأتها، ولكنه ظن أنها تهاجمه فماد يقول:
ولماذا لم تزوجيه؟ قالت: إذا خاب الحب انتصر
العقل بما يكتسبه من التجارب والأهوال ...
أما الزواج فخيانه موت لا حياة بعده مهما تمجدد
بطل طابع الخيبة على جبين المرأة مدى السنين ...
وصمتت ملياً ثم قالت: يا سيدي إن الرجل إذا أحب
صديقاً يفقر للبنى لئمتها ... وأنت كما زعمت تحبني ...
فكيف تريد أن محاسبي على تصرف لا تدري كيف
فعلته ولماذا؟

لم تمد لي صلة بك أوبه ...
 قاطعها: أنسيت حبي يا كوتر ... لقد أحبيتني
 حباً لم تحبه امرأة لرجل وكذلك أحبيتك أنا ...
 فمادت تضحك، ثم قالت: لقد أحبت طيفاً
 مجهولاً فيك ... أما أنت فلم أحبك ... أحبت
 الإنسان الذي أنشده فيك وله كنت أكتب وعليه
 أحنو؛ فلما وجدت ذاتك غير قادرة على حفظ الروح
 التي أهفوا إليه تنحيت عنك باحثة عن مقر ذلك الروح
 لقد كنت تحاول أن تخدعني بالحب لئلا يهجي
 نخدعتك بالحب أيضاً لأعرف حقيقتك؛ فلما
 عرفتها ارتفعت إلى سماءي ... ولملك لاحظت فيما
 مضى أنني كنت أحاول دائماً أن أرفك إلى الأفق
 الذي أعيش فيه موطنه النفس على الفتاعة بك
 لو استطعت الصعود إلى ... فلما فشلت وعجزت عن
 السمو بنفسك إلى مستواي ... تركتك في الأوحال
 وحبك وحلقت في عالمي النوراني هناك ... فما ذنبي
 أريد أن أهبط إلى الأرض لأعيش معك لا أكون
 حبة وفيه بينا في عمق هذه الحنة القلة والموان ...
 لماذا لم ترتفع بإنسانيتك إلى سماءي مادمت تهوأي
 كما كنت ترهم ...
 إن الرجل الذي يعجز عن السمو بنفسه في سبيل
 الحب لا يقدر قيمة الحب ولم يكن حباً أبداً ...
 أفهمت ما ذنبي إذا استغلت الحب في سبيل الإصلاح
 فإذا عجز الخراب به أجل به من حب، وإن عجز
 عن البلوغ بصاحبه إلى الناية المثلى فيذهب في ذمة
 التاريخ الضائع ...
 ما ذنبي إذا أيسمت ساخرة من عنفك في التفرير
 في ظنك منك أن كل الفتيات أسيرات السكك للمسول
 والحب المصطنع

إذا صعب عليك أن تغفر ذنبي في ماضي فقد
 صعب عليك أن تغفر ذنوبي في حاضري والإنسان
 لا يسلم من الخطأ ... إذن إبحث لك عن فتاة لم تتعرف
 على أي رجل، وأنصحك أن تأخذ طفلة لم تبلغ
 الرأية من عمرها ... وتركته وانصرف
 يا للشيطان ... إنه يلعب على مسرح العقول
 بمهارة ...

خرج الرجل وانقطع عنها فوطنت النفس على
 أن ترفضه وتسلوه ...

وحاول الرجل أن يسألها فلم يستطع لأن ثقته
 بظهرها من اختياراته كانت أشد تأثيراً في نفسه
 من شكه فيها، ولكن يعاوده من حين إلى حين وقع
 رسائلها في نفسه فيأرق ويتألم، وظل كذلك ...
 حتى ذلك اليوم الذي بعث فيه أخته إلى كوتر رسالة
 تدعوها لزيارتها لأمر هام ...

فذهبت كوتر، وفي نيتها أن تضع حداً للعلاقة
 بينها وبين أخيها وتعلن له رفض يده ...

وهناك قابلتها أخته، ودخل الخادم يطلب الأخت
 لقابلة الوالد ... فخرجت وغابت ... ثم دخل الرجل ...
 دخل الرجل الحبيب الأول ... مفاجأة لم تكن
 متأهية لها. كيف حضر إلى هنا. ولماذا 19

لم يترك لها الرجل فرصة لمخاطبته إذ قال:
 كوتر ... يدهشك أن أتفاك في منزل خطييك،
 وبمد أن عرف علاقتنا القديمة ... ولكنه نبيل
 كريم كما يدل تصرفه ... إذ لم يشأ أن يحطم قلبي
 فأباح لي لفتاك هنا لتجدد العهد وقد تنازل عنك لي
 فضحك الفتاة منهكة وقالت: ها ها ها ...
 أتراني سلعة وأنا لا أدري

لأى غاية ولن أجبك أيضاً لغاية ... بل أحببتك
لأصلحك ...

إذن لم أكن أنا التى أحببتك ... إنما هو الحب
الذى سخرنى لهديك ... فكفرت به

قال : سأكون كما نشأين ... صالحاً تقياً
مؤمناً محباً وفياً ... إن قبلتني زوجاً ؛ وإن أبيت
فلأمت ، ولنزل عليك تقمة الله ...

فقلت : الله يعلم كيف أنصني في سبيل الإيمان به
فحسبى ...

وهنا دخل خطيبها ملتفتاً إلى الرجل مصوباً إليه
نظرة شذراء ، ثم قال : كنى يا صاحبي . لقد فهمت كل
شيء ... إنها ملك .

جميلة الصديقي

« النصورة »

المجموعة الأولى للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
العصر لموسيه ، والأذينة لهوميروس ، ومذكرات
نائب في الأديان لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومنفردة .

القرن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

ما ذنبى إذا تمنتين بمنىب النشيد متاجية الإلف
المجهول ، فظنك المعنى بذاك التصيد ؟!

ما ذنبى إذا صعب عليك تفهم الحقيقة لتدرك
معنى الحب ؟!

وما ذنبى إذا عجزت عن إصلاح نفسك لتدعيم
حياتك كما ترجو ...

فقاطعها : أنت الجانية . كان في مقدورك إصلاحى
ورعايتى ... لقد تركتني وسط أعاصير الحياة الموحاء
فقلت : أكنت تريد أن أحبس نفسى في دارك
لأرعاك ...

فقال : كنت أريد أن أتزوجك ...

فضحكت متهمكة ثم أعقبت : هيه ... آه ...
كان يجب أن أقدم إليك لأعقد عليك ... أليس
كذلك ؟! ... معذرة يا سيدى ... كان يجب أن
أفعل ذلك ...

فقال : لقد لوحث لك كثيراً فكنت تماطلين
فأجابته جادة : اسمع . الرجل الذى يريد المرأة
ويتمناها لا يسألها رأيها ، ولا يستشيرها ماذا يفعل
لنيلها . إنه يقتحم الطريق الشائك في سبيل الوصول
إليها ، بل يختلفها من بين ذراعى القدر إن تحدها ،
أفهم ؟

أما هذه التعاويذ الشيطانية التى يلجأ إليها
الرجل ليخدر بها أعصاب المرأة ليطلق من عمر الحب
لينتم ويسلى فلا أجزها ولا أههما

أنت تعرف جيداً أنني دفعت الثمن غالياً من
عواطفى لإيقاظك ... ولكنك أبيت إلا أن تعيش
في الظلام فما ذنبى ...

ولقد أكنت لك أكثر من مرة أنني لم أجبك

بحقد فيهما وأجاب : « ذلك
لأنني لا أثق بأنني أستطيع أن
أفعل شيئاً يسرك »

ثم قال بصوت منخفض :
« ولا أثق بأنك تحبيني ،
ولذلك أفضل الظهور منك
في مثل هذا المكان على الظهور
منك في الأماكن المزدحمة »

فتهدت الفتاة تهدأ يدل على الحزن وقالت :
« إنني أتمنى من أعماق قلبي أن أحبك فأنت عزيز
عندي ، ولكن أعطني مهلة فيما ... »
فقاطعتها بقوله : « إنني لا أستمتع بك ، وإنني
مستعد لانتظارك سنوات »

ثم ابتسم ابتسامة ذات معنى وقال : « أنا لست
راغباً في الانتظار سنوات ولكن إذا لم يكن بد
من ذلك فساأظطر »

قالت الفتاة : « لقد ناقشت نفسي كثيراً في هذا
الأمر ولا أرى من حق أحد أن يطالب الآخر
بالانتظار ، على أنني أجد نفسي أفضل ذلك وهكذا
أكثر النساء »

وعادت الفتاة إلى ابتسامتها الحزينة فأجابها
في رقة : « ولكنني راغب في الانتظار ، وأنا مكثف
بما ترين إعطائه لي ، وكل ما أعتاه أن تنسى بطرس
والزمن كغفيل ... »

فهزت الفتاة رأسها وعضت الفتي شفته ثم قال :
« وهل ترين أنه من انصاف نفسك أن تستمري
في طريق أنت تعرفين أنه لا أمل فيه ؟ إنه لم يبد
شك في أنه قد مات ، وأنت قد نزعرت خاتم الخطبة »

فقدان الذكر

عن الانجليز
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

« ما أغرب هذا المكان يا جيمي ؟ »

ونظرت الفتاة إلى جوانب المطعم نظرة استخفاف
فقال لها صاحبها : « إياك أن يسمعك فرانسو وأنت
تقولين ذلك فيطلب إليك الخروج من المطعم »

وكان فرانسو هو رئيس الخدم وقد وقف من هوأ
بين الجالسين كأنه يعتقد أنه ليس في لوندرا مطعم
آخر غير مطعمه ، ومضى نحو هذين الصاحبين وقال
بلهجة إنكليزية مشوبة بلهجة فرنسية : « من زمن
لم تأت أيها السيد ، وأنت يا آنسة هذه أول مرة
تزورين فيها المطعم « في اسبابه » ؟

فقالت الفتاة وهي تبتسم ابتسامة رقيقة : « ولكن
أرجو ألا تكون آخر مرة »

قال التندل : « إن الذين يزورون هذا المطعم
مرة يعودون دائماً إليه لأنهم يعرفون مزايده »

نحكت جيمي وطلب الشاب الذي معها أستاذات
الطعام فذهب فرانسو ، وقال الشاب لصاحبه :
« أظنك تضايقت من هذا المطعم ولكنني أحبه
وأفضله على كثير من المطاعم »

قالت جيمي : « ولماذا تظنني تضايقت منه ؟ »
ثم نزعرت ففازيها فبدا تحتها كفان جيلتان أخذ

أليس الأولى بالإنسان أن يواجه الحقائق ؟
 فحكمت الفتاة ضحكة خفيفة ثم قالت بصوت يشبه
 البكاء : « نعم ذلك هو الأولى بالطبع ، ولكن
 ألا تستطيع أن تتغنى بالصدقة في البداية يا جورج ؟ »
 فقال : « نعم أستطيع أن أفنع بها »
 قالت : « إنني أشعر بأن فقدت جزءاً من نفسي
 وأظنني عاجزة عن أن أحب امرأة أخرى أى رجل
 وأنا أميل إليك يا جورج ، ولكنني لا أعرف هل
 أحبك كما كنت أحب بطرس ؟ »
 فقال : « أنا أعرف أن ذلك هو الذى سيكون
 ولهذا أخاطر »

قالت جيى : « أنت تستحق كل شيء يا جورج
 ولني أقول نفسي في حبك إذا استطعت »
 فقال : « إن أقل ما يهينني لى أحب من أكثر
 ما يهيه امرأة أخرى أبهى العريضة . ولست أريد
 استمجالك ولكن ها هو الفندق فوق هذا المطعم
 فهل تقولين نعم ؟ إنك لن تنسى هذه الليلة وأقسم
 إنك لن تندى عليها »

فسكتت الفتاة لحظة ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة
 وقالت : « نعم » . فقال : « هل أنت راغبة يا جيى ؟ »
 فهزت الفتاة رأسها وقالت : « إننى أعنى ما أقول »

بعد ساعتين عادت جيى إلى غرفتها وأغلقت
 الباب ، وكانت لا تزال ترن في أذهنها قبلاته وهمساته
 ووقفت لحظة بجانب الوقد وهي تبسم ابتسامة حزن
 ثم ذهبت إلى الحائط فوفقت أمام صورة منابض في
 فرقة الخرس ثم جثت أمام هذه الصورة خمس دقائق
 خالت في أنشائها إن الصورة تفتح شفتيها وتتكلم ،
 فقالت : « إنه صديقك يا بطرس فأرجو أن تساعني

أستحلفك الحب أن تساعني يا بطرس »
 وخالت أن الصورة تبسم ابتسامة رفيق ثم مدت
 يدها إلى المنضدة فتناولت خاتم الخطبة الذى أهدها
 إليها بطرس فقبلته وهي تبكي
 وقضى جورج شهرين وهو سعيد ولم يبق غير
 أسبوعين على زواجه من جيى . حينها حدث هذا
 الحادث الفجائى الذى لا يكاد يحتمل التصديق فوجد
 أمامه بطرس

وكان اسم بطرس قد نشر منذ ثلاثة أعوام في
 قوائم المفقودين في الحرب . واعتقد الجميع أنه مات
 لا تقطاع أخباره طول هذه اللدة

وأحس جورج بدوار شديد ثم مشى إلى بطرس
 وقال بصوت يهدج : « أين كنت يا عزيزى بطرس
 وما الذى تفعله هنا ؟ »

وقبل أن يجيب بطرس على هذا السؤال لاحظ
 جورج أن بجانب بطرس امرأة من نساء النور
 التفجريات فدهش وأعاد سؤاله : « ما الذى تفعله
 هنا يا بطرس وما الذى جاء بك ؟ »

وكانت التجربة و بطرس يحملان بعض الألاعيب
 التى تلعب بها قبائل النور في المدن الكبرى . وقال
 بطرس : « خفض من صوتك حتى لا يسمعك
 البوليس »

وقالت الفتاة : « إنه لا يريد أن يُبتم رئيسه
 السابق في الجيش بأنه عاد إلى إنكلترا »
 قال جورج مخاطباً بطرس : « ولكن لماذا لم
 تخبر أسدقائك بموعدك ؟ »

فقالت التجربة : « إنه لا أسدقاء له غيرى »
 قال جورج في نفسه : « إذا لم يكن الأمر غير
 مفهوم أبقة فلا بد أن تكون قصة بطرس إنه نجا

ولكنه لي ولا أريد أن تنسى ذلك»
وتركهما جورج وهو يمشي متباطئاً وقد انطبعت
في مخيلته صورة ليزا وهي تنظر إلى بطرس نظرة الأم
الرحيمة إلى ابنها الرضيع

ولم يزل يسير حتى وصل إلى حي ييكاديللي، وليس
يشغل ذهنه إلا خاطر واحد هو أن بطرس لا يزال
على قيد الحياة. وكان يقول إنه من المستحيل على
جيمي أن تعرف الحقيقة ما لم يخبرها بهاء، وأن بطرس
في حالته هذه سيد مع ليزا وليزا سيدة معه. وأنه
من المحتمل ألا تعود ذاكرته إليه. وما فائدتها؟
ولماذا أكثر من الكلام مع ليزا؟ ولماذا دعاها إلى
منزله؟ ولماذا لا يقول إن هذا الرجل ليس هو الذي
كان يعرفه، وإنه لا شأن له معه؟ إن تغيير حالة
بطرس تضر كثيرين ولا تفيد أحداً حتى ولا بطرس
نفسه...

وتقابل مع خطيبته جيمي فلاحظت عليه التغير
الشديد فقال: إن حادثاً حدث فشغله عن كل شاغل
وقال: «إذا رأيته أبكي فلا تلقى أهمية على ذلك»
ثم استدرك فقال: «إنه لا يريد إخبارها» وتظاهر
بالضحك وقال: «إنه لم يجد هدية مناسبة ليقدّمها
في المرس، وأن هذا هو الذي يشغل خاطره»
سكتت جيمي وسكت جورج أيضاً. وكان
شارد الدهن. ثم قال: «أريد منك جيلاً هو أن
تطلي صورة بطرس التي عندك»

فوقفت جيمي وهي مندحشة وكادت تنقطع
أنفاسها وقالت: «ألفذا علاقة هدية المرس؟»
فقال: «أريد شيئاً شبيهاً بذلك»
قالت: «ما أعزك يا جورج! ما أعزك! لقد
كنت أفكر في ذلك منذ عدة شهور أنني سأعطيك
الصورة»

من الحرب بأعجوبة وإنه فقد ذاكرته فنتسى كل شيء
يتعلق بالماضي
وقال مخاطباً بطرس: «ومن أي عهد تلب
هذه الألعاب المتنوعة؟» فقالت الفتاة بمحبة:
«هذا ليس من شأنك ولا علاقة لك به فأني أتولى
شئون»

لم يتردد جورج لحظة واحدة وكان صوت خفي
بهمس في نفسه قائلاً: «لا تكن أحمق وتجاهله فإن
جيمي لن تعلم شيئاً عن أمره»
ثم قال: «لقد كان الأمر غلطة مني وقد حسبته
سديفاً لـ كنت أظن أنه مات» فقال بطرس: «إنني
لا أتذكرك، إنني فقدت ذاكرتي وهذه ليزا تنظر
في شئوني»

قال جورج في رقة: «أنا أعرف ذلك وألف
شكر لك يا ليزا. ولكني أدعوكا إلى زيارة منزلي
وهذا عنوانه»

ثم كتب عنوان منزله في ورقة وسلمها إلى الفتاة
وهو يقول: «إن تركه على هذه الحالة مؤلم يا ليزا
وأريد أن أعرضه على أحد الأطباء»

قال بطرس: «شكراً لك ولكني لا أريد أن
أرى طبيباً». فقالت ليزا: «بل خير لك يا بطرس
أن يراك طبيب ويظهر أن هذا الرجل رقيق القلب»
ثم التفتت إلى جورج وقالت: «ألا تأخذه مني
إذا تم شفاؤه؟»

قال جورج بلهجة جدية: «إنني أعدك بالألا
أحاول أخذه منك. ولكن عديني أنك ستأتين إلى
منزلي. إنني أطلب ذلك لمصلحته فقط»

نظرت ليزا إلى جورج نظرة بين الرجاء وبين
الخوف وبعد تردد لحظة قالت: «إنني سأأتي به»

ففظرت إليه نظرة خوف، وكان أول ما فعله الطبيب أن عرض على بطرس صورة في ثوبه الرسمي مشد ليزا إلى جانب بطرس ووقفت معه أمام الصورة وكانت هي البائدة بالكلام فقالت بلهجة الأم حين تخاطب ابنها المريض: «هذه هي سورتك يا بطرس. هل كنت ضابطاً بهذه الرتبة؟»

ثم بدت على وجهها علام الزهو وهي تنظر إلى حبيبها وإلى صورة وهو ضابط. وقال بطرس: «لست أبذكر، وهذه الصورة تصيب رأسي بالصداع» وبدأ عليه النهم ففضبت ليزا وقالت: «وما فائدة ذلك؟ هذه سخرية بنا. إن هذه الصورة كادت تجننه فلماذا لا تتركه وشأنه؟» فقال: «لأنى أحاول أن أنبهه»

فوضعت المرأة ذراعها حول عنق بطرس وقال الطبيب: «إننى أريد أن ألخصه في غرفة أخرى وأن أكون معه على انفراد»

فضربت العجزة رجلها الأرض وقالت مخاطبة جورج: «هل تريد أن تترك ليزا؟»

قال جورج برفق: «إننا لا نريد أن نأخذه وقد وعدتك بذلك»

نظرت المرأة إليه نظرة ألم وقالت: «هل تقسم على ذلك؟» فلما قال إنه صادق في وعده قالت:

لإنها ترى أموراً غريبة وأنها لا تفهم شيئاً مما تراه— قال لها الطبيب: «كيف وجده؟» فقالت

العجزة: «وجده ضالاً في الجاهل التي فيها خيام قبيلتنا، وهو لا ينى شيئاً فأخذته وعنيته به وعلته

ألماب النجر، ونحن سعيديان معاً. وهو لا يتذكر أى شئ. في عهد مضى على مقابلتي إياه»

وقال جورج: «إن هذا طبيب من أكبر

ثم صعدت إلى غرفتها وأتت بالصورة وأوصته بالعتاية بها. ثم وضعت يدها على كتفه وقالت: «لا أظن الآن أنك ستنتظر مكتفياً بالصدافة مدة طويلة».

وفي اللحظة التالية كانت وحدها. وبعد لحظة كان جورج مع الطبيب، وكان الطبيب يقول: «هل تقول إنه فقد ذاكرته تماماً؟»

فأجاب: «إنه لم يعرفنى»

ثم نظر الطبيب إلى الصورة وقال: «أهذه صورة؟» فقال: «نعم»

— وهل علم أهله؟

— لم يعلم أحد إلى الآن غيرى وغيرك، وقد حصلت على الصورة اليوم من جيمى دافترى

قال صديقه الطبيب: «تعنى أنك حصلت عليها من خطيبتك؟»

فأجاب: «نعم وقد كانت خطيبة لبطرس وهي تظن أنه مات. وهذا هو السبب الوحيد الذى جعلها تقبل خطيبي»

ومضت فترة في صمت وكلا الرجلين ينظر إلى الآخر. وقد كانت نظرة الطبيب غريباً من الدهشة والإعجاب ثم قال: «ولكن ما رأيك إذا نجحت العملية؟»

فقال جورج: «وهل تظن في العالم هدية في العالم أفضل من العريس الذى تحبه الفتاة؟»

قال الطبيب: «وإذا لم تنتج العملية؟» فقال جورج: «الله أعلم! إننا لم نصل إلى تلك الغاية»

وفي هذه اللحظة دخل بطرس تقوده ليزا وسألت عن الرجل الجالس إلى جانب جورج فقال:

هو الطبيب

يراقبها وهو مطرق فقالت : « إننى لا أريد شفقتك ولكنى أريد رَجُلِي »

ولما رآته يتأمل فى صورة الفتاة قالت « تذكر الخسارة التى تخسرها بسبب هذه الشفقة . وإنى طالما كنت أفكر من زمن طويل فى أن بطرس ليس بالرجل الذى أصلح له ، ولكنى ألفتى وألفنى »

قال جورج : « وهل أنت حذرة الحظ يا ليزا ؟ » فقالت : « لقد كنت سعيدة ولكنى أخذت نصيبي من السعادة عامًا »

قال : « ما الذى تفعلين الآن ؟ » . فقالت : « ليس هذا شأنك ولكنه شأنى » . ثم خرجت مندفعة من الباب ...

وقال الطبيب بعد أن فحص بطرس إنه يمتدح أن العملية ستنجح تمام النجاح ، وأنه سيجريها فى صباح الغد ، وأرسل الخدم فأعادوا ليزا ، وطلب إليها الانتظار مع المريض ، وأن يجعله بنام ؛ فبقيت وهى تنظر إلى المريض نظرة الإنسان إلى أعز ما يملكه

ونجحت العملية بمعاونة ليزا . وفى الصباح التالى وجد جورج ورقة كتب عليها : « لا تبحثوا عني — ليزا »

فلم يكن فى وسعه أن يفعل أى شئ لأنه لا يعرف عنوانها . ولو كان يعرف لكتب إليها أن بطرس قد استرد ذاكرته ، ولكن عهداً واحداً قد اخفى من ذهنه تمام الاختفاء ؛ فهو لا يعرف أى شئ عن الأعوام الثلاثة الأخيرة . وكان من أوائل الأسئلة التى ألقاها كيف تسير الحرب الآن ؟ ونسى ليزا وعهدها !

الأطباء باليزا ، وهو يمتدح أن إجراء عملية جراحية له يشفيه من مرضه ، ويبيد إليه ذاكرته .

فقالت العجربة : « وبذلك يعرف أنه كان ضابطاً » وقال جورج : « نعم ويتذكر حياته الماضية كلها . وبطرسك هذا يا ليزا هو السير بطرس سفوندون الذى كنا نحسبه مات فى الحرب »

ثم عرض عليها صورة فتاة وقال : « وقد كان مخطوباً إلى هذه السيدة » . فقالت العجربة : « إنه لا ينظر إلى أى إنسان إذا رأى صاحبة هذه الصورة » قال جورج : « وهى تحبه جداً يا ليزا ، وهى أيضاً يحبها ، ولا أعرف أن فى العالم اثنين يحب أحدهما الآخر مثلاً ومثله . وهذه الفتاة مخطوبة لى الآن » فقالت ليزا : « وإذا شئ بطرس فإنها تتركك » قال بطرس : « نعم هذه هى الحقيقة كما يظهر لى الآن » .

ثم ضحكت العجربة ضحكة أدل على الحزن من الدموع وقالت : « والعمل الذى تريده الآن يجعلنى ويجعلك من أتمس الناس »

فقالت جورج : « نعم يا ليزا وإعما أقول ذلك لتعلمي أن التضحية ليست من جانبك فقط بل أنا مشترك معك فيها . والطبيب يريد أن يبقى بطرس هنا هذه الليلة ليجرى له العملية غداً فانتظري معه إذا شئت »

نظرت ليزا إلى صورة جيمي وقالت : « وفى غد تأخذ هذه الفتاة . لماذا تأبئنا ولماذا تريد أن تأخذ منى ؟ إنه سعيد ، وإننى سعيدة . لقد قلت لك إنه سعيد منى .

وقد بكت العجربة كما يبكي الطفل وظل جورج

قالت : « لست أفهم ماذا حدث ولا أعرف إلا أن بطرس قد عاد »
 فقال جورج : « هذا يكنى ! أليس يكنى يا عزيزتى ؟ » ثم أمسك بيدها اليسرى وأخرج خاتم الخطبة الذى كان قد أهداه إليها وهو يقول :
 « لا تنسى الخاتم فى هذا الأسبوع ولكن احتفظى به لديك تذكراً لى »

وهنا سمعت صوت بطرس فقالت : « ادخل فكلمه فهو ينادى ». فقال : « كلا يا عزيزتى فهو لا يريدنى وسأخرج الآن من المنزل »
 ثم خرج من منزله فلم يكن المحبان فى حاجة إليه ولا إلى ليزا
 ولكن كلاهما أخذ نصيبه من السعادة عاماً كما قالت النجارية .

عبد اللطيف النشار

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جون الين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزينات

وهى قصة عالمية تمد بحق من آثار القرن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ومنها ١٥ قرشاً

فى هذه الأثناء استبطلت جيمى صاحبها جورج فجاءت لزوره فى منزله . ولكن لما وقع نظرها على النائم فى السرير اسفر وجهها وتحركت شفتاها وصارت يدها تنقبضان وتنسبطان . وصاحت :
 « لقد جننت ! لقد جننت ! إننى لا أصدق نظرى فهل هذا هو بطرس يا جورج ؟ »
 وسمها بطرس فالتفت ورآها وقال : « أنت جيمى ! تعالى يا عزيزتى »

فصاحت صيحة فرح ، وجثت على ركبتيها عند سريره . فألقى جورج الباب وخرج من الغرفة . فجلس وخواطره ساجدة فى العالم المجهول . فلم ينبهه إلا جيمى ليزا . وقالت : « لقد رأيتها وهى تأتى »
 قال جورج : « لقد استرجع ذاكرته يا ليزا ، ولكنه نسى الثلاثة الأعوام الأخيرة »
 قالت وشفتاها ترتعشان : « هل نسيى ؟ »
 فقال : « نعم يا ليزا ، ونسى ألباب النجى ، ونسى كل شيء فى هذا العهد . وهو يظن أنه لا يزال فى الحرب »

قالت ليزا : « وهل هى معه الآن ؟ » . فقال :
 « نعم هى معه »
 قالت : « الأفضل أن أذهب فلا أريد أن أراه معها ، إن ذلك يكسر قلبى ، لقد أخذت نصيبى منه عاماً ودعته بالأمس »

ثم ذهبت فراقها من النافذة فرآها تقف كما خطت خطوتين وتكلفت إلى المنزل

قالت جيمى لجورج : « أهذه هى هديتك ؟ »
 فأجابها وهو يتشم وعيناه مفرورتان بالدموع :
 « نعم فهل أحببتها ؟ »

وضرب الطبيب الأرض

بقدمه محققاً وهو يهتف :

— ما أنت إلا وحش

غليظ القلب ... ولكنني

لا أسمح لك أن تفعل ذلك ...

هل فهمت ؟ إن كان عليك

حقاً أن تمسح حقل الحنطة

فلا أقل من استدعاء المرأة

« رابت » للعناية بأمك وأنا أصر على ذلك ...

أما إذا لم تفعل ما أشرت عليك به ... فسأتركك

تموت وحيداً كالكلب الأجير إذا ما افترسك

الرض بأنبيائه وحانت ميتتك ... فتذكر ذلك

أي أحاسيس وجلة خلجت خيلة أو توريه في تلك

اللحظة ؟ لقد كان يخاف الطبيب الوحيد في القرية ،

ولكنه إلى جانب ذلك كان يبعد المال ويقدمه ؛

وتردد قليلاً قبل أن يسأل الطبيب في النهاية قائلاً

بارتياب :

— وكم تطلب المرأة رابت أجراً للعناية بأبي ؟

وتقم الطبيب :

وأني لى أن أعلم .. إنها تتقاضى أجرها بالنسبة

للزمن الذى تعمل فيه ... فما عليك إلا أن تتفق

مها شخصياً ... وإني أنذكرك أنني أريد أن أراها

هنا قبيل مرور ساعة واحدة

— حسن .. يمكنك أن تعلمين أنها الطبيب ..

هأنذا ذاهب إليها

وغادر الطبيب القرية بعد أن قال للشاب بلهجة

تهديدية متوقعة :

— مرة أخرى ... إننى لست هازلاً فى تحذيرى

إياك ...

الشَّيْطَانُ

للكاتب الفرنسي جى دي موباسان
بمترجمة الأستاذ عادل الجمال

كانت المرأة العجوز مُسجاة على فراشها وهي
تعالج سكرات الموت، وترقب من بين أهدابها المزهقة
ابنها وهو منتصب أمام طبيب القرية وتحاول بكل
ما أوتيت من قوة وإحساس أن تبين ماهية الهمس
الذى كان يدور بينهما . كانت هادئة ساكنة رغم
تقها من أنها ستموت عن قريب ... ولكنها كانت
مستسلمة للواقع الملموس . . . فهي قد أكلت الثانية
والتسعين من عمرها ... وهذا يعني أنها قد أتمت
رسالتها في الحياة

وتخلخت شمس يوليو النافذة ... وغمرت أشعتها
المنبهة أرض الغرفة وارتفع صوت الطبيب قائلاً بشدة :

— إنك لا تستطيع أن تترك أمك وحيدة
يا « أو توريه » خصوصاً وهي في مثل تلك الحالة
فهي قد تموت بين آونة وأخرى

وأجاب أو توريه بقلة اكتراث :

— مهما يكن الأمر ... يجب على أن أذهب
لحصاد الحنطة ... وها هو ذا الجو اللائم لذلك ...
ماذا تقولين في ذلك يا أماء ؟

ورغم شعور المرأة برغبة الموت وهي تسرى
في جسدها ... فقد أشارت إلى ابنها بالواقعة وهي
تحت تأثير جشعها وعبادتها للمال .

يأتسون من التحسن كما تملين ... وأنا أشفق على النساء اللاتي يشتغلن بأنفسهن .. يالأي السكينة .. لقد كانت تعمل كفتاة في الماشرة رغم بلوغها الثانية والتسعين .

وأجابت الأم رابت في اختصاب وتحفظ :
- إنني أتقاضى سعرين .. فلأغنياء .. فركنان لليوم وثلاثة لليل ... أما للفقراء ... ففرك واحد لليوم واثنان لليل ... وسأعملك كالفرق الثاني : واحد واثنان ...

وراح أونوريه يفكر .. إنه يعرف أنه تماماً .. ويعرف مقدار مقاومتها للرض ... فربما عبرت أسبوعاً آخر رغم زعم الطبيب بموتها العاجل فأجاب المرأة قائلاً :

- كلا .. . إنني أريد أن أكاثلك إجمالاً لإتمام المهمة .. إنه نوع من المقامرة .. فلقد أكد الطبيب أنها ستموت حالاً ... فلو تم ذلك فسيكون ربحاً لك وخسارة لي . أما إن عبرت يوماً أو اثنين . فسيكون ذلك أقل ربحاً لك وأقل خسارة لي ..

ونظرت إليه الأم رابت بدهشة ... فلم يسبق لها أن علمت محضراً بقدر ... وترددت لحظة ... وجأء ... واودتها فكرة الخداع فأسرعت قائلة :

- لا يمكنني الموافقة على ذلك حتى أرى أمك - إذن ... هيا بنا لرؤيتها

وجفت المرأة يديها ثم بتمته مسامحة طوال الطريق ، وحين مرورهم بالحقل المجاور للعتزل صرا يجموع الماشية وهي ترى السكالا الجاف ... فغمغم أونوريه : « اطعمنوا ... فستاكلون القمح الجديد عن قريب » .

ولم تكن المرأة المجوز قد ماتت بيد ... بل كانت مستلقية على ظهرها ، وقد أمثلت يداها فوق

وحين انفراد الشاب بأمة التفت إليها قائلاً بلهجة المغلوب :

- إنني ذاهب لاستدعاء الأم « رابت » كما أصر على ذلك هذا الفر ... فكأن هادئة حتى أعود ، ودون أن ينتظر إجابتها غادر الغرفة

كانت الأم « رابت » امرأة مجوزاً تشتغل بكي الملابس وتنظيفها ... وإلى جانب ذلك كانت تعمل كعمرة لقاء أجر معلوم ، وكان وجهها مجمداً كفتاحة مغمرة ... وهي حقود حسود ... ذات طبع حاد لا يمكن أن يمت للرحمة البشرية بصلة وحين استقبلت أونوريه في منزلها ... كانت منهيكة في مزاج بعض الألوان لبصغ ثياب بعض فتيات القرية فبادرها قائلاً :

- كيف حالك أيها الأم رابت ؟ هل تسير الأمور في طريقها المادي ؟

والفتنت إليه المرأة عجبة :

- نعم .. نعم ... شكراً ... كيف حالك أنت ؟
- على أحسن حال ... إنها أي التي تشكو
- أمك ؟
- نعم أي
- وما خطبها ؟

- إنها في طريقها نحو الأبدية وهذا كل ما هنالك

- هل بلغ بها سوء الحال إلى ذلك الحد ؟
- لقد قال الطبيب إنها لن تمر حتى الضحى - إذاً لا بد أن تكون انتهت الآن ؟
- وتسلم أونوريه قليلاً ... فلقد أراد أن يهون المهمة التي جاء من أجلها ... فكانت المرأة أشد منه دهاء .. فلم يجد بداً من مقادحتها مباشرة بقوله :
- كم تأخذين للصناية بأبي حتى النهاية ؟ إننا

وعادت معه وهي تضطره إلى الإسراع غير عابئة
 بدعشة الرجال الذين كانوا ينظرون إليهما باستغراب،
 ولا ينظرات النساء اللائي كن يرسمن علامة الصليب
 على صدورهن. وراهن أونوريه عن بعد... فقساهل
 عن سبب إسراع القس، وما كان أسرع جاره
 في الإجابة عليه قائلاً :

— إنه سيتاني اعتراف أمك دون شك
 ولم يساور أونوريه العجب لذلك... بل واصل
 الحصاد في هدوء.

وتلقى القس اعتراف مدام بونتيمبس، ثم غادر
 السكان... ومرة أخرى أصبحت المرأة على انفراد،
 وابتدأت الأم رابت تفقد صبرها وهي تعجب كيف
 أن المرأة لم تمت حتى الآن

وشحب لون النهار... وازدادت برودة الجو.
 وراحت فراشات الليل تحوم حول النافذة تحاول
 التحرر من أسرها كروح المرأة العجوز التي كانت
 راقدة دون حراك وعيناها مغلقتان وكأنها في انتظار
 رؤية شبح الموت... بينما كانت أنفاسها تتدافع من
 صدرها بطيئة ذات صغير خافت أليم.

وعاد أونوريه... فوجد أمه ما زالت على قيد
 الحياة... فقساهل دهشاً عن كيفية إمكان ذلك...
 ثم ودع الأم رابت بعد أن أوصاها أن تمود في تمام
 الخامسة من صباح اليوم التالي... وفعلت عادت المرأة
 قبل اثنتاي الفجر وأسربت بؤسأل أونوريه قائلة :

— ألم تمت أمك بعد ؟
 وأجابها وهو يسير نحو الحقل :
 — كلا وأظنها أحسن حالاً

وضاقت الأم « رابت » ذعراً، فتوجهت توا
 إلى حجرة المرأة المحتضرة فوجدتها كما كانت بالأمس
 تماماً... هادئة ساكنة مفتوحة العينين، ويدها

غطاء الفراش الملون وقد بدا عليها الضعف والهزال.
 وأتجهت الأم رابت نحو الفراش ثم حدثت في المرأة
 المحتضرة وتحسست بنفسها ثم مرّت يديها على صدرها
 وهي تصني لصوت تنفسها الخفاف الذي يشبه الزرع،
 وألقت عليها بضغ أسئلة حتى تتأكد من ضعف
 صوتهما ؟ ثم غادرت الغرفة بعد ذلك الامتحان يليهما
 أونوريه. كان رأيها الشخصي أن المرأة لا يمكن
 أن تستمر على قيد الحياة حتى السماء
 وسألتها أونوريه بلهفة :

— والأين ؟
 وأجابته المرأة بنحس :
 — ستميش ومين وربما ثلاثة أيام... وسأقاضي
 منك ستة فرنكات.
 وردد أونوريه قولها :

— ستة فرنكات... يا لله... ست فرنكات
 كاملة؟؟ هل جئت أيها المرأة؟؟ سوف لا تميش
 إلا خمس أو ست ساعات على الأكثر
 واشتد الجدل بين الرجل والمرأة... وأصررت
 المرأة على الرحيل... فتخيل أونوريه حنطته في انتظار
 الحصاد، فلم يجد بدا من الخضوع وتقم مستلقاً :
 — سأعطيك المبلغ على أن ينتهي الأمر كلية
 مهما طال أمده

وأوسع خطاه نحو الحقل... في حين رجعت
 الأم رابت إلى حجرة المريضة ومهست قائلة لها :
 — لا شك أنك تريدين الاعتراف يا مدام
 بونتيمبس ؟

وأشارت مدام بونتيمبس رأسها لإيجاباً...
 فنهضت الأم رابت بسرور ونشاط وهي تهتف :
 — يا إله السموات... سأذهب لإحضار القس
 وأسرت المرأة في طريقها نحو القس...

فبدت مضطربة حائرة ، لا يستقر رأسها على الوسادة في مكان واحد .

واخضت الأم رابت حينئذ وراء الستار السدل بجانب الفراش . وتناولت من صندوق بالقرب منها ملءة بيضاء ألقتها فوق رأسها فغجبتها من فة رأسها إلى أخمص القدم . ثم وضعت على رأسها قدرا بدت أرجلها الحديدية كثلاثة قرون مدية . ثم أمسكت بيدها مكنسة مستطيلة ، وما كادت تنتهي من كل ذلك حتى صعدت فوق مقعد مرتفع .

ونجاة رفعت الستار وبدت بيهتها أمام الروضة وصرت لحظة فزع ورعب ... وحاولت الزأة المسكينة بكل قواها أن تهرب من الشيطان ... شيطان الموت الرهيب ... ولكنها ما كادت تتحرك حتى خانتها قواها وارتجت على الفراش مرة أخرى وانتهى كل شيء .

وبكل هدوء وذعة ... أعادت الأم رابت بضاعتها إلى أما كتبها ... ثم أغلقت عيني المرأة الميتة ... العنين الفزعيتين المحدثتين في خوف وفزع ... ثم ركمت على ركبتيها جانب الفراش وابتدأت تصلى على الراحلة بحكم المادة

وحين عاد أونوريه من الحفل عند الغروب ... وجد الأم رابت راكعة على ركبتيها تصلى ... فتأكد أن روح أمه قد صعدت إلى بارئها وابتدأ يفكر

لقد استمرت المرأة في خدمة أمه ثلاثة أيام وليلة .. أى أن أجراها كان يجب أن يكون خمس فرنكات .. ولكن ... يجب عليه الآن أن يدفع ستة وعشم قائلا بقتض :

— يا للحظ السيء ... لقد خسرت فرنكا عادل الخيال

مدودنان فوق غطاء الفراش الملون ... يبدو عليهما الضعف والجزال ؛ ورأت الأم رابت أن المرأة يمكن أن تظل هكذا يومين أو أربعة .. بل ربما عاشت أسبوعا آخر ... فأحست بإقباض يسود نفسها ... وبمقد هائل نحو ذلك الذى خدعها بأمه التي لا تريد أن تموت . وظلت عيناهما محدقتين بدمام بوتيمبس طيلة هذا الصباح حتى عاد أونوريه للغداء . ثم رجع إلى حقله لإكمال حصاد حنطته .

وكادت الأم رابت تفقد شعورها . فلقد خيل إليها أن كل دقيقة تمر إنما هي زمن مسروق منها ومن حقها أن تقاضى عليه أجرا .

وأحست برغبة قوية . رغبة مجنونة في أن تضغط على ذلك النطق الهزيل فتخمد أنفاس المرأة التي كانت تسلبها وقتها القدس ، ولكنها استطاعت حينئذ أن تصور بشاعة جرمها .

ورادوتها فكرة أخرى .

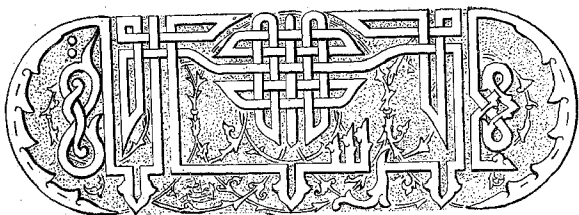
واقتربت من المرأة المحتضرة ، وهمت تسألها

— ألم ترى الشيطان بعد ؟

فأجابتها بدمام بوتيمبس هامسة :

— كلا

وابتدأت الممرضة تلتقي على مسامعها بعض النقص الخرافية الخيفة . فقالت : إن الشيطان يظهر عادة لجؤلال الذين على وشك الموت قبل موتهم بدقائق مددوات ... ثم راحت تصف لها شكل الشيطان ، فادعت أنه يحمل في يده عصدا كبيرا وعلى رأسه قدر مملوء بسائل يتلى مسمر به ثلاث قرون . واستمرت في حديثها الرهيب ، فحدثت لها أسماء من زعمت أن الشيطان قد ظهر لهم قبل موتهم : وفعل ذلك الحديث فعل السحر في بدمام بوتيمبس .



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيُو فِي النُّشْءِ أَسَالِيبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظُوْهَ الْتَطَوُّرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِ هَادِيَوَانِ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِيِّ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسَجَلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الدُّسْتُرَانِ الْأَخْيَرَيْنِ قَرْنَاءَ ، وَالْحَارِجِيَّ مَا يَسَارَى مِنْهَا مِصْرِيَاءَ ، وَلِلْبَلَدِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَجْمَعِ ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك على سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفى نصف

السنة الثالثة

٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ - ١٥ يونيو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٨

من أحسن القصص

فهرس العدد

—><—

صفحة		
٥٦٢	اختيار زوجة	عن الإنجليزية
٥٧٩	دموع قديمة	أفصوة مصرية
٥٩١	زوجة	أفصوة مصرية
٥٩٩	الأعمال والآمال	عن الإنجليزية
٦٠٥	الورقة الثالثة عشرة	للكاتب القصصى فيليس أوبنيم
٦١١	نصيحة	عن مجلة تروستورى
		بقلم الأستاذ عبد الحميد حدى ...
		بقلم الأستاذ دريخية ...
		بقلم الأنسة جميلة اللابلى ...
		بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار ...
		بقلم الأديب عزت السيد ابراهيم ...
		بقلم السيد ناصر عزيز ...

على بقعة مرتفعة إلى الشمال ،
ولم يكن يفصله عن فناء السجن
غير « الطريق الكبير »
مات أبي وأنا في العشرين
من عمري ، وبعد شهر من
موته تزوجت من جون
هارداواي وهو الجيب الوحيد
الذي عرفته

الخبيثات زوجتي

(قصة تخلفت جارية ما عن جنبه)

عن الانجليزية
بقلم الأستاذ عبد الحليم محمد

وكانت مزهرة أبي جون مجاورة لمزعتنا ،
وقد اتفقنا على أن نميش في بيتنا لأنه كان أكبر
من بيت جون وأتم استعداداً

ورغب أبو جون في أن يعيش معنا وكان
كما يصف نفسه « قد ولد مزارعاً » فأشرف بنفسه
على خدمة أرضنا وأرضه
وكان جون أشد ميلاً إلى الماشية منه إلى الأرض
وكذلك كان شائئاً ، لهذا ربط بيتنا نوع من الشراكه
الطبيعية ، فكان جون يرعى القطيع الذي تركه
لي أبي

وجرت أمورنا سهله هنية مرضية إلى أن ساءت
الأقدار هابل كيليون إلى طريق حياتنا
وكانت الفتيات من ساحباتي يقلن لي إنني جميلة
وإنني لو عنيت بمظهرى وبترتيب شعري لأصبحت
في طليعة الجميلات ، على أن جمال وجهي لم يدخل
إلى نفسى شيئاً من الغرور الذي يعمته عادة مثل هذا
الإغتاب

وكان جون أجمل رجل في المقاطعة ، طويل
القامة مستقيم الصدر قوى البنية ، أسود العينين ،
له شعر فاح متواج تحسده عليه جميع الفتيات .

أحقاً كانت هذه الزوجة غير وئيسة ؟ وهل
كانت أية امرأة أخرى تسلك غير سلوكها
إذا هي فوجئت بـ ... ؟

كنت في الثانية والعشرين من عمري عند ما وقع
هذا الحادث . وكانت عشرون سنة من هذا العمر
قد اقتضت مقعمة بكل أسباب السعادة . كنت محبة
لعيشي ولكن فلسفة حياتي كانت بسيطة فالرجال
في نظري إما خيرون وإما سيئون . والسيئون منهم
كانت تبسهم عن العالم تلك السجون النبراء القائمة
كذلك السجن الذي يقع في الوادي القريب منا .
والحياة عندي شيء يجب أن يعيشه الإنسان وينعم
به ، ولم تكن الأيام في نظري من الطول بحيث
تسع لجميع مباهج الحياة . وكانت لغيري من الناس
أحزاهم ولكن أحنحة الحزن العابسة لم تهو ناحيتي
مرة من المرات ، ولقد كنت طليقة فرحة ككل
شيء صغير في مزهرة أبي

كان اسمي إلين دراكوت وكنا نميش منذ
ولادتي في الولايات المتحدة على رمية حجر من سجن
الولاية . وكنا إذا ذكرنا السجن أشرنا إليه بأنه
البناء الواقع هناك في المنحدر ، لأن بيتنا كان قائماً

إنما هو عصبي المزاج عنيد ، فهو يميل إلى مخالطة الجماعات غير المستقيمة في المدينة ، ويشرب قليلاً ولكنه لم يقع قط في ورطة ، وقد راقبه أهوه مراقبة شديدة في طفولته . لذلك قد أبطأ في الاستفادة من تجارب الأيام ، ويحفل إلى أن جون يشعر بشيء من الخلاء في أن يصطحبه رجل أكبر منه سناً مثل هابل ، فملك يا ابنتي بالصبر ، ومتى وضعت مولودك فسيمسح جون رجلك غير الذي ترين الآن بمد هذا الحديث غالبت مخاوفى وشرعت أسلى

نفسى بأشياء أخر خارج البيت وكانت الدراسات الخارجية للسككية قد شاعت في تلك الأيام فسجلت اسمى في درس التاريخ الانجليزى ، ووجدت أعظم اللذة في المذاكرة التى كانت تشغل ليالى طوالاً لولا هالكانت ليالى وحدة مملة مزعجة .

وقد ضحك جون من أن زوجته أصبحت طالبة تشمخ بأنفها ولكنى تركته في تهكمه ومضيت في درسى .

وفي يوم من الأيام سمح جون لهابل أن يأخذ قطعياً من الماشية إلى السوق على غير إرادتى ، وكان كل شيء في هذه الأيام ينقل على قطرات سكة الحديد ، وكان من المألوف أن يصحب القطيع في العربة أحد الرجال ، وقد أروت أن يذهب جون بنفسه على عادته ، ولكنه رفض أن يسمع أى معارضة فيذهب هابل بدلاً منه ، ولما عاد هابل تقدننى في الحال نصيبى من ثمن القطيع ، وكنت لا أزال غاضبة ، فسلبته صكاً بالبلغ دون أن أنطق بكلمة واحدة فقد لاحظت أنه سكران .

ولما ذهبت إلى البنك لإيداع المال علمت أن جون

وكان من الناحية الخلقية مثله من الناحية الجسمية شديد الاستقامة ، وكان مبدؤه ألا ينفى نظره أمام أى مخلوق وألا يدين لإنسان

لقد وهبت جون هارداواى من الحب كل ما تمطيع زوجة صغيرة سليمة الجسم أن تهب الرجل الذى تحبه ، وكنت كذلك أحيطه بنوع من حب الأمومة الذى لم ينعم به قط ، فقد ماتت أمه وأبى ونحن طفلان ، ويظهر أن هذا العامل المشترك كان من الروابط التى جمعت بين قلبينا

ولقد بلغ من حبي جون أننى حين كنت أراه يكاد ينزلنى في طريق خطرة متقاداً لبعض الرجال ، الأكبر سناً والأكثر تجارباً ، لا أتردد في أن أصارحه بأبى ، ولكنه لم يكن يصنى إلى نصائحي . على أنى لم أكن بطبيى لحوحة ولم أكن ميالة إلى مضايقة الناس بتدخلنى في أمورهم لذلك كنت أكرم حزنى في نفسى عند ما كان يتركنى الليلة بعد الليلة ليذهب إلى المدينة مع هابل كيليون

وكنت بمضى الأحيان أوسل إليه أن يترك هابل وأن يبقى منى في البيت إذ كنت وحيدة منقطعة ولكنه كان يمينى على ذلك بقوله :

— ولكنك لست وحيدة يا عزيزتى فإن أبى معك ولكن أباه كان يعمل كثيراً ، وكانت حاجته شديدة إلى التمتع بساعات نومه ، فلم يكن لى من عمل إلا أن أجلس في الطابق الأول وحيدة أو أصد إلى فراشى فأبكي حتى أنام ، ولم يكن كل ما بهمنى أننى وحيدة فقط ولكننى بدأت على مرور الأيام أشعر بالخوف من سلطان هابل على جون

وقال لى حى مرة وهو يحاول أن يواسينى :

— لا تخافى فليس هابل بالشديد الذى تتصورين

إلى جانبه . واستعان جو بما يحمل من الخمر على إفاقة
جون من غيبوبته . وكان جوادا التماركين قد اختفيا ،
ولكن جو قال إنه سمع ركض الخليل في طريق
المدينة في أثناء مجيئه منها

وعادوا ييجون إلى المدينة؛ ولم يكن في وسمه أن
يخبرهم بأكثر من أن هابل غلبه من أول لكمة
فأفقدته الرشدة . وأودع الشريف جون سجن
المقاطعة حيث وجده أبوه في صباح اليوم التالي
وقال لي حي عند ما عاد إلى البيت :

— يريد جون ألا تهتمى بما حدث فهم
سيحققون معه التحقيق الابتدائي بعد ظهر اليوم
وسينتهي كل شيء على خير

فلما بكيت سارخة في حال عصبية قال حي :
— لا تخافى يا إيلن واذكرى أن في أحشائك
جنينا يجب أن تفكرى فيه

ولاحظت في عيني الرجل نظرة غريبة فبذلت
جهدا عنيفا لأخفف من ضربات قلبي المألمة وصحت :
— ولكن يا أبي إذا كان هابل ميتا وليس
هناك شهود على ما حدث فإذا يكون موقف جون ؟
فقال الرجل في حزم :

— نعم يا إيلن إنى أرى المركز دقيقا حرجا
ولكنى واثق من براءة ابني

وبدأت محاكمة جون في اليوم التالي للتحقيق
الابتدائي ، ولقصر الوقت بين التحقيق والمحاكمة ترفض
طلب إطلاق سراحه بكفالة بقي في السجن

ولما كانت حالتي الصحية لا تسمح لي بحضور
المحاكمة فقد اكتفى بسماع شهادة قصيرة أدليت بها
ولم أر جون بعد ذلك إلا عندما أحضره الشريف إلى
ليودعى الوداع الأخير ، فقد حكم عليه بالسجن المؤبد

لم يودع نصيبه ، وكانت قد مضت عدة أيام بعد عودة
هايل وتسديده ثمن القطيع ، فلما جلسنا إلى مأدبة
المشاء ذكرت ما علمت من البنك لجون وقلت له
محدرة :

— يجب ألا تحمل هذا المبلغ الكبير من المال
مك يا جون حيثما ذهبت فقد يهاجمك بعض الأشرار
فأجاب جون في شيء من السكابة :
— ليس عندي من المال ما أودعه ، فقد ادعى
هايل أن المال كله له

ولكن جون دافع عن صديقه عند ما رى
أبوه هابل كيليون بعبارة تحقير وازدراء ، فقال :
— سأحصل على مالى يا أبى عند ما يفتق هابل ،
وإنى لأظنه قد وقع في أيدي عصابة هناك في ميدان
السوق فصحبوه إلى اجتماع أعدوه . ولتلق يا أبى
أن هابل رجل مستقيم
وقضت الأسرة بقية وقت المشاء في صمت .
وبعد قليل وصل هابل إلى فناء البيت راكبا وخرج
جون معه متجهين إلى المدينة على عادتهما . أما ما حدث
بعد وصولهما إلى المدينة فقد علمناه من غيرها على
الصورة الآتية :

تشارك جون وهايل أمام قاعة البليارد عندما أعلن
هايل أنه غير مدين لجون بشيء من المال . وكانت
المركبة حامية جدا فأقل كل فيها أخاه قتالا عنيفا عند
ما حاول المشاهدون أن يفرقوا بينهما . على أنهما بعد
ذلك تركا المدينة عائدین وهما في أعين الناس على خير
ما يكون من المودة والصداقة ، ولكنهما في الواقع
قد استأنفا القتال على مفترق الطريق

ورأهما جو استلمى في أثناء عودته وكان جون
فائد الوعى ، أما هابل فكان جثة هامدة وبندقيته

النفس والجسم ، ولكن الأمل في محاكمة ثانية شجنى على احتمال الصدمة ، على أن هذا الأمل لم يكن ليتحقق ، ولكنه على كل حال قد قوائى على الهوض يوم أحضر الشريف كلم هاوكنز زوجى إلى البيت لتودى قبل الذهاب به إلى السجن فك الشريف القيد الحديدى من يدى زوجى لجرد دخولها إلى البيت ثم أدار لنا ظهره وأطل من الشباك ، فالتقى جون وقال :

— إلين . ثقى بأبنى برى من قتل هابل ثقتك بأن الله موجود فى السماء

قال جون هذه الكلمات فى ثبات وخشوع كما لو كان يقسم قسماً عظيماً ، ولأول مرة زال من نفسى كل شك فى براءة زوجى . فماقتة وانحنيت عليه فقال :

— لم يكن بد من أن أراك يا إلين لأقول لك هذه الكلمات لأنى أعلم أنك كنت تشكين فى براءتى . لقد قرأت أفكارك يا عنزتى ، وكنت دائماً قادراً على قراءتها ، والآن أطلب منك أن تمدىنى بالتحضرى أبدأ إلى السجن لرؤيتى . فإنى لا أطيق أن تربى أنت أو طفلنا سجيناً . ولا تكتبى لى فإن ذلك يصعب على البقاء هناك ... وستكفل أبى بزيارتى . والذي أرجوه منك يا إلين هو ألا تخبرى طفلنا أن أباه سجين . عودى على أن يحسبى ميتاً . وثمة شئ تستطيعين أن تمليه من أبى . فساتظر فى الساعة السادسة من كل مساء أن أسمعك تقولين : « إنى أجبك يا جون » كما كنت تقولين كلما كنت بميدة فى الكلية وسأسمع كلامك وسأرد عليك بمثله »

وكنتم أنا وجون نمتقد بالإيماء وقد أقمنا الدليل على قوته فى كثير من الفرص .

بنى الحكم على جون على شهادة القرائن ؛ فقد روى قصته على حقيقتها فى غير تردد ، ولكن القاضى والحلفين لم يقيموا لها كبير وزن . قال إن هابل كان لا يزال تحت تأثير السكر عند ما غادر المدينة ، ولم يستطع أن يقول أين ذهب بمال جون ، فتشاجرا وكان هابل هو الذى ضرب الضربة الأولى مدعياً أن جون قد وصفه بأنه لص ، على أنها لم يلبثا أن تصالحا وضحكا على ما كان منهما ، ولكنهما فى أثناء عودتهما إلى البيت استأنف هابل القتال

وفى مفترق الطريق ترجلا عن جواديهما وقررا أن يتقاتلا بقضائهما عارية عن القفازات ، وألقيا ببندقيتهما على الأرض وأجفل الجوادان فركضا هارين . وضرب هابل الضربة الأولى فكانت ضربة قاضية أفتقدت جون وعيه فلم يعرف شيئاً بعد ذلك إلى أن استيقظ فوجد أستاذى منحنياً عليه

وقال جون :

— لقد كانت ببندقيتانا ملقيتين على الأرض إحداهما إلى جانب الأخرى فاجثوا عن ببندقتى فحيث وجدتهما وجدتم القتال

ولكن القرائن ضد جون كانت من القوة بحيث بدت كأنها عديمة القيمة ، وكان الشعور العام متجهماً إلى أنه بعد أن قتل هابل ألقى ببندقيته بعيداً حتى إذا شعر باقتراب أستاذى اصطنع النشوبة والإغماء . واعتقد آخرون أن البندقية التقطها أحد الباحثين عن الأشياء النريبة عند ما ازدحم الناس حول الجنة ليلة ارتكاب الجريمة . ولم يصدق براءة زوجى إلا نفر قليل من شهود المحاكمة

ولما وصلى خبر الحكم على زوجى شمعت بأن الحياة لا تساوى متاعها ، وأحسست بأبنى مريضة

وقد سألتني جون :

— أو ستفعلين هذا الذي أطلب منك يا إيلين ؟
فوعده في كلمات تقطعها الزفرات :

— نعم يا أعز الناس على نفسي لا بد أن أفعل
ذلك ولن أنسى أبداً ، وإنى لأصدقك ، وأعتقد
ببراءتك وبأنك لم تقتل هابل كيليون . لن أنسى
ذلك ما حييت .

وكانت عينا جون جافيتين عند ما قبلني ، وكان
صوته ثابتاً رزيناً عند ما ألقى إلى بكلمة الوداع .
وكان ظاهراً أنه قد غالب نفسه وشموهه قبل حضوره
لوداعي ، ولكنني تملقت به في عنف عند ما أعاد
الشريف القيد الحديدي إلى يده وقال : « لم بنا
يا جون فلا بد من أن نذهب » .

فقال جون :

— ابق مع إيلين يا أبي وحافظ عليها ، واعن
بأمرها واحضر لرؤيتي كلما استطعت الحضور .
وكان من نعمة الله على أن أصابني الإغماء ؛
فخلني حمى إلى فراشي . وفي المساء شعرت بأنه
يفضل وجعي ، وكان الطبيب قد غادر المنزل في
هذه اللحظة ، وسمعت حركة في المطبخ بالطابق
الأول .
وقال حمى :

— يجب على الإنسان أن يحتمل الحياة يا إيلين .
وليكن طفلك أول ما تفكرين فيه ، وسأحضر لك
الآن شيئاً من الحساء الساخن ، وقد حضرت ماري
جوز وفرانك لمساعدتنا ، وقد عنيانا بكل شيء
في البيت ، وإنى لواتق من أنك ستزودين بالشجاعة
في حياتك المقبلة . ومن المحتمل أن نصل إلى عاكسة
جديدة كما تعلمين .

ونطق حمى المبارة الأخيرة بلهجة المواساة
الرفيقة . فنالبت حزني واستويت جالسة في فراشي
وكانت الساعة قد اقتربت من السادسة مساء .

تذكرت وعدى لجون فصليت لله ضارعة وقلت
بيننا ذهب حمى لإحضار الحساء :

— اللهم مكنه من أن يسمني .

فلما دقت الساعة السادسة قلت :

— إني أحبك يا جون .

وبعثت هذه الرسالة بكل ما في نفسي من قوة
ممتوية .

واضطربت إلى أحماق نفسي عند ما سمعت الرد
يذب في أذني .

— إني أحبك يا إيلين .

كانت هذه الرسائل فائحة رسائل إيمانية عديدة
بيننا فلم أنس قط أن أرسل كل يوم هذه الرسالة
الطائرة التي كان جون ينتظر وصولها إليه وهو جالس
هادئ في سجنه الصخري .

وكان حمى يذهب بنظام لزيارة جون في المواعيد
المحددة للزيارة ولكنني لم أعرف قط ما كان يجري
بينهما من حديث . على أنه كان يبلغي أموراً تتصل
بجون كالفرقة التي كان زوجي يعملها في أيام الأحاد ،
وهي مؤلفة من جماعة لم تكن من قبل تهتم بأي شأن
من شئون الدين ، وأخبرني أيضاً أن إدارة السجن
عهدت إلى جون بالإشراف على الحركة الرياضية
الجديدة التي أدخلت على نظام السجن .

وأخبرني مرة أن جون أوقع فريقاً من السجنين
بالمدول عن الحرب من السجن ، وسلم الأسلحة التي
صنموها بأيديهم إلى أولى الأسرى دون أن يذكر لهم
أسماء المتدربين . وفي مرة أخرى أخبرني أن جون

من يشهد موعد غرامنا غير النجوم والقمر أوروبما
خيالات الشتاء القارس .

وكان في مرماها الجمار للتل على مقربة من مزرعة
السجن أكمة صغيرة ، فكنت أقصد إليها غالباً بعد
انتهاء عملي ، وكان يذ لي أن أجلس فوقها وأرغب
مصاييح السجن حين تضاء . فكان المنظر أشبه بقصر
من قصور الجان بأشوائه البراقة التي تبعث بأشعتها
إلى غسق الوادي المحتدر . فلم يكن السجن في هذه
الساعات ليشبه في شيء مأوى الآمال الضائعة وبيت
العقاب .

كان يحاول أن أجلس هناك وأفكر في جون
فأرسل له وأتلقى رسالتي حينما الصامتين . وكان يميل
إلي في بعض الأحيان ، عندما يكون ضوء النهار
لم يغب بعد عن الأرض المرتفعة ، أن بناء السجن
وحش رابض في ظلال الوادي ، فكنت أقبضه لأنه
قد ألهم حبيبي .

وفي مساء يوم من الأيام أتيت بروني في هذه
الرحلة اليومية ، وكان قد بلغ السنة الخامسة من
عمره . فلما وقفنا هناك مولين ظهر لنا ناحية الشمس
الغاربة ، رأينا فريقاً من المسجونين في عربة محملة
بالحشائش الحافة تسير بهم بسيطة في الطريق الموصل
بيننا وبين السجن ، وكانوا عابدين من أحد الحقول
البعيدة وقد استطعت أن أرى هؤلاء الرجال الصامتين
رؤية تامة ، ولكن بعد المسافة لم يمكنني من تمييز
قسمات وجوههم . وعلى حين فجأة وقف واحد منهم
ورفع قبعة السجن ، وبق على ذلك إلى أن غابت
الغربة عن نظري . فسألت نفسي : أيمن أن يكون
هذا الرجل هو جون ؟ وذكرت عندئذ أن حي
قد أخبرني أن جون كان يشرف على الفرقة من

اعترف له بالقيادة والشجاعة لإخماده حريقاً في نبات
القنب .

ولم يدهشني ما علمت من صفات الشجاعة والقيادة
التي تميز بها جون ، ولكنني دهشت عندما سمعت
أنه قد اختار العمل في المناجم مع أشد المسجونين
تهوراً . وقد قال الحارس لحي إن جون اختار هذا
العمل لأن هؤلاء المسجونين كانوا بحاجة إليه لأنه
يستطيع أن يقردهم إلى حياة أفضل من حياتهم
الحاضرة إذنا هو أفضل هذا النوع من العمل على الدرس
الديني الذي كان قد عهد إليه بإلقائه أول الأمر .
ولقد شعرت عندما سمعت هذا الكلام بشعور الفخر
بزوجي . فكان من النادر أن ينيب ذكره عن رأسي
واحفظت بصورة جون الفوتوغرافية على مائدة
زيتني ، وكنت أقول لابني الصغير :

— هذا هو أبوك ، ونحن نحبّه وهو يحبنا ،
وما تستطيع أن نراه أبداً ، ولكننا نعلم أنه يفكر
فيتنا على الدوام .

وكنت قد وضعت ابني بعد شهرين من دخول
أبيه السجن ، وكان طفلاً جليلاً قوياً ، وقد سمعته
رونا له كاسم أبي ، ولكن اسم روني كان أكثر
انطباقاً عليه ، وتعودت أنا وحي أن ندعوه بهذا
الاسم الصغير . وقبل أن يتكلم بوقت طويل تعلم أن
يهز يديه مرسلًا في الهواء بقبلة إلى سورة أبيه وكانت
أول كلمة نطق بها هي كلمة « أبي » .

وكتبت في بعض الأحيان خطابات مطولة لجون
أصف له فيها أبننا الصغير ، ولكنني لم أرسل قط
هذه الخطابات .

حافظت على وعدى لجون بالبقاء ببعيدة عن
السجن ، وكنت في كل ليلة أتحدث إليه ، وليس

فليس معنى هذا أن الحياة كانت كلها متاعب وأحزاناً
فلقد أصبحت في تلك الأيام امرأة كثيرة المشاغل ،
فقد غيرت طبيعة مزرعتي من البيع بالجملة إلى الاتجار
في الألبان ، وقد ارتفعت سمعة قطمان هارداواي
في جميع أرجاء الولاية وحصلت على الجوائز الأولى
في الماراض ، وصرت من العملاء الدائمين مع مخازن
ألبان الحكومة ، وتلقيت كثيراً من المحاضرات
الخارجية في كلية الزراعة الحكومية

واشتركت في كثير من النوادي وهذا هو
الميدان الذي أجهه إليه نشاطي ووجدت فيه العزاء
من الأحران التي كادت تدفن في الظلام . وكان
حبي ابني أكبر عامل في شعوري بالانتماء والسعادة
فقد قضينا معاً أوقاتاً هنية حقاً ، وقابلت كثيرين
من أطفال الرجال وكان في مقدوري أن أتزوج
إن أردت ، ولكن لم يكن هناك غير رجل واحد
يحتفظ له قلبي بالحب والولاء هو جون هارداواي
وفي أحد أيام الشتاء من العام السابع لسجن
جون عاد حبي إلى البيت مصاباً ببرد شديد ، وكان
قد ذهب لزيارة جون وقد بدا عليه أنه يشعر بهبوط
في حاله النفسية ، ولما ذهب روني إلى فراشه حملت
حبي في إصرار على أن يقص عليّ ما حدث

قال : إن جون قد أصبح بطلاً في السجن ،
وقد شب حريق في مصنع المراتب أودى بحياة
كثيرين من المسجونين وأحد الحراس ، وأنقذ
جون أرواحاً عديدة بسرعة تفكيره وحسن قيادته ،
وقد لحقته بعض الإصابات ولكن أباه لم يقف على
مبلتها لأنه اضطر أن يغادر السجن قبل أن ينتهي
الطبيب من عمله ، فقد أمر جون عليّ أن يتولى
الطبيب إسعاف جميع المصابين سواء وأن يتركه

المسجونين التي عهد إليها أن تعمل في الزراعة هذا
الصيف . ففررت أن جون هو ذلك الرجل الذي
وقف وحياي أنا وولدا هذه التحية الصامتة .
ولم أخبر حبي بما حدث فقد كان هذا الحادث
أمراً مقدساً احتفظت به لنفسى ، ولكنه عند ما عاد
إلى البيت بعد يوم الزيارة من الأسبوع التالي قالى :
— لقد عزمت يا إيلين ألا أخذ روني منى مرة
أخرى إلى المرحى ، وأظن أنني أنا نفسى لن أذهب
إليها ، فهناك مغريات لا تقوى الطبيعة البشرية على
مقاومتها . وجون رجل براء ، فنفسه خالية من
الشعور بدبل ما يزل به من عقاب ، هذا الشعور الذي
من شأنه أن يجعل كثيرين من الرجال على أتب
يخضعوا لأحكام السجن ممثلين . ولقد كان جون
حتى الآن مثلاً طيباً في السلوك ، ولكننا جميعاً
معرضون للتأثر بالمفريات

فصحت :

— ولكن أليست لي يا أبي حقوق ؟ أيجب
عليّ ألا أشعر أنا أيضاً ؟
فأجابني حبي :

— تذكرى يا إيلين أن جون لو هرب من
السجن لموقب كما يقاب أى سجين آخر ، وهو حتى
الآن قد حصل على أحسن تقرير يحصل عليه السجين
فاذا هو أضع سمته هذه فقد كل ثقة فيه إلى الأبد
لم أخذ روني منى بعد ذلك ولكننى كنت أذهب
وحدى وأجلس مفكرة في جون آمله أن أراه مرة
ثانية ، ولكننى لم أسمع صوت عربة السجن قادمة
إلا مرة واحدة بعد ذلك ، فطرحنت نفسى على
الحشيش حتى صرت في
وإذا كنت قد رويت هذه الحوادث المحزنة

هو إلى أن ينتهي منهم جميعاً

أنه أصبح في العام السابع من عمره صبياً كاملاً يشبه أباه في شكله شبهاً شديداً ، كانت له عيناها الكبيرتان السوداوان اللتان تلمعان في النضب وتشتان في السرور ، أما شعره فكان في سواد شمري . وكان الطفل نظيفاً بطبيعته مثل أبيه ، فالناظر إلى وجهه ويديه يخيل إليه أنه لا ينقطع لحظة عن تنظيفها ، وكان يندر أن يراه الإنسان منقماراً أو شرس الخلق ، فلم يكن يحتاج إلا إلى القليل من الإرشاد ، وكان شديد الاهتمام بكل ما يدور حوله ، فكان في هذه السن طفلاً محبوباً من كل من يراه ، كثير التخيل بعض الأحيان ولكنه كان دائماً شديد التأمل

كان الشتاء في هذا العام قارساً ملئنا أيامه الطويلة الفظيعة ، ولكن أيام الندف لم تلبث أن أقبلت ، وكنا في الأيام الأولى من شهر أبريل ، وقد بدأنا نسمع تقيق الضفادع في بركة الرحي . فابتسمت مبتهجة عندما مررت بالبركة في طريق إلى أكنتي المحبوبة . وقد شعرت بانتعاش في نفسي لأنني سأستطيع الآن أن أذهب إليها في أغلب الأوقات لأتبادل مع جون رسائل حبنا ، وإذ بعثت إليه رسالتي في هذه الليلة شعرت بأنه أقرب إلى منه في أي وقت مضى .

لقد قدر أن تكون هذه هي آخرى زياراتي للأكة . وكانت الضفادع تنق مطمئنة وأنا عائدة إلى البيت مبطنة في مشيتي . وفي منتصف الطريق التفتيت بماري جوتز وكانت قادمة للبحث عني ، فما رأيته حتى قالت وهي تلهث :

— لقد كنا نبحث عنك في كل مكان ، فقد اعترف ديبى بلابن بأنه هو الذي قتل هابل كيلبون

وأرقت حبي في فراشه بعد أن وضعت على صدره « اللصقة » التي يجيها ، ولكن أعراض البرد اشتدت عليه وساءت حاله ، وحضر الطبيب لميادته ولكنه لم يستطع أن يعمل شيئاً . وفي اليوم التالي توفي حبي وتركني أنا وروتي وحيدتين ، فكانت وفاته صدمة شديدة لي فقد كانت منزلته في نفسي بعد منزلة أبي مباشرة ، وكان الرفيق الذي لا يفارقه وروتي وعدت بعد مدة طويلة أن المحروق التي أصيب بها جون كانت شديدة ، وكان أظفها ما أصاب يديه ، وقد فقد أحد إصبعيه من جراء ذلك الحادث فكان كل ما استطعت أن أعمله هو أن أزيد في رسائلي الإيجابية إليه حاملة له حبي من فوق تلك الأكة التي لم أقطع يوماً عن زيارتها

وبعد وفاة حبي انتقل فرانك وماري جوتز للإقامة معنا في البيت ، وقد كانا حتى الآن يساعداني في أعمال مصنع الألبان ، ولكنني أصبحت محتاجة إلى مساعدتهما في أعمال الزرعة أيضاً . لذلك أصلحت بيت جوتز ليسكنه جاك وود وأخته جين ، وقد أثبت جاك أنه مدير صالح للزرعة ، ولم تلبث جين أن عرفت في جميع الجهات المجاورة بمهارتها ونشاطها وكانت جين في نهاية السنة العشرين من عمرها جميلة للنظر جذابة الروح ، وكانت شديدة الحب لروني فكان الطفل دائماً على استعداد لمصاحبة الخالة جين ، فكان من النادر أن تذهب إلى المدينة قبل أن تمر علينا بمرتبها فتستصحبها معها ، ولم يكن جاك أقل تعلقاً بروني من أخته ، وهكذا كان الطفل يقضي أغلب أوقاته عندهما

لم أتكلم حتى الآن كثيراً عن طفلي ، والحق

في أنشائها رواية بلاين وتمد فيها الأوراق الخاصة بالإفراج عن جون ، وقد قضيت هذه الأيام منهمكة في إعداد ما تتطلبه عودته من مظاهر الاحتفال ، وقد قلت لروني إن أباه عائد إلى البيت فلم يكن الطفل أقل مني تأثراً وابتهاجاً بهذا النبأ السعيد

وحضر فرانك إلى البيت في اليوم الثالث لتناكد البوليس من صدق رواية بلاين وأخبرني بأن الأمر قد صدر بالإفراج عن جون وأنه سيمود إلى البيت في اليوم التالي ، ثم مضى ليشرح على حلب الماشية وصعدت إلى الطابق العلوي لألبس رداء نظيفاً قبل الإشراف على عملية إخراج الزبد وإعداد أدوات التبريد

فلما عدت إلى الطابق الأول سمعت دقاً شديداً على الباب الجانبي ، فظننت أن الطارق قد يكون جون ولكني لم ألبث أن ذكرت أنه لا يمكن أن يجيء بهذه السرعة ، فذهبت أفكاري كل مذهب ، غير أنني لم أتصور أن جون يترك باب بيته . وبينما هسذه الأفكار تساورني تخيلت جون وهو يدخل من الباب مندفعاً يبحث عني في لهفة وشوق فاتحاً ذراعيه كما كان يفعل عادة

ثم فتحت الباب فرأيت واقفاً على عتبة رجاك فنزل النظر بلبس صديراً قصيراً تخيل قبمته إلى الأمام حتى تكاد تخفى عينيه ، وقد أمسكت إحدى يديه الوسختين طرف الباب ، وقد بدا ما بقي من إبهامه المنطوع بشع النظر لم تلتم بذبته الثامناً تماماً ، فخرعت أول الأمر ووددت لو أن فرانك أو ماري كان معي ، ثم قلت :

— أسمعنت مساء ، هل تريد شيئاً ؟

فراجع الرجل قليلاً وقال في صوت أجش :

فهو مريض ، وقد أحضروا له التفسير فاعترف له بكل شيء ، فلتسرع يامسر هارداواي فأنهم يريدون أن تذهبي مباشرة إلى بيت بلاين

لم أرد أن أسرع لأنني أردت أن أبقى هناك تحت سماء أيريل أشكر الله هذا النبأ المبارك ، على أنني لم أضع وقتاً في الوصول إلى بيت بلاين

وكان ديني في الواقع مريضاً جداً ، ولكنه في هذيانه روى قصة ما حدث على مفترق الطريق منذ سنوات عديدة فقال إنه كان عائداً في طريقه إلى بيته على جواده الصغير بسد زيارة لإحدى المائلات المجاورة ، فلما وصل إلى مفترق الطريق رأى جون وهابل يتقاتلان ، وكان هابل قد أتى بجون على الأرض وشرع يخنقه ، فالتقط بلاين إحدى البندقيتين من على الأرض وأطلقها على هابل فأصاب الطاق جنبه

وكان جون فائد الرعي فسقط هابل إلى جانبه جثة هامدة ، ولم يبتين بلاين إذا كانت الإصابة قاتلة أو إذا كان المصاب لا يزال حياً ، ولم يلبث أن سمع صوت جواد قادم من ناحية المدينة ، فوثب إلى سرج جواده ودفعه مسرعاً في الطريق للمارض ، وكان لا يزال حاملاً البندقية في يده ؟ فلما وصل إلى البيت وضعها على رف هناك وهي لا تزال هناك من ذلك التاريخ

وهكذا وضع الحق في قصة جون ، فهو بعد اليوم حر طليق وسيمود إلى بعد قليل ؛ ولو أن السعادة تقتل الإنسان لكانت قتلني في تلك الليلة لم يمض ديني حتى يحاكم على فعلته ، فقد قضى عليه المرض بعد أسابيع قليلة من هذا الاعتراف وكان لا بد من اقتضاء بضعة أيام بمحقق البوليس

المجاورة . ثم صعدت السلم بتبعمي جون مبطناً فلما دخل الحمام أسرع بنقل ثيابه إلى الغرفة التي كان يسكنها أبوه . وكانت هذه الثياب هي التي كان يلبسها قبل ذهابه إلى السجن ، وهي البقية التي وضناها في الصندوق الخشبي بعد إخراجنا ثياب أبيه وأدركت أن الثياب ستكون واسعة عليه جداً فقد نحل جسمه كثيراً ، وبالألمس رقت ثوب النوم ذا الطراز القديم أمام عيني وقبلت رقبته وتصورت جون وهو يلبسه . والآن إذ أسرع بوضع الثياب فوق سريره تحدرت الدموع من عيني واجتهدت في تملك عواطني حتى لا يخونني صوتي عند ما ناديته من خلال باب الحمام قائلة :

— لقد أعددت لك الثياب على الفراش وهناك ثياب أخرى في الصندوق ، فلتحضر إلى العشاء متى انتهيت

وحرصاً على حياتي لم أستطع أن أودع كلاتي شيئاً من حرارة الحب . وزلت إلى الطابق الأول مهزوزة الأعصاب لحد عنيف وقد سحق الحزن قلبي فلم أستطع الإشراف على عملية اللبث ، وتولت ماري العمل نيابة عني وقد قالت :

— من رأيي أنه كافٍ يجب أن يجبروك بما ستواجهينه فإن حياة السجن تشوه رجلاً مثل جون تشوهاً فظيعاً ، فمعلمهم هذا إثم وعار . ولا يجب إذا شعرت بانكسار نفسك فدعي عنك أمر اللبث فساتولاه واذهي أنت فاجلسي وحاولي أن تأثني ما طرأ على حياتك من تبدل

فقلت في نفسي : إني لن آلف ذلك أبداً ، فإذا عساني أستطيع أن أقبل ؟

لقد تمودت أن أري جون جالساً معي إلى المائدة

— إين ! ألا تعرفيني — أنا جون ؟

فصحت :

— جون ؟ أبوه ، لا ! لا ! لست أنت جون ، لست أنت زوجي !

ثم تذكرت السنوات العديدة التي مررت بنا ؟ فطلعت لهجتي وقلت :

— جون ؟ آه . عزيزي . أدخل .

وشعرت على حين فجأة أن الدنيا قد فقدت بهجتها ، وأدركت أن جون زوجي قد بات في نظري في عداد الأموات ، لقد ختمت مأساة حياتي بهذه الخاتمة الوجعة .

ودخل جون البيت متردداً وكان يرتجف من فجة رأسه إلى أخمص قدمه . وقال :

— لقد أفرجوا عني بأسرع مما كانوا يتوقعون يا إين ، ولم أستطع أن أنتظر إلى الند فقطعت الطريق جرياً ، واجتزت الرمي بجوار الأكمة فشمرت بوجودك فوقها ، فانطرحت على الأرض وقبلت البقعة التي وطأها قدمك يا عزيزي ! ولكن التي أراها الآن ليست إين التي عهدتها ، فهذه امرأة جامدة كأنما يفصل بينها وبينى مدى بعيد ! أين ولدي ؟ هل علمته أن يكرهني أيضاً ؟

فقلت :

— صه يا جون ! وستنكلم بعد أن تتنسل وترتدى ملابس نظيفة . إنك متأثر بما مر بك من حوادث ومفاجآت ، وهماي غرفة أليك في انتظارك وستجد فيها ملابس جديدة معدة لك

لم أخبر جون أنني قضيت النهار كله في عمل متواصل لإعداد غرفتنا على ما يجب أن تكون بعد أن نقلت فراش روني إلى الغرفة الصغيرة

وأصبح ينتظر ما يلقي إليه من التعليمات ، ولكنه كان يعمل برغبة صادقة ولذة واضحة في إنجاز ما يشير عليه فرائك بعمله

وكان في سلوكه ممي رقيقاً غير فضولى ، وكان في بعض الأحيان يشتد به التواضع إلى حد الخجل ؛ وكان قليل الالتفات إلى روى ولكنني لاحظته بعض الأحيان وهو يرمق الطفل بعين ملؤها الحب والاهتمام ، أما روى فلم يقبل قط أن يكون جون أباً له .

شهر واحد من هذه الحياة كاد يدفع بي إلى الجنون . ولو أن جون ضحى بين ساعديه وقبلاني بالقوة لكان من المحتمل أن أؤور في وجهه وأن أؤدغه عني ولكني لم أكن لأحتقره كما احتقره الآن يجب أن ينتهي الأمر بيننا بالطلاق . ولقد شعرت باقترب هذه النتيجة ، فإن الأمور لا يمكن أن تستمر على ما هي عليه الآن ، ولكنني ترددت في التعلق بالكلمة التي تؤدي إلى هذه الغاية . لم يبق في نفسي شيء من الحب لجون ولكنني لم أرد أن أجرحه ، فقد أعرف أن نفسه الحساسة لا تزال مقيمة في جسمه المشوه ، فالجرح الذي أصابه كان بالفعل بالغاً عميقاً ، عميقاً إلى أبعد المدى

وجلس في إحدى الليالي المظلمة إلى مكتبي أراجع بعض الحسابات المهمة ، وكان روى قلقاً كثير الحركة ضابقي بكثرة مطالبه فوضع جون الصحيفة التي كان يقرأها جانباً وناداه :

— تعال يا بني

وكانت حركة جون غير متوقفة فلم أملك أن وكفت عملي ونظرت لأرى ما يكون ، فראيت روى يذهب إلى جانب أبيه ، فقال جون :

فلن أستطيع أن أتمود أبداً أن أرى مكانه هذا الرجل المشوه الذي عاد ليدعوني اسمائه .

ساعدت ماري في إعداد مائدة العشاء ، ولكن ماري هي التي أرشدت جون إلى مكانه على المائدة . ولقد جلست ساكنة كشخص متجمد ، أما روى فقد استدارت عيناه من الدهشة ولم ينس ببنت شفة ولم يأكل شيئاً . وتكلم فرائك وجون فيما طراً على المزرعة من تغير وعن شؤون التعاون وعن موت أبيه ، ولكنهما لم يذكر شيئاً عن شؤون جون نفسه . فكان الرجل غريباً على مائدته .

لقد نظف جون نفسه جهداً استطاع ولكن الصابون لا يزيل قذارة السجن من أول مرة . وكان جون شاعراً بحالته فلم يأكل إلا قليلاً . وعند الانتهاء من الطعام قال فرائك :

— لاتزال هناك بقية من الضوء تمكنك يا جون من مشاهدة بعض أعمال في المزرعة إذا أردت أن تجربها قبل هجوم الظلام .

فنهض جون ونلس قبضته ثم بدا عليه أنه يتذكر فتبع فرائك عاري الرأس يسير بخطوات ثقيلة أشبه ما يكون بالشيخ الهرم . ولعل وراء جفنيه السيلين دموعاً متجمعة تنشئ البصر كالسموع التي ملأت عيني في تلك اللحظة .

وعاد جون متأخراً في المساء فأوى إلى الغرفة التي كان يسكنها أبوه ، ولم يحاول أن يفتح باب غرفتي ، ولو أنه حاول ذلك لوجده موصداً بالفتاح واستمرت حياتنا شهراً كاملاً على هذا النمط . ولو أن جون بدأ في الحال يساعد في أعمال المزرعة ولم يكن له من مراكز مجد في العمل فقد تلاشى ما كان يتميز به في شبابه من النشاط والخفة والتسلط

عدت إلى مواصلة عملي ، وتكلم جون وروني
عن مركب وعد جون ابنه بأن يصنعه له من قطعة
خشب صغيرة وجدها ، وقد فهمت من حديث جون
أنه قد غوى الحفر في الخشب واشتغل به .
وبعد برهة قصيرة أخذت روني إلى فراشه
في الطابق الثاني ، ولما عدت وضع جون جانباً المجلة
التي نشرت فيها مقالتي الأخيرة عن صناعة الألبان .
وسألني :

— إلين ، ألا تشعرين بأنك تريد أن تتكلمي ؟
أظن أن هناك أموراً يجب أن تتكلم فيها معاً ،
فأنت بالسعيدة ولا أنا بالسعيد . لقد قاسمتنا كلانا
الألم الشديد من هذه التجربة العظيمة . وليس أحد منا
بلموم على ما حدث ، وما أنا بالرجل الذي أخذوه منك
ولا أنت أيضاً بالفتاة التي تركتها ورأى .

ولكل منا ذكرياته القديمة لا يستطيع
نسيانها ، وكلانا صغير ، فأنا لم أ تجاوز السادسة
والثلاثين ، والماضى ورائنا ، ولا يزال أماننا مستقبلي
طويل وعلينا أن نفكر في مستقبل وادنا ، فهو في هذا
الجوالشعب بالأسى والتوتر سينشأ قلقاً تديساً ، لهذا
أشعر بأنه يجب علينا أن نعمل في الحال عملاً ما
لتصحيح هذا الموقف .

لقد قررت أن أذهب إلى البيت . الآخر ،
واتفقت مع جاك وجين على إعداد ما يلزم لأن أقيم
هناك وأحتل مركزي الشرعي مدرراً للزراعة .
ولدينا كمية وافرة من الأرض يا إلين نتحكما من
تربية ما نشاء من القطعان دون تعرض لقطع معمل
ألبانك . ولك إذا أردت أن تحصى في عملك كما
مضيت حتى الآن .

ثم رفع المجلة وقال :

— قل لي ما هي الهدية التي تفضل أن أحضرها
لك ... ؟

فأجاب روني مسرعاً :

— جواد

— حسن ! فأحضر لك « سيسي » خاصاً بك .

فقال روني في لهجة التوكيد :

— لا . فإني أريد جواداً كالذي يركبه أبي ،

جواداً أبيض كبيراً

— ولكنني لا أفهم يا روني ما تريد ، فأنا أبوك

ولكنني لا أذكر جواداً أبيض

فقال روني والتفت إلى :

— أقصد أبي الحقيقي الذي أراه فوق مائدة

زينة أمي ، فقد حدثتني عنه ... ألم تحدثيني يا أمي

عن أبي ؟

فقلت :

— لقد رويت له يا جون قصة جالاهاد فكان

بعد ذلك يقرنها دائماً بصورتك الفوتوغرافية . ولقد

علمته أن يحب صورتك هذه ولم أحلم قط ...

فقاطعتني جون قائلاً :

— فهمت ... فهمت ... روني يحسب أن له

أبون ، فإذا فعل في ذلك يا إلين ؟ هل ترين أن أتركه

في أحلامه ، أم نوقظه كما استيقظنا أنت وأنا ؟

فأجبت في حدة :

— بل لنتركه في أحلامه

فأجاب جون في لهجة حازمة لم يتكلم بمثلهما منذ

عودته من السجن :

— أما أنا فأرى الأمرين . فإن عقل الطفل

أشد ليونة من عقل الإنسان الكبير ، وسيدرك

الحقيقة تدريجاً ثم يقبلها .

يريد هو لا حيث تريد هي . فلا أنا أحبك ولا أنت تحبني .

فرغ جون رأسه في حركة سريعة ، ولكنه حول نظره جانباً وقال في هدوء :

— إذن أنت تقرن اقتراحي وتوافقين على أن أنتقل من هنا ، وهذا هو ما توقمته من قبل ، وطبيبي أن يقيم روني معك ولكنني أريد أن أراه في أغلب الأوقات
فقلت :

— هذا طبيبي وروني صبي رقيق الحس وفي مقدورك أن تكسب حبه وصدافته في سهولة . وهو لا يزال أصغر من أن يفهم الأمور على حقيقتها ، وإني أريد منك يا جون أن تحبه ، كما أود أن تدرك مبلغ حزني لما صارت إليه الأمور ، وإني لأخجل من موقفي بعد الذي قاسيته أنت من الآلام ، ولكنني أريدك كما كنت يوم أخذوك مني زوجي الصغير الجليل بحسبه القوى الرشيق ونظرة الثابتة وشعره الغزير ... ويديك يا جون ...

« ألا فاعفر لي يا جون ولتبق هنا فلا تتركنا وسأحاول أن أصلح كل شيء ! »

ثم غطيت وجهي ببدي وبكيت فقال جون :

— أبدأ ! فإن بقائي هنا أسوأ من إرسالك إلى السجن لتقضي فيه بقية حياتك . لقد كنت أفكر في غلطتي حين منمتك من زيارتي في السجن وانتهيت إلى أن التروى الوقتي هو الذي حملني على ذلك ... على أن أولى غلطاتي مع ذلك كانت تركي لإلاك تقضين لياليك وحيدة مندفعاً وراء هابل كيليون في حياته الجنونية ، ولقد دفعت ثمن ذلك غالياً

— إنك قد نجحت نجاحاً مدهشاً . وإني لمجرب بروحك القوي وقدرتك على إتمام الأعمال الكبيرة التي اضطلمت بها . فانت امرأة عالة ديرة وتستطيعين أن تعني بأمر نفسك ، وليست بك من حاجة إلى إحداث أي تغيير في أسلوب حياتك ، وروني ابنك . ولم أترك قط لنفسى اللعان في الشفغ به ، لأنني أدركت منذ اللحظة الأولى شعورك نحوي . لقد قضيتا عدة أعوام متقاربن تقارباً شديداً من الناحية المنوية . فلا يتفق مع هذا أن أعجز اليوم عن قراءة أفكارك . وأريد بالإن أن أشكرك قبل أن نفترق تلك الرسائل التي لم أكن لأحتمل حياة السجن بدونها ، ولقد دأبت على انتظارها كل يوم حتى اليوم الأخير .

أنهرت دموعي لأنني لم أستطع حبسها ، وكان من موجبات الغناء أن أعلم أن جون كان ممتنعاً مني أيضاً حتى أنه ليريد الذهاب .

ولكنني شعرت في كلانه بتيار خفي من الحزن أثر في نفسي . وقد وقف عن الحديث ، ولكنه لم يرفع نظره إلى حين جالوسه :

— لقد كانت النغلة الأولى غلطتك أنت يا جون حين حملتي على أن أعاهدك بالآ أوزورك في السجن . ولو أنني رأيت بالتدريج ما طرأ عليك من تغير لكان من المحتمل أن أحفظ بمحبك خيأ في نفسي ، غير أنك مع ذلك على حق فيما تقول ، فليس اللوم فيما حدث بواقع على أحدها .

« إن النغلة هي غلطة المجتمع في أن تؤخذ مني شاباً قوياً جيلاً ثم ترد إلى شيخاً مكسور القلب . وإني ما زلت على استعداد لأن أوجه الأمور خير وجهاتها ، ولكن حب المرأة يا جون يسقط حيث

يحمل بها جون ويعمرزها في الخيال

وقلت لابي :

— أعطني يا روني إحدى لمبك فمئتك منها

كثير

فقال الصبي :

إذن خذي هذه العروس الصغيرة فإن الأولاد

لا يلبسون بالمراس

ثم مضى يقول في حماسة :

— أنظري يا أمي إلى هذا الجواد وهذه البقرة

والخنازير الصغيرة ، أنظري إلى ذيلها الجميلة الملقوفة

نظرت ولكنني لم أستطع أن أرى شيئاً لأن

السموع قد ملأت عيني . لقد كان جون يفكر

في ابنه الصغير وهو في السجن فصنع له هذه اللب

من الخشب !

وقال الطفل :

— إلى أحب جون مثل حي أبي الذي

في الصورة . وهو أب حزين جداً ولكنه يضحك

معي ويروي لي أعجب القصص ، وسيمصيني غداً

في صيد المصافير التي كان يصطادها وهو صغير .

فهو كان صغيراً مثلي وكان يعيش في المزرعة التي

يعيش فيها الآن جاك وجين ، وهو يعرف أشياء

عن رعاة البقر وعن الهنود ويعرف كل شيء تقريباً !

ولقد كان الأمر كما قال جون : الطفل يألف

حكم الظروف بأسرع مما يألّفه الكبار

وفي مرة أخرى عاد روني من زيارة أبيه

وأخبرني أن جون يعرف كل شيء عن

السجن ، فهم هناك يجلسون الرجال ببدين عن

أبنائهم الصغار وبناتهم لأن هؤلاء الرجال أشرار ،

وأنا أعرف أن جون لم يكن رجلاً شريراً لأنه

يا عزيزتي ، دفعته ندماً وحزناً ، ولكنني الآن أريد

أن أعيش ... وإنك لخطئة إذ تتصورين أننا نستطيع

أن نكون سعيدين أو حتى راضين في حياتنا معاً في

هذا البيت ، ولقد قررت الانتقال إلى البيت الآخر

غداً ، وعندي بعض أشياء أريد أن أرتبها ، وهي مايجويه

الصندوق الذي جاءني أمس من إدارة السجن ،

وأنا من أجل ذلك ساعد إلى الطابق الثاني

والآن أرجو يا إيلين ألا تحاول مرة أخرى

إصلاح ما حدث ، وإنك لتعلمين أن لا فائدة في الندم ،

ولنش من الآن للمستقبل ، لتستقبل ابنتا الصغير

حييت جون تحية المساء وترك الفتاة وقد

شعرت الآن بالارتياح بعد أن واجهنا قضيتنا بهذه

الصرامة

انتقل جون إلى البيت الآخر ليعيش فيه وعاد

كل شيء إلى ما كان عليه قبل عودته من السجن ؛

غير أنني أصبحت أشعر بأن هناك شيئاً ينقصني . لقد

أضمت شيئاً كان يشغل ناحية من حياتي ثم مضى

فأنا شاعرة بفقدانه . لقد فقدت زوجي من قبل ،

أما الآن فقد انتزعت ذكره أيضاً من قلبي

وكان روني يقضي وقتاً طويلاً في البيت الآخر ،

وقد استحسنت الصداقة بينه وبين جون منذ اليوم

الأول حين عاد إليّ يحمل بين ساعديه مجموعة من اللعب

المصنوعة من الخشب ، وقال :

— أنظري يا أمي ... هذه حشرة كاملة أعطها لي

جون . أنظري هذه الفتاة الجميلة التي تشتغل بصناعة اللبن

ومد يده باللبنة في وجهي ، فكانت تتثالا جيلاً

لفتاة عفت جدالها كالنارج حول رأسها ، وقد ثني

ذيل رداها إلى أعلى فهي سورة طبق الأصل لي يوم

تركي جون ذاهباً إلى السجن : هي الفتاة التي كان

الجديدة ، فلقد كان التغير الذى أحدثته فيه المدرسة كبيراً . وكانت الفتاة تستوقفه كل ليلة عند عودته لتعطيه فطائر طازجة من الجوزيل أو السمك ، وكانت دائماً تحاطبني بالتليفون إذا همى أبقتة عندها وقتاً طويلاً . وكانت تقول فى بعض الأحيان : لقد ذهب روني مع والده إلى جهة ما وسيحضر إليك بعد قليل

وكتب أشعر بالأطمئنان والرضا حين أعلم أن روني فى بيت جين

كنت فى هذه الأيام كثيرة المشاغل فقد قبلت أن أتولى كتابة صفحة فى مجلة مصانع الألبان ، عدا الاشتراك فى مسائل أخرى كثيرة ، وكما كثرت أعمالى قل تفكيرى فى نفسى . ولقد عاد إلى الشعور بالسعادة ، فكنت على الأقل أنعم بالحياة وقد خلت نفسى من كل غل أو حقد أو غيرة

وعاد شهر إبريل وكان الربيع بارداً رطباً وصحبت روني إلى المدرسة فى صباح أحد الأيام ، وكانت السماء قد أمطرت بعد المساء مطراً بارداً فاعتزمت أن أذهب هذا المساء بنفسى إلى المدرسة لإحضاره ، ولكن جاءنى رجل لأخذ صور للعبة . وبلغت الساعة الخامسة قبل أن أنتبه إلى الوقت ، فجزعت لعدم عودة روني إلى البيت ودققت التليفون لبيت جين وود ولكن لم أتلق رداً لىدافى . وإذا كنت أناهب اللبس معطى استمداداً للخروج أبصرت بمجون يحمل روني إلى البيت ، وأسرعت إلى الباب وفتحت لحظة وصوله إلى عتبته وصحت .

— ماذا حدث يا جون؟ هل أصيب روني بسوء؟

فأجاب جون :

— هو مريض فلا تجزى . لقد مرض

لم يعمل العمل الذى أدخل السجن من أجله ، ويقول جون إنه يحدث أحياناً أن يتعذب الناس بسبب أغلاطهم ، وهذا هو ما يحمل الإنسان على التفكير والحذر من الوقوع فى بعض الأغلاط مثل إيذاك شخصاً بحبه فى سبيل الجرى على هواك ويرف جون بأى كل شيء عن الفحش .

يعرف العناصر التى يتولد منها ، كما يعرف طريقة إخراجها من الأرض ، وسيفتح هناك مجوار التل ويسمح للفقراء أن يحضروا إليه ليأخذوا ما يحتاجون إليه من الفحش لتدفئة أطفالهم الصغار .

وهكذا أطلع جون روني على السر الذى اجتهدت فى إخفائه عنه . ولقد عرفت كيف حدث ذلك ، فقد سأله روني السؤال الذى كان يحيره فأجاب عليه جون بالصدق وحدث الطفل كما لو كان يتحدث رجلاً رشيداً

لقد شعرت فى أحيان كثيرة أن روني محتاج إلى محبة رجل طيب ، لذلك فكرت فى أن أتزوج مرة أخرى تحقيقاً لهذا الغرض ... والآن أرى أن روني قد أحب جون ، بل هو يحبه أكثر مما يحبني ولكننى لم أغضب لذلك !

كانت هذه أول سنة لرونى فى المدرسة ، ولقد كنت أتابع بلفتة حركات تقدمه ، وكان يمر فى طريقه إلى المدرسة ومنها بيت جين وود ، وكانت جين تأتى به إلى البيت فى أغلب الأحيان ، وكان جون يصحبهما فى بعض الأوقات . ولقد قابلت صداقته لجين دون أن أحس بأقل أثر من الغيرة ، وقد خطر لى - إذا كانت جين تهتم به - أن أطلقته فقد تكون قادرة على إسعاده ، وما من شك فى أنها تصبح زوجة سالحة .

ولم تكن جين أقل من ابتهاجاً بحياة روني

في ميزان القدر ، فقد اقتربت الأزمة وجلس الطبيب متجنباً عند نهاية السرير يرقب التنفس ، ووقفت إلى جانب السرير ووقفت جون إلى الجانب الآخر وعند منتصف الليل تلاشى الظل الأغبر عن وجه روني ولم يبق مكانه إلا لشحوب رائق . ثم فتح عينيه يتلمس أحداً حوله وقال همساً :

— جون ؟

فأجاب جون :

— هأنذا ياروني ، هأنذا يا صديق العزيز ... فرت على الشفتين الصغيرتين ابتسامة ملائكية وقال :

— حدثني يا جون عن بعض المهود ورعاة البقر فقال جون :

— لا شك في أنني أعرف من أخبارهم أشياء كثيرة رائعة ولكن يجب الآن أن تمام هادئاً فترة طويلة

فأطاع روني إشارة أبيه وأدار رأسه واستغرق في النوم

فوقف الدكتور جونستون وقال :

— سيميش . وكل ما يحتاج إليه الآن هو النايه . ترى هل أعدت مارى شيئاً من القهوة ؟ أظن أني أشم رائحة قهوة وسأهبط إلى الطابق الأول لأرى رفعت رأسي فראيت جون ينظر إلى بيتين ملؤهما الحب ، فقلت همساً :

— جون ، جون ، إلى أريدك ، أريدك كما أنت فدار جون حول السرير قائماً نحوى وقابلته في منتصف الطريق ، وإذا أنا بين يديه يضمن من جديد بعد هذه السنوات الطوال ، وهو يقول :

— إلى أحبك يا إين ، ولم يقف قلبي قط عن (٣)

في المدرسة وجاء إلى بيتنا ماشياً ، ومن هناك حملته إلى هنا .

وبينا هو يتكلم ذهب بروني إلى الصفة فأرقده فوقها ، وكانت حرارة الصبي مرتفعة ولم يكن في استطاعته أن يرفع رأسه ، وقد قال لي في صوت خافت :

— لماذا لم تحضري يا أمي ؟ لقد شعرت بأني مريض جداً

عندئذ أدركت أنني كنت حتى هذا الوقت أفكر في نفسي وفي أعمال أكثر من تفكير في روني على الرغم من شدة حبي له .

وإذا استوى جون واقفاً بعد أن رتب الوسائد بما يتفق وراحة روني قال له الصبي :

— ابق هنا يا جون

فأجاب جون :

— سأعود يا روني ، فهناك شيء آخر لابد من عمله وسأراك ثانية يا عزيزي .

ثم التفت جون إلى وقال :

— سأقله إلى فراشه يا إين ، ولكنني ذاهب الآن لإحضار الطبيب فأعطيت مفاتيح سيارتك .

عرفت حكم الطبيب قبل أن ينطق بكلمة « نيمونيا » فنسيت كل شيء في الدنيا إلا هذا العالم الصغير الذي يحيط بولادي وهو في فراشه يكافح الموت .

وبقي جون بجانب روني الذي لم يسمح له بالذهاب وقضى إلى جانبه أياماً وليال طويلاً لا يفارقه لحظة في أثناء يقظته ، ولا يهد عنه إلا قليلاً إذا هو نام . وكان يعني بانه المريض في لطف وحنان ولكنيه لم يكن أقل لطفاً وحناناً مع الوجة التي جحدته .

ثم جاءت الليلة التي علفت فيها حياة الصغير

— لقد تمنت كثيراً ولكنها كانت تمجدد

فلا تشكو

ثم مضى يقول :

— إنك لا تدرى مبلغ سرورى بشفاء

طفلكا . وستصبح حياتكم جميعا سعيدة رائمة

بعد الآن . وأنت أيضاً يا جون اذهب واسترح

وسأبقى أنا هنا فترة من الزمن

قضيت أنا وجون ساعتنا الأولى مما حاولين

أن نجتمع فيها كل ما فقدنا من السعادة طوال هذه

السنوات المرة . وإن هناك من التجارب ما لا تستطيع

الكلمات أن تصفه ، إنما يستطيع أن يقدرها من

يعر بها فيعرف قيمة الحياة بعدها

عبد الحميد حمدي

النبض يهبط ؛ ولكننى تركتك متمدين أن الحياة

بدونك كانت مستطاعة ميسورة ، ولم أكن أثق

بضبط نفسى إذا نظرت إليك . وكنت أخشى أن

تدركنى أنى أحبك ، والآن ستمود إلينا السعادة

يا عزيزى .

فأجبت :

— جون ، إني أحبك حباً صادقاً آخر الأمر

فقال جون فى رقة ولطف :

— ترى هل يفرح صبيانا الصغير بهذا ؟

لم أجب على هذا السؤال لأن الطبيب عادى فى هذه

الاحظة إلى الترفقة وقد فاجأنا بقوله :

— خذ زوجتك فأرقدوها فى فراشها

ولما نظر إلى وجهى قال :

سبرى

لا تخشى على مستندائك

سبرى

لا تخشى على مجوهراتك

اودعوها

خزائن بنك مصر الحديدية

فهى فى الحفظ والا مان

بنك مصر يؤجر لكم خزائنه الحديدية القوية ويرعاها بعين ساهرة

مُسَهِّدَةً تَحْتَ وَبِكَ الْفَضَى
وَمَنْ لَا تَجِدُ أَحَدًا غَيْرَكَ تَحْمِلُهُ
مُسْتَوْدَعًا لِأَسْرَارِهَا ، فَتَشْكُو
إِلَيْكَ بِهَا وَهِيَ وَاقِفَةٌ بِكَ ،
مُؤْمِنَةٌ أَرْسَخَ الْإِيمَانُ بِالْوَهْمِيَّةِ
الَّتِي تَسْمَحُ الْمَوْعُ وَتَكْتُمُ
الْأَسْرَارَ وَلَا تَنْفُسُ مَا تَوْعَنُ
عَلَيْهِ مِنْ بَنَاتِ الْقُلُوبِ !

نَظَرَ إِسْمَاعِيلُ أَفْنَدَى إِلَى
الْقَمَرِ السَّاطِعِ خِلَالَ الشَّرْفَةِ الْكَبِيرَةِ ، وَظَلَّ بَرَهَةً
مُسَبَّوْهَا كَأَنَّهُ فِي حُلْمٍ ، ثُمَّ اقْتَرَحَ أَنْ يَذْهَبَ الْجَمِيعُ
إِلَى الْحَدِيقَةِ لِيَجْلِسُوا ثَمَّةَ تَحْتَ قَرِّ الْمَنِيَا وَسَمَاءِ النَّمِيَا ،
وَلِيَشْرِفُوا مِنْ رُبُوعِ الْخَلْدِ عَلَى النَّبِيلِ الْقَدِيمِ الْقُدْسِ
الْمُمَثَّلِ فِي هُدُوءِ دَعَا لُوحَى خُون^(١) الْعَظِيمِ
كَانَ إِسْمَاعِيلُ أَفْنَدَى فِي مَسْهَلِ حَيَاتِهِ ضَا بَطْلًا
مِنْ ضَبَاطِ الْبُولِيسِ ، وَكَانَتْ لَهُ سَطَوَاتُ كَانَ صَدَاهَا
يَتَجَاوَبُ فِي فِضَاءِ قَلْبِهِ ، فَتَارَةً يَبْتَسِمُ وَتَارَةً يَتَجَهَّمُ ،
وَتَارَةً يَشْرُدُ لَبِهِ ... وَهَكَذَا كَانَ يَبْدُو أُرْ ذَكَرِيَّاهُ
عَلَى وَجْهِهِ حِينَ يَفْعَلُ بِهَا

وَكَانَ يَقْصُ لَأَبْنَاءَهُ بَعْضَ مَجَازِفَاتِهِ فِي مَطَارِدَةِ
الْمُصُوصِ لِذِهِ مَآوِنِ بُولِيسٍ يَنْدَرُ طَلْطًا مِنْذُ ثَلَاثِ
وَعَشْرِينَ سَنَةً ... وَكَانَتْ طَرِيقَتُهُ فِي الْقَصَصِ طَرِيقَةً
جَذَابَةً شَائِقَةً ، وَلِذَلِكَ كَانَ أَبْنَاؤُهُ يَصْغُونَ إِلَيْهِ إِنْصَافًا
تَامًا ، وَكَانَتِ الْقِصَّةُ — أَوِ الْحَادِثَةُ — الَّتِي يَرَوِي
وَقَائِعُهَا قِصَّةُ أَخْلَاقِيَّةٍ رَائِعَةٍ مُمَثَّلَةٌ بِالْمَخَاطِرَاتِ الَّتِي
يَزِيدُهَا ظِلَامُ اللَّيْلِ ، وَتَقِيقُ الضَّفَادِعِ ، وَعَوَاءُ الذَّنَابِ
فِي رَيْفِ الْغُرْبَةِ الشَّاسِعِ رُوعَةً وَرَهْبَةً .

(١) خُونُ وَخُولَسُو مِنْ أَسْمَاءِ الْقَمَرِ عِنْدَ الْمَصْرِيِّينَ
الْقَدَمَاءِ ...

دُمُوعُ فَلَكِمْ كَيْتَمِ

أَقْصُ نَوْصَةٍ فِضْصَرِيَّةٍ بِهَتْكَمِ الْأَسْتَاذِ دِرْجِي خَيْتَمَبَةِ

جَلَسَ الْوَالِدُ السَّعِيدُ يَسْمُرُ إِلَى أَوْلَادِهِ السَّعْدَاءِ
حَوْلَ مَنَظَبَةٍ كَبِيرَةٍ فِي الرَّدْمَةِ الْفَسِيحَةِ الْمَزْدَانَةِ
بِصُورِ الْعِظَاءِ وَأَعْلَامِ الْفِكْرِ . وَكَانَتْ ثُرَيَّا الْكَهْرِبَاءُ
تَسْكُبُ أَذْوَابَهَا عَلَى الْوُجُوهِ الْمَصْنُوعَةِ إِلَى الْحَدِيثِ
السَّاحِرِ الْجَذَابِ ، يَلْقِيهِ إِسْمَاعِيلُ أَفْنَدَى عَبْدَ الرُّعُوفِ
بَطَرِيقَتِهِ الرَّائِعَةِ وَأَسْلُوبِهِ الْقَوِيَّ وَعِبَارَتِهِ الْهَادِثَةِ فَيَنْفِذُ
بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ جَمَالٍ إِلَى أَقْنَدَةِ بَنِيهِ

وَكَانَتْ لَيْلَةٌ مِنْ لَيَالِي الصَّيْفِ الْقَمَرَةِ . وَلِيَالِي
الصَّيْفِ الْقَمَرَةِ فِي مَدَائِنِ الْوَجْهِ الْقَبِيلِ عَامَةً وَفِي مَدِينَةِ
النَّمِيَا عُرُوسِ مِصْرَ الْعَالِيَا خَاصَةً تَشْبَهُ لَيَالِي الْقَدَرِ ..
لَأَنَّهَا لَيَالِي الْأَحْلَامِ وَالْحُبِّ وَالشَّعْرِ وَالسَّمْرِ الْجَمِيلِ
الْحُلُوفِ الَّتِي تَهْدِمُهُ أَنْغَايُ الصَّعِيدِ الْفَتَاتَةِ ، وَتَحْمِلُهُ
نَسَائِمُ الصَّحْرَاءِ قُطْرَبُ بِهَ الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ
لَهُ مَا أُرْوَعُكَ يَا قَمَرُ الصَّعِيدِ ! وَلَشَدَّ مَا كَانَ
أَبْنَاؤُهُ مَدْنُورِينَ فِيكَ حِينَ اتَّخَذُوكَ لِهَامًا !

خُونَسُو !

هَكَذَا كَانُوا يُسَبِّحُونَ لَكَ وَيَضْرَعُونَ
بِأَكْفِهِمْ إِلَيْكَ ، وَيَتَمَنُّونَ عَلَيْكَ الْأَمَانِي !
فَكَمْ سَطَرْتُ فِي أَدِيمِكَ التَّمَلُّلُ مِنْ قِصَّةِ حُبِّ
يَا خُونَسُو الْجَمِيلِ ، وَكَمْ شَهِدْتُ دُمُوعًا تَذْرِفُهَا عَيُونُ

- لكن إسماعيل أفندى سكت عن الحديث فجأة ،
وانتظر أنباؤه أن يصل قصته ، بيد أنه لم يفعل ،
وبدل أن يتكلم راح ينظر إلى القمر ، أو إلى خونسو بلغة
المصريين القدماء ، كما كان ينظر إليه عباده
الأولون ... ثم راع الأبناء الواجب أن يذرف أبوم
عبرة ترفقت فوق خديه الشاحيين ، لم يستطع أن
يمنعها من أن تندرف .
- ولم يجزؤ أحد من الأبناء أن يسأل أباه لماذا يبكي ،
لكن أهمهم لم تبال أن تفعل ...
- أوه ! ماذا ؟ لعلك أسفت لأنك تسببت
في إعدام اللس ؟
- أبداً .. آه .. أجل .. والله لقد ألمني ذلك !
- وله ؟ أليس يستحق القاتل أن يُقتل ؟
- قد يستحق القاتل أن يقتل ، لكن كثيرين
من القتلة لا يستحقون أن يقتلوا .
- إذن تريد أن تضع شريعة جديدة ...
- لست أحاول ذلك .
- ولكن قل لنا أولاً : لماذا أحزنك إعدام
القاتل إلى هذا الحد ؟ !
- لقد ترك أسرة شقية لا عائل لها غيره .
- ولم أكن أتمس عيشه من طريق حلال ؟
- ومن يدرينا أنه لم يفعل ! لا شك عندي
أن أكثر لصوص بلادنا مضطرون إلى هذه الدناءة
برغمهم .
- ومنهم المجهول عليها وهو في غير حاجة
إلى السرقة .
- هذا حق لكنه قد يكون معذوراً كذلك !
- كلام عجيب ، وأعجب منه أنه يخرج من فم
رجل كان ضابط بوليس فيما مضى ... وكيف يكون
- معذوراً وهو في غير حاجة إلى السرقة ؟
- قد يكون معذوراً لأنه ربما نشأ في منزل
يعلم الإجمام !
- فلسفة جديدة !
- ليست فلسفة لكنها الحقيقة !
- وكيف ؟
- لوعلمنا الناس وحاربنا الفقر لأنفتحت الجريمة
- وما علاقة المنزل بكل هذا ؟
- المنزل هو البناء والسكان ، وما دام البناء
غير صحيح فسيظل الجسم غير صحيح . وما دام الجسم
غير صحيح فسيظل صاحبه يفكر تفكيراً سقيماً
ملتوياً ، ومع ذاك فهو لا يفكر إلا في الشر والحسد
والحقود ... الجريمة ... هذا من جهة البناء ...
- ومن جهة السكان ، فهم غالباً امرأة جاهلة شريرة ،
وابنة أجهل من أمها تريد أن تزوج بأية وسيلة إذا
دب الحيوان في أصلاها ... ثم أبناء متخاضمون
متنافرون لا يرحم بعضهم بعضاً ، ولا يريد أحدهم
الخير للآخر ، لا سيما إذا كان أحدهم متزوجاً ...
- أرجوك أن تدع هذا كله ... ولكن ماذا
أبكاك ؟ أحقيقة أنك تأملت لأن الرجل ترك أسرة
لم يكن لها عائل غيره ؟
- هذا هو !
- أبداً ! ...
- إذن فإذا تحزرتين ؟
- أحزر ؟
- أجل
- لا يد أن في المسئلة سراً ، وقد حاولت إخفاءه
- عنا بهذه الفلسفة في أصل الجريمة !
- أبداً

— كلا، كلا ... لا داعي ... صافى أبك يا إحسان ... قبل يده ! هذا هو أبوك يا وحدى ... ما هذا الظلام المالك الذى انتشر فجأة في عيني إسماعيل ؟ ! إحسان ؟ ! من إحسان يا ترى ؟ ! لقد وجع إسماعيل وجوعاً شديداً ، ووقفت العائلة السعيدة ترمى القادمين بأعين دهشة ساهرة ... من هؤلاء يا ترى ؟ ! لقد تساءل الصغار كل بيته وبين نفسه : من هؤلاء ؟ ! من إحسان ؟ ومن وحدى ؟ ومن هي هذه السيدة ... ؟ ! إن السيدة تقول : إن أبام هو أبو إحسان وأبو وحدى ، فأحسان إن صبح هذا هي أختهم ... ووجدى ... هذا الشاب الياض المعب بيذلتته العسكرية هو أخوهم ... أخت من الطريق وأخ من السيارة ... وعائلة طرقت باب الحديقة من جوف الليل القمري ما هذا يا خونسو ؟ ! ما هذا يا كاتم الأسرار الرهيب ؟ ! ألم يتفق عبادك على أنك مستودع بنات القلوب الذى لا يفشى منها شيئاً ؟ كيف تفجأ عائلة بمائلة هكذا من غير أهبة وعلى غير استعداد ... ؟ ! ألا ما أقساك يا خونسو الخبيث الساهر السامى ! ! تقدمت إحسان إلى إسماعيل افندى فصاحت ، ولما همت بتقبيل يده سحبها في رفق وتلفف ... ثم تقدم وحدى افندى فصانح الرجل المرتجف المضطرب ، ولم يحاول تقبيل يده ، بل لم يحاول الانحناء القليل اليسير وهو يتناول اليد القاسية الصارمة التى كان يعنى نفسه منذ أن أدرك معنى الحياة وحملها الثقيل بحسابها الحساب السير أما سميحة هائم ، أم الأنجال وربة العائلة ، فقد أحست أنها في مسرح كبير شاسع مكتظ بالرواد ، تضع جنباتها بالصفير والتصفيق والصخب ... وأول

— أبداً ... هل هذا صحيح ؟
— وماذا يهمنى أن أقول كل شيء عن سرحدث منذ ثلاث وعشرين سنة ؟
— ليس يهمك شيء ؟
— بلى ... لا يهمنى مطلقاً ...
— على كل ، شكراً للقمر المجيب الذى أبكاك !

وقبل أن تنهض الأسرة المباركة لتنام ، وكانت الساعة توشك أن تدق الحادية عشرة سمع صوت سيارة تقف عند باب الحديقة ، فأولما إسماعيل افندى إلى الخادم لينظر من المقبل من ؟ !

سيدة نصف^(١) مُلَشَّمة بلثام أسمر خفيف يداعب النسيم حواشيه ، وفتاة ناهد في مقبيل الصبا وشرخ الشباب ، ترفل في ثياب ثميّة تدل على السعة والثروة والعيش الناعم المخفّرج ... ثم شاب سامق كالرمح يقف في خطاه كذكر الحجل ، عليه بذلة رسمية مما يلبس تلاميذ مدرسة البوليس ، أخذ القمر يراقص أزرارها الصفر النحاسية ويتنازل أثرطتها الجمر الزاهية

— مرحباً مرحباً ، لعلكم فضلتم أن تستريحوا عندنا !

— شكراً يا إسماعيل بك ! ألا تستطيع أن تذكر من أنا ؟

— أنت ! ! ! أهلاً وسهلاً ... إجلسوا أولاً ... أو ... لعل الطقس ملائم هنا ... أو ... تفضلوا في حجرة الجلوس يا حامد ... يا حامد ... أودة الجلوس يا ولد !

(١) النصف التى بلغت الأربعين من النساء

في كل مرة بمعنى جديد لم يخطر لها ببال ، ثم كانت تارة تصدق وأخرى تكذب ، تصدق لأن ألفاظ الرسالة ألفاظ حزينة مكتوبة فيها إخلاص وفيها دموع وفيها حشرات ، وتكذب لأنها لم تمهد في زوجها إلا الأمانة والصدق والبساطة أحياناً . فكيف يستطيع أن يخفى عليها مره هذا وهو سر هائل هكذا ؟

وخيل لسميحة هائم أن الرسالة مفتوحة أمام عينها . فهي تتلوها سطرًا سطرًا وكلمة كلمة . بل خيل إليها أن خروف الرسالة أحلام سوداء غاثق بمضها بمضها ، وأخذت ترقص في رأسها المضطرب هكذا :

حضرة السيدة المحترمة حزم إسماعيل بك عبدالرؤف « لا تزجي يا أختاه فهذه رسالة من أخت ، أو صديقة ، لا تحدد عليك ، ولا تمنى لك إلا كل خير وسعادة ... على أنني لست أدري إذا كنت قد علمت قصتي أو عرفت اسمي قبل اليوم ؟ أنا أرجح أنك لا تعلمين من أمري شيئاً ، ولذلك ، فربما تظنين أنني أرسل إليك بهذه الكلمة الحزينة لأحدث في حياتك الهائلة حدثاً يرنق صفاءها لا قدر الله .. كلا يا أختاه ... فلقد صبرت للتعبية التي حلت بي صبراً جيلاً ، وكست حياتي لإسعاد ولدي مجدى وإحسان ، وسأحت إسماعيل على ما صنع بي ، وإن لم يكن له عذر قط ... قد لا تظنين أنني أقصد إسماعيل بك عبدالرؤف زوجك المحترم .. إطمئني يا أختاه ... إنه هو نفس الرجل الذى أعنى ... قد لا يكون عندك خبر بما كان بيننا منذ ثلاث وعشرين سنة ... أوه ! ثلاث وعشرون سنة زمان طويل جداً وقديم ، وإثارة الذكريات التي ترجع

الصديقين الصاخين هو ذلك القمر الساطع الساخر فى عليانه ، الذى يكاد ينشق قطعتين من شدة الصغير والتصفيق .

لقد راحت سميحة هائم تنفوس فى هذا الركب الذى انشق عنه جوف الليل كما تنشق القمام عن عفاريت سليمان !!

وراحت تسائل نفسها عن هذا الفتى وهذه الفتاة ولدى السيد إسماعيل زوجها العزيز

ثم جمعت تفكر فى الرسالة التى وردت باسمها اليوم تحمل إليها نبأ هذا اللقاء المفاجئ العجيب ..

« لقاء سيدها كثيراً أن تنال مساعدتها فى أمر هام سيجلب السعادة لكثيرين ، وسينشئ جراحاً طال عليها الزمان ما تقاً تسبب آلاماً لكثيرين ... »

... هذه كلمات من الرسالة الهائلة التى تسلمتها سميحة هائم اليوم واليوم فقط ... لقد تسلمتها فى الساعة الثامنة صباحاً ، والساعة الآن

الحادية عشرة ونصف مساء ... فكأنه لم يمض إلا نصف يوم وبضعة ساعات حتى تم اللقاء الذى

أنذرت به - أو خبرت به - الرسالة الهائلة

ولم تكن سميحة هائم تصدق أن وراء زوجها الوفى الأمين سرّاً عميقاً كهذا السر ، إذ كيف

يكون ما جاء فى الرسالة حقاً وهذا هو زوجها الوفى الأمين يعيشها عشرين عاماً لا تدل إلا على الوفاء

الحلم والحيمة الصافية لها ولأبنائها ... وكيف يستطيع رجل مثل هذا الرجل الوفى الأمين أن يكتم سرّاً

مثل هذا السر فى أعماق قلبه فلا يوحى به لزوجته التى هى نصف حياته إن لم تكن حياته كلها ؟!

لقد قرأت سميحة هائم رسالة تلك السيدة التى وصلها اليوم عشرات المرات ، وكانت تخرج منها

استشاط غضباً ، ودبر لنا حيلة ليجمعنا وإياه مما
ليرى فينا رأيته ... وأسفاه ! ليت له لم يفعل يا أختاه !
لقد جمعنا ليلتي حفته بيد إسماعيل ... أما كيف كان
ذلك فلهذا قصة طويلة حالكة ما تزال طي الكتان
إلى وقتنا هذا ، وأنا ألخصها لك في كلمات ... لقد
احتببت المناقشة بين أبي وبين ... حبيبي ... وهم
الوالد المغنيظ المجرع في عرضه الطمون في شرفه
أن يبطش . بإسماعيل ، فأخرج من جيبه غدارة
محشوة ليفرغ نازها في صدر الشاب ، ولست أدري
كيف نسي لإسماعيل عند ذلك حبه ، وتدمرت
في رأسه عسكريته ؛ فإنه أخرج مسدسه بأسرع
من البرق ، ثم أطلقه في رأس أبي ...

— يا للهول ! ... إنني أذكرك الوالد المسكين
يا أختاه وهو يسقط إلى الأرض ناظراً إلى ... إلى
أنا وحدي ... تصوري أيها العزيزة موقفك ذلك بين
أبي وبين حبيبي ... أستغفر الله ... بل بين أعز
الآباء وأكرمهم وبين هذا الخبيث الوحش القاتل ،
سافك الدماء ! ... على أن أبي العزيز كان كريماً
حتى في موته ... لقد ظل يجمود بروحه أكثر من
عشر دقائق نسي فيها موقفه ومأساى ، وذكر
خلاصه وخلّص ... لإسماعيل !!

« لقد طلب إلى قلماً وورقة ، فأحضرتها
على عجل ، فكتب بيد مرتجفة أنه يتحضر تخلصاً من
مرضه ، وسجل الاعتراف بكتابة اسمه في هدوء
عجيب وطمأنينة لا يذكرها أحد ساعة الموت !

وقبل أن يلفظ آخر أنفاسه ، أمني لإسماعيل
يقبله ، فتبسم أبي ثم تمتم : « هل تزوج كريمة
يا إسماعيل ؟ » . فأجش إسماعيل بالبكاء ثم قال :
« لاطمن أيها الوالد فمات زوجها ، والله على ما أقول
شهاد ... »

إلى قبل هذا التاريخ هو شيء مؤلم ، ومثير للمواقف .
لماذا لا نفضل أن ننسى هذا الماضي ؟ أه ! قد تصنف
بنا ضرورة فثيرة هذه الذكريات برغبتنا ... فثناك ...
لا تنزعج يا أختاه إن لم تكن في قد عرفت مأساؤ كره
لك ... فثناك ... لقد حدث أمر قهري بيني وبين
إسماعيل بك قبل ذلك التاريخ البعيد ... قد تسأليني
ماذا حدث ، وسأربحك حتى لا تفكري طويلاً ...
لقد أحبني إسماعيل وأحبيته ، وأحب كل من
الآخر حباً من ذلك الحب الذي تستمر نازه
بسرعة وفي عنف لأنه يصادف قلوباً خالية فيتمكن
ويكون جارقاً عارماً قوياً ... حب الشباب يا أختاه ...
وأحسبك قد أحببت لإسماعيل كما أحبته ، لأنه قبل
عشرين سنة كان ففي سهرى القامة ، غلاب اللفتات ؛
وكان في روحه شيء غريب غامض تنجذب إليه
أرواح الفتيات في شدة من دون أن تكون لمن
إزادة في ذلك ، فلا يلبث أن يقن في شراكه
كما تقع الحشرة في نسيج العنكبوت ... أخشى أن
أملك لأنني أطيل عليك ... فأعذريني إن خرجت
عن موضوع رسالتي ، لأنني أذكرك بما كان
في إسماعيل ، زوج كليتنا ، من جاذبية وسحر ،
لأن تذكرك بهذا سيكون أقوى أدلتي عندك
على صحة قولي ... ولا بد أنك تذكرن جاذبيته وسخره
تماماً ، خصوصاً إذا كتبنا قد نحابينا قبل الزواج .

— نما خبتنا يا أختاه ، وسبقته دموعنا ، فترعرع
وأظننا كالهدوء الباسقة ... وأرتبط قلبنا برابط
قوى مقدس ... لكننا لم نصبر على جوى الحب
كما يصبر الآخرون . لقد زلت قمتنا بإسميحة هائم .
يا لله لماذا أنجح بكل هذا ؟ ... ولما لاحظ المأسوف
عليه — أو المغفون له — والدي ما تغير من حالي ،

بين أبنائه ... فأمر على وجوب اشتراك الوالد في خطبة ابنته ، وفي عرسها أيضاً ...

— حاولت يا سميحة هاتم أن أثنيه عن هذا الإصرار فأبى ، وقال إنه ذهب إلى النيا وعرف من سيرة إسماعيل بك الشيء الكثير ... إن جميع أهالي النيا يمتدحون أخلاقه ويطرون سيرته ، ويضمونه في الذروة من شرفهم جميعاً ، فإذا بعته من المشاركة في عرس ابنته ، ولماذا لا تنتهز هذه الفرصة الثمينة لنسيان الماضي ؟

— خفت يا أختاه أن أصر على الرفض خشية من العواقب ، وإقصاء لأشباح الذكريات المرة حتى لا تمكر عليّ صفواً حزاني ؟ أجل ؛ صفواً حزاني يا أختاه ... فقد صار لأحزاني صفو رضية به ، فأنا أجمع غصته في سكون وهدهود وشجاعة ... لأنني أنسى ماضى كله في سبيل حاضري المستمر ، وهو السهر على تربية ولديّ الذين فرأبواهما وتركهما في عنق ...

— فإذا تقولين يا سميحة هاتم ؟ هل كثير أن عرفت هذا السر الزمعي الذي ما أظن لإسماعيل قد وقفك عليه ؟ وهل كثير أن أصرع إلى هذا الوالد الكريم أن يشارك في عرس ابنته مشاركة إن شاء جملها رضية ، وإن شاء جملها فعلية ؟ إن هذا أو ذاك لا يكلفه كثيراً ... فأنا والحمد لله في سعة ، وقد ترك لي المرحوم والدي أطياناً واسعة وعقاراً عظيماً ومالاً جماً ... فمن جهة المادة لا أريد أن أكلفه شيئاً ، والذي أطلبه منه أن يكون أباً لإحسان يوماً أو يومين ، وأنت يذكّر تضحياتي في سبيل ولديّ ؛ فقد رفضت خطبة أطباء ومترين

وقيدت الحادثة انتحاراً كما أراد والدي الكريم الرحيم البار ، ولم يبحث لإسماعيل فيما قاسم عليه أبي ، وتزوجنا ، وورثونا المأذون فقيد التاريخ في صحيفة سابقة ، حتى لا يكون كلام بين الزواج وبين الحادث وبين الوضع ...

وعشنا في ظلال الحزن أعواماً ثلاثة ، كانت تتمثل لنا الحياة طولها جحيماً لا صبر لنا عليه ... فقد فترحبنا ، وخذت جنونه التي كانت تشيع بالكهرباء في جوانحنا ... وولدت لإسماعيل إحسان ، لكنه لم يرها إلى اليوم ، فهل تصديق ذلك ؟ وظنى أنه لا يذكر أخاها وجدى ... وجدى الحبيب الذي لو رأته اليوم لسرك شبابيه ، وراقك عبقوانه ... وجدى هذا لا يذكره إسماعيل أبوه ... كما لا يذكر أخته ، لأنه ، عفا الله عنه أبي إلا أن ننفصل قبل أن أضع ابنته بأربعة أشهر ، وكان عمر وجدى إذ ذاك عامين ونصف العام على وجه التقريب ولم أعارضه فيما رأى ... وأبرأته من كل شيء ، واقتربنا على ألا نلتقي إلا الأبد

وعلت بعد ذلك أنه خطبك وبنى عليك ، فوالله ما حزنت لهذا ولا ضقت به ، بل ذكرت الله ربّي لي ولولدي ، وصليت له من أجلهما

واليوم ... وبعد عشرين عاماً يا سميحة هاتم ... كبرت عزيزتك - إن رضية مني هذا التعبير - «إحسان» وتقدم إلى خطبتها شاب رضى الخلق سرى النفس كريم الأرومة ، من أسرة غريقة في بلدتنا طوطاً . وهو طيب من أشهر أطباء المدينة له جاه وله سمعة طيبة ... غير أنه ، ولا أدري كيف عرف هذا ، علم أن والد إحسان ما يزال حيّاً برزقاً - وإنه يقيم في منزله في مدينة النيا كأحسن ما يقيم الوالد الكريم

زوجته حياً بحب وهياماً بهيام... فياتري، هل كان
يذكر كريمة في فصول غرامه التي كان يملأ بها أذني
سميحة، ويرتلها على سمعها تريباً؟ أليس في هذا
العشق بعد العشق تفاق على القلب وتديس على الروح؟؟
لقد تكلم إسماعيل عن الجرمة والمجرمين الليلة، وقد
سكت فجأة وهو يقص على أبنائه إحدى غاطاته...
فلماذا سكت فجأة يا ترى؟؟ أليكون قد ذكر هذه
المسألة الدامية؟؟ إنه لا بد قد ذكرها إن لم يكن قد
ذكر ما هو أشد منها هولاً وأغزر دماء بريئة؟؟
ولكن وجدى... هذا الفتى المشوق السمهورى
ما ذنبه؟؟ كيف ساغ لإسماعيل أن يتركه ويترك
ما فى بطن أمه ثم يفر كالحيوان النذل ليتزوج مرة
أخرى بدل أن يعتكف فى خلوة أو يعتزل الناس
فى جبل أو دير؟؟ ألا ما أشقى الإنسانية بكثيرين
ممن ينتسبون إليها ظالماً وهم إلى وحوش الناب أقرب!
ثم هذه الفتاة الجميلة إحسان؟؟ كيف نشأت
طوال هذه السنين؟ قد يظن الإنسان أنها كانت
تكون أشد شقوة لو أنها كانت فقيرة، والإنسان
حين يظن هذا ينسى أن ملء العالم ذهباً لا يؤمّص
على فتاة مثل إحسان تلك الأبوة الثائرة... إنها
لا بد قد سألت نفسها ألف ألف مرة: أين أبى مادام
موجوداً؟ ولماذا لا يعيش مع أبى كما يعيش الآباء
مع الأمهات؟ ولماذا يكون أبى بهيماً هكذا وكل الآباء
بشر لهم قلوب وفى قلوبهم رحمة وعطف ومحبة؟؟
لا بد أن إحسان قد سألت نفسها هذه الأسئلة ألف
ألف مرة، بل هى تسألها صباح مساء وفى كل
لحظة. وليس صحيحاً أنها لا تعرف ما الأبوة لأنها لم
تجرّبها ولم تنم بها... ليس صحيحاً هكذا...
وإلا فقد بطل علمنا بالله لأننا لم نرمه، فإن إحسان

وحاميين وقضاة، وفضلت أن أغشى لوجدى وأن
أعيش لإحسان أرحامها بين الأمومة الحزينة الباكية
وأعطف عليها بالصدر الذى كله أشجان وحشوه
آلام وذكريات وأحزان...

«فاذا تقولين إذن؟ هل ستكونين شفيقتى
لدى هذا الرجل؟ هل تضيفين صوتى إلى صوتك
فى سبيل إيقاظه من هذه النومة الطويلة؟ لقد
عزمت أن أزورك فجأة... و... وربما لا يمضى
طويل حتى أكون عندهم...

«وتقبلى يا أختاه تحيات أم مبهضة كسيرة،
وقبلاى ابن يقيم وأبوهم، وسلام فتاة بريئة لم تسعد
بالدها القريب البعيد...»
«كريمة بهاء الدين»

تحيلت سميحة أن هذا الخطاب الطويل مبسوط
أمام عينيها، فعلى تقرأه، ثم تقرأه، ثم تعيد قراءته
عشرات المرات فلا تستغرق المرة أكثر من طرفة
عين، وعجبت كيف يكون ما جاء فيه حقاً وكيف
تكون هذه السيدة - كريمة هانم بهاء الدين - حقيقة
لا ريب فيها... ثم تفرست فى الشاب... وجدى...
ما أحلى هذا الاسم وبأرقه! وجدى! الثروة
البريئة لحماة عاشقين! فياتري، هل يعرف وجدى
هذه القصة القديمة المؤلة...؟ إنه قطعة من أبيه
ما فى هذا شك، وهما هى ذى ظلال فضية من أشعة
القمر تنكسر على جبينه فتعكس السحر من ناظره...

صورة قديمة كالصورة التى وصفتها كريمة هانم فى
خطابها لشباب إسماعيل وجاذبته وسحره... ولقد
أحبت سميحة هانم زوجها إسماعيل وهامت به بتأثير
هذه الجاذبية النافضة التى كانت تفيض بها روحه
كاذكرت كريمة... لكن إسماعيل أيضاً كان يبادل

لقد نظر كل من هؤلاء نظرات تأثمة إلى السيدة اللثمة في ضوء القمر، فلما قالت قولها، انصرفت نظراتهم متباعدة تنتثر على وجه أبيهم ووجه إحصان ووجه وجدي ... لكنها كانت أعلنى بوجه الوالد من أوجه الغرباء المفاجئين !

هل عرفت الماء الآسن الراكد حين تقذف فيه بحجر ماذا ترى على سطحه من تغيرات ؟ لقد كان وجه إسماعيل أفندي يشبه تماماً ! بل كان وجه إسماعيل أفندي يتقلص مرة ثم تملؤه كآبة ثم تشيع في أساريره ظلمات فتجعله كالبحر اللجج ... ففمه مغفور كالموة السحيقة بين كل موجتين، وعيناه كأنهما زورقان يتلاعب بهما الماء ليقتف بهما من حلق ...

— لماذا لا تحب أبناءك يا إسماعيل بك

— أبنائي ؟ ...

أجل ... إحصان التي لم ترها قبل اليوم، ووجدى الذي كان أعز مخلوق عليك في الحياة ؟ ... ألا تذكر ؟ هل نسيت ؟ عجبا ! هل نسيت كل شيء ؟ ...

— ومن أنت ؟ ...

— من أنا ؟ ... أنا أم ولديك هذين ! أنا

كريمة بهاء الدين !

— آه ... كريمة !

ثم التفتت كريمة إلى سميحة هانم فقالت :

— هل وصلت خطابي يا سميحة هانم ؟

— أجل يا عزيزتي لقد وصلتني

— لعله لم يزعجك !

— وكيف يزعجني وقد كتبته غزيرة جداً مثلك ؟

— عفواً ... كم كنت أفضل ألا أسبب لكم

فكراً قد يسوؤكم !

تميش كما يغيش أترابها، ولكل من أترابها والد بر رحيم حب ودود، لكن إحصان ليس لها أب لابر ولا غير بر، وإذا سألت أنها أحببتها بدموع غزار حرار، ثم لم تشأ أن تكذب ابنتها، فتصرفها عن سؤالها في رفق وعطف وحزن وتلدد

ما هذا الوالد اللثيم الذي يفر من أبنائه كما تفر ذكران القطا والسكاب والخير و ... و ... ؟ كيف يسمو علينا نحن الأكديين الحمام والمصافير وسائر الطير وهي من مراتب الحيوان ولو أن لها أجنحة ؟

— « صاغي أبك يا إحصان ! قبل يده ! هذا هو أبوك يا وجدي ! » قد يكون الإنسان جالساً مع بعض صحبه فيسقط عليه جلود من الصخر فجأة فلا يحسن الألم في الحال، لكنه يقع في شبه غيبوبة عميقة إذا أفان منها بدأ يصيح كالطفل، وقد لا يشعر أين مكان الألم من جسمه، لكنه كلما ذكر أن حجراً سقط عليه من عل استقطع الأمر واستمر في الصياح ... وهكذا كان حال إسماعيل أفندي حينما سمع السيدة تقول هذه العبارة الهائلة : « صاغي أبك يا إحصان ! قبل يده ! هذا هو أبوك يا وجدي ! » إنه فوجئ لأول مرة في حياته بأن له ابنة تدعى إحصان ! لم يكن يعرف ذلك من قبل، وإن يكن يعرف أنه ترك كريمة حاملاً ... يا لقسوة الفؤاد الذي ينسى رجولته تحت إصر الجريمة ! لقد نزل عليه الخبر كما يصطدم رأس السارية بعامود من حديد أو جدار من الحجر الصلب، وقد أسلمه ذلك إلى غيبوبة عميقة زاد في عمقها أنها حدثت أمام زوجه وأبنائه ...

شهيد على ما أقول - لقد طلبت لك السعادة كما طلبت
لنفس المونة على تربية ولدي ... وكان يبكي فقط
أن يسألا عن والدهما أين هو ؟ فأقول لهما إنه حي
يزرق ، وهو سعيد ، فاطلبا من الله أن يزيد سعادة ،
أليس كذلك يا وحدى !

— أي !

— ماذا يا بني ؟

— أريد أبي أن يكرنا ؟

— سله أنت يا بني ... إنه لابد جيبك بالحق ...

فهذه لحظة لا يستطيع فيها لسان آدم أن يفترى ...
إنها لحظة من لحظات الله !

— أبي !

— ... ؟

— ألسنت أنا حبيبك وحدى ؟

— وحدى من !؟

— حبيبك وأعز الناس عليك ، وحدى الصغير .

ألسنت التي كتبت هذا الكلام تحت سورتي
هذه من سبعة عشر عاماً !؟

ومد الشاب يده بالصورة بعد أن أخرجهما من
جيبه ، ثم أعطاها لأبيه ... ولكن الأب الشارد
كان ما يزال في غيبوبته فلم يمد يده ليتناول الصورة
القديمة المزرة التي طالما طبع عليها آلاف القبل ،
وسفع عليها آلاف العبرات قبل أن يعتزم الفرار
من كريمة .

— لماذا يا أبي تأتي أن تتناول الصورة ؟ هل
صرت قاسياً إلى هذا الحد ؟ ... تكلم أرجوك ...
لقد كبرت ، ولى سبعة عشر عاماً أو أكثر لم أرك.
ألم تفكر في كما فكرت فيك ؟ كم كنت أتعنى أن
أراك أيها الوالد ... أهؤلاء ... أولادك ؟ ... الله

— ولماذا يسوئنا أن نعرف ؟

— هذا أمر طبيعي إن لم يكن إسماعيل بك
قد ذكر لك شيئاً من ماضيه

وهنا تدخل إسماعيل قائلاً :

— على أنني لا أدري ما الذي جعلك تذكريني
بعد عشرين سنة ؟

— وهل كنت تظن أن الدهر كله يفصل

بينك وبين أبنائك ؟

— من هم أبنائي ؟

من هم أبنائك ؟ إسماعيل بك ! أفق تماماً ،
ولا تجعل الولي بلوتين بإنكارك ... قد تحاول
أن تقطع الزمن فتجعل لك ماضياً تحب أن تجعله
أمرتك الثانية براءة من أسرتك الأولى ، ثم تجعل لك
حاضراً تشمره أنك ملاك ... إحذر أن تحاول هذا
أيها الرجل ... على أنني لست أفهم لماذا تحاول ذلك ؟
لقد جاهدت طويلاً في أن يظل وحدى يذكرك ،
ولا ينسك لأنك أبوه ، ومن لا والد له فهو
لاشرف له وإن يكن هومظلوماً في ذلك . أما إحسان
فهي ابتكك التي فررت من أوتها فظلمتها وهي لم تزل
الدنيا بعد ، فهل تريد أن تنكرها هي أيضاً ؟
قبل أن تفعل ، تذكر أنك كنت رجلاً رسمياً من
رجال الحكومة ، ففكر في العواقب التي تبني
على إنكارك ... وأريد أن أطمئنك ... إلى لم أحضر
إلى هنا لأنني عليك صفوك ... أو لأنني منك ...

لا ... لقد نسيت كل شيء ... لقد علمتنا مأساتنا الخير
المحض ، فانا ووجدى وإحسان نمرح دائماً مذ
فررت . في رعاية الله وحمايته ... وقد عرفت أنك
تزوجت من سميحة هاتم في نفس الشهر الذي بنيت
عليها فيه ، فلم يتر في قلبي أي حقد عليك ، بل - والله

— شكرًا لك يا سميحة هانم ... أرجو
ألا أكون قد سببت لك قلقًا
— أى قلق يا عزيزتى ! كلا والله ... عشمى
ألا تتأثرى من إسماعيل ... إن الموقف مر بكم من
غير شك ...
— ولماذا يرتبك ؟
— لماذا يرتبك ؟ على الأقل لأنه لم يذكر لنا
عنكم شيئًا مطلقًا ... ثم هذه السنوات العشرون ...
لها عمر يأكله يا عزيزتى ...
— ألم يقرأ خطابى يا سميحة هانم ؟
— خطابك ؟ ... بل أنا الذى قرأته !
— وهو ؟
— لم يقرأه ... بل لم أذكر له عنه شيئًا
— وله ؟
— لأننى لم أصدق بادية الرأى ... إنه قصة
مشجية ، أليس كذلك يا كريمة هانم ؟
— لكن لمجته الباكية تدل على أنه حق !
— الآن فقط عرفت أنه حق .. بل ربما لم يحو
كل الحق يا كريمة هانم ... ما شاء الله ! إن صورة
وجدى وهو صغير تشبه صورة عُبيد تمامًا
— ومن عُبيد ؟
— عُبيد ابنى ، أخو وجدى !
— والخط الذى في ظهر الصورة !
— هو خط لإسماعيل ، ليس في هذا شك !
— إذن ... فأليك هذه الصورة أيضًا ...
— آه ... آه ... هيه !
— آه ماذا يا سميحة هانم ؟
— هذه هى صورتكم !
— هى بعينها ... هل كنت تعرفنها ؟
— لقد كشفتها في كتاب قدم بعد (دخلتنا) !

ما أصدقنى بهم ! كم كنت أتمنى أن يكون لى أخ
فبؤلاء إذن إخوتى ! تكلم يا أبى .. لى أحسن كأنما
قلبي ينجذب إليك ...
يبد أن الرجل وقف متخشبًا بل وقف كأنه
صم من أصنام بوذا ... تفكير عميقة لكنها من
صخر ، ولا يهم أن تكون من مرمر ! وهنا تألت
سميحة هانم لصراعة الشاب الذى يشبه أباه شبهاً
كبيراً ، فقالت والهم يعتمر فؤادها :
— لم لا تجيب يا إسماعيل ؟ أليس وجدى ابنك ؟
— ليس أبى ولا أعرفه !
— عجيب جداً ... لكنه يشبهك كثيراً ...
— هذا لا يهم !
— أرى الصورة يا وجدى أفندى !
ثم تناولت الصورة وجعلت ترمقها فى ضوء
اللمر ، فراعاها أن يكون الخط خط زوجها ...
لكنها لم تعجل ، بل دعت الجميع ليدخلوا فقد أخذ
الموقف يتحرر ، ولم يُحسّ القادمون بأية تحيية ،
وليس هذا من عرف الصعيد الكريم الضياف ...
وحاولت كريمة هانم أن تعتذر فأقسمت سميحة أن
تقبل دعوتها ... وهنا بدأ الجميع يتحركون كالأشباح
التنمبة إلى الداخل ... وبقى لإسماعيل فلم يتحرك ..
وبقى معه ولده .. وجدى .. وعُبيد
ولما جلسوا قليلاً فى الغرفة الفسيحة المؤتمنة ،
وشربوا عصير البرتقال المثلوج ... دار الحديث
فكان ذا شجون :
— مرحبا بك يا كريمة هانم ... ما شاء الله
الآنسة إحسان جميلة جداً ... إن شاء الله ربنا يتم
بغير .. الله ! إن لها خالاً فى خدها .. مثل لإسماعيل
تماماً ... وفى نفس الموضع

— ومع ذلك فأتت التي تقولين هذا !
 — ولم لا أقول هذا وقد خيل لي أنه ربما فرمنا
 مثلاً فرمنا ؟ !
 — لا ... لا قدر الله ... ولماذا يصنع ؟ إنه لم
 يفر منا يا أختاه ، بل هو قد فر من الذكريات ،
 ولولا هذا ما أغفيت به ...
 — هذا ضيف ، فقد غفر له والذبح قبل أن
 يموت وأجابه من القصص المائل ... إن هذه يد
 لا يجدها إلا لئيم ...
 — سيدتي ... أنا أعتذر ... يبدو لي أنني
 ورطتك في الثورة على زوجك ...
 — بالمعكس ... حقيقة أننا كنا نبغش سعداء ،
 لكن أحلامه كانت تنقص علينا صفونا ، وكان
 جهلنا أسبابها يرهقنا بل يزعجنا ... لقد كانت تتباهى
 حالات من التهور والشرود هي أشبه بالجنون ...
 فكنا كلنا نيكى من أجله ... ولن ننسى مرة حين
 سمعناه يصرخ في سكوت الليل طالباً المغفرة من
 ابنه ... قائلاً : يا رب ... اغفر لي يا بني ... ليست
 خطيئتي أنا وحدي ... إصغى عني يا وحدى ! ...
 هذا الغلام الذي لا أشك الآن في أنه هو ... ولقد
 جعل مرة يضحك في رمضان ساعة الأصيل ويقول :
 نفاق ... رياء ... أنا منافق ... لقد كنت لأصوم
 رمضان ... ولكنني أصومه منذ عشرين سنة ،
 وكنت لأصلي كذلك ، ولكن هأنذا أصلي منذ
 عشرين سنة أيضاً ؟ فلماذا ؟ ! لماذا أعبد الله على هذا
 النحو ؟ ! أليغفر لي ؟ ... أبدأ ... أبدأ ...
 لن يغفر الله لي .. فالآن يا سيدتي عرفت السبب ..
 لقد كان يخفى عنا كل شيء ، فأما وقد عرفنا كل
 شيء فسيكون يسيراً جداً أن نعالجه ... لقد كسبنا
 كثيراً ...

— ثم ...
 — ثم أنكر أن تكون السيدة شيئاً إلا ...
 — إلا ماذا ؟
 — ... ؟ ...
 — لعله أخبرك أنها حظية أو واحدة من
 صويحباته !
 — لا تخزني يا كريمة هانم ... الحق أن زواجكما
 بعد الحادث المؤلم الذي ذكرته لي كان ينبغي ألا يتم !
 — وأين كنت أذهب بوجدى يا أختاه ؟ !
 — وحدى ... آه ... بل كان ينبغي أن تزوجا !
 ما ذنب وحدى ؟
 — لو لم يكن في أحشائي منه شيء لما آتوت أن ..
 ثم حبس الدمع منطلق السيدة المحزونة فلم تستطع
 أن تكلم
 — على كل حال لقد برهنت على نبيل وأرومة
 مجد يا كريمة هانم !
 — شكراً لك يا أختاه ! ماذا كنت أستطيع
 غير هذا ؟ !
 — عجيب جداً أمر إسماعيل ... الآن عرفت
 سر أحلامه !
 — أحلامه ... ؟ !
 — أجل ... لقد كان يحلم في اليقظة وفي المنام ..
 وكان يتمم بكلمات لا تفهمها وعيناه مفتوحتان
 جاحظتان
 — ولكن لماذا يحاول أن ينكرنا ؟ لعله ظن
 أننا في حاجة إلى عونه للمادى ؟ !
 — وإذا كنتم كذلك فإذا كنتم من طلب هذا
 اللون ؟ إنه ملزم بهذا بل هو ملزم بأكثر من هذا ...
 إنه ملزم بنقطة ابنته طوال هذه السنين ، وأحسب
 أن نصف ثروته لن تقوم بذلك !

الشاب بالسر الهائل . ربما ذكر له أنه ابن إسم ،
و ثمرة جرمه . ولذلك ثار وجدى وحاول أن يقتل أباه

وسافرت الأستراتان إلى طنطا للاحتفال بعرس
إحسان ... وحينما تقدمت الفتاة لتأخذ من والدها
هديته — ألف سهم من أسهم بنك مصر — نظر
إليها أبوها نظرة عميقة صامتة ، ثم طبع على جبينها
الجميل قبلة طويلة ... لكنه سقط إلى الأرض
مغشياً عليه . .

وتقدم الدكتور العريس فجأ بجانب الرجل
وأخذ يفحصه ، ثم أمر بإخلاء الردهة لتجديد
الهواء ...

وتوفى إسماعيل أفندى عيد الرؤوف في مدينة
النيليا العامرة بعد عرس ابنته بعشرة أيام ، بعد أن
كلت في معالجته حيل الأطباء ...

لكنه مات كريماً آخر الأمر ، وترك خلفه
قلوباً مهيحة دميض ضئيلة

— عجيب جداً ... إنك زوجة كاملة !
— أشكرك ... بل أنا شركتك في هذا الأمر
ورجائي أن تليق معه ، فهو رجل طيب ، وقد تنفعينه
أكثر من أى شخص آخر .
ماذا حدث في الخارج ؟
ما هذا الصياح الشديد ؟

— كلا ... كلا ... لا تقتلى يا وجدى ...
حرام عليك يا بنى ... أنا أبوك ... كيف تبوء
بائى ... ؟ ... تعال ... سأقدم لك الدليل الذى يبدد
شكوكك ...

كانت هذه الكلمات ترتفع ثم ترتفع ... ثم
دخل إسماعيل أفندى فجأة ... وتناول صورة كبيرة
ذات إطار مذهب فكسرها ، وقضى ألفافها من
خلف ، ثم أخرج من داخل ذلك كله صورة
متوسطة قدمها للفق الذى كان يبدو وراءه ...
لوجدى !

— ها أنت ذا يا بنى ... أليست هذه صورتك
ببني وبين أمك ... أليست هي نفس صورتك
وأنت طفل ؟ لقد صورت الصورتان ، هذه والتي
معك ، في يوم واحد ... فاطمئن يا بنى ... إنك
ابنى وأنا أبوك

وتناول وجدى الصورة من يديه خفيئاً فيها
ثم ذهب إلى أمه باسمًا فقدم إليها الصورة قائلاً :

— لقد تكلم والذى كلاماً لم أصدق ... يبدو لي
أنه متعب ، أو مريض ... أحسب ما قال يا والذى
— ماذا قال لك يا بنى ؟

— لا داعي لذكر ما قال ... لا بد أنه متعب ...
إن هذه الصورة التي كان يحتفظاً بها هي حسي ...
أليست ابن حلال يا أمي ؟
فكرت الأم كل ما قال زوجها القديم . لقد طعن

آلام فتر

للشاعر الفيلسوف جبران أبو المني

مترجمة بقلم

أحمد حمدي الزينات

وهي قصة عالمية تمد بحق من آثار الفن الخالد

— 222 —

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونعها ٩٥ قرشاً

زَوْجِيَّةٌ

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَنْثَى جَمِيلَةِ الْعَالِيَةِ

السبب حسب ما رسمته ذهنه
على ضوء تفكيره وإحساسه..
وأنا وحدي كنت أعرف
السبب... فقد أهدى لها
خطيبها أول يوم صارحها بهواه
باقة من زهر البنفسج ثم جعله
بعد ذلك تحية مطهرة يقدمها
إليها كلما لقها حتى خيّل للفتاة

أن هذا الزهر رمز سعادتها المشوذة ومفتاح تقاؤل
نفسها التمتعشة لكل ما تطمع إليه عذراء في سن
العشرين من عمرها... وكانت تحرص كل الحرص
على أن يحتفظ الزهر بروقه وعطره حتى أنها راحت
تبحث في كتب الطبيعة لتعلم كيف تصون الزهر من
الذبول، وانتقت له إماء جيلاً كانت لاتعنى بأى عمل
في منزلها إلا تنظيفه، ولم تحاول أن تعرف تنظيف
أى أداة من أدوات البيت غيره...

لم أرها غير مرة واحدة وهي تتقبل منه الباقة
— لما زارها في منزلها — تقبلته في فرحة الطفل
الطروب الذي عثر على أغز ما يتمناه من لعب
قد يكون ذرف في سبيل العثور عليها أحرار الموع.
قبلت الزهر في حنان ثم وضعت في الإناء بخفة
ما تحتها فيها أبداً... كأنها تستودع أحلامها وأمانها
قلب القدر... حتى في يوم البعد كان يرفق الهدية
بالباقة...

تصرف مألوف كأي عمل معروف... إنما
الإنسان هو الذي يخلق من الدم الوجود بحسبه
وتفكيره... نحن نرى الزهر في كل مكان وبجمل
به كل مكان نترن به... ولكن الإحساس الذي

في مثل هذا اليوم من العام الماضي دعني
صاحبتى لحضور عرسها وقد أتممتي يومئذ أجل
أنشيد السادة المرتقة، وأرنتي الأمل الوضاء إلهاً ما
وسحراً

يا لفرحة العروس عند ما يجمع القدر بينها
وبين الرجل الذي تحبه

لا أحسب إلا الفرحة خلقت لها في مثل هذا
اليوم. وما زالت صورتها برداء عرسها الأبيض
تترامى لي من وراء الخيال الناهب تمثل ما كان
يجبها من مراح وبشر لا أدرى إن كان مبهمها
ذلك الزواج المرغوب فيه، أم الحب المشبوب الصادق،
أم أن الله خلق البهجة والسرة لها وحدها أم خلقها
لها — لا أعرف — والذي أعرفه أنني تمتيت يومئذ
أن ينيلني الله ما يبيت في نفسي هذه الفرحة الصافية
فاكتسب مثلها من الأمل الحق طلمة الأطفال
الأبرياء وفرحة السعداء المتفائلين...

وتسائل الناس في شبه همس ما الذي حداها
أن تضع باقة زهر البنفسج على صدرها والفروض
أن تضع باقة من النفل أو الياسمين لتماثل لون
رداء العرس الأبيض... وصور كل متسائل

الابتدائية ثم تركت المدرسة وخلفتها ورأت في الفرقة الثانية، وظلت هكذا متوازية متأخرة لا تترك الفرقة إلا بعد أن تمسكت بها سنتين على الأقل ...

وهي في المنزل لا تمتاز عن المدرسة لا تحاول أن تساعد أمها في أي شيء وتستهكر القيام بأي عمل مهما كانت ظروف البيت، وتمتدح أنها خلقت لتبدي جمالها الذي منحها الله أكبر قسط منه، ولسكي تجيد لعب الباسكت والتنس وتقارن بين جمال جريتا ونورما وبين عظمة جاري كوبر ورامون

هي بحق تجيد معرفة كل ما يتعلق بالسينما والمسرح والرياضة والتجهيل وساءلت نفسها يوم علت بخطبتها: أيمكنها أن تكون ربة بيت ...

وأيقنت يومئذ أنها لا بد عاكفة على دراسة شئون الدار وخصوصاً بعد أن انقطعت عن المدرسة ولسكي أنا كد من صحة يقيني سألها :

— ما ذا أنت فاعلة في مقبل الأيام ؟ علك بدأت تفهمين حقيقة الواجبات المنزلية ...

فضحكت في بلاهة وقالت : أي واجب بإصاحبتى أنتظنين أنه يمكن أن أعرف غير مضجى الذي أقضى فيه ساعات النوم والمائدة التي أجلس عليها وقت تناول

الطعام والقيثار الذي أعزف عليه بعض الألحان ؟ قلت: هه.. أنتظنين ذلك كفيلاً بتهيئة بيتك .. هناك غير ذلك أشياء أكثر أجل شأنًا وأعظم خطراً - لتهيئة

بيتك ليكون كالدوحة الظليلة لزوجك والفردوس الأرضي لأسرتك التي سوف يكل القدر أمر تكوينها وإسعادها إليك ... وتكونين بحكم الزواج ملكة مشغولة عن مملكتها الصغيرة المتواضعة

بغمر هذا لرؤية الزهر غير ما ينمر ذلك، والشعور الذي ينتابني حيناً أرى الزهر أو الورد وخصوصاً ما ترتاح إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي غير الشعور الذي ينتاب صاحبتى أو أي إنسان ... فأنا أرى في الياسمين معنى يوحى إلى بأحب الأخيلة دنيا يمر عليه غبرى غير آبه. قلت لصاحبتى مرة لأداعها :

— ما أعجب شأنك ... إن في لون البنفسج معنى يدفع المرارة إلى النفس ففرضتني على شفتى بأطراف أناملها في لطف وهي تقول :

— لو قدّم لك خطيبك زهر « التبولب » لكانت أحب الزهور إليك فطوقتها بذراعي وأنا أنظر إليها مسرورة لسعادتها وتفاؤلها قائلة :

— الآن فهمت بإصاحبتى أن السعادة في المعنى لا الظاهر

ثم حضرت مجلسهما مرة أخرى فشمت في الرجل غموضاً لا يتفق مع براءة الفتاة ... وأنا أعرف أن النמוש لا يحدث إلا مع عشيقين مدسّين يحاول كل منهما أن يخفي حقيقته ليحظى برفيقه ... أما الخطيبان الحبيبان فلا مكان لتألفهما غير الصراحة والصدق

وعجبت كيف اتفقا مع تناقضهما ، ولكنني رجحت أن يكون الله جمهما لحكمة لا يعلمها إلا هو

كانت الفتاة في نهاية مرحلة التعليم الثانوي ولقد ذهبت إلى المدرسة تنفيذاً لأمر والدها الذي يرغب أن يجعل منها فتاة مستتيرة ولكن الفتاة لا تميل إلى التعليم مطلقاً فقد كانت متى في المدرسة

البيت كالمملكة يحتاج للآداب والفنون والفلسفة ؟
لا تضحكي فلست هازلة ... إن أعقد المسائل
العالية تشبه أبسط الظواهر المزرية ... إنه مملكة
تحوى مجموعة وزارات ، وأنت وحدك المسئولة أمام
الله والشرعية والناس عن رئاسة هذه الوزارات
وتسييرها بحكمة تتطلب منك عقلاً علياً يشبه عقل

وزير الماراف وسياسة وزير الخارجية وحكمة وزير
الداخلية وإدراك وزير الصحة ولباقة وزير التجارة
والصناعة وذكاء وزير الزراعة وقوة وزير الحربية ..

وأخيراً لك قلب الملك الصالح . فقلت تضحك
حتى كادت تستلقي على ظهرها وهي تقول : ما دام

في وسع زوجي أن يحضر لى الحدم فاذا بهم ؟
حسبى أن أشرف على الوزراء .. وقهقهت ، وساورتنى
مرارة من الشك في سعادتها الرقيقة ولكننى
لم أشأ أن أكون متشامة . فقلت : يا منى : الخادم

لا يمكن أن يحسن العمل إن لم يلحظ فيك خير
مثال للعاملين النابهين . أبعدى عن ذهنك يا عزيزتى
هذا الخاطر ، ونأكدى أن بيتك لا تثبت أركانه
إلا إذا ثبتت قوائم عرشك فيه بفضل قلبك وعقلك

إفتضح قلبك .. وحكى عقلك ..

ليكن هذا شعارك دائماً .

وهنا دخل الخطيب فهرت إليه تقول : أحمد ،

جيمى تخيفنى من الحياة الزوجية ..

فربت الخطيب على خدها في لطف قائلاً :

لا شك أنها تداعبك .

قالت في دلّ ظريف : بل تجد !

فلم أشأ أن أسارحه بالأمر خوفاً من أن يكون
(٥٠)

فهرت كفتها ومطت شفتيها وقالت في غير
اكثرات : خطيبي يحمى وأنا أحبه

قلت : للزواج مطالب أخرى غير الحب أكثر
خطورة . إن الحب يقطع بكل شيء لأن من صفاته
التسامح واللين ، أما الزواج فيحتاج إلى القتل والحكمة
بجانب القلب والإيمان

فقلت مستخفة : بقى أن تقول لى ويحتاج
للشعر والفلسفة أيضاً ...

قلت : ما عنت هذا ... ولا يمكن أن أقوله
لأن هذه ملطفات تلجأ إليها النفس بإيماء غير مدرك
ولا علاقة لها بالزواج ، فالشاعر غير الزوج وكذلك
الأديب أو الرسام أو العامل أو الفلاح أو الوزير
فسياسة الزعيم في مكتبته غير معاملته لأسرته ، أنظرى
إلى الفلاح ... إنه أمام صاحب الأملاك كالعبد القليل
ولكنه في المنزل كسيد أسر قاهر ، والدكتاتور كقوة
القدر الجائر يبدو أمام الناس ، ولكنه أمام زوجته
أو أولاده ألطف من السحر . والذى أرجوه يا عزيزتى
كصديقة تحبك السعادة أن تحاولي معرفة المسئولية
التي ستلقى على عاتقك . أنت مسئولة عن سعادة زوجك
وتكليف حياته ومساعدته بفكرك وحسك ليسمو
بنفسه وأسره إلى السكاء ، ومسئولة عن صنفارك ليكون
لمهم في العالم مكان على ... ومسئولة عن بيتك ليكون
جماعاً عالمياً ...

فقاطعتنى متهمكة ... أى جمع تمين يا صديقتى ؟
أتريدى أن يكون بيتى أكاديمية للمعالم والفنون
والآداب ؟

ثم ضحكت متهمكة ...

قلت : وأجل منها إن شئت ... لى والله ، أليس

فهرزت كفتها، ونظرت إليه كأنها تستلمه الجواب، فقال مسرعا: أقوم أنا بكل شيء.

قلت: ولكنك لا تعرف واجبات ربة الدار والزوجة والألم، أنت تعرف واجب الزوج، ورب الدار.

قال مستخفاً: ياسى نستعين بكتاب التدبير. فقالت ضاحكة: آه نسيت «مرشد الفتاة» قلت: وغيره إن شئت... إنما التجارب أنفع من القراءة.

ووجدت من البعث أن أحملها على تعرف ما وراء المستقبل القريب لأنهما في نشوة الحب. فانسحبت راجية لهما كل خير وتوفيق.

واليوم عيد ميلاد زفافها السعيد، وقد مضى العام دون أن أراها إذ سافرت مع زوجها بعد الزفاف مباشرة إلى مقر عمله، وأتت رسالة منها البارحة تنبئني بأنها نقلت منذ أيام إلى النصورة وأنها متلهفة لرؤيتي...

وتذكرت أن ذاك اليوم عيد ميلاد زفافها فذهبت إليها لأقدم إليها تهنئتي الصادقة ولما كنت شغوفة لرؤيتها بعد ذاك العام لأعرف ماذا فعلت بحياتها الزوجية وكيف صارت.

وهمرت إليها وبى من الشوق إليها ما يرمى بشوق كل حبيب.

وطرقت بابها وقلبي يتفقد ويكاد من لهفة الحنين يضمنت...

ولما فتحت الباب أدخلتني الخادم في غرفة (الصالون) ومرت دقائق، وأنا وحدي أنتظرها، تأملت خلالها محتويات الغرفة. ولشد ما أدهشني أن أرى الأثاث

على يقين من أنها ملئة بشئون البيت. فأفتح ناظريه على ما لا يعلم فيرتد.

فقلت: أسمع يا سيدى... كنت أتصفح هذه المجلة فأعجبني ذاك التصيد... قلت لها اسمي... فقالت: لا أحب أن أسمع غير كلام خطيبي... وأنت تعرف أنني أحبها... (فطبعاً عزت)... وإذا كان هذا حالها اليوم فما عساها تفعل بعد الزواج؟ طبعاً ستسنى جيمي.

فأبسم وقال: وهل يمكن أن تنسك؟ إنها تحيك!؟... وكل ما في الوجود يذكركها بك. فقاطعتها قائلة: لا... إنها لم تقل ذلك، ولكنها تقول: يجب أن أقوم بشئون البيت. ثم دنت منه رابطة على كتفه في خفة مرهفة: وأنت تعرف أنني لا أعرف أى عمل في البيت. ثم مطت شفيتها وهي تقول: حتى ملابس لا أعرف كيف أنظفها أو أعلقها على الشجوب. فضحك طويلاً وقبض على يدها وهو يقول: لا تفكرى في هذا.. سيقوم الخدم بأعمال البيت، وأنا مستعد يا حبيبتي للقيام بكل عمل بدلاً منك...

فنظرت إليه فرحة، وقد شاع طرب نفسها من كل خالطة فيها.. لكننى تأملت إذ كان في مقدوره أن يهيب بها إلى تعرف المسؤولية في لطف لتحاول أن ترضيه على الأقل ولكن بشعرها بقيمة حياتها، وضرورة تأدية واجباتها.. ولو قل.. لردّها إلى عقلها وعملت على تعرف ما لم تعرف.

فقلت في شبه دمدمية: وإذا مرض الخادم؟ فأعقبت: غيره يقوم بعمله.

قلت: لنفرض أن الخدم تآمروا عليك، وتركوك بنتاً كما حدث لإحدى الملكات فإذا فعملين؟

قالت : بل اثنا عشر دهرًا يا جيمي
قلت : إذن أحسست بالوحشة كما أحسست بها
ولقد ظننت أن زوجك أنساك جيمي وسعادتك .
محت من ذا كرتك ذكريات الطفولة المليئة بأجل
ما في الحياة من طهر ومرح وحلم وسذاجة
فتنهت قائلة : ليت هذه الأيام يا جيمي قيدتنا
في باطن النيب كما تقيد الجاذبية البدر بين الأرض
والشمس ، أو لعلنا متنا قبل أن تفتنح بصائرنا
على ضوء الأحلام والآمال فتتخيل ... حتى إذا
داهمنا الواقع رأينا الحياة تحق وراءها من الحقائق
ما تتخفى ...

وغالبت دموعها — على ما أظن — لأنني لمحت
الضوء يبدو فيها ويتلاشى ليبدو أكثر قوة والتماصًا
وكانت لمهجتها متكرسة عميقة بطيئة كأنها
آتية من أعماق الأبد ... تخرج قوية ثم تفر وتلاشى
لطول مسافة الزمن ... فنجبت لهذا المظهر الجديد
الذي لم أتيهه فيها من قبل فقلت : لم يكن في حسابي
أن الزواج يعلم الفلسفة ، أ هكذا بمنحك الزواج من
من الحكمة في عام ما لم تمنحك إياه الحياة في عشرين
عامًا ... يا هجيا !!

قالت : وعلمي أكثر ... ثم أسندت رأسها
إلى صدرى كأنها تحاول أن تتخيل — بالإحساس على
الأقل — أنها مرتكزة على صدر حنون . ثم رفعت
بصرها إلى في التماص مترققة بالدمع الحار وغممت :
جيمي ... كيف تربني ؟

قلت : آه . أنسيتي ما يجب أن أقوله ... ترى
هل جئت بجميلة أو جميل ، وكنا اتفقنا منذ زمن
أن تسمي كل منا بكرها باسم صديقتها تجليد لآل كرى
الصداقة الأكيدة البريئة

الجديد يبدو كأنه من تراث جدما القديم ! أى خيبة
ساورتني عند ما لمحت الإهمال يتجسم في الغرفة ؟
ورددت طرفي لكيلا أشوب حرارة حنيني
بمراة أئين نفسي لما أصابها من ألم له في عالم الحقيقة
صورة مرتسمة في أرجاء هذا (الصالون) ...
ودخلت (منى) وقبل أن أعانقها ارتمت على
صدرى كأنما شاءت أن تستودعه حرارة وجدانها
للتسريح حتى أحسست أن كل كياني بمحاربتها يحس
وينفض ... ثم رفعت وجهها بيدي وأنا أتأمل الوجه
الجميل في شفق لاتيين وجه المرأة وأقارن بينه وبين
وجه المندراء ...

أجل ... نظرت إليها طويلا لأقارن بين وجهه
رفيقة طفولتي وبين وجه المرأة التي تحطت قبلي عتبة
باب المستولية

وظالت هكذا أتأملها لأقارن بين حياة الحلم
الماضي والواقع الراهن ، وبين حياة النعمة والحربان
كما يقولون ...

لم تتكلم ونظرت إلى بعينين دامتتين وشفيتين
مرتشتين ... ولم أتكلم ونظرت إليها بعينين شاح
منهما خوفي عليها وحجي لها ، وقد بدت ظلال هذا
الشعور الحار المتوثب على شفتي في شبه بسمة مريرة
وأخيرا أتممت بصوت من يستيقظ بعد حلم
عميق : منى ...

فأجابني بصوت مرتمش كأنه قطرات من الماء
الصافي تنسكب في هواده ورقة تماذجها قوة لاتيين :
جيمي ...

قلت : أخيرا التقينا ... مضى العام ... اثنا عشر
شهرا هي في حسابي اثنا عشر عامًا ...
ونظرت إليها نظرة منهاها : أليس كذلك ؟

قلت وأنا أشد منها إيماناً : يا سبحانه الله ...
في لحظة يثبت لنا الله قدرته وعظمته بما تعجز عن
إثباته قوى العالمين في أجيال. ثم اغتصبت ضحكة لأرفه
عنها وقلت : أندكرين يا « منى » يوم كنت أدعوك
لنؤدى فريضة الصلاة معاً ؟ ... كنت تضحكين
وتسخرين منى وتقولين : فرضت الصلاة على الناس
يوم كان لا يعمل لهم . أما اليوم فالوقت يضيق بالعمل
والجهد . ثم تبسمين في بلاهة وترددين : إن الله
غفور رحيم ...

ولطالما حاولت أن أغالب شيطانك بنصحك
فكنت أفضل لأن تأثير يثثك كان أشد وأقوى
عليك منى ... لأن أمك متمدبة متطرفة لا تقيم
للحياة ميزاناً إلا بما تجليه عليها من طرب ومسرّة
ومتمّة ...

وهنا لحت الأسى بغالها فسجبت رأسها وأسندته
إلى صدرى ورحت أنا أفكر في ماضٍها وحاضرٍها .
وأقارن بين هذا وذاك ...

من يصدق أن منى المرحّة الظروف الجاهلة التي
تبدو كأنها في سن الثامنة من عمرها أو أقل ينأى
قد بلغت الحلقة الثانية منه من - يظن أنها الآن تبدو
وكأنها في سن الخمسين من عمرها مع أنها لم ترد
على العشرين غير عامها الأول من عمر الزواج ؟ -
تبدل بالمرح سكون رهيب خفيف وتلاشت
النضارة ليحل مكانها الشحوب البارز .

لمن لم يصدق أن يقارن بين ابنة العشرين الحاملة
المتفائلة ، وبين أختها المتألمة المتشائمة ليعرف أن عمر
الحياة ليس في حساب الزمن إنما في معناه وما يجلبه
من صرح أو ترح . وبغاة تذكرت زوجها ...

فتمتمت يشفتين مبتلئين بالدموع : جاءت
جميلة ...

ولم أدعها ثم عبارتها وعدوت أبحث عن
الطفلة الجميلة التي كانت تتصورها قبل زواجها أجل
أطفال العالم، ورست لها منهنج حياتها رسماً يسمو بها
فوق متن الريح لتستقر على عرش الطهر والرفعة
والسكال

هرعت إلى غدعها على الصغيرة نائمة فيه ...
تدمنى عواطفى لآلتها كأنها كانت ابنة روى
قبل أن تكون ابنة أمها . ولا لم أجدها في غدع
الأم تحكت من خيالى الذى أنساى أنها لا بد أن
تكون في غدع صنير خاص جعل لنوم الصغيرة
بعض الوقت ، ونحمره ملائكة الرحمة والحب كل
الوقت ، ولكننى لم أجد السرير الصنير أيضاً ..

أتكون في غرفة أخرى ؟ لا بد . وقبل أن أغادر
الغرفة خلقت بي منى قائلة : حبسك تمباً . وجذبتني في رفق
وهي تقول : لم يشأ الله أن يتركها تحت تصرف القدر
الجائر . فاستردها ليستودعها حنان حور الجنان .
ثم صحت من فرط الانتعاش وتركت دموعها تمسّج
عن أسأها .

فهمت وحنوت عليها أشجعها بأجل الأمانى
المرتقة قائلة في النهاية : آمنى بالله ! فقالت بليجة
الخشوع :

عندما ولدتها وجربت كيف يفصل الله بين
الروحين بقدرته قادرة .. آمنت بالله وأقمت له الصلاة
ولا ماتت وكنت يومئذ مقبرة من حياقي نائمة
على ولادتها ... ازدادت إيماناً به ورحت أرتل باسمه
بكثرة وأصيلاً . .

فرفرت وجهها في رفق وأنا أقول : فانتى أن
أسألك كيف حال زوجك ؟
ففظرت بميدا كأنها تفكر فيما تقوله .
فمعبت لهذا النظرواضطرت أن أكرسؤالى:
زوجك كيف حاله ؟
ففتهدت وأطرفت قائلة بصوت خفيض : بخير ..
فشميت في لهجتها سرا رهيبا أفزعنى وداعى أنها
جملت حيزاً من الفراغ بين (زوجى بخير) حتى أحسست
أنها تفصل بينهما لكيلا تصل بين زوجها وانظير
فارتعدت وخفت أن يكون جد لها مالا أرجوه
فقلت لأستدرجها : أهو على سفر ؟ المفروض أن
يكون في المنزل اليوم لأنه يوم العطلة الرسمية ...
فقلت وقد اعتدلت كأنها تتأهب لمصارحتى
بما كتمته عني : أتمرخين صلاح ؟
قلت : كيف لا أعرف زوجك ؟ مالك شاردة
كالفاهلة هكذا ؟ أترين عجبى أزيجك ! له لا يبيح
لك لقاء صديقك ، إن كان ذلك كذلك فدعبنى
أنصرف وحسبى أنى رأيتك فكل ما أتمناه هناك
ووقت أنأهب للانصراف فأجلستنى في هدوء
وهى تقول : جيمى ، كان يجب أن تهمنى كل شىء
بمجرد رؤيتى ، وأنت أعرف الناس بطبيعتى ...
من كان يظن أن « منى » الزهرة الناضرة تدبل
دون أوأن ؟ ولطالما قلت لك عند ما كنت أراك تتألين
لشهد محزن : يا صديقتى ... خلقنا لنضحك وإذا
عشنا لمشاطرة الناس آلامهم ماذا نستبقى من الزمن
للفرح .. لا شىء بالنا كيد . إذن خير لنا أن نخلق
البهجة والمسرّة لنقلب بها الحزن والضنى ...
ولطالما داعيتك بنوادى لأبد تجمعم ولا أتركك

حتى يسمع الجيران نضحنا ..
قلت : حقاً ، ولقد حرمت مئة الضحك الأكيد
منذ فارتقتك
قلت : إذن ماذا تفهمين من دموى
قلت : قد تكون الدموع من تأثير الفرح
كما تكون من تأثير الحزن . ولقد تعمدت أن أجهل
ما انتابنى من شك في سعادتها لأستنطقها
فقلت : قولى ذلك لى لا يعرفك ... أما أنا
فقد علمتني كيف أعرف ماذا أنت قائلة قبل أن تفصحى
عن مرماك
قلت : تغرر جميل ... من تعليم مدرسة الزواج حقاً .
كل ما فيك قد تغير ...
فقاطعتنى : ذهب جمالى وثلاثى فرحى وماتت
بهجتى ...
قلت : أمن أجل موت طفلة تيمتين نفسك
حسبك زوجك والله نعم الموض ... وماذا يجدى
الحزن ؟ ...
قلت : لم يكن مصابى فى ابنتى كصابى فى زوجى
فاضطريت وقلت : أهرىض هو ؟
قلت : لو كان لمان الحطب ، على الأقل كنت
أتمزج بالأمل فى المفاة
قلت : لهجتك مرموعة تخيفنى ، أفصحى ماذا
جرى ؟ ...
قلت : مات وهو حى
قلت : يا لله ! هل أصابك مس من الجنون
يا « منى » كيف تهمين زوجك الحبيب بالوت
وهو حى
صمتنا إذ سمنا طرقاً على الباب . فازداد وجه

لتأتنس بك وأجل منه أنها تملك الاعتماد على نفسك
لكيلا تمجز عن ارتداء ملابسك إذا كانت مريضة
مثلًا أو على سفر !

قال : يا آنسة .. . ينجلى أن أسود لك مبلغ
إهالها وعدم أكثرها بحياتها المترلية .. . أعرف أنك
صديقتها ، وأعرف أن لك في الحياة رأيًا سديدًا .
فإذا تقولين لمن تمجز عن إعداد الغداء إذا خرج
الخدم وتضطرن لأكل الجبن والزيتون في الظهر .
أو استحضار اللحم والخضار من (مطبخ) السوق
فصرخت في وجهه : حضرتك تعرف أنني لا أعرف
كيف (أطبخ) ؟ وتزوجتي وأنت تعلم أنني لا أعرف
أن أؤدي أى عمل منزلي ؟ قاطعها : لكن الفتاة
في بيت والدها غير المرأة في بيت زوجها ...

وهنا خفت أن يشتد عرا كهما ؛ فسجيت
صديقتي وخرجت بها إلى الخارج ، ثم رجوتها أن
تتركه ريثما يبدأ وتباشر الخدم لإعداد لوازم راحته
وتعمل له كويلا من الليمون أو الشاي أو القهوة
حسب ما يجب . وتركتهما بعد أن هدأتهما ، وقد فهمت
من حوارهما لم ملت قلب الرجل ، ولم شقيت المرأة .
ولما عدت إليه وعدته أن أرشد صاحبتى
إلى ما تجهله من شئون الدار . ولما هدأ قلت بلهجة
جادة : اسمح لأختك أن تقول لك كلمة تقبلها منى
بسعة صدر الرجل الحكيم ، تذكر أنني أعرفت كيف
تحاببتنا وتزوجنا وأنت قلت لها على مسمع منى إنك
رضيت بها زوجًا حبيبة ، ولم تأبه يومئذ لعجزها
عن تأدية مهماتها ، فما ذنبها ياسمينى ؟

فكر واحفظ الجواب لنفسك وخذ من الجواب
ما يمينك على توجيه زوجك إلى حياة الاستقرار

« المنصورة »

محمد العبدى

صاحبتى امتعاقًا ثم سمعنا يسأل الخادم بلهجة جافة :
من هنا ؟

فقلت لها : اسرعى إليه لتستقبله ثم تعالى معه
إلى — إن شاء — لأحبيه

فلم تتحرك ولازمها الوجوم ... وقبل أن أحلها
على الخروج دخل علينا وقد ابتسم — ولعله تكلف
البسمة — قائلاً : كيف حال الآنسة ؟ أراك على
أحسن حال ، صحتك ونضارتك ...

فقاطعت لكيلها يستعرد : وأنت علك كذلك
فقاطعتى : الجو هنا يديع ... يديع جداً ...
فهمت أنه لا يريد أن يعرف بأنه على خير
ويأبى أن أشتم رائحة سوء تقاهمهما ...

فاحترمت رغبته واستأذنت لأنصرف وقبل أن
أصالحهما خاطبها بلهجة جافة : لقد سميت هنا بعض
أوراق رسمية في غلاف كبير ، أين هو ؟
قالت : لا أدري !

قال (موجهاً الكلام إلى) : اسمى « ياستى »
الهامم (مديرة البيت) لا تعرف أين يضع زوجها
حاجياته .

فابتسمت على مضض قائلة لها : أنت غخطئة
يا منى إن كان ذلك حقاً ... على أنك لا بد تريدن
أن تعلميه كيف يأخذ معه أوراقه خوفاً من أن
تتعطل أعماله . لاشك ، وأظنه عقاب حلوا بإصلاح بك
فقاطعتى : ذلك تامل قد أقبله لو كنت أجهلها .
ثم انفجر كالبركان الثائر مردداً :

لما حضرتها لا تعرف كيف تكون زوجة ...
أقوم في الصباح ... أرتدى ملابسى وحدى وهى
في مضجعتها وإذا قامت فلنسى تقول لى لا تتأخر
فضحكت : جميل أن تدهوك دائماً إلى المودة

وقال : « سذهب غداً إلى
السينما يا عزيزتى » فقالت :
« لا بأس ولكن على ألا نتيب
أكثر من ساعتين »
وقال : « إن القطعة التى
يزفها الجيران على البيان هذه
الليلة قطعة جميلة » فقالت :
« نعم إن هذا الدور من أحسن
الأدوار »

الأغنياء والفقراء

عز الأبنج
بَعْلَمَ الْأَسْتَاذَ عَبْدَ الْطَيْفِ الْمَشَارِ

ومضت فترة في صحت كان فيها الزوجان يصغيان
إلى البيان، قالت الزوجة: « هل كنت مشغولاً؟ »
فقال : « نعم . لقد استغرق شغلنا طول النهار
ويظهر أن أكثر الناس أغنياء . فهم يشترون آلات
من كل نوع وبأى ثمن . إن الأغنياء سمداء المخطوظ
قالت: « لا تذكر هذه الجملة الظالمة . فإن حظك
ليس بالسيء » . فقال : « إننى غير ساخط على الحظ
ولم أقصد إلى الشكوى ؛ ولكن تجارة الآلات
تدهش الإنسان لكثرة ما يراه فيها من الفرائب .
وإذا استثنينا الأطباء فإن تجار الآلات يظلمون
على الباطن من حياة أية طبقة أخرى ، وقد أثرت
نفسى خطة هى أنى لا أسأل أى سؤال ، ولا أفتح
فى بكلمة عما أراه .

ثم أشعل لفاقة أخرى وتناول الجريدة ، وقرأ
قليلاً لزوجته ثم كتب خطاب شكر . وخرج من
الزل فاشتري عليه سكاو وعاد . وكانت الساعة
قد تجاوزت الماشرة . فاطفاً الزوجان النور وناما .
وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى تناولا
طعام الإفطار ، وقبل الزوج زوجته وهو ينادر المنزل
وسألها عن رأيها فى الذهاب إلى السينما . فقالت إنها

جلس فردريك جيمز سميت ماداً قدميه أمام
الموقد جلسة تدل على العظمة والزهو . وكان له الحنى
فى ذلك فقد تقرر فى ذلك اليوم أن يزداد راتبه الأسبوعى
من ثلاثة جنيهات إلى خمسة . وفى هذه الزيادة تقدير
عظيم لخدمته مدة سبعة أعوام فى شركة بنسبيت

وكان يسمع وهو جالس هذه الجلسة صوت
زوجته وهى تقف فى غرفة المطبخ أغنية هندية وتفسل
أطباق المردن من آثار العشاء ، وكان فى الوقت
نفسه يسمع صوت البيان فى المنزل المجاور

وأشعل فردريك جيمز لفاقة وألقى نظرة على
إحدى الصحف ولكنه كان لشدة سروره لا يستطيع
أن يتناولها ليقرأها ، وكان يفكر فى مستقبله فينمش
نفسه بالأمل فى صبروته يوماً من الأيام مثل المستر
بنسبيت الذى أصبح من أغنى الأغنياء بسبب الاتجار
فى الفروشات

ودخلت زوجته وفى يدها عدد من الملاعق
والشوكات والسكاكين فوضعتها فى مكانها ثم التفتت
إلى المرقد الذى عليه ابها النائم . وعادت فالتفتت
إلى زوجها الذى كان يتأمل فى وجهها أو لعلها لم تحل
فى عينيه إلا الآن

الأمريكي ويظهر أنه متمجّل جداً ولا أعرف ماذا يريد وقد يدعوك عمله إلى الاشتغال طول النهار » فقال سميت : « لا بأس »

ولكنه ذكر في نفسه مواعده مع زوجته في الساعة السادسة ، ووصلت العربة إلى ريشموند في نصف ساعة ، ثم وقفت عند منزل ، فاستقبلها رجل يظهر أنه كان في انتظارها ، وهو صغير الجسم كبير العمر بمجد الجلد أسمر اللون . وقال ساعة رأيها : « بول وبنسبيت ؟ » . فأخى المستر بنسبيت رأسه وقال : « أنا بنسبيت وهذا مساعدى »

فنظرة المستر مارشال إليهما نظرة احترام . وأدهش سميت أن تكون كل هذه النظرة موجهة إليه . ثم مشيا إلى الردهة فظهر أن المنزل خال من الأثاث

ونادى المستر مارشال فنزلت سيدة مسرعة وحيث الزائرين ثم تبادلت مع زوجها المستر مارشال نظرة ، وجلس الجميع فأخذت الزوجة تملى على سميت بيان الأثاث المطلوبة من سجاجيد ومفروشات وكراسى وأدوات زينة الخ الخ

ولم يزالوا يتنقلون من غرفة إلى غرفة وسميت يكتب قوائم جديدة حتى أصبح عن الأشياء المطلوبة يستغرق ثروة رجل ميسور ... ولكن ذلك لم يكن كثيراً على المستر مارشال ملك الثروات والبوناس فلما صارت الساعة العاشرة قال مارشال : إنه متمجّل جداً

قال بنسبيت : إنه سيعرض عليه التماذج وقائمة الأثاث في ظرف أسبوع ، فقرر مارشال الأرض بقدمه وقال : « ليس الأمر أمر تماذج ولا أثاثان

ستقابله في الساعة السادسة قرب دار السبا في شارع كرايبورن .

وفي الساعة التاسعة وأربع دقائق كان جالساً إلى مكتبه فجاء الخادم وأخبره بأن المستر بنسبيت يريد أن يراه في اللحظة التي يأتى فيها .

قال في نفسه : « لماذا يريدى ؟ » . ثم خالجه الشك في أن يكون قد حدث خطأ ، وأن زيادة المرتب ليست له . وألقى نظرة على الأوراق التي أمامه وذهب إلى « قدس الأقداس » وهذا التعبير صالح جداً للاعتراب عن نظرة الموظفين إلى الرؤساء .

وقابل المستر سميت سكرتير الرئيس فاستأذن له عليه ...

وقف الرئيس وهو رجل طويل القامة متقدم في السن ذو لحية كبيرة يبدو عليه التهذيب وقال الرئيس : « ماذا تعمل يا مستر سميت ؟ » فقال : « أنا في قسم المبيعات يا سيدي »

قال الرئيس : « أرى أن تترك هذا القسم فاذهب وسلم ما بمعدتك وانتظرني عند أسفل السلم بمدة خمس دقائق »

وبعد أربع دقائق ونصف كان سميت ينتظر كالخارس في أسفل السلم . وبعد نصف دقيقة نزل الرئيس فتجاهل وجود سميت في طريقه وخرج من الباب فجلس في العربة ثم التفت إلى سميت وأشار له بالجلوس

وجرت العربة إلى شارع اكسفورد . وفي الطريق قال الرئيس : « نحن ذاهبان إلى ريشموند لنقابل فيها عميلاً جديداً هو المستر مارشال فلا كستون

فصاح الأمريكي عتدًا: « اللورد في جهنم . استدع خمسين عاملاً بالتلفون واستحضر أنواعاً مختلفة من الستائر لعمل التجارب »
 ووجد التاجر حماسة الرجل لا تقبل المناقشة ؛ فاستدعى العمال بالتلفون وترك المستر سميث لينوب عنه وعاد إلى متجره ليرسل البضائع .

لم يمض غير عشر دقائق حتى صارت حديقة المنزل المراد فرشته بالأثاث كأنها معسكر لكثرة من جاء إليها من العمال ولكثرة السيارات في الحديقة وأمام الباب .

وكان سميت واقفاً أمام النافذة ينتظر مفروشات الغرفة التي هو فيها فلعح عربة نغمة تقف عند الباب وسمع الجرس يدق وعلى أثر ذلك دخلت الغرفة زوجة المستر فلستون تبعها فتاة متناهية في الحسن وقالت الفتاة لأُمها : « من هذا ؟ »

فأجابتها : « هو تاجر الأثاث »

ثم خرجتا وسمع سميت صوت الفتاة تقول : « ألم يأت خبر عن الكونت ؟ »

قالت : « كلا »

وقالت الفتاة : « ما أشد الشبه بين الشاب الواقف في الغرفة وبين أنطونيو ! »

وكان سميت قد أزم نفسه ألا يهتم بشؤون الغير فلم يمر هذه المحادثة اهتماماً وانتقل إلى الغرفة المجاورة ليمد المعدات لفرشها . وفي هذا الحين رأى الذين جاءوا في العربة الفخمة يدخلون كمن حديقة الدار وهم جماعة من الصينيين وقالت السيدة : « عفواً يا مستر

(٦)

ولكني أريد أن يكون المنزل مفروشاً بكل ماطلبتة في الساعة الثالثة من هذا النهار »

وكان بنسبيت قد لاحظ على عميله الجديد علاماً عليها دالة على الجنون ، فبعد الحركة الأخيرة لم يبق عنده شك في صدق هذا الظن

قال صاحب المتجر : « أظن هذا مستحيلاً » فقال الأمريكي : « كم عدد موظفيك ؟ »

قال : « عندنا في المصانع والتاجر والإدارة والمخازن بضعة آلاف »

قال الأمريكي : « هذا حسن فادعهم جميعاً إلى العمل » فقال صاحب المتجر : « أخشى أن تكون تكاليف ذلك ... »

قال الأمريكي مقاطعاً : « إنني لم أسألك عن التكاليف ... أليس في المدينة سيارات ؟ أليس فيها تليفونات ؟ أليس عندهم مخازن ؟ إنني أكرر لك القول بأنني لا أبالي بالتكاليف وبأنني أريد أن يكون المنزل مفروشاً في الساعة الثالثة »

دارت عيننا بنسبيت كما تدور عيننا كلب الصيد حين يرى الأرنب ؛ ولم يتبين بعد هل هو الأرنب أم لا . واستمر الأمريكي يقول : « استحضر أسطولاً من سيارات النقل وخمسين رجلاً لفرش كل غرفة »

قال سميت : « ولكن السجاجيد والستائر ... » فقال الأمريكي مقاطعاً : « مالها ؟ إن المقاسات أمامك وقد فرش اللورد جاستوتش منزله بالأمس . وغرفته في مثل اتساع هذه الغرف »

قال سميت : « ولكن منزل اللورد ... »

وعلى أثر خروجه دخل مئات من العمال يحملون
الأبسطة والستائر والمنازل والكراسي . وبعد
قليل دخل الستر بنسبيت وأخذت المطارق تدق
والفرشات ترتب وسميث واقف يراقب ذلك ويشترك
في كل عمل يستطیع الاشتراك فيه

وفي وسط هذه الحركة القوية أعلن الستر
فلكستون أن الساعة هي الثانية عشرة ، وأنه لم يبق
غير ثلاث ساعات . وأخذ سميث يصيح بالمال أن
يسرعوا . فلما انتهى فرش الفسفة الأولى جاء
فلكستون بستين جنيناً وأمر بتوزيعها على العمال
مكافأة لهم على الإسراع ، واستمهاضاً لهمتهم حتى يتم
العمل في الموعد المطلوب .

وفي الساعة الثانية وخمس دقائق كان سميث واقفاً
وحده ليستريح قليلاً في غرفة لم تفرش بعد . وكان
يرتب بنظره كيفية فرشها . فرأى على حين غاء أربعة
من الصينيين ، وأشار له أحدهم فتبعه إلى أعلى السلم
وهناك شعر بمادة ذات رائحة غريبة قد ألقيت على
وجهه . ثم امتنع لشعوره بعد ذلك .

ولما أفاق سميث بعد ذلك وجد نفسه ناعماً مكتوف
اليدين في سفينة ، ورأى البحارة حوله جميعاً من
الصينيين . نخل نفسه في إحدى حزر الأرخييل
الياباني ، أو في جزر الهند الشرقية .

ولكن وجه الفسافة هو أن البحارة كانوا
يتكلمون باللغة الإنكليزية .

وقال لأحدهم : « أين نحن الآن ؟ » . فأجابه :
« ستعلم متى جاء سعادة الحاكم » .

قال سميث : « ولماذا أنا مقيد اليدين ؟ » .

سميث ! لا تنزعج من أي شيء وستنال ترضية على كل
شيء تفعله . إن حادثاً لم يكن منتظراً قد وقع الآن
وزيد منك أن تدعى شخصية لست صاحبها لمدة
لحظة واحدة . ولك مكافأة كبيرة »

قال : « لا مانع يا سيدى ولك الشكر »

ودخل الصينيون فاستقبلتهم السيدة وكان
يصحبهم الستر فلكستون . وقدمت السيدة الستر
سميث باسم السنيور أنطونيو بن الكونت أندوسى
فأخى رجل وجيه من بين الصينيين رأسه أمامه .
واضطر سميث برأى بعده لصاحبة المنزل إلى إحتاء
رأسه أيضاً . وتقدم لترجم لينقل إلى اللتين الصينيتين
والإنكليزية كلام الطرفين

قالت صاحبة المنزل : « إن سعادة الحاكم
الصيني يريد منك يا سنيور أنطونيو تنازلاً كتابياً
عن خطبتك لرودا مايسترا وعن جميع الحقوق التي
لك في مملكة جزيرة بارى »

وهنا غمز الستر فلكستون ذراع سميث فقال
إنه يستمد لتوقيع هذا التنازل

وقال الستر فلكستون : « إن هذا الشرط
هو الذى انتقنا عليه لزواجك من بنى وسيترزوج
سعادة الحاكم الصينى من رودا التى كانت خطوبة لك »
ثم كتب ورقة هذا نصها :

« أنا أنطونيو برونو أندروسى أقر أنى نزلت
عن خطبة الأميرة رودا مالميسترا وعن حقوق كلها
في مملكة جزيرة بارى » .

وقدم هذه الورقة إلى الحاكم الصينى فتناولها
هذا ثم أخى رأسه وخرج مسرعاً

القدر على يد هذا الحاكم الصيني ، وبعد دقائق دخل الحاكم ونظر إليه نظرة وعيد وقال : « إنني أسرت بإعادتك إلى منزلك ولكن إذا فُتت بأية كلمة عن أي شيء مما رأيته اليوم فاني سأهشم رأسك وسأتي لتأديبك ولو كنت في أقصى مكان من الأرض » وكان صوت هذا الجبار مثل نظراته شديد الدلالة على الوعيد

قال سميت : « لن تجد مني غير الصمت وألف شكر لك »

وبعد قليل كان سميت منمض العينين في عربة تجرى في شوارع لوندرا وهو لا يعرف هل مضى عليه بعد مغارفته هذه المدينة أيام أو ساعات أو أعوام » ولم يرفع التبدل عن عينيه إلا عندما وفقت به العربة أمام باب منزله . وكان تشيع الصيني له نظرة تهديد قال جواباً عليها إنه ذا كر وعده وإنه سيلزم الصمت

ودخل سميت إلى منزله فنظر إلى نتيجة معلقة على الحائط فوجد أنه لا يزال في اليوم الذي باشر فيه المهمة في بيت فلكتستون ، ونظر إلى ساعته فوجد نفسه في الساعة الخامسة فأسرع إلى مقر عمله وهناك رأى كل شيء على نفس النمط الذي كان عليه عند ما ترك هذا التجو . وتلقاه المستر بنسيت فقال : « كيف حالك الآن يا مستر سميت ؟ »

قال : « بخير »

وقال بنسيت : « لقد علمت أنه أغني عليك في أثناء العمل بمنزل فلكتستون فنعولك في منزلك في عربة » فقال سميت : « نعم لقد كان الأمر كذلك »

فأجابه الجبار : لا أستطيع لإخبارك بشيء حتى يأتي الحاكم . ولكن لماذا تتكلم بالانكليزية ؟ أأنت إيطاليا ؟

قال سميت : أنا فردريك سميت ، وصناعتي كاتب في شركة بنسيت . فتدخل بجار آخر وقال : أأنت السنيور أنطونيو ؟

حاول سميت أن يتذكر كيف وأين سمع هذا الاسم ولكن ذاكرته خالته وقال : إنه جائع فجاء له الجبار بقليل من الطعام ثم غلبه النعاس بعد ذلك فنام وعند ما أفاق من النوم سمع البحارة يتكلمون وكان واحد منهم يقول : إن سعادة الحاكم لم يطمئن إلى التنازل الذي كتبه السنيور أنطونيو وليس يكفي أن يطالب بحقوقه في الملك ولا أن يأمن في حب خطيبة أنطونيو ما دام هذا الأخير موجوداً . ولذلك اختطفه بعض أعوانه وجاءوا به إلى هنا لإرساله إلى جزر الملايو . ولكن الغريب أن الرجل كما ظهر لنا الآن ليس إيطالياً مع أنه اعتقل في نفس المنزل الذي وقعت فيه الوثيقة بتوقيع أنطونيو . وكان أحد الذين اختطفوه ممن حضروا توقيع على وثيقة التنازل فلا يبعد إذن أن يكون الأمريكي قد خدع الحاكم وجاء رجل مزيف ليثبت دور السنيور أنطونيو وهنا تهامس البحارة بلزوم الصمت لأن سعادة الحاكم مقبل

وعند مجيئه سمع سميت صوت رئيس البحارة وهو يكلمه بصوت منخفض فلم يتبين ما قاله . ثم سمع الحاكم يقول بصوت كهزيم الرد : « لا تتركوه يتكلموا إيطالياً رقبته وألقوه في الماء » اضطرب سميت لعله أن هذا الكلام عنه وانتظر ما يجيبه له

الفصول والغايات

معمزة الشاعر المثاني

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي مبادئه . وهو الذي قال فيه
ناقضو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صحه ودرجه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زياتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن المطبعة « الرسالة »
الرقم ١٢ قرشاً

ولكنه عجب من رواية ما أصابه على هذه
الصورة القتضبة . وتذكر وعده بلزوم الصمت
فسكت ...

وقبيل الساعة السادسة أسرع إلى المكان الذي
اتفق مع زوجته على مقابلتها فيه ليذهبها إلى السينما ؛
فوجدتها في انتظاره وقال : « أظنني جئت متأخراً »
قالت : « كلا بل جئت في الموعد . هل كان
عندك اليوم شغل كثير ؟ » فأجابها : نعم نحن
لا نستريح طول النهار بل هي حركة مستمرة »

قالت : ماذا رأيته اليوم ؟ فقال : إنني لأحب
التدخل في شئون العملاء وإذا استئينا الأطباء
فلا أحد يطلع على أسرار البيوت كما يطلع عليها تجار
المفروشات ؛ ولكنني أنظر ولا أسأل ، وأرى شأن
لي بأسرار العملاء ؟ لقد تنازلت اليوم في أثناء عملي
عن حقوق في ملكة باري ، وعن خطيبي للأُميرة
رودا الصينية وخطبت بنت مليونير أمريكي واختطفني
رجال العصابة الصينية وكاد رأسي يقطع بالسكين ؛
وسافرت في السفينة إلى جزر الملايو ، وهناك
أعود في الساعة السادسة بعد أدائي كل هذه الأعمال »

فضحكت زوجته لاعتقادها أنه يمزح وقالت :
« هل كنت اليوم تمثل في رواية من روايات شارلي
شابلن ؟ »

فقال : « ساعيني إذا لم أجبك فاني مأمور
بالصمت »

وكم يرى المرء في حالتي النوم والإغماء ، وكم
في شئون الحياة مما يظنه المرء حقيقة رأها وهو وم
يخيل له . أليست الأعمال كلها وليدة الآمال ؟
عبد اللطيف النشار

الورقة الثالثة عشرة

للكاتب القصص فيليبس أو بنسليم
بقلم الأديب عزت السيد إبراهيم

— حلاً وفي أي سيارة
لأمر هام
— حسن ...
واعترض سليل إلى رفاقه
ووضع قبضته على رأسه وارتدى
معطفه واستقل أول سيارة
صادفته إلى مسكن صديقه
اللورد مينشجنهام ...

ودخل سليل مسكن صديقه بالطابق الثالث
وبعد أن أعطى الخادم قبضته ومعطفه ولج غرفة
المكتب حيث رأى اللورد جالساً مع اثنين من رفاقه
على مائدة اللعب وقد طفت على وجوههم موجة من
القلق والاضطراب ... ومد رب البيت يده مصافحاً
سليل قائلاً :

— إني سعيد بمجيئك يا سليل ... أظنك
تعرف رفيقي

فأتى إليهما سليل بالتحية وقد عرف الأول
جورينج برت الموظف بوزارة الخارجية والثاني السير
مارتن فيلبس عضو البرلمان والسنام في عدة شركات
وله اسم رنان في الأسواق المالية، ولحظ سليل خلو
المقعد الرابع ولما كان يعرف أن لعبة البريدج
لا تصلح إلا بوجود شخص رابع قال :

— ولكن أين رابعكم ؟

— كان صديقنا روني كارترت جالساً منذ ساعة
نحن الأربعة حول المائدة وقرق الورق أحدنا ثم دخل
خادى طومسون وأخبر كارترت أنه مطلوب في
التليفون فخرج هذا ولا يزال نصيبه من ورق اللعب
في يديه يرتبه أثناء سيره إلى قاعة التليفون وبقينا
ننظره مدة طويلة دون أن يعود، وأخيراً قت لأرى
ماذا يفعل فوجدت الغرفة خالية وأوراق اللعب ملقاة

خرج جاسبر سليل مع رفاقه من القصف
إلى قاعة اللعب مبتدئاً لفننر عندما جاء الخادم قائلاً :

— التليفون يناديك يا سير جاسبر

فازم سليل الصمت برهة وهو يفكر فيمن
سيحدثه في مثل هذه الساعة من الليل ثم قال :

— هل تعلم من هو ؟

— لم يذكر لي اسمه يا سيدي ولكني أظنه

صوت اللورد مينشجنهام وهو يطلبك لأمر هام
فنظر سليل إلى رفاقه قائلاً :

— احجزوا لي مكاناً على المائدة فسوف أعود

بعد أن أعلم لم يطلبني مينشجنهام في مثل هذه
الساعة من الليل

ودخل غرفة التليفون ووضع الدبابة لصق
أذنه وقال :

— أهذا أنت يا مينشجنهام ؟

فأجابه الصوت في لهجة مختصرة :

— نعم أيها الدجال ... ماذا تفعل عندك ؟

— كنت على وشك أن ألعب البريدج

— هذا ما كنت أفعل أنا أيضاً لولا مما كسة

الأفندار . هل تستطيع الحضور حالاً إلى بيتي في

كننجنهام مانشون

— حالاً ؟ أم بعد انتهاء اللعب ؟

- على المتضدة بجوار آلة التليفون وباب السكن مفتوحاً
على مصراعيه فاستدعت الخادم ورحنا نبحث في
أرجاء البيت دون جدوى
وأخيراً هبطت الدرج إلى البواب فوجدته في
حجرته المظلمة على الباب، وبسؤاله أجاب أنه واثق من
عدم خروج أى شخص في نصف الساعة الأخير
وبذلك اختفى كارتريت ولكنى لا أظنه اختفى بعيداً
بل هو في نفس المارة ، ولكن أين ؟! ههنا
ما استدعتك من أجله والطابق الأرضى كله حوانيت
مظلمة أبوابها على الطريق العام والطابق الأول عبارة
عن مكاتب لبعض رجال الأعمال وتنفق أبوابها في
تمام الساعة السابعة من كل يوم والطابق الثانى
الذى يقع أسفل مسكنى مباشرة تسكنه الأميرة
الروسية مازوبويل
— وهل كان يعرفها كارتريت ؟!
— كلا ...
— إذن دعنا نبحث في مسكنك أولاً ...
وتقدمهم سلين إلى قاعة التليفون فوجد ورق
اللعب مرتباً حسب لونه ولكنه عند ما عده دهش
إذ وجدته اثنتي عشرة ورقة بدلاً من ثلاث عشرة فأخذ
سلين يبحث عن الورقة الناقصة في جميع أرجاء البيت
ولكنه باء بالفشل فحاول أن يتصل بالسترنال بالتليفون
ولكنه وجده معطلاً فسأل طومسون :
— هل تحدث مستر كارتريت من هذه الآلة ؟
— نعم يا سيدي
— وهل حدثنى سيدك اللورد منها أيضاً ؟
— كلا يا سيدي بل تحدث إليك من غرفة
البواب عند ما هبط لسؤاله ...
ودخل اللورد مع صديقيه فسأل سلين :
- هل اهتمت إلى شيء ؟!
— إن التليفون مطبل وسأهبط الآن لأوجه
بعض الأسئلة إلى البواب قبل أن تزور الأميرة
الروسية
وبسؤاله أجاب بأنه واثق من عدم دخول أحد
أخروجه من المارة وكذا أكد خدام المصعد، وطلب
سلين من البواب أن يرافقه إلى الطابق الأول حيث
فحصوا جميع الأبواب فإذا هي محكمة الإحصاء وعندما
سأل البواب عن أصحاب هذه المكاتب قال :
— إنهم جميعاً محترمون فستر هابل المحامى خرج
مبكراً الليلة ولم يلبث وكيلاه ثمنه وأما كاتباه والخادم
فقد خرجوا في الساعة السادسة ، ومستر سيمسون
متمهد الأفلام الأمريكية مستأجر المكتب لمدة ثلاثة
أعوام وقد خرج مع سكرتيرته السحابة السابعة
والشخص الثالث هو مستر ميشايل تاجر الفراء
والتحف وهو رجل لا غبار عليه
— وماذا تقول عن سكان الطابق الثانى ؟!
— إنها الأميرة الروسية مازوبويل وهي أرملة
كرعة نادراً ما تخرج ولكنها كثير أمانز من بعض
الشخصيات البارزة ...
— وهل عندها خدم كثيرين ؟
— سكرتيرة صغيرة ووصيفة وخمسة آخرون
من الرجال
وبعد أن نفحه سلين بورقة مالية ليفك عقدة
لسانه سأله :
— لقد رأيت في غرفتك آلة تليفونية لتصلك
بجميع سكان المارة فما السبب الذى من أجله قطع
السلك الموصل إلى تليفون اللورد مينشنجهام ؟!

وغاب الخادم برهة ثم عاد يقول :

— تفضل يا سيدي .

ثم قاده إلى قاعة الجلوس ، حيث وجد الأميرة ممددة على إحدى الأرائك ، وهي منشجة بالسواد بينما جلست على يمينها فتاة ممسكة بكتاب كانت تقرأ فيه لتسيتها ويبدو أن أبدي لها سليل أسفه على إزعاجها أشارت له بالجلوس .

فأطاعها وسرد لها قصة اختفاء صديقها كارترايت والأبحاث التي قام بها دون أن يجده أو يثر عليه ، ثم أردف :

— ولم يبق ياسيدي الأميرة سوى مسكنك فهو الذي لم نفتشه .

وامتمعت الأميرة وبدا على وجهها الأستقراطي شيء من الضيق ثم قالت :

— ثق يا سيرجاسبار أن أحداً لم يدخل مسكني منذ الساعة الثامنة مساء ، وغير ذلك فأنا لا أستقبل سوى أصدقائي الأعزاء أما صاحبك فأنا لم أسمع باسمه قبل الآن .

— ولكن يا صاحبة السمو إن الظروف التي أحاطت باختفائه غريبة وليس من المعقول أن إنساناً مكوناً من لحم ودم وعظام يتغير ويصعد إلى السماء وقد بحثنا عنه في كل شبر من المارة فلم نثر له على أثر ولا أطمع في شيء سوى أن تسمح لي لنا بالبحث هنا حتى يهدأ بالي وأطمئن أصدقائي الذين ينتظرونني في الطابق الأعلى ...

فضحكت الأميرة برهة ثم قالت :

— كما تشاء يا سيرجاسبار . اقرع الجرس يا آنا ليرافق جرابلنج السيرجاسبار .

فشكر سليل الأميرة وتبع الخادم الذي أخذ

— يا إلهي ... لقد كان سليماً عند ما رأيته

لآخر مرة

— أفهم ذلك فقد حدثني اللورد في الساعة التاسعة من تليفونه فلا بد إذن من وجود أحد إما خرج أو دخل إلى المارة بعد الساعة التاسعة

— كلا يا سيدي ما عدا سكرتيرة الأميرة التي تخرج في مثل هذا الوقت من كل يوم لتزده السكيتين الصغيرتين ، وكذلك أحد خدم الأميرة فقد خرج ليدين سيجارة أمام الباب وليتظار عودة الفتاة ، أما فيما عداها فلم يدخل أو يخرج أحد من الساعة السابعة . وفي رأيي أن مستر كارترايت ألقى بنفسه من نافذة أو هبط إلى مسكن الأميرة .

— سترى ذلك فأرجو لا تنادر غرفتك حتى أذن لك .

ثم صعد سليل إلى رفاقته وقال : إنه لم يبق إذن سوى البحث في مسكن الأميرة فقاطعه اللورد :

— من الصعب أن تفعل ذلك يا سليل إذ كيف تطرق باب سيدة في مثل هذا الظرف والساعة الحادية عشرة مساء .

وأحسن سليل وهو يهبط إلى مسكن الأميرة أنه يقترب من حل هذه المشكلة الدقيقة وعند ما ضغط بأصبعه على زر الجرس انفرج الباب عن خادم وقور فسأله :

— هل سمو الأميرة موجودة ؟!

— نعم يا سيدي ، ولكنها لا تستقبل أحداً في مثل هذه الساعة من الليل .

— إن الأمر أهم مما تظن فأرجو أن تقدم إليها بطاقتي هذه :

— قبل أن تقدم على أى مناصرة لتناكد من أن هذه الورقة هى الناقصة فهل مع أحد منكم العشرة الدينارى ؟

— كلا !

— حسن . إذن فقد كانت هذه الورقة ضمن أوراق كارترابت وما احتفظ بها إلا سهواً أو ليعبت بها فى طريقه ... وقد وجدتها مطوية جملة طيات على منضدة الأميرة

فقال اللورد مينشنجهام :

— ولماذا دخل هذا الأحمق عند الأميرة وغاب لديها إلى هذا الوقت ... هل وجدته ؟

— كلا .. لم أترك شيئاً فى مسكنها إلا وبحث فيه كما أكدت الأميرة أن أحداً لم يدخل عندها هذه الليلة ، فأين إذن اختفى وشهادة البواب تثبت أنه لم يخرج من الباب

فقال جورج برنت :

— لعله قفز من النافذة ...

— إننا فى الطابق الثالث والشارع مرصوف ولو فعل لدقت عنقه ... وعلى كل حال لنجرب هذه الفكرة . وهبط الأربعة إلى الطريق العام بسد أن طلب سليل من خادم المصعد أن لا يسمح لأحد مهما كان بالدخول أو الخروج من المارة

ورافق سليل البواب قطافاً حول البيت يبحثان عن أى أثر يؤيد شكوكهما دون أن يوفقا وكان الضوء ينبعث من نوافذ مسكن الأميرة فسأل البواب :

— نوافذ من تلك التى تحت نوافذ الأميرة ؟

— إنها نوافذ مستر ميشال تاجر الفراء والمعاديات ... وهو رجل ضخم الجثة مرسل اللحية يرأس عدة موظفين ...

يطوف به غرف المسكن ابتداء من مخدع الأميرة ، وغرفة الزينة دون أن يقف على أثر يدل على زيارة كارترابت هذا المسكن ، وأخيراً قال جرابلنج :

— لم يبق يا سيدى مكان لم تره .

نفخه سليل بورقة مالية ثم عاد به إلى قاعة جلوس الأميرة التى ابتدرته قائلة :

— لأعتقد أنك وجدت صديقك ياسير جاسبار خفتئاً تحت فراشى أو فى خزانة ثيابى ؟!

وتسرع وجه سليل بحمرة الخجل ، ثم كرر شكره للأميرة على سماحها له بالتفتيش فى مسكنها ثم قبل يدها وحيا السكرتيرة وتأهب للانصراف بينما قالت ربة البيت :

— أرجو ألا تكون هذه آخر مرة تزورنى فيها ياسير جاسبار .

— سأفضل دون شك يا صاحبة السمو .

وبينا هو فى طريقه إلى باب الخروج لمح شيئاً على منضدة صغيرة فتقدم منها وراح يتظاهر بأنه يشتم باقة الزهر الموضوعة عليها بينما تناول ذلك الشيء ، وأخفاه دون أن يراه أحد لأن جسمه كان حائلاً بين المنضدة وقاعة الجلوس التى فيها الأميرة والسكرتيرة وصعد سليل إلى رفاقه وقبل أن يسألوهم عما فعل ابتدرهم قائلاً :

— ليعد كل منكم أوراق لمبه

فعلقت الدهشة ألسنتهم ولكنهم أطاعوه فإذا مع كل ثلاث عشرة ورقة بينما عد سليل الأوراق التى تركها كارترابت على المنضدة الجاورة للتليفون فإذا هى اثنتا عشرة ورقة ، وهنا أخرج من جيبه الشيء الذى وجدته على منضدة الأميرة فإذا هو الورقة الثالثة عشرة ، ثم قال :

ثم التفت إلى البواب قائلاً: احتفظ بهذه الفتاة ريثما أحدث بالتليفون

وحاولت الفتاة أن تصيح لولا أن وضع الرجل يده على فمها ، بينما طلب سلين سكوناً لئلا يدار وطلب حضور المفتش ستمبسون مع أربعة من رجاله ، فلم تمض عشر دقائق حتى كانوا جميعاً في كمنجهم مانشون ، وسرد عليهم سلين قصة اختفاء كارتريت وعندئذ قال المفتش :

- لقد أنا اليوم تقرير عن المدعو ميشايل تاجر الفراء

فالتفت سلين إلى البواب قائلاً : أعط حضرة المفتش المفاتيح الاحتياطية ودع الأنسة تنزه كلها وما إن فعل حتى قال المفتش :

- إننا سنهاجم عصابة قوية فأرجو أن يتكرم أصدقائك بالابتعاد

ولكن اللورد ورفقاؤه أبوا إلا المكنة ، ففتح المفتش باب تاجر الفراء وأشعل الضوء الكهربائي فوجدوا أنفسهم في ردهة مليئة بأغفر أنواع الفراء ، وعندئذ سطع ضوء في إحدى الغرف المظلة على الزهرة ثم انطلق ، فطلب سلين من المفتش أن يرسل اثنين من رجاله الأشداء لحراسة المارة من الخارج ففعل ثم تقدموا جميعاً إلى الغرفة التي أقيم منها الضوء ولكن بانها كان موصداً ففتحه بالمفتاح الاحتياطي ثم دلف إليها شاهراً مسدسه ، ولشد ما دهش عند ما وجد أن المكان خال إلا من روثي كارتريت وقد شد وثاقه في مقعد ضخم وتدلى من السقف سلم من الجبال الغليظة وما كاد روثي يرى أصدقاءه حتى صاح :

وأجبه سلين إلى اللورد سائلاً عما إذا كان يمتلك سلاحاً ومصباحاً كهربائياً ، فدهش أصدقائه بينما أتى اللورد بما يريد سلين الذي قال :

- في استطاعتكم أن تهبطوا مني لاختلاس السمع خلف باب مكتب مستر ميشايل ، فإن لم نسمع شيئاً فقد عجزنا عن الاهتمام إلى صديقنا كارتريت وعند ما صاروا أمام الباب تقدم سلين وراح يصيح بأذنه من ثقب الفتاح ، وبعد برهة أضاعت عيناها ببريق غريب وأشار لرفاقه بالهبوط إلى غرفة البواب وأعطاه مسدساً وأمره بأن يحذر من خروج أحد من المارة بينما يتصل هو بقسم البوليس ... وعند عودته سمع رنين جرس المصعد فنادى يسأل البواب :

- من ذا الذي يطلب المصعد ليخرج في هذه الآونة من الليل ؟

- لا أدري يا سيدي
وصعد الخادم بالمصعد ثم ما لبث أن هبط وفي داخله مدموازيل أنا سكرتيرة الأميرة وهي تحمل السكب الصغير على يدها ، فاعترضها سلين قائلاً :

- آسف يا سيدي فليس الوقت مناسباً لتنزه السكب فضلاً عن أنك خرجت به قبل الآن فالتفت الفتاة عليه نظرة احتقار وأجابت :

- إنني أخرج به جملة مرات كل ليلة ولولا زيارتك المتأخرة لكنت ...

فقاطعهما سلين :

- آسف يا سيدي ، فليست زهرة السكب

بالأمر الهام

مسكن الأميرة الروسية لعالمة مندوب وزارة الخارجية عندها ... وما كنت أقبل يد الأميرة حتى هم على الطاهي وكان ما تعرفونه

وعند ما سأل سلين ووزير الخارجية عما تم في أمر هؤلاء الجواسيس أجابه :

— خشنا أن نأقبحهم فتنشأ عن ذلك أزمة دولية فاكفينا بنفهم جميعاً وأرجو ألا يصل خبر هذه الحادثة إلى الصحف حتى لا يتقلب علينا الرأي العام وسأل كارترابت سلين : كيف أمكنه أن يعلم المكان الذي سجن فيه عند الأميرة ، فقال وهو يضحك :

— عرفته بمشورى على ورقة اللعب الثالثة عشرة يا صديقي ! عزت السيد إبراهيم

— إن هذا السلم اللدني يوصل إلى مطبخ الأميرة وقد صعد الطاهي اللعين مع ميشايل منذ برهة ... هيا قبل أن يلوذوا مع عصبتهم بالفرار ... إنهم جواسيس ملاعين

وفي مساء اليوم التالي كان السيد جاسبار مدعواً مع أصدقائه في الحفيل الذي أقامه وزير الخارجية اعتراكاً بحميله حيث قال :

— إن الحكومة يا مستر جاسبار عاجزة عن شركك لتسكنك من القبض على هذه العصابة بعد أن قتل رجال بوليسنا في مقبب أثرها ، ولم تكن نفلن في يوم من الأيام أن الأميرة الروسية مازوبيل مندجبة فيها ، بل كنا نعلم أنها قربت من روسيا بأموالها بعد أن ادعت أنها من مؤيدي الثورة ، ثم تغير اعتقادها فاعتنقت البلشفية ظانة أنها تفيد بلادها فأخذت توافي حكومة موسكو بتقاريرها السرية حتى حدثت هذه الحادثة الأخيرة التي تعرفها من كارترابت

فقال سلين : ولكن كارترابت لم يذكر لي شيئاً عنها

— هناك باخرة تختر عياب بحر المانش وعلى ظهرها مليون من الذهب الروسي وقد بذل معتنقو البلشفية هنا جهدهم كي يحصلوا على ما اعتزمته حكومتنا من أمر ضبطها ، وكان كارترابت هو الرجل الوحيد الذي يعرف ذلك فنصب البلشفيون هذا الفخ لاصطياده وانتزاع المعلومات منه .

وقال كارترابت بروي ماحدث له : عند ما طلبت إلى التليفون خاطبني شخص وقال لي كلمة المرور السرية الخاصة بوزارة الخارجية وهي « إنك مطلوب حالاً » فأنبت أوامره التي كانت تقضى بالمهبوط إلى

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بالثمانية الآتية

ص

٥٠٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

فراراً من ذلك المار... لقد
حلت النكبة... فالأخرى بهم
أن يلبثوا في علمهم وألا
يذهبوا بعيداً، وأن يصمدوا
للأزواء حتى تخف وتلين
قناتها...»

ولم تلبث نفس الصحيفة

أن طلعت على القراء بمد يمين مخاطب خارجي موجه
إلى حنا وصرغريت رئيسي الأسرة المنكوبة، وكان
هذا نصه :

عزيزتي مارغريت... عزيزي حنا
ما أشد الشبه بين موقعكم الآن بمد نكبتكم
وأخر وقفته أسرتي لمشر سنين خلت ! وسأقص
عليكم حادثنا مفصلاً على قدر إمكانى آمله أن تجدوا
فيه عزاء لمصابكم وسلواناً :

كان عدد أفراد أسرتنا مطابقاً تمام الانطباق
لأفراد أسركم : أب وأم وثلاث بنات كبار وابن
صغير ، وقد كان الأخ على أي حال أصغرنا سناً
وأنا إليه في الكبر

عشنا في بلدة لا تقاس بمديتكم ، فقد كانت
صغيرة الحجم ولا يربو عدد سكانها على ستة آلاف
شخص ، وفي مثل هذه البلدة يندر ألا يكون
شخص ملداً بأسماء باقي الأشخاص وأحوالهم ،
وعلى ذلك كنا معروفين من السكان جميعاً ...
وهذا وحده كاف لجعل فضيحتنا أشد من أن تحتمل

فضيحة...!

مترجمة عن مجلة " تروستوري "
بقلم السيد ناصر غزيري

طلعت إحدى الصحف الصادرة في (أمريكا)
ذات يوم على القراء وفي إحدى زواياها نبأ مؤلم تحت
عنوان : « خطب عائلي » وهذا نصه :

هنالك أسرة تتألف من الأب (حنا)
وزوجته (مرغريت) وأطفالها الأربعة . وقد كانت
إلى عهد قريب أسرة سعيدة هائلة ؛ ولكن الدهر
يأبى أن يبق على سعادة أو يديم سروراً

فقد هربت ابنة حنا الكبرى بصحبة رجل
متزوج لكي تعيش معه . وكم كان وقع هذه
المصيبة على هذه الأسرة أليماً ؟! لقد أصبح أعضاؤها
نهب الأسى والغم ، وشعروا بالحجل ينهمر والحزى
يحيط بهم فسحبوا أنفسهم من الميتمعات وأصبحوا
عن أصدقائهم معزول

ثم أوعزت (مرغريت) إلى (حنا) أن يبيع
حانوته بنية الرحيل إلى مدينة ثانية حيث لا صلة
لأحد بهم ولا علم له بما دام

ولكن حنا .. كان من رأيه أنه ليس لجرد فضيحة
فرد من أفراد الأسرة يهيم الباقون على وجوههم

من المعلوم أن الخطب يشتد وقم على المرء كلاماً عظيماً شأنه ، وتعالى قدره ! فمن البديهي أن معظم في نظرنا ما نزل بنا ، ونحن أسرة ألفت المجتمعات ، وربطتها التقاليد الدينية السائدة ، فكان أفرادها في الكنيسة أعضاء عاملين !

أنهت تحصيلي العالي في الكلية وأنا مشرفة على الحادية والعشرين ... وسرعان ما شغلت وظيفة تدريسية شاعرة في مدرسة محلية ...

أما أختي سوزان فلم تدرس سوى سنتين فقط في البدء ... لم تكن نظن أننا سنقع في فضيحة ... أما الآن وقد حلت الكارثة وأصابنا القدر بسهمه الصائب فقد حجبنا أنفسنا عن جميع الناس ... حتى عن أصدقائنا القدماء ! ولا تسأل عمادى أختي وأختي الصغرى أثناء تنقلهما في المدارس المديدة لتلقى العلم ، من ألم وكذا ...

وقد دار بخلدنا أخيراً أن مواجهة الصدمة في محلنا ليس في قدرتنا ، فاعترمنا الرحيل ... وكان علينا قبل تنفيذ فكرتنا أن نعمل أشياء كثيرة بسرعة متناهية ... لذلك ألحقتنا على الوالد أن يترك شغله دون أن يتقاضى لقاء خدماته الطويلة شيئاً ! غير أنه كان قد ادخر من شغله قليلاً من المال كان خير عون لنا بعد أن تذكر لنا الدهر ، فصممنا على تشييد دار جديدة لنا ... بعيداً جداً ... حيث لا يعرفنا أحد

ولم يوانتنا الحظ في بيع دارنا (وهل لي أن أقول إننا ذوو حظ ؟) ، فإننا لم نجد لها شارباً فتركناها خالوة ! ...

تركنا دارنا بعد أن أدبر عنا الحظ ، قاصدين بلاداً

لمير سنوات مضت ... بدأت أختي الكبرى المشرفة على الثالثة والعشرين تهاجر رجلاً متزوجاً ولم يمض طويل وقت حتى عرف الجميع ذلك ولم نكن لنندرك ما سيعقب ذلك حتى نزلت المصيبة !

فقد أعلنت جهراً فجأة أنها عازمة على الذهاب بصحبة الرجل المتزوج للمعيشة معه ... وتركنا البيت فملاً إثر تصريحها ومحبتها حيث أخذنا في التنقل من محل لآخر كما كانت تستدعيه لذلك أعماله ... ولكنهما كثيراً ما قصدا بلدنا في عطلة آخر الأسبوع أو في العطل الأخرى ...

وما كاد يطرُق سمع زوجة الرجل علاقته بأختي حتى طلبت الطلاق على الفور ... وقد أجيب مطلبها في الوقت المناسب

وعلى أثر ذلك اقترن الرجل بأختي (سوزان) وعاشا في بيته رغم قضاؤهما جل الأوقات في السفر والتنقل

وهكذا ... ضربت أختي سوزان رقماً قياسياً في الواقعة إذ ذهبت تنهل السعادة من أحضان زوجها وخلصتنا بحرق الأرم وندب حظنا المأثر ... وزوجو يازواننا اندهال قلبنا للكلام !

كان أبى يشتغل في معمل إعداد اللوازم الحديدية ، وكان يظهر عليه أنه قادر على تجميل بيته وتجهيزه وإدخال ضروب اللو والترف إلى أسرته ...

وقد أنهى بصحبة أمى الشطر الأكبر من عمره في المدن ... فأصبحنا بذلك ذوى صلة بكثير من الأصدقاء

ولم ندرى إسمائته القديمة الشرقية : تلك الأقسام
التي طالما علت شفيتها فأسكرتنا بهجة ورضى
وأخيراً ... حدث الأمر الذي لا مفر منه !
مهما أردت التخلص من شيء بهروبك منه
وجدت ذلك الشيء مندفعاً يحكك اندفاع السهم ،
لا يعوقه عن مواجهتك عائق خصوصاً إذا كان
في الأمر فضيحة

فقد قذفت الأقدار إلى قربتنا شاباً جاء من
مدينتنا القديمة لقضاء عطلة عيد الفصح فيها ، وبشاه
حظنا العاثر أن يلح أخى (بوب) في الطريق وأن
يمر به على الفور ! ولم يأل جهداً في استقصاء أخبارنا
فلم أنفى أشغل وظيفته تدريسية ، وهنا تأتي بقية القصة
رجعت إلى وظيفتي بعد انقضاء العيد ، ولكنى
لم أكّد أخطو فيها حتى لمست في الجو تكهراً .
وقلنا أخطأ شعور الإنسان إذ ما لبثت أن كشفت
سر ذلك التكهرب ، فقد أخطرتني المدرسة باستفنائها
عن خدماتي منذ الآن !

يا لله ! ألاحظ النحس البائس أبنا حل ! ماذا
ترانى فاعلة بعد هذا المصاب ؟ ولم يبق لى شك
في أن حالة والدى الصحية ستزداد رداءة وخطورة
عما كانت عليه في السنة الماضية . وظهر لدينا جلياً
أن صحابة اليأس والقنوط موشكة أن تظلنا جميعاً
ولم يكن في وسعنا بعد الآن غير السفر ثمانية
إلى بلدة أخرى نلتبس فيها الاستقرار والصحة .
فسافرنا فعلاً وحد والدى الأندار على أنها لم تربطه
الآن بعمل آخر ليضحي ثانية به .

ألقت السفينة مراسها في مدينة تناثرت المصانع
في أرجائها ، وتمالت سحب الدخان من أفواه المداخن

بعيداً نأمن به شر المار ... وأخيراً أشرقنا على قرية
من ... الصغيرة النائية فعمشنا فيها ، وكانت هذه
القرية واقعة في الشمال ، وقد تيسر لي الحصول على
وظيفة تدريسية فيها .

دعنا سبتمبر ونحن في مقرنا الجديد ، وقد عثر
والدى على شغل ولو أنه لم يكن راعياً فيه ...
وكان من المنتظر أن نكون فرحين بمدعورنا
على مورد معيشتنا ، ولكن في الحقيقة لم نكن
كذلك ! فقد غدت والدى مريضاً قانطاً ، ولم تكن
تقدر أنها ستشعر بكل هذه الآلام حتى كانت نحشنا
على الرحيل ، وقد كان محبباً حقاً أن نشعر بأى ألم
بعد انتقالنا إلى عشنا الجديد تاركين مهد الفضيحة
وراءنا بعيداً ، ولكن لعل ذلك راجع إلى انقطاعنا
عن الأصدقاء القدماء ... الأصدقاء الذين تربطنا
بهم رابطة الصداقة الثينة التي يرجع عهدها إلى
زمن الطفولة ، وقد أحس والدى أيضاً بهذه الحسارة
برغم أننا لم نعدم أصدقاء عديدين في محلنا الجديد ،
ولكن ما أشد تباين الصداقتين !

والآن ، لأبسط لكم حالاً .. لقد زمني المرض
والقلق ، وكان هذا حال أخى الصغرى ، وأخى بوب
المشرف على الخامسة عشرة !

وسوف لا أطيل الكلام حول تلك السنة التي
قضيناها في قرية من ... وإنما يكفي أن أقول إن
والدى ضعضعها المرض طوال الشتاء ، ولزمتني
الكتابة مع أخى وأخى

أما والدى فبالرغم من تركه العمل لم يكن يشكو
شيئاً ، ولكن ظهر عليه أنه يتقدم في العمر بسرعة

تحرك الحب الأسمى وهو أقوى صلة وأعظم رابطة على سطح الأرض !

من الجائز أن والدتي قد ظنت في وقت من الأوقات — بسبب الفضيحة — أنها قطعت تلك الرابطة وأسقطت ابنها من حسابها ، ولكن ... ولكن صرخة الطفل وقت الكرب يجب أن تلي ! وهكذا كانت ... فقد قرر والدي ووالدتي الذهاب لرؤية سوزان ، ولم يمكن تركهما يذهبان دون أن أرافقهما ... فقد كانت صحة والدي متضعضعة وخشيت أن تصبح السفر ولقاء الجرعة وبالاً عليها ، لذلك محبتها

لا أنسى قط نظرة الارتباب المشوبة بالفرح التي ظهرت على وجه سوزان المذنبه عند ما فتحت عينها فأبصرت والدتها واقفة بجانب سريرها !

كانت لحظة عنيقة خالدة ... أنت على جميع ما حمل قلب والدتي من الأحقاد التي ولدتها الستتان الخاليتان ! لقد أجهشت في البكاء ، وأخذت دموعي تنهمل على خدي ... وفي نفس الوقت تملكنتي الدهشة وعرائي الدهول لما أبصرت من قدرة والدي على التجلد وجس الدموع في ذلك الموقف المائل ! والدي التي كانت آثار المرض : مرض الجسم والنفس ، ظاهرة على قسما وجهها بجلاء ووضوح ! مضت بضعة أيام كانت حياة أختي سوزان خلالها معلقة في الميزان ، ولكن والدي لم تدع لليأس إلى نفسها سبيلا . وأخيراً ... أخذ الخطر يزول تدريجياً حتى أيقنا أن سوزان لن تلبث طويلاً أن تتعافى !

كثيفة قائمة ... فنزلنا في تلك المدينة مصممين على السكنى فيها .

وبعد أيام أسمعني الحظ بالثور على وظيفة تدريسية في (مدينة المصانع) ... وكان لرئيسي التقديم الفضل الأكبر في إيجادها لي .

أما أختي وأخي فقد شغلا وظيفتين في حاثوتين صغيرين ، فقد كان من المسير جداً العثور على وظائف حسنة في ذلك الوقت . وكانت الحاجة أيضاً هي التي دفعتها لهذا الشغل التافه الأجرة . وقد كان الشتاء التالي من أشد أيام حياتنا إذ لم يكن يبتنا سرحاً كالبيوت التي أكرتيناها سابقاً ... ولم يشأ والدي أن يتورط في شغل آخر بعد الآن !

انصرم الشتاء وأقبل الربيع بإشراقه ، وعبير أزهاره ، وسحر جماله ، حاملاً تحت طياته نبأ خطيراً فقد وافتنا الأنباء بحلول كارثة مروعة شتت شمل أختي سوزان وبعلها ... ومفاد تلك الأخبار أن السيارة التي كانا يسوقانها انقلبت فقتل الزوج شر قتلة ، وأصيبت سوزان بجراح خطيرة نقلت على أثرها إلى المستشفى وهي بين الحياة والموت ! هل تحسبان أننا فكرنا يوماً في الذهاب إليها ! نحن كثير ما دعونا وإتهلنا لو أنها ماتت ، إذاً لكان ذلك أولى من أن تجلب لأسرتنا تلك الفضيحة !

أما الآن ... وهي بين برائن الموت ... فهل في الإمكان نكرانها !؟

كنا أثناء زيارتنا سوزان قد استأجرتنا عرفنا
في إحدى المنازل ، فقصداً أصدقاء كثيرين ليبروا
عن مرورهم بشقاء سوزان
لماذا لا ترجعون للعيشة في منزلكم ؟ لماذا بالله؟
كان هذا السؤال يتردد على السنة جميع أصدقائنا
وقد أسمعونا إياه أكثر من مرة . حقاً .. لقد خطرت
لنا نفس الفكرة حيناً ثم أخذت في التو ... لماذا
لا نرجع إلى منزلنا الذي لا زلنا نملكه ... ؟ لماذا
لا نهجر إليه في التو وال لحظة بعد كل ما حدث !
ولم يلبث الخاطر أن بحث إلى العمل وتحقق .
فقد رجعنا إلى منزلنا في البلدة ، وقلنا راجعة
لأنه أجل تعليمي في (مدينة المصانع) ... وبعد
ذلك قصدت دارنا في بولية حيث كانت في انتظاري
وظيفة تدريسية ... نفس الوظيفة التي أسندت إلى
قبل فرارنا بسنتين ؟

وأخيراً تزوجت منذ خمس سنوات وسبقني أختي
الصغرى في زواجها بسنة واحدة ، وعشنا سعيدتين
بالقرب من والدينا . وبفضل ابتسام الحظ وزوال
التجهم أصبح والدي قادرآ على المساهمة في الشركة
التي كان بها عاملاً من قبل . ولم تلبث الشركة أن
أصبحت تحت إدارته الحازمة حيث لاقت نجاحاً باهراً
فاتسعت أعمالها وعظمت شهرتها !

أما والدي فقد استرجعت سرورها وبشرها ،
ولم يعد يقلقها الرض ثانية ، ولم يزل أخي بوب في عمله
مثال النشاط والإقدام !

فلأجل ذلك ... أحب أن أحمس في أذنك
يا عزيزي حنا ألا تضحي بملكك وبمجهوداتك التي
بذلتها في أحسن سني حياتك متشبهاً بالأمل الواهي ،
الأمل في إيجاد سلوة عن الخطب بذهابك إلى
عمل ناء عن بلدك ؛ فقد علمتنا التجارب القاسية
أننا لا نقدر على الإفلات من الهم أو الحرب من
التتابع ، ووجدنا أن الأجدد بنا مواجهتها في
الحل الذي وقت فيه ، إذ يظهر أن تلك المصيبة
تلاحق الشخص إلى أقصى المصورة !

وفي نفس الوقت ... احرص على توطيد علاقاتك

لشد ما تتبدل الأحوال ! فقد وجدنا بعد
رجوعنا إلى منزلنا القديم في بلدنا أن العار القديم
قد طمس معالمه وتطرق إليه النسيان فقد كانت
الستتان اللتان احتجبتا فهما كفتيلتين بتخفيف
وطء العار القديم ، وتقليل تأثيره . أما نحن فنادرآ
ما كنا نفكر فيه

دخلت سوزان على أثر شفائها المستشفى للتدرب
على التمريض ، وقد رعت في عملها فأرسلت إلى مدينة
ناحية لتقوم بعملها كمرضة ؛ ولا زالت إلى الآن
تمارس مهنتها بجد ونشاط . ولم يكن يؤرقها ويشغل
فكرها سوى شيء واحد : ذلك هو عارها القديم !
آه لو أمكن إندثاره ونسيانه ، إذآ لماشت

سعيدة هائثة !

مع الأصدقاء ، فأنهم عند الشدة درع حصين ،
وخير معوان على درء الكوارث أو إضعافها !
إيه مارغريت العززة ... لقد أطلعتك على
قصتنا ولا شك أنك قد ظفرت بحقيقة لا شك فيها،
ذلك أن الزمن كفيل بإزالة القسم الأكبر من الشقاء
والبؤس ... وعما قريب سيواتيك الحظ فتسعدون !
أنا لا أنكر أن ملاقاتكم ما نزل بكم في مدينتكم
يفتقر إلى شجاعة في البدء ... ولكن ذلك خير
لكم من الفرار إلى بلد آخر ما دامت المصائب
تلاحق الإنسان أبداً ذهب أو حل !
وفي النهاية ... أختم كلمتي هذه بوضعة أبيات
اقتطفها من قصيدة صنيعة طالما وجدت الراحة

في ترويديها أثناء ما حل بنا وهي :
عند بلوغك أخطر نقطة في حياتك ،
يجب عليك مواصلة سعيك برغم كل الصعوبات
إذ لا سبيل لرجوعك إلى الوراء أو إلى أي
جهة أخرى .
وليس لك سوى السير حثيثاً إلى الأمام ،
فإن الدياجير لن تلبث أن تتبدد ، والمعاصفة
العاتية عن قريب ستزول .
والله على إراحتك خير معوان ونصير !
الخلاصة : م . ب . م
ناصر عزيز منصور
مدرس بمدرسة الشار الابتدائية

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفت في
المصر لموسيه ، والأديسة لموميروس ، ومذكرات
نائب الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومتنوعة .

الثمن ٣٤ قرشاً بمجلة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

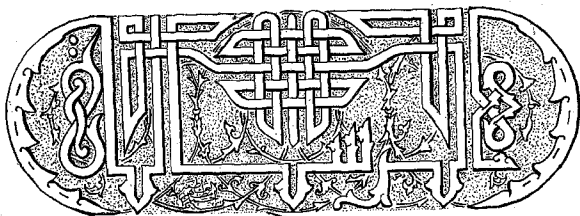
خلاف أجرة البريد

كتاب النقد التحليلي للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

هو أول كتاب في اللغة العربية عالم النقد الأدبي
بالطرق العلمية الوثنية ، والمقاييس المنطقية المنتجة .
بناء المؤلف على نقد كتاب (في الأدب الجاهلي)
للكفوز طه حسين ، ولكنه استورد لدروس مسائل
مهمة في قواعد النقد وأصول الأدب ومناهج البحث
حتى جاء الكتاب مرجعاً في هذا الباب ونموذجاً
في هذا الفن . وهو في الوقت نفسه ينفي القارئ
عن كتاب (في الأدب الجاهلي) لأنه لحسه تلخيصاً
واقفاً .

يبلغ في ٣٢٦ صفحة من القطع المتوسط
وغته ١٢ قرشاً خلاف أجرة البريد

ويطلب مع إدارة الرسالة



مَجْلَدُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالْثَقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْعَرَبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرسالة تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرسالة تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرسالة تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرسالة تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرسالة تَحْمِلُ فِي النَّشْءِ أَسَالِيبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرسالة تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّظُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِ هَادِيَوَانَ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسَجَلُ الْأَدَابِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

، وَشَرَّاحُ الْأَخْلَاقِ وَنَوَاقِصُهَا ، وَالْحَاجِجُ مَا يَسَاوِي جَنِينًا مِصْرِيًّا ، وَلِلْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ بِمِخْصَمِ ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ تمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الحرورية

مجلة أسبوعية للفصحى والتبليغ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — أول يولية سنة ١٩٣٩

العدد ٥٩

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة	
٦١٨	حياة للفير ...
٦٢٣	وميتها حياة ثانية ...
٦٤٢	الأب ...
٦٥٢	إغراء الشيطان لأدم وحواء ...
٦٥٧	عابد الشمس ...
٦٦٦	الطائر الأزرق ...
٦٦٩	جندى قبل الاعدام ...
...	أفصوصة مصرية ...
...	عن الإنجليزية ...
...	للكاتب الألماني ولم تكتبون ...
...	من الأدب الفرنسي ...
...	أفصوصة مصرية ...
...	للكاتب الأسباني روبرت داريو ...
...	عن الإنجليزية ...
...	يقلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
...	يقلم الأستاذ عبد الحيد حدى ...
...	يقلم الدكتور على حسين ...
...	يقلم الأديب محمود الرضى ...
...	يقلم الألسة جميلة الملايلى ...
...	يقلم الأديب شكري محمد عباد ...
...	يقلم الأديب مصطفى صبحى ...

حياة اللغيم

أقصصة مصيرية
بعلم الأستاذ نجيب محفوظ

فأزاح الجريدة عن وجهه
ونظر إلى حديقة البيت المجاورة
نظرة التمع فيها الابتهاج فرأى
وجهًا مشرقًا يرؤ إليه بينين
سوداوين صافيتين بظالماته
بالبراءة والحسن ، فأحس
إحساس الحزان هب عليه نسيم

بارد معطر بالياسمين ورد تحميها قائلاً :

— أهلاً بالآنسة سمارة !

فابتسمت إليه ووقفت تلاعب كلها الأبيض
الصغير. كانت في السادسة عشرة ، يتحاذب وجهها
الصباح وقدما المشوق براءة الصبا وأتونة الشباب
وأشار إلى كلها وسألها :

— كيف هو اليوم ؟

— تم شفاؤه ... الحمد لله ...

فضحك قائلاً :

— لعل هواء الأسكندرية لم يوافق مزاجه ؟

— على المكس كان يبدو على الشاطئ* والدينا
لا تسمه من الفرح ...

فنظر إلى وجهها الذي كسا الشاطئ* بياضه
حمرة كأنه غمسه في الشفق وقال برقة :

— لقد اكتسبت بشرة جديدة يا سمارة !

فاستضحكت ، وعدا الكبك في تلك اللحظة.

فولته ظهرها وعدت وراءه ...

وبدا عليه تغير طاهر ، ففاضت من عينيه نظرة
الجد والرزانة وخلقتها نظرة حنان وأحلام ، وطالب له
أن يختلس منها نظرات طويلة سميذة ، فاشاهدها ،
وهي تجلس إلى الكرسي ، وتتحنى لتلاعب كلها
الصغير ، وجملت أناملها تتخلل شمره الأبيض

ساعة الأسيل هي الساعة المتارة التي يهبط
فيها عبد الرحمن أفندي إلى حديقة البيت الصغيرة
وهي عادة التي يلازمها أو التي تلازمه أغلب شهور
السنة ، لأنه من القلة النادرة التي لا ترتاح إلى ترك
البيت إلا لعمل أو ضرورة . وقد زل إلى الحديقة
ذلك اليوم من أيام سبتمبر المتدلة ، وألقى عليها
النظرة المبهودة ، وتمشى بين طرقاتها اللثوية يسرح
بصره بين شجيرات الورد وأصص الزهور ، ثم
جلس على أريكته على كتب من السور اللقاع من
الأسلاك الشائكة الذي يفصل بين حديقة بيته
وحديقة البيت المجاور ، وبسط جريدة من جرائد
السما كانت مطوية تحت إبطه ومضى يطلع ...

وكان في مشيته كما كان في جلسته آية للرزانة ؛
فمن كان يراه لا يشك لحظة في أنه يلازم رب بيت
وعاقل أسرة ؛ فخره وإيمانه تترن دأماً بالهدوء
والإتزان ، ونظرة عينيه تلوح فيها الرزانة والرجولة
والمسئولية ، ورأسه الكبير وشاربته الفزير يدلان على
أنه ابن أربعين. وإن كان في الحقيقة لم يجاوز
الخامسة والثلاثين إلا بشهور قلائل . وكان مستغرقاً
في مطالعته حين استيقظ فجأة على صوت رقيق يهتف
به قائلاً :

— سعيدة يا عمي ...

من الجنس الثاني التي رتمته بها الأقدار في عزلة القاسية ... قسرب الحب إلى قلبه خفية ، في أناة وهدوء ، وبلا قصد أو حذر تسرب الكرى إلى أجناف حالم مستسلم إلى هبات النسيم اللطيفة في جلسة طويلة هادئة على شاطئ النيل ...

وكان في أول عهده بها يتمتع بطفولتها السعيدة ويجد فيها منفذاً لحنان صدره المكتوم ، فلما أن انقلب عاشقاً أنشبت فيه الحيرة أظافرها وحرمت الفتاة السعيدة وصار يمزجه كل شيء حتى عطفها وحديثها ، لأنها كانت تقبل عليه ببراءة ولم تشعر حياله شعور امرأة بأزاء رجل ، وقد حجبها مرهات بنظرات نفذ منها لمهب الهوى قهراً فلم تسجب له ولم تحس به وأصررت على أنه « عمها العزيز » لا أقل ولا أكثر ! ما عسى أن يكون ردها لو طلب يدها ؟ ... كيف يكون شعورها ؟ ... وكيف تكون دهشتها ؟ ... وماذا تقول لأبيها ؟ ... وماذا تقول لنفسها ؟ ... وهل يمكن أن يراها بعد ذلك كما يراها الآن في حديثها وأن يتمتع برؤيتها مقبلة متدبرة محدثة مداعبة أم ينقطع عهدها إلى الأبد ؟

وهب أنه وجد من نفسه الشجاعة الكافية لأن يفتح أبواباً - صديقه العزيز - في هذا الشأن الخطير فما عسى أن يقول له ؟ ... ياله من قول عسير ! ... وفكر طويلاً ، ثم أغضض عينيه وحدث نفسه وكأنه يتحدث صديقه : « صديقي العزيز لقد جئت أحدثك في أمر خطير لم تكن تتوقع أن أحدثك فيه أبداً ، وربما لم أكن أتوقع ذلك أنا أيضاً ، ولست واثقاً من موافقتك ولا من أهليتي للطلب الذي أقدم به ولكني لم أرد أن أضيع فرصة ذهبية لجرد تروحي الإخفاق ... سيدي ... وصديقي ... »

ولم يتم حديثه لأن صوتاً عذياً أيقظه من حلمه قائلاً :

— أنا هم أنت ؟

فانقبض خافق القلب وقد تولاه ما يشبه الرعب ، وقال :

الطويل ، ومضى الكلب يلحق يدها مسروراً ويثب على ركبتيها وذنبه يرفق طرباً ، وفي أثناء ذلك تدلت خصلات شعرها الحريري وحامت حول عنقها وخديها ، وكان في مشاهدته سعيداً مبتهجاً ، ولكن انقبض صدره فجأة ، فلوى رأسه ونظر إلى الأمام بيمين لا تزيان شيئاً ، لأنه تذكر أن سلوكها نحوه لم يتغير منذ كانت تدرج في الطفولة والصبا ، وأنها ما تزال تناديه بقولها « عمي » كما كانت تفعل وهي صغيرة تلعب بالمراس ، وكان فيما مضى يفرح بهذا النداء ويعدده على كل ما له في نفسها ونفس أبيها من الودة والصداقة ، أما الآن فهو يضيق به ويتأذى منه ولا يكاد يسمعه حتى ينقبض صدره وتولى عنه البصرة واجبه بصره إليها مرة أخرى وتساءل — ولم يكن يفعل ذلك للمرة الأولى — أمن المستحيل أن تصير سمحاً زوجي يوماً من الأيام ؟

وهز رأسه في إنكار واستغراب كأن الفرض من المستحيلات حقاً ، ولكنه لم يسلم بلا جدال فتساءل مرة أخرى : ما وجه الاستحالة ؟ ... العمر ! ... فهو ابن ستة وثلاثين وهي بنت ستة عشر ، فمشرون عاماً تفصل بينهما وهو عمر طويل يبرر « عمومته » لها فكيف يتأتى لهم أن يصير زوجاً وحبباً ؟! حقاً إن الكثيرين لا يترفون بمقبة العمر ، ولا ينزلون عند حكمها وبذلونها بغير مبالاة ، ولكن لكل تضحية من هذا القبيل ثمن ، فما عسى أن يكون الثمن الذي يذلل لكل هذه التضحية الغالية ؟ ... هو في الواقع ليس إلا موظفاً نفسياً في وزارة الداخلية لا يتجاوز مرتبته الخامسة عشر جنباً فلا مكانة له يعتد بها ، ولا مال له يسدل به على نقائصه سترًا من الرواء والجلال ، ومع ذلك فهو يحبها ، ويبدوله أنه لم يكن من حجبها ، وكيف كانت تتاح له النجاة منه وقد كانت تنمو تحت بصره يوماً بعد يوم ستة عشر عاماً ؟ ... وكانت إلى ذلك الإنسانية الوحيدة

جلس الشاب إلى جانبه وقال :

— كان قصر المينى أمس حافلاً بالحوادث المزعجة
ومضيت أغلب الليل أستقبل صرعى القضاء والقدر
وكان عبد الرحمن يرمق شقيقه وهو يتكلم
بمئينين ساهمتين وعقله دائب على التفكير ... كان
ذا قلب كبير يفيض حناؤه ، فهو يحب شقيقه وقد
أمدّه هذا الحب الأخوى بالموون والصبر فرباه ورعاه
كما ربي أخوين له من قبل ، ولكن يداخله أحياناً
من ناحيته خوف وجفول وربما أكثر من ذلك ...
نعم هي الحقيقة فهو يكرهه أحياناً وهو أشد ما يكون
كراهية له إذا جرى ذكر سمارا على لسانه ، فمجرد
نطقه لذلك الاسم الحبيب يؤذيه وبذبه وتستحيل
هذه الكراهية المؤقتة مقناً إذا وقت عين الفتى
عليها أو عينها عليه كما حدث منذ حين قليل ...
على أن هذا لا يعني أن هذه الكراهية عاطفة ثابتة
فهي مجرد انفعال عنيف ، وغير ذلك فهو يحبه ، وينظر
إلى مستقبله كشئ جميل من صنع قلبه وكده ، فأى
حيرة وأى عذاب ... ترى هل يفتن الشاب إلى
ما يحده في نفس شقيقه الأكبر من الشقاء ... ؟
كلا ... هو بلا شك لا يتصور أن مثله يمكن أن
يجب هذه الصعوبة الجلية !

وكان الدكتور الشاب يفكر في تلك اللحظة
من حياته السعيدة في أمور هامة فقال لأخيه :
— لدى أمور هامة أريد أن أفضى إليك بها
ولم يدعه قلبه التلصق براح إلى هذه الرغبة فقال :
— إخلف ملابسك أولاً وارشح قليلاً ...
ولكن الشاب قال بأصرار :
— استمع لى أولاً يا أخى فإن حياتى في مفترق
الطرق ...

فسكت الرجل وأردف الشاب :

— سنتنحى بعد أشهر مدة تمرينى كطبيب
امتياز فى القصر وقد أخبرنى أستاذنى الدكتور

— كلا ...

— مبدرة ... رأيتك منمض المينين ...

— كنت أفكر ...

— وفيه تفكير ؟

حدث في وجهها بمئينين حائرين وتساءل بماذا
يجيب ؟ ... أيقول لها فيك أنت ؟ ... ولكنها مجازفة
سابقة لأوانها ، فلازم الصمت ، وأحس رغم ارتباطه
بلذعة سخريه لا تضطرا به أمام هذه الطفلة ، وكان ينم
النظر في عينيها السوداوين ، وصمت دقيقة على جموده ،
فشمر بسران تخدير اللبذ ولم يعد يرى إلا سواداً
جياك ، ثم لاحظ تغيراً غائياً يطرأ عليها ، فرأى
وجنتها تتوردان وشفتيها تتلفقان ، وعينها تتحولان
إلى هدف وراءه ... وشاهدها تفر نافرة إلى داخل
البيت ، ونظر خلفه دهشاً فرأى أخاه أنور يقف مبتسماً
ويعد له يده للسلام . وأحس بكآبة لم يدر ما سببها
وحنق قلبه خفقان الخوف والغيرة ، ولكنه سلم
عليه مبتسماً وقال له : أهلاً كيف حالك يا دكتور ؟
فضحك الشاب وقال بصراحة :

— كم أنت سعيد يا أخى !

وأدرك ما يعنى من أنجاه بصره ولهجته ، وآله
ذلك غاية الأمل ، ولكنه تجاهل الأمر وقال بانكار :

— سعيد ؟

— طبعاً ، من يتحدث سمارا يبنى أن يكون سعيداً
قابسم ابتسامة مغراء وقال لنفسه : إما أن هذا
الشاب خبيث ما كره ، وإما أنه غبي لا يفقه لما يقوله معنى .
ليس السعيد حقاً من تحبّه سمارا ولكنه من تنجّل
من معادته ومن يتورد وجهها حين رؤيته فلا تملك
إلا أن تفر هاربة ... هذا هو السعيد حقاً ...
أفلا يفهم ذلك هذا الشاب أم أنه يتناهى ويعكر ؟
على أنه كان يحرص على ألا يبدو عليه شئ مما
فى نفسه ، فقال بغير مجرى الحديث :
— كيف كانت ليلتك بالأمس ؟

فعدنى أن نذهب غداً إلى مقابلة والدها ولعل لا أصدم
هناك بما يحيب أُمى

— حسن .. ولكن ما الداعي إلى هذه السرعة؟
— لا بد من السرعة فليس أُمى سوى شهور
قلائل يبني أن يم في أثنائها الاتفاق والاستعداد
للسفر إلى إنجلترا

ثم ضحك الشاب وقال وهو يهيم بالوقوف :
— ألا ترى أنى سيأمنى شهر العسل خارج
القطر كالوجهاء ؟

فابتسم الرجل ، وحياء الشاب وذهب إلى داخل
البيت ...

وتيمته عيناه حتى غيبه الباب ثم عادتا تنظران
إلى الدنيا المحيطة نظرة ذاهلة لا تمي التفصيل ،
فأحس إحساساً غامضاً بالسمرة التي أخذت تشوب
الكون والسكون السارى في مفاسله ، وضاق بجلسته
فقام يتمشى في الحديقة الصغيرة بألس محزوناً غثتفاً
ودار دورتين ثم رجع إلى الأريكة وارتى عليها
بشيء من المنف كأنه يسلم إليها حظه التمس لاجسمة
التهوك ...

ووجد في تلك اللحظة رغبة خفية فاهرة
في الفرار إلى الماضي ...

فطار خياله في الزمان عشرين عاماً في غمضة
عين إلى تلك الفترة من العمر التي تبدو فيها الحياة
كقطعة من المعجين في يد الخيال يبعث بها كما يشاء
ويصنع منها ما يلى عليه هواه بعيداً عن قساوة
الواقع . في ذلك الوقت البعيد كان هذا الرجل
المعتلى رزاة وهماً وحزناً صلياً مرشحاً مدلاً بفيض
قلبه بالأفراح والآمال وقد ميزته الطبيعة مذ رأى
النور ، فكان أول من خلق له قلب والده بالأوبة
والأمومة من الأبناء . ثم كان من بعد ذلك غلاماً
مجتهداً تضى حياته المدرسية استمدادات عالية
ومواهب نامية تنشر بالنبوغ والتفوق والمستقبل

براون بأن النية متجهة إلى اختيارى عضواً في بثة
كلية الطب ...

فأحس الرجل بارتياح غير منتظر وقال بفرح :
— مبارك. مبارك. أنت أهل لذلك بغير شك.
والظاهر أنه كان لدى الشاب ما يقوله غير ذلك
لأنه قال بارتياح وبصوت خافت :

ولكنى ... أعنى ... أريد أن أقول ... إنى
إذا سافرت فلن أسافر منفرداً ...
— لا أفهم شيئاً ...

في الواقع أنه يفهم كثيراً ، أو فهم على الأقل
ما جعل قلبه يرتد إلى الجفول ، وكان الشاب قد
تقلب على ارتباك فقال :

— سأسافر زوجاً إن شاء الله
— يا لها من مفاجأة ! ... إنه لم يسبق لك
التحدث إلى أحد في هذا الموضوع ... أليس
كذلك ؟

— بلى ...
— هل نبت في رأسك على حين غرة ؟
— كلا ولكنى أوثر الصمت حتى أخرجنى

عنه السفر المنتظر !
وسكت الأخ لحظة ينال عواطفه ثم قال :

— هل أفهم من ذلك أنك وقتت إلى الاختيار ؟
فأحس الشاب رأسه وأشار بذقنه إلى بيت
الجار وقال :

— سمارة ...
وساد الصمت ، وقلق الشاب لسكون أخيه ،
فسأله بلهفة :

— ما رأيك يا أخى ؟ ... ألا تمجيك ؟
فقال الآخر بسرعة :

— نعم الاختيار ... نعم الاختيار ...
فانهج الشاب وقال :
— أشكرك يا أخى ... وأرجو ألا تتوانى ،

وربما كان لازم في ذلك شأن وأبى شأن، فما كاد أكبرهم يتخرج ضابطاً في مدرسة البوليس حتى تزوج وترك البه له وحده وتبعه بمد قليل أخوه الثاني المهندس فاضطر إلى البقاء أعزب حتى هذه السن ...

ثم ذكر كيف أنه كاد يختار أخيراً ما بكل به حياته وكيف جاء الاختيار مبيداً عن التوفيق وكيف أته الطمنه النجلاء من يد طالب آثرها الحب والمطف، وقد طمنه وهو يضحك ضحكة مشرقة بالأمل والسعادة كأنه ذاك الحكيم الذى يترنم بأنشودة السلام وقدمه تقتل عشرات الأحياء التى لا تراها العين ...

وفيا هو في أحلامه إذ سمع صوتاً ينادى قائلاً: « عبده ... لماذا تبقى في الظلام » هذا صوت أمه الحبيب ... رياه ... لقد لفه الليل وهو لا يدري ...

وقام من جلسته متثاقلاً وسار يبطء إلى الداخل وبادرته أمه قائلة:

— هل حدثك أنور؟

فقال: « نعم ... »

— ما رأيك؟

— اختيار جميل يا أمه، سأذهب غداً لمقابلة جارنا وأطلب يد ابنته الجميلة لابنتنا النابه!

فقال بمحنا:

— لم يبق إلا أنت!

ولازم الصمت هذه المرة ...

من يعلم؟ ... ليس الذى باقى الآن بأشد قساوة مما لاقى في ماضيه، وما هذه بأول كادته يمتحن بها قلبه الكبير، وقد علمته الحياة فضيلة الصبر كما علمته حقيقة أجل: هي أنه يستطيع أن يسعد وهو يحقق السعادة للآخرين ... يجب محفوظ

السام، ولكن الحقيقة أن ما خفى من فضائله كان أعظم، وأنه كان ينتظر الفرصة فقط للظهور في أبهى الحال، وقد جاءت هذه الفرصة ولكنها لم تكن وأأسفاه سوى وفاة والده ...

ترك الوالد التوفى أسرة بائسة مكونة من أرملة وأربعة أبناء أكبرهم — عبد الرحمن — في مستهل الشباب، وأربعة بنهات معاشاً، وهكذا تصدت الحياة للشباب السعيد الواسع الآمال بوجه عبوس، استأذنه أشد الوجاهات، وحثت عليه أن يخلع رداء الطفولة ليحمل على عاتقه اللدن أثقل التبعات ... وكان عليه قبل كل شيء أن يتناسى أطماعه، ويدرج في الأكفان آماله، ويقر مواهبه لشيء يهيئ للأسرة الضعيفة حياة سعيدة، وبولها بعض النماية التى كان بولها إلها الأب الراحل، ورضى كرهاً بوظيفة بائسة لم يتصور قط أن تنتهى إليها آماله ...

كانت تلك الأيام في بدنها مؤلة شديدة المرارة تبعث في النفس الأمسى والحسرة والياس؛ ولكنها لم تبلغ به قط حد الثورة أو الغضب الهائل. لماذا؟ كان قلبه كبيراً يتسع للحنان والأخوة. فوجهه أمه وإخوته، وهاتئ لذلك تماسه، وخفتت الأيام من وقع الخيبة في نفسه، وتجددت في قلبه آمال أخرى لا تتعلق بمستقبله هو، ولكن بسعادة إخوته ومستقبلهم، وذاق سعادة جديدة، هي السعادة التى يحدسها بذل النفس والعمل من أجل سعادة الغير، وبذلك شغل الشاب مكان أبيه، ودخل في طور الرجولة الحق قبل الأوان ...

وذكر هنا كيف أنه كان يشعر بالفراغ الأليم رغم امتلاء حياته بالآمال والأعمال، ولكنه كان يتنجح دائماً في إبعاد فكرة الزواج عن قلبه حباً في أسرته وإيثارة لإخوته، واستوصى بالصبر، لكن أثبت له الأيام أن إخوته أقل صبراً وأبغى بنفوسهم منه

وهيئتها حياً ثانية

(قصّة استحققت يا بني حبيبته)

عن الأخت الحبيبة
بقلم الأخت أذينة الحبيب

اللييلة قد انتهت من تمرّض
السيدة شيد بعد وضعها ولدها
الثالث . وقد تركها هي وطفلها
في حمة جيدة .

وفكرت وأنا أسير في
الطريق في مسكني للريح في بيت
السيدة ميل حيث قضيت الخمسة
عشر عاماً الأخيرة . فكرت

مسرورة في مطبخي التنظيف النير ، واعتزمت أن
أتمشى اللييلة سجعاً وخبيص البطاطس . فذلك الجو
هو الجو المناسب لمثل هذا المشاء .

ولقد كنت دائماً أشعر باللذة عند عودتي إلى
مسكني ، وكان في واجهة الطابق الأول من الدار .
فلما وصلت إلى الباب فتحته وضغطت زر الكهرواء
فناصت غرفة الجلوس بضوء لطيف .

وإذ تلفت لأغلق الباب سمعت صوت نشيج
مكتوم فوقفت أستمع فكان الصوت آتياً من السكن
المواجه لمسكني .

كانت تقيم في ذلك السكن سيدة اسمها مسز
فرائكان استأجرت منذ بضعة أسابيع ولم أعرف من
أمرها إلا الشيء القليل جداً . كانت شابة لا تتجاوز
سنها السادسة والعشرين أو السابعة والعشرين ،
طويلة القامة ملفوفة ، سوداء العينين جذابتهما في
وجه أبيض مستطيل . وقد تعودت أن تصيح شفيتها
بالأجر الزاخي ، وكان ذوقها في لباسها جيلاً بسيطاً .
ولم أشك في أنها حين كانت أصغر سنّاً كانت مفرطة
الجمال . وقد أخبرتني مسز ميل صاحبة الدار أن
الساكنة الشابة تشغل بالتصوير للصحلات ، وتبث

[لم ترد أن تعيش بغير الرجل الوحيد
الذي حرك عوامل الحب في قلبها]

مضى على الآن ثلاثون عاماً في مهنة التمريض ؛
قد أصيب زوجي - وأنا في الثانية والعشرين من
عمرى - بمرض طالت أيامه ؛ فمئيت بتمريضه
طوال المشرة الأشهر التي قضاه في الفراش ، حتى
إذا انتقل إلى العالم الآخر واصلت حياة التمريض .
ولقد خلقت بعض النساء ممرضات بالطبيعة ،
وأنا واحدة من هؤلاء ، وقد وجدت عملاً كثيراً
في بلدة أيسن انجليان التي ولدت فيها ؛ وقضيت
حياتي بين أهلها الذين أعرفهم ، وأستطيع التفاهم
مهم .

وكان الأجر الذي أتناوله قليلاً ، لذلك لم أدرق
مالاً كثيراً ، ولكنني ادخرت طائفة كبيرة من
الذكريات لا تقوم بمال مهما كثر ؛ والآن يعرفني
جميع أهل القاطعة باسم العمة سارة كشنج .

وفي ليلة قارسة البرد من ليالي شهر نوفمبر عدت
إلى بيتي مسرعة ، وكانت الأنواء منبثة من نوافذ
البيوت التي مررت بها . وكنت كلما استنشقت الريح
الباردة شمرت بأن الحياة شيء جميل . وكنت في تلك

الضوء . وقالت :

— أنتفضلين بالدخول ؟

فشكرتها وخطوت إلى داخل الغرفة .

والتفتت إلى ؟ فسقط الضوء على وجهها فغمره ، وكان شعرها الأسود الكثيف مرتباً غير مشوش .

وكان ثوبها الأسود منتظماً في بساطته ، كذلك

كانت عيناها السوداء وان براقتين لا أثر للدموع فيها . غييل إلى أنه يكاد يكون من المستحيل أننى سمعت نسيجهما منذ لحظة .

وسألتنى الشابة في اقتضاب وعلى فيها ابتسامة

رقيقة منتصبة :

— أى شئ أستطيع أن أفرسك ؟

قلت :

— ليس عندي شئ من الشاى . فهل يمكن أن تعطيني ما يكفي قدحاً أو قدحين ؟

فأجابت :

— بدون شك وسأحضره في الحال !

فلما سارت متجهة إلى المطبخ غصت الغرفة بنظرة سريعة لعل أعر على ما يفسر أسباب حزنها كخطاب أو تلغراف مثلاً .

ولكنى لم أر شيئاً غير جريدة المساء ملقاة على الأرض إلى جانب كرسى موضوع تحت المصباح .

وعادت مسز فرانكلن إلى الغرفة وفي يدها علبة

من الشاى . وقالت ملحمة في لهجة سريعة متوترة :

— أرجو أن تأخذنيها كلها فمئدى غيرها !

فشكرتها وأمالا أزال غير راغبة في الانصراف .

فقد كانت روح المأساة تسود الغرفة ، ولقد كنت

على يقين من ذلك . فقلت :

— إن البرد شديد في الخارج .

بالتأذج إلى كتب الأزياء .

وإذ كنت أليفة الروح فأننى لم ألبث على أثر

سكن مسز فرانكلن في الدار أن خطبت ودهابنية

الصدافة ، وكانت الشابة كريمة النفس ، ولكننى

لاحظت بعد قليل أنها لا تريد أن ترتبط بروابط

الصدافة مع أحد من الناس .

فلما سمعت صوت النسيج المكتوم نظرت خلال

فتحات بابها فلم أرأراً للضوء ، فكفرت فيها وحيدة

في الظلام ، وقد تكون مصابة بأزمة مرضية حادة

فأنجى قلبي إليها .

وقلت في نفسى : « إننى لا أستطيع أن أقفح

الدار عليها غير مستأذنة » . ثم خطرتلى خاطر سريع .

فدخلت إلى مسكنى ، ووضعت كيس نقودى على

كرسى ، وخلعت قبعتى ومعطى ، وكانت ساعتى

في هذه اللحظة تدق التاسعة .

ربت شعرى ، واجترت الردهة ، وطرقت باب

مسز فرانكلن فلم أسمع جواباً ؛ فأعدت الطرق

بأشد ما فعلت أول الأمر . فسمعت صوتاً مكتوماً

يقول :

« مرحى ا من الطارق ؟ »

فأجبت :

« إنها العمة سارة » .

ثم قلت :

« أيمكن أن تقرضينى شيئاً ؟ »

فقلت :

« أرجو أن تنتظري لحظة واحدة » .

وسمعت حركة مشيها من وراء الباب المغلق .

ثم انبعت الضوء فجأة من فتحة عتبته ، ولم يلبث أن

فتح في بطء ، ووقفت الشابة كالخيال بينى وبين

فارتجفت الشابة وقالت :

— أهو كذلك ؟

ثم اصطبغ وجهها بلون أغبر ، ورأيت أصابعها الدقيقة تنقلص على ساعدها ، وقد ضمتها إلى صدرها من أثر التألم . فسألها بسرعة :

— أمريرة أنت ؟

فالت نحوى مترجحة ، والتفت نظرانا ، وكان الألم الصارخ يبدو جلياً في عينيها ، ولكنها قالت في لهجة التلق الذي فرغ صبره :

— لا . لا . أنا لست مريضة .

وخيل لي أن عينيها تيمثان بنظراتهما إلى داخل نفسي ، وكأنهما لا تريان شيئاً .

واسترعت الجريدة الملقاة على الأرض نظري ، فني رأس الصفحة الأولى كتبت هذه الكلمات بالخط المريض :

« سيشفق كريج غداً . الرجل المتهم يقتل زوجته بلقى جزاءه » .

ودون أن أفكر في كفاي قلت :

— إذن سيشفقون كريج غداً .

لم أكد أطلق بهذه الكلمات حتى تصلبت الفتاة ونكمت عني كما لو كنت قد ضربتها ، وسقط ساعداها في دفء واحدة إلى جانبيها ، ومال رأسها إلى الوراء ، وخرجت من حلقها صرخة عظيمة مختلفة حبست بين شفتيها الجراوين . وكانت صرخة غير دينوية تجعد لها نخاع عظامي . فأمسكت بكتفيها وهزتها في لطف . وقلت في لهجة الأمر :

— قني هذا يا مسز فرانكلن !

فانفتحت عيناها في بطة ، فكانتا تفيضان بمجزع بمجزع القول عن وصفه . ثم قالت في همس حاد :

— نعم سيشفقونه غداً .

وترجعت الشابة مائلة نحوى فأمسكت بها وأسندتها وأجلسها على الكرسي . ثم لم تلبث أن استولت عليها قشعريرة حادة . فكان الفزع الشديد الكامن في نفسها يهزها في عنف كما يهز ريح الشتاء الناضب شجيرة ضئيفة .

فقلت وقد ألت لحالها :

— سأحضر لك شيئاً من الخمر فلا تتحرك حتى أعود إليك .

واجترت الرعدة جارية حتى وصلت إلى مطبخي فصببت نصف زجاجة من الخمر في قدح وعدت بسرعة إلى حيث كانت الشابة لا تزال ترتجف .

فركزت حافة القدح بين شفتيها وقلت :

— اشربي هذا !

فشربت جرعة أو جرعتين من الفدح ، وفي لحظات قليلة وقفت القشعريرة فقالت وهي كالتائهة :

— شكرًا لك ، وأنا الآن على أحسن حال .

كانت هذه الكلمات إيذاناً لي بالانصراف ، ولكنني لم أصغ لها . وقلت في لهجة الاعتراض :

— لا أستطيع أن أتركك على هذه الحال من المرض ، وأنت تمرفين أنني ممرضة . فامسحي لي أن أبقى معك فترة قصيرة .

فهزت رأسها في إشارة رفض سريرة ، ولكن كففتها لم تلبث أن مالتا متبعتين . وقالت :

— نعم . أرجو أن تبقى معي . لا تتركيني وحيدة . إبقى معي حتى ... الصباح .

قلت :

— ألا ترقدن وتسمحين لي بأن أريحك ؟

فقالت الشابة وكان صوتها الألم الجسم :

(٧)

وما شئت كلات الشابة المنكوبة حتى طوقها
بساعدى وصحت في لهجة المواساة والحنو :

« عزيزتى ! »

وعادت هيلارى تنسج نسيجاً جافاً لا يصحبه
دمع حتى ليخيل إلى الإنسان أنه يمزق قلبها قطعاً
وقلت لها في لهجة الرجاء :

— حديثي بأمرك يا هيلارى ، ففي الكلام
تفريخ عن نفسك
فقلت في صوت متوتر مخنق :

— ولم لا أنكمم ، ليس في تاريخ حياتي ما يبعد
أمرأى خاصاً لأحاول إخفائه ، فلقد قرأ كل من أراد
قصتي منشورة على صفحات الجرائد ، فلماذا أخفى
عن إنسان واحد وجه الحقيقة فيها ؟

وبدأت هيلارى تدرج أرض العفرة من جديد
جيفةً وذوياً ، وكانت عيناها مسبلتين وشفتاها
ترجفان وقد لاحظتها بينما عادت ذاكرتي إلى الماضي
مسرعة تستعرض ما قرأته من قصة هيلارى لي
وما قرأته يلخص في أن هيلارى كانت الابنة
الوحيدة لرجل غني . وكانت بتيمة الأم منذ طفولتها
وكانت فتاة جميلة صلبة الرأي ، تملك المال الزائد جداً
على حاجتها . وقد أذيع أنها غلبت ثلاث أو أربع
مرات ، وقيل إنها هجرت أحد خطابها في اليوم
الذي حدد لعقد الزواج

وقد شملت الصحف وقتاً ما صفحاتها الأولى
بقصة حب هيلارى للشاب الجميل الذي كان يشغل
عند أبيها مراكز رئيس الركبة وهي قصة قصيرة
مكفهرة ، ولقد فصل أبوها هذا الموظف من عمله
وأسرع فصحب ابنته في رحلة في أرجاء العالم المختلفة
وبذلك تلاشت قصة ذلك الغرام

— ترجيئني ؟ وهل أعرف الراحة بينا هو
ينتظر الموت ؟

ثم وثبت ووقفت على قدميها ، وشرعت تدرج
أرض العفرة ذهاباً وجيئة . ثم وقفت أمامي على حين
بغاة ، وكانت عيناها في نظري كالجزيرتين المتقدتين .
وكان صوتها وهي تتكلم أشد فظاعة من عيناها ،
وقد قالت :

— إنهم سيشتقونه غداً . وليس في يدي من
شيء أستطيع عمله لإيقاظه . . . نعم لا شيء على
الإطلاق !

فسألتها في صوت بالغ في الرقة :

— أو تحبينه ؟

فأجابت :

— أنا هيلارى لي

عندئذ أدركت سبب جزعها وآلامها
فقد قرأت ما كتب عن جريمة القتل التي اقترعها
كريج ، كما قرأها كل من يطلع على الصحف ، فقد
شملت الصفحات الأولى من الجرائد أشهراً طوالاً ،
وفي أول الأمر تكرر اسم هيلارى لي عدة مرات
مقترباً بالظروف التي أدت إلى الجريمة ، ولكن في
القسم الأخير من المحاكمة اخفى هذا الاسم فلم يسمع
به أحد

نشرت قصة غرام هيلارى لي القصيرة على
جمهور متمشٍ للأخبار المثيرة ، وأضيفت لها الحواشي
التي تريد الرغبة في قراءتها ، ولكن قصة هذا الغرام
انتهت وطويت صفحتها قبل حادث القتل زمن طويل
ولم يستطع القانون ولا الصحافة أن يجذبا أية حلقة
تربط بين حب نيكولاز كريج هيلارى وبين قتله
امرأته ليلى

لقد جمعت الصحف من جنبنا «أنا ونيكولاز» شيئاً رخيصاً فاجراً، ولكنني في الواقع لم يكن كذلك فقد كان نيكولاز يشرف على خيل أبي شهوراً عديدة قبل أن أحبه، ولم يكن في نظري غير واحد من الموظفين العديدين الذين يعملون في اصطبلات أبي، على الرغم من أننا قد ركبنا معاً مرات عديدة، إلى أن جاء اليوم الذي ذهب فيه لمقابلة أبي في بيتنا الريفي بنيو فرست وقد طلب أبي منه أن يصحبني في السيارة إلى ذلك البيت

ولما اقتربنا من منتصف الطريق دامتنا عاصفة هائلة

فتركنا السيارة وعدنا على الأقدام تحت المطر النهر إلى كوخ على مقربة من الطريق كان نيكولاز قد لمحّه . وطرقنا باب الكوخ ولكننا لم نسمع لظرقنا جواباً، ولم يكن هناك من مكان آخر نستطيع أن نأوي إليه ابتداء المطر، لذلك عاجل نيكولاز قفل الباب بسكين ففتحه . وأسرع فأشعل النار وبخشنا في المكان فوجدنا ملابس جافة، ولم أكن قد رأيت نيكولاز قبل هذا اليوم في غير ملابس الركوب فلما رأيته يرتدي سراويل من الصوف الأبيض وقميصاً من الصوف الأزرق رأيته إنساناً آخر بخالفه الذي كنت أراه

وطبخ نيكولاز لنا عشاء من بعض المأكولات المحفوظة في القبب التي وجدها في أحد الأصونة، وكانت المأصصة لا تزال في عنفوانها، وخيل إلينا أنها تشهد عنفاً مع توالي ساعات الليل، وكان المطر يطرق النوافذ في شدة، وكان عصف الرياح أشبه بولولة مجموعة كبيرة من الشياطين وقال نيكولاز :

وحدث بعد ذلك أن أباهما ادوارد في نقد ثروته ما بين عشية وضحاها نتيجة معلومات خاطئة اتصلت به في أعماله، فلم يستطع الرجل احتمال التفكير في حياة الفقر فاتحتر في غرفة مكتبة بيته في «سوري» وعادت الصحف مرة أخرى تذكر اسم هيلاري في رؤوس صفحاتها

وبعد ذلك تركتها الصحف مطمئنة فترة من الزمن إلى الليلة التي فيها أطلق نيكولاز كريح الرصاص على زوجته في مسكن بوست أند

كان نيكولاز كريح وزوجته متباعدين منذ سنوات، لم يستطع أحد أن يكشف قط عن السبب الحقيقي لارتكاب الجريمة، فمادت الصحف إلى ذكر قضية غرام هيلاري لي ولكنها لم تستطع أن تجد هيلاري لي

ولقد تخيلت هيلاري فتاة متفطرة حجرية القلب، أول تفكيرها وآخره وكله في نفسها، وكان من الصعب أن أصدق أن السيدة الشاحبة اللون ذات العينين السوداوين اللتين تنبعث منهما آلام المذاب النفس هي حقاً هيلاري لي المشعوذة الخداعة . ثم بدأت الفتاة تتكلم في جل قصيرة مقتضبة كما لو كانت كل كلمة تنطق بها فطرة جديدة من الألم الصارخ تمصر من قلبها، وكانت وهي تتكلم تدفع أرض النرفة بخطواتها، ولقد سبق لي أن رأيت حيواناً محبوساً في قفص بخطو مثل هذه الخطوات اليائسة

ولم أقاطعها في أثناء حديثها، بل جلست أصني لها وقلبي يتفطر تألماً لها مع كل كلمة تنطق بها . وهذا ما قالته :

وما كدت ألقظ بهذه الكلمات حتى اختفت
ابنسامة نيكولاز ورأيت شفتيه تنطبقان في خط
متجهم عابس ، وقال :

— إننى متزوج بالفعل يا هيلارى
وسمحتنى أقول صائحة :

— لا ، يا نيكولاز ! لا ! لا !

ولكن خيل إلى أن الصوت الذى يصيح بهذه
الكلمات لم يكن صوتى المألوف
فاقترن حجابيه تقطيعه عجزته وقال في صوت
يقطر منه الألم :

— إننى متزوج منذ أربعة أعوام ، ولم أكن
إلا طفلاً عندما التقيت بليلى ، وكانت راقصة في أحد
المنتديات الليلية ، فخيّل إلى أننى أحببتها ، ولست
أدرى لماذا تزوجت منى فقد ملت معاشرتى بعد بضعة
أشهر من الزواج

ثم ازدادت غنة الألم في صوته وهو يقول :

— أنا لست إلا زوج المصادفة ، فإننا نعيش
أحياناً بيمينين أحداً عن الآخر أشهراً عديدة متتامة ،
ثم ترسل إلى فأوافيها - كالكلب الذى يسير في كعب
صاحبه .

فسألته في بلاهة :

— هل تحبها ؟

فأجاب :

« لا - لا أحبها الآن ، لا أحبها بعد الليلة
الماضية

فصحت عتده :

— كان يجب أن تقول لى ذلك فى الليلة الماضية
فضمى بين ساعديه وقال :

— لقد كانت الليلة الماضية جنوباً - جنوباً عذبا

— يبدو لى أنك مقرورة فدعبنى ألف هذا الدثار
حوالك .

ووضع الدثار على كتفى فابتسمت له ، فإذا به
يضمى على حين فجأة بين ساعديه ، وانذفع يقبلنى
قبلات ما عهدتها من رجل قبله ... قبلات جائلة ...
كما لو كان ذا مسغبة من الحب

ولقد تملقت به وقلت في نفسى : « إن هذا هو
الحب ، وإننى لم أعرف قط ما هو الحب حتى هذه
اللحظة »

لم أعد أشعر بشيء من البرد فلقد كنت
ألهب بنار سرور غريب ، فتركت له شفتى وقلبي
ونفسى ، وقد رأيت أن حق الحياة يقضى بأن
أكون معه في ذلك المكان أغمره بحبى ، بل بدالى
أن ذلك أحق من كل شيء آخر عملته في حياتى
ولما أشرق الصباح أشعل نيكولاز النار وأعد
لنا قهوة قوية . فلما انتهيت من شرب فتجأتنى
ابسمت له في كثير من الإعجاب ، فلقد كان الرجل
الذى لا تحلك أسراة نفسها دون الإعجاب به والافتخار
بقربه . كان طويل القامة يقرب طولها من ستة أقدام
عريض التكوين دقيق الوسط والردفين ، وكان
شعره الكثيف الجعد فى لون القمح الناضج . رمادى
العينين واسمهما في وجه قوى ترينه سحرة مبهجة ،
ورد نيكولاز على ابتسامتى بإبتسامة عذبة رقيقة ،
فلححت برين أسنانه البيضاء القوية
وصحت في لهفة :

— لنزوجه يا عزيزى بأسرع ما نستطيع ،
وستخبر أبى بزواجنا بعد عقده ، فإذا هاج غضبه
— وهو لا بد أن يهيج — فلنمش بعيداً عنه حتى
يعود إلى نفسه ويهدأ غضبه

فقال في بطنه :

— لقد ظننت أنك أحببتني ، بل لقد كنت
واتقاً أنك أحببتني في الليلة الماضية .

فقلت غامضة وقد سحبت معطفي :
« فلتنس ذلك »

وحين وصلنا إلى بيتنا الريفي انهار أبي على
نيكولاز بكلمات الغضب العنيفة . ثم أزعجني أن
سمعت نيكولاز يرد على أبي صائحاً بأنه قد أحبنى

واتصل خبر هذه المشادة بالصحف فخلقت منها
قصة كبيرة ، وقد أمدني أبي إلى لندن في تلك الليلة
نفسها وبعد يومين ركبنا الباخرة في رحلتنا العالمية
ولم أحاول أن أكتب لنيكولاز قبل سفرنا
فقد كنت لا أزال أشعر بالرحم الذي أصابني وكنت
في حيرة شديدة

وفي أقل من أسبوع في البحر فقد قلبت ما أصابه
من مجهود وعاد يشمر بالألم ، فأدركت أن نيكولاز
قد أحبنى حقاً وأني كنت قاسية في صرفه من غير
كلمة أزوده بها

لقد عرفت أننا لن نكون أبداً أحداً للآخر ،
فهو قد أحب ليلى على طرازه إلى الليلة التي أحبنى
فيها ، ولقد نارت نفسي على فكرة الطلاق
وسهرت ليلة كاملة في الكتابة إليه ، فقلت له
في كتابي إنني أحبته ، وإنني لن أستطيع أن أنساه
أبداً ، وتذكرت غيبوبة حبنا وسألته أن يذكرني
دائماً ، وختمت الكتاب بأن طلبت منه ألا يراني
بعد ذلك

وضعت هذا الخطاب في صندوق البريد بأول
مرفأ رسونا فيه . ترى لماذا تضع النساء قلوبهن على
صفحات الورق ؟ لماذا يكتبن كلمات قد تهلك الرجل
المرسلة إليه ؟

جديداً على يا عزيزتي . وإنك لنج من السماء يا هيلاري
ولقد صنعت إليك ولستك . ولن أكون أبداً بعد
ليلة أمس كما كنت من قبل ، لقد ضمت بين ساعدي
النار والثلج وتربة النجم . ولن أدمك تركبني أبداً
ويجب أن تطلقني ليلى ، فهل تزوجين متى متى أصبحت
حرّاً طليقاً ؟

ولكنني قد جرحت في عواطفى جرحاً بالغاً
فاسياً ، فقد كان الفتى رجل امرأة غيرى .

فصحت وأنا أجاهد للتخلص من بين ساعديه :
— لا ، لا ، أنا لا أريد زوج امرأة أخرى ،
لقد كنا مجنونين في الليلة الماضية . نعم كنا مجنونين
وقتما في شرك الغرام . أما في هذا الصباح فقد عاد
إليتنا صوابنا . فلننس ما كان يا نيكولاز ولنبدأ من
اليوم حياة جديدة

فاقترب مني وتناول وجهي بين كفيه وقبلني
في رقة ولطف وسألني :

— أتمتعدين حقاً يا عزيزتي أننا نستطيع
نسيان الليلة الماضية ؟ لقد تذوقت عذوبة تربة النجم
يا هيلاري ، فلن أقتنع بعد الآن بما هو دونها .
وسيأتي اليوم الذي تصيحين فيه لي دون سائر الناس
فقلت له في خشونة :

— لا فائدة فيما تقول يا نيكولاز فلن أتزوج
منك أبداً ، وسأنساك ، ويجب أن أنساك . وكان
ما حدث ليلة أمس لم يحدث قط ، وإني لا أريد أن
تجربى الأمور بيننا على هذا الأساس ولنمد الآن
إلى السيارة !

ثم قلت في لهجة وحشية :

— من يدري إن لم يكن الفتى قد بلغ بأبي
في هذه اللحظة حد الجنون !

الأيام وظن أنه قد يساوي عندك مائتي جنيه
وأخرجت من قطرها كتاباً رأيت على غلافه
طابعا أجنبياً والكتابة التي عليه من خط يدى ...
وقالت المرأة وهي تتدبّر ابتسامتها الوحشة :

— إن في هذا الخطاب مادة ساخنة ، فهل
يمسك أن تنشر محتوياته على الجمهور ؟ وهل تحبين
أن أقرأ لك تذكرة بما فيه ؟

فأمسكت بحجب الكتب ورأتى لأسند نفسى
وصحّت بها ألا تقرأ شيئاً من الخطاب الذى شخص
به نظرى وهي ممسكة به في وجهى . لقد أحبيت
رجلاً في وقت من الأوقات ... أحبته حباً كلياً
وكل جيل له كان مكتوباً على صفحات هذا الكتاب .
والآن يرسل هذا الرجل امرأته لتستبدل بهذا الحب
نقوداً جامدة

ولقد سألت المرأة في مرارة :

— لماذا لم يحضر نيكولاز بنفسه ؟

فضحكت وقالت :

— نيكولاز عامل فقير مسكين

ولقد شعرت كأن شفتى قد بردتا وتجمدتا حين
قلت :

— أنت تطلبين مائتي جنيه ثمناً للكتاب ؟

أجابت المرأة :

— هو ذاك !

فشعرت بأن مرجل النضب يثقل داخل نفسي
وفكرت لحظة في أن أتناول سماعة التليفون وأدعو
رجال البوليس ، ثم خيل لى أنني أرى تلك الكلمات
التي كتبها بخطى منشورة على صفحات الجرائد
فلم أحتمل هذه الفكرة وقلت :

— سأشتري الكتاب

قضيت وأبى حوالى ثلاثة أشهر في رحلتنا بعيدين
عن لندن ؛ فلما عدنا إلى دارنا لم يبق علينا أسبوع
واحد حتى فقد أبى جميع ثروته واختار أسهل الطرق
للخروج من نكبته

تولاني اليأس في الأشهر الأولى بعد موت أبى ،
وكان لى قليل من المال ورمته عن أمى ، فاخففت
عن العالم وعن أصدقائى إلى أن التأمت جروحى قليلاً
وبعد عام من موت أبى استخدمت قسماً من مالى
في أحد حوانيت الملابس بمانشيستر ، ودخلت العمل
باسم مستعار واجتهدت جادة في استئصال حياة جديدة
وفي يوم من الأيام جادت ليلى لمقابلى . ولقد
عرفتها منذ اللحظة التي وطأت فيها قدمها أرض
الحانوت ، عرفتها قبل أن تقول : « وأنا ليلى كريج
فهل أستطيع أن أراك على انفراد ؟ »

كانت المرأة جميلة مكنزة من الصباغ ، وقد
أحالت شعرها إلى لون البلاتينيوم ولكن جذوره
بقيت سوداء ، وقد تصلبت حواجبها بما استعملت
من مواد ، وفي الجملة كانت ليلى شريرة رخيصة
المدن وقحة

أجبني :

« ألك أن تدخل إلى مكتبى ؟ »

فلما أغلق علينا الباب رمقتى من قه رأسى إلى
إخص قدى ولى فيها ابتسامة عريضة وقحة . وقالت
وقددخلت مباشرة في الموضوع الذى جات من أجله :
— مى كتاب قد تحبين أن تشتريه . فقد نزل
بى أنا ونيكولاز في الأيام الأخيرة شيء من المسر
المالى ، فنحن أشد ما نكون حاجة إلى المالى فتذكر
زوجى هذا الكتاب الذى يشت به إليه في يوم من

في الساعة الخامسة مساء
وقد وجدت رقم تليفون نيكولاز في دفتر
التليفون فلما طلبته كان هو نفسه الذى أجاب النداء
فقلت له :

« لا بد لي من أن أراك »

فصاح صيحة أستطيع أن أقسم بأن غنة الفرح
فيها كانت حقيقية صادقة وقد قال :

« أين أنت يا عزيزي فساخضرك في الحال »

نغبرته باسم الشارع ورقم السكن وفي أقل من
عشرين دقيقة كان معي

فما كنت أراه وأسمع صوته حتى بدأ قلبي يرق
دقاً عنيفاً حتى يخجل إلى أنني سأخفق

ولقد رأيت في عينيهِ نغمة الحب حين صاح :

« هيلاري حبيبتي إنني لم أجسر قط على أن

أؤمل في هذه السعادة ، لم أجسر قط على أن أؤمل

في أن ترسلني إلى يوماً من الأيام

فقلت في حرارة :

« اجلس يا نيكولاز ولننته من هذا الأمر ،

فأنا هنا لأشتري صورة كتابي ، فكم تطلب ثمناً لهذه

الصورة ؟ »

لم أكد ألفظ بهذه الكلمات حتى رأيت أمارات

الدشعة والارتباك تملأ وجهه ، وقال في حدة :

« إنك لم تجربيني عم تتحدثين »

نغبرته بما حدث في بضع جل قصيرة صريرة ،

قلت في ختامها :

« ولقد دفعت لأمراك بأنك بالفعل مائتي جنيه وأريد

اليوم أن أنمي الصفقة منك »

وهنا علا اصفرار الموت وجهه نيكولاز ، وقد

كان في خزانة مكتبى ما يزيد قليلاً على مائتي

جنيه ، فعددت المائتين ووضعتها على المكتب ،

فوضعت هي الكتاب إلى جانبها ثم أخذت الأوراق

المالية فعدتها في ثمان ووضعتها في قطرها . ولم أكن

حتى هذه اللحظة قد لست الكتاب ، إذ لم أحتمل

لسه وهي معي في الغرفة

ومشت المرأة إلى الباب ثم وقفت وقالت مكرورة

ابتسامها الفاجرة :

— إنك لطيفة جداً في المعاملة فهل من رسالة

أحملكها إلى نيكولاز ؟

قلت :

— لا رسالة له عندي

وترددت المرأة لحظة وهي ممسكة بأكرة الباب

ثم قالت :

— بهذه المناسبة أرى أن أخبرك بأن لدينا

صورة فوتوغرافية لهذا الكتاب ، فإذا أعمرنا

مرة أخرى فإنني أخشى أن أضطر عندئذ للعودة إليك

ثم اخفقت وراء الباب

فالتقطت الكتاب وبدون أن أخرجه من غلافه

مضرقته لإرباب

وكانت الأيام التي أعقبت هذا الحادث أشبه

بكبوض فظيع . ففي كل يوم يشرق على كفت

أخشى أن تمود . وكلما دق جرس التليفون توقفت

أن أسمع صوتها . ولما لم أعد أحتمل عذاب الانتظار

قصدت إلى لندن لأشتري صورة كتابي الفوتوغرافية

ذهبت مباشرة إلى مسكن صديقة قديمة وكانت

قد خرجت في الساعة العاشرة لقضاء بعض حاجتها ،

فكان السكن تحت مطلق تصرفي إلى أن عادت

فأجابني واعدت :

— أبداً يا حبيبتى .

مرت الساعة وأنا ممسكة بالساعة بين يدي
أحاول بإتسة ألا تفلت منهما ، وحتى في هذا الموقف
بين ساعديه القويين كنت أشعر شعوراً باطنياً بأن
هذه هي آخر ساعة ألقاه فيها .
وقبل أن يتركني وكند لي أنه سيجد طريقة
للحصول على صورة الكتاب . وقال في لهجة الوعد
الصادق :

— فعلى لن تؤذيك أبداً بعد الآن يا حبيبتى .

ثم قال :

— إننى أعرف كيف أعلمها ، وسأعلمها الآن
على أن تترك لي حبيبتي بالطلاق ، ويجب ألا يكون
لك أى نصيب في الموضوع . فانت نجمتي السماوية ؛
فلنمدين بأن تبقى بميدة مهما حدث من أمر .
فوعده ، فقبلني وانصرف .

وعدت إلى مانشستر في الليلة نفسها .

يا لله ! كم تمنيت لو أننى لم أتركه .

لقد انتظرت طوال اليوم التالى أن تأتيني رسالة
منه ، وقد حملت إلى صحيف المساء الرسالة التي كنت
أنتظر . لقد قتلها في مسكنها ثم سلم نفسه للبوليس .
وإنى لأعرف الآن أنه فعل ذلك في ثورة غضبه حين
عنفته بكتاتبي ورففته في وجهه وتهدده أن يجسر
على الاقتراب منها لأخذه .

ولقد أخذه فمكراً وأعدمه قبل أن يحضر رجال
البوليس .

أخذت أول قطار إلى لندن وذهبت مباشرة إلى

أسودت عيناه من شدة الغضب ، وانقلش من جيبه
الداخلي حافظة نقود رقيقة ، وفتح أحد جيوبها
الداخلية ، فلم يلبث أن أحرق بصره بها بينما بدا الجزع
في عينيه ، وقال :

« أنا أعرف أنها شيطانة ولكننى لم يختر لي
قط أنها تفعل ذلك ، لقد ضاع الكتاب ، وأحسب
أنها قد استعانت ببعض أصحابها خفاف الأيدي على
سرقة »

فصحت :

« ألم ترسلها إلى لتبينى الكتاب ؟ »

فأعاد حافظة نقوده إلى جيبه ، وفي أسرع من
لمح البصر انتقل إلى جاني وطوقني بساعده وقبلني
تبلات عنيفة وقال جواباً على سؤالى :

« إلى أجبك »

ثم صاح وقد أحكم تطويقى بساعديه

« سأقتلها من أجل ذلك »

فقلت راجية :

— لا تقل مثل هذا الكلام . فما أبلى ما حدث
وكل ما يهينى أن أراى مرة أخرى بين ساعديك
يا حبيبى

— ما كان أشد شعورى بالوحشة لبعذك ، وكم
من مرة حملت بك ! وما كان أشد تشوقى لرؤيتك ؟
إننى لم أعش قط معها ، حتى ولا ساعة واحدة بعد
تلك الليلة التي قضيتها معها . فأكنت لأتخذ امرأة
غيرك ؟ فما زلت أنت نجمتى التي بها أهتدى يا حبيبى .

فقلت :

— لا تتركى أبداً يا نيكولاز ؟ فما أريد أن

أفترق عنك .

مرفوف تقدمينه له هو أن تبقى بعيدة عن هذه القضية »

وكان مستر لاين يحمل رسائل نيكولاز إلى ويحمل رسائل إلى. ومما قاله نيكولاز : « إن نجوم السماء لا مكان لها في السجن ولقد وعدتني بأن تبقى بعيدة عن هذه المشكلة »

انتهت المحاكمة إلى نتيجة سريعة ، وقد صدمني القرار صدمة شديدة وإن كنت قد توقعت من أول الأمر . فقد كشفت الجريمة بأنها نتيجة الفيرة ، وقال نائب الاتهام: إن نيكولاز قد ذهب إلى ليبي لرجوها أن تعود إليه فلما رفضت أطلق عليها النار في ثورة الفيرة التي ملكت نفسه

وبعد أن صدر الحكم عليه حضرت إلى هذا المسكن حيث كنت واثقة أن ليس هناك من يرفى . ولقد أردت أن أستهل حياة جديدة إذا أمكن إنقاذ نيكولاز

وكنت كلما مررت الأيام تملقت بالأمال تملق جنون ، أما الآن فلم يبق لي شيء حتى ولا الأمل . ولقد كنت أشعر واثقة بأنه سيرسل إلى لأراه مرة أخرى ولكن ما هي ذى الساعات الأخيرة تخفى مندفة في سرعتها ؟ وهو هناك ينتظر الموت الذي يوافيه صباح الغد . وأنا هنا على مسافة أميال عديدة منه أحاول أن أعيش خلال ساعات الليل الفظيعة الربعية وسيكون الصباح نهاية كل منا ، فما أستطيع أن أحييا بعد موته ، ولن أحاول أن أبقي على قيد الحياة . وما أستطيع أن أتركه يموت وحده ، وما هي قيمة الوعد الآن ؟ يجب أن أذهب إليه ، ولا يزال (٢)

مستر لاين الحامي الذي كان يتولى أعمال أبي . فقلت له والزفراء تقطع حديثي :

— يجب أن تنقذه . فقد قتل ذلك من أجل ، ويجب أن أذهب إليه فهو بحاجة إلى : فقال مستر لاين في حزم :

— يجب أن تبقى بعيدة عن هذا الأمر . فإنك لن تفيد شيئا بان دفاعك إليه الآن ، بل لملك بذلك تضرين قضيتي . فأركبي القطار التالي عائدة إلى مانشستر ، وسأعمل يا هيلاري كل ما أستطيع لإيقاظه فقالت راجية :

— أرجو أن تكون دائما على اتصال بي ؛ فبندى بعض المال وسأفك كل ما أمك في الدفاع عنه فوعدني الحامي بقوله :

« سأبذل كل جهدي لمصلحته ، وسأحصل بك يوما »

وهكذا عدت إلى مانشستر ، ولكنني علمت أن فترة اطمئنانى القصيرة قد انتهت ، وأنه يجب أن أعود مرة أخرى إلى الاختفاء

وكانت شريكتي في المتجر راغبة أشد الرغبة في ابتياع حصتي فيه ، فبعتها هذه الحصة وأرسلت ثمنها إلى مستر لاين لإيقاظه في الدفاع عن نيكولاز ، ثم اختلفت من جديد

: ولقد حاولت عدة مرات أن أرى نيكولاز ، ولكن محاولاتي ضاعت عبثا ، فقد كان نيكولاز ومستر لاين متشددين في رفض طلبي . وقال مستر لاين في لطف :

« هو لا يريد أن تزوري يا هيلاري ، وأكبر

في الوقت متسع لذلك إذا أنا أردت الذهاب

عمل يؤديه . فنحن جميعاً أعضاء في مجموعة الدنيا
العظيمة، وستجدن مكانك وعملك يا هيلارى لى ،

والأمر متوقف على شجاعتك وإيمانك
فاتجهت عيناها وقد ملكتنا بأنسا إلى الساعة المعلقة
فوق الجدار ، وقالت منتجة :

— لم تبلغ الساعة الحادية عشرة بعد ولا يزال
الوقت يسمح لى بالذهاب إليه .
فقلت :

— لهم لم يسمحوا لك برؤيته
فصاحت في عنف شديد :
— اللهم رحمتك في « اللهم رحمتك به وبى جميعاً »
ثم وجهت إلى الحديث وقد ملكت عيناها رعباً
فقلت :

— ابقى مى ولا تتركين وحيدة ، فإذا جاءت
ساعة التنفيذ فأمسكى بيدي وادعى الله أن يميتنى
قلت :

— تعالى إلى مسكنى ، يا عزيزى ، فيكون
الأمر أسهل عليك في غرفة لم تتألى فيها مثل ما تأتلى
في هذه الغرفة .

ثم طوقها بإحدى يديها ودفعها خلال الردهة حتى
دخلنا غرفة جلوس فارتحت مترنحة على أحد الكراسي
وهي ترتجف في حال عصبية عنيفة .

حملت حقيبة أدويتي وذهبت بها إلى المطبخ ،
فسخفت ماء وصبت بعض الخمر في قدح ، وأخرجت
من علبة في الحقيبة قرصين أقيتهما في القدح ، فلما
ذابا صببت على الخمر الماء الساخن ، وعدلت إليها
فوضعت حافة القدح بين شفتيها وقلت لهجة الأمر :

وتناولت حقيبة يدها من فوق مائدة صغيرها
وقدشها لتعرف ما لديها من النقود ثم قالت :
« يجب أن أحصل على مال أكثر من هذا .
وستقضى بيني بمض المال فهل تضمنين على بذلك ؟ »
وكانت عيناها راقبتين جامدتين كالزجاج وقد
تقلصت عضلات وجهها في حال عصبية خفيفة ، وقد
لاحظت أنها على وشك الإغماء ، لذلك أمسكت
يديها الباردتين بين يدي وأسندتها بقوة وقلت في
لهجة حازمة :

— اسمى يا هيلارى لى . لقد وعدته وعداً ،
ويجب أن تحافظى عليه . ومنذ بدء الخليقة ضحى
الرجال أرواحهم في سبيل جهنم المرأة . ولن يتحمل
نيكولاز مرارة توديعك له . فاركبه يقابل الموت
كما يريد أن يقابله . دعيه يذهب وهو لا يزال يشمر
بينهم القبلات الساهوية على شفتيه ، وعظمة نجمته
أمام عينيه . صدقيى أنه يريد أن يلقى الموت على هذه
الصورة ...

فبدأت الغثاء تنسج نسيجاً عنيفاً وسألتنى :
وأنا ؟ ماذا يكون من أمرى بعد موته ؟ ماذا
يكون من أمر الند وجميع الأيام التى تمقب الند ؟
ألا فأعلم أن ليس لى بعد الآن مكان في هذه الدنيا .
وليس هناك من به حاجة لى . فلقد كان هو الرجل
الوحيد الذى يعنى بأمرى .

فقلت :
إن لكل منا مكاناً في هذه الدنيا ، ولكل منا

وسحبت كرسياً إلى جانب وجلست عليه أرقبها
وكان وجهها أشبه بقناع من الشمع . وإذا كنت
أعلم أنها ستنام ساعات عديدة فقد اختلست فترة
أرحت فيها جسمي بقليل من النوم

ولما استيقظت كانت عيناها لا تزالان مغمضتين
وكانت مستغرقة في النوم . وساءلت نفسي لم لا تغفل
روحها المذبذبة من جسمها وتعرف بوسيلة ما غريبة
طريقها إلى الرجل الذي أحبته فنواسيه في ساعاته
الأخيرة؟ ورجوت الله أن يكون هذا هو الذي حدث
لم يبق غير خمس دقائق حتى تبلغ الساعة الثامنة
فأمسكت بيدها المترهلة بين يدي ، فقد وعدتها
أن أفضل ذلك ، وشمرت بوحشة السكوت المربع
الذي يكسر القلب ... ثم دقت الساعة الثامنة
فأحسيت رأسي ودعوت الله في بساطة أن
يبارك روحه

وما زالت هيلارى نائمة هادئة ، وقد ألقت
أهدائها السوداء خطوطاً من الظلال على وجهها
الأبيض النحيل

ودقت الساعة التاسعة ، فقلت في نفسي :

— فلأبلغ بشيء من طعام الإفطار

ثم دق جرس التليفون فاختلعت الساعة قبل
أن يبدى مرة ثانية ، وصمت التلسم بقول :
— أنا الدكتور مارتن . أيمكنك الحضور
في الحال ؟ عندي حالة وضع متعبة وأنا محتاج إليك
فأجبت :

— نعم يمكنني أن أحضر حالاً

فقال الدكتور :

— اشربي هذا كله

قالت متوجمة :

— إنني أشعر بالبرء الشديد

قلت :

— سيدفئك هذا

فجرعت الفتاة كل ما في القدر ثم وثبت واقفة
وعادت إلى حركتها الاضطرابية تذرع الغرفة ذهباً
وجيئة ، وكنت أرقبها عن كثب . وقد صاحت في
صوت حقيق فظليع :

— تسع ساعات ... ألا خبريني كيف أحتمل

عذاب هذه الساعات التسع أخبريني كيف أحفظ

بمقل إلى الساعة الثامنة ... والموت !

فقلت وأنا أطوقها بساعدي :

— قوى نفسك يا هيلارى واجتهدي في ألا

تفكرى في شيء

فأغمضت عينيها ومالت على متعبة وقالت همساً :

— أنا متعبة حائرة

ثم ارتجفت وهمست باسم نيكولاز ومالت إلى

الأمام فأمسكت بها وحلتها بين ساعدي

وأنا امرأة قوية وكانت هي هزيلة ضعيفة لحملتها
إلى غرفة نومي وأرقدتها على سريري ، وخلعت
حذاءها وجوربها وزعت ثوبها الخارجي وسحبت
عليها غطاء السرير ، وكان تنفسها إذ ذاك هادئاً
منتظلاً ، وكنت أعلم أنها ستنام إلى ساعة متأخرة
من الصباح ، ومن المحتمل أن تبغضني متى استيقظت
ولكني قد حبيتها المذاب الذي ينزل بها وهي ترتب
عقارب الساعة تدنو من الساعة القاتلة

— مريضتي هي مسز باركرز العصبية وسيحضر
إليك زوجها بعد خمس دقائق
ارتدبت ممطفي وقبعتي وذهبت إلى غرفة النوم
فألقيت نظرة على هيلاري لي فوجدت نومها عميقاً
— سأجمل لها بمض الحساء إذا لم تمودي
فأجابت مسز ميل :



خرجت إلى جو الصباح الفارس فوجدت
سيارة أجرة في انتظاري فركبتها إلى جانب مستر توم
باركرز الشاب ، فقال لي في صوت أجش مرتجف :
— ماري مريضة جداً

هاذا . فهبطت إلى الطابق الأول وطرقت باب
مسز ميل ففتحته بنفسها ، فقلت لها :
— أنا مضطرة للذهاب إلى مريضة متعبة ،
وكانت مسز فرانكلن قد شعرت بالمرض وهي في

فقطرت مسرعة إلى وجهه المتفتح وحاولت
مواساته فقلت :

— لا تنزعج يا نوم

لم يعض على زواج نوم من ماري أكثر من
سنة أشهر وكان زواجا إجباريا وقد سمعت أنهما
تعاركا عرا كما فظيما وأنه هددها أكثر من مرة
بأن يتركها

ولم تكن المسافة بعيدة بين بيتي والبيت الصغير
الذي يسكنه ياركر ، فدخلت إلى الدار مسرعة
وصعدت السلم الضيق إلى غرفة النوم حيث وجدت
الدكتور مارتن منحنيًا على السرير فلما رأيته قال :
— حمدًا لله إذ حضرت يا سيدتي الممرضة ،
فإن الشابة ضيفة جدًا ، وليس في مقدوري أن
أجعل الولادة طبيعية

وكنيت أعرف ما يجب أن أحمل فبدأنا عملنا
في سرعة وسكون حتى إذا سلمني الدكتور طفلًا
قويًا باكيا قال لي في صوت متوتر :

« لا تهتم الآن بأسر الطفل ، فكل جهادنا
الآن في سبيل إنقاذ الأم »

وبعد عشر دقائق قضيناهما في جهد يائس التقت
عيوننا على الشابة ماري وقد جدت حركتها ، فهزرت
رأسي وقلت :

« لقد ذهبت إلى العالم الآخر »
ولما رفع الدكتور مارتن كتفيه المتعبين رأيت
وجهه أغبر مجهدًا ، وقال في بلاء :

« لقد كانت صغيرة جدًا مثل هذا الموقف ،
لقد كانت هي نفسها طفلة »

ثم وضع يديه على عيني ، فقلت مسرعة :

« إنك متمب يا دكتور »

فهز رأسه وقال :

« لقد قضيت في هذه العملية الليلة كلها ، وقد

جئت إلى هنا مباشرة بعد عملية أخرى شاقة »

فقلت :

« إنك لن تستطيع عمل شيء آخر هنا ، فمد
إلى بيتك وحاول أن تنام »

فهز رأسه متمبًا وقال :

« نعم ... أظنك على حق ، مسكينة هذه الطفلة

لقد تخنبت لو استطعت إنقاذها »

ثم مسح شعر ماري بأصابعه في لطف ، ثم سار
إلى الباب . وقال :

— أنا ... ألك أن تخبري نوم ؟

فقلت :

— سأخبره يا دكتور .

وهبط الطبيب السلم الضيق ، وسمته يستقل
سيارته ويسير بها ، فسويت شعر الميتة ، وعشقت
ساعديها على صدرها ، وسحبته النطاء على جسمها
الصغير .

وقلت في نفسي :

— مسكين هذا الطفل لقد كان خيرًا له لو مات
هو أيضًا .

دقت الساعة الحادية عشرة فأخرجت الطفل
من الدار الذي لفته فيه ، وشرعت أدلك جسمه
بالزيت الباقى ، وكان صبيًا لطيفًا قويًا .

فتح الباب ودخل نوم ياركر فقال في تناقل
إلى الجدار وسألني في همس أجش وقد ملأ الجزع
عيني :

— هل ماتت ماري يا عمه سارة ؟

فغلطيت الطفل مرة أخرى وذهبت إلى حيث

وقف أبوه وقلت له في لطف :

— نعم يا نوم، قد ماتت ماري ولكنها قد تركت لك طفلاً ذكراً لطيفاً

فكانه لم يسمع ما قلت له فقال :

— لا بد أن أذهب إليها

ومشى يترشح متوجهاً إلى السلم

وذهبت إلى المطبخ فوجدت إبريق الشاي على الواجهة فلألت قدحا وشربته شاكرة

وبعد فترة قصيرة هبط نوم السلم مبطأاً وكان وجهه الصغير مجهداً ، فقال منهاك عبارته بتهد عقيق :

— هي راقدة جامدة لا تتحرك !

ولقد حاولت أن أواسيه ولكن لم أعرف كيف وبدأ الطفل يبكي عند ما حملته ووضعته على ساعدي يوم قاتلة :

— أحمله حتى أسخن بعض الماء ، وإله لطفك كبير يكاد يبلغ وزنه تسعة أرطال

ووقف نوم أول الأمر يحمل الطفل حائراً ، ثم رفعه إلى قرب كتفيه وضمه إلى صدره وأخذ ينهيه ويطمئنه بقوله إنه أصبح في حضن أبيه . فسكت

الطفل عن البكاء ، وبدأ الأب يظهر إعجابه بولده وذهبت إلى المطبخ فأعدت شاياً جديداً ووجئت

بقطع من الخبز المقدد وعدت إلى نوم وألححت عليه أن يأكل شيئاً ولكنه هز رأسه ، ومد إلى يديه

بالطفل ثم اندفع على حين فجأة في البكاء وقد تقلصت عضلات وجهه وقال :

— يجب أن أتكم مع أحد من الناس يا عمة

سارة !

فجلست أحمل الطفل بين ساعدي وقلت :

— تكلم مى يا نوم

فجلس أمامى وقد تقلصت أصابعه المشددة بعضها ببعض حول ركبته حتى لقد ابيضت مفاصلها .

وانهمرت السموع على خديه وبدأ يقول في حزن عميق :

— إننى لم أحبها قط ، وإله ليحزننى أن أقول ذلك وهى راقدة في سرير الموت ، ولم أكن راغباً

في الزواج منها ولكن لم يكن من ذلك بد من أجل الطفل وكنت أنا اللوم . ولم تكن كلانا نرغب في

الطفل المنتظر ، فكانا صغيرين جداً فلم يكن ينبغي أن يكون لنا طفل فأنا لم أبلغ العشرين بعد وكانت هى

في السابعة عشرة وبعد أن تزوجنا وعشنا في بيت واحد أبغض أحداً الآخر بغضاً شديداً ، وكنا

نشاجر كل الوقت ، ومن أمس الأمور أن يعيش إنسانان معاً وهما متباغضان مثل بغضنا

— ولقد اجتهدت أول الأمر أن أكون لطيفاً في عشرتها فقد كان يحزننى أمرها . ولكنها لم تكن

تترك لى فرصة الاستمرار في اللطف ، لقد أبغضتني لأنها كانت تترقب أن تصبح أما . لقد كانت صغيرة

وجيلة وكانت تود أن تسد بأيام شبابها . وقد اعترمت أن أتركها وأرحل بعيداً على أثر الولادة ، وقلت لها

ذلك أمس فقط .

قلت لها : إننى سأب بعيداً عنك

وإلى لأسف الآن أن قلت لها ذلك . ولقد عبرت لها عن هذا الأسف منذ لحظة وهى على سرير

الموت . ولكنها لم تسمعنى . فعلى أن تعرف بمد الآن أنني أسفت على ما قلت .

وحبست التهنيدات صوت الفتى فوضع يديه على عينيهِ فلما نظرت إليه تألم قلبي لحاله ... إنه حقاً لفتى

بضعة منى ، ولن يأخذه أحد من بين يدي »
 فقلت ممتضة لعلمي بقلة الأجر الذي يتقاضاه :
 — ولكن كيف تربيه يا نوم ؟ كيف تستطيع
 أن تمنى بأمره ؟

فأجاب في صوت ملؤه الجد :
 — سأجد طريقى إلى ذلك ، وقد اعترمت ألا
 أبعد عن بيتي . سأجد المرأة التي تحضر إلى هنا
 مقابل الأكل والسكن . امرأة تمنى بابي العناية
 التي أريدها ، فهل تساعدني يا عمة سارة في البحث
 عن مثل هذه المرأة ؟
 وكانت عبارته الأخيرة مشبعة بلهجة التوسل
 والرجاء .

وعلى حين فجأة كشف الأمر أمام عيني وحلت
 عقدة الخيط الربك ، ووجد المكان والعمل لنى هي
 أشد ما تكون حاجة إليهما . فقلت في لطف :
 « إني أعرف امرأة قد تقبل مسرورة أداء هذه
 المهمة »

فقال الفتى متأنياً في حديثه :
 « لقد قلت الآن إنه حينها كانت ماري فأناها
 ستعلم بأننى أسف على ما قلت ، فأظن أنني لو حملت
 ابني الآن إلى حيث هي راقدة سأكون فخرنا معا
 وستعلم أنني لا أبغضه »

فسألته :
 « أتريد أن أصعد معك »
 أجاب :
 « لا ... فإني أفضل أن أذهب وحدي »

وفي الساعة الأولى جاءت إحدى الجارات لتبقى
 مع نوم ريثما أذهب إلى بيتي ثم أعود . ثم خرجت
 إلى جوف قبر القارس

تمس ! ليس له أهل يحيطون به ، فهو مخلوق وحيد
 لا صديق له وبين يديه طفل عليه أن يمنى بأمره .
 فقلت :

— لقد كنت أنت وماري صغيرين جداً بالنسبة
 للزواج . وأنتما في الواقع لم يبنض أحداكما الآخر
 ولكنكما كنتم تآثرين على الحياة ، ولو أنها عاشت
 لصلحت الحال بينكما . فقال متنهداً :
 « لقد قلت لها أمس إنني أبغض مجرد النظر إليها »
 قلت :

« ولكنك لم تقصد ما قلت ... وكنت واثقاً أن
 ماري تعلم في أى مكان كانت الآن — أنك لم تقصد
 ما قلت »

فتوجع الفتى وقال :
 « أود لو أصدق هذا الكلام »
 قلت :
 « حاول أن تصدقه يا نوم »
 فسألني في لهجة اليأس وقد رفع إلى عينيهِ
 المبرورقين بالسموع :

« وماذا عساني أن أفعل الآن ؟ »
 فقلت في لهجة حازمة :

« يجب أن تواصل عمك . وعليك أن تربل
 الأفكار المحزنة من رأسك ، وتستجد بيتاً صالحاً
 للطفل وبممكنك أن تدفع نفقات العناية به »
 فوقفت الفتى واثماً وأقبل نحوى فأخذ الطفل
 من بين يدي ، وقال وقد زالت عن وجهه نظرة
 الطفولة وبدت فيه خطوط جدية حاسبة :

« هذا هو ابني ، ولقد طردت من بيتي وأنا
 في الماشرة من عمري ، فلم يكن لي قط ما يمكن أن
 أسميه بيتاً . ولكن هذا ابني ... هو ملكي وهو

فضمت يدي بين يديها وقالت :
 - لقد كنت في شديدة الشفقة والرحمة ،
 فساعدني الآن على الحياة في الأيام التي كتبت لي
 أن أعيشها .
 فقلت :
 - إن هناك إنساناً أشد ما يكون حاجة إليك
 ثم خبرتها بقصة توم وماري والطفل الذي
 لا يريد أبوه أن يخرج من بيته ، حتى إذا انتهت
 من قصتي وقفت مترنحة قليلاً وهي تقول :
 - ذلك الطفل الصغير المسكين ! نعم سأذهب
 إليه ، إنه ليبدو غريباً أن يكون هناك حقاً من هو
 في حاجة إلى
 ورأيت عينيها وقد زال منهما أثر الجزع فكانتا
 هادئتين حزبتين لحد يستحيل وصفه
 ثم قالت في بساطة :
 - يريدني نيكولاز على أن أقبل ذلك . فقد
 طلب مني في الليلة الماضية ألا أحزن .
 وأسرت هيلاري في ارتداء ملابسها حتى إذا
 انتهت أحضرت لها قداماً من الشاي ، وقالت :
 - سنتفدى في بيت توم ، ولا بد أن يكون
 المسكين جائعاً جداً .
 وبينما كنا نصمد سلم بيت توم سألتها :
 - هل تعرفين شيئاً عن العناية بالأطفال ؟
 أجابت :
 - أستطيع أن أنم .
 كان توم جالساً إلى جانب الموقد يحمل الطفل
 على ركبتيه ، وكان بكاء الصغير يصمد من طيات
 الدثار الملفوف فيه . فذهبت هيلاري مباشرة إلى
 حيث يجلس وقالت :

ووجدت هيلاري لي لا تزال نائمة . ورأيت
 على وجهها معالم الجلال والسلام
 غسلت وجهي ويدي ورتبت شمرى وارتديت
 ثوباً نظيفاً
 ونحرت هيلاري وتأوهت ثم فتحت عينيها
 وقالت في شيء من الخمول :
 - إنه الصباح
 قلت :
 - نعم يا هيلاري
 غلست وأزاحت شمرها الكثيف الأسود عن
 جبهتها ثم قالت في لهجة مجردة من كل معنى :
 - لقد مات
 قلت :
 - نعم يا هيلاري
 فضمت تقول متمهلة في الحديث :
 - لقد حملت حملاً غريباً . لقد خيل لي أنني
 اجتمعت به وتحدثت معه ، فقبلني وطلب مني
 ألا أحزن . لقد كان ذلك حملاً ، ولكنه كان أشبه
 بالحقائقي حتى أنني احتفظت به ؟
 وتجمع حاجبها في قطب يدل على الحيرة وقالت :
 - أفت سقيني شيئاً يجلب النوم ؟
 - نعم يا هيلاري
 فسألني :
 - وهل علمت أن هذه هي الوسيلة الوحيدة
 التي تمكنني من الوصول إليه ... والجلوس منه
 آخر الأمر ؟ هل علمت أنني في أثناء النوم بنطق
 قلبي حراً فيذهب إليه ؟
 أجبت :
 - إنني لم أعلم ذلك ولكنني رجوة

لقد وجدته في تلك الليلة . لقد وجدته حقاً . ولم أقفده قط منذ تلك الليلة . فهو أقرب إلى مما كان في أى وقت من أوقات حياته . وهذا هو الذى يشجمنى وبهينى الأمل والسلام . وإنى لأعلم أننى سابق دائماً قرية منه . وإنى لأحلم به فى أغلب الليالى وأنا بذلك جد سعيدة

وسأعمل وأنتظر تلك الليلة التى يذهب فيها قلبى إليه بعد نومي فيلقاه وأعلم أننى سابق معه بعد ذلك إلى الأبد

ثم فضيكت فى رقة وقالت :

إننا نسمى ذلك الموت ولكننى أعلم أن هذا الأمر متى جاء إن هو إلا حياة المخلود ...

عبد الحميد محمدى

المجموعة الاولى

للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترفت فتي
المصر لموسيه ، والأديسة لهوميروس ، ومذكرات
نائبى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومنفولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

— إعطاني الطفل . فقد جئت لأعني بأمره ا
وجلس على أقرب كرسي ، وقد شمعت نجاة
بأننى قد شخت وتعبت جداً ، ولا حظت أن عقربى
الساعة قد أشارا إلى الثانية . فقلت فى نفسى :
— سأستنى الليلة بالسجى والباطس .

وبقيت هيلارى لى مع نوم إلى أن بلغ الطفل
السنة الثالثة من عمره ؛ ثم تزوج يوم مرة أخرى
من فتاة طيبة جداً أحبت الطفل حباً شديداً . وغادرت
هيلارى البلدة ؛ فشمرت بوحشة شديدة لها لأننى
قد تمردت أن أحبها .

وغابت هيلارى ستة أشهر . وفى إحدى الليالى
عند ما عدت من بيت بعض الرضى وجدتها جالسة
فى غرفة جلوسى ، فلما رأتنى ابتسمت وقالت :

— مرحى ياسارة ، لقد عدت لأقيم معك
إذا كنت محتاجة لى

قبلتها وقت :

— بارك الله فيك ، إننى لم أشمر قط بوحشة
لإنسان كما شمعت بالوحشة لك .

فقلت :

— إنى أريد أن أعمل مثل عمالك ، فهل تظنين
أننى أصالح ممرضة ناعمة ؟

فقلت :

— إنك تصلحين ممرضة ناعمة جداً للوالدات

قلت :

— إذن قد اتفقنا

ولما جلسنا تلك الليلة نتمشى فى غرفة جلوسى
الهيجة تحدثت معى عن نيكولاز ، فقلت وقد
أكسبها برقى عينها جملاً رائماً :

الأب

لَكَ كُنْتَ الْأَمَانِي وَلِهَذَا سُمِّيَتْ
بِقَوْلِ الدَّكْتُورِ عَلَى حُسْنٍ

في الحصول على شبه الأمومة
ألمو بها
على أن الرغبة كانت في نفس
امرأتى أقوى وأمر، ولكنها
كانت تهرب من رغبته في صمت
وبحال تكاد لا تدرك . غير
أنى لم أستسلم لتحاييلها وتبريها
وربما لم يكن لى إلا الفرقة

التي تدفع الرجل ليصير أباً

وفي النهاية اشتدت الرغبة في المرأة أيضاً
وأصبحت تلح في الحصول على طفل ، ولما لم تنهبا
الطبيعة ابناً وجب علينا بدورنا أن نخدعها كما خدعتنا
فأخذنا نبحت عن طفل غريب

ولكن ما العمل في ظرف مثل هذا ؟

عمدنا إلى مستشفى قريبنا حيث تلد الشابات
أبناء لا يلبثون أن يصبحوا عبئاً علينا . كلا
لا توجد هناك أم لا تحرص على ابنها كل الحرص
رغم كل شدة وضيق

بقي احتمال آخر : وهو أن نرضى بطفل من
هؤلاء قصد تربيته فقط وفي هذا من المخاوف والمخاطر
أن يسترده أهله بعد زمن ؟ وكيف يكون خالى وقد
شفقت به حياً ؟

انتهى تفكيري في الطفل كأمومة وأداة للتلهي
وأصبحت أفكر في طفل يدوم لنا نسمد بنموه
ولا يجبر أحد أن ينزعه منا ، يبق بيننا ويقضى
الحياة معنا ويحبنا حب الأبناء للأباء الحقيقيين

حقيقة قد أصبح لنا في مدى الاثنتي عشرة
سنة من زواجنا كلبان ولكننا لم نرزق طفلاً واحداً
ولقد بدء الكبر على الكلب الثاني من كثرة
التجوال طوال هذى السنين فاستأجرنا منزلاً
كى تكفل له فيه الراحة

لذلك وجب علينا أيضاً البقاء معه في المنزل
ولو أن أقدامنا لا تشكو تمياً بل على العكس تنحفز
كلما بالرحيل وجباً في الحركة . إذن وجب علينا
الخنوع لصيف عملاء بالمطار . وشتاء يكثف فيه
الضباب بينما كان في وسعنا — لولا هذا البيت —
الرحيل إلى الجنوب

هنا ثولت في نفوسنا شغف جديد نحو حياة
أغزر وأوفر من الحياة التي نعيشها . تنوق إلى حياة
تضافه إلى حياتنا ، فضعمنا إلى أسر تافط في الأسبوع
الثالث من حياتنا لم تقو عيناه على شدة الضوء

وأضفتنا إلينا ما طلب من دجاج وخراف أو ماعز
ولكن البيت ينفقه شيء : ينقصه طفل
والواقع أننى في البداية ما شفقت شغفى هذا للإرغبة

لامرأى أخت التحقت بحاشية فتاة ثرية مسنة يجب أن تصحبها في رحلة . ولقد مات زوج هذه الفتاة قبل ولادة طفلها . والآن تريد أن تكل أمر هذه الابنة إلى من تظمن إليهم فسألنا إن كنا نقبل رعايتها لمدة ثلاثة شهور أو لنصف عام . ولم يمض خمس دقائق حتى كان الرد في صندوق البريد بالواقعة

موافقة ليس فيها تحفظ ، وقد غلبنا طيش المفاجأة فلم نفكر في صعوبة انتزاع الطفلة من بيننا بعد ربع أو نصف عام . لقد قبلناه اقتراحاً منقذاً لنا مما نحن فيه من اضطراب عائناه كغلبية لصوت القدر . وعلى كل حال إن هي إلا تجربة نتعرف بها حال طفل غريب بيننا ، وكيف نوفق بيننا وبين هذه الطفلة في هذه العلاقة الجديدة

جاءت الأم بالطفلة ، وتكاد تكون الأم أيضاً طفلة ، شقراء وضاعة الوجه باسمة كاللاك . وكانت طول يوم الفراق دأمة الابتسام فتفتر عن ثنايا جميلة يبدو معها جانب من اللثة . بقيت معنا هذا اليوم تقود لنا طفلها في كل تصرفاتها وعاداتها ، وتحدث إليها وتفتي لها ، ثم تنظر إلينا كي ترمق فينا عين الرضاء .

رضى ! وأى رضى ! لقد كنا نرمد من فرط النشوة . وبقينا نرقب اللحظة التي تفرقنا فيها الأم وتبقى لنا الطفلة وحدها ، وكنا نأخذ التعاليم الدقيقة في عمن ونفهم شئون التغذية وطريقة حمل الطفلة والعناية بها .

أنعجب ! لقد ظهر أن زوجتي مدركة كل أمور الطفلة كالأم تماماً ؛ إنني لم أرزق طفلة فحسب

حقيقة أمرنا أن شغفاً قوياً ملك علينا مشاعرنا ، نريد أن نغمرنا حب طفل . حب إنسان لا تتغير ولا تبدل مشاعره نحونا شأن الأصدقاء الذين صافيناهم وفقدناهم . نريد حياته وحظوظه متصلة بنا لنكون وحدة سامية وسط هذه الحياة المملوءة بالبعض الجملة الصماب والتعاب

أيقال: عديم الأبناء عديم الموموم ؟ إننا نريد هذه الموموم ! لقد أصبحنا لا نتمثل للناسفة في الحياة إننا بنى الحياة كاملة بهمومها وآلامها وأيضاً بسعادتها

نصفحتنا الجرائد فوجدنا بين الإعلانات عدداً ليس باليسير من الأطفال قد عرضوا كسلمة تباع وأعلنوا عنهم بين المقار والأثاث والآلات المستعملة . وإن تعجب فعجب لمن يتناولون أموراً لا تكون في متناول أى إنسان : أعنى حظوظ البشر

ولما كثر علينا العرض أصبح لنا أن نتخبط وندقق في الانتخاب

حقاً لقد صرنا نتخير وندقق بيننا غيرنا من الآباء يقبلون ما وهبوا من بنين ، وهم بما وهبوا سعداء حتى ليعلم الآباء الحقيقيون بأبنائهم المرضى أو المعجزة أو الممي بحنان وعطف خارقين

أما نحن معشر الآباء التبنين لا نعرف لرغائنا حد الاعتدال . إنما بنى سوى طفل كامل الصحة قوى البنية تام التكوين فتنة في جماله . فنحن نتطلب من دنيا القناص كالأل ليس في مالنا

ولما أضنانا البحث والتفتيق طوال ستة شهور أقبلت القادير في عوننا

ولقد حمدنا الله كثيراً أن انتهى الفراق بهذه
الوداعة .

ولكنها ما وصلت إلى باب الحديقة حتى لاحظت
وأنا أراقبها خلف النافذة بناظرى أن خطاها بدأت
تتمتر فكأنها أخذت تستيقظ من حلم . وبدأت
تشر بيدها الخالية وكانت تحمل طفلتها قبل هنية،
ثم حولت وجهها نحو الطفلة مرة أخرى ولكنها لم
ترها فقد اختفت خلف جانب من البيت وتأبعاها
ناظرى وهي تسير في صحبة زوجتى بخطى خائفة
كالذين يعيشون في نومهم وهي تعتمد بكل خطوة
تخطوها عن طفلتها وشاهدت أكتافها تهتز هزات
عنيفة نتيجة بكاء مكثوم

لا أعجب في الوجود من محكوم عليه بالإعدام
يحرك قدمه ويسى إلى مكان خفته بنفسه

هنا عمى شعور من الحياة عظيم . هنا بداية
للألم كبير

لقد تظاهرا جميعاً كأن كل ما في الأمر مرور
ربع عام ولكننا نعلم في خفايا أنفسنا أنه وداع أبدي
وفي هذه اللحظة فتحت فى لأصرخ خلف الأم
لأقول لها : « قى لا شأن لى بطفلتك »

في هذه اللحظة انطلقت صرخة صادرة من الأم
ليست من أصوات البشر بل صرخة حيوان

لقد استحال إشفاقى إلى حنق فما سمعت إلا
اتهاىلى، إلى لأتوارى خجلاً أمام جيراني، ألم يكن
هذا هو القدر الصارخ الذى اغتال أباهما

والآن يحتل مكان الوالد آخر . أنا ذا الذى
يحتل مكان الوالد وبذا أكون قد أدبت عملاً جليلاً

بل وهبت امرأة في حال جديدة ، والأمر الوحيد
الذى لم يكن في استطاعة زوجتى القيام به هو تفضية
الطفلة من نديها ، وبذلك وجب على أن أنازل عن
هذه الصورة الخالية من الحياة

ترقد الطفلة في الحديقة في عربتها الزرقاء
الخشبية التى اشتريناها بمجرد حضورها ، وهى الآن
ناعمة قد حولت وجهها إلى الجانب . وقبلما كانت
لا تحركنى قوة لمشاهدة رضيع ولو هنية قصيرة .
والآن وهبت العين التى ترى المعجزة التى يحملها
هذا الوجه الذى لا زال يحوى ضوءاً من أضواء
العالم الذى أتى منه ، وإنى لأشعر بإشفاق يتملكنى
إزاء هذه المخلوقة العاجزة التى لا يدرك سوى الله
أى المتابع تنظرها ، كذلك تملكنى الشعور القوى
بأن أتمدها بمحايى وأدود عنها .

صه ! هناك ساعة الكنيسة تدق السابعة .

هت الأم لتتجه للرحيل فى صمت وجود وفى
شئ من السرعة ، لأن الطريق إلى المحطة طويل .
وعادت إلى الحديقة والقبعة على رأسها وقد لبست
معطفها الصبغى وأقبلت تودع ابنتها

يكاد وجه الصغيرة يهبط بين ثنيات الوسادة
وبقيت زاوية صغيرة من وجهها لتطبع الأم
عليها قبلتها . ولم تحاول أن توقظ الطفلة كي يكون
الفراق هيناً . ولم تبلل عينيها دموعاً واحدة ؛ وكل
ما حدث أن جانباً من فمها حوته تشميرة فيها شئ
من المرارة

ثم قالت وهى تبتمم ابتسامها وهنة « بعد ربيع
عام ! »

- ٢ -

هذه الرواية التي تخليق بموضها

وبعد زمن هيئنا للطفلة خظيرة : سيبجا من الخشب مربع الشكل فيه تتحرك جالسة وهي تستخدم كلتا ذراعيها كأداة تخرج بهما وكأنها عاتمة تسبح بهما من مكان لآخر

ولقد عجبتا كل العجب حين وجدناها في يوم من الأيام فوق الأعشاب خارج الحظيرة . لقد نهضت وعمدت إلى الفلق وأزاحتها فانفرج وهذه أول ظاهرة ليقظة الذكاء ! والجليل الطريف أنها استخدمت للتخلص والحرية

لقد أصبح في غير المستطاع حصر قوة الحركة في الطفلة في هذا المكان الخشبي الضيق فقد طفت على معقلها وطفقت تجوب الأنحاء طورا هنا وطورا هناك ، تتحرك وفي جبينها كلب وقط إلى أن تصل إلى سور الحديقة ، ولا تتداه كقوة لا قلب ولكن إلى متى ؟ ومتى تقتحم هذا الحصن أيضا ؟

إن بين الأطفال والحيوانات لعلاقة غريبة ... تعذبها وتضع أصبعها في أعينها وتجذبها من آذانها وأذنانها ، وكثيرا ما تصبح هذه الحيوانات من من فرط الألم وتقر ، ولكنها لا تؤذي الطفلة ولا تلبث بعد قليل أن تعود إليها . ولم يكن تعذيب الطفلة للحيوان عبئا إذ لا بد أنه من قصد يمت إلى غريزة لا تدرك في الخلق من بداية نشأتهم ؛ ولا بد أن الحيوان يشعر نحو هذه المخلوقة بشيء من التيمية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تحس وتخضع للقلية البشرية فيها

كنا إذا تحدثنا إلى الطفلة - ولو أنها لا تفهم ما نقول - نفقتا أنفسنا : أمأ وأبا . وهكذا

ربما كنت الوالد الوحيد الذي يستطيع أن يقول من طفليته ما أجملها وإنها أجل مخلوقة في العالم ، أستطيع أن أقول ذلك ولا أكون موضع سخرة لأني حين أبهر لرأى هذه الميونة النحيفة قليلا ، وأفتن بشعرها المحكم وبهذه الأيدي الدقيقة الصغيرة ، إن فعلت ذلك لا أسخر من نفسي فليس لي شخصيا فضل في ذلك

لا يوجد في دم الطفلة ذرة واحدة تنفرها منا ولا بد أنها شاعرة بطيب الميش بيننا كما لو كانت مع أمها . بل هي الآن أسعد حالا إذ بدلت قفام المدينة بدنيا ملؤها الشمس ، واستماضت أرضا مغطاة بالأسفلت بأخرى تكسوها الحشائش . ولقد أخذت الطفلة تنمو وترعرع وتفتتح بعد أيام قلائل . وكثيرا ما تركناها عارية فوق الأعشاب وبذا اكتسبت بشرتها سمة جميلة

وكثيرا ما توافد علينا الجيران - وقد اكتسبنا تقنهم - ويقولون وهم يبهطون برؤوسهم إلى الطفلة : « لقد صادفت الطفلة هنا مقاما رجيا »

وحين تكون في الفضاء تجلس وتتلقي في الهواء بكلتا ذراعيها ، وتحدث ولو أنها لا تستطيع أن تنطق بكلمة واحدة ، إن هي إلا أصوات ومقاطع تطول وتقصر ، وحيثا ترتفع وحيثا تهبط ، وكأنها تسامر وتحدث إلى جمع لا يرى من المستمعين وكثيرا ما يقاطع الحديث ضحك فكه عجيب ، أما ذراعاها فكانتا نارة تتدنان نحو السماء وتأتيان بحركات فيها ازدياء واحتجاج غير مسموع ، وطورا تجمع هاتان الذراعتان الدنيا كلها بينهما وكثيرا ما وقفت في جانب من البيت لأشهد

وأنها لا تبكي قط ، فأجبتها على الفور في غير وعي :
« لقد أخذت هذا الطبع عنى ! »

لقد زال من فكرى كل ما يذكركنى بالوالد
الحقيقي للطفلة . ولما استحضرتها لها قدحاً للشرب
منه اللين نقشنا عليه الحرف الأول من اسمها إلى
جانب الحرف الأول من اسمى ، وحين قيدنا اسمنا
في قاعة الضرائب ووجب ذكرها قيدتها بلا تفكير
إلى جانب اسمى

أنا خطاب من أم الطفلة ترجونا بل تتوسل
إلينا أن نستبقها عندنا . ولقد أهملت الرد على هذا
الخطاب لأن بقاء الطفلة عندى مسلم به لا شك فيه .
أنا لن أفرط في هذه الطفلة إلى الأبد

إن هذه الطفلة تخلصى بقوة إيمانى وبقينى

— ٣ —

بعد حين حدث أمر أفرعنا
خرجنا مرة تمشى ، وفى أوبتنا سمعنا بكاء الطفلة
عن بعد فسمعنا إليها سعيًا فوجدنا الخادمة تضربها
بفصن شجرة وتقول لها : « أيتها القبيحة » ولم تبتد
الخادمة أى اهتمام ، وادعت أن الطفلة كانت تبكي
ولا تريد أن تقف بيكائها عند حد وإنما فعلت
ما فعلت لإسكانها . ولما أبتناها قالت : « ماذا ؟
ليست الطفلة طفلكم وليس للطفلة أب »

أى شخص نطق به الفتاة ! أتخضّر طفلتنا ---
ولا تعرف بأبوتى ؟ من هذا الحين أصبحنا نحشى
ترك الطفلة فى البيت فوضعت توأ مقعداً أمام دراجتى
وبذا أصبح فى الإمكان أن تقطع ملى المسافات
الطويلة بين الأجرأ والوديان لتبسم العالم وتنقى له
ولقد بدأت الشكوك تتولد فى نفسى نحو أهل
القرية فى أنهم إنما يضمرون لى السوء ، وجعلت أجد

كنت أنت نفسى فأقول للطفلة : « أتريدى الذهاب
إلى مكتب البريد مع أبوك ! »

وما تحركت قدماى إلى مكتب البريد إلا والطفلة
معى . لأننا نسير فى طرق ملاءى بالخوانيت وأمام
الخوانيت تقف الناس ، فأحمل الطفلة فوق ذراعى
وأسرهما خلال المزارع ، ثم أخرج إلى الشارع
الرئيسى بخطى صرنة ، وأشعر وكأن كفتى زودنا
بجناحين والكل يفوه بكلمة الإعجاب ، وتبر النساء
بأيديهن فوق شعر الطفلة الحريرى الأشقر الناصع
إلى حصد البياض ، وحيناً تقف بعض الفتيات
المجتولات وينممن النظر فى الطفلة وفى ، ويدهسى
أن يحسبنى الوالد الحقيقى وهذا ما يجملنى أزهى وأباهى .
وحدث أن وقت إحداهن وتناولت يد الطفلة
وتحدثت عن وجه الشبه بين الطفلة وبينى !

بدأت أنسى شيئاً فشيئاً أن هذه الطفلة ليست
طفلى وأخذت أشعر بغضاضة وإيلام حين يذكر
الناس أن الطفلة وجدت بيننا مكاناً رحيماً . إننى
لا أريد أن يذكركنى أحد أن للطفلة مقاماً أو موطناً
فى أى ناحية أخرى . وحيناً كنت أفرس فى المرأة
لأرى وجه شبه بين الطفلة وبينى . فكثيراً ما يصبح
بمرور الوقت بين الزوجين شبه ، وبين الصديق
والصديق شبه ، حتى الكلاب تحمل من ملامح
سيدها شيئاً ...

وكثيراً ما كنت أرحل بدراجتى ومعى الطفلة
إلى البلدان القريبة حيث لا يعرفنى أحد ، وهناك
أستمع بزهو الوالد دون أن يعكر على أحد نشوتي .
وأصبحت أتحاشى المرور من الشارع الرئيسى حتى
لا يذكركنى مذكر يمر كزبون أبوتى . ولقد أظرت
أمرأتى مرة طبع الطفلة الروح وخلقتها الهادى

وكانت «لو» ملاك الشاطئ* الرقيق الصغير وأنا الوالد الذى يتقبل الاطراء والتهاني في مداعبة وبساطة أجندت التظاهر بهما وفى الليل أنططجع بقلب خائف من فرط الطرب بسمادق ولم يكن الشعر الأشقر وحده الذى اجتذب قلوب الناس في «لو» فقد كانت على الشاطئ* ممثلة أسوجية بطفلتها التى سادقت «لو» وقد حدث لطفلتنا أكثر مما أسمح به فاما المحنت ورؤوس السيدات إلا «للو» ولا قبلن غير «لو» ولا حملن فوق أذرعهن سوى «لو» ولا كانت الهدايا إلا «للو» ولقد كان بين التزلاء زوجان لم يرزقا ولدا مثلنا انها لا على «لو» بالحلوى والحلى واللعب إلى حد اضطرنا إلى منعهما في شئ من الشدة، كذلك وجب علينا أن نقي لطفلتنا من الاطراء والألفاظ الحلوة للمفسدة للصغار ففترنا بنقض الناس الذين بدأوا يحققون علينا حقنًا مصدرة الجسد

هنا شعرت بانتصار وزهو يترايدان ولو علم الناس الحقيقة |

في هذا الحين بدت سحابة قاتمة في سماء حياتي الجديدة إذ كلما كانت «لو» في جمع من الناس الغريباء وأردت أخذها من بينهم بكت وقد كانت إلى هذه الآونة طفلة بنير عبرات؛ وكانت إذا سقطت على الأرض تضحكت ولا تعرف للضحك نهاية

والآن تبكي بكاء عجيبي في هدوئه، عجيبي في طوله. وأعجب من هذا أنها تقوس أصابعها الصغيرة وتعمل بأظفارها رغبة في إيلاى

لقد أذهلني بكأؤها الذى لا أفهم كنهه كما أذهلني هذه الرغبة الجديدة في إيلاى

في كل كلمة قيلت غرضًا مقصودًا، وبقيت في هياج شأن كل حياة تحوى كذبًا

ليس هناك ثمة دليل على أن الناس لا يمترون الطفلة الاعتبار كله. على أنه ليس هناك أيضًا أدنى شك في أنهم أرادوا إيلاى. فقد كشف لهم عن موطن الضمف عندى، وهذا أمر كائن في طبيعة البشر؛ ويادى بدء باتون ما يفعلون حيا في الرذع، ثم حيا في المداعبة؛ وفي النهاية حيا في الإيذاء للإيذاء فهم يمدونني تمذيب الطفلة للسكر والقط يسألون الطفلة عن أمها وهي لا تدرى مايقولون ولكن إلى متى تبقى لا تدرى

لا بد من اخلاص من هذه القرية حيث يعرفنا كل إنسان إلى مكان تكون فيه غرياء يتحول كذبي فيه حقيقة

— ٤ —

تدعونا رقة الطفلة إلى الرحيل للبحار وأقربها منا البحار الجنوبية، إذن هيا إلى البحار. هناك عشب صنيرة من الخشب يجلس الناس حولها طول النهار فوق الرمال وينطى التليان أطفالهم بالرمال فلا يبدو منهم سوى الرأس وهذا ما فعلناه مع لطفلتنا كي يقوى جسمها بهذه الوسيلة

ولقد وجدناها مرة تلهو بالرمال بمجرب وإناء فأغمضنا أعيننا من ضوء الشمس؛ وبعد ربع ساعة اختفت فهممنا في خوف نبحث عنها فالفيناها في جمع من السيدات والسادة التليان قد سدوا بها وبشعرها الأشقر.

وكما سئلت الطفلة عن اسمها أجابت «لو» وبذلك احتفظت بهذا الاسم الذى أعطته لنفسها

— ٥ —

جاءت الحرب

وقف الناس على الشاطئ* في لباس الحمام
والصحف اليومية في أيديهم
إذن وجبت علينا المودة

وكنا نسمع سنابك الخيل تصطك بالأرض
وكانت هذه أول ظاهرة مروعة للتعبئة

ولقد وقف بنا القطار في كنستانس ومن ثم
وجب علينا الانتقال إلى ألمانيا سميًا على الأقدام

وكانت النساء السويسريات وأطفالهن معهن
يشهدن بميول باكية الرجال الألمان الساعين إلى الموت.

وكنت أحمل طفلي فوق ذراع وجميتي بالترع
الأخرى. ولذلك اختصني إشفاق معظم الناس، وهنا

كنت أستمرى* لذة الأوبة في معنى ما كنت أتوقمه
ولقد استقبلتني زوجتي وابنتي على المحطة لدى

أول عطلة لي في الجيش. ترى هل نستنى «لو» ؟
كلا . وإن أنس لا أنس التعبير المرتسم على

عياها وهي تطل على لأول وهلة ، هذى المخلوقة
الرفيقة الفخورة أن لها أبا كما كنت غفورا لمكس

السبب .
ولكن بما هذا البحث والفحص اللذان تقوم

بهما عيناها ؟ هل بدأت سورتي تنصف في غيبتها
مدة غيبيتي ؟ وبدأت سورة والدها الحقيقي تمثل أمامها

ومصدر هذا اللام غامض أثاره حنين الهم ! ترى هل
شعرت بخيبة بعد طول الانتظار ؟ وهل من أجل

ذلك كان جودها وسكونها في البيت
صاحبة طفاني رغم تطلق لها ؟ غير أنها كانت

تبرم مني وتجدد أمي وتعرض عني وتعمد إلى
هراسها حيث خلقت لنفسها بينها عالم غير عالمي

وفي المساء تبيكي بكاء عجيبا طويلا لا يؤثر فيه المطف
إلا أن يزيد في اشتداده

إن بكاءها موجه إلى المجهول ، إلى الأب الذي
تشعر به شعورا غامضا .

هل هو يناجها من عالم بعيد عن تصورنا ؟
وهل ينيطي على امتلاك الطفلة ؟ أجل إلى لأشهر

بمدائه لي وقد بدأت الغيرة تجذ مني غذاء شهيا ...
وهذه لا نلت أن تتحول إلى بغض طائش .

ولقد عمدت إلى صورته فأقصبتها حتى لا يتسنى
للطفلة الوصول إليها حتى بعد سنوات . سوف يأتي

الوقت الذي تقص عليها فيه قصته وتذكر لها أنها
ليست من دمنا وأنهم لم تكن سوى ربيبة . ولكن

لا عجلة في ذلك .

— ٦ —

وضعت الحرب أوزارها وسقط المارك ووصلت
أسعار الحاجات إلى الأرقام الخيالية وعاش المضارب

والفلاح في ثراء ورغد ، وعانت الطبقة المتوسطة
ما عانت ، فكانت « لو » الضوء والأمل والسعادة

التي تنسينا هم العيش ، وقد وصلت إلى السن التي
يجب أن تذهب فيها إلى المدرسة .

قالت زوجتي : الآن حان الوقت الذي نرفع لها
فيه النقاب عن أكنوذيتها .

قلت : إذن نكون قد أوجدنا سببا لسخرية
الأطفال من « لو » وكيف تتحمل الصدمة ؟

إن الذي يقودها إلى المدرسة ليس والدها الحقيقي
ككل الأطفال الآخرين . غير أنني كنت أخشى

في نفس الوقت أن أقصد حبها بهذا التصريح .
صارت تسمى كالعطير في خفة ورشاقة إلى المدرسة

مصدر هذه النظرة، وإذ يلتقي ناظرى بنظر هذه المرأة في هذه الآونة يحمّد كأن فكرة ممّدية تمنّاهما والكارثة الكبرى أن الطفلة أخذت عن المرأة الجرد الذي جعلها جامدة إزاء كل كلمة أوجعها إليها، وهذا ما أقام بين عائلها وعالي سياجا. وحيناً ألحظ في وجهها عداوة وصرارة ظاهرتين يتبعهما بكاء هادئ طويل لا ينتهي إلى منتصف الليل إلا حين تجلس امرأتى إلى حافة سريرها وتضم الرأس الأشقر إلى صدرها في سكون

وبعد عام انخفت «لو» لنفسها صديقاً وهو طفل في الحادية عشرة من عمره عليه سياء أهل الجنوب وجدت فيه المثل الأعلى لتخليتها، وقد وفد إلى قريتنا لقضاء عطلة الصيف بها ولا يوجد في الوجود سواء من أخذ من نفسها هذه المكانة من الاحترام والتجعة، كما لا يوجد مخلوق تتق بكل كلمة منه غيره، وهو الوحيد الذي له سلطان عليها. وهنا أيضاً وجدت في الطرف باحثة في الوجه الجديد ... هي تبحث عن الوجه الغامض في غيبتها لتبين وجه الوالد الحقيقي. والمعجب أن وجه هذا الطفل الأسمر الواسع العينين بسياء أهل الجنوب، يطابق وجه والدها البت تماماً - مع أن الطفلة لا تعرف عن والدها شيئاً - ولقد أصبحت في محبة هذا الطفل هادئة بتألاؤه وجهها في سعادة نفسية دخيلة وكأني بها امرأة صغيرة قد ملأ الحب نواحي نفسها فبدت برشاقة لا حد لها، وكنت أشعر بسعادة لرأى هذين الطفلين جالسين متعاقبين على مقعد طويل يتحدثان بصوت خافت؛ ولم يداخلى - وإيم الله - غيرة ولا حاولت أن أضع ما يدور بينهما من حديث، وشعرت كأن جانباً من جزيرتي

(٥)

رغم جميعها الضخمة التي تثقل عاتقها. وكنا نجلس مساء في شرفة المنزل الخشبية نعرف بالقياس ونغنى وأخفت صوتى حتى يبق صوت «لو» عالياً جلياً فتفتى في عذوبة كنفريد البلابل. ترى ماذا عانت هذه الروح الوديمة حتى يصدر غناؤها مرتمد الرنين!

بدأت أشعر كأن نفسى في قرارها تنفى مأخوذة بقوة فائقة خفية وكأن قدى بدأنا تسبحان خفة وطرباً. لقد جعلت الطفلة منى رجلاً طيباً أواه، لقد عاودنى الوسواس بفقدانها. وأصبح الكذب لا يجدى شيئاً

لقد وجدت لوزملاء اللعب وإنه يسرق أن أراها وسط الأطفال ترقص وتمرح بينهم والمعجب إذا حان الرجل وانصرف الأطفال عنها كانت لا تطيق البعد عنهم ولقد روعى عنادها وتعلقها بالأطفال حين انصرفهم عنها

ولقد نفر الطفلة منى تطرف في حبا الذى وقعت فيه كي أرضنها فقد أحست لأول مرة ما يخفى هذا الحب من اضطراب وأصبحت تقابل عطفى وإشفاق لأول مرة بشئ من التمتع والجفاء. ولقد باغت الطفلة مرة وهي تفحصنى بنظرها خلسة فحساً وإنها لنظرة لا يمكن محارقة أن تلقى على والدها الحقيقي وخاصة في هذه السن في عالمها الثامن

والصبيبة أن والدها إحدى سويحيات «لو» أحست أن هناك سرّاً خلف علاقتى «بلو» ولقد لحت هذه المرأة وهي تفحصنى بنظرها فحساً، وهذه هي نفس النظرة التي اكتشفتها في «لو» والآن أعلم

« ليس بينك وبين لو شبه » إذ شمعت أنها قد جرحتنى جرحاً قاتلاً فطردتها من بيتي .

— ٧ —

لقد انتابتنى حمى في الأعصاب لأأفهم لها سبباً وبعد ساعة من الإصابة كنت في عربة المستشفى و « لو » في صحبتي تنظر من نافذة العربة ولا تفهم للرحلة خطورة فلم تكن لها سوى زهرة سريعة . ووجب على زوجتي أن تبقى معي ، وتركنا لومع الخادمة في البيت .

في هذا الوقت كانت لو في الخامسة عشرة من عمرها وقد وجدت مدة غيبتنا شاكاً تملقت به وجعلت له من منزلنا موطناً رحباً يدخل ويخرج ويأكل ويشرب كأنه في بيته تماماً . وكنت أقول لها « كل ما نملك لك » فكانت تهب هذا الفتى - وكأنها في حلم - كل ما يصل إلى يديها مأخوذة بنزعة حب الإعطاء . أما الشاب فكان من العاطلين الذين لا يصلحون لشيء

ولما خرجت من المستشفى وعدت إلى البيت كان الفتى في انتظارنا لدى الباب كأنه منا

يا للغربة ، ياله من أمر لا يدرك كنهه ، هو إنسان جديد أسود الشعر أسمر اللون بسياء أهل الجنوب . ألا يشابه والد « لو » كل الشبه ؟ أليست له نظرتُه تماماً ؟

لم يكن من سبيل إلى إقضاء هذا التمثل من بيتي سوى استعمال القوة ...

فصرخت له صرخات كأنها جنت جنونا . وانتابتها هي أيضاً حمى في الأعصاب

نحو هذه الطفلة قد حل عني وقد كان هماً يملأ صدري غماً يخف عني

ولما فارقنا الطفل اصططحبته « لو » إلى الحطة دون أن يبدو منها ما يشعر أنها تفقد من سعادتها شيئاً .

ولكنها بعد حين وقد أصبحت وحيدة بيننا وقد بمد القطار في ناحية قاصية وبدت لها القرية كأنها غاوية ، هنا مالت الطفلة برأسها على المائدة وصرخت صرخة عالية وهذه نفس الصرخة التي تمت إلى الحيوان التي نفتشها أمها عند وداعها لها

ثم نطقت بالفاظ كأنها في قوتها من أساطير الأولين ، أفاظ ما كان يدور بخلد إنسان أن هذه الطفلة تقوه بها ، قالت صارخة : « لماذا وجب عليه الرخيل ؟ لماذا لا يبقى هنا ؟ الأشجار باقية ، وكل الناس باقون . لماذا وجب رحيله هو ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ ! »

كذلكي يتفطر شعوراً بجررتي وإعني فأنا الوحيد الذي يعرف أن هذه الشكوى صادرة إلى الوالد المجهول

تم الاتفاق أن أعلم « لو » حقيقة أمرها في عيد ميلادها الماشر واحتفظت لنفسى بأمر تريحها به الله الحقيقى وأترل نفسى إلى مرتبة الربى فقط غير أن الوقت قد فات ولم أجد الشجاعة على ذلك .

وكنت أقول تبريراً لموفقى إلى أخشى عليها من وقع الخبر .

ولم يقف جنونى عند هذا الحد بل لقد طردت المرأة ذات النظرة الغريبة عند ما قالت مرة :

لأنها سفرة لمدة ثمانية أيام فأطاعت لو وأصبحت
لا تسمع لنا كلمة

وفي أثناء الطريق ونحن في القطار سردنا لها
الحقيقة مجردة قبلتها دون انفعال نفسى رغم رقة
إحساسها ، وذلك ما كنت أخشاه ، فالحقيقة أخف
وطأة على النفس دائماً مما يعتقد الإنسان والكذب
وحده هو الأثقل من الصخور عليها.

وكانت أمها في انتظارها على الحطة فكان مشهد
أختين تتماثلان
ولم تحول « لو » قترفضنا بفتة وتتملق بالأثم
وحدها

فقد كان للكذب الطويل الأمد قوة هائلة
فبكت حين رحيلنا وبقيت لدى الأم كأنها في حلم
فقد كان التباين عظيماً لا يتحملة هذا الرأس الصغير
في وضوح وروية

بقيت لدى أمها عامين كاملين بدل الأسابيع
القليل التي أرادت تمضيها مع الأم ، وعوفيت
« لو » من البكاء الطويل التواصل ولّى الآن أن
أتنفس الصعداء إذ تحررت من أمي .

لم يضعف جبي زاد وبالغ في الزيادة والسبب
في أنه لم يقف عند حد أن القدر لا يميزه لى، وهذا
الحب سوف يقضى على راحة الطفلة كما تلهم الحرارة
النبات الذى يحتاج إلى طقس ندى .

أما هذا التلطف المضى في هذا الحب قصده
الكذب .

وطفلي الحقيقي الذى لا يميزه لى الحياة - أن
هو في هذا الكون ؟ ليس في وسع أن يصل إلى
يناديني كما أناديه دون جدوى .

وهذا مصدر الآلام ! على صبي

فكان هذا المرض الواحد هو الشيء الوحيد
الذى بقى بيننا رابطاً يصلنا

وأصبحت تصد كل كلمة تقال في سبيل تهدئتها
أو التناغم معها في شدة وعنف وعنث
وكنت أقول دائماً : « الفقراء أحسن الناس »
وها قد صادفت فقيراً فما باله لا يروقى الآن ؟

وإني لأحبها من أجل بسالتها التي تذود بها
عن حبيبها ، وإنه ليعسر على أن أفرق بين حبيبين
غير أننا هنا لزاء ففي عاطل يزهو بكبرياء ويناصيني
العداء ويمطرقني بوابل من الرسائل كلها تحد وغطرسة
وهذه الفتاة تميل إليه

إن « لو » لا تنحسك أنت أمها الفتى الذى
ترغى تحت قدميه بماطفة قوية هوجاء أعلم أنا وحدى
ماذا تريد

هى تبحث عن والدها . هى تبحث بمجد عمى
تخصه ...

ليس في وسع أن أهماهم مات غير أننا نستطيع
أن نعمل ما في مقدورنا عمله حتى تكفر عن فريقتنا
الكبرى مصدر كل بلاء ، فى استطاعتنا أن نردّها
لأمها الحقيقية

أما مجرد الإفصاح عن الحقيقة فأصبح وحده
لا يجدى . إذن لها أن تقول : مالك تمنعني عمى
أحب ولست بوالدى ؟

يجب أن أردّها إلى أمها وعلى الأم أن تجمد القوة
لإفقاد ابتها من المخاطر التي تقع فيها باندفاع من
جاء جررتي .

سافرنا بها إلى براغ حيث تقطن الأم وقتلنا لها

حواء - لست أنا التي
أنشيه ... !

الشیطان - إذا أنا وفتت
بك ... سأخذك بكلمتك

وسأفنى لك بهذا السر ... !
أنا لا أريد منك أى ضمان آخر

حواء - يمكنك أن تتق

بكلامى ... !

الشیطان - أنت فى حجة رجل كريم النفس
ولكنى أراه ليس جديراً بمطفك وحنانك ... !
لقد رأيته وعرفته فظلاً غليظ القلب ... أحسن
لا يبقه شيئاً

حواء - هوليس بالقدر الذى تصفه به ولكنه
مع ذلك خشن بعض الخشونة .

الشیطان - سيق مع الأيام وروض نفسه
ما دمت بجانبه على الرقة ولين الجانب ... !

ولكنه الآن أصلب من الحديد ... ! أليس
كذلك ... ؟

حواء - إني لأعرفه نبيلاً يحفل نفساً عزيزة
كرمة ، وإنه لى خلق عظيم ... !

الشیطان - أولى لك أن تصفيه بأنه رجل
وحشى لا هم له إلا مطاردة الحيوان ليفترسه ... !

هو كالحیوان فكرة ومعنى ، لا يعنى بنفسه ، بل
لا يريد أن يعنى بها .

لندعه وشأنه فهو خر فى نفسه ، ولكن ألا
ترى منى أنه على الأقل يبنى له أن يعنى بشريكه

الوحيدة وزقيقته الأليفة

أنت كائن رقيق ضعیف لا حول له ولا قوة

من أدب الفرسى

اغراء الشيطان لآدم وحواء

بسمك الأديب محمود المرسى

المظهر الأول : (الشيطان وحواء)

الشیطان - حواء ... ! ها نذا قد أتيت إليك
ساعياً للقاءك !

حواء - لماذا ... ؟ ماذا تريد منى أيتها الشيطان
الريد ... ؟ ما وراءك خبرى ... ؟

الشیطان - إني أبحث بحث المعنى عن سعادتك
التي تشدبها ، وشرفك الأصيل الذى تحافظين
عليه ... !

حواء - لينحسنا إياها الله عز وجل ... !
الشیطان - لا تخافى ... لا ترتدى ... ! لقد

عرفت منذ زمن مديد أسرار السعادة الخالدة فى هذه
الجنة ... ! سأخبرك كيف تحصلين عليها .

حواء - ابدأ حديثك إذا وقص على ما تريد
وما أنا ذى أسئ إليك

الشیطان - أحقاً ستصنئين لى ... ؟
حواء - أجل ... وسأكون لك مطيعة رقيقة !

الشیطان - وهل تحافظين على السر الذى سأفنى
به إليك ؟

حواء - أجل ... وإيمانى برأى ... !
الشیطان - ألا تفشينه ... ؟

كبيرة دربت في الخفاء في هذا الفردوس الخالد
وذلك أن الثمرة التي منحك إياها الله ليست
أجل من تلك التي طالما حذرَكَ منها . أراه
لا يريد أن يمتك بها إذ تحصل صفات جليلة
وفضائل جمة لا قبل لك بها . . . هو يستكثرها
عليك . . .

فيها ينبوع الحياة والقوة والسلطان والعلم
والعرفه بكل شيء . . . هي الأمل والنهاية وفيها
الخير والشر . . . وبالجملة يجمع في نفسها كل شيء
في الوجود . . .

حواء - ترى ما طعمها وكيف يكون ذوقها؟
الشیطان - منحت طمأ من السماء وذوقاً
إليها دونه كل ذوق أو طعم . . .

هي لجميك النض الجليل ولحياك الوضاح
الوسيم أضمن غذاء وأشهى طعام . . . استصبحين
بعدها ملكة الدنيا بأسرها والسماء وعرشها ونجومها
وسميرها . . . ستعرفين كل ما هو موجود وكل
ما ينبغي أن يوجد . . . وبالجملة ستكونين ملكة
مسيطرة على العالم بأسره . . .

حواء - أجمع الثمرة كل هذه الصفات ؟
واحبها . . .

الشیطان - أجل . . . هي كذلك . . .
(تمك حواء الثمرة المحرمة وتشم النظر فيها وبعد
ما تناولها هتبه تقول) :
لا شيء يستهوي بصري غير منظرها الجذاب
الجميل . . .

الشیطان - ماذا يحدث إذا أكلت منها ؟
لا شيء . . . حاولي . . . سوف تكونين أرقش قدأ
وأهيف قامة . . . ! إذا تذوقت هذه الثمرة المعجبة

أنت يا من هي أبدي من الزهر وأنصع من البلور
والتلجج للتساقط على الجليد الرائق النقي - لقد خلق
الخالق منك أزواجين غير متشجمين ، متناقرين غير
متوافقين . . . !

واحبها . . . أنت رقيقة الحاشية ، حلوة المشر؛
وهو جاف غليظ القلب صلب بفيض لروح جميل
كروحك . وعلى الرغم من ذلك أراك صابرة غافلة
رزينة مزنة في غير ملل ولا خبر . كل أفكارك
وآرائك تصدر عن روية وعقل . . . أفكلامك مغم
بالمعاني والبر ، وقلبك يفيض بالمطف والحنان . . .
خبريني هل تربيه بعد ذلك يطغف عليك ويعطيك
حقك من العناية والرعاية .. ؟

وأخيراً . . . أريد أن أقول لك شيئاً
حواء - لأفلاطونك اثنين عذب وجرس شجي !
أفض إلى بسرك فأنا حفيظة عليه في قلبي . . .
الشیطان - أحذرك . . . فهذا الشرشي مقدس
ليكون بيننا نحن الاثنين أناشدك الله ألا تفضي
به لأى مخلوق . . .

حواء - من هذا الذى يستطيع أن يعرفه مني ؟
الشیطان - حتى ولو كان آدم نفسه ؟
حواء - أجل . . .

الشیطان - إذا كن لي أن أنكم . . . أصنى
إلى . . . أنا لا أرى إنسان في هذا السكان غيرنا . . .
وآدم هناك بعيد عنا لا يستطيع أن يسمع الحديث
الذى يدور بيننا

حواء - تكلم . . . تكلم بصوت عال ، إنه
سوف لا يعرف كلمة ما . . .
الشیطان - أحذرك من مكيدة خطيرة وخديعة

فستبهرين آدم بمنظرك اللائكي .. سيمبدك بعد ذلك ولا يستطيع لك فراقاً ... !

حواء « مضطربة مترددة » — لست أدري ماذا أفعل !

الشیطان — هلاً تريدین أن تتقی بی ؟ ... ألا تعقدين فی كلامی ؟ خذی أنت الثمرة أولاً ثم أعط آدم إياها وانظرا ماذا يحدث بعد ذلك ... ستكونان ملكا السماء والأرض . ستستوليان فوراً على عرش الفردوس ، ستكونان كالخالق العظيم صفة وشها . وإذ ذاك لا يستطيع أن يرفض لكم أمراً ولا ينحى عنكم سراً !

فی اللحظة التي تأكلان من الثمرة حيث شئتما ستتحول روحكما من حال مادية فانية إلى حال روحانية خالدة ، إذ تشاركان الله فی ملكه وتبوان مكانكما من عرشه

سوف تصبحان فی قوة وعزّة أنداد الله فی الخير والحق والجمال ...

هيا كلا منها ما شئتما ... هيا إلى الخير ... هيا إلى الجّد .. إلى الخلود .. إلى الفخار والمظمة .. حاولا ولا تخافا ... أجمعا الرأي ولا ترددّا

فالتردد ليس خليقاً بكما وقد اصطفا كما الله ! وهنا ابتعد الشيطان عن حواء ونزل إلى الجحيم وجاء آدم إلى حواء حزناً مكتئباً لحديثها مع الشيطان الشرير وقال لها فی حدة :

خبريني أيّتها المرأة ماذا طلب منك هذا الشيطان البغيض وماذا يريد منك ؟

حواء — كان حديثنا يدور حول مجدنا وعظمتنا وكيف نضمن خلودنا بهما !

آدم — لا تتقي في الخائن ولا تمتقدي في المجرم إنك ما زلت ساذجة على حيكاء نقاء الطوية وصفاء النفس وطهارة القلب ... !

تقي بي أنا وحدي فأنا من معدنك وأنت مني وكلانا صنو الآخر ... هيا نرحم في جنتنا التي اختارها الله لإقامتنا ... لا تفسدي علينا هذه السعادة التي منحتنا إياها الله !

ألمن وراكم ظهرياً كلام هذا الماكر الكاذب الشديد التلغيق ... ! لا تسهوك ألقاظه العذبة الرنانة المنمقة ولا وعوده المسولة الخادعة !

هو لا يملك شيئاً حتى بعد هذه الوعود ، هو مبنوذ قد لعنه الله إلى يوم الدين !

أنصحك أيّتها الرقيقة الجميلة ألا تنطعم في شيء أكثر مما نحن فيه ... نحن في جنان الفردوس الخالدة حيث لا ظمأ ولا جوع ولا برد ولا ضرور ولكن ظلال الله والملائكة الأبرار في علينا .. فنحن في حمى الله الرحيم المتعال

أؤوسل إليك ألا تعصني لهذا الشرير ... ! لأنه رمز الألم والتندم ... أنا أعرف به منك ولي خبرة بأفعاله وخصاله ... !

حواء — كيف تعرفه هذا القدير من المعرفة ؟

آدم — ذلك لأنني بكلمته وخبرته عن كتب حواء — ماذا يهمني من ذلك ... ! أنت إذا نظرتني فاني زعيمة بأنك ستغير رأيك فيه لأن هيئته تحفلك على ذلك ... !

آدم — كلا ... ذلك لن يحصل — لأنني لا ثقة لي به ولا أعتقد بكلامه بعد الذي رأيت من خداعه

- وخيانته وكذبه وتلفيقه ... ١
 أنت . هيا إلى الخريفه في تناول يذينا ...
 لا تدعيه أن يأتي إليك أو يقرب منك
 هيا لا تتمهل .. ١
 إنه على خلق خبيث ونفس شريرة ماكرة ... ١
 آدم — كلا لن أقبل ما تدعوني إليه ...
 وقدما أراد أن يخون سيده فكفر بنعمته
 أخشى شيئا ... أخشى شيئا
 وأنكر صميمته بأن سلب عرشه متجاوزا كل حد
 حواء — تخطي خطأ كبيرا إذا أنت أصررت
 من الكفر والتكران
 على هذا الرفض
 أنا لا أريد هذا الخبيث أن يصل إلى قلبك
 آدم — أوه ، حسن ! سأخذها ... ١
 الطاهر أو ينفذ إلى نفسك الصافية المذبة ... ١
 حواء — إذا فكل منها ماشت ... وإذا ذلك
 (في هذه اللحظة يصمد ثمان برقي وهوادة على جذع
 ستعرف الخير ... والشر ... ١ هانذا أندوقها
 الشجرة الحمرمة ، حواء تقرب منه وكانها ترهب أذنيها كأنها
 تريد أن تصني إلى نصمه ... ولكنه يقدم لها نقاعة جيلة
 قبلك ... ١
 جذابة النظر فتأخذها وتهدمها بدورها إلى آدم التي يصر
 آدم — إذا فعلت فأنا مقدم على أكلها بمدك
 على رفضها بإبه وشم)
 حواء — نعم ... سنا كلها ونقتسمها سويا
 فنقول له حواء :
 في أمن وسلام ... ١
 كل يا آدم ولا تخف ... إنك ما زلت تجهل
 (وعندئذ تلت حواء جزءا من الثمرة الحمرمة وقالت لآدم.)
 طمعها ... ١ هيا لتأخذ هذا الخير الذي قدم لنا
 ها أنا ذى قد تذوقتها ... ١
 ليكون طوع بثاننا ... ١
 يا إلهي ما ألد طمعها ... ١ لم أندوق بسد طمعا
 آدم — وهل مذاقها حلوا إلى هذا القدر
 أشهى منها ... ١
 حتى تستهوينا وتغرينا ... ١؟
 ما أجملك وأنتهاك أيها الفاكهة التي طالما
 حرمنا ليالك ... ١
 حواء — ستعرف حلاوة طمعها حين تأكلها
 الآن قد عرفت لماذا منعت عنا وحذرتنا . ١
 فإول ولا تخش شيئا
 آدم — ماذا تقولين ؟ .. خبريني ما طمعها
 إلى لم أعهدك جباناً هكذا ... ١
 أسرعى .. وخبريني ... ١
 بل أشعر بإحساس غريب وشعور
 حواء — لم يتذوق إنسان طمعا ألد من ذلك .
 فالآن أنظر نظرا ثاقبا ... لقد أصبحت في صفوف
 لك الحق إن رعدة شديدة تستقلني وتجتاز جسمي
 وأسأولهم في العظمة ، وأسأولهم في القوة
 وعقل لا أعرف لها سببا ولا أصلا ... ١
 والسلطان
 حواء — لا تخف . أنا لا أشعر بعثل ما تشعر به
 ما أوجب هذه الثمرة ... إنها لساحرة ... ١

وا أسفاه ... ! ما أشقى الآثم وأبأس المجرم ...
 ما الذى فعلته حتى غضب على الله هذا الغضب، وقضى
 على هذا القضاء الذى لا مرد له ولكن أما قلت هذا
 لرفيقتى ..؟ أما قلت لها إن شيئاً سيحدث لنا ...
 ها نحن ذان قد حرمتنا جنتنا والسعادة التى كنا نمرح
 فيها فى غير فكر ولا ندم ... !
 اللهم أنزل لعنتك وغضبك على هذا الأثيم فهو
 الذى راودنا وهو الذى أغرانا !
 ألا لعنة الله على هذه الشجرة ! لك الله يا حواء !
 هاأذا قد مت فى غير رجعة ولا أوبة ... !
 وهبطت فى عالم لا أعرفه ... !
 [سستار]

محمود المصطفى

كلية الآداب - القسم الفرنسى

لقد عرفت كل ما هو موجود، وسأعرف كل
 ما سيوجد . عرفت سر العالم بأسره .
 كل يا آدم وشاركنى فى أكلها، أريدك سعيداً
 مثلى ... ! تذوق طعمها الحليل ولا تحرم نفسك .
 أسعد نفسك بأكلها ، وأنعمها ببهاها الذى
 لا يضارع ... وطعمها الذى لا يقارن ... !
 (فبأخذ آدم التفاحة على أثر هذا الاغراء ويقول لحواء)
 إنى لأرى نفسى تنق بك ثقة عيما لأنك رفيقة
 حياتى ، وشريكى فى السراء والضراء ولا قبل لى
 بالاستثناء عنك !
 أيتها الزهرة الجميلة التى لن تذبل وهى بين أناملى !
 وبأيتها السداة الحسنة التى استهوت قلبى
 واستولت على نوازع نفسى وهبته بصرى ببهاها
 وخفقت حركاتها
 يا من لا تفارق ثورك الصنير تلك الابتسامة
 العذبة السعيدة ...

يا من أسكن إليك بعد التعب والنصب
 وأنا سعيد قرر العين راضى النفس مطمئن البال ..
 لا أطمع فى شيء إلا رضاك وحنانك ولا أنطلع
 إلا لصحبتك ورقفتك !

أيتها الخالق العطوف ... لأجدن نفسى لا تقدر
 على ردِّ سؤالك أو رفض ما تريدته منى ...

ولكن ... ما زلت لا أستطيع !

حواء - خذها من يدي وكلمها ولا تخش سوءاً
 (هنا يأكل آدم جزءاً من الثمرة ولم يكده ينهي من
 أكلها حتى صرف خطيئه : فحاول أن يغنى نفسه حتى لا يراه
 أحد . وجرى من بياض الأبيغة للزركشة الخفيف على نفسه
 من ورق الشجر ليستر جسده وعند ذلك أظهر ندمه وأسفه
 وأخذ فى غير طائل قائل :

الأم فرتز

للساعر الفيلسوف جونى الوكلان

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهى قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وتنمها ١٥ قرشاً

ولا أحسبك إلا غاضبة على
 عند ما تعرفين الآث أننى
 لا أجف من دمك ولا أرفه
 عن أساك ، بل أشدك من
 شعرك فى قسوة لا تتفق مع
 رحمتى التى جذبتك إلى كنى
 فى تواضع رغبة فى مواساتى
 وطمعا فى نصيحة ترد إليك
 كبرياءك الدأبىة

عائد الشمس

أقصوصة مصرة بقلم الأنسة جميلة العادلى

أجل أجدبك فى عنف وأتى بك فى الحب الذى
 أشملته بيدك ... ليتطهر جسمك وتنصر ماديتك
 فى بوتقة الألم والعذاب ... وفى النهاية ستشعرين
 عن يقين أنك شفيت رغم ما تركه الحب على جسمك
 من علامات ما كابدته من عذاب

وليس الحب الذى أدفكك إليه كالنار أو الشرر
 المتطاير ... إنما هو لب النفوس كلها أجمه بحجرة
 قلم من محيط الكون فى دائرة محدودة ، ولا ألتيك
 وحدك إنما أتى معك فى وسط هذه الدائرة اللهبية
 بنير دخان ، أنفاس الرجل الذى خانك ، وأخرجها
 فى حرارة كما يقول وقد أتنق سياعتها بقلمه البارع
 هذه الأنفاس التى تحبى وتميت ... الأنفاس
 التى أحيتك وبعثت فى نفسك حلو الآمال ثم أماتتك
 تاركك خلفك أمة الآلام

هذه الأنفاس هى رسائل الرجل الذى أحبك
 بالقلم وتركك بالقلم ، وهى التى أدمعها الآن ثمنا لما
 أصابنى منك من جهد الخيال ... فأعرضها لتكشف
 للناس صورة من صور الأضاليل ... كيف يبدع القلم
 التصوير ولا ينافى القلب التفرير ؟

والآن لا أرد إليك رسائل صاحبك التى بعثها

(٦)

عزى الحائرة

ما عسى أن أقول لك بعد أن مرضت ، وهل
 يرى الجرح غير يد الطبيب ؟ وطبيبك مع الأسف
 رجل لا يعرف من المرأة غير جسمها ، ولا يلمس
 فى الحياة غير مواطن المادة

وأنا لست طيبة يا صاحبتى ... كل ما أجود به
 على الخلائق خافى وعطفى ، وهل يكنى الحنان لتضميد
 الجروح ؟ لا أظن !!

ودليلي أن الحنان يفتح دائما فوهة القلب فإذا
 بعيون من المواطف تتطلع إلى ما هو أعمق من
 الحنان وأغزر من العطف ، إلى التهل العذب الذى
 يفيض بالرحيق المشتعي الذى يصوره المنطق فى شبه
 حروف تؤلف كلمة واحدة - الحب - ويتم به الحس
 ويسميه الشعور !

إذن لا فائدة من مواساتى بعد أن صدمتك
 الحياة فى الصميم ، تتركك إلى عطف المعرفة فيلسوفة
 بغير تعلم

خلى عنك نصائحي فإنها لا تجدى ... ومتى
 أصلح النصح غملا أو هدى ضالا ... ؟
 حسبك ما علمتك إزاء الحياة عن طريق صدمتك .

إنك الآن أكثر منى تفهما للحياة

خاطر جميل ، والآن وقد اكتملت هذه الأدوات
وارتحت بين أكناف الريف الوديع الجبيل فإني
أكتب إليك ذاكرة تلك السعادة التي غمرتني
بمرفقك

وبعد: فإني طائر شاعر يعيش على الأحلام وبقنات
بالذكريات لا يجب أن يصطدم بالواقع ولكنه دائم
الاصطدام، فهو يود الحياة مستقيمة سهلة ، لا عوج
فيها ولا تنوء !

وإني لأطمع أن تفتحي لي كوة أطل منها على
دنياك، رياضها وجنانها، هضابها ونجادهها، وأن تعديني
بفيض من الأحلام والإلهام في هذه البيئة أحياء،
وبين هذه المكاف الحبيبة أنتقل وأعيش

— ٢ —

« هبة »

وصلتني رسالتك وأول ما ألاحظه عليها قصرها
— هذا القصر الخجل — مع أني أريدها طويلة كالسافة
التي بيننا، متعددة الناظر كالتي أعلاها وأنا في الطريق
إليك ١١ . أريدها رسالة يشفق البريد من حملها،
ولكنك أبدأ ضنيئة حتى بالكلام ... آه ... « هبة »
لقد وقعت في الشرك حتى لم يمد لي أمل في
النجاة، فانا - ولا أخني عليك - قد حاولت أكثر
من مرة ألا أسترسل معك في الكتابة . بل لقد
حاولت جهدي ألا أطلعك على ذاتي مجردة عارية ،
ولكن قاتل الله الثلاثة : يدي ، وقلبي ، ونظري
أحبك ، نعم - وأعبدك ، وأحرق ذاتي بنجورا
في هيكلك المقدس ولكنك لا تحسن أبداً بهذا
الحب المأبد المحترق !

يا هبة . لا أحب أن أشرح أو أصف لك
مأعاني ، وكل ما أحب أن أقوله إني وهبت قلبي لك

إلى " لأطلع عليها وأبدى رأيي فيما ينتجه القلم الصامت
على ضوء الحب الكاذب .

لأردّها إليك سرّاً بل أردّها إليك جهراً
بين ضجيج كل من يجذب نظره ضوء الأدب ...
وقد لا يفيدك هذا — على ما أعتقد — إذ سوف
يترحم عليك كل قلب رحيم ... فاجهي كل ما يصل
حسّك من مواساة الأرواح اللاصورية واستمضي
بها عما أصابك من بلاء روحى سببه لك ذلك الرجل
الذى يحب كل النساء كما تقولين ويمد كل شمس
متجسمة في امرأة

أنسى (هبة)

إنها لسكتة غير قصيرة طال فيها أمد الصمت ،
ولست أدري بماذا أوكيف أقطع عليك هذا الصمت
الذاهل فأحرمك تأملات فلسفية ، ورؤى شعرية
سحرية ، ولست أدري أيضاً أخطيء أنا أم مصيب
حين أفاجئك بهذه الرسالة فأقطع عليك سلسلة
خواطرك وإلهاماتك ، وأثقلك من دنياك المشرقة
الواعية ، إلى دنيانا المايسة الفارغة؛ وسواء أخطأت
أم أصبت فليس ثمة عيب من الكتابة إليك بعد ما
انتظرت أن تكتبي لي ولو بما يطمئني على سلامة
عودك ، ولكني لم أحظ حتى الآن إلا بمرارة
الانتظار ! ولم يكن في الاستطاعة أن أكتب إليك
فيما سبق ؛ فانا شارب لم يألف الكتابة بين الصخب
والضجيج والارتحال والانتقال ، ولم يكن ذلك
هو السبب الأصيل ، ولكن هناك سبب آخر ،
ذلك أني رأيت أن أخصك بأدوات جديدة للكتابة
فلا أكتب بها أو فيها إلا لك ، ولست أدري تمليل
هذا الخاطر ، ولعله خاطر شعري ، وعلى كل حال فهو

ولكن الذى لا أفهمه أو أطيعه أن تنفضي أنت منى . ومنذا الذى ألوذ به وأطلمه على خبيثة نفسى بعد اليوم إذا كنت تعاملينى معاملة أولئك الأرقاء ؟

ألا فلتلق الله فى نفسى وقلبي فأبى لا أعتقد أنك تعانين ما أغانى وتجدين ما أجد وتحملين نفسك

ما لا تطيق !

والى لأعنى أن تظل نظرتك إلى واحدة على الأيام .

وإذا كنت هفوت هفوة لم أقصدها فحسبى عقاباً هذا السكوت الذى أقض مضجعى وأمض نفسى وأطلق فى سماء حياتى سحب اليأس والضيق

والبرم بالحياة

وأخيراً ما زلت لك الخالص الأمين .

— ٤ —

« هبة »

ومهما يكن من شئ فأبى مدين لك بهذه الرسالة التى فتحت أمام ناظرى آفاقاً جديدة وعوالم غريبة من نفسك — نفسك التى طالما لفقتها بثوب من الحذر والغموض . وهكذا لا بد للورد من وخز الشوك . والآن بعد أن اجتريت فترة الاختبار فى تجربتك القاسية فأبى أرى نفسك تبدو أمأى عارية من كل ثوب مجردة عن كل غطاء ، وإذا هى طفلة وديمة طاهرة نبيلة تهيج أحياناً وتود ولكن هياج النبوغ وانفعال المبقرية وما أشبهى بالوجة تحركها النسمة فإذا هى غاضبة ثم سرعان ما يستحيل هذا الغضب إلى رحمة وحنان على الصخور

وإنه ليسر أن تترى بين يدي نفسك ماحوة ووعدة ثم لا بأس عليك من ذلك — وماذا يكون

فإذا شئت أن يحيا فهو لك . وإذا شئت أن يتحطم فهو لك أيضاً . ولكن رويدك فقد سرقت قلباً ونسيت مفتاحه ، وكنت أريد ألا أعطيك مفتاحه حتى يظل أمامك ظلماً وظلماً أمامه فى حيرة ولكن ما انتفاعى بالفتاح ما دام قد سرق الكثر ؟

يا هبة

قلبي شره إلى آخر حدود الشره ، فهو إذا جاع أو عطش فلا خيرات الأرض وأثمارها ولا أنهارها وبحارها بكافية لأن تسد جوعته أو تطفى حراة ظله .

ولعلك بمدلك تعرفين كيف تنتفعين به ومنه .

— ٣ —

هبة !

لتيق أدري ما الذى تناك عى ومثلك لا يمكن أن تكون إلا ودية كريمة ...

يشهد الله - أنى ما حملت لك أو أحمل إلا كل عاطفة شريفة ونية طاهرة مطهرة وقلبا يرف عليك ويشهد الله كذلك أنى لم أحلك من نفسى إلا فى أعمق مكان ولم أضعك إلا فى مصاف الآلهة الألى أتوسل إليهم بصلواتى وقضاء ذاتى ، ويشهد الله أيضاً أنها لكلمات يسيل بها القلم خالصة مخلص لا تعرف الرياء أو النفاق . فى مثل اضطراب الأوجاج خواطرى فى هذه الأيام ، وبمثل الغيب نفسى المظلمة — !

ولو علمت أى حدث جرى وأية زلة ارتكبت لجثوت أمامك نائباً مستغفراً . لقد أفهم أن تتنكر لى الحياة فلا أبه لها وأن يأتى بى الوجدون فلا أخفل بهم ، وأن يقطع الأصدقاء خيل مودتى فلا ألتفت إليهم

في مثل هذه الظروف القابضة ؟ إنني لقادر على أن أعيش في كل صقع وأحيا في كل مكان ، وأن أقابل الشدائد فلا تنال مني إلا كما تنال الرياح العاتية من الجبل الأسم !

ولكن الذي لم أزل أهفو إليه وأفتش عنه هو القلب !

القلب الذي يؤنس وحشتي ويبدد ظلمي ويقدرني دائماً على المقاومة والتجديد في الحياة !

ولا تظني أنني أجرب قلبي بهذه الجمل الموشاة ، ولا تظني كذلك أنها كلمات كتبتك الكلمات التي اعتاد الرجل أن ينال بها إعجاب المرأة ويستولى على قلبها ، ولكنها كلمات أروى فيها طويلاً قبل أن أسطرها - فهي كلمات من لحم ودم ، كلمات ترخر بالحياة وتوحج بالصدق ، ولولا أنني واضح ظاهري ما سجلت إليك كلمة واحدة من هذا ...

وأنا إذ أبدى لهفتي إليك وانشغالي بك - أحب أن تقدرى هذه العواطف النبيلة

العواطف التي لا ترى إلى شيء وراءها ، فإني أحبك لما بهرتني من روحك القوية السمحة ودمايتك الفاتحة وشاعريتك المتنوعة ، أما الجسم وإن كان رشيقةً فاتناً بديماً فلا شأن لي به ولا طمحي ، وإذا كان هناك ما يحيفك من الرجال فليس الذنب على وإنما هو على سماحتك التي تفرض كل الرجال ملائكة لا أناساً

أما بعد فطارك الفرد لا يزال بين يديك ، فخذار أن تثقل عليه بهذه الأساليب التي لا تجدي معه شيئاً وإلا ألجأته أن يهجر جنتك أسفاً ، وإذ ذاك يظل قابلاً في وكره فلا ينفك ولا ينفع نفسه ، وبذلك تشقن نفسك وتشقينه !

لو اتخذ كل منا من صاحبه أخاً لنفسه يهمس إليه بما يختلج في خاطره إن خيراً أو شراً دون خجل أو حياء ، ورب أخ لك لم تلده أمك .

أعود إليك يا صاحبتى ...

كان يكنى أن أفق بك هنا لأترك القارى ينسرح بخياله في عالم نوراني يرى في سمائه كل ما يشتهي الخالص من أمان حسان

ولكن لا بد أن أمقب على تمليقك بمد هذه الرسالة ... إذ تقولين إن تلك الرسائل رغم سحرها لم تبلغ عمق نفسك وإن الشك ظل يراودك ويقف بك بعيدة عن رغبات صاحبك حتى اشتدت حيرتك بين رغبتك وحذرك ...

فليك يدنيك منه

وعقلك يقصيصك عنه ...

وضباب الشك يشرف على أحلامك فيشوه حقائق أمانيك ...

وظللت هكذا حتى كتب لك :

(هبة)

إسمى يا هناه !

إني لأحجب من غردك على هذه الأيام ومحاوالتك مسي بالإنبياء ، مساً دون مقتضى أو داع ! أتقصدين ذلك حقاً ؟ أم تغلين على سبيل التذلل ؟

أما الأول فلا أطيقه ، وأما الثاني فقد آجملته ! على أن المولم أنك في الوقت الذي أنتظر فيه رخصتك تنضبين ، وأقرب قنصمدين ، وأنكم تفسكين ، وأنتق تفسكين !

ومنى تؤدين رسالتك يا فتاتي ... إن لم تؤديها

أجلاى . لقد رأيتك فرأيتني منجذباً إليك انجذاب الحديد بالمغناطيس ، وتطلعت إلى عينيكَ فإذا بي أرى فيهما رهبة مبدد مقدس ... لقد كانتا عميقتين عمق الأبد تنظران إلى السماء كأنما تبحثان عن سر ضائع . وأخيراً استعمت إلى حديثك فإذا كنت عليها طابع الدوام كأنما تحمل تجارب القرون ...

حينئذ شعرت أنى ولدت ميلاداً جديداً وأن روض حياتي قد نجمت فيه أزهار من نوع جديد ! وحينئذ أيضاً حرصت على مودتك وعاهدت نفسي أن أكون حرصاً على الوفاء لك ما بقى يحسنى نفس يتردد !

والآن ، هل تدرين مدى تأثيرك في حياتي ! لقد تقلنت من الظلام إلى النور وأجريت في أعصابي خلاصة أجيال من عزم وإرادة وعبادة للحق والقوة والحرية والجمال ... !

ثم هل تدرين أيضاً وفأنى لك في بدك ؟ إننى أستعيش بك عن رؤية الناس وموداتهم فأنت تسامرنى في وحدتي واجتماعي وأنت تمسحين عن جبينى عرق الملل والكلال كلما أجهدتني عجلة الحياة !

وأنت تفتحين أمامي أودية المجهول فأرودها ! وأنت تلازمينى في منزلى ، وأنت تؤنبنينى كلما أهملت في واجب ! وأنت في النهاية تمصمينى من التردى في مهاوى الملاك وموارد الضلال ... !

فلهذا أحبك حباً صرفاً ولهذا أدعوك إلى أن تصحى نظراتك إلى علاقتنا السماوية المباركة

وكل ما أريده أن تهينى كل عاطفتك ولتتصاحرن حتى بالرغبات الخفية ولتغترعن إلى دنياي

أرجو أن يصلك هذا وقد عادت إليك ابتسامتك وإشراكك . أنا الآن طريح الفراش يا هبة ولا أحد منى يؤنسنى إلا زفزفات حارة أصمدها ، فالرحمة الرحمة ، واعلمى أن كلمة منك طيبة كفيلاً بأن تريح عني عبثاً ثقيلاً فهل أنت فاعلة ؟

(هبة)

إنى لأنالم ... بل أعجب كيف أنك إلى الآن لا تزالين تجهلين نفسي وتعوطين وميولى تماماً ... وأنا أطمع في أن يشملني حبك وتفرقني رغبتك الأكيدة في أن تكوني بجانبى إلى النهاية مهما جالت بيننا الحوائل

أنا الآن في المنزل جالس إلى مكنتي بعد أن عدت من العمل خائر القوى ، ومع أن الحر شديد والتعب يكاد يحسك على مسارب أفكارى ، فإن بي نزوعاً إلى استئناف الكتابة إليك

وأحب أن تذكرى أن حبى لك غريب لا يمت إلى ما تواضع عليه الناس بصله ، حب يميزه عن سائر أنواع الحب عمقه وطهارته وخلوده وإخصابه !

لست أنكر أنى عرفت من قبلك ألف قلب وقلب وحطمت ألف قلب وقلب ... حطمتها لأنى لم أجد فيها القوة السحرية الخفية التى تفتح عيني على النور وتوقظ فى أشواق الحياة وتدفعنى إلى الخلق والإبداع ، وتجمل الوجود فى ناظرى

حطمت كل هذه القلوب لأنها كانت كالمراسم والذى ، بل لأنها كانت (كورد الحمار !) منظر ولا راحة !

وإذا كنت لا أنكر ذلك فأنى لا أنكر كذلك أنك كنت للثل الأعلى الذى تصبو إليه بروحى ونحن

ولست أدري كيف اجتذبتني إلى عالمها بين
هضاب ووهاد وزهور وأشواك وتقطيع وإشراق
وهدوء ونورة وثمرة وصمت وآمال وآلام وحقائق
وأحلام وتلميح وتصريح وبيان وغموض ، ولقد
قرأتها رسالة رسالة ، واستوعبتها فكرة فكرة ،
ووقفت على ما يحسن أمامه الوقوف فأنتك فيها على
اختلاف أغراضها وتباين مناحيها مثلاً للفن الطيبة
السريّة ، الفناء التي تحيا في الحياة بعقل حالم وخيال
كاشف وروح مستغرق وخطير متوثب وإحساس
مفتوح وشعور غامر دافئ !

أجل ، ورأيتك أيضاً مثلاً للمبقرية الفاتكة الخالقة
الباقية التي تعبد الفن وتغنى في ذاته كما يغنى الصوفي
بين نور الإله الجليل ، ولقد وجدت في هذه الرحلة
الروحية متاعاً لم أسأله أو آلفه من قبل حتى لقد
أمضيت فترة طويلة وأنا في ضيافتها ذاهلاً عن نفسي
وعما يفمرها من صخب الحياة ونحيبها ، وهكذا
هداني بل عودني بخلك الكتابي أن أفزع إلى كنانة
الذكرى كلما غلقت الأبواب ، وأوصدت المنافذ دوني
وإن في هذه الكنانة لستودعاً خافك بأمانين السلوى
وأولان العزاء ، وذلك غاية ما أتمناه منك فاكثري بمد
ذلك أو لا تكثري ، وجودي أو لا تجودي ، ونلني عن
شاعرك أو لا تنائي ، فما عاد يحفل بهذا أو ذاك مادام
ظفر منك أيها البخيلة ، بكنانة الذكرى

(هبة)

كان مما يقدرني على أعبائي الثقال وكان مما يجعل
الحياة في ناظري ، شعوري بأن الحياة رزقتني حبيبة
أفزع إليها وألوذ بها لدى الصدمات
وكان كذلك مما يعزيني ويحييني في الحياة

كلما أعوزك الصدق والحب في دنيا الناس ولتكوني
وفية لي في محضري ومنيبتي ولتتحنّسي ميولي
وتنفذي ما أرتاح إليه

لا أريد أن تمزّي عما تطوى عليه جوانحك
بكلمة ولكن باختلاجة أو حركة أو روح عامة
تموج في رسائلك تقشعني بما لي عندك من منزلة
أو اعتبار

إنني لا أريد أن تغف علاقتنا عند حد السطحية
بل أريد أن أسمع منك : دع هذا واصل ذاك وتعال
هنا واحذر أن تتأخر وأغضب منك إذا قلت كذا
إنني لا أكون غالياً إذا قلت لك إن اهتمامي بك
يربو على اهتمام والديين والإخوة ، ولست أسفأ
على شيء ، فإنني ما دمت أنت بجانبني أستمد من
تشجيعك قوة ومن حبك أشعة تبديد ألامى ضباب
الحياة ! ...

آه ! ماذا أقول ؟ ومالي أجسمك ارتياد هذه
الوديان المتأشبة ؟ وأخيراً ... تبقى أنني سأطوى قلبي
على حبك وسوف أكون لك البوحة الفينانة التي
تزعزعين إليها فتني عليك من ظلالها ، وتضمك
إلى أحضانها كلما لجأت إليها
واعلمي أن الغيب يضمرك حياة خالدة بمجي
هبة ...

كلمات كثيرة تريد أن شب من شفتي على أسلة هذا
القلم ولكني أكتبها بقوة هائلة !

آه لو ندرकिन ما أريد ، ولكن أنت لا ترجمين
مهجة صب .

كنانة الذكرى

ولبست هذه الكنانة إلا مجموعة من الرسائل
وعاها ظرف واحد وهبطت على منك في فترات
متقطعة ...

القديم... عالم الظلام والنيب، وسأقفل من وراء باب صومتي الأزلية وهبات أن أصني لأى صوت! أو أستجيب لأى دماء! أو أخف لأى نور!

وبعد فإذا كنت لا تأسفين على أى شيء، فأني آسف على كل شيء! وإذا كنت قد كتبت ما كتبت إلى أخيراً وبسمة الحب والطفولة تهوم على تفرك، فأني قد كتبت هذا ودموع قلبي تكاد تترقنى، يا إلهي، حتى من كنت أرجو أن تتحقق على يديها الآمال تكون هي آفة الآمال!

يا إلهي إن أحشائي تنقطع والدم الفائز يكاد يلعب شراييني، فأقتذني يا إلهي وألق على نفسي الطليحة وروحي الكليمة برد المراء

إلى هنا أ كفتي بهذه الصفحات من رسائل صاحبك وهي في الواقع خلاصة فناء الفكر في القلب.. ولا أقول فناء القلب أو الروح في القلب لأن فناءهما في الواقع معناه خلود الحب... أما وقد تلاشي ذلك الحب فلا أظن للقلب أو الروح سلطاناً عليه.. على أن هذه الرسائل لا تتخلو من إغراء يبعث الحجرة في وجه الحسنة ويشعرها بأنها إنسانة محبوبة مرغوب فيها...

ولعل صاحبتي صدقت ذلك لأنها سارت صاحبها بخواطرها عن طريق قلبها كما يقول وباعتراقها أيضاً.. إنما كانت فطنتها أشد من إيمانها صرت الشهور وهو يحاول أن يثبت لها حبه بأعذب الألحان الشمية وهي حائرة بين ما يبعثه في صدرها من تحدير عاطفي.. بين ما تلجحه عليه من آثار القلق والاضطراب والركود والاستسلام لخواطرها لا تتعلق بها... فلطالما حدثها عن المنادى وأسمها

شمعوى أيضاً بأن هذه الحبيبة قد تخصصت في دراسة ميولي وأهوائى حتى أصبحت تعرف سبجات فكرى وخلجات نفسى وهفتات شمعورى

و كنت أستبعد أن تدب بيننا بدوات الشك وهجمات الظنون فيما بيننا من حب وله الامتراج السامى وغذته العاطفة المزدهة عن الشوائب ووراء الوفاء الكريم. واليوم، بل ومن قبل اليوم، يدهشنى أن هذه الحبيبة قد بدأت تنأى بجانها وتتمرد على صلتنا الروحية المقدسة!!!! فهي مرة منفصلة غائبية، وأخرى صامتة لا تتكلم ولا تجيب، وثالثة متوعدة الزواج ورابعة تند بأن تتكلم، وأخيراً هي تشتم رائحة التفاق في أنفاس...! ماذا أيتها الساحرة!

أبهذه السرعة تريد أن تتحلى من صلتنا، وأن تحطى كل ماشداه من صروح، وأن تنكبرى لمن حشاه أن يتفكر لك مهما جازيته على الإخلاص حرماناً وعلى الوفاء جحوداً وتكراناً

إنه لمن الجائز أن يمتنى هذا الكلام الصارم الملقى على عواهنه إلى من اعتادوا إرسال الكلام على عواهنه ترجية للفراغ ودفعاً للسأم

أما أنا الذى أفكر فيما أكتب وأفكر فيما أقرأ! أيمكن أن يحدث مئ هذا؟

على أن ما أذهلني حقاً أن تحتجى رسالتك بقنبلة تذهب شظاياها بقلبي، فهل تفرقني حقاً أننى أحاول أن أتلى بحبك

إنك لتؤذني نفس الشاعر وتسيثين إليها حيناً تزجني بها في أخلاط النفوس البشرية وتظلين أنها سيفت من طبيعتهم أو نسجت على غرامهم!

وما دام الأمر كذلك فأني - مع إخلاصى الدائم لك - قد صممت على أن أرجع إلى عالى

رجل يشور ويهدأ ويحب ويكره في آن واحد ،
وهأنذا أكذب ولا أدري لإلام تنتهي مثل هذه
الكتابات الضالة .

ومع أني مضطرب الشعور موزع الخاطر ؛
فأني أحب أن تمتدني أني لم أكن عهدك مطلقاً ولم
أله بمخلوق أو مخلوقة — حقاً إن حياتي كانت وما زالت
ملأى بالمعجائب والمفريات ، ولكن أي مفريات
هذه ؟ لأنني لست ممن يجرون وراء ملذاتهم حسبما
اتفق ، فأنا رجل فنان شاذ ، فإذا سقطت فني سقطت
الفنان والحمد لله إذ نجينا ، وما كان لئلي أن يتلحى
بالوقى . ويمد فإياك أن تتبري الضباب برباحك
الموجاء ، ودعيني — دعي هذا المريض يحلم —
يحلم بمقدم هذا الطبيب — وبينما أئن لم يشغني من
هذا الداء لألقتين به من حلقى ، ولأذهبن أنا وهو
إلى الجحيم .

إلى هنا أدع صاحبك وأعود إليك . كيف
خدعك حسك أنت التي خلقت من مجموعة أعصاب
حساسة ... ؟
قد يكون للأسلوب الجذاب تأثيره على الأفتدة
والأفتدة الشاعرة على الأخص ، ولكن ما صلة
الحب بهمسات القلم ؟

قد تفرضين وتقولين ، وهل كانت همسات القلم
إلا خواطر النفس وسواخ القلب .
وملك الحق ، ولكن في غير هذا الزمن
يا صاحبتى ...

فقد طفت المادية على كل شيء وشوهت جلال
الرومانية الشفيفة ...
اسمى إلى جدتك عند ما نقص عليك حديث

أناشيد الهوى المستمر بإحماهن
ومن الطبيعى أن تسترسل في خيالها وتقيم
لسل مشهد من ألمانة قصة واقعية أثرت في حياته
تأثيراً أهلب بشاعريته إلى التفتي ...
وشاءت أن تظل في عراب تحفظها وتدأب
على اختياره حتى تتكشف حقيقة نفسه فكثبت
إليه تقول :
أتركك لتتغم الحب في كل واد
فكثبت إليها يقول :

يا لك طفلة ! أنا أحب ؟ ومن أحب ؟ وهل
خلق الله بعد تلك التي تستطيع أن تنهض بحبي ... ؟
لأنني يا عزيزتى ما أحببت مطلقاً ، ولن أحب أبداً ...
لأنني يوم أحب أحطم أو أتحمط أو هما معا . وأين
هذه الحبيبة التي لها من الرهافة والحساسية
ما تستطيع أن تفلس نبضات قلبي واهتزاز مشاعري
وخلجات روحي ؟

إن هذا الشعر الذي كان يروقك أنت وغيرك
كذب كله ، إنه ضرب من الغزل التجريبي ألقيت به
في محيط القلوب الفارغة انتقاماً منها وسخرية بها ،
لقد كان لي حبيبة واحدة ... آه نعم حبيبة صفعتني
على خدي بيد رطبة صغيرة يوم قالت لي :
أنت مجنون

حبيبة ضربت على تخوم عالمها عجائب الرقى .
ثم سميت إليها في ضباب يتنفس عن شذى البنفسج
وأنا أعزف على أوتار قلب جديد أناشيد مجنحة . حتى
إذا انتهيت إليها تباهت وتجاهلت ونفرت منفضة :
أنا لا أعرفك

إذن دعيني من حديث الحب . فأنا لا أحب ،
فأني فتاة تطيق الإقامة بجانب رجل مريض النفس
والعقل ؟

بأسرته علاقة تبيح لها الزيارة في كل وقت
لم تجده ... فانتظرت وراحت تنظي بمطالمة
الكتب والمجلات للمقابلة على مكتبه ... ودفعها الفضول
إلى فتح درج مكتبه ... ويبد حذرة سحبت بعض
لغافات الورق ...

وبسرعة البرق الخاطف تطلعت إلى غوى كل
رسالة ...

رسائل غرام منوعة ...
كتبت إلى تبت من الفتيات ...
عائشه، فاطمه، نemat، سنيه، نفوسه، زيب
الخ هذه الأسماء ...

وكلها تفيض بأحداث الحب المشبوب المستمر
وكلها تصور غرام الكاتب
وكلها تنغم تحت قدمي المرأة في خضوع لا يتفق
مع كبرياء الرجل

رسائل ... بما يحويه من لب وشوق وحنين ورغبة
وأمل وتوئب ... كتبها لمشيرات الفتيات وكل
ما يفرق بين هذه وتلك ... اسم المرسل إليها

كان ذلك يكفي لرد الفتاة إلى محراب عقلها ...
عظمة ذلك الهيكل الخيالي الذي سمته حقيقة وسمت به
إلى ما وراء الخلود، لكن هل كل فتاة يمكن أن
تحدو وتمود إلى نفسها دون عناء كهذه ؟
لقد خفف الشك وطأة المصاب فهل كل فتاة
تشك في الرجل الذي تحبه !! أنا أدعو إلى الشك
فيه لتظل بعيدة حتى إذا سدمها القدر به عز عليها
البكاء .

جميله المصطفى
(٧)

قلها . واسمى إلى نفسك — أنت المستتيرة المثقفة
ثم قولي أيتها أصدق وأعف وأقدر على الاحتمال
والصبر ...

القطرة التي حارباها في الصمم وشوهناها
بطواهر المدنية الراهنة التي عفت على الصدق والمعة
والقناعة والطاعة ...

وفي الواقع لا ذنب لك ولا ذنب لصاحبك أيضاً
كلانا مسرح لأضاليل الحياة . أنت معذورة لأنك
حسبت أن قلبك الطيب جدير بحب رجل ، وهو
معذور لأن المرأة تناديه من كل مكان ، في الشارع
وفي النوادي ، في المتاجر وفي المرافق ، وهي مستسلمة
تعبت بكل شيء في سبيل تحقيق أمنية ترجوها ...
ولا بد أن تأمل ولا بد أن تسعى إلى أملها ...
لأن الرجل في هذا العصر لا يبحث عن المرأة
المتحصنة التي تحبس نفسها داخل دارها خوفاً على
سمعتها وكرامتها ...
إذن كان أمر صاحبك في النهاية ... لا بد منه

قارئي في دهشة يتساءل : وما هذه النتيجة ؟
وكننت أحب أن أتركه حيث هو يتساءل ويفكر ..
ولكن لا بد من إجابته وإلا اتهمني بالقصور لأنه
تمود أن يجد على مائدة الأدبية كل ما تشتهي نفسه
أما أن يفكر ويبحث عما وراء هذا ونهاية ذلك
فلم يكن ذلك الوقت بعد ...

ذهبت صاحبتى لقيادة صاحبها المريض بعد أن
أفهمها أنها سبب علته وأنه في طريقه إلى القبر ...
ذهبت إليه دون أن تحدد موعداً وكانت لها

لم تكن مجرد دعابة . فقد
كان سكيراً حزينا . وحين
كننا نسأله لماذا يبس ويحدق
في السقف يتناحن جميعاً نضحك
كالجنانين أو كالأطفال السذج
كان يهيب في ابتسامة مرّة :
« يا رفاق ، إن برأسى طائراً
أزرق ، ولهذا ... »

... ثم إنه كان عظيم الشف
بارتياد الحقول إلى أن الربيع . فقد
كان هواء الغابات يلامس رقبته كما
كان الشاعر يقول لنا . وحين
كان يثوب من رحلته كان يحضر
منه دائماً باقات من الزهر
وبطاقات من الشعر . أما الزهر
« فلتيني » جارته ، وهي فتاة
غيسة لها خدان موردان وعينان
عميقتا الزرق ؛ وأما الشعر فلنا ،
وكنا نقرؤه ونطرب له ، فقد كننا
جميعاً نعجب بجارسن . كان نجاً

يوشك أن يتألق ، كان وقته لا رب سيجي . أوه ؟
سوف يخلق الطائر الأزرق في السموات التي أصرى
بجارسن اهات أيها الساق كاساً أخرى من الأبنست

خذ من الزهر بنفسجها ،
ومن الجوهر صغيره (١) ،
ومن الحياة السماء والحب

تلك مبادئ جارسن . ثم : « الجنون خير من

(١) Sappho نوع من الباقوت أزرق اللون

الطائر الأزرق

للكاتب الألباني رومين داسرو
بتم الأدب شكرى محمد عيسى

تعريف بالقصة

رومين داريو كاتب ألباني عاش
في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل
العشرين وشهرته الأدبية قائمة على
أشعاره وإن كان قد جمع إلى الشعر
كثيراً من النقد والرحلات وقبلاً من
الأقاصيص ، ويسد رومين داريو
صاحب أربع أساليب أسلاف النصر
الحديث ، وشعره يمنح إلى الإغراق
في الوصف الحسى . ولكنه غنى
باللفظ الجميل والخيال البعيد . وقد
كان داريو مغرمًا بالأدب الأجنبي
واللاتيني ، معتمداً الانتفاع بهذا في شعره
وهذه القصيدة الصغيرة من خير
ما كتب ، وأصح تمثيلاً لفتهوطريقته

باريس بلد طروب ولكنه
غيف . فلم يكن أحد بين رواد
مقهى بلومبير من الرسامين
والنحاتين والشعراء - وهم شباب
كلهم يطمحون إلى إكليل النار
القديم - من هو أحب إلى
القلوب من جارسن المسكين .
كان دائم الحزن ، يمدن شراب
الأبنست ، تسكره الأحلام
ولا تنوله الخمر ، يحسن - ككل
بوهيمي - ارتجال الكلام
وكانت ترين جدران حجرتنا

الصغيرة التي كانت مقعد اجتماعنا الريحه ، رسوم
بريشة من أصبح يوماً « دلا كروا » (١) ، بينها
أبيات من الشعر في خط ثقيل متجن ، مقطوعات
كلمة لطائراً الأزرق

والطائر الأزرق هو جارسن المسكين . ألا تعلم
لماذا أطلقت عليه هذه الكنية ؟ نحن الذين أطلقناها

(١) دلا كروا رسام فرنسي شهير ، ملون ماهر ومجدد
فن ، كان رأس المدرسة الرومانتيكية في القرن التاسع عشر

(١٧٩٩ - ١٨٦٣)

الجمود» هكذا كان الشاعر يقول

وكان الحزن برين على نفس جارسن من حين إلى حين ، فيقطع الشوارع لا يابه بالركبات الفاخرة ولا بالثياب الغرائب ، ولا بالنسوة الفارهات . وقد يبتسم حين يمر بمناوت جوهرى ؟ ولكنه كان إذا صادف مكتبة اقترب من النافذة وخذق في محتوياتها شرها . وكان يقول : إن الحقد يستمر قلبه حين ينظر إلى الجلدات الضخمة ويفشى وجهه المبوس . وليسرى عنه الهم قد ينظر إلى السماء ويتهد ، ثم يهرع إلينا فى الملهي نأثراً محتاجاً فيطلب كأساً من الأيسنت ويقول : « أجل إن برأسى طائرأ أزرق حبيساً يريد الحرية »

وبدا بعض الصحاب يظن أنه مجنون واستشير إخصائى فى العقل فقال : إنه مصاب « باللوثومانيا »^(١) ، ولم يبق شك فى أمره . حقاً لقد كان جارسن المسكين مجنوناً وذات يوم تسلم من أبيه خطاباً . وأبوه هذا تاجر قديم من تجار القماش فى نورماندى . وكان هذا مضمون الخطاب :

« لقد سمعت بمسلكك الطائش فى باريس . واعلم أنك إن واصلت عليه فلن تنال دانقاً منى . نال وقم على حساب المتجر ، فإذا أحرقت أبها الأحمق كل كتاباتك البليدة ، فإنك تستطيع عندئذ أن تنعم بمالى »

وقد قرئ هذا الكتاب جهره فى مقهى بلويير هل تذهب ؟ ألا تذهب ؟ هل توافق ؟ هل تفكر فى مثل هذا الخطاب ؟

(٧) Monomania أو جنون الفكرة الواحدة

مرحى يا جارسن ! لقد مرق الخطاب وأطل بجذعه من النافذة ، وهو يضحك فى صوت مجلجل وأرجل مقطوعة تنتهى على ما أستطيع أن أذكر بهذين البيتين :

ولست يبك على شقوتى ولا أنا ذاك الذى يُشفق
إذا ظل فى رأسى المبقرى مقباً به الطائر الأزرق !

ثم بدأت أخلاق جارسن تتبدل ، فنجس إلى الثروة ومال إلى المرح ، وابتاع ستره جديدة ، وبدأ قصيدة معنونة - بالطبع - « الطائر الأزرق »

وحيناً كنا نلتقى كل مساء كان يقرأ لنا منها جزءاً جديداً . لقد كانت رائعة ، سامية ، خلابة . كانت تصور سماء بديمة ، وحياة طليقة ، وحقوقاً كأنها رسمتها ريشة « كوردت »^(١) السحرية تلوح وجوه الأطفال من بين أزاهيرها ، وعيني « نينى » غضائين كبيرتين ، وطائرأ أزرق أرسله الله محملاً فوق ذلك كله ، فبى وكره دون أن يعلم فى رأس جارسن المسكين ، وبقي هناك سجيناً . فإذا أراد الطائر أن ينطلق من محبسه ، رف بجناحيه ، وضرب بهما جدران سجنه ، فرفع الشاعر رأسه ، ويمقد جبينه ، ويشرب الأيسنت بماء قليل ، وهو يجتر فى نفس الوقت سيجارة . تلك كانت العقيدة .

وذاً ليلة جاءه جارسن يضحك ضحكاً عالية ، ولكن الحزن مع ذلك جاثم فوقه .

لقد حلت جارتة الجميلة إلى القفيرة . « لقد جشتم بشئ جديد : الجزء الأخير من قصيدتى . لقد ماتت نينى . الريح يقبل وتدر نينى يستطيع البنفسج أن يطمئن على سوفه . والآن إلى

(١) كوردت : رسام فرنسى اشتهر بلوحاته الريفية

(١٧٩٦ - ١٨٧٥)

الفصول والغايات

معمزة الشاعر الشاب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريفته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقذو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

محمده ومرحه وطيبه الأستاذ

محمد حسن زناني

منه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

خاتمة القصيدة ، إن الناشرين لم يتفضلوا على قراءة
أشعاري . سوف يتصدع مثلكم جميعاً . إنه قانون
الزمن . يجب أن تمنون الخاتمة : « كيف انطلق
الطائر الأزرق إلى السموات الزرقاء ... »

الربيع في عنفوانه ! الأشجار تزهر بخضرتها .
السحب وردية في الصباح شاحبة في المساء . التسميم
الرفيق يداعب أوراق الشجر ويلهو بخيوط أكواخ
القش . ولكن جارسن لا يذهب إلى الحقول .
ها هو ذا يأتي ، في سترة جديدة ، إلى مقهى بلومبير
الحبيب ، شاحباً وهو ييسم في حزن : « ودعوني
يا أسدقائي بئس قلوبكم ، فإن الطائر الأزرق يشك
أن ينطلق ... »

وبكى جارسن المسكين ، وصافح أيدينا في قوة
وذهب

وقلنا جميعاً : سيمود الولد العاق جارسن إلى أبيه
في نورماندي . وداعاً أيها الشعر ؛ وداعاً أيها الجمال ؛
لقد أزعج شاعرنا أن يبيع التفاح ؛ هيا ! كأساً
لجارسن

وفي اليوم التالي وقف رواد مقهى بلومبير جميعاً
في مسكن جارسن خشمًا وبكيا

لقد كان الشاعر مسجى على فراشه الملطخ بالدم ،
ورأسه قد هشته رصاصة وعلى الوسادة فلذ من
غته ... فما أبشع !

وحين أفقنا من هول الصدمة ووقفنا نبكي على
جثمان صديقنا ، وجدنا تحت القصيدة الشهيرة ، وقد
خطت على الصفحة الأخيرة منها هذه الكلمات :
« اليوم ، في عنفوان الربيع ، فتحت باب القفص
للطائر الأزرق المسكين »

آه يا جارسن ! وما أكثر الذين يفرهم الحزن
مثلاً فراك ! شكرى محمد عباد

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

جَنِي قَبْلَ الْإِعْلَامِ

عن الانجليزية
بقلم الأديب مصطفى صبيح

في السجن ينتظر تنفيذ العقوبة .
فيأ ترى كيف يقضى الوقت إلى
أن نحين ساعته ...

وأثرت لجة الرجل في نفس
القس . فقال روح عنه : دعنا
نأمل رحمة الله ... لماذا نياس !
قال : نعم . نعم . فلتبتهل

إلى الله ولنضرع إليه إنه غفور رحيم .
كان « بنى » قبل التحاقه بالجندية يقول لى :
سأعيش يا أبى خجولاً أمام نفسى وأمام الناس إذا
أنا لم أستعمل ذراعى القويتين المقتولتين من أجل
بلادى عندما تقع الحرب ويدعونى الوطن . وكنت
أقول له : إذهب يا ولدى ، إذهب فى حراسة الرب ،
وها قد حرسه الله !

ونطق مستر أوين بالعبارة الأخيرة فى بطاء
كما لو كان رغم إيمانه قد ساوره الشك فى رحمة السماء .
فقال القس : تشجع يا صديق تشجع ،
ولا تقنط من رحمة الله !

وأصغت لوسى لهذا الحوار ، وهى فى موضعها
منكسة الرأس ، بالنة الأسمى ، بمنقمة اللون ، لما
أصاب أخاها « بنى » ؟ لكن لم ترسل عينها دمعاً
ولم تسمع لمعها وكدرها أن يشمعا على مجيهاها .
وكانت على حداتها سنها تقوم بنصيب موفور فى إدارة
شؤون البيت ؟ ولذلك هبت واقفة حين سمعت طرقة
خفيفاً على باب « الطبخ » ؟ وأسرعت وفتحت
الباب ووجدت رجلاً يقدم إليها خطاباً .

وحلت الخطاب إلى أيها وهى تقول :

— إنه منه ... من أخى ...

جلس مستر أوين فى غرفته الخاصة بداره
الكبيرة فى جرين مونتن بالولايات المتحدة ، وكان
كاسف البال ، شديد الكآبة ؛ وإلى جانبه قسيس
القرية يواسيه ويخفف عنه .

بينما مكثت لوسى الصغيرة فى ركن الغرفة تنصت
إلى حديث الرجلين دون أن تلفظ بيت شفة .

وتكلم مستر أوين قال : كنت أحسب حين
وهبت ابنى لهذا الوطن أنى فعلت من أجل بلادى
ما لم يفعله أى رجل آخر فى أمريكا على سعتها ،
إذ ليس لى ولد غيره ؛ لكن هبتى لم تمش طويلاً ،
لأن ولدى المحبوب قد قلبه الناس فنام دقيقة واحدة
فى نوبة حراسته بالمسكر ، وهو الذى لم ينفل لحظة
عن أداء واجبه ؛ وكان مثلاً للنشاط الموفور والهمة
العالية ...

صحيح أنه قد استسلم للكرى دقيقة ، واستحق
حكم الإعدام الذى صدر ضده . لكن ليتهم رحوا
شبابه ، وراعوا حداته سنة . هو فى الثامنة عشرة
فقط ... من يصدق هذا ؟

إنهم الآن يتهيشون لرميه بالراسخ . لأن هذا
التمس نام بضع ثوان ، ولم يظل ساهراً الليل بطوله
يراقب قديم جيوش الأعداء المهاجرين . إنه الآن

فلما سقط « جي كار » سربصاً بذلت كل جهودى من أجل راحته والأخذ بيده حتى تماثل للشفاء على أنه قبل أن يجتمع له قواه وترد إليه صحته صدرت الأوامر لفرقتنا بالتقدم إلى خطوط النار . وناء « جي » بحمله فحملته عنه فصاراً عن حقائبي وقطعنا شوطاً بعيداً ، وانقضى النهار وبدأ الرجال يشمرون بالتعب وغارت قوتنا جميعاً . أما « جي » فقد هجز عن مواصلة السير ولم يمش إلا بعد أن مدت له يد المساعدة ونحن شارفنا المسكر كنت في أشد حالات التعب وأحوج الرجال إلى الراحة . لكن شامت الصدف أن تكون نوبة الحراسة تلك الليلة لزميل « جي كار » ورأيت محطاً يكاد يقتله الضعف والتعب فتقدمت للحراسة عنه ونسيت أنى في تلك اللحظة كنت أشد منه ضعفاً وإعياءاً وهناً ، وصدقتى يا أبى أنى كنت عند ما غالبنى النوم على حال من التعب والإعياء بحيث لو أطلقت على رأسى رصاصة لما فتحت عيني أو حركت ساكناً

على أنى غطى وخطى أنى لم أظن لحالتي إلا متأخراً جداً .. وعند ما وصل القس إلى هذا الحد من القراءة قاطعه مستر أوين بهذه العبارة :

شكراً لله ، إن ابني يموت شهيداً وليس خائفاً وعاد القس يقرأ هكذا :

قيل لى اليوم إن إعدائى تأجل يوماً واحداً بسبب ظروف طارئة ، وهذه فرصة لكى أكتب إليك كما يقول رئيسى الطبيب القلب . اصبر عنه يا أبى فإنه لم يفعل سوى أن قام بواجبه ، وقد كان يود بإخلاص أن ينقذنى لكن القوانين العسكرية صارمة ولا حيلة فيها . كذلك أرجو ألا تنزع مسئولية إعدائى على رأس « جيمى كار » فإن

وكان الخطاب وصية ميت أو رسالة من القبرا فقد تطلع فيه مستر أوين دون أن يجسر على فض غلافه وارتجفت أسبابه وهو يدمنه إلى القس كالو كان طفلاً لا حول له ولا قوة

وفض القس التلايف وقرأ ما يلي :

أبى العزيز :

— عند ما تصلك هذه الرسالة أكون في عالم الأبدية ! فالوت ينتظرني عند باب السجن . ما أشد ما أخافنى هذا الخطر وروعنى ! على أنى فكرت كثيراً وقلت الأمر على كل الوجوه حتى لم يمد الإعدام تخيفاً في نظرى ... لقد احترموا آخر رغباتى في الحياة وسوف لا يضمون الأغلل في يدي ولا المصاية على عيني وعلى ذلك سألقى الموت كما يلقاه الرجل الشجاع الباسل وفي هذا تمزية كبرى

غير أنى كنت أرجو أن تقضى الأقدار بنير ما قضت ، وأن تكون ميتى أشرف من هذه الميتة كنت أود لو أموت شهيداً في ساحة الوغى وحومة الفضال مدافعاً عن بلادى وفي سبيل المجد ، إما أن أعدم رمياً بالرصاص كالكلب وبتهمة إهمال الواجب العسكري وهو شئ يضارب الحياة ، فذلك ما يؤلنى أشد الألم ولا أدري كيف لم تقتلى هذه الفكرة قبل أن تقتلى بنادقهم

أبى : سوف لا يكون في حادثي ما يחדش اسمك أو يسم شرف أسرتك . سأعترف ها هنا بكل شئ . وعند ما أفارق الحياة أأمل أن تشرح للداني وأصدقائى ما وقع . أما أنا فرجل ميت والوقت لا يتكلمون

تذكر أنى كنت قد وعدت أم صاحبي « جي كار » أن أعني بولدها الذى هو زميلى في الفرقة

قد دخل غرفته تَوَّأ وبدأ يلقى نظرة على الأوراق المكسدة على مكتبه وأقبل يفحصها وينظر في شئون دولته ... ويدون أية جلبة فتح الباب بهدوء وانسابت لوسى إلى الداخل وخطلت نحوه ثم وقفت قبالةً بمحشوع وهرية : عينها إلى الأرض ويداها منقبضتان

ووقع نظر الرئيس عليها ولم يبد عليه أنه غضب أو تامل حين فوجئ بدخولها ، بل ابتسم لها مرفقاً وخاطبها بصوت مشجع ، قال :

— نعم يا صغرى ! ماذا تريد من هذا الوقت المتأخر

— أريد حياة « بنى » يا سيدي

— بنى ؟ من هو بنى ؟

— أخى . إنهم يرمنوه بالرصاص بسبب نومه

في نوبة حراسته

فعاد مستر لنكون إلى الأوراق التي أمامه

ينظر فيها وهو يقول :

— آه ، لقد تذكرت الآن ، إنه نام في أخرج الأوقات وأخطرها واعلمى يا صديقتى الصغيرة أنه اختار لنومه ساعة تتوقف عليها مصائر بلاده وحياة ألوف من الجنود . وهذا استهتار شنيع

قالت :

— وهكذا يقولون أنى لكن « بنى » للسكين كان متعباً جداً يا سيدي وكذلك كان « جى » وقد قام أخى بعمل رجلين ولم تكن تلك الحراسة حراسته . كانت النوبة على « جى » ولكن « جى » كان حريصاً وعند ما حل أخى عمله لم يكن يفكر في نفسه ولا في تعبه ونسى أنه منكم القوى

ورفع الرجل العظيم رأسه من بين الأوراق وعاد ينظر إلى زائرة الصغيرة وقال :

السكين منكسر القلب شديد الأسف لما حل في . وقد ألع عليهم أن يأخذوه فدية عني ولكن أحداً لم يصر طلبه التفاتاً بطبيعة الحال

أبى ، لا أجسر أن أفكر في أبى ولا في أختى لوسى فإيا ليتك تواسيها وتجنف دعمهما وليتك تقول لهما إنى أموت شجاعاً بسلام وإنه عند ما تنتهي

الحرب سينسيان المار الذى سيلحق بى الآن

في هذا المساء عند ما تغرب الشمس ويولى النهار سوف تمر بخاطرى صورة من صور السعادة الضائعة فأرى قطمان الماشية تمشى الموهنا من المرمى إلى الحظيرة وأرى بيمت الخيال شقيقى لوسى في الشرفة واقفة تنتظرنى وتلوح لى حين ترانى ؛ على أنها لن ترانى ولن أعود !

أستودعكم الله واصفحوا عن ابنكم السيء الحظ « بنى »

في ساعة متأخرة من تلك الليلة فتح باب الشرفة الخلفية بمنزل مستر أوين وانسابت من بين مصراعيه صبية صغيرة وهبطت الدرج الذى يؤدى إلى الطريق وكان المشاهد يحسها لسرعها طائرة لا ماشية وكانت تهوول إلى جهة معينة لا تلفت إلى يمين أو شمال لكنها ترفع رأسها بين حين وحين شطر السماء ويداها منقبضتان كأنها تنزع إلى دهاوتيهل وبعد ساعتين طويتين قضتاهما هذه الصغيرة تسير وحدها في ظلمة الليل ووحشته وصلت إلى محطة ميل . وقبل أن تشرق الشمس كانت لوسى في العاصمة تسرع الخطا إلى البيت الأبيض الذى يقيم فيه رئيس الجمهورية وكان مستر لنكون (رئيس الجمهورية العظيم)

ما هذا الكلام يا طفلي؟ أنا أكاد لا أفهم شيئاً . تعالى إلى جانبي وقص قصتك
وبمثل العناية التي يبذلها دائماً في مختلف شئون الدولة أقبل الرئيس لنكون في فحص هذه الدعوى
ومشت لوسى إليه فربت على منكبيه وحوّل يده وجهها إليه وأحست بقطعه عليها فرددت قصتها وقدمت إليه خطاب أخيها لأبيها فأخذها منها وألقى عليه نظرة ثم قرأه بعناية ، وحالاً انتهى منه أمسك قلبه وخط بسرعة بضعة أسطر على ورقة ودق جرساً أمامه فأقبل أحد الحجاب ، وسمعت لوسى الرئيس وهو يقول للعاجب : ابنت بهذه الرسالة في الحال !
وبعد يومين من هذه المقابلة وفد إلى دار الرئاسة جندي شاب ومعه صبية صغيرة . كان الشاب « بنى » وكانت الصبية أخته « لوسى » واستقبلهما الرئيس في غرفته الخاصة واحتفى بهما وكان يلبس حلة عسكرية جديدة تزين كتفها شارات الترقية التي رفعتها إلى درجة ملازم وخطبه الرئيس قال :
لقد عفوت عنك ورفعت درجتك يا بنى لأن الجندي الذي يحمل حقائب زميله المريض ويموت من أجل غيره دون أن يشكو أو يتبرم ، يستحق تقدير الوطن .
وعاد بنى ولوسى إلى جرين مونت ، حيث استقبلهما الجماهير الماثقة في المحطة وبسطمستر أوين يده لولده والدموع تهمر من مآقيه على خديه وسمعه الناس وهو يهتف بجماعة : « لله الحمد ! »
مصطفى صبي

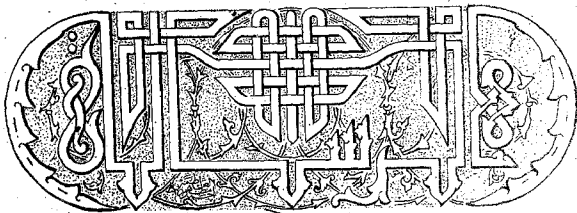
بنك مصر

أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتقيم دعائم الاستقلال الاقتصادي

عاملوه ... وعاملوا شرفاً تكتبوا ... النصر لبلادكم



مَجَلَّةُ الْآدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالْثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرَّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرَّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرَّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرَّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْآدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرَّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ أَسَالِمَ الْمُبَالَغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرَّسَالَةُ تَرصِّدُ ظَوَاهِرَ التَّطَوُّرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دَيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُّ الْآدَابِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفَ عَامَّةٍ

وَالْمَشْرِقُ الْإِسْلَامِيُّ وَفَرَنْسَا . وَالْمَغَارِبُ الْمِصْرِيَّةُ وَفَرَنْسَا ، وَدَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَقْصَمِ ٢٠٪

FIN

DU

DOCUMENT

المروية

مجلة الأسبوعية للفقه والنحو

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

1939

Volume 1